
دليل الواعظ
إلى أدلة المواعظ



اسم الكتـــاب: دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ

اسم المؤلــف: شحاته صقر

القطـــــع: ١٧×٢٤ سم

عدد الصفحات: ٨٩٦ صفحة

عدد المجلدات: ٣ مجلدات

سنة الطبــع: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

الطبعـــة: الأولى

رقم الإيداع: ٤٢٠٨ / ٢٠١٤

دار الخلفاء الراشدين

طبع • نشر • توزيع

الإسكندرية أبو سليمان ش عمر أمام مسجد الخلفاء الراشدين

الإدارة: ٠١٠٠٦٧١٤٧٦٨ - المبيعات: ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦



موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة
مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار

المُجَلَّدُ الثَّالِثُ

الخطب من ١٠١- ١٥٠
مع ١٠٠٠ حديث لا يثبت

جمع وترتيب
شحاتة صقر

توزيع

دار الخلفاء الراشدين
الإسكندرية أبو سليمان ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٠٦٧١٤٧٦٨ - ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦



الإسكندرية مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - ٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧



مقدمة
المجلد الثالث

إنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾. [الأحزاب].

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

فبين يديك - أخي الداعية - المجلدُ الثالث من كتاب (دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ) الذي هو محاولة لإعداد موضوعات متكاملة يستفيد منها الخطيب وغيره في إعداد خطبة الجمعة وغيرها من المواعظ.

وقد جمعتُها من كتب أهل العلم، ومن مواقع الخطب على الشبكة العنكبوتية مع تعديلها بالحذف أو الإضافة بما يناسب منهج الكتاب.

وتشتمل هذه الموضوعات على أدلة من الكتاب والسنة الصحيحة مع

ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار، مع الحرص على تجنب الأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ حيث إن في الصحيح ما يُغني عن الضعيف.

أما طريقة عرض الخطبة فمتروكة للخطيب بما يناسب قدراته ومنهجه في العرض وبما يناسب جمهور مستمعيه.

وهذا المجلد تجد به ما يزيد على الألف من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والتي لا أصل لها رغم شهرتها بين كثير من عامة الناس واعتقادهم نسبتها إلى المعصوم الصادق المصدوق ﷺ، ورغم أن كثير من الوعاظ قد يتناولها في خطبه وهو لا يعلم حالها، وهي تكملة لما في المجلد الثاني من هذا الكتاب، وقد رتبتُها أبجديًّا ليسهل الوصول إليها ليتجنبها الداعية.

وقد حاولت - قدر الإمكان - أن أذكر في الهامش البديل الصحيح لبعض هذه الأحاديث التي لم تصح نسبتها إلى المعصوم الصادق المصدوق ﷺ.

واللهَ أسألُ أن ينفع المسلمين بهذه الورقات وأن يرزقنا الإخلاص في السر والعلن، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

شحاتة محمد صقر

sakrmhma@yahoo.com

أبشِرْ بالأجر العظيم
أيها الخطيب المُخْلص!!
وإياك أن تكون قدوةً سيئة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُــولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»

[رواه مسلم].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ**»

[رواه الترمذي، وصحَّحه الألباني].



أحاديث ضعيفة

وموضوعة ولا أصل لها

أحاديث
ضعيفة وموضوعة ولا أصل لها[1]

من باب قول حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّاسُ يَسْـأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي». [رواه البخاري ومسلم].

ومن باب قول الشاعر:

عَـــرَفْـــتُ الـــشَّـــرَّ لا	لِـلـشَّـرِّ لَـكِـنْ لِـتَـوَقِّـيـهِ
وَمَـنْ لَـمْ يَـعْـرِفِ الخيرَ	مـن الـشَّـرِّ يـقـعْ فـيـهِ

كانت هذه المجموعة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والتي لا أصل لها، جمعتها من كتب أهل العلم؛ لكي يتجنبها إخواني الخطباء والوعاظ في خطبهم ودروسهم، وفي الصحيح والحسن من حديث رسول الله ﷺ ما يغنيهم عن الاستشهاد بها.

ومعظم هذه الأحاديث تجدها في:

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيتمي.
- تخريج أحاديث الإحياء المسمَّى (المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار) لزين الدين العراقي.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي.

---

(١) هذه المقدمة موجودة بنصّها في المجلد الثاني، ومعها خطورة انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة بين الناس، ونماذج من أثر الحديث الضعيف والموضوع في تخريب العقائد. وقد أعيدت هنا لمن ليس عنده المجلد الثاني.

- تمييز الطيب من الخبيث مما يدور على ألسنة الناس من الحديث، لابن الديبع الشيباني.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني.
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة لابن عرّاق الكناني.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني.
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي.
- الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث لأحمد بن عبد الكريم الغزي العامري.
- النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية لمحمد الأمير الكبير المالكي.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني.
- ضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني.
- النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة لأبي إسحاق الحويني.
- تحذير الداعية من القصص الواهية لعلي حشيش.
- مائة من الأحاديث المشتهرة على الألسنة لإحسان بن محمد بن عايش العتيبي.
- أحاديث لا تصح، إعداد سليمان بن صالح الخراشي فلينظرها من أراد تخريجها بالتفصيل والاطلاع على كلام أهل العلم عليها.



تنبيهات
قبل قراءة الأحاديث

التنبيه الأول:

لا يجوز لأحد أن يتساهل في نسبة الأحاديث إلى النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**». [رواه البخاري ومسلم].

وقال ﷺ: «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ**» [رواه مسلم في مقدمة صحيحه، وهو حديثٌ متواتر، رواه عن رسول الله ﷺ نحوًا من سبعين صحابيًا وربما مائة صحابي]. قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «.. فِيهِ تَغْلِيظُ الْكَذِبِ وَالتَّعَرُّض لَهُ، وَأَنَّ مَنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ كَذِبُ مَا يَرْوِيهِ فَرَوَاهُ كَانَ كَاذِبًا، وَكَيْف لا يَكُون كَاذِبًا وَهُوَ مُخْبِرٌ بِمَا لَمْ يَكُنْ»[1].

وقد قال ﷺ: «**مَنْ قَالَ عَلَيَّ فَلَا يَقُولَنَّ إِلَّا حَقًّا، أَوْ صِدْقًا، فَمَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»، [رواه الإمام أحمد في المسند وابن حبان وغيرهما، وحسنه الألباني والأرنؤوط]، وقد ترجم عليه الإمام ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَصْلٌ ذِكْرُ إِيجَابِ دُخُولِ النَّارِ لِمَنْ نَسَبَ الشَّيْءَ إِلَى الْمُصْطَفَى ﷺ وَهُوَ غَيْرُ عَالِمٍ بِصِحَّتِهِ»[2].

وإذا لم يكن عند الشخص القدرة العلمية التي يستطيع أن يعرف بها صحة الحديث أو ضعفه فالواجب عليه أن يسأل أهل العلم المختصين بهذا الشأن والرجوع إلى أقوال الأئمة والحفاظ المدونة في الكتب، عملًا بقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١/ ٦٥).

(٢) صحيح ابن حبان (١/ ٢١٠)، ط مؤسسة الرسالة.

التنبيه الثاني:

قد يلاحظ القارئ الكريم أن بعض الكلام الموجود في الأحاديث الضعيفة والموضوعة معناه صحيح أو أنه كلام طيب أو يدل على حكمة قائله ورزانة عقله، مثال ذلك: «عجلوا بالصلاة قبل الفوت، وعجلوا بالتوبة قبل الموت». فمع أنه حديث موضوع فإن معناه صحيح كما قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (سلسلة الأحاديث الضعيفة (١ / ١٧٤)، رقم ٧٥).

ومن ذلك حديث: «خمسة كتبت على ساق عرش الرحمن، لا حيلة في الرزق، ولا شفاعة في الموت، لا راحة في الدنيا، لا رادّ لقضاء الله، ولا سلامة من ألسنة الناس»، فإن المعاني الواردة في الرواية معان صحيحة، جاء ما يشهد لها من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ولكن ليس كل ما صَحَّ معناه جازت نسبته إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وإلا جاز لكل شخص أن يكذب على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويختلق الأحاديث عليه، ثم تكون حجته أن ما كذبه له شواهده من القرآن والسنة.

فالحق أنه لا يحل نسبة هذا الكلام إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكَوْنُ معناه صحيحًا لا يبرّر للمسلم أن ينسبه إلى الصادق المصدوق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. فقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ؛ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**» [رواه البخاري ومسلم]. وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أيضًا: «**مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**» [رواه البخاري].

التنبيه الثالث:

كَوْنُ الحديث ضعيفًا أو موضوعًا ليس معناه بالضرورة أن ما دَلَّ عليه غير صحيح؛ فقد يشير دليل آخر - آية أو حديث صحيح - إلى صحة ما دل عليه.

وإليك هذه الأمثلة:

١- حديث: «من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمه جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله».

مع ضعف هذا الحديث فلا شك أن الإعانة على قتل المسلم بغير حق من الكبائر. وقد تصل الإعانة على قتل المسلم في بعض الأحوال إلى الكفر. فقد ذكر أهل العلم أن من نواقض الإسلام: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين.

وهذه المسألة ليست من المعاصي العادية أو الصغائر بل إنها مسألة متعلقة بأصل العقيدة والتوحيد وموالاة المسلم لدين الله وبراءته من أعداء الله هكذا نص الأئمة في كتبهم على هذا.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم بأي نوع من المساعدة فهو كافر مثلهم، كما قال الله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]»[١].

٢- حديث «النظرة سهم من سهام إبليس من تركها خوفًا من الله آتاه الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه»، حديث ضعيف. وليس معنى ذلك أن المؤمن غير مأمور بغض بصره؛ بل قد قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَ ٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور]، وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «يَا عَلِيُّ لَا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ» [رواه أبو داود، وحسنه الألباني].

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (١/ ٢٧٤).

وعَـنْ جَرِيـرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَـأَلْتُ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظْـرَةِ الْفَجْـأَةِ فَقَالَ: «**اصْرِفْ بَصَرَكَ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

٣- حديث «أَيُّمَا امرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوجُها رَاضٍ عَنهَا، دَخَلَتِ الجَنَّةَ».

وليس معنى ذلك أن طاعة المرأة لزوجها ليست سببًا لدخول الجنة؛ فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قال: «**إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَـهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَـا، وَأَطَاعَـتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا ادْخُلِـي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِـئْتِ**» [رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني].

٤- «جهاد الكبير والصغير والضعيف و المرأة الحج والعمرة» [ضعيف].

وليس معنى ذلك أن الحج ليس من الجهاد؛ فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ، نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ، أَفَلاَ نُجَاهِدُ؟»

قَالَ: «لاَ، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ». [رواه البخاري].

٥-«الدعاء مخ العبادة».

وليس معنى ذلك أن الدعاء ليس من العبادة؛ فعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

٦- «اتقوا مواضع التهم»:

وليس معنى ذلك أن المسلم لا يتقي مواضع التهم، فعَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَـيْنٍ عَـنْ صَفِيَّـةَ بِنْتِ حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَـتْ: «كَانَ النَّبِـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُـهُ أَزُورُهُ لَيْلًا فَحَدَّثْتُـهُ ثُـمَّ قُمْـتُ لأَنْقَلِبَ فَقَامَ مَعِـيَ لِيَقْلِبَنِي وَكَانَ مَسْـكَنُهَا فِي دَارِ أُسَـامَةَ بْنِ زَيْـدٍ فَمَـرَّ رَجُلاَنِ مِـنَ الأَنْصَارِ فَلَمَّـا رَأَيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَسْـرَعَا فَقَـالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«**عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**». فَقَالاَ: «سُبْحَانَ اللهِ، يَا رَسُولَ الله». قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا**». أَوْ قَالَ: «**شَيْئًا**». [رواه البخاري ومسلم].

٧- «يا سعد أطب مطعمك، تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده، إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يُتقبل منه عمل أربعين يوما».

وليس معنى ذلك أن من أسباب عدم إجابة الدعاء التوسع في الحرام: أكلًا، وشربًا، ولبسًا، وتغذية؛ فعَنْ أبي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ طيِّبًا، وإنَّ الله تعالى أمرَ المُؤْمِنينَ بما أمرَ به المُرسَلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾** [المؤمنون:٥١]، **وقَالَ تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ قَالُواْ** [البقرة:١٧٢]، **ثمَّ ذكَرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفرَ: أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يمُدُّ يدَيهِ إلى السَّماءِ: يا رَب يا رب، وَمَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، وَمَلْبَسُهُ حرامٌ، وَغُذِّيَ بالحَرَامِ، فأنَّى يُستَجابُ لِذلكَ؟**». [رواهُ مُسلمٌ].

٨- «الغناء واللهو ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب».

وليس معنى ذلك جواز الموسيقى أو الغناء المصحوب بموسيقى؛ فإن من أوضح الأدلة على تحريمهما قولُ النبي ﷺ: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ، وَالمَعَازِفَ**» [رواه البخاري][1].

---

(١) الحِرَ: هُوَ الْفَرْجُ، وَالْمَعْنَى يسْتَحِلُّونَ الزِّنَا. يسْتَحِلُّونَ: قَالَ ابن الْعَرَبِيِّ: «يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ حَلاَلًا، وَيَحْتَمِل أَن يكون ذَلِك مَجَازًا عَلَى الِاسْتِرْسَالِ أَيْ يَسْتَرْسِلُونَ فِي شُرْبِهَا كَالِاسْتِرْسَالِ فِي الْحَلَالِ، وَقَدْ سَمِعْنَا وَرَأَيْنَا مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ؟». وَالْمَعَازِف: هِيَ آلَاتُ الْمَلَاهِي. [انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٥٥)].

التنبيه الرابع:

ليس معنى عدم صحة دلالة الحديث الضعيف أو الموضوع على شيء ما أن نفهم منه عدم دلالته على غيره، فمثلًا: حديث: «خمس تفطر الصائم وتنقض الوضوء: الكذب، والغيبة، والنميمة، والنظر بالشهوة، واليمين الفاجرة» لا يصح، وليس معنى أن هذه الأشياء لا تفطر الصائم أو تنقض الوضوء أنها ليست في ذاتها حرام، أو أنها لا تؤثر على ثواب الصائم.

التنبيه الخامس:

قد يحتوي الحديث الضعيف على جزء من حديث صحيح، وليس معنى ذلك أن ذلك الجزء غير صحيح، ومن الأمثلة على ذلك حديث: «أكرموا العلماء؛ فإنهم ورثة الأنبياء فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله». حديث لا يصح، ولكن صحَّ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَه أَخَذَ بِحَظٍّ وافر**» [رواه أبوداود، وصححه الألباني].

التنبيه السادس: أحيانًا تجد في الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة بعض الأدعية أو الأذكار المطلقة - غير المحددة بزمان أو بمكان أو بحال - كدعاء: «اللهم اجعلني صبورًا، اللهم اجعلني شكورًا، اللهم اجعلني في عيني صغيرًا وفي أعين الناس كبيرًا».

وكونها وردت في حديث لا يثبت ليس معناه عدم جواز الدعاء بها على الإطلاق؛ فالأذكار والأدعية على قسمين:

الأول: الأذكار الواردة في الكتاب والسنة مقيدة إما بزمان أو بمكان أو بحال، فهذا القسم يؤتَى به على الوجه الذي ورد في زمانه، أو حاله، أو مكانه،

أوفي لفظه، أوفي هيئة الداعي به من غير زيادة ولا نقصان.

القسم الثاني: كل ذكر أو دعاء مطلق غير مقيد بزمان أو مكان، فهذا له حالتان:

الأولى: أن يكون وَرَدَ عن النبي ﷺ فيُؤْتَى بلفظه ولا يُحَدَّد بزمان أو مكان يخص به، أو بعدد يلتزم به.

الثانية: أن يكون غير وارد عن النبي ﷺ بل أتى به الداعي من عند نفسه أو من المنقول عن السلف؛ فيجوز للعبد الذكر والدعاء به بخمسة شروط:

١- أن يتخير من الألفاظ أحسَنَها وأبْيَنَها؛ لأنه مقام مناجاة العبد لربه ومعبوده.

٢- أن تكون الألفاظ على وفق المعنى العربي.

٣- أن يكون الدعاء خاليًا من أي محذور شرعي، كالاستغاثة بغير الله، ونحو ذلك.

٤- أن يكون في باب الذكر والدعاء المطلق فلا يقيد بزمان أو حال أو مكان.

٥- أن لا يتخذ ذلك سنة يواظب عليها [١].

حرف الغَيْن

١٣٣٤- غسل القدمين بالماء البارد بعد الخروج من الحمام أمانٌ من الصداع.

١٣٣٥- «غُسْلُك للجمعة أم للجنابة»، رُوِيَ عن أنس بن مالك قال دخل عليَّ النبيُّ ﷺ في يوم الجمعة وأنا أفيض عليَّ شيئًا من الماء فقال لي: «يا أنس غُسْلُك للجمعة أم للجنابة؟»، فقلت: «يا رسول الله، بل للجنابة»، فقال النبي ﷺ: «يا أنس، عليك بالحبيك، والفنيك، والضاغطين، والمثنين، والميسين،

(١) انظر: «تصحيح الدعاء» للشيخ بكر أبي زيد (ص٤٢).

وأصول البراجم، وأصول الشعر، واثني عشر نقبا: منها سبعة في وجهك ورأسك، واثنتين منها في سفليك، وثلاث في صدرك وسرتك؛ فوالذي بعثني بالحق نبيًّا لو اغتسَلْتَ بأربعة أنهار الدنيا سيحان وجيحان والنيل والفرات ثم لم تُنَقّهِم لَلَقِيتَ الله يوم القيامة وأنت جنب»، قال أنس: فقلت: «يا رسول الله وما الحبيك وما الفنيك وما الضاغطين وما المثنين وما الميسين وما أصول البراجم»، فأوْمأ إليَّ رسولُ الله ﷺ بيده أن الحقني فلحقته فأخذ بيدي فأجلسني بين يديه وقال لي: «يا أنس أما الحبيك فلِحْيُك الفوقاني، وأما الفنيك ففكك السفلاني، وأما الضاغطين وهما المثنين فهما أصول أفخاذك، وأما الميسين فتفريش أذناك، وأما أصول البراجم فأصول أظافيرك؛ فوالذي بعثني بالحق نبيًّا لتأتي الشعرة كالبعير المربوق حتى تقف بين يدي الله فتقول: إلهي وسيدي خذ لي بحقي من هذا»، فعندها نهى رسول الله ﷺ أن يحلق الرجل رأسه وهو جنب أو يقلم ظفرًا أو ينتف جناحًا وهو جنب.

١٣٣٦- غشِيَتْكُم السكرتان: حب العيش وحب الجهل، فعند ذلك لا تأمرون بالمعروف، ولا تنهون عن المنكر، والقائمون بالكتاب والسنة كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار[١].

حرف الفــاء

١٣٣٧- فاتحة الكتاب شفاء من كل داء، فاقرؤوها وحين تختموها تقضي حاجتكم.

١٣٣٨- فاز باللذاتِ الجَسُورُ، ومات بالحسراتِ مَن لم يقرأ العواقب.

(١) عَنْ عُتْبَةَ بن غَزْوَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِنَّ يَوْمَئِذٍ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**»، قَالُوا: «يَا نَبِيَّ اللهِ، أَوْ مِنْهُمْ؟»، قَالَ: «**بَلْ مِنْكُمْ**».
(رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وصححه الألباني).

١٣٣٩- فاز باللذات كلّ مجازف، ومات بالحسرات مَن لم يقرأ العواقب.

١٣٤٠- فضلُ الجمعة في رمضان كفضل رمضان على الشهور.

١٣٤١- فضلُ الشاب العابد الذي تعَبّد في صباه [(١)] على الشيخ الذي تعبد بعدما كبرَتْ سِنّه كفَضْل المرسلين على سائر الناس.

١٣٤٢- فضلُ الماشي خلف الجنازة على الماشي أمامها كفضل المكتوبة على التطوع.

١٣٤٣- فضلُ حَمَلَةِ القرآن على الذي لم يحْمِلْه كفضل الخالق على المخلوق.

١٣٤٤- فضل شهر رجب على الشهور كفضل القرآن على سائر الكلام، وفضل شهر شعبان على الشهور كفضلي على سائر الأنبياء، وفضل شهر رمضان على الشهور كفضل الله على سائر عباده.

١٣٤٥- فُضِّلَت المرأة على الرجل بتسعة وتسعين جُزءًا من اللذة، ولكن الله أبقى عليها الحياء.

١٣٤٦- فُضِّلَتْ سورة الحج بأن فيها سجدتين، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما.

١٣٤٧- فُضِّلْتُ على آدم بخصلتين: كان شيطاني كافرًا فأعانني الله عليه حتى أسلم [(٢)]، وكُنَّ أزواجي عونًا لي، وكان شيطان آدم كافرًا، وكانت زوجتُه

---

(١) من السَبْعَةِ الذين يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: شَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ. [رواه البخاري ومسلم].

(٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ**». قَالُوا: «وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ»، قَالَ: «**وَإِيَّايَ إِلاَّ أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلاَ يَأْمُرُنِي إِلاَّ بِخَيْرٍ**». [رواه مسلم]. =

عونًا على خطيئته.

١٣٤٨- «فَقِـهَ الأعرابى»، رُوِيَ أنه جاء أعرابيٌّ إلى رسـول الله ﷺ فقال له: «يا رسول الله مَن يحاسب الخلق يوم القيامة؟»، فقال الرسول ﷺ: «الله»، فقال الأعرابي: «بنفسه؟»، فقال النبى ﷺ: «بنفسه»، فضحك الأعرابي وقال: «اللهـم لـك الحمد». فقـال النبي ﷺ: «لِمَ الابتسـامُ يا أعرابـي؟»، فقال: «يا رسـول الله، إن الكريم إذا قدر عفَا، وإذا حاسـب سامح»، قال النبيُّ ﷺ: «فَقِهَ الأعرابي».

١٣٤٩- فَقِيهٌ وَاحدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيطَانِ مِنْ أَلفِ عَابدٍ.

١٣٥٠- فِكْرَةُ ساعةٍ خير من عبادة ستين سنة.

١٣٥١- في آخر الزمان ينتقل برد الروم إلى الشام وبرد الشام إلى مصر.

١٣٥٢- في الحركات البركات.

١٣٥٣- في السـماء مَلَـكان: أحدهمـا يأمـر بالشـدة والآخر يأمـر باللِّين، وكلاهما مُصيب: أحدهما جبريل والآخر ميكائيل، ونبيان: أحدهما يأمر باللين والآخر بالشدة وكل مُصيب إبراهيم ونوح: إبراهيم باللين، ونوح بالشدة، ولي صاحبان: أحدهما يأمر باللين والآخر بالشدة: أبو بكر وعمر.

١٣٥٤- في رجب ليلةٌ يكتب للعامل فيها حسنات مائة سنة، وذلك لثلاث بقين من رجب، فمن صلى فيها اثنتي عشر ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب

= قال الإمام النووي في شـرحه لهذا الحديث من صحيح مسـلم: «(فَأَسْـلَم) بِرَفْعِ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا، وَهُمَا رِوَايَتَانِ مَشْـهُورَتَانِ فَمَنْ رَفَعَ قَالَ: مَعْنَاهُ: أَسْـلَمُ أَنَا مِنْ شَـرّه وَفِتْنَته، وَمَنْ فَتَحَ قَالَ: إِنَّ الْقَرِين أَسْـلَمَ، مِـنْ الْإِسْـلَام وَصَارَ مُؤْمِنًا لَا يَأْمُرنِي إِلَّا بِخَيْرٍ، وَاخْتَلَفُوا فِـي الْأَرْجَح مِنْهُمَا فَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الصَّحِيح الْمُخْتَار الرَّفْع، وَرَجَّحَ الْقَاضِي عِيَاض، الْفَتْح وَهُوَ الْمُخْتَار، لِقَوْلِهِ: «فَلَا يَأْمُرنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»، وَاخْتَلَفُوا عَلَى رِوَايَة الْفَتْح، قِيلَ: أَسْلَمَ بِمَعْنَى اِسْتَسْلَمَ وَانْقَادَ، وَقَدْ جَاءَ هَكَذَا فِي غَيْر صَحِيح مُسْلِم (فَاسْتَسْلَمَ)، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ صَارَ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا، وَهَذَا هُوَ الظَّاهِر، قَالَ الْقَاضِي: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّة مُجْتَمِعَة عَلَى عِصْمَة النَّبِيّ ﷺ مِنْ الشَّيْطَان فِي جِسْمه وَخَاطِره وَلِسَانه».

وسـورة من القرآن يتشهد في كل ركعتين ويسـلم في آخرهن، ثم يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة، ويستغفر الله مائة، ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة، ويدعو لنفسه ما شاء من أمر دنياه وآخرته، ويصبح صائمًا، فإن الله يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو في معصية.

١٣٥٥- في ليلة النصف من شـعبان يوحِي الله إلى ملَك الموت يقبض كل نفس يريد قبضها في تلك السنة.

١٣٥٦- في مسجد الخيف قبر سبعين نبيًّا [١].

١٣٥٧- في ليلة من الليالي سـقطت من يد عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إبرة فالتمسَتْها فلم تجِدْهـا فضحـك النبي ﷺ، وخرجت لمعة أسـنانه فأضـاءت الحجرة فرأت عائشةُ الإبرة.

حرف القـــاف

١٣٥٨- «قاتـل بهذا، يا عكاشـة»، رُوِيَ أن عكاشـة بـن محصن قاتل يوم بدر بسـيفه حتى انقطع في يده فأتى رسـول الله ﷺ فأعطاه جذلا - وهو أصل الشـجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع - من حطب، فقال: «قاتل بهذا يا عكاشـة». فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزه، فعاد سيفًا في يده طويل القامة، شديد المتن أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى العون، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ص حتى قتل في الردة وهو عنده.

١٣٥٩- قارئ (اقتربت) تدعى في التوراة المبيضة تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه.

---

(١) في الرد على شبهات من أجاز بناء المساجد على القبور انظر: كتاب (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد)، للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣٦٠- قارئ (الحديد) و(إذا وقعت) و(الرحمن) يدعى في ملكوت السموات والأرض ساكن الفردوس.

١٣٦١- قارئ (ألهاكم التكاثر) يدعى في الملكوت مؤدي الشكر.

١٣٦٢- قارئ سورة (الكهف) تدعى في التوراة الحائلة تحول بين قارئها وبين النار.

١٣٦٣- قال إبليس لربه عز وجل: «يا رب! قد أهبط آدم، وقد علمت أنه سيكون له كتاب ورسل، فما كتابهم ورسلهم؟»، قال الله عز وجل: «رسلهم الملائكة، والنبيون منهم، وكتبهم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان»، قال: «فما كتابي؟»، قال: «كتابك الوشم، وقرآنك الشعر، ورُسُلك الكَهَنة، وطعامك ما لم يُذكَر اسم الله عز وجل عليه، وشرابُك من كل مسكر، وصِدْقُك الكذب، وبيتُك الحمّام، ومصائدك النساء، ومؤذنك المزمار، ومسجدك الأسواق» [(١)].

١٣٦٤- قال الله تبارك وتعالى: «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطِل على خلقي، ولم يبِتْ مُصِرًّا على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل، والأرملة، ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس، أكلؤه بعزتي، وأستحفظه ملائكتي، وأجعل له في الظلمة نورًا، وفي الجهالة حلمًا، ومَثَلُه في خلقي كمَثَل الفردوس في الجنة».

١٣٦٥- قال الله تعالى: «ابن آدم خلقتك بيدي وربيتك بنعمتي وأنت تخالفني وتعصاني، فإذا رجعت إلي تُبْتُ عليك، فمِن أين تجد إلها مثلي وأنا الغفور الرحيم، عبدي أخرجتُك من العدم إلى الوجود، وجعلتُ لك السمع

---

(١) قال الألباني في السلسلة الضعيفة، (رقم ١٥٦٤): «وقد ثبت من الحديث قوله ﷺ: «وَطَعَامُكَ مَا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ». وقد ذكره في السلسلة الصحيحة (رقم ٧٠٨) ولفظه: «**قَالَ إِبْلِيسُ: يَا رَبِّ كُلُّ خَلْقِكَ بَيَّنْتَ رِزْقَهُ فَفِيمَا رِزْقِي؟**»، **قَالَ: «فِيمَا لَمْ يُذْكَرِ اسْمِي عَلَيْهِ»**.

والبصر والعقل، عبدي أسترك ولا تخشاني، أذكرك وأنت تنساني، أستحي منك وأنت لا تستحي مني، مَن أعظم مني جُودًا؟ ومَن ذا الذي يقرع بابي فلم أفتح له؟ من ذا الذي يسألني ولم أعطه؟ أبخيل أنا فيبخل علَيَّ عبدي؟».

١٣٦٦- قال الله تعالى: «ابن آدم! عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك. ابن آدم! لا من قليل تقنع، ولا من كثير تشبع».

١٣٦٧- قال الله تعالى: «ابن آدم اذكرني بعد الفجر وبعد العصر ساعة، أكفك ما بينهما»[1].

١٣٦٨- قال الله تعالى: «أحَبُّ عبادي إلى أعْجَلُهم فطرًا»[2].

١٣٦٩- قال الله تعالى: «أحَبُّ ما تعَبَّدَني به عبدي إلَيَّ النصحُ لي»[3].

١٣٧٠- قال الله تعالى: «إذا بلغ عبدي أربعين سنة عافَيْتُه من البلايا الثلاث: من الجنون والبرص والجذام، وإذا بلغ خمسين سنة حاسَبْتُه حسابًا يسيرًا، وإذا بلغ ستين سنة حبَّبْتُ إليه الإنابة، وإذا بلغ سبعين سنة أحَبَّتْهُ الملائكة، وإذا بلغ ثمانين سنة كُتِبَتْ حسناتُه وألقِيَتْ سيئاتُه، وإذا بلغ تسعين سنة قالت الملائكة: أسيرُ اللهِ في أرضه فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ويشفع في أهله».

١٣٧١- قال الله تعالى: «إذا وجهتُ إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو

---

(١) عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا - قَالَ - فَأَدْرَكْتُهُ فَقَالَ: «**قُلْ**»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «**قُلْ**»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا. قَالَ: «**قُلْ**»، قُلْتُ: «مَا أَقُولُ؟»، قَالَ: «**قُلْ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**». [رواه الترمذي، وحسّنه الألباني].

(٢) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**» [رواه البخاري ومسلم]. وقَالَ ﷺ: «**لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا أَخَّرُوا السَّحُورَ، وَعَجَّلُوا الْفِطْرَ**» (رواه الإمام أحمد في المسند، وحسنه الأرنؤوط).

(٣) عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: «لِمَنْ؟»، قَالَ: «**لِلهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» [رواه مسلم]، وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» [رواه البخاري ومسلم].

في ولـده أو في ماله فاستقبلها بصبر جميل استحييت يـوم القيامة أن أنصب له ميزانًا أو أنشر له ديوانًا».

١٣٧٢ - قال الله تعالى: «اسع لي يا عبدي، وأنا أسعى لك».

١٣٧٣ - قال الله تعالى: «إني أنا الله لا إله إلا أنا فمن أقر لي بالتوحيد دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي».

١٣٧٤ - قـال الله تعالـى: «إني والجـن والإنـس في نبأ عظيم أخلـق ويُعبد غيري وأرزق ويُشكر غيري، خيري إلى العباد نازل، وشرّهم إليّ صاعد، أتودد إليهم بالنعـم وأنا الغني عنهم! ويتبغّضون إليّ بالمعاصي وهم أفقر ما يكونون إليّ، أهل ذكري أهل مجالسـتي، من أراد أن يُجالسـني فليذْكُرْني. أهل طاعتي أهـل محبتي. أهل معصيتـي لا أُقَنِّطُهم من رحمتي، إن تابوا إلـيّ فأنا حبيبُهم، وإن أبَوْا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهّرهم من المعايب، من أتاني منهم تائبًـا تلقّيته من بعيد، ومن أعرض عنـي ناديته من قريب، أقول له: أين تذهب؟ أَلَكَ ربٌّ سواي!».

١٣٧٥ - قـال الله تعالى: «عبدي أنا أريد، وأنت تريد، وتتعب نفسـك فيما تريد، ولا يكون إلا ما أريد، فكن لي كما أريد أكُنْ لك كما تريد» [١].

---

(١) كيف يكون الله تابعًا لإرادة العبد عند تحقق شروط معينة. إن هذا فيه من سوء الأدب ما فيه، ومعلوم أن الله لا يقع في ملكوته شيء إلا بإرادته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالشرط (كن لي كما أريد) متحقق في العبد على كل حال سواء أطاع العبد أم عصى، وحاشا لله عند تحقق هذا الشرط أن يتحقق جوابه بأن يكون تابعًا لإرادة العبيد طائعين أو عاصين، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.
والإنسان المؤمن، ولو كان قريبًا من الكمال، فإنه يبقى مخلوقًا يعتريه النقص، وقد يريد أمورًا لا تليق بجـلال الله تعالى! فهناك من تعظم حماقته وتجرؤه، فيسـأل الله تعالى أن يفوض إليه من أمور العالم ما هو مختص بالإرادة الربانية، من الإيجاد والإعدام والقضاء النافذ المحتم، وقد دلَّ القاطع العقلي على استحالة ثبوت ذلك لغير الله، فيكون طلب ذلك طلبًا للشركة مع الله تعالى في الملك وهو كفر.
وقـد ذكـر العلماء أن ذلك قد وقع لجماعة من الجهال فسـألوا أن يُعطَوا كلمة ﴿كُن﴾ عَبَدنَا التي في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحـل: ٤٠]، وهـذا - والعيـاذ بـالله - =

١٣٧٦- قـال الله تعالى: «كنت كنزًا لا أعـرف فأحببت أن أعْرَف فخلقت الخلق وعرَّفْتُهم بي فعرفوني.

١٣٧٧- قـال الله تعالى لعيسـى: «يا عيسـى، إني باعثٌ من بعـدك أمة، إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشـكروا، وإن أصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلـم ولا علـم»، قال: «يـا رب كيف يكون هذا لهـم ولا حلم ولا علم؟». قال: «أعطيهم من حلمي وعلمي».

١٣٧٨- قـال الله تعالى: «مـن أحدث ولم يتوضأ فقـد جفاني، ومن توضأ ولـم يصل فقد جفاني، ومن صلى ولم يَدْعُني فقد جفاني، ومن دعاني فلم أجبه فقد جفيته، ولست برب جاف».

١٣٧٩- قـال الله تعالـى: «مـن لم يـرض بقضائـي وقـدري فليلتمس ربا غيري».

١٣٨٠- قـال الله تعالـى: «مـن لم يـرض بقضائي، ولم يصـبر على بلائي فليلتمس ربا سواي».

١٣٨١- قال الله تعالى: «يا ابن آدم! إنك ما ذكَرْتَني شكَرْتَني، وإذا نَسِيتَني كفَرْتَني».

١٣٨٢- قال الله تعالى: «يا ابن آدم! ثلاثة: واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك: فأما التي لي فتعبدني لا تشـرك بي شـيئا، وأما التي لك فما عملت من عمل جزيتك به، فإن أغفر فأنا الغفور الرحيم، وأما التي بيني وبينك فعليك الدعاء والمسألة، وعلَيَّ الاستجابة والعطاء».

= هلاك من حيث لا يشعرون، وهم مع ذلك يعتقدون أنهم إلى الله تعالى متقربون وهم عنه متباعدون، عصمنا الله تعالى من الفتن وأسبابها والجهالات وشبهها.

وتبقى المشـكلة الكبرى في نِسـبَة هـذا الحديث المكذوب لله أو لرسـوله ﷺ، والزّعـم أنّه حديثُ قدسيّ، والأمر خلاف ذلك!.

١٣٨٣- قال الله تعالى: «يا دنيا من خدمنا فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه»[١].

١٣٨٤- قال الله لداود: «يا داود ابْن لي في الأرض بيتا»، فبنى داود بيتا لنفسه قبل البيت الذي أمر به، فأوحى الله إليه: «يا داود بنيت بيتك قبل بيتي؟». قال: «أي رب هكذا قلت فيما قضيت: مَن مَلَكَ استأثر».، ثم أخذ في بناء المسجد، فلما تم سور الحائط سقط، فشكا ذلك إلى الله، فأوحى الله إليه أنه لا يصح أن تبني لي بيتا! قال: «أي رب، ولم؟». قال: «لما جرى على يديك من الدماء»، قال: «أي رب أو لم يكن ذلك في هواك؟»، قال: «بلى ولكنهم عبادي وإمائي وأنا أرحمهم»، فشق ذلك عليه فأوحى الله إليه: «لا تحزن؛ فإني سأقضي بناءه على يد ابنك سليمان».

١٣٨٥- قال داود: «إدخالُك يدَك في فم التِنِّين إلى أن تبلغ المرفق فيقْضِمها خير لك من أن تسأل من لم يكن له شيء ثم كان».

١٣٨٦- قال داود: «أسألك بحق آبائي إبراهيم و إسحاق و يعقوب»، فقال: «أما إبراهيم فألقي في النار فصبر من أجلي، وتلك بَلِيَّةٌ لم تنَلْك، وأما إسحاق فبذل نفسه ليُذْبح فصبر من أجلي[٢]، وتلك بَلِيَّةٌ لم تنَلْك، وأما يعقوب

---

(١) وهل يجوز هذا القول (من خدمنا)؟ وهل الله ﷻ يُخدم أم يُعْبد؟ والأخطر في القضية هو التهاون في نسبة الكلام لله.

(٢) قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات]. فقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ هذا إسماعيل عليه السلام بلا شك، فإنه ذكر بعده البشارة بإسحاق، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات]. =

فغاب عنه يوسف وتلك بَلِيَّةٌ لم تنَلْك».

١٣٨٧- قال داود: «يا زارع السيئات، أنت تحصد شوكها وحسكها» [(١)].

١٣٨٨- قَالَ دَاوُدُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِلَهِي أَيْنَ أَجِدُكَ إِذَا طَلَبْتُكَ؟»، قَالَ: «عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ مَخَافَتِي».

١٣٨٩- قال ربكم: «أنا أهلٌ أنْ أُتَّقَى فلا يُجعَل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهًا فأنا أهلٌ أن أغفر له».

١٣٩٠- قَالَ رَبكُم: «أَنَا أَهلٌ أَنْ أُتَّقَى، فَلاَ يُشْرِكَ بِي غَيرِي، وَأَنَا أَهلٌ لِمنْ اتَّقَى أَنْ يُشرِكَ بِي غَيرِي أَنْ أَغْفِرَ لَهُ» [(٢)].

١٣٩١- قال ربكم: «لو أن عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، ولأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولما أسمعتهم صوت الرعد».

١٣٩٢- قال سبحانه وتعالى: «يا ابن آدم جعلتك في بطن أمك، وغشيت وجهك بغشاء لئلا تنفر من الرحم، وجعلت وجهك إلى ظهر أمك لئلا تؤذيك رائحة الطعام، وجعلت لك متكأ عن يمينك ومتكأ عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فالكبد، وأما الذي عن شمالك فالطحال، وعلمتك القيام والقعود في

= ولأن الله ﷻ قال في بشراه بإسحاق: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود].
فكيف يأمره الله بذَبْحه وقد أخبره بأنه سيكون له منه يعقوب فدل على أن إسحاق غير الذبيح.

(١) الحَسَك: جمع حَسَكَة: نبات عُشبي برّيّ شائك، له ثمرة خشنة تتعلّق بأصواف الغنم وأوبار الإبل ونحوها، ومنه حَسَك السَّعدان.

(٢) عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ، قَالَ: فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».
قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»، قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟»، قَالَ: «**لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**» [رواه البخاري ومسلم].

بطـن أمك، فهـل يقدر على ذلك غيـري؟ فلما أن تمت مُدَّتُـك، وأوحيتُ إلى الملَـك بالأرحـام أن يخرجك، فأخرجك على ريشـة من جناحه، لا لك سـن تقطع، ولا يد تبطش، ولا قدم تسعى، فأنبعث لك عرقين رقيقين في صدر أمك يجريان لبنًا خالصًا، حارًا في الشتاء، وباردًا في الصيف، وألقيت محبتك في قلب أبويك، فلا يشبعان حتى تشبع، ولا يرقدان حتى ترقد، فلما قويَ ظهرك واشتد أزرك، بارَزْتَني بالمعاصي في خلواتك، ولم تسـتحي مني، ومع هذا إن دعوتني أجَبْتُك، وإن سألتني أعطَيْتُك، وإن تُبْتَ إليَّ قبِلْتُك».

١٣٩٣- قال لي جبريل: «ليَبْك الإسلامُ على موت عمر».

١٣٩٤- قال موسى بن عمران: «يا رب من أعز عبادك عندك؟»، قال: «من إذا قدر غفر».

١٣٩٥- قَالَ مُوسَـى - عَلَيْهِ السَّـلَامُ: «يَا رَبِّ أَيْنَ أَبْغِيـكَ؟»، قَالَ: «ابْغِنِي عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ».

١٣٩٦- قَالَ مُوسَـى - عَلَيْهِ السَّـلَامُ: «يَا رَبِّ أَيْنَ أَبْغِيـكَ؟»، قَالَ: «ابْغِنِي عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ؛ فَإِنِّي أَدْنُو مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمًا بَاعًا؛ لَوْلَا ذَلِكَ لَتَهَدَّمُوا».

١٣٩٧-قـال موسـى لربه عز وجل: «ما جـزاء من عـزّى الثكلى؟»، قال: «أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي».

١٣٩٨- قـال موسـى: «يا رب، كيف شـكرك آدم؟»، قـال: «علم أن ذلك مني، فكان ذلك شكره».

١٣٩٩- قـال يحيـى بن زكريا لعيسَـى بـن مريم: «أنـت روحُ الله وكلمته، وأنـت خير مني»، فقال عيسـى: «بل أنت خير مني؛ سـلم الله تعالى عليك [١]، وسلّمْتُ علي نفسي» [٢].

---

(١) قال تعالى في يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥].

(٢) قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣].

١٤٠٠- قالت أم سليمان بن داود لسليمان: «يا بني! لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك الإنسان فقيرًا يوم القيامة».

١٤٠١- قَامَ إِبْرَاهِيم خَلِيل اللهِ عَلَى الْحِجْر، فَنَادَى: «يَا أَيّهَا النَّاس كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْحَجّ»، فَأَسْمَعَ مَنْ فِي أَصْلَاب الرِّجَال وَأَرْحَام النِّسَاء، فَأَجَابَهُ مَنْ آمَنَ مَنْ سَبَقَ فِي عِلْم الله أَنْ يَحُجّ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ!».

١٤٠٢- قبضاتُ التمر للمساكين مهور الحور العين.

١٤٠٣- قد أتى آدم - عليه السلام - هذا البيت ألف أتية من الهند على رجليه لم يركب فيهن، من ذلك ثلاث مئة حجة وسبع مئة عمرة، وأول حجة حجها آدم؛ وهو واقف بعرفات أتاه جبريل؛ فقال: «السلام عليك يا آدم، بَرَّ الله نسكك، أمَا إنا قد طُفنا هذا البيت قبل أن تُخْلَقَ بخمسة آلاف سنة».

١٤٠٤- قدمتم خير مقدم، قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: مجاهدة العبد هواه [١].

١٤٠٥- قراءة الرجل القرآن في غير المصحف ألف درجة، وقراءته في المصحف تضاعف على ذلك إلى ألفي درجة.

١٤٠٦- قراءة القرآن في الصلاة أفضل من قراءة القرآن في غير الصلاة، وقراءة القرآن في غير الصلاة أفضل من التسبيح والتكبير، والتسبيح أفضل من الصدقة، والصدقة أفضل من الصوم، والصوم جنة من النار.

١٤٠٧- قراءتك نظرًا تضاعف على قراءتك ظاهرًا كفضل المكتوبة على النافلة.

---

(١) قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٥/ ٤٨١): «والحديث قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوي ١١/ ١٩٧): «لا أصل له، ولم يرْوِه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله، وجهاد الكفار من أعظم الأعمال، بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان...». ثم ذكر بعض الآيات والأحاديث الدالة على أنه من أفضل الأعمال، فكأنه رَحِمَهُ اللهُ يشير بذلك إلى استنكار تسميته بالجهاد الأصغر.

١٤٠٨- قسم من الله تعالى لا يدخل الجنة بخيل.

١٤٠٩- قص الظفر ونتف الإبط وحلق العانة يوم الخميس، والغسل والطيب واللباس يوم الجمعة.

١٤١٠- قل إذا أصبحت: «بسم الله على نفسي وأهلي ومالي» فإنه لا يذهب لك شيء.

١٤١١- قل: «اللهم غارت النجوم...» رُوِيَ عن خالد بن معدان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت عبد الملك بن مروان يحدث عن أبيه عن زيد بن ثابت قال: أصابني أرق من الليل، فشكوت ذلك إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: «قل: اللهم غارت النجوم، وهدأت العيون، وأنت حي قيوم، يا حي يا قيوم!أنم عيني، وأهدىء ليلي»، فقلتها فذهب عني.

١٤١٢- قل كلما أصبحت وإذا أمسيت: «بسم الله على ديني ونفسي وولدي وأهلي ومالي».

١٤١٣- ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ نسبة الله عز وجل.

١٤١٤- قَلْبُ الْقُرْآنِ يس.

١٤١٥- قلبٌ ليس فيه شيء من الحكمة كبيت خرب، فتعلموا وعلموا وتفقهوا ولا تموتوا جهالا فإن الله لا يعذر على الجهل.

١٤١٦- قلْتُ لجبريل حين أسري بي إلى السماء: «يا جبريل أعلى أمتي حساب؟»، قال: «كل أمتك عليها حساب ما خلا أبا بكر الصديق، فإذا كان يوم القيامة قيل له: «يا أبا بكر ادخل الجنة»، قال: «ما أدخُل حتى أدْخِلَ معي من كان يحبني في الدنيا».

١٤١٧- قلوب ابن آدم تلين في الشتاء، وذلك لأن الله تعالى خلق آدم من طين والطين يلين في الشتاء.

١٤١٨- قليل التوفيق خير من كثير العقل، والعقل في أمر الدنيا مضرة، والعقل في أمر الدين مَسَرَّة.

١٤١٩- قليل العمل ينفع مع العلم، وكثير العمل لا ينفع مع الجهل.

١٤٢٠- قليل الفقه خير من كثير العبادة، وكفى بالمرء فقها إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلا إذا أعجب برأيه، وإنما الناس رجلان: مؤمن وجاهل؛ فلا تؤذ المؤمن، ولا تحاور الجاهل.

١٤٢١- قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه.

١٤٢٢- قولي حين تصبحين: «سبحان الله وبحمده، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما»، فإنه من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسي، ومن قالهن حين يمسي حفظ حتى يصبح.

١٤٢٣- قولي عند أذان المغرب: «اللهم هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك، وحضور صلواتك، أسألك أن تغفر لي».

١٤٢٤- «قوموا كلكم فتوضئوا»، رُوِيَ أن النبي ﷺ وجَد مِن رجُلٍ ريحًا، فقال: «ليَقُم صاحب الريح فليتوضأ، فإن الله لا يستحيي من الحق»، فقال العباس: «يا رسول الله، أفلا نقوم كلنا فنتوضأ؟»، فقال: «قومُوا كلكم فتوضأوا»[1].

---

(١) ويشبه هذا الحديث ما يتداوله كثير من العامة، وبعض أشباههم من الخاصة، زعموا أن النبي ﷺ كان يخطب ذات يوم، فخرج من أحدهم ريح، فاستحيا أن يقوم من بين الناس، وكان قد أكل لحم جزور، فقال رسول الله ﷺ سترا عليه: «من أكل لحم جزور فليتوضأ»، فقام جماعة كانوا أكلوا من لحمه فتوضؤوا!

وهذه القصة مع أنه لا أصل لها في شيء من كتب السنة ولا في غيرها من كتب الفقه والتفسير، فإن أثرها سيىء جدًا في الذين يروونها، فإنها تصرفهم عن العمل بأمر النبي ﷺ لكل مَن أكل من لحم الإبل أن يتوضأ، كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: =

١٤٢٥- قوموا لا ترقُدوا في المسجد.

١٤٢٦- قيام الليل فريضة على حامل القرآن ولو ركعتين.

حرف الكــاف

١٤٢٧- كاتمُ العلم يلعنه كل شيء حتى الحوت في البحر والطير في السماء.

١٤٢٨- كاد الحكيم أن يكون نبيًّا.

١٤٢٩- كاد الفقر أن يكون كفرًا، وكاد الحسد أن يكون سبق القدر.

١٤٣٠- كادت النميمة أن تكون سحرًا، وكاد الفقر أن يكون كفرًا.

١٤٣١- كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنِ امْرَأَتِهِ ارْتَعَدَتْ، وَبَكَتْ فَقَالَ لَهَا: «مَا يُبْكِيكِ أَكْرَهْتُكِ»، قَالَتْ: «لَا، وَلَكِنْ هَذَا عَمَلٌ لَمْ أَعْمَلْهُ قَطُّ، وَإِنَّمَا حَمَلَتْنِي عَلَيْهِ الْحَاجَةُ»، قَالَ: «فَتَفْعَلِينَ هَذَا، وَلَمْ تَفْعَلِيهِ قَطُّ؟» ثُمَّ نَزَلَ، فَقَالَ: «اذْهَبِي بِالدَّنَانِيرِ لَكِ»، ثُمَّ قَالَ: «وَاللهِ لَا يَعْصِي اللهَ الْكِفْلُ أَبَدًا». فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ: قَدْ غَفَرَ اللهُ لِلْكِفْلِ.

= «أَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ؟»، قَالَ: «نَعَمْ، فَتَوَضَّأْ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ».

فهم يدفعون هذا الأمر الصحيح الصريح بأنه إنما كان سترًا على ذلك الرجل، لا تشريعًا!

وليت شعري كيف يعقل هؤلاء مثل هذه القصة ويؤمنون بها، مع بعدها عن العقل السليم، والشرع القويم؟! فإنهم لو تفكروا فيها قليلا، لتبين لهم ما قلناه بوضوح، فإنه مما لا يليق به ﷺ أن يأمر بأمرٍ لعلة زمنية، ثم لا يبين للناس تلك العلة، حتى يصير الأمر شريعة أبدية، كما وقع في هذا الأمر، فقد عمل به جماهير من أئمة الحديث والفقه، فلو أنه ﷺ كان أمر به لتلك العلة المزعومة لبينها أتم البيان، حتى لا يضل هؤلاء الجماهير باتباعهم للأمر المطلق! ولكن قبح الله الوضاعين في كل عصر وكل مَصر، فإنهم من أعظم الأسباب التي أبعدت كثيرا من المسلمين عن العمل بسنة نبيهم ﷺ، ورضي الله عن الجماهير العاملين بهذا الأمر الكريم، ووفق الآخرين للاقتداء بهم في ذلك وفي اتباع كل سنة صحيحة. (انظر: السلسلة الضعيفة، للألباني، رقم ١١٣٢).

١٤٣٢ – كان بـلال إذا أراد أن يقيم الصلاة قال: «السـلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، يرحمك الله».

١٤٣٣ – كان على موسـى يومَ كلمه ربه كسـاء صـوف وجُبة صوف وكمة صوف وسراويل صوف وكانت نعلاه من جلد حمار ميت.

١٤٣٤ – «كَانَ رَجُلٌ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ» رُوِيَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَطُـوفُ بِالْبَيْـتِ وَهُوَ يَقُـولُ: فِي دُعَائِـهِ: «أَوَّهْ أَوَّهْ»، فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ لأَوَّاهٌ»، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: «فَخَرَجْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَقَابِرِ يَدْفِنُ ذَلِكَ الرَّجُلَ، وَمَعَهُ الْمِصْبَاحُ.

١٤٣٥ – كان فص خاتم سليمان بن داود سماويًا، فألقي إليه فأخذه فوضعه في خاتمه، وكان نقشه: أنا الله لا إله إلا أنا، محمد عبدي ورسولي.

١٤٣٦ – كَانَ فِيمَـنْ كَانَ قَبْلَكُـمْ رَجُلٌ مُسْـرِفٌ عَلَى نَفْسِـهِ»، رُوِيَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ مُسْرِفٌ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ مُسْلِمًا، كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامَهُ طَرَحَ ثَفَالَةَ طَعَامِهِ عَلَى مَزْبَلَةٍ، فَكَانَ يَأْوِي إِلَيْهَا عَابِدٌ، فَإِنْ وَجَدَ كِسْرَةً أَكَلَهَا، وَإِنْ وَجَدَ بَقْلَةً أَكَلَهَا، وَإِنْ وَجَدَ عَرْقًا تَعَرَّقَهُ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَبَـضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ الْمَلِكَ فَأَدْخَلَهُ النَّارَ بِذُنُوبِهِ، فَخَرَجَ الْعَابِدُ إِلَى الصَّحْرَاءِ مُقْتَصِرًا عَلَى مَائِهَا وَبَقْلِهَا، ثُمَّ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبَضَ ذَلِكَ الْعَابِدَ، فَقَـالَ: هَـلْ لِأَحَدٍ عِنْدَكَ مَعْـرُوفٌ تُكَافِئُهُ؟ قَـالَ: لَا يَا رَبِّ، قَالَ: فَمِـنْ أَيْنَ كَانَ مَعَاشُكَ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ، قَالَ: كُنْتُ آوِي إِلَى مَزْبَلَةِ مَلِكٍ، فَإِنْ وَجَدْتُ كِسْرَةً أَكَلْتُهَـا، وَإِنْ وَجَدْتُ بَقْلَةً أَكَلْتُهَا، وَإِنْ وَجَـدْتُ عَرْقًا تَعَرَّقْتُهُ، فَقَبَضْتَهُ، فَخَرَجْتُ إِلَـى الْبَرِيَّةِ مُقْتَصِرًا عَلَى بَقْلِهَا وَمَائِهَا، فَأَمَـرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ الْمَلِكِ، فَأُخْرِجَ مِـنَ النَّارِ جَمْرَةً يُنْفَضُ، فَأُعِيدَ كَمَا كَانَ، فَقَـالَ: «يَا رَبِّ هَذَا الَّذِي كُنْتُ آكُلُ مِنْ مَزْبَلَتِـهِ»، قَـالَ: وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: «خُذْ بِيَدِهِ فَأَدْخِلْـهُ الْجَنَّةَ مِنْ مَعْرُوفٍ كَانَ

مِنْهُ إِلَيْكَ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ، أَمَا لَوْ عَلِمَ بِهِ أَدْخَلْتُهُ النَّارَ»[١].

١٤٣٧- كان نقش خاتم سليمان: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

١٤٣٨- كانت خطيئة داود النظر.

١٤٣٩-كأنك بالدنيا ولم تكن، وبالآخرة ولم تزل.

١٤٤٠- «كأني أنظر إلى خضرة لحم زيد في أسنانكم»، رُوِيَ عن زيد ﵁ قال: بينما رسول الله ﷺ جالس مع أصحابه يحدثهم إذ قام فدخل، فقام زيد فجلس في مجلس النبي ﷺ، وجعل يحدثهم عن النبي ﷺ، إذ مر بلحم هدية إلى رسول الله ﷺ، فقال القوم لزيد - وكان أحدثهم سنًا -: «يا أبا سعيد! لو قمت إلى النبي ﷺ فأقرأته منا السلام وتقول له: يقول لك أصحابك: إن رأيت أن تبعث إلينا من هذا اللحم، فقال: «ارجع إليهم فقد أكلوا لحمًا بعدك!». فجاء زيد، فقال: قد بلغت رسول الله ﷺ فقال: «ارجع إليهم فقد أكلوا لحمًا بعدك»، فقال القوم: «ما أكلنا لحمًا، وإن هذا لأمر حدث، فانطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ نسأله ما هذا؟»، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: «يا رسول الله! أرسلنا إليك في اللحم الذي جاءك، فزعم زيد أنهم قد أكلوا لحمًا، فوالله! ما أكلنا لحمًا»، فقال رسول الله ﷺ : «كأني أنظر إلى خضرة لحم زيد في أسنانكم»، فقالوا: «أي رسول الله! فاستغفر لنا»، فاستغفر لهم.

١٤٤١- كبَّرَت الملائكة على آدم أربعًا.

---

(١) قال الألباني في (السلسلة الضعيفة، (٢ / ٢٩١، رقم ٨٨٧):
«إن من غير المعقول أن يثاب ذلك الرجل المجرم بعمل عمله لا يقصد به نفع الناس، ولو قصده لم ينفعه حتى يبتغي به وجه الله، كما هو معلوم، مع أن العمل نفسه قد يمكن إدخاله في باب الإسراف وتضييع المال، فتأمل. وإن مثل هذا الحديث ليفتح بابا كبيرًا على الناس من التواكل والتكاسل عن القيام بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى عنه، والاعتماد على الأعمال العادية التي لا يقصد بها التقرب إلى الله، متعللين بأنه عسى أن ينتفع بها بعض الناس فيغفر الله لنا!!».

١٤٤٢- كَبُرَتْ خِيَانَةً تُحَدِّثُ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ، وَأَنْتَ بِهِ كَاذِبٌ.

١٤٤٣- كُتب علَيَّ الأضحى ولم يكتب عليكم وأمِرْتُ بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها.

١٤٤٤- كثرة العيال أحد الفقرين.

١٤٤٥- كرم المرء دينه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه.

١٤٤٦- كفى بالدهر واعظًا، وبالموت مُفَرِّقًا.

١٤٤٧- كفى بالمرء إثمًا أن يشار إليه بالأصابع، إن كان خيرًا فهي مزلة إلا من رحم الله تعالى، وإن كان شرا فهو شر.

١٤٤٨- كفى بالمرء سعادة أن يوثق به في أمر دينه ودنياه.

١٤٤٩- كفى بالمرء علما أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بنفسه.

١٤٥٠- كفى بالمرء فقها إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلا إذا أعجب برأيه.

١٤٥١- كفى بالمرء من الشح أن يقول: آخذ حقي، ولا أترك منه شيئا.

١٤٥٢- كفى بالمرء من الشر أن يُشارَ إليه بالأصابع.

١٤٥٣- كفى بالمرء نصرًا أن ينظر إلى عدوه في معاصي الله.

١٤٥٤- كفى بالمرء نقصًا في دينه أن يكثر خطؤه، وينقص حلمه، وتقل حقيقته.

١٤٥٥- كفى بالموت مزهدا في الدنيا ومرغبا في الآخرة.

١٤٥٦- كفى بالموت واعظًا، وكفى باليقين غِنًى، وكفى بالعبادة شغلًا.

١٤٥٧- كفارة الذنب الندامة(١).

---

(١) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

١٤٥٨- كفارة من اغتبت أن تستغفر له.

١٤٥٩- «كَفِّي وكَفّ عليّ في العدل سواء»، رُوِيَ عن حبشي بن جنادة قال: كنت جالسا عند أبي بكر فقال: «من كانت له عند رسول الله ﷺ عِدَةٌ فلْيَقُم»، فقام رجل فقال: «يا خليفة رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ وعدني بثلاث حثيات من تمر»، فقال: «أرسِلُوا إلى عليّ»، فقال: «يا أبا الحسن إن هذا يزعم أن رسول الله ﷺ وعده أن يحثي له ثلاث حثيات من تمر فأَحْثِها له»، فحثَاها، فقال أبو بكر: «عدّوها»، فعَدّوها فوجدوها في كل حثية ستين تمرة لا يزيد واحدة على الأخرى، فقال أبو بكر الصديق: «صدق الله ورسوله، قال لي رسول الله ﷺ ليلة الهجرة ونحن خارجان من الغار نريد المدينة: «كَفّي وكَفّ عليّ في العدل سواء».

١٤٦٠- كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع.

١٤٦١-كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) أقطع.

١٤٦٢- كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علي فهو أقطع أبتر ممحوق من كل بركة.

١٤٦٣- كل بني آدم حسود، ولا يضر حاسدًا حسده ما لم يتكلم باللسان، أو يعمل باليد.

١٤٦٤- كل شيءٍ للرجل حل من المرأة في صيامه ما خلا ما بين رِجْليها.

١٤٦٥- كل شيء يتكلم به ابن آدم فإنه مكتوب عليه فإذا أخطأ الخطيئة ثم أحب أن يتوب إلى الله - عز وجل - فليأت بقعة مرتفعة فليمدد يديه إلى الله ثم يقول: «اللهم إني أتوب إليك منها لا أرجع إليها أبدا»، فإنه يغفر له ما لم يرجع في عمله ذلك.

١٤٦٦- كل شيء ينقص إلا الشر فإنه يزاد فيه.

١٤٦٧- كل طعام لا يذكر اسـم الله تعالى عليه فإنما هو داء ولا بركة فيه، وكفـارة ذلـك إن كانت المائدة موضوعة أن تسـمي وتعيد يـدك وإن كانت قد رفعت أن تسمي الله تعالى وتلعق أصابعك.

١٤٦٨- كلُّ كلامِ ابـنِ آدمَ عليهِ، لاَ لهُ، إلا أمرٌ بمعروفٍ، أوْ نهيٍ عنْ منكر، أوْ ذِكرُ اللهِ تعالى.

١٤٦٩- كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم.

١٤٧٠- كل مـؤْدِب يجـب أن تؤتـى مأدبتـه، ومأدبـة الله القـرآن؛ فـلا تهجروه.

١٤٧١- كل ناشف طاهر[1].

١٤٧٢- كل نعيم زائل إلا نعيم أهل الجنة، وكل هم منقطع إلا هم أهل النار.

١٤٧٣- كلام ابـن آدم كله عليه لا له إلا أمـرًا بمعروف، أو نهيًا عن منكر، أو ذكر الله عز وجل.

١٤٧٤- «كلكم أفضل منه»، رُوِيَ عن مسلم بن يسار أن رفقة من الأشعريين كانوا في سـفر، فلما قدموا قالوا: «يا رسول الله! ليس أحد بعد رسول الله أفضل من فلان، يصوم النهار، فإذا نزلنا قام يصلي حتى يرتحل»، قال: «من كان يمهن له أو يعمل له؟»، قالوا: «نحن»، قال: «كلكم أفضل منه؟».

١٤٧٥- «كُلُّكُمْ فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ، كُلُّكُمْ تَصَدَّقَ بِعُشْرِ مَالِهِ»، رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَـالَ: جَاءَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: «يَا رَسُـولَ اللهِ، كَانَتْ لِي مِائَةُ دِينَارٍ، فَتَصَدَّقْتُ مِنْهَا بِعَشَـرَةِ دَنَانِيرَ»، وَقَالَ الْآخَرُ: «يَا رَسُـولَ اللهِ، كَانَ لِـي عَشَـرَةُ دَنَانِيرَ، فَتَصَدَّقْتُ مِنْهَـا بِدِينَارٍ»، وَقَالَ الْآخَرُ: «يَا رَسُـولَ اللهِ كَانَ لِي

(١) ليس بحديث، وإنما هو كلام يجري على ألسـنة العوام، وليس بصحيح، نعم لو لاصق شـئٌ نجسٌ شيئًا طاهرًا وهما ناشفان لا ينجس به. [انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني (٢/ ١٢٨)].

دِينَارٌ، فَتَصَدَّقْتُ بِعُشْرِهِ». قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّكُمْ فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ، كُلُّكُمْ تَصَدَّقَ بِعُشْرِ مَالِهِ»(١).

١٤٧٦- كلمات مَن ذَكَرَهُنّ مائة مرة دبر كل صلاة: «الله أكبر، سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، لو كانت خطاياه مثل زبد البحر لمحتهن»(٢).

١٤٧٧- كُلُوا الباذنجان فإنه من شجرة رأيْتُها في جنة المأوى، فمن أكلها على أنها داء كانت داء، ومن أكلها على أنها دواء كانت دواء.

١٤٧٨- كلوا الباذنجان وأكثروا منه فإنه أول شجرة آمنت بالله.

١٤٧٩- كلوا البلح بالتمر، كلوا الخلق (٣) بالجديد؛ فإن الشيطان إذا رآه غضب، وقال: «عاش ابن آدم حتى أكل الخلق بالجديد».

١٤٨٠- كلوا التمر على الريق فإنه يقتل الدود.

١٤٨١- كلوا التين فلو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة بلا عجم (٤) لقلت هي التين وإنه يذهب بالبواسير وينفع من النقرس.

١٤٨٢- كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول: يا رب هذا أغلق بابه دوني فمنع معروفه».

١٤٨٣- كم من حوراء عيناء ما كان مهرها إلا قبضة من حنطة أو مثلها من تمر.

---

(١) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَبَقَ دِرْهَمٌ مِئَةَ أَلْفٍ**»، قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَسْبِقُ دِرْهَمٌ مِئَةَ أَلْفٍ؟»، قَالَ: **رَجُلٌ لَهُ دِرْهَمَانِ فَأَخَذَ أَحَدَهُمَا فَتَصَدَّقَ بِهِ، وَآخَرُ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَأَخَذَ مِنْ عُرْضِهَا مِائَةَ أَلْفٍ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وحسّنه الألباني].

(٢) راجع الأحاديث الصحيحة في أذكار ما بعد الصلاة.

(٣) الخلق: القديم.

(٤) (عَجَمُ) الزَّبِيبِ: حَبُّهُ، وَكَذَا عَجَمُ الْعِنَبِ وَالتَّمْرِ وَالرُّمَّانِ وَنَحْوِهِ، وَالْوَاحِدَةُ عَجَمَةٌ.

١٤٨٤- كـم مـن عاقل عقل عـن الله أمره، وهـو حقير عند النـاس، دميم المنظر ينجو غدا، وكم من ظريف اللسان، جميل المنظر، عظيم الشان، هالك غدا في القيامة.

١٤٨٥- كم من مستقبل يوما لا يستكمله، ومنتظر غدا لا يبلغه.

١٤٨٦- كما تدين تدان.

١٤٨٧- كما تكونوا يُوَلَّى عليكم.

١٤٨٨- كما لا ينفع مع الشرك شيء كذلك لا يضر مع الإيمان شيء.

١٤٨٩- «كُـنْ مُؤذنًا»، قَالَ: «مَا أقدرُ عَلَى ذَلِـكَ»، قَالَ: «فَكُنْ إِمَامًا» قَالَ: «لاَ أقدرُ عَلَى ذَلِكَ»، قَالَ: «فَقُمْ بِإِزاءِ الإمامِ».

١٤٩٠- كُنْـتُ بين شـر جارين بيـن أبي لهب وعقبة بن أبـي معيط إن كانا ليأتيـان بالفروث فيطرحانها على بابـي حتى إنهم ليأتون ببعض ما يطرحون من الأذى فيطرحونه على بابي، فيخرج به رسول الله ﷺ فيقول: «يا بني عبد منافٍ أي جوارٍ هذا؟»، ثم يلقيه بالطريق.

١٤٩١- كونوا في الدنيا أضيافًا، واتخذوا المساجد بيوتًا، وعَوِّدُوا قلوبكم الرقـة، وأكثروا التفكر والبكاء ولا تختلفَنَّ بكم الأهواء، تبنون ما لا تسـكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، وتأملون مالا تدركون.

١٤٩٢- كونوا للعلم رعاة، ولا تكونوا له رواة.

١٤٩٣- كيـف أنت يـا عويمر إذا قيل لك يوم القيامـة أعلمت أم جهلت؟ فـإن قلت: علمت قيل لك فمـاذا عملت فيما علمـت؟ وإن قلت: جهلت قيل لك: فما كان عذرك فيما جهلت ألا تعلمت؟

١٤٩٤-كيف تهلك أمة أنا أولها، وعيسى آخرها، والمهدي في وسطها[1].

---

(١) قال الألباني في (السلسلة الضعيفة، رقم ٢٣٤٩): «والحديث منكر عندي، لأن ظاهره أن بين المهدي =

حرف اللام

١٤٩٥- لاَ أُحبُّ أنْ يَبيتَ المُسلمُ جُنبًا، إني خَشيتُ أنْ يموتَ، فَلاَ تَحضُرُ المَلائِكةُ جَنازَتَهُ.

١٤٩٦- لا أدري نصف العلم.

١٤٩٧- «لا أشتري شيئًا ليس عندي ثمنه»، رُوِيَ عن ابن عباس قال: قدمت عير المدينة، فاشترى النبي ﷺ، فربح أواقي، فقسمها في أرامل عبد المطلب، وقال: «لا أشتري شيئا ليس عندي ثمنه».

١٤٩٨- لا اعتكاف إلا بصيام.

١٤٩٩- لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، و لكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله.

١٥٠٠- لا تتمارضوا فتمرضوا، ولاتحفروا قبوركم فتموتوا.

١٥٠١- لا تتوضؤوا في الكنيف الذي تبولون فيه، فإن وضوء المؤمن يوزن مع حسناته.

١٥٠٢- لا تجعلوا آخر طعامكم ماءً.

١٥٠٣- لا تحدثوا بالحكمة غيرَ أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلَها فتظلموها.

١٥٠٤- لا تدَعوا الركعتين اللتين قبل صلاة الفجر فإن فيهما الرغائب.

١٥٠٥- لا تدَعوا ركعتي الفجر ولو طردتكم الخيل (١).

= وعيسى سنين كثيرة مع أنه صح في غير ما حديث أنهما يلتقيان في دمشق، ويأتَمّ عيسى بالمهدي عليه السلام، فكيف يقال: إن المهدي في وسطها وعيسى في آخرها؟!».

(١) عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**» [رواه مسلم].

١٥٠٦- لا تَزَوَّجـوا [١] النسـاء لحُسـنهن فعسـى حسـنهن أن يرديهـن، ولا تَزَوَّجوهن[٢] لأموالهن فعسـى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة خرقاء سوداء ذات دين أفضل[٣].

١٥٠٧- لا تَسـبُّوا البَراغِيـثَ، فَنِعـمَ الدَّابةُ تُوقِظكُم لِذكـرِ اللهِ»، قَالَ عَلي: «فَبِتنا تِلكَ الليلَةَ مُتَهجدِينَ».

١٥٠٨- لا تشـغلوا قلوبكـم بسـب الملـوك، ولكن تقربوا إلـى الله تعالى بالدعاء لهم يعطف الله قلوبهم عليكم.

١٥٠٩- لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك.

١٥١٠- «لَا تَفَكَّرُوا [٤] فِي اللهِ وَتَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ [٥]، فَإِنَّ رَبَّنَا خَلَقَ مَلَكًا قَدَمَاهُ فِي الْأَرْضِ السَّـابِعَةِ السُّفْلَى وَرَأْسُهُ قَدْ جَاوَزَ السَّمَاءَ الْعُلْيَا، مَا بَيْنَ قَدَمَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ مَسِـيرَةُ سِـتِّمِائَةِ عَام وَمَا بَيْنَ كَعْبَيْهِ إِلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ مَسِيرَةُ سِتِّمِائَةِ عَـامٍ، وَالْخَالِقُ أَعْظَمُ مِنَ الْمَخْلُـوقِ»، رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَـلَّامٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ اللهِ فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «فِيمَ تَتَفَكَّرُونَ» قَالُوا: نَتَفَكَّرُ فِي اللهِ قَـالَ: «لَا تَفَكَّـرُوا فِي اللهِ وَتَفَكَّرُوا فِي خَلْـقِ اللهِ، فَإِنَّ رَبَّنَا خَلَقَ مَلَـكًا قَدَمَاهُ فِي الْأَرْضِ السَّـابِعَةِ السُّفْلَى وَرَأْسُهُ قَدْ جَاوَزَ السَّمَاءَ الْعُلْيَا مَا بَيْنَ قَدَمَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ

---

(١) أي لا تتزَوَّجوا.

(٢) أي لا تتزَوَّجوهن.

(٣) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**» [رواه البخاري ومسلم].

(٤) أي لا تتفكروا.

(٥) قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**تَفَكَّـرُوا فِـي خَلْقِ اللهِ وَلاَ تَفَكَّـرُوا فِي اللهِ**» [رواه أبو نعيم في الحلية، وحسـنه الألباني]. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الله – عز وجل –**» [رواه الطبراني وغيره، وحسنه الألباني].

مَسِيرَةُ سِتِّمِائَةِ عَامٍ وَمَا بَيْنَ كَعْبَيْهِ إِلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ مَسِيرَةُ سِتِّمِائَةِ عَامٍ وَالْخَالِقُ أَعْظَمُ مِنَ الْمَخْلُوقِ».

١٥١١- لا تُقتَل المرأة إذا ارتدت.

١٥١٢- لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم الله، ولكن قولوا شهر رمضان.

١٥١٣- لا تقولوا قوس قزح، فإن قزح شيطان، ولكن قولوا: قوس الله عز وجل، فهو أمان لأهل الأرض من الغرق.

١٥١٤- لا تُكْثِروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي.

١٥١٥- لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أَحْسَنَّا، وإن أساءوا أسأنا، ولكن وطِّنُوا أنفسكم إن أحسنوا أن تحسنوا وإن أساءوا أن لا تظلموا.

١٥١٦- «لاَ تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ»، رُوِيَ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْعُمْرَةِ فَأَذِنَ لِي وَقَالَ «لاَ تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ»، فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا.

١٥١٧- لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظمة من تعصي.

١٥١٨- لا حَلِيمَ إلا ذُو عَثْرَةٍ، وَلا حَكِيمَ إلا ذُو تَجرِبَةٍ.

١٥١٩- لا رهبانية في الإسلام[1].

---

(١) دَخَلَتِ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، وَاسْمُهَا خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ بَذَّةُ الْهَيْئَةِ، فَسَأَلَتْهَا عَائِشَةُ: «مَا شَأْنُكِ؟»، فَقَالَتْ: «زَوْجِي يَقُومُ اللَّيْلَ، وَيَصُومُ النَّهَارَ»، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَذَكَرَتْ عَائِشَةُ ذَلِكَ لَهُ فَلَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ، فَقَالَ: **«يَا عُثْمَانُ، إِنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْنَا، أَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلهِ، وَأَحْفَظُكُمْ لِحُدُودِهِ»**. [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وابن حبان، وصححه الألباني].

١٥٢٠- لا سلام على آكِل.

١٥٢١- لا سلام على طعام.

١٥٢٢- لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد[١].

١٥٢٣- لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق.

١٥٢٤- لا قطع في زمن مجاعة[٢].

١٥٢٥- لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة بصغيرة مع الإصرار[٣].

---

(١) الأحاديث الصحيحة قد دلت على صحة صلاة المنفرد، لكن مع الإثم إن لم يكن له عذر شرعي؛ لأن الصلاة في المسجد مع جماعة المسلمين واجبة؛ لأحاديث أخرى صحيحة منها أن النبيَّ ﷺ لم يأذن في آخر الأمر للأعمى الذي جاء يطلب الرخصة في ترك صلاة الجماعة، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِىَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِى قَائِدٌ يَقُودُنِى إِلَى الْمَسْجِدِ»، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّىَ فِى بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ؟**»، فَقَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: «فَأَجِبْ». [رواه مسلم].

(٢) أثر عمر رضي الله عنه في عدم قطع يد السارق في عام المجاعة لم يثبت عن عمر رضي الله عنه؛ فقد رواه ابن أبي شيبة في (المصنف) ١٠/ ٢٨ بإسنادٍ فيه مجهولان، كما قال الشيخ الألباني في (إرواء الغليل) برقم (٢٤٢٨).

فهذا لم يصح عن عمر رضي الله عنه، ولو صح فلا دخل له بما يقوله أعداء الشريعة من أن هذا تعطيل للحدود؛ لأن هذا ليس بإسقاط لحد؛ بل هو درءٌ لحد القطع بسبب الشبهة، وهي المجاعة ها هنا.

حتى وإن صح الأثر المنسوب لفعل عمر رضي الله عنه فإنْ صحت الروايه فإن عمر رضي الله عنه حين أسقط القطع عن السارق في عام المجاعة، لم يشرع عقوبة جديدة للسارق، وإنما رأى أن هناك شبهات تدرأ الحدّ؛ فإن السَّنَة إذا كانت سنة مجاعة وشدة غلب على الناس الحاجة والضرورة، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد به رمقه، وهذه شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج.

وعام المجاعة يكثر فيه المحاويج والمضطرون ولا يتميز المستغني منهم والسارق لغير حاجة من غيره فاشتبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب عليه، فدُرِئ، نعم إذا بان أن السارق لا حاجة به وهو مستغن عن السرقة قُطِع، فكل ما فعله الخليفة الراشد - إن صح ذلك عنه - أنه أسقط الحد لقيام مانع أو عدم توافر شرط، ولذلك ذكر ابن القيم أنه إذا بان أن السارق لا حاجة به حتى في عام المجاعة، فلابد من إقامة الحد عليه، [«إعلام الموقعين» (٣/ ١٤ - ١٥)]، فأين هذا مما هو حادث الآن من التشريع من دون الله عز وجل؟

(٣) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لاِبْنِ عَبَّاسٍ: «كَمِ الْكَبَائِرُ؟ أَسَبْعٌ هِيَ؟»، قَالَ: «إِلَى سَبْعِمِائَةٍ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى سَبْعٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ، وَلاَ صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ» [رواه الطبري في التفسير (٨/ ٢٤٥)، وإسناده صحيح].

١٥٢٦- لا هَمَّ إلا همُّ الدَيْن، ولا وجع إلا وجعُ العين.

١٥٢٧- لا وضوء لمن لم يصل على النبي.

١٥٢٨- لا يؤذن إلا متوضئ.

١٥٢٩- لا يَبلُـغُ العبدُ أنْ يَكونَ مِنَ المُتقِينَ، حَتَّى يَدَعَ مَالا بَأسَ بِهِ، حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأسٌ.

١٥٣٠- لا يُبَلِّغنـي أحدٌ منْ أصحابي عنْ أحدٍ شـيئًا فـإني أُحبُ أنْ أُخرجَ إليكمْ وأنا سَليمُ الصدرِ.

١٥٣١- لا يتعلم العلم مستحيٍ ولا متكبر.

١٥٣٢- لا يحل أكل لحوم الخيل[١] والبغال والحمير.

١٥٣٣- لا يخلو جسد من حسد.

١٥٣٤- لا يدخل الجنة بخيل.

١٥٣٥- لا يدخل الجنة ولد زنا.

١٥٣٦- لا يدخل ولد الزنا الجنة، ولا شيء من نسله إلى سبعة آباء[٢].

١٥٣٧- لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غازٍ في سبيل الله، فإن تحت البحر نارًا وتحت النار بحرًا.

١٥٣٨- لاَ يَصلُـحُ[٣] لِجُنُبٍ، وَلاَ لِحَائضٍ، إلاَّ لِلنَّبـي، وَلأَزواجِهِ وَعَليٍّ، وَفَاطِمَةَ بِنتِ مُحَمدٍ.

١٥٣٩- لا يُعاد المريض إلا بعد ثلاث.

---

(١) صح أن النبي ﷺ رخص في لحوم الخيل. (رواه البخاري ومسلم وغيرهما).

(٢) هو مخالف لقوله تعالَى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الإسراء: ١٥)، ولقوله ﷺ: «وَلَـدُ الزِّنَا لَيْسَ عَلَيْـهِ مِـنْ إثْمِ أبَوَيْهِ شَـيْءٌ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ» [رواه الحاكم، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني]، ورواه الطبراني، وقال السخاوي: «سنده جيد».

(٣) يَعني المَسجِدَ.

١٥٤٠ – «لا يفضضِ اللهُ فَاكَ»، رُوِيَ عن يعلى بن الأشدق قال سمعت نابغة بنى جعدة يقول: أتيت النبي ﷺ فأنشدتُه:

بلغنا السَّمَاءَ مجدُنا وثراؤنا وإنا لنرجو فوق ذلكَ مَظْهَرَا

فقال: «إلى أين المظهر يا أبا ليلى؟»، فقلت: إلى الجنة، فقال: «أجل إن شاء الله».

ولا خيرَ في جَهْلٍ إذا لم يكنْ لَهُ حليمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأمرَ أَصْدَرَا

فقال ﷺ: «لا يفضضِ اللهُ فَاكَ»، قال: فلقد رأيته، وقد أتى عليه مائة سنة ونيّف، وما سقط له سنٌ.

١٥٤١ – «لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ»، رُوِيَ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ قال: هجت امرأة من بني خطمة النبي ﷺ بهجاء لها، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فاشتد عليه ذلك، وقال: «من لي بها»، فقال رجل من قومها: «أنا يا رسول الله! وكانت تمّارة؛ تبيع التمر، فأتاها، فقال لها: «عندك تمر»؛ فقالت: «نعم»، فأَرَتْه تمرًا، فقال: «أردتُ أجود من هذا»، فدخلَتْ لتُريَه، فدخل خلفها ونظر يمينًا وشمالًا، فلم ير إلا خِوانًا، فعلا به رأسها حتى دمغها به، ثم أتى النبيَّ ﷺ فقال: «يا رسول الله! قد كفيتُكَها». قال: فقال النبي ﷺ: «إِنَّهُ لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ» (١)، فأرسَلَها مثلًا.

١٥٤٢ – لَأَنْ يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع.

١٥٤٣ – لَأَنْ يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت (٢).

---

(١) أي لا يختلف فيها اثنان بأن دمها هدر، لَا يَنْتَطِحُ فِيْهَا عَنْزَانِ: أَي لا يَلْتَقِي فيها اثنان ضعيفان؛ لَأن النِّطاحَ من شأن التيوس والكباش لا العنوز، وهو إشارة إلى قضية مخصوصة لا يجري فيها خلافٌ ونِزاعٌ، يقال: هذه المسألة لا ينتطح فيها عنزان، ولا يتناقر فيها ديكان! ولا يتواثب فيها خصمان!!

(٢) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ أنه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ **«لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ»**، فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَى فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيٌّ؟**». فَقِيلَ يَشْتَكِي =

١٥٤٤ - لَتَأْمُـرُنَّ بالمعروف، ولتنهَوُنَّ عن المنكر، أو ليسـلطن الله عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم[١].

١٥٤٥ - لَتَفْتَحُنَّ القسـطنطينية، ولنعم الأميـر أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش.

١٥٤٦ - لَتُقاتِلُنّ المشـركين حتى تقاتل بقيتكم الدجال، على نهر بالأردن، أنتم شرقيه، وهم غربيه، وما أدري أين الأردن يؤمئذ من الأرض.

١٥٤٧ - «لسـعَتْ حيَّةُ الهوَى كبدِي»، رُوِيَ أن أبا محذورة أنشد بين يدي النبي ﷺ حتى وقعت البردة الشريفة عن كتفه فتقاسمهما أهل الصفة وجعلوها رقعا في ثيابهم:

لسعَتْ حيَّةُ الهوَى كبِدِي	فلا طبيبَ لها ولا راقِي
إلا الحبيبُ الذي شُغِفْتُ بِه	فذِكْرُهُ رُقْيَتِي وتِرْياقِي

١٥٤٨ - لعَشْـرةٌ في كدٍّ حلال على عيل محجوب أفضل عند الله من ضرب بسيف حولا كاملا لا يجف دما مع إمام عادل.

١٥٤٩ - لعن الله الراشي والمرتشي والرائش الذي يمشي بينهما[٢].

١٥٥٠ - لعن الله الزهرة فإنها هي التي فتنت الملكين هاروت وماروت.

١٥٥١ - لعن الله الكاذب ولو كان مازحًا.

= عَيْنَيْـهِ، فَأَمَـرَ فَدُعِيَ لَهُ، فَبَصَقَ فِـى عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَـيْءٌ فَقَـالَ: «نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا». فَقَالَ: «**عَلَى رِسْـلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَـاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ لأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**». [رواه البخاري ومسلم].

(١) عَـنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِـي بِيَدِهِ لَتَأْمُـرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَـرِ، أَوْ لَيُوشِـكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَـثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُـمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْـتَجَابُ لَكُمْ**» [رواه الترمذي وحسّنه الألباني].

(٢) الحديث صحيح بدون هذه الزيادة «والرائش الذي يمشي بينهما».

١٥٥٢ – لعن الله من رأى مظلوما فلم ينصره.

١٥٥٣ – «لَقَدِ احْتَظَرْتَ مِنَ النَّارِ بِحِظَارٍ». رُوِيَ عَنْ أُمَيْمَةَ ابنة رُقَيْقَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَدَحٌ مِنْ عَيْدَانٍ (١) يَبُولُ فِيهِ، وَيَضَعُهُ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فَقَامَ فَطَلَبَ، فَلَمْ يَجِدْهُ فَسَأَلَ، فَقَالَ: «أَيْنَ الْقَدَحُ؟»، قَالُوا: «شَرِبَتْهُ بَرَّةُ خَادِمُ أُمِّ سَلَمَةَ الَّتِي قَدِمَتْ مَعَهَا مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدِ احْتَظَرْتْ مِنَ النَّارِ بِحِظَارٍ».

١٥٥٤ – «لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ»، رُوِيَ أن النبي ﷺ نَزَلَ بِأَدْنَى مَاءٍ مِنْ بَدْرٍ، فقال الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ: «يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟»، قَالَ: «بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ»، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلَهُ ثُمّ نُغَوّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ ثُمّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً ثُمّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ». فَنَهَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ النّاسِ فَسَارَ حَتّى إذَا أَتَى أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ نَزَلَ عَلَيْهِ ثُمّ أَمَرَ بِالْقُلُبِ فَغُوِّرَتْ وَبَنَى حَوْضًا عَلَى الْقَلِيبِ الّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ فَمُلِئَ مَاءً ثُمّ قَذَفُوا فِيهِ الْآنِيَةَ.

١٥٥٥ – «لقد لقنك الله عزَّ وجلَّ، أسماءه الحسنى التي إذا دُعي بها أجاب، وإذا سئل بها أعطى»، رُوِيَ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رَجُلًا من أصحابه ﷺ

---

(١) عَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: «كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَدَحٌ مِنْ عَيْدَانٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ، يَبُولُ فِيهِ بِاللَّيْلِ» [رواه أبو داود، وصححه الألباني]. (قدَح) إناء مِنْ خَشَب. (عَيدَانٍ) بفتح العين وسكون الياء: النخلَة الطوال المتجردة من السعف من أعلاه إلى أسفله جمع عَيْدَانة. (احْتَظَرْتْ مِنَ النَّارِ بِحِظَارٍ) أَيْ اِمْتَنَعْت بِمَانِعٍ وَثِيق، وَأَصْل الْحَظْر الْمَنْع، وَأَصْل الْحِظَار - بِكَسْرِ الْحَاء وَفَتْحهَا - مَا يُجْعَل حَوْل الْبُسْتَان وَغَيْره مِنْ قُضْبَان وَغَيْرهَا كَالْحَائِطِ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ بِصَبِيٍّ لَهَا، فَقَالَتْ: «يَا نَبِيَّ اللهِ ادْعُ اللهَ لَهُ، فَلَقَدْ دَفَنْتُ ثَلَاثَةً»، قَالَ: «**دَفَنْتِ ثَلَاثَةً؟**» قَالَتْ: «نَعَمْ، قَالَ: «**لَقَدِ احْتَظَرْتِ بِحِظَارٍ شَدِيدٍ مِنَ النَّارِ**» [رواه مسلم].

مـن الأنصار كان يكنى (أبا معلق)، وكان تاجرًا يتَّجِرُ بمال له ولغيره يضربُ به في الآفاق، وكان ناسكًا ورعًا، فخرجَ مرةً، فلقيه لصٌّ مقنعٌ في السِّلاح، فقال له: «ضَـعْ ما معكَ؛ فإني قاتِلُـكَ!»، قال: «ما تريدُ إلى دمي؟ شـأنك بالمال»، قال: «أما المالُ؛ فَلِي، ولستُ أريدُ إلا دَمَكَ»، قال: «أما إذا أبيتَ؛ فَذَرْني أُصَلّي أربع ركعـات»، قـال: «صَلِّ ما بدا لـك»، فتوضأ، ثم صلَّى أربع ركعـات، فكان مِنْ دُعَائه في آخر سـجدة أن قال: «يا ودودُ! يا ذا العَرْشِ المجيد! يا فعالٌ لما يريد! أسـأَلُكَ بِعِزِّكَ الذي لايُـرَامُ، ومُلْكِكَ الذي لا يُضَامُ، وبِنُـورِكَ الذي ملأ أركانَ عرشِـكَ أنْ تكفِيَنِي شـرَّ هذا اللصِّ، يا مغيثُ أَغِثْنِي!» دعا بها ثلاث مرات، فإذا هو بفارسٍ قد أقبل بيده حربةٌ واضعها بين أُذُنَيْ فرسِهِ، فلما بصُر به اللصُّ أقبل نحـوه، فطعنَه، فقتله، ثم أقبلَ إليه فقال: «قُمْ»، قال: «مَن أنت بأبي أنت وأمي؟ فقـد أغاثني اللهُ بك اليوم»، قال: «أنا ملَكٌ من السَّـماءِ الرابعَةِ، دعوتَ بدعائِكَ الأول، فَسُـمِعَتْ لأبـواب السـماء قَعْقَعَةٌ، ثم دعوت بدعائكَ الثاني، فسُـمِعتْ لأهل السـماء ضجةٌ، ثم دعـوتَ بدعائك الثالث؛ فقيل لـي: «دعاءُ مكروب»، فسـألتُ الله أن يولينـي قَتلَـهُ». وفي رواية: «ثم دعَوْتَ الثالثـة فهبط جبريل عليه السلام علينا من قبل السماء وهو ينادي: «من لهذا المكروب؟»، فدعوتُ ربي أن يوليني قتله، واعلم - يا عبد الله - أنه من دعا بدعائك هذا في كل كربة، وكل شـدة، وكل نازلة فرج الله تعالى عنه، وأعانه»، قال أنس: «وجاء التاجر سـالمًا غانمًـا حتى دخل المدينة وجاء إلى النبـي ﷺ فأخبره بالقصة وأخبره بالدعاء فقال له النبي ﷺ: «لقد لقنك الله عزَّ وجلَّ أسـماءه الحسـنى التي إذا دُعي بها أجاب، وإذا سئل بها أعطى».

١٥٥٦- لكل بلوى عون.

١٥٥٧- لكل ساقطة لاقطة.

١٥٥٨- لكل مجتهد نصيب.

١٥٥٩- لكل شيء أسّ وأسّ الإيمان الورع، ولكل شيء فرع وفرع الإيمان الصبر، ولكل شيء سنام وسنام هذه الأمة عمي العباس، ولكل شيء سبط وسبط هذه الأمة الحسن والحسين، ولكل شيء جناح وجناح هذه الأمة أبو بكر وعمر، ولكل شيء مجَنّ ومجن هذه الأمة علي بن أبي طالب.

١٥٦٠- لكل شيء باب وباب العبادة الصيام.

١٥٦١- لكل شيء حصاد وحصاد أمتي ما بين الستين إلى السبعين.

١٥٦٢- لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن.

١٥٦٣- لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم.

١٥٦٤- لكل شيء زكاة وزكاة الدار بيت الضيافة.

١٥٦٥- لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن.

١٥٦٦- لكل شيء معدن ومعدن التقوى قلوب العارفين.

١٥٦٧- لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء.

١٥٦٨- لكل شيء مفتاح، ومفتاح السماوات قول: لا إله إلا الله.

١٥٦٩- لكل مقام مقال، ولكل زمان دولة ورجال.

١٥٧٠- للسائل حق وإن جاء على فرس.

١٥٧١- للمؤمن أربعة أعداء: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وشيطان يضله، وكافر يقاتله.

١٥٧٢- للمرأة ستران: القبر والزوج، قيل: «وأيهما أفضل؟»، قال: «القبر».

١٥٧٣- للنساء عشر عورات فإذا تزوجت المرأة ستر الزوج عورة وإذا

ماتت ستر القبر عشر عورات.

١٥٧٤ – لَلَّهُ أفرح بتوبة التائب من الظمآن الوارد، ومن العقيم الوالد، ومن الضال الواجد [١]، فمن تاب إلى الله توبة نصوحا أنسى الله حافظيه وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه.

١٥٧٥ – لِلَّهُ تبارك وتعالى شجرة تحت العرش، ليس مخلوق إلا له فيها ورقة، فإذا سقطت ورقتُه خرجتْ رُوحُه من جسده؛ فذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩].

١٥٧٦ – «لم تضع ما كنتَ تضعُه فحسِبْتُك مريضًا، فجئتُ أزورُك»، رُوِيَ أنه كان لرسول الله ﷺ جار يهودي يحرص على وضع القاذورات على بابه ﷺ، فلما غاب اليهودي عن الرسول ﷺ ثلاثة أيام، وعندما سأل عنه قيل له أنه مريض، فذهب الرسول ﷺ لعيادته مع جمع من أصحابه، وعندما فتحت زوجته الباب تعجبت من زيارة الرسول ﷺ لزوجها بالرغم من أنه كان يؤذيه، فذهبت المرأة إلى زوجها اليهودي وأخبرته عن ذلك فقال: «إنني لا أستطيع أن لا آذن له في الدخول، ولكني لا أستطيع أن أنظر إليه خجلا»، وعندما دخل عليه الرسول ﷺ وأصحابه و سأله عن أحواله، كان الرجل يخفي وجهه خجلًا من رسول الله ﷺ، فقال اليهودي: «لِمَ هذه الزيارة يا محمد؟»، فقال الرسول ﷺ: «لم تضع ما كنتَ تضعُه فحسِبْتُك مريضًا، فجئتُ أزورُك»، فقال اليهودي: «أدِينُك يأمرك بهذا يا محمد؟»، فقال الرسول ﷺ: «بل أكثر من هذا»، فقال اليهودي: «أشهد ألا أله إلا الله، وأشهد أن محمد رسول الله».

١٥٧٧ – «لَمْ يَأْتِ على القَبْرِ يَوْمٌ إلاّ تَكَلَّمَ فِيهِ فيَقولُ: «أَنا بَيْتُ الغُرْبَةِ، وَأَنا بَيْتُ الوَحْدَةِ، وَأَنا بَيْتُ التُّرابِ، وَأَنا بَيْتُ الدُّودِ»، فَإِذا دُفِنَ العَبْدُ المُؤْمِنُ

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «وَاللهِ، لَلهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ» [رواه مسلم].

قَـالَ لهُ القَبْـرُ: «مَرْحبـًا وأهْلاً، أمَا إنْ كُنْتَ لأَحَبَّ مَنْ يَمْشِـي على ظَهْرِي إليَّ، فإذْ وَلِيتُكَ اليَوْمَ وصِرْتَ إلَيَّ فَسَـتَرَى صَنِيعِي بكَ». فيَتَّسِـعُ لهُ مَدَّ بَصَرِهِ ويُفْتَحُ لـهُ بابٌ إلَى الجَنَّـةِ، وَإذا دُفِنَ العَبْدُ الفاجِـرُ أوِ الكافِرُ قَالَ لهُ القَبْـرُ: «لَا مَرْحبـًا وَلَا أهْـلاً، أمَا إنْ كُنْـتَ لأَبْغَضَ مَنْ يمشـي على ظهري إليَّ، فـإذْ وَلِيتُكَ اليَوْمَ فسَـتَرَى صنِيعِي بكَ»، فيَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى يَلْتَقِيَ عَلَيْهِ وتَخْتَلِفَ أضْلاعُهُ، ويُقيَّضُ لهُ سَبْعُونَ تِنِّينـًا لوْ أنّ واحِداً مِنْهَا نَفَخَ فِي الأَرْضِ مَا أنْبَتَتْ شَيْئًا، مَا بَقِيَتِ الدُّنْيا فيَنْهَشْـنَهُ ويَخْدِشْـنَهُ حَتّى يُفْضَي بهِ إلَى الحِسـابِ، إنما الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ [(١)].

---

(١) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّـا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْـنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِـنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَـدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَـهُ، فَقَالَ: «اسْـتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْـنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِـنَ إِذَا كَانَ فِـي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِـنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّـمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّـمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُـوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَـرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّـلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِـهِ، فَيَقُـولُ: «أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ».

فَتَخْرُجُ تَسِـيلُ كَمَا تَسِـيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّـقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّـى يَأْخُذُوهَـا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِـكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُـوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْـكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

فَيَصْعَـدُونَ بِهَـا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا، عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُـوا: «مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟»، فَيَقُولُونَ: «فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ»، بِأَحْسَـنِ أَسْـمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَـمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْـتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَـيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَـمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّـمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى».

فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: «مَنْ رَبُّكَ؟»، فَيَقُولُ: «رَبِّيَ اللهُ»، فَيَقُولَانِ لَهُ: «مَا دِينُكَ؟» فَيَقُولُ: «دِينِيَ الْإِسْلَامُ»، فَيَقُولَانِ لَهُ: «مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟». فَيَقُولُ: «هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ»، فَيَقُولَانِ لَهُ: «وَمَا عِلْمُكَ؟»، فَيَقُولُ: «قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ»، «فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (إبراهيم: ٢٧)، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ»، =

١٥٧٨- لم يلق ابنُ آدم شيئًا قط منذ خلقه الله أشد عليه من الموت، ثم إن الموت لأهون مما بعده.

١٥٧٩- لم يمُتْ نبي حتى يؤمّه رجل من قومه.

١٥٨٠- لما أسلم عمر أتاني جبريل فقال: «قد استبشر أهل السماء بإسلام عمر».

١٥٨١- لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله تعالى: «يا آدم و كيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟»، قال:

= فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ. وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: «أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ»، فَيَقُولُ لَهُ: «مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ»، فَيَقُولُ: «أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ»، فَيَقُولُ: «رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي». وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: «أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ»، فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: «مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟»، فَيَقُولُونَ: «فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ»، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (الأعراف: ٤٠)، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى»، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج: ٣١)، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: «مَنْ رَبُّكَ؟»، فَيَقُولُ: «هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي»، فَيَقُولَانِ لَهُ: «مَا دِينُكَ؟»، فَيَقُولُ: «هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي»، فَيَقُولَانِ لَهُ: «مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟»، فَيَقُولُ: «هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي»، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: «أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ»، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: «أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ»، فَيَقُولُ: «مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ»، فَيَقُولُ: «أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ»، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا، فَيَقُولُ: «رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ». (رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وأبو داود، وصححه الألباني).

«يا رب لما خلقتني بيدك، و نفخت فيَّ من رُوحك، رفعْتُ رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، فعلمت أنك لم تضِف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك»، فقال الله تعالى: «صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه فقد غفرت لك، و لو لا محمد ما خلقتك».

١٥٨٢- لما أُلقِيَ إبراهيم في النار، قال: «اللهم إنك في السماء واحد، وأنا في الأرض واحد أعبدك».

١٥٨٣- لَمَّا بَنَى إِبْرَاهِيم الْبَيْت أَوْحَى الله إِلَيْهِ، أَنْ أَذِّنْ فِي النَّاس بِالْحَجِّ! قَالَ: فَقَالَ إِبْرَاهِيم: «أَلَا إِنَّ رَبّكُمْ قَدِ اتَّخَذَ بَيْتًا، وَأَمَرَكُمْ أَنْ تَحُجُّوهُ»، فَاسْتَجَابَ لَهُ مَا سَمِعَهُ مِنْ شَيْء مِنْ حَجَر وَشَجَر وَأَكَمَة أَوْ تُرَاب أَوْ شَيْء: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ!».

١٥٨٤- لما حملت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: «سمِّيه عبد الحارث»، فسمَّتْه عبد الحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره.

١٥٨٥- لما خرج النبي ﷺ هاربا من أهل مكة خرج ليلا فاتبعه أبو بكر، فجعل مرة يمشي أمامه، ومرة خلفه، ومرة عن يمينه، ومرة عن يساره، فقال له النبي ﷺ: «ما هذا يا أبا بكر؟ ما أعرف هذا من فعالك»، فقال: «يا رسول الله، أذكر الرَّصَد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك، ومرة عن يسارك، لا آمن عليك»، فمشى رسول الله ﷺ ليله كله حتى أدغل الطريق أطراف أصابعه، فلما رآه أبو بكر حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى به فم الغار فأنزل، ثم قال: «والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله قبلك؛ فإن يك فيه شيء نزل بي دونك». فدخل أبو بكر فلم ير شيئا فقال له: «اجلس فإن في الغار خرقًا أسُدّه»، وكان عليه رداء فمزقه وجعل يسد به خرقًا خرقًا، فبقي جحران فأخذ النبي ﷺ، فحمله فأدخله الغار، ثم ألقم قدميه الجُحْرين، فجعل

الأفاعي والحيات يضربْنه ويلسعْنَه إلى الصباح وجعل هو يتقلى من شدة الألم ورسول الله ﷺ لا يعلم بذلك، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ قال: «مالك يا أبا بكر؟»، فقال: لُدِغْتُ فداك أبي وأمي»، فتفل رسول الله ﷺ فذهب ما يجده.

١٥٨٦- لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت: «يا رب! هل في خلقك شيء أشد من الجبال؟»، قال: «نعم، الحديد»، قالت: «يا رب! فهل في خلقك شيء أشد من الحديد؟»، قال: «نعم، النار»، قالت: «يا رب! فهل في خلقك شيء أشد من النار؟»، قال: «نعم، الماء»، قالت: «يا رب! فهل في خلقك شيء أشد من الماء؟»، قال: «نعم الريح». قالت: «يا رب! فهل في خلقك شيء أشد من الريح؟»، قال: «نعم، ابن آدم يتصدق بيمينه ويخفيها من شماله».

١٥٨٧- لما خلق الله العقل قال له: «قم»، فقام، ثم قال له: «أدبر»، فأدبر، ثم قال له: «أَقْبِلْ»، فأقبلَ، ثم قال له: «اقعد»، فقعدَ، فقال: «ما خلقت خلقًا هو خير منك، ولا أفضل منك، ولا أحسن منك، ولا أكرم منك، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أعرف لك الثواب، وعليك العقاب».

١٥٨٨- لما خلق الله تعالى العقل قال: «يا عقلُ، أدبِرْ»، فأدبَرَ، «يا عقلُ، أقبِلْ»، فأقبلَ، «يا عقلُ، من أنا؟»، فقال: «أنت الله رب العالمين»، وخلق النفس وقال لها: «يا نفسُ، أقبلي»، فأدبَرَتْ. «يا نفس أدبري»، فأقبلَتْ. «يا نفس من أنا؟»، فقالت: «أنت أنت، وأنا أنا»، فسلط الله عليها الجوع، ولما سلط عليها الجوع دب فيها الضعف، ولما دب فيها الضعف استكانت وخضعت فقال لها: «يا نفس، أدبري»، فأدبرَتْ. «يا نفسُ، أقبلي» فأقبلَتْ. «يا نفسُ، من أنا؟»، قالت: «أنت الله رب العالمين».

١٥٨٩- لمـا خلق الله تعالى جنـة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها: «تكلمي»، فقالت: «قد أفلح المؤمنون».

١٥٩٠- لمّـا طـرد الله إبليس بكى جبريـل وميكال بكاءً شـديدًا. فقال الله تعالى: «ما يبكيكما؟»، قالا: «يارب - وأنت أعلم - هذا إبليس قرَّبْتَه وارْتَضَيْتَه حتى جعلْتَه طاووسًا للملائكة وجعلْتَه رئيسًا للمقرّبين، وفي ساعة واحدة أصبح مُبعـدًا مطرودًا وصار عدوًا لك مُتوَعّدًا بالنار، وإنا نخشـى أن يصيبنا ما أصاب إبليس فقال لهما تعالى: «هكذا فَكُونَا».

١٥٩١- «لمـا عُرِجَ بي مررتُ برجال تقرض جلودهم بمقاريض من نار»، رُوِي أن رسـول الله ﷺ قـال: «لما عُـرِجَ بي مررتُ برجـال تقرض جلودهم بمقاريـض مـن نـار، فقلتُ: «مَـن هؤلاء يـا جبريل؟»، قـال: «الذيـن يتزينون للزينـة»، ثم مـررتُ بجب منتن الريح، فسـمعت فيـه أصواتًا شـديدة، فقلت: مـن هؤلاء يا جبريل؟ قال: «نسـاء كن يتزين للزينة، ويفعلـن ما لا يحل لهن»، ثـم مررتُ على نسـاء ورجال معلقين بثديهن فقلت: «مَـن هؤلاء يا جبريل؟». فقال: «هؤلاء اللمازون والهمازون، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[الهمزة:١] [1].

١٥٩٢- لما غسَّـلْتُ النبـي ﷺ اقتلصت محاجر عينيه فشـربْتُ فورثْتُ علم الأولين والآخرين»، يروى عن علي رضي الله عنه.

١٥٩٣- لَمَّـا فَـرَغَ إِبْرَاهِيم مِنْ بِنَاء الْبَيْت، أَوْحَى الله إِلَيْهِ، أَنْ أَذِّنْ فِي النَّاس بِالْحَـجِّ، فَقَـالَ إِبْرَاهِيـم: «أَلَا إِنَّ رَبَّكُـمْ قَـدِ اتَّخَـذَ بَيْتًـا، وَأَمَرَكُـمْ أَنْ تَحُجُّوهُ»، فَاسْـتَجَابَ لَهُ مَا سَـمِعَهُ مِنْ شَـيْء مِنْ حَجَر وَشَـجَر وَأَكَمَة أَوْ تُرَاب أَوْ شَـيْء: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ!».

(١) راجع قصة المعراج الصحيحة التي أخرجها البخاري ومسلم وغيرهما.

١٥٩٤- لَمَّـا فَرَغَ إِبْرَاهِيم مِـنْ بِنَاء الْبَيْت قِيلَ لَـهُ: «أَذِّنْ فِي النَّاس بِالْحَجِّ» قَالَ: «رَبّ وَمَـا يَبْلُغ صَوْتِي؟»، قَالَ: «أَذِّنْ وَعَلَيَّ الْبَلَاغ!» فَنَادَى إِبْرَاهِيم: «أَيّهَا النَّـاس كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْحَجّ إِلَى الْبَيْت الْعَتِيق فَحُجُّوا!»، فَسَـمِعَهُ مَا بَيْن السَّـمَاء وَالْأَرْض، أَفَلَا تَرَى النَّاس يَجِيئُونَ مِنْ أَقْصَى الْأَرْض يُلَبُّونَ؟

١٥٩٥- لما كان ليلة بات في الغار أمر الله - تبارك وتعالى - شجرة فنبتت في وجـه الغار فسـترت وجه النبي ﷺ وأمر الله - تبـارك وتعالى - العنكبوت فنسـجت علـى وجه الغار وأمـر الله - جل وعز - حمامتين وحشـيتين، فوقعتا بفم الغار، وأتى المشركون من كل بطن حتى إذا كانوا من النبي ﷺ على قدر أربعين ذراعًا معهم قُسِيُّهم وعِصِيُّهم تقدم رجل منهم فنظر في الحمامتين فرجع فقال لأصحابه: «ليس في الغار شـيء رأيـت حمامتين على فم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد»، فسـمع قولَه النبيُّ ﷺ فعرف أن الله - تبارك وتعالى - قد درَأ بهما عنه فسـمت عليهما وفرض جزاءهما واتخذت في حرم الله يفرخن، فأصل كل حمام في الحرم من فراخها»[1].

١٥٩٦- «لما كَلَّم الله موسى يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه به يوم ناداه»، رُوي عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لما كَلَّم الله موسى يوم الطور كلمـه بغيـر الكلام الذي كلمه به يوم ناداه، قال له موسـى: «يا رب هذا كلامك

(١) ذكـر الألبـاني في السلسـلة الضعيفـة برقـم ١١٢٩ أن قولـه تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ﴾ [التوبـة: ٤٠] فيهـا مـا يؤكـد ضعف الحديـث، لأنهـا صريحة بأن النصـر والتأييد إنما كان بجنود لا تـرى، والحديث يثبت أن نصره ﷺ كان بالعنكبوت، وهو مما يُرى، فتأمل.

والأشـبه بالآيـة أن الجنود فيهـا إنما هم الملائكـة، وليس العنكبـوت ولا الحمامتيـن، ولذلك قال البغوي في [تفسـيره (٤/ ١٧٤)] للآية: «وهم الملائكة نزلـوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته ﷺ».

الـذي كلمتني به يوم ناديتني؟»، قال: «يا موسـى، لا، إنما كلمتك بقوة عشـرة آلاف لسـان، ولي قوة الألسـنة كلهـا، وأنا أقوى من ذلك»، فلما رجع موسـى إلى بني إسرائيل قالوا: «يا موسى صف لنا كلام الرحمن؟»، قال: «سبحان الله، ومن يطيق ذلك؟»، قالوا: «فشَبِّهْهُ لنا؟»، قال: «ألم تروا إلى أصوات الصواعق حين تقبل في أحلى حلاوة سمعتموه فإنه قريب منه وليس به».

١٥٩٧- لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي فنهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسـوهم في مجالسـهم وواكلوهم وشـاربوهم، ضرب الله قلـوب بعضهم ببعـض، ولعنهم على لسـان داود وعيسـى ابن مريـم، ذلك بما عصـوا وكانوا يعتدون، لا والذي نفسـي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحـق قصـرا[1] أو ليضربـن الله بقلوب بعضكم علـى بعض ثـم ليلعننكم كما لعنهم.

١٥٩٨- لَمُبـارزة علي بن أبى طالب لعمرو بن عبد وُدّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة.

١٥٩٩- لَمُعالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف.

١٦٠٠- لـن تخلـو الأرض مـن أربعين رجـلا مثل خليل الرحمـن، فبِهم تُسْقَوْن، وبهم تنصرون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر.

١٦٠١- لـن تهلك الرعية وإن كانت ظالمة مسـيئة إذا كانـت الولاة هادية مهديـة، ولـن تهلك الرعيـة وإن كانـت هاديـة مهديـة إذا كانت الـولاة ظالمة مسيئة.

١٦٠٢- لن تهلك أمة أنا في أولها، وعيسـى بـن مريم في آخرها، والمهدي

---

(١) أي لتردُّنّه إلى الحق، ولتعطفنه عليه.

في وسطها[١].

١٦٠٣- لن يُبتَلَى عبد بشيء أشد من الشرك، ولن يبتلى بشيء بعد الشرك أشد من ذهاب بصره، ولن يبتلى عبد بذهاب بصره فيصبر إلا غفر الله له.

١٦٠٤- لن يغلب عسر يسرين: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٢].

١٦٠٥- لَهَدْمُ الكعبة حجرًا حجرًا أهون على الله من قتل مسلم[٣].

١٦٠٦- لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، (يعني أهل الذمة)[٤].

---

(١) قال الألباني في [«السلسلة الضعيفة»، رقم (٢٣٤٩)]: «والحديث منكر عندي، لأن ظاهره أن بين المهدي وعيسى سنين كثيرة مع أنه صح في غير ما حديث أنهما يلتقيان في دمشق، ويأتَمّ عيسى بالمهدي عليه السلام، فكيف يقال: إن المهدي في وسطها وعيسى في آخرها؟!».

(٢) الشرح: ٥ - ٦.

(٣) عن عَبْدِ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ: «**مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ، وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا**» [رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني]. رواه البيهقي بلفظ: «**مَرْحَبًا بِكِ مِنْ بَيْتٍ، مَا أَعْظَمَكِ، وأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! ولَلْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكِ، إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مِنْكِ وَاحِدةً، وَحَرَّمَ مِنَ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثًا: دَمَهُ، ومَالَهُ، وأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنُّ السُّوءِ**»، وقد أورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ١٢٤٨)، برقم (٣٤٢٠).

(٤) قال الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (رقم ١١٠٣): «وقد اشتهر في هذه الأزمنة المتأخرة، على ألسنة كثير من الخطباء والدعاة والمرشدين، مغترين ببعض الكتب الفقهية، مثل (الهداية) في المذهب الحنفي، وقد أشار الحافظان الزيلعي وابن حجر إلى أن الحديث لا أصل له عن رسول الله ﷺ، وأن صاحب (الهداية) قد وهم في زعمه ورود ذلك في الحديث.

بل قد جاء ما يدل على بطلان ذلك، وهو قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ**»، وإسناده صحيح على شرط الشيخين. فهذا نص صريح على أن الذين قال فيهم الرسول ﷺ هذه الجملة: «لهم ما لنا، وعليهم ما علينا» ليس هم أهل الذمة الباقين على دينهم، وإنما هم الذين أسلموا منهم، ومن غيرهم من المشركين!

وهذا هو المعروف عند السلف، فقد حدث أَبُو الْبَخْتَرِيِّ أَنَّ جَيْشًا مِنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ كَانَ أَمِيرَهُمْ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَاصَرُوا قَصْرًا مِنْ قُصُورِ فَارِسَ فَقَالُوا: «يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَلَا نَنْهَدُ إِلَيْهِمْ». قَالَ: «دَعُونِي أَدْعُهُمْ كَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَدْعُوهُمْ»، فَأَتَاهُمْ سَلْمَانُ فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ فَارِسِيٌّ تَرَوْنَ الْعَرَبَ يُطِيعُونَنِي؛ فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ فَلَكُمْ مِثْلُ الَّذِي لَنَا وَعَلَيْكُمْ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَا، وَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا دِينَكُمْ تَرَكْنَاكُمْ عَلَيْهِ وَأَعْطُونَا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ»، قَالَ: وَرَطَنَ إِلَيْهِمْ بِالْفَارِسِيَّةِ: =

١٦٠٧- لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه.

= «وَأَنْتُمْ غَيْرُ مَحْمُودِينَ وَإِنْ أَبَيْتُمْ نَابَذْنَاكُمْ عَلَى سَوَاءٍ»، قَالُوا: «مَا نَحْنُ بِالَّذِينَ نُعْطِي الْجِزْيَةَ وَلَكِنَّا نُقَاتِلُكُمْ». فَقَالُوا: «يَا أَبَا عَبْدِ الله، أَلَا نَنْهَدُ إِلَيْهِمْ؟»، قَالَ: «لَا»، فَدَعَاهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَى مِثْلِ هَذَا ثُمَّ قَالَ: «انْهَدُوا إِلَيْهِمْ». قَالَ: «فَنَهَدْنَا إِلَيْهِمْ فَفَتَحْنَا ذَلِكَ الْقَصْرَ»، (أخرجه الترمذي وقال: «حديث حسن» وأحمد من طرق عن عطاء بن السائب عنه).

ولقد كان هذا الحديث أي: حديث (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) ونحوه من الأحاديث الموضوعة والواهية سببًا لتبَنِّي بعض الفقهاء من المتقدمين، وغير واحد من العلماء المعاصرين، أحكامًا مخالفة للأحاديث الصحيحة، فالمذهب الحنفي مثلا يرى أن دم المسلمين كدم الذميين، فيقتل المسلم بالذمي، ودِيَتَه كدِيَتِه مع ثبوت نقيض ذلك في السنة على ما بينْتُه في حديث سبق برقم (٤٥٨)، وذكرتُ هناك من تبناه من العلماء المعاصرين!

وهذا الحديث الذي نحن في صدد الكلام عليه اليوم طالما سمعناه من كثير من الخطباء والمرشدين يرددونه في خطبهم، يتبجحون به، ويزعمون أن الإسلام سوَّى بين الذميين والمسلمين في الحقوق، وهم لا يعلمون أنه حديث باطل لا أصل له عن رسول الله ﷺ! فأحببت بيان ذلك، حتى لا يُنْسَب إلى النبي ﷺ ما لم يقل!

ونحوه ما روى أبو الجنوب قال: قال علي رضي الله عنه: «من كانت له ذمتنا، فدمه كدمنا، وديته كديتنا»، أخرجه الشافعي (١٤٢٩) والدارقطني (٣٥٠) وقال: «وأبو الجنوب ضعيف».

وأورده صاحب (الهداية) بلفظ: «إنما بذلوا الجزية، لتكون دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا».

وهو مما لا أصل له، كما ذكرته في [إرواء الغليل (١٢٥١)]. (اه كلام الألباني باختصار وتصرف يسيرين).

وقال الألباني أيضًا في [السلسلة الضعيفة رقم (٢١٧٦)]: «وإن مما يؤكد بطلانه (أي حديث لهم ما لنا، وعليهم ما علينا) مخالفته لنصوص أخرى قطعية كقوله تَعَالَىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم]، وقوله ﷺ: «**لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ**»، وقوله: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ**»، وقوله: «**لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ**»، وكل هذه الأحاديث مما اتفق العلماء على صحتها». ا هـ.

ومن هنا يظهر جليا صدق عنوان كتابنا هذا في الأحاديث الضعيفة: «وأثرها السيئ في الأمة»، فطالما صرفت كثيرا منهم على مر الدهور والعصور عن دينهم، لا فرق في ذلك بين العقائد والأحكام والأخلاق والسلوك، وليس ذاك في العامة فقط، بل وفي بعض الخاصة، وها هو المثال بين يديك، فإن هذا الحديث الباطل، قد تلقاه بالقبول بعض الدعاة والكُتّاب الإسلاميين، وأشاعوه بين الشباب المسلم في كتاباتهم ومحاضراتهم، وبنوا عليه مِن الأحكام ما لم يَقُلْ به عالم من قبل!

وإن مما يحسن لفت النظر إليه أن الأحناف الذين تفردوا بهذا الحديث الباطل لم يأخذوا به إلا في المبايعات كما تقدم ذكره عن كتابهم (الهداية)، خلافا لهؤلاء الكتاب الذي توسعوا في تطبيقه توسعا خالفوا به جميع العلماء. فاعتبروا يا أولي الألباب! (انتهى كلام الألباني باختصار وتصرف يسيرين).

١٦٠٨- لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه.

١٦٠٩- «لـو أكثرتـم ذكر هـاذم اللذات المـوت [١] لَشَـغلكم عما أرى»، رُوِيَ أن رسـول الله ﷺ دخل المسـجد فرأى ناسا يكشرون (أي يضحكون)، فقـال: «لـو أكثرتم ذكـر هاذم اللذات المـوت، وأنه لم يأت علـى القبر يوم إلا وهـو يقول أنا بيت الوحـدة وبيت الغربة، أنا بيت التراب أنـا بيت الدود»، وفي رواية: دخل النبي ﷺ مصلاه فرأى ناسًا يكشرون، فقال: «إما إنكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات لَشَـغَلكم عما أرى - الموت؛ فأكثروا ذكر هادم اللذات: المـوت؛ فإنه لم يأت على القبر يـوم إلا تكلم فيه، فيقول: «أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود».

١٦١٠- لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لأخرج عمله للناس كائنا ما كان.

١٦١١- «لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه»، رُوِيَ عن أبي هريرة قال: رأى رسـول الله ﷺ رجلا يعبث بلحيته و هو في الصلاة، فقال: لو خشـع قلب هذا خشعت جوارحه»[٢].

(١) عَـنْ أَبِـى هُرَيْـرَةَ رضي الله عنه قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْثِـرُوا ذِكْـرَ هَـاذِمِ اللَّـذَّاتِ**»، يَعْنِـى الْمَوْتَ، (رواه ابن ماجه، وصححه الألباني)، وقال ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ: الْمَوْتِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ فِي ضِيقٍ مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ وَلَا ذَكَرَهُ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ**» [رواه البيهقي وابن حبان، وحسنه الألبـاني]، (أَكْثِـرُوا ذِكْرَ هَـاذِمِ اللَّذَّاتِ: الْمَوْتِ) الْهَـاذِمُ: هُوَ الْقَاطِعُ، فالموت يقطـع اللذات ويزيلها.
والحديث دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن يغفل عن ذكر أعظم المواعظ وهو الموت.
والإنسان لا ينفك عن حالين: ضيق ومحنة، أو سعة ونعمة.
فـإن كان في حـال ضيق ومحنة فذِكْرُ الموت يسـهل عليه ما هو فيه من الضيـق والمحنة عندما يقارن حاله عند الضيق والمحنة التي هو فيها بحاله في القبر.
وإن كان في حال سـعة ونعمة من الاغترار بها والركون إليها فإن ذِكْرُ الموت يجعله يسـتحضر أن هذا اليوم أو هذه الليلة قد يكون آخر عهده بالحياة فلا يغتر بالدنيا، بل يُقبِل على الآخرة.

(٢) المعروف أنه من كلام سعيد بن المسيب. انظر: السلسلة الضعيفة للألباني(١/ ٢٢٧) برقم: ١١٠.

١٦١٢- «لـو رآنا لم يسـتقبلنا بعورتـه»، رُوِيَ عن أبي بكـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «جاء رجل من المشـركين حتى اسـتقبل رسـول الله ﷺ بعورتـه يبول، قلت: «يـا رسـول الله، أليس الرجل يرانـا؟»، قال: «لو رآنا لم يسـتقبلنا بعورته» يعني وهما في الغار[1].

١٦١٣- لو صدق السائل ما أفلح مَن رَدَّهُ.

١٦١٤- لو عاش إبراهيم[2] لَوَضَعْتُ الجزية عن كل قبطي.

١٦١٥- لو قيل لأهل النار: «إنكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا سـنة» لفرحوا بها، ولو قيل لأهل الجنة: «إنكم ماكثون في الجنة عدد كل حصاة في الدنيا سنة» لحزنوا، ولكنهم خلقوا للأبد والأمد.

١٦١٦- لو كان الأرز رجلا لكان حليما.

١٦١٧- لو كان الحياء رجلا لكان رجلا صالحا.

١٦١٨- لو كان الصبر رجلا لكان رجلا كريما.

١٦١٩- لو كان العجب رجلا كان رجل سوء.

١٦٢٠- لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه.

١٦٢١- لو كان الفحش خلقا لكان شر خلق الله.

١٦٢٢- لو كان المؤمن على قصبة في البحر لقيض الله له من يؤذيه.

١٦٢٣- لو كان المؤمن في جُحْر ضب لَقَيَّضَ الله له من يؤذيه.

١٦٢٤- لـو كان جريج الراهـب فقيهًا عالما لعَلِم أن إجابته دعاء أمه أولى من عبادة ربه.

---

(١) عـن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْـرِكِينَ عَلَى رُءُوسِـنَا وَنَحْـنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: «يَا رَسُـولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ»، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**». [رواه مسلم].

(٢) أي ابن النبي ﷺ من مارية القبطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

١٦٢٥- لو كان حسن الخلق رجلا يمشي في الناس لكان رجلا صالحا.

١٦٢٦- لو لم يقل يوسف- يعني الكلمة التي قالها - ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله[١].

١٦٢٧- لو يعلم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها»، رُوِيَ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه سمع النبي يقول وقد أهلّ رمضان: «لو يعلم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها»، فقال رجل من خزاعة: «حَدِّثْنَا به»، قال: «إن الجنة تتزين لرمضان من رأس الحول حتى إذا كان أول يوم من رمضان هبت ريح من تحت العرش وصفقت في ورق الجنة، فينظر الحور العين إلى ذلك فيقُلْن: «يا رب اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجًا تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا»، قال: «ما من عبد يصوم

---

(١) معنى هذا الحديث المكذوب أن يوسف عليه السلام قال للذي علم أنه ناج من صاحبيه اللذَيْن استعبراه الرؤيا: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف:٤٢]، وهو الملِك وأخبِرْه بمظلمتي، وأني محبوس بغير جُرم، فهذا خبر من الله جل ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف عليه السلام مِن قِبل الشيطان نسى بسببها ذِكْر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه، ولكنه زلّ بها فأطال من أجلها في السجن حبسه وأوجع لها عقوبته.
والصحيح أن يوسف عليه السلام لم يقل ذلك جزعًا واستعجالًا للخروج من السجن، والسنة الصحيحة المطهرة ترد هذه الكلام وتبين صبر يوسف عليه السلام. فالضمير في قوله: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ يعود على ذلك الموصَى أن يذَكِّر مولاه الملك بذلك، قال الحافظ ابن كثير في (تفسيره، ٤-١٧٢): «ولما ظن يوسف عليه السلام أن الساقي ناج قال له يوسف خفية عن الآخر- والله أعلم- لئلا يشعره أنه المصلوب- قال له: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾، يقول: اذكر قصتي عند ربك وهو الملك فنسي ذلك الموصَى أن يذَكِّر مولاه الملك بذلك، وكان من جملة مكايد الشيطان لئلا يطلع نبي الله من السجن، هذا هو الصواب أن الضمير في قوله: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ عائد على الناجي كما قال مجاهد، ومحمد بن إسحاق، وغير واحد».
ومما لا يثبت أيضًا ما رُوِيَ عن أنس أنه قال: «أوحَى الله إلى يوسف: «يا يوسف من استنقذك من الجب إذْ ألقوك فيه؟»، قال: «أنت يا رب». قال: «من استنقذك من القتل إذ هَمَّ إخوتك أن يقتلوك؟»، قال: «أنت يا رب»، قال: «فما لك نسيتني وذكرت آدميًا؟»، قال: «جزعًا بذنبي، وكلمة تكلم بها لساني». قال: «وعزتي لأخلدنك السجن بضع سنين». وهذا حديث منكر.

رمضـان إلا زُوِّج زوجة من الحور العيـن، في خيمة من دُرٍّ مجوفة مما نعت الله عـز وجل، حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ، على كل امرأة سـبعون حُلّة، ليس منها حُلّـة على لـون الأخرى، ويُعطى سـبعون لونًا من الطيب ليـس منها لون على ريح الآخر، لكل امرأة منهن سـبعون سـريرًا من ياقوتة حمراء موشـحة بالدُر، على كل سرير سبعون فراشًا بطائنها من إستبرق، وفوق السبعين فراشًا سبعون أريكة، لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجاتها، وسبعون ألف وصيف، مـع كل وصيـف صحفة من ذهب فيها لون طعام يجـد لآخر لقمة لذة لا توجد لأولـه، ويُعطـى زوجها مثل ذلك على سـرير من ياقوت أحمـر، هذا لكل يوم صامه من رمضان سوى ما عمل من الحسنات».

١٦٢٨- لو يعلم المرء ما يأتيه بعد الموت ما أكل أكلة ولا شرب شربة إلا وهو يبكي ويضرب على صدره.

١٦٢٩- لو يعلم الناس ما في الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهبًا.

١٦٣٠- لو يعلم الناس ما لهم في التأذين لتضاربوا عليه بالسيوف.

١٦٣١- لولا المرأة لدخل الرجل الجنة.

١٦٣٢- لولا النساء لعُبِد اللهُ حق عبادته.

١٦٣٣- لولا النساء لعُبِد اللهُ حقًّا حقًّا[١].

١٦٣٣- لـولا عباد لله رُكَّع وصبية رُضَّع وبهائم رُتَّع لَصُبَّ عليكم العذاب صَبًّا ثم رُصَّ رَصًّا[٢].

١٦٣٤- «لَوْلَا خَشْيَةُ الْقَوَدِ[٣] يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَأَوْجَعْتُكِ بِهَذَا السِّوَاكِ». رُوِيَ

(١) قال رسول الله ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ» [رواه البخاري ومسلم].

(٢) أي ضُمَّ العذاب بعضه إلى بعض.

(٣) القَوَد: القِصاص.

عَـنْ أُمِّ سَـلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِـيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِـي بَيْتِهَـا، فَدَعَا وَصِيفَةً لَـهُ - أَوْ لَهَا - فَأَبْطَأَتْ، فَاسْـتَبَانَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، فَقَامَتْ أُمُّ سَلَمَةَ إِلَى الْحِجَابِ، فَوَجَدَتِ الْوَصِيفَةَ تَلْعَبُ، وَمَعَهُ سِـوَاكٌ، فَقَالَ: «لَوْلَا خَشْيَةُ الْقَوَدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَأَوْجَعْتُكِ بِهَذَا السِّوَاكِ».

١٦٣٥- لـولاك مـا خلقـت الأفـلاك، (أي لـولا النبـي صلى الله عليه وآله وسلم مـا خلق الله الأفلاك).

١٦٣٦- لولاك ما خلقت الدنيا، (أي لولا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما خلق الله الدنيا).

١٦٣٧- لَيَأتيـن على القاضي العدل يوم القيامة سـاعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط.

١٦٣٨- لَيَأتيـن على الناس زمان لا يبقى منهـم أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكلْه أصابه من غباره.

١٦٣٩- لِيَؤُمّكم أحسنكم وجها، فإنه أحرى أن يكون أحسنكم خلقا.

١٦٤٠- ليـت شـعري كيف أمتـي بعدي؟ حيـن تتبختر رجالهـم وتمرح نسـاؤهم وليت شـعري حين يصيرون صنفين: صنفا ناصبي نحورهم في سبيل الله وصنفا عمالا لغير الله؟

١٦٤١- ليس الأعمى من يعمى بصره، إنما الأعمى من تعمى بصيرته.

١٦٤٢- ليـس الإيمـان بالتمنـي ولا بالتحلـي، ولكـن مـا وقـر في القلب وصدقـه العمل[1]، العلم علم باللسـان وعلم بالقلب، فأمـا علم القلب فالعلم النافع، وعلم اللسان حجة الله على بني آدم.

١٦٤٣- ليـس البيـان كثـرة الكلام ولكن فصـل فيما يحب الله ورسـوله، وليس العِيّ عِيّ اللسان ولكن قلة المعرفة بالحق.

---

(١) وروي من كلام الحسن البصري.

١٦٤٤- ليس الجهاد أن يضرب رجل بسيفه في سبيل الله تعالى، إنما الجهاد مَن عال والديه، وعال ولده، فهو في جهاد، ومن عال نفسه فكفها عن الناس فهو في جهاد.

١٦٤٥- ليس الخبر كالمعاينة (أو كالعيان).

١٦٤٦- ليس الخُلْفُ أنْ يَعِدَ الرجلُ ومن نيته أن يَفِي، ولكن الخُلْفُ أنْ يَعِدَ الرجلُ ومن نيته أن لا يَفِي.

١٦٤٧- ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا، فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة، ولا تكونوا كَلّا على الناس.

١٦٤٨- «ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب».

رُوِيَ أن أعرابيًّا أنشد النبي ﷺ:

لسعَتْ حيَّةُ الهوَى كبِدِي ... فلا طبيبَ لها ولا راقِي

إلا الحبيبُ الذي شُغِفْتُ به ... فذِكْرُهُ رُقْيَتِي وتِرْياقِي

فتواجَد حتى سقطت البردة عن منكبيه، فقال معاوية: «ما أحسن لهوكم»، فقال: «مهلًا يا معاوية، ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب».

١٦٤٩- ليس بمؤمن مستكمل الإيمان من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة.

١٦٥٠- ليس شيء أكرم على الله تعالى من المؤمن.

١٦٥١- ليس صدقة أعظم أجرًا من ماء.

١٦٥٢- ليس عدوك الذي إن قتَلْتَه كان لك نورا، وإن قتلك دخلْتَ الجنة، ولكن أعدى عدو لك ولدك الذي خرج من صلبك، ثم أعدى عدو لك مالك الذي ملكت يمينُك.

١٦٥٣- ليس في القطرة ولا في القطرتين من الدم وضوء حتى يكون دما سائلا.

١٦٥٤- ليس في صلاة الخوف سهو.

١٦٥٥- ليس في الموت شماتة.

١٦٥٦- ليس لابن آدم حق فيما سوى هذه الخصال: بيت يسكنه، وثوب يواري عورته، وجلف الخبز والماء.

١٦٥٧- ليس للفاسق غيبة.

١٦٥٨- ليس للمؤمن راحة دون لقاء ربه.

١٦٥٩- ليس من المروءة استخدام الضيف.

١٦٦٠- ليس من امبر امصيام في امسفر [١].

١٦٦١- ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات على الأرض ليستأذن الله عز وجل أن ينفضخ عليهم فيكُفّه الله عز وجل.

١٦٦٢- ليس منا من وطئ حبلى.

١٦٦٣- ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع [٢].

١٦٦٤- ليستحي أحدكم من مَلكيه اللذين معه كما يستحيي من رجلين صالحين من جيرانه، وهما معه بالليل والنهار.

١٦٦٥- ليسترجع أحدكم في كل شيء حتى في شسع نعله فإنها من المصائب.

١٦٦٦- ليقل أحدكم حين يريد أن ينام: آمنتُ بالله وكفرتُ بالطاغوت،

---

(١) هذه لغة لبعض أهل اليمن، يجعلون لام التعريف ميما، والحديث شاذ بهذا اللفظ.

والصحيح عن النبي ﷺ بلفظ: «**لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ**». [رواه البخاري بهذا اللفظ ورواه مسلم بلفظ «**لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ**»].

(٢) أخرج أبو يعلى في مسنده (٢١٦/ ٢) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «سَلُوا اللهَ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى الشِّسْعَ، فَإِنَّ اللهَ إِنْ لَمْ يُيَسِّرْهُ، لَمْ يَتَيَسَّرْ»، قال الألباني: «وهذا سند موقوف جيد».

وعدُ الله حق، وصدق المرسلون، اللهم إني أعوذ بك من طوارق هذا الليل إلا طارقا يطرق بخير.

١٦٦٧- «ليقم صاحب هذا الريح فليتوضأ»، رُوِيَ أن النبي ﷺ وجَد مِن رجُلٍ ريحًا، فقال: «ليَقُم صاحب الريح فليتوضأ، فإن الله لا يستحيي من الحق»، فقال العباس: «يا رسول الله، أفلا نقوم كلنا فنتوضأ؟»، فقال ﷺ: «قومُوا كلكم فتوضئوا»[(١)].

١٦٦٨- ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربع وعشرون ساعة. لله تعالى في كل ساعة منها ستمائة ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار.

١٦٦٩- ليلة الغار أمر الله - عز وجل - شجرة فخرجت في وجه النبي ﷺ تستره وإن الله - عز وجل - بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت

---

(١) ويشبه هذا الحديث ما يتداوله كثير من العامة، وبعض أشباههم من الخاصة، زعموا أن النبي ﷺ كان يخطب ذات يوم، فخرج من أحدهم ريح، فاستحيا أن يقوم من بين الناس، وكان قد أكل لحم جزور، فقال رسول الله ﷺ سترا عليه: «من أكل لحم جزور فليتوضأ». فقام جماعة كانوا أكلوا من لحمه فتوضؤوا!

وهذه القصة مع أنه لا أصل لها في شيء من كتب السنة ولا في غيرها من كتب الفقه والتفسير، فإن أثرها سيىء جدًا في الذين يروونها، فإنها تصرفهم عن العمل بأمر النبي ﷺ لكل مَن أكل من لحم الإبل أن يتوضأ، كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «أَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ؟». قَالَ: «**نَعَمْ، فَتَوَضَّأْ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ**».

فهم يدفعون هذا الأمر الصحيح الصريح بأنه إنما كان سترًا على ذلك الرجل، لا تشريعًا!

وليت شعري كيف يعقل هؤلاء مثل هذه القصة ويؤمنون بها، مع بعدها عن العقل السليم، والشرع القويم؟! فإنهم لو تفكروا فيها قليلا، لتبين لهم ما قلناه بوضوح، فإنه مما لا يليق به ﷺ أن يأمر بأمرٍ لعلة زمنية، ثم لا يبين للناس تلك العلة، حتى يصير الأمر شريعة أبدية، كما وقع في هذا الأمر، فقد عمل به جماهير من أئمة الحديث والفقه، فلو أنه ﷺ كان أمر به لتلك العلة المزعومة لبينها أتم البيان، حتى لا يضل هؤلاء الجماهير باتباعهم للأمر المطلق! ولكن قبح الله الوضاعين في كل عصر وكل مِصر، فإنهم من أعظم الأسباب التي أبعدت كثيرا من المسلمين عن العمل بسنة نبيهم ﷺ، ورضي الله عن الجماهير العاملين بهذا الأمر الكريم، ووفق الآخرين للاقتداء بهم في ذلك وفي اتباع كل سنة صحيحة. [انظر: «السلسلة الضعيفة»، للألباني، رقم (١١٣٢)].

وجه النبي ﷺ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار، فأقبل فِتيان قريش من كل بطن رجل معهم عِصِيُّهم وقسيهم وهراواتهم، حتى إذا كانوا من النبي ﷺ على قدر مائتي ذراع معهم قُسِيُّهم وعِصِيُّهم، قال الدليل سراقة بن مالك المدلج: «انظروا في الغار!» فاستقدم القوم حتى إذا كانوا على خمسين ذراعا نظر أولهم فإذا الحمامات، فرجع، قالوا: «ما ردك أن تنظر في الغار؟»، قال: «رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد»، فسمعها النبي ﷺ فعرف أن الله عز وجل قد درأ عنهما بهما، فسمت عليهما فأحرزهما الله تعالى بالحرم فأفرخا كل ما ترون»[(١)].

حرف الميم

١٦٧٠- ما أتى رسول الله ﷺ أحدا من نسائه إلا متقنعا، يرخي الثوب على رأسه، وما رأيته من رسول الله ﷺ ولا رآه مني[(٢)].

١٦٧١- ما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحلال الحرام.

---

(١) ذكر الألباني في السلسلة الضعيفة برقم ١١٢٩ أن قوله تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[التوبة:٤٠] فيها ما يؤكد ضعف الحديث، لأنها صريحة بأن النصر والتأييد إنما كان بجنود لا ترى، والحديث يثبت أن نصره ﷺ كان بالعنكبوت، وهو مما يُرى، فتأمل.

والأشبه بالآية أن الجنود فيها إنما هم الملائكة، وليس العنكبوت ولا الحمامتين، ولذلك قال البغوي في [تفسيره (٤/ ١٧٤)] للآية: «وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته ﷺ».

(٢) رُوِيَ هذا الكذب عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ويدل على بطلانه القرآن الكريم وهو قول الله تَعَالَى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[البقرة:٢٢٣] أي: كيف شئتم، فمع هذه الإباحة الصريحة في كيفية الإتيان، لا يعقل هذا التضييق الذي تضمنه هذا الحديث الموضوع كما لا يخفى. وقد صح عن عائشة نفسها ما يدل على بطلانه، فقد قَالَتْ: «كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ تَخْتَلِفُ أَيْدِينَا فِيهِ». [رواه البخاري ومسلم] [انظر السلسلة الضعيفة، رقم ١١٣٥].

١٦٧٢ – ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب مؤمن إلا أعطاه الله عز وجل الرجاء وآمَنَه الخوف.

١٦٧٣ – ما أحسن القصد في الغنى، ما أحسن القصد في الفقر، وأحسن القصد في العبادة [١].

١٦٧٤ – ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق [٢].

١٦٧٥ – ما اختلط حبي بقلب عبد إلا حرم الله جسده على النار.

١٦٧٦ – ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام.

١٦٧٧ – ما أذنب عبد ذنبا فساءه إلا غفر الله له، وإن لم يستغفر منه.

١٦٧٨ – ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرًا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعَتْه وإن نظر إليها سَرَّتْه، وإن أقسم عليها أبَرَّتْه، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله [٣].

١٦٧٩ – ما أسر عبد سريرة إلا ألبسه الله رداءها إنْ خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

١٦٨٠ – ما أصَرَّ مَن استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة [٤].

---

(١) كان من دعاء النبي ﷺ: «... **وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ**...» (رواه الحاكم وابن حبان، وصححه الألباني)، وقال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**» (رواه البخاري ومسلم).

(٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ**: «**فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا**» **فَيَقُولُ**: «**مَا صَنَعْتَ شَيْئًا**». قَالَ: **ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ**: «**مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ**»، قَالَ: «**فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ**: «**نِعْمَ أَنْتَ**»، قَالَ الأَعْمَشُ: «أُرَاهُ قَالَ: فَيَلْتَزِمُهُ» [رواه مسلم].

(فَيُدْنِيه مِنْهُ وَيَقُول: نِعْمَ أَنْتَ) هُوَ بِكَسْرِ النُّون وَإِسْكَان الْعَيْن وَهِيَ نِعْمَ الْمَوْضُوعَة لِلْمَدْحِ، فَيَمْدَحهُ لإِعْجَابِهِ بِصُنْعِهِ، وَبُلُوغه الْغَايَة الَّتِي أَرَادَهَا. (فَيَلْتَزِمهُ) أَيْ: يَضُمّهُ إِلَى نَفْسه وَيُعَانِقهُ.

(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟»، قَالَ: «**الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا، وَلا فِي مَالِهِ**» [رواه الإمام أحمد في المُسند، والنسائي، وحسّنه الألباني والأرنؤوط].

(٤) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لابْنِ عَبَّاسٍ: «كَمِ الْكَبَائِرُ؟ أَسَبْعٌ هِيَ؟»، قَالَ: «إِلَى سَبْعِمِائَةٍ أَقْرَبُ مِنْهَا =

١٦٨١- «ما أطيب مالك»، رُوِيَ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أطيب مالك، منه بلال مؤذني، وناقتي التي هاجرتُ عليها، وزوجتني ابنتك، وواسيتني بنفسك ومالك، كأني انظر إليك على باب الجنة تشفع لأمتي».

١٦٨٢- ما أعمال البر كلها في الجهاد إلا كبصقة في بحرٍ، وما أعمال البر كلها والجهاد في طلب العلم إلا كبصقة في بحر.

١٦٨٣- «مَا أَكرَمَ شَابٌ شَيخًا عِندَ سِنِّهِ، إلا قَيَّضَ اللهُ - عز وجل- مَنْ يُكرِمُهُ عِندَ سِنِّهِ».

١٦٨٤- ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم.

١٦٨٥- «ما الذي أبكاك يا فاطمة؛ لا أبكى الله لك عينًا»، رُوِيَ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل على فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فوجدها تطحن شعيرًا وهي تبكي، فقال لها: «ما الذي أبكاك يا فاطمة؛ لا أبكى الله لك عينًا»، فقالت: «أبكاني مكابدة الطحين، وشغل البيت وأنا حامل، فجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم، ثم جعل الطحين بيديه المباركتين، وألقاه، في الرحى وهي تدور وحدها، وتسبّح الله سبحانه وتعالى بلسان فصيح، وصوت مليح، ولم تزل كذلك حتى فرغ الشعير، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اسكني أيتها الرحى»، فقالت الرحى: «يا رسول الله، والذي بعثك بشيرًا ونذيرًا، لو أمرتني لطحنت شعير المشارق والمغارب طاعة لله ومحبة فيك يا رسول الله، ولكن لا أسكن حتى تضمن لي على الله الجنة ففي القرآن يا رسول الله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أبشري فإنك من أحجار الجنة في قصر فاطمة الزهراء»، فعند

= إِلَى سَبْعٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ» [رواه الطبري في التفسير (٨/ ٢٤٥)، وإسناده صحيح].

ذلك سكنت. فقال النبي ﷺ: «يا فاطمة! لو شاء الله سبحانه وتعالى لطحنَت الرحى وحدها، وكذلك أراد الله تعالى أن يكتب لك الحسنات، ويمحو عنك السيئات، ويرفع لك الدرجات في الجنة في احتمال الأذى والمشقات. يا فاطمة ما من امرأة طحنت بيديها إلا كتب الله لها بكل حبة حسنة ومحا عنها بكل حبة سيئة، يا فاطمة ما من امرأة عرقت عند خبزها، إلا جعل الله بينها وبين جنهم سبعة خنادق من الرحمة، يا فاطمة ما من امرأة غسلت قدرها، إلا وغسلها الله من الذنوب والخطايا، يا فاطمة ما من امرأة نسجت ثوبًا إلا كتب الله لها بكل خيط واحد مائة حسنة، ومحا عنها مائة سيئة، يا فاطمة أفضل أعمال النساء المغازل، يا فاطمة ما من امرأة برمت مغزلها إلا كان له دوي تحت العرش، فتستغفر لها الملائكة في السماء، يا فاطمة ما من امرأة غزلت لتشتري لأولادها أو عيالها، إلا كتب الله لها ثواب من أطعم ألف جائع وأكسى ألف عريان، يا فاطمة ما من امرأة دهنت رؤوس أولادها، وسرحت شعورهم، وغسلت ثيابهم وقتلت قملهم إلا كتب الله لها بكل شعرة حسنة، ومحا عنها بكل شعرة سيئة، وزينها في أعين الناس أجمعين، يا فاطمة ما من امرأة منعت حاجة جارتها إلا منعها الله الشرب من حوضي يوم القيامة، يا فاطمة خمسة من الماعون لا يحل منعهن: الماء، والنار، والخمير، والرحى، والإبرة، ولكل واحد منهن آفة، فمن منع الماء بُلِيَ بعلة الاستسقاء، ومن منع الخمير بُلِيَ بالغاشية، ومن منع الرحى بُلِيَ بصدع الرأس، ومن منع الإبرة بُلِيَ بالمغص، يا فاطمة أفضل من ذلك كله رضا الله ورضا الزوج عن زوجته، يا فاطمة والذي بعثني بالحق بشيرًا ونذيراُ لو متِّ، وزوجك غير راضٍ عنك ما صليتُ عليك، يا فاطمة أما علمت أن رضا الزوج من رضا الله، وسخط الزوج من سخط الله؟ يا فاطمة، طوبى لامرأة رضي عنها زوجها، ولو ساعة من النهار، يا فاطمة مامن إمرأة

رضي عنها زوجها يومًا وليلة، إلا كان لها عند الله أفضل من عبادة سنة واحدة صيامها وقيامها، يا فاطمة مامن إمرأة رضي عنها زوجها ساعة من النهار، إلا كتب الله لها بكل شعرة في جسمها حسنة، ومحا عنها بكل شعرة سيئة، يا فاطمة إن أفضل عبادة المرأة في شدة الظلمة أن تلزم بيتها، يا فاطمة امرأة بلا زوج كدار بلا باب، امرأة بلا زوج كشجرة بلا ثمرة، يا فاطمة جلسة بين يدي الزوج أفضل من عبادة سنة، يا فاطمة إذا حملت المرأة تستغفر لها الملائكة في السماء والحيتان في البحر، وكتب الله لها في كل يوم ألف حسنة، ومحا عنه ألف سئية. فإذا أخذها الطلق كتب الله لها ثواب المجاهدين وثواب الشهداء والصالحين، وغسلت من ذنوبها كيوم ولدتها أمها، وكتب الله لها ثواب سبعين حجة. فإن أرضعت ولدها كتب لها بكل قطرة من لبنها حسنة، وكفر عنها سيئة، واستغفر لها الحور العين في جنات النعيم، يا فاطمة ما من امرأة عبست في وجه زوجها، إلا غضب الله عليها وزبانيةالعذاب، يا فاطمة ما من امرأة قالت لزوجها أفٍ لك، إلا لعنها الله من فوق العرش والملائكة والناس أجمعين، يا فاطمة ما من امرأة خففت عن زوجها من كآبته درهمًا واحدًا، إلا كتب الله لها بكل درهم واحد قصرًافي الجنة، يا فاطمة ما من امرأة صلّت فرضها ودعت لنفسها ولم تدع لزوجها، إلا رد الله عليها صلاتها، حتى تدعو لزوجها، يا فاطمة ما من امرأة غضب عليها زوجها ولم تسترض منه حتى يرضى إلا كانت في سخط الله وغضبه حتى يرضى عنها زوجها، يا فاطمة ما من امرأة لبست ثيابها وخرجت من بيتها بغير إذن زوجها إلا لعنها كل رطب ويابس حتى ترجع إلى بيتها، يا فاطمة ما من امرأة نظرت إلى زوجها ولم تضحك له، إلا غضب عليها في كل شيء، يا فاطمة ما من امرأة كشفت وجهها بغير إذن زوجها، إلا أكبها الله على وجهها في النار، يا فاطمة ما من امرأة أدخلت إلى بيتها ما يكره زوجها،

إلا أدخل الله في قبرها سبعين حية وسبعين عقربة، يلدغونها إلى يوم القيامة، يا فاطمة ما من امرأة صامت صيام التطوع ولم تستشر زوجها، إلا رد الله صيامها، يا فاطمة ما من امرأة تصدقت من مال زوجها، إلا كتب الله عليها ذنوب سبعين سارقًا». فقالت له فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يا أبتاه، متى تدرك النساء فضل المجاهدين في سبيل الله تعالى؟»، فقال لها: «ألا أدلك على شيء تدركين به المجاهدين وأنت في بيتك؟»، فقالت: «نعم، يا أبتاه». فقال: «تصلّين في كل يوم ركعتين تقرئين في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ثلاث مرات، فمن فعل ذلك كتب الله له ولها ثواب المجاهدين في سبيل الله تعالى.

١٦٨٦- ما الموت فيما بعده إلا كنطحة عنز.

١٦٨٧- ما الميت في قبره إلا كالغريق المستغيث ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أم أو أخ أو صديق، فإذا لحقَتْه كانت أحب أليه من الدنيا وما فيها، وإن الله - عز وجل - لَيُدْخِل على أهل القبور من دعاء أهل الدور أمثال الجبال، وإن هدية الأحياء إلى الأموات الاستغفار.

١٦٨٨- ما ألقى البحر أو جزر عنه فكلوه وما مات فيه وطفا فلا تأكلوه.

١٦٨٩- «ما أنا أخرَجْتُكم من قِبَل نفسي»، رُوِيَ عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أخرج أهل المسجد وترك عليًا قال الناس في ذلك، فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ما أنا أخرَجْتُكم من قِبَل نفسي، ولا أنا تركْتُه، ولكن الله أخرَجَكم وترَكه، إنما أنا عبد مأمور، ما أمِرْتُ به فعلْتُ ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [الأنعام:٥٠].

١٦٩٠- «مَا انْتَجَيْتُهُ وَلَكِنَّ اللهَ انْتَجَاهُ». رُوِيَ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دَعَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلِيًّا يَوْمَ الطَّائِفِ فَانْتَجَاهُ، فَقَالَ النَّاسُ: «لَقَدْ طَالَ نَجْوَاهُ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «مَا انْتَجَيْتُهُ وَلَكِنَّ اللهَ انْتَجَاهُ»[1].

(١) مَعْنَى قَوْلِهِ «وَلَكِنَّ اللهَ انْتَجَاهُ». يَقُولُ اللهُ أَمَرَنِى أَنْ أَنْتَجِيَ مَعَهُ. (انتجى فلانًا): ناجاه: سارّه: أفضى =

١٦٩١- «مـا أنت بمُنْتَهٍ يا عمر؟»، رُوِيَ أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سـألت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لأي شيء سُمِّيت الفاروق؟»، قال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام، ثم شرح الله صدري للإسلام، فقلت: الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، فما في الأرض نسمة أحب إلي من نَسَمَةِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قلت: «أين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟»، قالـت أختـي: «هـو في دار الأرقم بن أبـي الأرقم عنـد الصفا»، فأتيـت الدار، وحمزة في أصحابه جلوس في الدار، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البيت، فضربتُ الباب فاسـتجمع القـوم، فقال لهم حمـزة: «مالكم؟»، قالوا: «عمر»، فخرج رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخـذ بمجامـع ثيابه ثم نثره فما تمالـك أن وقع على ركبته، فقال: «ما أنت بمُنْتَهٍ يا عمر؟»، فقلت: أشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسـوله»، قال: فكبر أهل الدار تكبيرة سـمعها أهل المسجد، فقلت: «يا رسـول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟»، قال: «بلى، والذي نفسـي بيده، إنكـم على الحـق إن متم وإن حييتـم»، فقلت: «ففيـم الاختفاء؟ والذي بعثـك بالحق لتخرجن»، فأخرجناه في صفين حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، له كديد ككديد الطحين حتى دخلنا المسـجد، فنظرت إليَّ قريشٌ وإلى حمزة فأصابَتْهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ الفاروق. وفرق الله بين الحق والباطل».

١٦٩٢- «ما أنت بمُنْتَهِيَةٍ يا حميراء عن ابْنَتي؟»، رُوِيَ عن الأسود بن جبر المغافري قال: دخل رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عائشـة وفاطمة، وقـد جرى بينهما كلام، فقال: «ما أنت بمُنْتَهِيَةٍ يا حميراء عن ابْنَتي؟».

١٦٩٣- مـا أنعـم الله تعالـى علـى عبـد مـن نعمـة فقـال: «الحمـد لله»

= كلٌّ منهما إلى الآخر بما يخصّه به، ويكتمه غيرَه.

إلا أدى شكرها، فإن قالها الثانية جدد الله له ثوابها، فإن قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه[١].

١٦٩٤- ما أنعمَ اللهُ - عز وجل - عَلى عبدٍ نِعمةً في أهلٍ ومالٍ. وَوَلدٍ، فَيقولُ: مَا شاءَ اللهُ، لا قوةَ إلا باللهِ، فَيَرى فِيهِ آفةً دُونَ الموت.

١٦٩٥- ما أنعم الله على عبد نعمة في مال، أوأهل، أوولد، فقال: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، فيرى فيها آفة دون الموت، وقرأ ﷺ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩].

١٦٩٦- «ما بال ابنك يشكو؟»، رُوِيَ أن رجلًا جاءَ إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله إنَّ أبي أخذَ مالي»، فقال ﷺ: «فأتني بأبيك»، فنزلَ جبريلُ - عليهِ السلام - فقالَ لرسولِ الله ﷺ: «إذا جاءَكَ والدهُ الشيخ فاسألهُ عن شيءٍ قاله في نفسه ولم تسمعه أذناه»، فلمّا جاءَ الشيخ قال له النبي ﷺ: «ما بال ابنكَ يشكوكَ أَنْ أخذت ماله؟». فقال: «سَله يا رسول الله هل أنفقتُه على نفسي أم على إحدى عمّاته؟»، فقال له النبي ﷺ: «فأخبرني عن شيءٍ قُلتَهُ في نفسكَ ولم تسمعه أذناك وأنتَ قادمٌ إليّ؟»، فقال الشيخ: «واللهِ يا رسولَ اللهِ، ما زال اللهُ يزيدُنا بكَ يقينًا، لقد قُلتُ في نفسي ولم تسمعه أذناي:

غَذَوتُكَ مولودًا وعلْتُكَ يافعًا ... تُعَلُّ بما أُدنِي إليكَ وتَنهلُ
إذا ليلةٌ ضافتكَ بالسُّقمِ لم أبِتْ ... لسُقمِكَ إلاّ ساهرًا أتملْمَلُ
كأنّي أنا المطْروقُ دونَكَ بالذي ... طُرقتَ به دوني فعينيَ تَهمِلُ
فلمّا بلغتَ السِنَّ والغايةَ التي ... إليها مدى ما كُنتُ فيكَ أُؤمّلُ

---

(١) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ الْحَمْدُ لِلهِ، إلاَّ كَانَ الَّذِى أَعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ» [رواه ابن ماجه، وحسّنه الألباني]. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَنْعَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ، إِلَّا كَانَ الْحَمْدُ أَكْثَرَ مِنَ النِّعْمَةِ» [رواه الخرائطي في (فضيلة الشكر) وحسّنه الألباني].

جَعَلتَ جزائي غِلظَةً وفظاظَةً كأنّكَ أنتَ المُنعِمُ المتَفضّلُ
فليتَكَ إذْ لم تَرْعَ حَقَّ أبوَّتي فَعَلتَ كما الجارُ المصاقِبُ يفعلُ
فأوليتَني حَقَّ الجوارِ ولم تكُن عَليَّ بمالٍ دونَ مالِكَ تبخَلُ

فبكى النبي ﷺ حتّى ابتلَّتْ لحيتُه الشريفةُ، ثُمَّ أمْسَكَ ﷺ بتلابيبِ الوَلدِ وقال: «أنتَ ومالُكَ لأبيك».

١٦٩٧- «ما بال أقوال تبلغني عن أقوام»، رُوِيَ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينا نحن جلوس بفناء رسول الله ﷺ إذ مرت امرأة، فقال رجل من القوم: «هذه ابنة محمد»، فقال أبو سفيان: «إن مَثَل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط النتن»، فانطلقت المرأة، فأخبرت النبي ﷺ، فخرج النبي ﷺ يُعرَف الغضب في وجهه، فقال: «ما بال أقوال تبلغني عن أقوام، إن الله – عز وجل – خلق السماوات سبعًا فاختار العليى منها فسكنها [1]، وأسكن سائر سماواته مَن شاء مِن خلقه، وخلق الأرضين سبعًا فاختار العليى منها فأسكنها مَن شاء مِن خلقه، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشًا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم [2] فأنا من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحُبي أحَبَّهم، ومَن أبغض العرب فببغضي أبْغَضَهم».

(١) الله فوق العرش، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. وقال ﷺ للجارية: «أَيْنَ اللهُ»، قَالَتْ: «فِي السَّمَاءِ». قَالَ: «مَنْ أَنَا». قَالَتْ: «أَنْتَ رَسُولُ اللهِ»، فقَالَ لسيدها: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، [رواه مسلم]. وقد صنّف الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللهُ كتابًا سمّاه: (العلو للعليّ الغفّار) ساق فيه الأدلة على علو الله على عرشه، وهي كثيرة. قال العلماء: إن أدلة علو الله على عرشه تبلغ ألف دليل أو أكثر من الوحي، ومن الفطرة، ومن الأدلة العقلية، وهذا ثابت لا شك فيه، ولا ينكره إلاّ الملاحدة من الجهميّة وغيرهم.

(٢) قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ». [رواه مسلم].

١٦٩٨- ما بين الأرض والسماء مسيرة خمسمائة عام، وغلظ السماء الدنيا خمس مائة عام، وما بين كل سماء الى السماء التي تليها مسيرة خمسمائة عام، والأرضين مثل ذلك، وما بين السماء السابعة الى العرش مثل جميع ذلك، ولو حفرتم لصاحبكم ثم دليتموه لوجد الله ثمة».

١٦٩٩- ما تبعد مصر على حبيب.

١٧٠٠- ما ترك الحق لعمر صديقًا.

١٧٠١- ما ترك القاتل على المقتول من ذنب(١).

١٧٠٢- ما ترك عبد شيئا لله، لا يتركه إلا لله إلا عوضه منه ما هو خيرٌ له فى دينه ودنياه (٢).

١٧٠٣- ما تقارع كأسان إلا حرم ما فيهما.

١٧٠٤- ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة.

١٧٠٥- ما جمع شيء إلى شيء أفضل من علم إلى حلم.

١٧٠٦- ما حسَّن الله خُلُق أحد وخَلْقه فأطعم لحمه النار.

---

(١) قال الألباني في (السلسلة الضعيفة ١/ ٤٥٦، رقم ٢٨٧): «لا أصل له، ولا يعرف في شيء من كتب الحديث بسند صحيح ولا حسن ولا ضعيف أيضا، ولكن قد يتفق في بعض الأشخاص يوم القيامة أن يطالب المقتول القاتل، فتكون حسنات القاتل لا تفي بهذه المظلمة فتحول من سيئات المقتول إلى القاتل كما ثبت به الحديث الصحيح في سائر المظالم، والقتل من أعظمها، كذا في [البداية والنهاية (١ / ٩٣ - ٩٤) لابن كثير].

قلت(أي الألباني): يشير إلى قوله ﷺ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ**». [رواه مسلم].

(٢) قال ﷺ: «**إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا للهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ بَدَّلَكَ اللهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ**». [رواه الإمام أحمد، وقال الألباني: سنده صحيح على شرط مسلم]. أما لفظ «ما ترك عبد شيئا لله لا يتركه إلا لله إلا عوضه منه ما هو خير له فى دينه و دنياه». فقال الألباني: «موضوع بهذا اللفظ... نعم صح الحديث بدون قوله في آخره «في دينه و دنياه». [انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (١ / ٦١)].

١٧٠٧- ما حلف بالطلاق مؤمن، ولا استحلف به إلا منافق.

١٧٠٨- ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد.

١٧٠٩- ما خلا جسد من حسد.

١٧١٠- ما خلا قصير من مكر.

١٧١١- ما خلف عبد على أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرًا.

١٧١٢- ما خلق الله في الأرض شيئًا أقل من العقل، وإن العقل في الأرض أقل من الكبريت الأحمر.

١٧١٣- ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئًا فهو عند الله سيء [1].

---

(١) لا أصل له مرفوعًا وإنما ورد موقوفًا على عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ». أخرجه أحمد وقال الألباني: «هذا إسناد حسن. وروى الحاكم منه الجملة التي أوردنا في الأعلى [أي: فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ»] وزاد في آخره: «وقد رأى الصحابة جميعا أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه» وقال: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي...

وإن من عجائب الدنيا أن يحتج بعض الناس بهذا الحديث على أن في الدين بدعة حسنة، وأن الدليل على حُسْنها اعتياد المسلمين لها! ولقد صار من الأمر المعهود أن يبادر هؤلاء إلى الاستدلال بهذا الحديث عندما تثار هذه المسألة، وخفي عليهم أن هذا الحديث موقوف فلا يجوز أن يحتج به في معارضة النصوص القاطعة في أن «كل بدعة ضلالة» كما صح عنه ﷺ.

وعلى افتراض صلاحية الاحتجاج به فإنه لا يعارض تلك النصوص لأمور:

الأول: أن المراد به إجماع الصحابة واتفاقهم على أمر، كما يدل عليه السياق، ويؤيده استدلال ابن مسعود به على إجماع الصحابة على انتخاب أبي بكر خليفة، وعليه فاللام في (المسلمون) ليس للاستغراق كما يتوهمون، بل للعهد.

الثاني: سلمنا أنه للاستغراق ولكن ليس المراد به قطعا كل فرد من المسلمين، ولوكان جاهلًا لا يفقه من العلم شيئًا، فلابد إذن من أن يحمل على أهل العلم منهم، وهذا مما لا مفر لهم منه فيما أظن. فإذا صح هذا فمن هم أهل العلم؟ وهل يدخل فيهم المقلدون الذين سدوا على أنفسهم باب الفقه =

١٧١٤ - مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ حَتَّى سَمَّى فَمَا بَقِيَ فِي بَطْنِهِ شَيْءٌ إِلَّا قَاءَهُ»، رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْكُلُ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ فَلَمْ يُسَمِّ اللهَ حَتَّى كَانَ فِي آخِرِ طَعَامِهِ فَقَالَ: «بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ حَتَّى سَمَّى فَمَا بَقِيَ فِي بَطْنِهِ شَيْءٌ إِلَّا قَاءَهُ».

١٧١٥ - «مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَقَاءَ مَا فِى بَطْنِهِ»، رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يَأْكُلُ فَلَمْ يُسَمِّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إِلاَّ لُقْمَةٌ فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ قَالَ: «بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ»، فَضَحِكَ النَّبِىُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ «مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَقَاءَ مَا فِى بَطْنِهِ».

١٧١٦ - ما زنى عبد قط فأدمن على الزنا إلا ابتلي في أهل بيته [1].

١٧١٧ - ما شبهت خروج المؤمن من الدنيا إلا مثل خروج الصبي من بطن أمه، من ذلك الغم والظلمة إلى روح الدنيا.

١٧١٨ - ما صِيدَ مِن صَيْد، ولا قُطِع مِن شجر إلا بتضييعه التسبيح.

١٧١٩ - ما طُعِمَ طعامٌ على مائدة ولا جُلِس عليها وفيها اسمي إلا قُدِّسُوا في كل يوم مرتين.

= عن الله ورسوله ﷺ، وزعموا أن باب الاجتهاد قد أغلق؟ كلا ليس هؤلاء منهم.

وخلاصة القول: أن حديث ابن مسعود هذا الموقوف لا متمسك به للمبتدعة، كيف وهو رضي الله عنه أشد الصحابة محاربة للبدع والنهي عن اتباعها، وأقواله وقصصه في ذلك معروفة في (سنن الدارمي) و(حلية الأولياء) وغيرهما، وحسبنا الآن منها قوله رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم، عليكم بالأمر العتيق».

فعليكم أيها المسلمون بالسنة تهتدوا وتفلحوا (انظر: السلسلة الضعيفة ٥٣٣).

(١) قال الألباني في (السلسلة الضعيفة، (٢/ ١٥٥، رقم ٧٢٣): ومما يؤيد بطلان هذا الحديث أنه يؤكد وقوع الزنى في أهل الزاني، وهذا باطل يتنافى مع الأصل المقرر في القرآن (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى). نعم إن كان الرجل يجهر بالزنا ويفعله في بيته فربما سرى ذلك إلى أهله والعياذ بالله تعالى ولكن ليس ذلك بحتم كما أفاده هذا الحديث، فهو باطل.

١٧٢٠ - «ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر»، رُوِيَ عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال عمر ذات يوم لأبي بكر: «يا خير الناس بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، فقال أبو بكر: «أما إن قلت ذاك، لقد سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما طلعت الشمس على خير من عمر».

١٧٢١ - ما عُبِدَ اللهُ بشيء أفضل من الفقه في الدين، ولفقيه واحد أَشَدُّ على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد، وعماد الدين الفقه.

١٧٢٢ - ما عُبِدَ اللهُ بشيء أعظمَ مِن جبْر الخواطر.

١٧٢٣ - ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ أعظمَ مِن جَبْرِ القلوب.

١٧٢٤ - مَا عَظُمتْ نِعمةُ اللهِ عَلَى عَبدٍ، إلا عَظُمتْ مَؤونَةُ النَّاسِ عَليهِ، فَمَنْ لَمْ يَحتَمِلْ تِلكَ المَؤونَةَ، فَقَدْ عَرَّضَ النِّعمةَ لِلزوَالِ.

١٧٢٥ - مَا عَظُمتْ نِعمةُ اللهِ تعالى عَلَى عَبدٍ إلا كثرت حوائج الناس إليه، فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال.

١٧٢٦ - ما على أحدِكم إذا أراد أن يتصدق للهِ صدقةً تطوعًا أن يجعلها عن والديه إذا كانا مسلمين، فيكون لوالديه أجرها، وله مثل أجورهما بعد أن لا ينقص من أجورهما شيءٌ.

١٧٢٧ - ما علم اللهُ مِن عبدٍ ندامةً على ذنب إلا غفر له قبل أن يستغفر.

١٧٢٨ - ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم، إنه ليأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطِيبُوا بها نفسًا.

١٧٢٩ - ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في صدره.

١٧٣٠ - ما قدمْتُ أبا بكر وعمر، ولكن الله قدمهما.

١٧٣١- ما قُرِنَ شيءٌ إلى شيءٍ أحسنَ مِن حِلْمٍ إلى علم.

١٧٣٢- ما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل.

١٧٣٣- ما كبيرةٌ بكبيرةٍ مع الاستغفار ولا صغيرةٌ بصغيرةٍ مع الإصرار[١].

١٧٣٤- ما كرهت أن تواجه به أخاك فهو غيبة.

١٧٣٥- ما كل مرة تسلم الجرَّة.

١٧٣٦- «مَا كُنْتِ تَسْمَعِيْنَ الدَّقَّ؟!». رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «أَتَانِي رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي غَيْرِ يَوْمِي يَطْلُبُ مِنِّي ضَجْعًا، فَدَقَّ، فَسَمِعْتُ الدَّقَّ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَفَتَحْتُ لَهُ، فَقَالَ: «مَا كُنْتِ تَسْمَعِيْنَ الدَّقَّ؟!»، قُلْتُ: «بَلَى، وَلَكِنَّنِي أَحْبَبْتُ أَنْ يَعْلَمَ النِّسَاءُ أَنَّكَ أَتَيْتَنِي فِي غَيْرِ يَوْمِي».

١٧٣٧- ما للنفساء عندي شفاء مثل الرطب[٢]، ولا للمريض مثل العسل[٣].

---

(١) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لابْنِ عَبَّاسٍ: «كَمِ الْكَبَائِرُ؟ أَسَبْعٌ هِيَ؟»، قَالَ: «إِلَى سَبْعِمِائَةٍ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى سَبْعٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لا كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ، وَلا صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ» [رواه الطبري في التفسير (٨/ ٢٤٥)، وإسناده صحيح].

(٢) قَالَ تعَالَىٰ: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم]. وقد أخذ بعض العلماء من هذه الآيات أن خير ما تأكله المرأة بعد ولادتها الرطب، قالوا: لأنه لو كان شيء أحسن للنفساء من الرطب لأطعمه الله لمريم.

(٣) قَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «**الشِّفَاءُ فِي ثَلاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيَّةٍ بِنَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ**». [رواه البخاري].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: «إِنَّ أَخِي اسْتَطْلَقَ بَطْنُهُ»، =

١٧٣٨- مالـي أراك متغير اللون»، روى عن أنس بن مالك ﵁ قال: جاء جبريـل إلـى النبي ﷺ في سـاعةٍ ما كان يأتيه فيهـا متغيّر اللون، فقـال له النبي ﷺ: «مالـي أراك متغير اللـون»، فقال: «يا محمد، جئتُكَ في السـاعة التي أمر الله بمنافـخ النـار أن تنفخ فيهـا، ولا ينبغي لمن يعلم أن جهنم حـق، و أن النار حـق، وأن عذاب القبر حق، وأن عذاب الله أكـبر أنْ تقرّ عينه حتى يأمنها، فقال النبـي ﷺ: «يـا جبريل صِـف لي جهنم»، قـال: «نعم، إن الله تعالـى لمّا خلق جهنـم أوقد عليها ألف سـنة فاحْمَـرّت، ثم أوقد عليها ألف سـنة فابْيَضّت، ثم أوقد عليها ألف سنة فاسْوَدّت، فهي سوداء مُظلمة لا ينطفئ لهبها ولا جمرها، والـذي بعثك بالحق، لو أن خُرْم إبرة فُتِـحَ منها لاحترق أهل الدنيا عن آخرهم مـن حرّهـا، والـذي بعثك بالحـق، لو أن ثوبًـا من أثواب أهـل النـار عَلِقَ بين السـماء و الأرض، لمات جميع أهل الأرض مـن نَتَنِهَا وحرّها عن آخرهم لما يجـدون من حرهـا، والذي بعثـك بالحق نبيًا، لـو أن ذراعًا من السلسـلة التي ذكرهـا الله تعالـى في كتابه وُضِع على جبـلٍ لَذابَ حتى يبلُغ الأرض السـابعة، والذي بعثك بالحق نبيًا، لو أنّ رجلًا بالمغرب يُعَذّب لاحترق الذي بالمشـرق من شـدة عذابها. حرّها شـديد، و قعرها بعيد، وحُلِيُّها حديد، و شرابها الحميم

= فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اسْقِهِ عَسَلًا**» فَسَقَاهُ، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: «إِنِّي سَقَيْتُهُ عَسَلًا فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا»، فَقَالَ لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَاءَ الرَّابِعَةَ فَقَالَ: «**اسْـقِهِ عَسَـلًا**»، فَقَالَ: «لَقَدْ سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صَدَقَ اللهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ**» فَسَقَاهُ فَبَرَأَ [رواه مسلم].

(اسْـتَطْلَقَ بَطْنُهُ) فَسَـدَتْ مَعِدَتُهُ، الاسـتطلاق الإسـهال (صَدَقَ اللهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيـكَ) الْمُرَادُ قَوْلُهُ تَعَـالَى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾، وَهُوَ الْعَسَـلُ، وَهَـذَا تَصْرِيحٌ مِنْهُ ﷺ بِأَنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ فِيهِ شِفَاءٌ يَعُودُ إِلَى الشَّرَابِ الَّذِي هو العسل.

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الْآيَةُ عَلَى الْخُصُوصِ، أَيْ شِـفَاءٌ مِنْ بَعْضِ الْأَدْوَاءِ، وَلِبَعْضِ النَّاسِ وَكَانَ دَاءُ هَذَا الْمَبْطُونِ مِمَّا يُشْـفَى بِالْعَسَـلِ، وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَلَكِنْ عِلْمَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ دَاءَ هَذَا الرَّجُلِ مِمَّا يُشْفَى بِالْعَسَلِ، وَاللهُ أعلم.

والصديـد، و ثيابهـا مقطعـات النيران، لها سـبعة أبواب، لكل بـاب منهم جزءٌ مقسـومٌ مـن الرجال والنسـاء. فقـال ﷺ: «أهـي كأبوابنا هـذه؟! » قال: «لا، ولكنها مفتوحة، بعضها أسفل من بعض، من باب إلى باب مسيرة سبعين سنة، كل باب منها أشـد حرًا من الذي يليه سـبعين ضعفًا، يُساق أعداء الله إليها فإذا انتهوا إلى بابها اسـتقبلتهم الزبانية بالأغلال و السلاسـل، فتسـلك السلسلة في فمـه وتخرج مـن دُبُـرِه، وتُغَلّ يده اليسـرى إلى عنقـه، وتُدخَل يـده اليمنى في فؤاده، وتُنزَع من بين كتفيه، وتُشـدّ بالسلاسـل، ويُقرّن كل آدمي مع شـيطان في سلسـلة، ويُسـحَبُ علـى وجهه، وتضربـه الملائكـة بمقامع من حديـد، كلما أرادوا أن يخرجـوا منها من غم أُعيدوا فيها. فقال النبي ﷺ: «مَنْ سـكّان هذه الأبواب؟!»، فقال: «أما الباب الأسـفل ففيه المنافقون، ومَن كفر مِن أصحاب المائدة، وآل فرعون، واسـمها الهاوية، و الباب الثاني فيه المشـركون واسـمه الجحيم، والباب الثالث فيه الصابئون واسـمه سَـقَر، والباب الرابع فيه إبليس ومن تَبِعَهُ والمجوس واسمه لَظَى، والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحُطَمَة، والبـاب السـادس فيـه النصارى واسـمه العزيز»، ثم أمسـكَ جبريـلُ حياءً من رسول الله ﷺ، فقال له ﷺ: «ألا تخبرني مَن سكان الباب السابع؟!»، فقال: «فيـه أهل الكبائر مـن أمتك الذين ماتوا و لـم يتوبوا»، فخَرّ النبي ﷺ مغشـيًّا عليـه، فوضع جبريل رأسـه علـى حِجْرِه حتى أفـاق، فلما أفاق قـال ﷺ: «يا جبريل، عَظُمَتْ مصيبتي، و اشـتدّ حزني، أَوَ يدخل أحدٌ من أمتي النار؟»، قال: «نعم، أهل الكبائر من أمتك»، ثم بكى رسـول الله ﷺ، وبكى جبريل، و دخل رسـول الله ﷺ منزلـه واحتجـب عن الناس، فـكان لا يخـرج إلا إلى الصلاة يصلي ويدخـل ولا يكلم أحدًا، يأخذ في الصلاة يبكي و يتضرّع إلى الله تعالى. فلمـا كان اليـوم الثالث، أقبـل أبو بكر رضي الله عنه حتى وقف بالباب وقال: «السـلام

عليكـم يـا أهل بيت الرحمة، هل إلى رسـول الله من سـبيل؟»، فلـم يُجبه أحد فتنحّـى باكيًـا. فأقبـل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فوقف بالبـاب وقال: «السـلام عليكم يا أهل بيـت الرحمـة، هل إلى رسـول الله من سـبيل؟»، فلم يُجبه أحـد فتنحّى يبكي. فأقبل سـلمان الفارسـي حتى وقف بالباب، وقال: «السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة، هل إلى مولاي رسـول الله من سـبيل؟»، فأقبل يبكي مرة، ويقع مرة، ويقـوم أخرى، حتى أتى بيـت فاطمة، ووقف بالباب، ثم قال: «السـلام عليك يـا ابنـة رسـول الله ﷺ، وكان عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غائبًا، فقـال: «يا ابنة رسـول الله، إنّ رسـول الله ﷺ قد احتجب عن الناس؛ فليس يخرج إلا إلى الصلاة فلا يكلم أحـدًا ولا يأذن لأحـدٍ في الدخول». فاشـتملت فاطمة بعبـاءة قطوانية وأقبلت حتى وقفت على باب رسـول الله ﷺ ثم سـلّمت، وقالت: «يا رسـول الله، أنا فاطمة» ورسـول الله سـاجدٌ يبكي، فرفع رأسـه وقال: «ما بال قرة عيني فاطمة حُجِبَـت عني؟ افتحوا لهـا البـاب» ، ففُتِح لها الباب فدخلَـتْ، فلما نظرت إلى رسـول الله ﷺ بكـت بكاءً شـديدًا لِمَا رأت مـن حاله مُصفرًّا متغيـرًا قد ذاب لحم وجهه من البكاء و الحزن، فقالت: «يا رسول الله ما الذي نزل عليك؟! »، فقـال: «يـا فاطمة، جـاءني جبريل ووصف لي أبـواب جهنم، و أخـبرني أن في أعلـى بابهـا أهل الكبائـر من أمتـي، فذلك الـذي أبـكاني وأحزننـي» ، قالت: «يا رسـول الله كيف يدخلونها؟! »، قال: «بلى تسـوقهم الملائكة إلى النار، ولا تَسْـوَدّ وجوهـم، و لا تَزْرَقّ أعينهم، ولا يُخْتَم علـى أفواههم، ولا يقرّنون مع الشـياطين، و لا يوضع عليهم السلاسل والأغلال»، قالت: «يا رسول الله كيف تقودهـم الملائكـة؟! »، قال: «أمـا الرجال فباللحـى، وأما النسـاء فبالذوائب والنواصـي، فكـم مـن ذي شـيبةٍ مـن أمتـي يُقبَـضُ علـى لحيته وهـو ينادي: «واشَـيْبتاه، واضعفـاه»، وكم من شـاب قد قُبـض على لحيته، يُسـاق إلى النَّار

وهو ينادي: «واشباباه، واحُسْن صورَتاه»، وكم من امرأة من أمتي قد قُبض على ناصيتها تُقاد إلى النَّار وهي تنادي: «وافضيحتاه واهتك ستراه»، حتى يُنتهى بهم إلى مالك، فإذا نظر إليهم مالك قال للملائكة: «من هؤلاء؟»، فما ورد عليّ من الأشقياء أعجب شأنًا من هؤلاء، لم تَسْوَدّ وجوههم ولم تَزرقّ أعينهم ولم يُختَم على أفواههم ولم يُقرّنوا مع الشياطين ولم توضع السلاسل و الأغلال في أعناقهم!!»، فتقول الملائكة: «هكذا أُمِرنا أن نأتيك بهم على هذه الحالة»، فيقول لهم مالك: «يا معشر الأشقياء، من أنتم؟!».فيقولون: «نحن ممن أُنزل علينا القرآن، ونحن ممن يصوم رمضان»، فيقول لهم مالك: «ما أُنزل القرآن إلا على أمة محمد ﷺ»، فإذا سمعوا اسم محمد صاحوا: «نحن من أمة محمد ﷺ»، فيقول لهم مالك: «أما كان لكم في القرآن زاجرٌ عن معاصي الله تعالى». فإذا وقف بهم على شفير جهنم، ونظروا إلى النار وإلى الزبانية قالوا: «يا مالك ائذن لنا نبك على أنفسنا، فيأذن لهم، فيبكون الدموع حتى لم يبق لهم دموع، فيبكون الدم، فيقول مالك: «ما أحسن هذا البكاء لو كان في الدنيا، فلو كان في الدنيا من خشية الله ما مسّتكم النار اليوم». فيقول مالك للزبانية: «ألقوهم، ألقوهم في النار»، فإذا أُلقُوا في النار نادوا بأجمعهم: «لا إله إلا الله، فترجع النار عنهم»، فيقول مالك: «يا نار خذيهم»، فتقول: «كيف آخذهم و هم يقولون لا إله إلا الله؟»، فيقول مالك: «نعم، بذلك أمر رب العرش»، فتأخذهم، فمنهم من تأخذه إلى قدميه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حقويه، ومنهم من تأخذه إلى حلقه، فإذا أهوت النار إلى وجهه قال مالك: «لا تحرقي وجوههم فطالما سجدوا للرحمن في الدنيا، و لا تحرقي قلوبهم فلطالما عطشوا في شهر رمضان»، فيبقون ما شاء الله فيها، ويقولون: «يا أرحم الراحمين يا حنّان يا منّان»، فإذا

أنفـذ الله تعالـى حكمه قال: «يا جبريل، ما فعـل العاصون من أمة محمد ﷺ، فيقـول: «اللهـم أنت أعلـم بهم». فيقـول: «انطلق فانظـر ما حالهـم». فينطلق جبريل – عليه السـلام – إلى مالك و هو على منبر من نار في وسط جهنم، فإذا نظر مالك على جبريل – عليه السـلام – قام تعظيمًا له، فيقول له يا جبريل: «ما أدخلـك هـذا الموضـع؟»، فيقـول: «مـا فَعَلْـتَ بالعصابـة العاصيـة مـن أمة محمـد؟»، فيقـول مالـك: «مـا أسـوأ حالهـم وأضيَـق مكانهـم، قـد أُحرِقَت أجسـامهم، و أُكِلَت لحومهم، وبقِيَـت وجوههم وقلوبهم يتلألأ فيها الإيمان»، فيقـول جبريـل: «ارفـع الطبق عنهـم حتى أنظـر إليهم». فيأمـر مالـك الخَزَنَة فيرفعون الطبق عنهم، فإذا نظروا إلى جبريل وإلى حُسن خَلقه، علموا أنه ليس مـن ملائكة العـذاب فيقولـون: «من هـذا العبد الذي لـم نر أحدًا قط أحسـن منـه؟»، فيقـول مالـك: «هـذا جبريـل الكريـم الـذي كان يـأتي محمـدًا ﷺ بالوحـي»، فإذا سـمعوا ذِكْر محمـد ﷺ صاحوا بأجمعهم: «يـا جبريل أقرئ محمدًا ﷺ منا السـلام، وأخبره أن معاصينا فَرّقَت بيننا وبينك، وأخبره بسـوء حالنا»، فينطلـق جبريل حتى يقوم بين يدي الله تعالى، فيقول الله تعالى: «كيف رأيـت أمة محمد؟»، فيقول: «يا رب ما أسـوأ حالهم وأضيق مكانهم»، فيقول: «هل سـألوك شيئًا؟»، فيقول: «يا رب نعم، سألوني أن أُقرئ نبيّهم منهم السلام و أُخبره بسـوء حالهم»، فيقول الله تعالى: «انطلق فأخبِرْه»، فينطلق جبريل إلى النبـي ﷺ وهـو في خيمـة مـن درّة بيضـاء لهـا أربعـة آلاف باب، لـكل باب مصراعـان من ذهـب، فيقول: «يا محمد، قـد جئتك من عنـد العصابة العصاة الذين يُعذّبون من أمتك في النار، وهم يُقرِئُونك السلام ويقولون ما أسوأ حالنا، وأضيـق مكاننا»، فيـأتي النبي ﷺ إلى تحت العرش فيخرّ سـاجدًا ويُثْنِي على الله تعالـى ثناءً لم يثـنِ عليه أحد مثله. فيقول الله تعالى: «ارفع رأسـك، وسَـلْ

تُعْطَ، واشفع تُشفّع»، فيقول: «يا رب، الأشقياء من أمتي قد أنفذتَ فيهم حكمك وانتقمت منهم، فشفّعني فيهم»، فيقول الله تعالى: «قد شفّعْتُك فيهم، فَأْتِ النار فأخرِج منها من قال لا إله إلا الله». فينطلق النبي ﷺ فإذا نظر مالك إلى النبي ﷺ قام تعظيمًا له فيقول: «يا مالك ما حال أمتي الأشقياء؟!». فيقول: «ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم». فيقول محمد ﷺ: «افتح الباب وارفع الطبق»، فإذا نظر أصحاب النار إلى محمد ﷺ صاحوا بأجمعهم فيقولون: «يا محمد، أَحْرَقت النار جلودنا وأحرقت أكبادنا»، فيُخرجهم جميعًا وقد صاروا فحمًا قد أكلتهم النار، فينطلق بهم إلى نهر بباب الجنة يسمى نهر الحيوان، فيغتسلون منه فيخرجون منه شبابًا جُرْدًا مُرْدًا مُكحّلين وكأنّ وجوههم مثل القمر، مكتوب على جباههم: «الجهنّميون عتقاء الرحمن من النار»، فيدخلون الجنة، فإذا رأى أهل النار أن المسلمين قد أُخرجوا منها قالوا: «يا ليتنا كنا مسلمين وكنا نخرج من النار»، وهو قوله تَعَالَىٰ: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر:٢](١).

١٧٣٩- ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ ثلاث مرات و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ اثنتي عشرة مرة، فإذا فرغ من صلاته صلى عليَّ سبعين مرة، يقول: «اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله»، ثم يسجد، ويقول في سجوده سبعين مرة: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح»، ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة: «رب اغفر وارحم، وتجاوز عما تعلم، إنك أنت الأعز الأكرم». ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى، ثم يسأل حاجته في سجوده فإنها تُقضَى.

---

(١) راجع الأحاديث الصحيحة في الشفاعة ووصف النار.

١٧٤٠ – ما من أحد يموت إلا ندم، إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد[١]، وإن كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع.

١٧٤١ – ما من امرىء يقرأ القرآن، ثم ينساه إلا لقي الله عز وجل يوم القيامة وهو أجذم.

١٧٤٢ – ما من أهل بيت يموت منهم ميت فيتصدقون عنه بعد موته إلا أهداها له جبريل عليه السلام على طبق نور، ثم يقف على شفير القبر فيقول: «يا صاحب القبر العميق: هذه هدية أهداها إليك أهلك فاقْبَلْها»، فيدخل عليه فيفرح بها ويستبشر، ويحزن جيرانه الذين لا يهدى إليهم شيء.

١٧٤٣ – ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا فيرى الله من أول الصحيفة خيرًا وفي آخرها خيرًا إلا قال الله عز وجل للملائكة: «أشهدكم أني قد غفرتُ ما بين طرفي الصحيفة».

١٧٤٤ – ما من حاكم يحكم بين الناس إلا يحشر يوم القيامة وملك آخذ بقفاه حتى يقفه على جهنم، ثم يرفع رأسه إلى الله، فإن قال الله تعالى: «ألقه»، ألقاه في مهوى أربعين خريفًا.

١٧٤٥ – ما من حالة يكون عليها العبد أحب إلى الله تعالى من أن يراه ساجدا يعفر وجهه في التراب.

١٧٤٦ – ما من ذنب إلا وله عند الله توبة إلا سوء الخلق، فإنه لا يتوب من ذنب إلا رجع إلى ما هو شر منه.

١٧٤٧ – مَا مِنْ ذِي غنًى إلا يَسُرُّهُ يَومَ القِيامَةِ أنَّ مَا أُوتِي مِنَ الدُّنيَا يَكونُ قُوتًا.

---

(١) قال ﷺ: «لَوْ أَنَّ رَجُلاً يُجَرُّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى يَوْمِ يَمُوتُ هَرَمًا فِي مَرْضَاةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَحَقَّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وحسّنه الألباني].

١٧٤٨- ما من رجل ينظر إلى وجه والديه نظر رحمة إلا كتب له بها حجة مقبولة مبرورة. قيل: «يا رسول الله! وإن نظر إليه في اليوم مئة ألف مرة؟»، قال: «وإن نظر».

١٧٤٩- ما من شيء أحب إلى الله تعالى من شاب تائب، وما من شيء أبغض إلى الله تعالى من شيخ مقيم على معاصيه، وما في الحسنات حسنة أحب إلى الله تعالى من حسنة تعمل في ليلة جمعة أو يوم جمعة، وما من الذنوب ذنب أبغض إلى الله تعالى من ذنب يعمل في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة.

١٧٥٠- ما من شيء إلا له توبة، إلا صاحب سوء الخلق، فإنه لا يتوب من ذنب إلا عاد في شر منه.

١٧٥١- ما من صاحب يصحب صاحبا و لو ساعة من نهار إلا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله أم أضاعه؟

١٧٥٢- ما من صباح إلا وملكان يناديان: «ويل للرجال من النساء، وويل للنساء من الرجال».

١٧٥٣- ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادي بعضها بعضا: «يا جارة هل مر بك اليوم عبد صالح صلى عليك أو ذكر الله؟»، فإن قالت: «نعم»، رأت أن لها بذلك فضلًا.

١٧٥٤- ما من صباح يصبَحُه العباد إلا صارخ يصرخ: «يا أيها الناس! لُدُّوا [1] للتراب، واجمعوا للفناء، وابنوا للخراب».

١٧٥٥- ما من صباح يصبح العباد إلا وصارخ يصرخ: «أيها الخلائق! سبحوا الملك القدوس».

١٧٥٦- ما من عبد استحيا من الحلال إلا ابتلاه الله بالحرام.

---

(١) لدَّ الشَّخْصُ: اشتدّت خصومتُه.

١٧٥٧- ما من عبد مسلم إلا له بابان في السماء: باب ينزل منه رزقه، وباب يدخل فيه عمله وكلامه، فإذا فقداه بكيا عليه.

١٧٥٨- ما من عبد يحكم بين الناس إلا جاء يوم القيامة وملك آخذ بقفاه ثم يرفع رأسه إلى السماء فإن قال الله: «ألقه» ألقاه في مهواة أربعين خريفًا.

١٧٥٩- ما من عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها ما أراد بها؟

١٧٦٠- ما من عبد يخطو خطوة إلا سئل عنها ما أراد بها؟

١٧٦١- ما من عبد يحب أن يرتفع في الدنيا درجة فارتفع إلا وضعه الله في الآخرة درجة أكبر منها وأطول، ثم قال: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٢١].

١٧٦٢- ما من قاض من قضاة المسلمين إلا ومعه ملكان يسددانه إلى الحق ما لم يُرِدْ غيره، فإذا أراد غيره وجار متعمدا تبرأ منه الملكان ووكلاه إلى نفسه.

١٧٦٣- ما من مسلم يأخذ مضجعه يقرأ سورة من كتاب الله إلا وكل الله به ملكا يحفظه فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهب متى هب.

١٧٦٤- ما من مسلم ينظر إلى امرأة أول رمقة ثم يغض بصره إلا أحدث الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها في قلبه.

١٧٦٥- ما من مسلم ينظر إلى امرأة أول نظرة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها.

١٧٦٦- ما من مُصَلٍّ إلا وملك عن يمينه وملك عن يساره فإن أتمها عرجا بها وإن لم يتمها ضربا بها وجهه.

١٧٦٧- ما من موضع شبر في الأرض إلا وقد سجد فيه إبليس فيه لله سجدة! وقد رقّاه الله حتى أذن له فأُصعِدِ إلى السماء ثم رُقي حتى أُدخل حظيرة

المقرّبين ثم رُقِّي حتى صار رئيسًا للمقرّبين.

١٧٦٨- ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض: فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر.

١٧٦٩- ما من نبي نبئ إلا بعد الأربعين.

١٧٧٠- «ما نجواك»، رُوِيَ أن امرأةً أتت النبي ﷺ فقالت: «يا رسول الله، النار النار»، فقال: «ما نجواك؟»، فأخبرَتْه بأمرها وهي مُنْتَقِبة فقال: «يا أَمَةَ الله أَسْفِرِي؛ فإن الإسفار من الإسلام، وإن النقاب من الفجور»[1].

١٧٧١- ما نحل والد ولدا نحلًا، أفضل من أدب حسن.

١٧٧٢- «ما نزلْتَ حتى اشتقْتُ إليك»، رُوِيَ عن عكرمة قال: أبطأ جبريل النزول على رسول الله ﷺ أربعين يومًا، ثم نزل، فقال له النبي ﷺ: «ما نزلْتَ حتى اشتقْتُ إليك»، فقال له جبريل: «بل أنا كنت إليك أشوق، ولكني مأمور، فأوحِيَ إلى جبريل أن قل له: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

١٧٧٣- «ما هذا يا أبا بكر؟ ما أعرف هذا من فعلك»، رُوِيَ عن ضبة بن محصن العنزي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة ذكرها فقال عمر: والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عُمْرِ عُمَر، هل لك أن أحدثك بليلته ويومه؟ قال: «قلت نعم، يا أمير المؤمنين»، قال: أما ليلته فلما خرج رسول الله ﷺ هاربا من أهل مكة خرج ليلا فتبعه أبو بكر، فجعل يمشي مرة أمامه، ومرة خلفه، ومرة عن يمينه، ومرة عن يساره، فقال له رسول الله ﷺ: «ما هذا يا

(١) هذه القصة المكذوبة يتخذها البعض دليلاً على تحريم الحجاب الشرعي على المؤمنات، وأنه ليس من الإسلام، وأن ستر الوجه بدعة وتنطع في الدين.

أبـا بكر؟ ما أعرف هذا مـن فعلك؟»، قال: «يا رسـول الله، أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك، لا آمن عليك». فمشـى رسولُ الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه حتى حفِيَتْ رِجْلَاه، فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه أنها قد حفيت حمله على كاهله، وجعل يشتد به حتى أتى بـه فم الغار، فأنزلـه، ثم قال: «والذي بعثك بالحـق لا تدخله حتى أدخله، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك»، فدخل فلم ير شيئا، فحمله فأدخله، وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاع، فخشـي أبو بكر أن يخرج منهن شـيء يؤذي رسول الله ﷺ فألقمه قدمه فجعلن يضربنه ويلسعنه: الحيات والأفاعي، وجعلت دموعه تنحدر ورسـول الله ﷺ يقول له: «يا أبا بكر لا تحزن، إن الله معنا»، فأنزل الله سـكينته وطمأنينته لأبـي بكر، فهذه ليلته. وأما يومه فلما توفي رسـول الله ﷺ وارتدت العرب، فقال بعضهم: نصلي، ولا نزكي، وقال بعضهم: لا نصلي ولا نزكي، فأتيته ولا آلوه نصحا، فقلت: «يا خليفة رسـول الله، تألّف الناس وارفقْ بهم»، فقال: «جبار في الجاهلية خوار في الإسـلام، فبماذا أتألفهم أبشعر مفتعل أو بشـعر مفترى؟ قبض النبي ﷺ وارتفع الوحـي، فوالله لو منعوني عقالا مما كانوا يعطون رسـول الله ﷺ لقاتلتهم عليه. قال: فقاتلنا معه فكان والله رشـيد الأمر فهذا يومه» (١).

١٧٧٤ - «مَـا وَجَـعُ أَخِيكَ»، رُوِيَ عَـنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِـى لَيْلَى عَنْ أَبِيهِ أَبِـى لَيْلَى قَالَ كُنْتُ جَالِسًـا عِنْدَ النَّبِـيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ أَعْرَابِىٌّ فَقَـالَ: «إِنَّ لِى أَخًا وَجِعًا»، قَالَ: «مَا وَجَعُ أَخِيكَ»، قَالَ: «بِهِ لَمَمٌ». قَالَ: «اذْهَبْ فَأْتِنِى بِهِ». فَذَهَبَ فَجَـاءَ بِهِ فَأَجْلَسَـهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَـمِعْتُهُ عَوَّذَهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَأَرْبَـعِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الْبَقَرَةِ وَآيَتَيْنِ مِنْ وَسَـطِهَا ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ وَآيَةِ الْكُرْسِـىِّ وَثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ

(١) راجع الأحاديث الصحيحة في قصة الهجرة، وفضل أبي بكر رضي الله عنه، وأمر الردة.

خَاتِمَتِهَا وَآيَةٍ مِنْ آلِ عِمْرَانَ - أَحْسِبُهُ قَالَ ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ - وَآيَةٍ مِنَ الأَعْرَافِ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الآيَةَ، وَآيَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾، وَآيَةٍ مِنَ الْجِنِّ ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ وَعَشْرِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الصَّافَّاتِ وَثَلاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ الْحَشْرِ وَ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ. فَقَامَ الأَعْرَابِيُّ قَدْ بَرَأَ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، ورُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ بِوَلَدِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بِهِ لَمَمًا، وَإِنَّهُ يَأْخُذُهُ عِنْدَ طَعَامِنَا، فَيُفْسِدُ عَلَيْنَا طَعَامَنَا، قَالَ: «فَمَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَدْرَهُ، وَدَعَا لَهُ، فَثَعَّ ثَعَّةً، فَخَرَجَ مِنْ فِيهِ مِثْلُ الْجَرْوِ الْأَسْوَدِ، فَشُفِيَ»[(١)].

١٧٧٥- ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن»[(٢)].

١٧٧٦- ما يأتي على هذا القبر من يوم إلا وهو ينادي بصوت طلق ذلق: يا ابن آدم كيف نسيتني؟ ألم تعلم أني بيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الوحشة وبيت الدود وبيت الضيق إلا من وسعني الله عليه؟ القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

١٧٧٧- «ما يبكيك يا شاب؟»، رُوِيَ أن معاذ بن جبل دخل على رسول الله ﷺ فقال له: «إن في الباب رجلًا يبكي بكاء الثكلى على ولدها»، فقال له الرسول ﷺ: «أدخِلْه يا معاذ»، فأدخله، فسلّم الشاب على الرسول ﷺ فردَّ

(١) لمم: جنون، ثع: أي قاء، والثع: القيء، والثعة: المرة الواحدة.

(٢) حديث قدسي لا أصل له، وهو مذكور في الإسرائيليات فعن وهب بن منبه قال: «إن الله فتح السموات لحذقيل حتى نظر إلى العرش، فقال: «سبحانك، ما أعظمك يا رب!» فقال الله: «إن السموات والأرض ضعفن عن أن يسَعْنَني ووسعني قلب عبدي المؤمن الوادع الليِّن»، وذكر الزركشي أنه من وضع الملاحدة.

عليه السلام، وقال له ﷺ: «ما يبكيك يا شاب؟»، قال الشاب: «كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوبًا إن أخذني اللهُ ببعضها أدخلني النار، ولا يغفر لي أبدًا»، فقال النبي ﷺ: «هل أشركت بالله؟»، قال الشَّاب: «أعوذ بالله»، فقال النبي ﷺ: «أقتلت النفس التي حرم الله؟»، قال الشاب: «لا»، قال النبي ﷺ: «يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي»، قال الشاب: «إن ذنوبي أعظم من الجبال الرواسي»، فقال النبي ﷺ: «يغفر لك ذنوبك وإن كانت مثل الأراضين السبع»، قال الشاب: «فإنها أعظم من ذلك». فقال النبي ﷺ: «غفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل السموات السبع ونجومها ومثل العرش والكرسي».

قال الشاب: «فإنها أعظم من ذلك يا رسول الله»، فنظر النبي ﷺ إليه كهيئة الغضبان ثم قال: «دعك يا شاب، ذنوبك أعظم أم ربك؟»، فقال الشاب: «سبحان ربي، ربي أعظم يا نبي الله من كل عظيم»، قال النبي ﷺ: «ويحك يا شاب، ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟»، قال الشاب: «بلى أخبرك، إني كنت أنبش القبور سبع سنين، أخرج الأموات، وأنزع الأكفان، فماتت بنت من الأنصار، فحُمِلَتْ إلى قبرها ودُفِنَتْ، وانصرف عنها أهلها وجنَّ عليها الليل، فأتيت قبرها فنبشتها، ثم استخرجتها ونزعت ما كان عليها من أكفانها، وتركتها متجردة وانصرفت، فأتاني الشيطان، فأقبل يزينها لي، فلم أملك نفسي حتى فعلت، ما فعلت فما ترى لي يا رسول الله؟»، فقال النبي ﷺ: «تَنَحَّ عني يا فاسق، إني أخاف أن أحترق بنارك، فما أقربك من النار!»، ثم لم يزل ﷺ يقول ويشير حتى أبعده من بين يديه. فذهب الشاب إلى المدينة وتزوّد بالطعام والشراب ثم أتى بعض الجبال، فغلّ يديه جميعًا إلى عنقه، وأخذ يتعبد بالدعاء والبكاء أربعين يومًا ثم قال: «اللهم ما فعلْتَ في حاجتي؟ إن كنت استجبت

دعائي وغفرت خطيئتي فأوْحِ إلى نبيك، وإن لم تستجب لي دعائي ولم تغفر لي خطيئتي وأردت عقوبتي، فعجّل بنار تحرقني أو عقوبة في الدنيا تهلكني وخلصني من فضيحة يوم القيامة». فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيّه ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران]، فخرج النبي ﷺ يتلوها ويتبسم فقال لأصحابه: «من يدلني على ذلك الشاب؟»، فقال معاذ: «إنه في موضع كذا»، فمضى الرسول ﷺ وأصحابُه فوجده على تلك الحالة وقد تساقطت أشفار عينيه من البكاء، فدنا منه النبي ﷺ، فأطلق يديه ونفض التراب عن رأسه، وقال لأصحابه: «هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول» ثم تلا الآية، وبشّره بالجنّة.

١٧٧٨- «ما يبكيك يا عمر؟»، رُوِيَ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال له رسول الله ﷺ ما يبكيك يا عمر؟ فقال يا رسول الله بالباب شاب قد أحرق فؤادي وهو يبكي، فقال له رسول الله ﷺ: «يا عمر، أدخِلْهُ عليَّ؟»، فدخل وهو يبكى، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يُبكِيك يا شاب؟»، قال: «يا رسول الله، أبكتنى ذنوب كثيرة وخفتُ من جَبَّار غضبان علَيَّ»، فقال رسول الله ﷺ: «أشركتَ بالله شيئًا يا شاب؟»، قال: «لا»، قال: «أقتلت نفسا بغير حق؟»، قال: «لا»، قال: «فإن الله يغفر ذنبك، ولو كان مثل السماوات السبع والأرضين السبع والجبال الرواسي»، قال: «يا رسول الله، ذنبى أعظم من السماوات السبع والأرضين السبع والجبال الرواسي»، فقال له رسول الله ﷺ: «ذنبك أعظم أم الكرسي؟»، قال: «ذنبي أعظم»، قال: «ذنبك أعظم أم العرش؟»، قال: «ذنبى أعظم»، قال: «ذنبك أعظم أم إلهك؟»، قال:

«بـل الله أعظم وأجَلّ»، قـال: «فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا الله العظيم»، قال: «أخبرنى عن ذنبك؟»، قال: «فإنى أستحيي منك، يا رسول الله»، قال: «أخبرنى عن ذنبك؟»، قال: «يا رسـول الله، إنى كنت رجلًا نباشًـا، أنبش القبور منذ سبع سنين، حتى ماتت جارية من بنات الأنصار، فنبشتُ قبرها، فأخرجتُها مِن كفنها، فمضيتُ غير بعيد إذ غلب الشيطان على نفسـى، فرجعتُ فجامعتُها، فمضيت غير بعيد إذ قامت الجارية، وقالت: «ويلك يا شـاب، أما تستحيي من ديان يوم الدين، يضع كرسيه للقضاء ويأخذ للمظلوم من الظالم، تركتنى عريانة فى عسكر الموتى، وأوقفتنى جنبا بين يدى الله - عز وجل»، فوثب رسـول الله ﷺ وهو يدفع فى قفاه، وهو يقول: «يا فاسق، ما أحوجك إلى النار، أُخرج عني»، فخرج الشـاب تائبًـا إلى الله تعالى أربعيـن ليلة، فلما تم له أربعون ليلة رفع رأسـه إلى السماء، فقال: «يا إله محمد وآدم وحواء، إن كنتَ غفرتَ لى فأعلِمْ محمدًا ﷺ وأصحابـه، وإلا فأرسـل نـارًا مـن السـماء فأحرِقْنـى بهـا ونجنـى مـن عذاب الآخـرة»، فجاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال: «السـلام عليـك، يا محمد، ربك يقرئك السـلام»، فقال: «هو السلام، ومنه السـلام، وإليه يرجع السلام»، قال: «يقول الله تعالى: «أنت خلقت الخلق؟»، قال: «بل هو الذى خلقنى وخلقهم»، قـال: «يقـول: «أنت ترزقهم؟»، قـال: «بـل الله يرزقهم وإياي»، قـال: «يقول: «أنت تتوب عليهم؟»، قال: «بل الله يتوب عليَّ وعليهم»، قال: يقول الله تعالى: «تـب على عبدي؛ فإنـى تُبتُ عليه»، فدعا النبي ﷺ الشـاب، وبشَّـره بأن الله تعالى تاب عليه.

١٧٧٩ - «مأمـونٌ واللهِ»، رُوِيَ أن كعـب وبجَيْر ابنـا زهير خرجَا، حتى أتيا أبـرق العزَّاف، فقال بجير لكعب: «أُثبت في هذا المكان، حتى آتِي هذا الرجل،

يعني رسول الله ﷺ، فأسمعُ ما يقول»، فثبت كعب وخرج بجير، فجاء رسول الله ﷺ، فعرض عليه الإسلام فأسلم، فبلغ ذلك كعبًا، فقال:

ألا أبلغا عني يحيرًا رِسَالـةً ... على أي شيء وَيْبَ غيرُك دَلَكَا

على خُلُقٍ لم تلفِ أمًّا ولا أبًا ... عليه ولم تـدركْ عليه أخًـا لَكَا

سَقَـاكَ أبـو بكرٍ بِكـأسٍ رَوِيَّـةٍ ... وانهلَكَ المأمورُ منها وَعَلَّكَا

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أهدر دمه، فقال: «من لقي كعبًا فليقتله، فكتب بذلك بجير إلى أخيه، يذكر له أن رسول الله ﷺ قد أهدر دمه، ويقول له: «النجا، وما أراك تفلت!»، ثم كتب إليه بعد ذلك: «اعلم أنَّ رسـول الله ﷺ لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله إلا قَبِل ذلك، فإذا جاءك كتابي هذا فأسـلِمْ وأقْبلْ»، فأسلم كعبٌ، وقال القصيدة التي يمدح فيها رسول الله ﷺ، ثـم أقبـل حتى أنـاخ راحلته بباب مسـجد رسـول الله ﷺ، ثم دخل المسـجد ورسـول الله ﷺ مع أصحابه مكان المائدة من القوم، متحلقون معه حلقة دون حلقة، يلتفت إلـى هؤلاء مرة فيحدثهم، وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم، قال كعب: «فأنختُ راحلتي بباب المسـجد، فعرفت رسـول الله ﷺ بالصفة، فتخطيت حتى جلسـت إليه، فأسـلمتُ، فقلت: أشـهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، الأمان يا رسول الله، قال: «ومن أنت؟»، قلت: «أنا كعب بن زهير»، قـال: «أنت الذي تقول، ثم التفت إلـى أبي بكر، فقال: «كيف قال يا أبا بكر؟»، فأنشده أبو بكر رضي الله عنه:

سَقَـاكَ أبـو بكرٍ بِكـأسٍ رويَّـةٍ ... وانهلكَ المأمورُ منها وعلَّكَا

قـال: «يا رسـول الله ما قلـت هكذا!»، قـال: «وكيف قلت؟»، قـال: «إنما قلت:

سَقَاكَ أبو بكرٍ بِكأسٍ رويَّةٍ وانهلكَ المأمونُ منها وعلَّكَا

فقال رسول الله ﷺ: «مأمونٌ واللهِ»، ثم أنشده القصيدة كلَّها، حتى أتى على آخرها، وهي قصيدة أولها:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ بَرَزَتْ إِلَّا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً لا يشتكي قِصَرٌ منهَا ولا طُولُ

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مَنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ[1]

١٧٨٠- مثل الإيمان مثل القميص تقمصه مرة وتنزعه أخرى.

١٧٨١- مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء.

---

(١) متبول: أسقمه الحب وأضناه لبعده عن حبيبته سعاد. (أغَنّ): الظبي الصغير الذي في صوته غنة.
(هَيْفَاءُ مُقْبلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً): أي هي هيفاء في حال إقبالها عجزاء في حال إدبارها والهَيَفُ ضُمْرُ البَطْن، والهَيْفَاءُ: خَمِيصَةُ الْبَطْنِ دَقِيقَةُ الْخَصْرِ، فإذا كَانَتْ لَطِيفَةَ البَطْنِ فَهِيَ هَيْفَاء. والعَجْزاءُ: العظيمة العَجُزِ من النِّساءِ. وعَجُزُ الرجل مؤَخَّره وجمعه الأَعْجاز ويصلح للرجل والمرأة وأما العَجِيزَةُ فعَجِيزَة المرأَة خاصة. (عوارض): جمع عارض أو عارضة وهي الأسنان. (الظلم): ماء الاسنان ورقتها وبياضها.

وهذه القصيدة وقصتها برغم شهرتها فليس لها إسناد يصح، وقد ضعفها:

١- الشيخ ناصر الفهد في رسالة خاصة بها .

٢- الشيخ عبدالعزيز المانع، في مجلة مجمع العلمي العراقي،مجلد(٣٣)رجب١٤٠٣هـ

٣- الشيخ سعدي أبو حبيب في مجلة الأديب البيروتية، عدد إبريل ١٩٧١م .

ولا يتصور من له إلمام بمقام النَّبِىِّ ص بين أصحابه، وشدة حيائهم منه، وإجلالهم له، أن ينشد أحد بحضرته مثل هذا التشبيب بامرأة، ولو كانت زوجةً لمن ينشد:

هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً لا يشتكي قِصَرٌ منهَا ولا طُولُ

كيف وقد أخرج البخارى عن أُمِّ سَلَمَةَ ل قالت: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ص وَعِنْدِي مُخَنَّثٌ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ: « يَا عَبْدَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَدًا، فَعَلَيْكَ بِابْنَةِ غَيْلانَ، فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ، وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ، فقَالَ النَّبِيُّ ص: « لَا يَدْخُلَنَّ هَؤُلاءِ عَلَيْكُنَّ ». وعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ هو أخو أم سلمة لَ. وأخرج البخاري عن ابن مسعود ت قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ص: « لا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ، فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ».

١٧٨٢ – مَثَلُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ مَثَلُ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا [(١)].

١٧٨٣ – مثل الذي يجلس يسمع الحكمة ولا يحدث عن صاحبه إلا بشر ما يسمع، كمثل رجل أتى راعيا فقال: «يا راعي! أجزرني شاة من غنمك»، قال: «اذهب فخذ بأذن خيرها شاةً»، فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم.

١٧٨٤ – مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدَيْن، فجعل يسعى حتى إذا أعيى، وانتهر؛ دخل جحره، فقالت له الأرض: «يا ثعلب دَيْني!!»، فخرج وله حصاص [(٢)] فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات».

١٧٨٥ – مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى.

١٧٨٦ – مثل المؤمن كمثل العطار إن جالسته نفعك وإن ماشيته نفعك وإن شاركته نفعك.

١٧٨٧ – مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق.

١٧٨٨ – مجالسة العلماء عبادة.

١٧٨٩ – مداد العلماء أفضل من دم الشهداء.

١٧٩٠ – مُدَارَاةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ.

١٧٩١ – مدمن الخمر كعابد الوثن.

١٧٩٢ – مصر أم الدنيا.

---

(١) يَجِبُ الْإِنْصَاتُ لِلْخُطْبَةِ، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ: أَنْصِتْ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوْتَ**» [رواه البخاري ومسلم].
(فَقَدْ لَغَوْتَ) أَيْ قُلْتَ اللَّغْوَ وَهُوَ الْكَلَامُ الْمَلْغِيُّ السَّاقِطُ الْبَاطِلُ الْمَرْدُودُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ قُلْتَ غَيْرَ الصَّوَابِ، وَقِيلَ: تَكَلَّمْتَ بِمَا لَا يَنْبَغِي. فَفِي الْحَدِيثِ النَّهْيُ عَنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ حَالَ الْخُطْبَةِ، وَنَبَّهَ بِهَذَا عَلَى مَا سِوَاهُ.

(٢) حَصّ: اشتدَّ عَدْوُه في سرعة.

١٧٩٣- مصر كنانة الله في أرضه، ما طلبها عدو إلا أهلكه الله[١].

١٧٩٤- مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبًّا.

١٧٩٥- مع كل ختمة دعوة مستجابة.

١٧٩٦- مع كل فرحة ترحة.

١٧٩٧- مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله.

١٧٩٨- مفتاح الجنة الصلاة.

١٧٩٩- مكتوب في الإنجيل: «كما تدين تدان وبالكيل الذي تكيل تكتال».

١٨٠٠- ملك موكل بالقرآن فمن قرأه من أعجمي أو عربي فلم يقومه قومه الملك ثم رفعه قوامًا.

١٨٠١- «مم ضحكت يا أعرابي؟» رُوِيَ عن أنس: أن أعرابيًّا قال: «يا رسول الله، مَن يلي حساب الخلق؟»، فقال: «الله تبارك وتعالى»، قال: «هو بنفسه؟»، قال: «نعم»، فتبسم الأعرابي، فقال ﷺ: «مم ضحكت يا أعرابي؟».

---

(١) قد وصى رسول اللهِ ﷺ بأهل مصر خيرًا فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**» **أَوْ قَالَ** «**ذِمَّةً وَصِهْرًا**» (رواه مسلم).
(الْقِيرَاطُ) جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَغَيْرِهِمَا وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ يُكْثِرُونَ مِنَ اسْتِعْمَالِهِ وَالتَّكَلُّمِ بِهِ، وَأَمَّا الذِّمَّةُ فَهِيَ الْحُرْمَةُ وَالْحَقُّ وَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى الذِّمَامُ، و(الذِّمَامُ) العهد والأمان والكفالة والحق و الحرمة. وَأَمَّا الرَّحِمُ فَلِكَوْنِ هَاجَرَ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام مِنْهُمْ، وَأَمَّا الصِّهْرُ فَلِكَوْنِ مَارِيَةَ القبطية أُمِّ إِبْرَاهِيمَ ابن النبي ﷺ مِنْهُمْ. وَفِي الحديث مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِإِخْبَارِهِ ﷺ بِأَنَّ الْأُمَّةَ تَكُونُ لَهُمْ قُوَّةٌ وَشَوْكَةٌ بَعْدَهُ بِحَيْثُ يَقْهَرُونَ الْعَجَمَ وَالْجَبَابِرَةَ، وَيَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَوَقَعَ ذَلِكَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.
وفي رواية: «**إِذَا فَتَحْتُمْ مِصْرَ، فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**» [رواه الحاكم والطبراني، وصححه الألباني]. (فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً) حُرْمةً وأمانًا من جهة إبراهيم بن المصطفى ﷺ؛ فإن أمّه مارية منهم (وَرَحِمًا) قرابة لأن هاجر أم إسمعيل عليه السلام منهم، وهذا من معجزاته ﷺ حيث فُتِحَتْ بعده.
ولذلك قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قبط مصر أخوال قريش مرتين.
وقال رسول الله ﷺ: «**اللهَ اللهَ فِي قِبْطِ مِصْرَ، فَإِنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَكُونُونَ لَكُمْ عُدَّةً، وَأَعْوَانًا فِي سَبِيلِ اللهِ**» [رواه الطبراني، وصححه الألباني].

فقال: «إن الكريم إذا قدر عفا، وإذا حاسب سامح»، فقال النبي ﷺ: «صدق الأعرابي، ألا لا كريم أكرم من الله تعالى، هو أكرم الأكرمين»، ثم قال: «فقه الأعرابي».

١٨٠٢- «ممن أنت يا أعرابي؟»، رُوِيَ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بأعرابي وهو يدعو في صلاته وهو يقول: «يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث، ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، ولا تواري منه سماء سماء، ولا أرض أرضًا، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعره، اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتيمه، وخير أيامي يوم ألقاك فيه». فوكل رسول الله ﷺ بالأعرابي رجلا فقال: «إذا صلى فائتني به»، فلما أتاه وقد كان أهدي لرسول الله ﷺ ذهب، فلما أتاه الأعرابي وهب له الذهب وقال: «ممن أنت يا أعرابي؟»، قال: «من بني عامر بن صعصعة، يا رسول الله»، قال: «هل تدري لم وهبت لك الذهب؟»، قال: «للرحم بيننا وبينك يا رسول الله»، قال: «إن للرحم حقا، ولكن وهبتُ لك الذهب بحسن ثنائك على الله عز وجل».

١٨٠٣- مَن آتاه الله وجهًا حسنًا وجعله في موضع غير شائن له فهو من صفوة الله في خلقه.

١٨٠٤- مَن آذى جاره أورثه الله داره.

١٨٠٥- مَن آذى ذميا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة[1].

---

(١) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا**». [رواه النسائي، وصححه الألباني]. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ** =

١٨٠٦- مَن آذى مسلما فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله.

١٨٠٧- مَن ابتلي ببَلِيَّتَيْن فلْيَخْتَر أسهلَهما.

١٨٠٨- مَن ابتُلِي بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم في لحظه وإشارته ومقعده ومجلسه.

١٨٠٩- مَن ابتلي بالقضاء بين المسلمين فلا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لا يرفع على الآخر.

١٨١٠- مَنِ ابْتُلِيَ فَصَبرَ، وأعطَى فَشَكرَ، وَظُلِمَ فغفرَ، وَظَلَمَ فاسْتَغفرَ». ثُمَّ سَكَتَ! قَالوا: «مَا لَهُ يَا رسولَ اللهِ؟»، قَالَ: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٨٢].

١٨١١- مَن أتى الجمعة والإمام يخطب كانت له ظهرا.

١٨١٢- مَن أتته هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاؤه فيها.

١٨١٣- مَن اتقى الله أهاب الله منه كل شيء، ومن لم يتق الله أهابه الله من كل شيء.

١٨١٤- مَن اتقى الله وقاه كل شيء(١).

١٨١٥- مَن أحب أن يحيا حياتي، ويموت موتتي، ويسكن جنة الخلد، التي وعدني ربي عز وجل، غرس قضبانها بيديه، فليتول علي بن أبي طالب،

= **رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**» [رواه البخاري، بَابُ إِثْمِ مَنْ قَتَلَ ذِمِّيًّا بِغَيْرِ جُرْمٍ]. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ الله، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلاَ يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ» [رواه البَخاري، بَابٌ: يُقَاتَلُ عَنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَلاَ يُسْتَرَقُّونَ].

(وَلَا يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ): أَيْ مِنَ الْجِزْيَةِ.

(١) قَالَ تعَالَى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ** ﴾ [الطلاق: ٢-٣]. وقَالَ تعَالَى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا** ﴾ [الطلاق: ٤].

فإنه لن يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ضلالة.

١٨١٦- مَن أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه وإذا رُفع.

١٨١٧- مَن أحب شيئا أكثر من ذكره.

١٨١٨- «مَن أحبني وأحبهما وأباهما وأمهما؛ كان معي في درجتي يوم القيامة». رُوِيَ عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين فقال: «من أحبني وأحبهما - (يعني: الحسن والحسين) - وأباهما وأمهما؛ كان معي في درجتي يوم القيامة».

١٨١٩- مَن أحسن فيما بقي غفر له ما مضى وما بقي ومن أساء فيما بقي أخذ ما مضى وما بقي.

١٨٢٠- مَن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

١٨٢١- مَن أحيا الليالي الأربع وجبت له الجنة: ليلة التروية، وليلة عرفة، وليلة النحر، وليلة الفطر.

١٨٢٢- مَن أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمُتْ قلبُه يوم تموت القلوب.

١٨٢٣- مَن أحيا ليلة من رجب وصام يومًا، أطعمه الله من ثمار الجنة، وكساه من حُلل الجنة، وسقاه من الرحيق المختوم، إلا من فعل ثلاثًا: من قتل نفسًا، أو سمع مستغيثًا يستغيث بليل أو نهار فلم يُغِثْه، أو شكا إليه أخوه حاجة فلم يفرِّج عنه.

١٨٢٤- مَن أخاف مؤمنًا كان حقًّا على الله أن لا يؤمنه من أفزاع يوم القيامة.

١٨٢٥ - مَن أخطأ خطيئة أو أذنب ذنبا ثم ندم فهو كفارته[١].

١٨٢٦ - مَن أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

١٨٢٧ - «مَن أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب آية محكمة، أو رحمة منتظرة، أو علمًا مستطرفًا، أو كلمة تزيده هدى أو ترده عن ردى، أو يدع الذنوب خشية أو حياء»، رُوِيَ عن سعد الحذاء عن عمير بن المأموم قال: أتيتُ المدينة أزور ابنة عم لي تحت الحسن بن علي، فشهدتُ معه صلاة الصبح في مسجد رسول الله ﷺ، وأصبح ابن الزبير قد أَوْلَمَ، فأتى رسول ابن الزبير فقال: «يا ابن رسول الله! إن ابن الزبير أصبح قد أولم، وقد أرسلني إليك»، فالتفت إليَّ فقال: «هل طلعت الشمس؟» قلت: «لا أحسب إلا قد طلعت»، قال: «الحمد لله الذي أطلعها من مطلعها». قال: «سمعت أبي وجدي - يعني النبي ﷺ - يقول: «من صلى الغداة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، جعل الله بينه وبين النار سترًا» [٢]. ثم قال: «قوموا فأجيبوا ابن الزبير»، فلما انتهينا إلى الباب تلقاه ابن الزبير على الباب فقال: «يا ابن رسول الله! أبطأتَ عني هذا اليوم؟»، فقال: «أما إني قد أجبتكم وأنا صائم»، قال: «فها هنا تحفة»، فقال الحسن بن علي: سمعت أبي وجدي - يعني النبي ﷺ - يقول: «تحفة الصائم الزائر أن يغلف لحيته ويجمر ثيابه ويذرر»[٣]، قال: قلت: «يا ابن رسول الله ﷺ أَعِدْ عليَّ الحديث»، قال: «سمعت أبي وجدي - يعني النبي ﷺ - يقول: «من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب آية محكمة، أو رحمة منتظرة، أو

---

(١) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

(٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ**»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ**». [رواه الترمذي، وصححه الألباني]. (الغداة: الصبح).

(٣) أي يطيب، من (الذريرة) وهو نوع من الطيب مجموع من أخلاط.

علمًا مستطرفًا، أو كلمة تزيده هدى أو ترُدُّه عن ردًى، أو يدع الذنوب خشية أو حياء».

١٨٢٨- مَن أدان دينا ينوي قضاءه أداه الله عنه يوم القيامة.

١٨٢٩- مَن أدرك رمضان بمكة فصامه وقام منه ما تيسر له كتب الله له مائة ألف شهر رمضان فيما سواها، وكتب الله له بكل يوم عتق رقبة، وكل ليلة عتق رقبة، وكل يوم حملان فرس في سبيل الله، وفي كل يوم حسنة، وفي كل ليلة حسنة.

١٨٣٠- مَن أدرك رمضان وعليه من رمضان شيء لم يقضه فإنه لا يقبل منه حتى يصومه.

١٨٣١- مَن أذَّن خمس صلوات إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن أم أصحابه خمس صلوات إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه.

١٨٣٢- مَن أذَّن سبع سنين محتسبا كتب الله له براءة من النار.

١٨٣٣- مَن أذَّن سنةً لا يطلب عليه أجرًا دُعِيَ يوم القيامة ووقف على باب الجنة فقيل له: اشفع لمن شئت[١].

١٨٣٤- «مَن أذَّنَ فهو يقيم»[٢]. رُوِيَ عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحَارِثِ الصُّدَائِيِّ قَالَ

---

(١) قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «اعلم أنه لم يأت حديث صحيح في فضل المؤذن يؤذن سنين معينة، إلا حديث ابن عمر مرفوعا بلفظ: «**مَنْ أَذَّنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَكُتِبَ لَهُ بِكُلِّ أَذَانٍ سِتُّونَ حَسَنَةً وَبِكُلِّ إِقَامَةٍ ثَلاثُونَ حَسَنَةً**»، رواه الحاكم بإسنادين، وصححه، ووافقه الذهبي وهو كما قالا». انظر: السلسلة الضعيفة (٢/ ٢٤٦).

(٢) قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١ / ١٠٨)، رقم ٣٥: «و من آثار هذا الحديث السيئة أنه سبب لإثارة النزاع بين المصلين كما وقع ذلك غير ما مرة، وذلك حين يتأخر المؤذن عن دخول المسجد لعذر، ويريد بعض الحاضرين أن يقيم الصلاة، فما يكون من أحدهم إلا أن يعترض عليه محتجًا بهذا الحديث، و لم يَدْرِ المسكين أنه حديث ضعيف لا يجوز نسبته إليه ﷺ فضلًا عن أن يمنع به الناس من المبادرة إلى طاعة الله تعالى، ألا وهي إقامة الصلاة».
تَنْبِيهٌ: يجوز أن يقيم المؤذن وغيره باتفاق العلماء، ولكن الأَوْلَى أن يتولى المؤذن الإقامة؛=

أَمَرَنِـي رَسُـولُ اللهِ ﷺ أَنْ أُؤَذِّنَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ، فَأَذَّنْـتُ، فَأَرَادَ بِلاَلٌ أَنْ يُقِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّ أَخَا صُدَاءٍ قَدْ أَذَّنَ، وَمَنْ أَذَّنَ فَهُوَ يُقِيمُ».

١٨٣٥- مَـن أذنب ذنبـا فعلم أن الله تعالى قد اأطلع عليـه غفر له، وإن لم يستغفر.

١٨٣٦- مَن أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي.

١٨٣٧- مَن أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر.

١٨٣٨- مَن أراد أن يشم رائحتي فليشم الورد الأحمر.

١٨٣٩- مَن أراد أن ينام على فراشه من الليل، فنام على يمينه ثم قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾ مائـة مرة، إذا كان يـوم القيامة يقول له الرب: «يا عبدي أدخل على يمينك الجنة» [(١)].

١٨٤٠- مَـن أراد أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»، رُوِيَ أن مالكا والد أبي سـعيد الخدري لما جـرح النبي ﷺ مَصّ جرحه حتى أنقاه ولاح أبيض، فقيل له: «مُجَّهُ» [(٢)]، فقال: «لا والله لا أمُجُّهُ أبدًا»، ثم أدبر فقاتل، فقـال النبي ﷺ: «مَن أراد أن ينظر إلى رجـلٍ من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»، فاستشهد.

١٨٤١- مَن ازداد علمًا، ولـم يزدد في الدنيا زهدًا، لم يزدد من الله إلا بُعدًا.

١٨٤٢- مَن أسبغ الوضوء في البرد الشديد كان له من الأجر كفلان [(٣)].

= قَال الشَّـافِعِيَّةُ وَالْحَنابِلَةُ: «يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَلَّى الإِقَامَةَ مَنْ تَوَلَّى الأَذَانَ»، وَقَال الْمَالِكِيَّةُ: «لاَ بَأْسَ أَنْ يُؤَذِّنَ رَجُلٌ وَيُقِيمَ غَيْرُهُ». [انظر: فقه السنة (١/ ١١٨)، الموسوعة الفقهية (٦/ ١٢)].

(١) راجع الأحاديث الصحيحة في آداب وأذكار النوم.

(٢) مجَّ الشّرابَ ونحوَه من فمه: لفَظَه، رَماهُ.

(٣) عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَـالَ: «**أَلاَ أَدُلُّكُـمْ عَلَى مَا يَمْحُـو اللهُ بِهِ الْخَطَايَـا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَـاتِ؟**»، قَالُـوا: «بَلَـى يَا رَسُـولَ اللهِ». قَالَ: «**إِسْـبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَـكَارِهِ، وَكَثْـرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ؛ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ**». [رواه مسلم].

١٨٤٣- مَن استجَدّ قميصًا فلبسه فقال حين بلغ ترقوته: «الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي» [(١)]، ثم عمد إلى الثوب الذي أخلق فتصدق به كان في ذمة الله وفي جوار الله وفي كنف الله حيا وميتًا.

١٨٤٤- مَن استُرضِي فلم يرض فهو شيطان، ومن استغضب فلم يغضب فهو حمار.

١٨٤٥- مَن استطاع منكم أن يقي دينه وعرضه بماله فليفعل.

١٨٤٦- مَن استعجل أخطأ.

١٨٥١- مَن استغفر الله دبر كل صلاة ثلاث مرات [(٢)] فقال: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه»، غُفِرت ذنوبه وإن كان قد فر من يوم الزحف.

١٨٥٢- مَن استغفر الله في كل يوم سبعين مرة لم يكتب من الكاذبين، ومن استغفر الله في ليلة سبعين مرة لم يكتب من الغافلين.

١٨٥٣- مَن استغفر لِلْمُؤْمِنِينَ؛ ردّ الله عليه من آدم فما دونه.

١٨٥٤- مَن استغفر للمؤمنين والمؤمنات [(٣)] كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق بهم أهل الأرض.

---

(١) راجع الأحاديث الصحيحة في آداب لبس الثوب.

(٢) قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ**» [رواه أبو داود، والحاكم وصححه الألباني]. فالحديث صحيح دون قوله: «دبر كل صلاة».

وعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام**»، قَالَ الْوَلِيدُ (أحد الرواة): فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: «كَيْفَ الْاسْتِغْفَارُ؟»، قَالَ: «تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ» [رواه مسلم].

(٣) قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِلْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً**» [رواه الطبراني، وحسّنه الألباني].

١٨٥٥- مَن استفتح أول نهاره بخير وختمه بالخير قال الله لملائكته: لا تكتبوا عليه ما بين ذلك من الذنوب.

١٨٥٦- مَن أسدى إلى قوم نعمة فلم يشكروها له فدعا عليهم استجيب له[(١)].

١٨٥٧- مَن أسِف على دنيا فاتَتْه اقتربَ من النار مسيرة ألف سنة، ومَن أسِف على آخرةٍ فاتته اقترب من الجنة مسيرة ألف سنة.

١٨٥٨- مَن أسلم من فارس فهو قرشي.

١٨٥٩- مَن أَسْمَكَ فَلْيُتْمِرْ[(٢)].

١٨٦٠- مَن أشار بحديدة إلى أحد من المسلمين يريد قتله فقد وجب دمه[(٣)].

١٨٦١- مَن اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات، ومن أشفق من النار لها عن الشهوات، ومن ترقب الموت هانت عليه اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات.

١٨٦٢- مَن اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه.

---

(١) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تُرَوْا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**». [رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ، وصححه الألباني].
(فَكَافِئُوهُ) أي: افعلوا به ما يساوي فعله، ورُدُّوا عليه بمثل عَطِيَّتِه.

(٢) أي من أكل سمكًا فليأكل تمرًا. وفي هذا الحديث نكتة وهي أن رجلاً ضاف رجلاً فأطعمه السمك الذي كان عنده، ولم يترك للزوجة شيئًا فقال الضيف: «من أَسْمَكَ فلْيُتْمِرْ»، فقالت زوجة صاحب البيت من مرارة جوعها وشهوتها للسمك وتعبها في تنظيفه وتسويته: «من أَسْمَكَ فليخرج»، فخرج الضيف.

(٣) عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «**مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّه**» [رواه مسلم].

١٨٦٣ – مَن أصاب مالا من نهاوش أذهبه الله في نهابر [١].

١٨٦٤ – مَـن أصبح مطيعا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة، وإن كان واحدا فواحد.

١٨٦٥ – مَن أصبح وهمه التقوى ثم أصاب فيما بين ذلك ذنبا غفر الله له.

١٨٦٦ – مَن أصبح وهمه غير الله عز وجل، فليس من الله في شيء، ومن لم يهتم للمسلمين فليس منهم.

١٨٦٧ – مَن أصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا وأطعم مسـكينا وشيع جنازة لم يتبعه ذنب أربعين سنة.

١٨٦٨ – مَن أصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا وشهد جنازة وتصدق بصدقة فقد أوجب.

١٨٦٩ – مَـن أصيب بمصيبـة فذكر مصيبته فأحدث اسـترجاعا وإن تقادم عهدها كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب.

١٨٧٠ – مَن أصيب بمصيبة في ماله أو جسده وكتمها ولم يَشْكُها إلى الناس كان حقًّا على الله أن يغفر له.

١٨٧١ – مَن أطاع الله فقد ذكر الله وإن قَلَّتْ صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن، ومن عصى الله فلم يذكره وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن.

١٨٧٢ – مَن أطعم أخاه من الخبز حتى يشـبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بعَّده الله من النار سبع خنادق كل خندق مسيرة سبعمائة عام.

١٨٧٣ – مَن اطلع في كتاب أخيه بغير أمره فكأنما اطلع في النار.

١٨٧٤ – مَن أعان ظالما سلطه الله عليه.

١٨٧٥ – مَـن أعان على قتل مؤمن بشـطر كلمة لقـي الله مكتوبا بين عينيه:

(١) المراد أن من أخذ شيئا من غير حله كنهب أذهبه الله في غير حله.

آيس من رحمة الله.

١٨٧٦ – مَن اعتذر إلى أخيه المسلم من شيء بلغه عنه، فلم يقبل عذره لم يَرِدْ علي الحوض.

١٨٧٧ – مَن اعتذر إليه أخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة مثل صاحب مكس.

١٨٧٨ – مَن اعتز بالعبيد أذله الله.

١٨٧٩ – مَن اعتكف عشرًا في رمضان كان كحجتين وعمرتين.

١٨٨٠ – مَن أعطاه الله تعالى حفظ كتابه فظن أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد غمط أعظم النعم.

١٨٨١ – مَن أعيته المكاسب فعليه بمصر وعليه بالجانب الغربي منها.

١٨٨٢ – مَن اغتاب رجلا ثم استغفر له غفرت له غيبته.

١٨٨٣ – مَن اغتاب غازيا فكأنما قتل مؤمنا.

١٨٨٤ – مَن اغتيب عنده أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أذله الله تعالى في الدنيا والآخرة.

١٨٨٥ – مَن أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض.

١٨٨٦ – مَن أفطر يومًا من رمضان فمات قبل أن يقضيه فعليه بكل يوم مد لمسكين.

١٨٨٧ – مَن أفطر يوما من رمضان في الحضر فليهد بدنة.

١٨٨٨ – مَن أفطر يومًا من رمضان في غير رخصة رخصها الله له، لم يقض عنه صيام الدهر كله، وإن صامه [١].

---

(١) قال رسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلاَنِ، فَأَخَذَا بِضَبْعَيَّ – عَضُدَيَّ – فَأَتَيَا بِي جَبَلاً وَعْرًا، فَقَالَا: «اصْعَدْ»، فَقُلْتُ: «إِنِّي لَا أُطِيقُهُ»، فَقَالَا: «سَنُسَهِّلُهُ لَكَ»، فَصَعِدْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي سَوَاءِ =

١٨٨٩ - مَن اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا.

١٨٩٠ - مَن اكتحل يوم عاشوراء لم ترمد عيناه أبدا.

١٨٩١ - مَن أكثر ذكر الله فقد برئ من النفاق.

١٨٩٢ - مَن أكل بالعلم طمس الله على وجهه، ورَدَّه على عقِبَيْه، وكانت النار أولى به.

١٨٩٣ - مَن أكل طعام أخيه ليسره لم يضره.

١٨٩٤ - مَن أكل فشبع وشرب فروي فقال: «الحمد لله الذي أطعمني وأشبعني وسقاني وأرواني خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[1].

١٨٩٥ - مَن أكل فولة بقشرها أخرج الله منه من الداء مثلها.

١٨٩٦ - مَن أكل في قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة.

١٨٩٧ - مَن أكل قبل أن يشرب، وتسحر ومس شيئًا من الطيب قوي على الصيام.

١٨٩٨ - «مَن أكل لحم الجزور فليتوضَّأ»، رُوِيَ أن رجلًا كان أكل من لحم جزور ثمّ خرج منه ريح، فلم يُرِد رسول الله ﷺ أن يحرجه في المجلس ويقول له: أنت خرج منك الريح»، فقال: «من أكل لحم الجزور فليتوضَّأ»[2].

= **الجَبَلِ إِذَا بِأَصْوَاتٍ شَدِيدَةٍ، قُلْتُ: «مَا هَذِهِ الأَصْوَاتُ؟»، قَالُوا: «هَذَا عُوَاءُ أَهْلِ النَّارِ»، ثُمَّ انْطلِقَ بِي، فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيبِهِمْ، مُشَقَّقَةٌ أَشْدَاقُهُمْ، تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دَمًا، قُلْتُ: «مَنْ هَؤُلَاءِ؟»، قَالَا: «هَؤُلَاءِ الذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ»** [رواه ابن خزيمة، وابن حبان، وصححه الألباني].

الضَّبْعُ: العَضُدُ. الوعْر: الصعب، والصلب. الشَّدْق: جانب الفم مما تحت الخد. قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ: أي يفطرون قبل وقت الإفطار.

(١) راجع الأحاديث الصحيحة في آداب وأذكار الطعام والشراب.

(٢) هذه القصة مع أنه لا أصل لها في شيء من كتب السنة ولا في غيرها من كتب الفقه والتفسير، فإن أثرها سيىء جدًا في الذين يروونها، فإنها تصرفهم عن العمل بأمر النبي ﷺ لكل مَن أكل من لحم الإبل أن يتوضأ، كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «أَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ؟». قَالَ: «**نَعَمْ، فَتَوَضَّأْ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ**». =

١٨٩٩- مَن أكل لقمة من حرام لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة.

١٩٠٠- مَن أكل مع مغفور غُفِر له.

١٩٠١- مِن التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه، ومن شرب من سؤر أخيه ابتغاء وجه الله تعالى رفعت له سبعون درجة، ومحيت عنه سبعون خطيئة، وكتب له سبعون درجة.

١٩٠٢- مَن أَلِفَ المسجد أَلِفَه الله تعالى.

١٩٠٣- مَن ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له إذا أعلن بفسقه.

١٩٠٤- مِن المروءة أن ينصت الأخ لأخيه إذا حدثه، ومن حسن المماشاة أن يقف لأخيه إذا انقطع شسع نعله.

١٩٠٥- مَن أَمَّ قومًا؛ فليتق الله، وليعلم أنه ضامن مسؤول لما ضمن، وإن أحسن؛ كان له من الأجر مثل أجر من صلى خلفه من غير أن ينتقص من أجورهم شيئًا، وما كان من نقص؛ فهو عليه(1).

١٩٠٦- مَن أَمَّ قوما وفيهم من هو أَقْرَأُ لكتاب الله وأعلمُ، لم يزل في سفالٍ

= فهم يدفعون هذا الأمر الصحيح الصريح بأنه إنما كان سترًا على ذلك الرجل، لا تشريعًا!
وكيف يعقل هؤلاء مثل هذه القصة ويؤمنون بها، مع بعدها عن العقل السليم، والشرع القويم؟! فإنهم لو تفكروا فيها قليلا، لتبين لهم ما قلناه بوضوح، فإنه مما لا يليق به ﷺ أن يأمر بأمرٍ لعلة زمنية. ثم لا يبين للناس تلك العلة، حتى يصير الأمر شريعة أبدية، كما وقع في هذا الأمر، فقد عمل به جماهير من أئمة الحديث والفقه، فلو أنه ﷺ كان أمر به لتلك العلة المزعومة لبينها أتم البيان، حتى لا يضل هؤلاء الجماهير باتباعهم للأمر المطلق! ولكن قبح الله الوضاعين في كل عصر وكل مَصر، فإنهم من أعظم الأسباب التي أبعدت كثيرا من المسلمين عن العمل بسنة نبيهم ﷺ، ورضي الله عن الجماهير العاملين بهذا الأمر الكريم، ووفق الآخرين للاقتداء بهم في ذلك وفي اتباع كل سنة صحيحة. [انظر: السلسلة الضعيفة، للألباني، رقم ١١٣٢].

(١) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الإِمَامُ ضَامِنٌ، وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ، اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الأَئِمَّةَ، وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ**». [رواه أبو داود، وصححه الألباني]، وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ أَمَّ النَّاسَ فَأَصَابَ الْوَقْتَ فَلَهُ وَلَهُمْ، وَمَنِ انْتَقَصَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعَلَيْهِ وَلاَ عَلَيْهِمْ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

إلى يوم القيامة.

١٩٠٧- مَن أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف.

١٩٠٨- مَن أمسى كالًّا من عمل يديه أمسى مغفورًا له.

١٩٠٩- مَن أَمَّ هذا البيت من الكسب الحرام، شخص في غير طاعة الله، فإذا أَهَلَّ ووضع رجله في الركاب وانبعثت به راحلته وقال: «لبيك اللهم لبيك»، ناداه مناد من السماء: «لا لبيك ولا سعديك، كسبك حرام، وزادك حرام، فارجع مأزورا غير مأجور، وأبشر بما يسوؤك»، وإذا خرج الرجل حاجا بمال حلال، ووضع رجله في الركاب، وانبعثت به راحلته وقال: «لبيك اللهم لبيك»، ناداه مناد من السماء: «لبيك وسعديك، قد أجبتك، راحلتك حلال، وثيابك حلال، وزادك حلال، فارجع مأجورا غير مأزور، وأبشر بما يسرك».

١٩١٠- مَن انتعل ليتعلم علما غفر له قبل أن يخطوا.

١٩١١- مَن أنعم الله عليه نعمة فأراد بقاءها فليكثر من قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

١٩١٢- مَنْ أهديتْ لَهُ هَديةً وَمَعهُ قَومٌ جُلوسٌ، فَهُم شُركَاؤهُ فِيها.

١٩١٣- مَن أَهَلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

١٩١٤- مَن أَهَلَّ بعمرة من بيت المقدس غفر له.

١٩١٥- مَن أَهَلَّ بعمرة من بيت المقدس كانت كفارة لما قبلها من الذنوب.

١٩١٦- مَن أوى إلى فراشه طاهرا يذكر الله حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله شيئا من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه.

١٩١٧- مَن بات على طهارة ثم مات من ليلته مات شهيدا.

١٩١٨- مَن بات كالًّا من طلب الحلال بات مغفورا له.

١٩١٩- مَن بات كالًّا من عمله بات مغفورا له.

١٩٢٠- مَن بات كالًّا من عمل يده بات مغفورا له.

١٩٢١- مِن بركة المرأة تبكيرها بالأنثى.

١٩٢٢- مَن بلغه عن الله شيء فيه فضيلة فأخذ به إيمانا به ورجاء ثوابه أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كذلك[١].

١٩٢٣- مَن بلغه عن الله فضل فأخذ بذلك الفضل الذي بلغه، أعطاه الله ما بلغه وإن كان الذي حدثه كاذبا[٢].

١٩٢٤- مَن بنى بناء أكثر مما يحتاج إليه كان عليه وبالا يوم القيامة.

١٩٢٥- مَن بنى بناءً فوق ما يكفيه كلف يوم القيامة أن يحمله على عنقه.

١٩٢٦- مَن بنى فوق عشرة أذرع ناداه مناد من السماء: «يا عدو الله إلى أين تريد؟».

١٩٢٧- مَن تأنَّى أصاب أو كاد، ومن عجل أخطأ أو كاد[٣].

١٩٢٨- من تحبب إلى الناس بما يحبون، وبارز الله بما يكرهون لقي الله

---

(١) قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «مِن آثار هذا الحديث السيئة أنه يوحي بالعمل بأي حديث طمعا في ثوابه، سواء كان الحديث عند أهل العلم صحيحًا، أو ضعيفًا، أو موضوعًا، وكان من نتيجة ذلك أنْ تساهَلَ جمهور المسلمين، علماء، وخطباء، ومدرسين، وغيرهم، فى رواية الأحاديث، والعمل بها، وفي هذا مخالفة صريحة للأحاديث الصحيحة في التحذير من التحديث عنه ﷺ إلا بعد التثبت من صحته عنه ﷺ». [انظر: «السلسلة الضعيفة» (١/ ٦٥٠ -٦٥١)].

(٢) راجع االهامش السابق.

(٣) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**التَّأَنِّي مِنَ اللهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ**». [رواه أبو يعلى، والبيهقي وحسّنه الألباني]. وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ**». [رواه مسلم].

وهو عليه غضبان[(١)].

١٩٢٩- من ترك أربع جمعات من غير عذر، فقد نبذ الإسلام وراء ظهره[(٢)].

١٩٣٠- من ترك الجمعة بغير عذر فليتصدق بدرهم أو نصف درهم أو صاع أو مد.

١٩٣١- من ترك الجمعة من غير عذر فليتصدق بدينار فإن لم يجد فنصف دينار.

١٩٣٢- من ترك الصف الأول مخافة أن يؤذي مسلمًا فصلى في الصف الثاني أو الثالث؛ أضعف الله له الأجر.

١٩٣٣- من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه[(٣)].

---

(١) كَتَبَ مُعَاوِيَةُ بنُ أبي سُفْيَان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنْ اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ وَلاَ تُكْثِرِي عَلَيَّ فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إِلَى مُعَاوِيَةَ: «سَلاَمٌ عَلَيْكَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ**». وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ» [رواه الترمذي، وصححه الألباني]، (مَنْ اِلْتَمَسَ) أَيْ طَلَبَ (بِسَخَطِ النَّاسِ) السَّخَطُ وَالسُّخْطُ وَالسُّخُطُ وَالْمَسْخَطُ الْكَرَاهَةُ لِلشَّيْءِ وَعَدَمُ الرِّضَا بِهِ (كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ) لِأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ مِنْ حِزْبِ اللهِ وَهُوَ لَا يَخِيبُ مَنْ اِلْتَجَأَ إِلَيْهِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ. (وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ) أَيْ سَلَّطَ اللهُ النَّاسَ عَلَيْهِ حَتَّى يُؤْذُوهُ وَيَظْلِمُوا عَلَيْهِ.

(٢) عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ**» [رواه مسلم]. (وَدْعهمْ) أَيْ تَرْكهمْ. وَمَعْنَى الْخَتْم الطَّبْع وَالتَّغْطِيَة، وَمِثْله (الرَّيْن) فَقِيلَ: الرَّيْن الْيَسِير مِنْ الطَّبْع، وَالطَّبْع الْيَسِير مِنْ الْأَقْفَال، وَالْأَقْفَال أَشَدّهَا.
وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ، فَهُوَ مُنَافِقٌ**». [رواه ابن حبان، وصححه الألباني، وحسنه الأرنؤوط]، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ**». [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

(٣) قال ﷺ: «**إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ بَدَّلَكَ اللهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ**». [رواه الإمام أحمد، وقال الألباني: سنده صحيح على شرط مسلم]. أما لفظ «ما ترك عبد شيئا لله لا يتركه إلا لله إلا عوضه منه ما هو خير له فى دينه و دنياه». فقال الألباني: «موضوع بهذا اللفظ... نعم صح الحديث بدون قوله في آخره: «في دينه و دنياه». [انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (١ / ٦١)].

١٩٣٤- من ترك صلاة الصبح فليس في وجهه نور، ومن ترك صلاة الظهر فليس في رزقه بركة، ومن ترك صلاة العصر فليس في جسمة قوة، ومن ترك ترك صلاة المغرب فليس في أولاده ثمرة [1]، ومن ترك صلاة العشاء فليس في نومه راحة، لا بارك الله في رزق يلهي عن الصلاة.

١٩٣٥- من ترك موضع شعرة من جنابة لم يغسلها فعل بها كذا وكذا من النار.

١٩٣٦- مَن تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرًا، ومن تزوجها لحسنها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امراة لم يتزوجها إلا ليغض بصره أوليحصن فرجه ويصل رحمه بارك الله له فيها، وبارك لها فيه.

١٩٣٧- مَن تزوج امرأة لمالها حرمه الله مالها وجمالها.

١٩٣٨- مَن تزوج قبل أن يحج فقد بدأ بالمعصية.

١٩٣٩- مَن تعلم العلم وهو شاب كان بمنزلة وسم في حجر، ومن تعلمه بعد كبر فهو بمنزلة كتاب على ظهر الماء.

١٩٤٠- مَن تعلم لسان قوم أمن من مكرهم.

---

(١) ما ذنب الأولاد إذا فرط أبوهم في الصلاة، فيقال ليس فيهم ثمرة، وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام: ١٦٤]، ولا شك أن التهاون في أمر الصلاة شأنه خطير، ويكفي في الترهيب في ترك الصلاة ما ورد فيه في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[الماعون]، وقوله ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**». [رواه البخاري]

وقال رسول الله ﷺ: «**الْعَهْدُ الذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**» [رواه أحمد والترمذي والنسائي، وصححه الألباني]، وقال ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ**» [رواه مسلم]. وقال ﷺ: «**لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ؛ فَإِذَا تَرَكَهَا فَقَدْ أَشْرَكَ**». [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

١٩٤١- مَن تعلم لغة قوم أمن مكرهم[1].

١٩٤٢- مَن تفقه في دين الله رزقه الله من حيث لا يحتسب وكفاه همه.

١٩٤٣- مَن تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه.

١٩٤٤- مِن تمام التحية الأخذ باليد.

١٩٤٥- مَن تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته ويسأله: «كيف هو؟»، وتمام تحيتكم بينكم: المصافحة.

١٩٤٦- مَن تمسك بسنتي عند فساد أمتي، فله أجر مئة شهيد.

١٩٤٧- مَن تمنى على أمتي الغلاء ليلة واحدة أحبط الله عمله أربعين سنة.

١٩٤٨- مَن تهاون بصلاته عاقبه الله تعالى بخمس عشرة عقوبة ستة منها في الدنيا، وثلاثة منها عند الموت، وثلاثة منها في قبره، وثلاثة منها تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره، فأما الستة التي تصيبه في الدنيا فالأولى ينزع الله البركة من عمره، والثانية يمسح الله سيما الصالحين من وجهه، والثالثة كل عمل يعمله من أعمال البر لا يُؤْجر عليه، والرابعة لا يرفع الله عز وجل له دعاء

(١) كان زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أحد الأذكياء، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسلم زيد وهو ابن إحدى عشرة سنة، فأمره النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يتعلم خط اليهود ليقرأ له كتبهم. قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم الْمَدِينَةَ ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فَأُعْجِبَ بِي، فَقَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً»، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَقَالَ: «**يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي**»، قَالَ زَيْدٌ: «فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ»، [رواه الإمام أحمد وغيره، وصححه الألباني]. زاد الحاكم: قال الأعمش: «كانت تأتيه كتب لا يشتهي أنْ يَطّلِعَ عليها إلا مَن يَثِقُ به»، قال الألباني: «سنده صحيح».

(حذَقَ في الشَّيء): أتقنه ومهر فيه، مارسه حتّى نبغ فيه. قال الألباني: «وهذا الحديث في معنى الحديث المتداول على الألسنة: «من تعلم لسان قوم أمن من مكرهم»، لكن لا أعلم له أصلًا بهذا اللفظ، ولا ذَكَره أحد ممن ألف في الأحاديث المشتهرة على الألسنة، فكأنه إنما اشتهر في الأزمنة المتأخرة». [السلسلة الصحيحة ١/ ٣٦٦].

إلى السماء والخامسة تمقته الخلائق في دار الدنيا، والسادسة ليس له حظ في دعاء الصالحين. وأما الثلاثة التي تصيبه عند الموت، فالأولى أن يموت ذليلًا، والثانية أن يموت جائعًا، والثالثة أن يموت عطشانَ ولو سقي مياه بحار الدنيا ما رُوي عطشه. وأما الثلاثة التي تصيبه في قبره، فالأولى يضيق الله عليه قبره، ويعصره حتى تختلف أضلاعه، والثانية يوقد عليه في قبره نارٌ ويتقلب في جمرها ليلًا ونهارًا، والثالثة يسلط الله عليه ثعبانًا يسمى الشجاع الأقرع عيناه من نار، وأظفاره من حديد، طول كل ظفر مسيرة يوم، فيقول له أنا الشجاع الأقرع، وصوته مثل الرعد القاصف، ويقول له: «أمرني الله أن أضربك على تضييع صلاة الصبح من الصبح إلى الظهر، وأضربك على تضييع صلاة الظهر من الظهر إلى العصر، وأضربك على تضييع صلاة العصر من العصر إلى المغرب، وأضربك على تضييع صلاة المغرب من المغرب إلى العشاء، وأضربك على تضييع صلاة العشاء من العشاء إلى الصبح»، وكلما ضربه ضربة يغوص في الأرض ستين ذراعًا فيدخل أظافره تحت الأرض ويخرجه فلا يبرح تحت الضرب إلى يوم القيامة. وأما الثلاثة التي تصيبه يوم القيامة، فالأولى يوكل الله به ملكًا يسحبه على جمر بوجهه في عرصات القيامة، والثانية يحاسبه حسابًا طويلًا، والثالثة لا ينظر الله إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم، ثم تلا النبي: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩][1].

---

(١) لا شك أن التهاون في أمر الصلاة شأنه خطير، ويكفي في الترهيب في ترك الصلاة ما ورد فيه في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، كقوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩]. وقال تعالى: ﴿ فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾ [الماعون].

وقوله ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**». [رواه البخاري].

وقال رسول الله ﷺ: «**الْعَهْدُ الذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**» [رواه أحمد والترمذي والنسائي، وصححه الألباني]. وقال ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلاَةِ**» [رواه مسلم]. =

١٩٤٩- مَن جالس عالمًا فكأنما جالس نبيًا.

١٩٥٠- مَن جمع القرآن متعه الله بعقله حتى يموت.

١٩٥١- مَن جهل شيئًا عاداه.

١٩٥٢- مَن حج البيت ولم يزرني فقد جفاني[١].

١٩٥٣- مَن حج بمال حرام فقال: «لبيك اللهم لبيك، قال الله عز وجل له: لا لبيك ولا سعديك، وحجك مردود عليك».

١٩٥٤- مَن حج حجة الإسلام وزار قبري وغزى غزوة وصلى في بيت المقدس، لم يسأله الله عما افترض عليه.

١٩٥٥- مَن حج عن أبيه أو أمه فقد قضى عنه حجته، وكان له فضل عشر حجج.

= وقال ﷺ: «**لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ؛ فَإِذَا تَرَكَهَا فَقَدْ أَشْرَكَ**». [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

(١) يترتب على هذا الحديث الموضوع أنه لا بد من الزيارة لكل من أراد أن يحج، ولو أنه لم يزر فحجه باطل، أو ناقص وهذا لا يقال في الأمور المستحبة كما لا يخفى، ومما يدل على وضعه أن جفاء النبي ﷺ من الكبائر إن لم يكن كفرًا، وعليه فمَن ترَكَ زيارته ﷺ يكون مرتكبًا لذنب كبير، وذلك يستلزم أن الزيارة واجبة كالحج وهذا مما لا يقوله مسلم، ذلك لأن زيارته ﷺ - وإن كانت من القربات - فإنها لا تتجاوز عند العلماء حدود المستحبات، فكيف يكون تاركها مجافيًا للنبي ﷺ ومعرضا عنه؟!. من القصص المكذوبة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص ويتخذ منها البعض دليلا على شد الرحال إلى القبور والتوسل بالموتى وتمريغ الوجه على قبورهم، قصة أن بلالًا رضي الله عنه لما كان بالشام رأى في منامه النبي ﷺ وهو يقول له: «ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورني يا بلال؟»، فانتبه حزينًا وَجِلًا خائفًا فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه، وأقبل الحسن والحسين فجعل يضمّهما ويقبّلهما فقالا: «يا بلال نشتهي نسمع أذانك الذي كنتَ تؤذنه لرسول الله في المسجد»، ففعل، فعَلَا سطح المسجد فوقف موقفه الذي كان يقف فيه فلما أن قال: «الله أكبر، الله أكبر» ارتجت المدينة، فلما أن قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» زاد تعاجيجها، فلما أن قال: «أشهد أن محمدا رسول الله» خرج العواتق من خدورهن فقالوا: «أبعث رسول الله؟»، فما رؤي يوم أكثر باكيًا ولا باكيةً بعد رسول الله من ذلك اليوم» [أخرج هذه القصة الحافظ ابن عساكر في (تاريخ دمشق) في ترجمة بلال رضي الله عنه، وهي قصة باطلة موضوعة بَيَّنَ العلماء كذبها على بلال رضي الله عنه، قال الحافظ ابن حجر: «هي قصة بَيِّنةُ الوضع» (اللسان، ١/ ١٠٧ - ١٠٨)، وضعفها الذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٣٥٧-٣٥٨)].

١٩٥٦- مَن حج، فزار قبري بعد موتي، كان كمن زارني في حياتي.

١٩٥٧- مَن حدَّثَ بحديث فعُطِس عنده فهو حق.

١٩٥٨- من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

١٩٥٩- مَن حَسَّن ظنه بالناس كثرت ندامته.

١٩٦٠- مَن حفر لأخيه المؤمن حفرة أوقعه الله في حفرته.

١٩٦١- مَن حفظ على أمتي أربعين حديثا من السنة كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة.

١٩٦٢- مَن حفظ على أمتي أربعين حديثًا من سنتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي.

١٩٦٣- مَن حفظ لسانه وسمعه وبصره يوم عرفة غفر له من عرفة إلى عرفة.

١٩٦٤- مَن حمل بجوانب السرير الأربع غفر له أربعون كبيرة.

١٩٦٥- مَن حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالإناث قبل الذكور فإنه من فرح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشيته حرم الله بدنه على النار.

١٩٦٦- مَن حمل من أمتي أربعين حديثًا بعثه الله يوم القيامة فقيهًا عالمًا.

١٩٦٧- مَن خاف الله خوَّف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خوَّفه الله من كل شيء.

١٩٦٨- مَن ختم القرآن أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي، ومن ختمه آخر النهار صلت عليه الملائكة حتى يصبح.

١٩٦٩- مَن خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله إلى بيته فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه.

١٩٧٠- مَن خَرج من بيته إلى الصلاة فقال: «اللهم إني أسألك بحق

السـائلين عليك، وأسـألك بحق ممشـاي هذا فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سـمعة وخرجت اتقاء سـخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني مـن النـار، وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك حتى تنقضي صلاته.

١٩٧١- مَن دخل المقابر، فقرأ سـورة (يس) خفف عنهم يومئذ، وكان له بعدد من فيها حسنات.

١٩٧٢- مَن دخل في هذا الدين، فهو عربي.

١٩٧٣- مَن دعا على من ظلمه فقد انتصر.

١٩٧٤- مَن دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يُعصَى الله.

١٩٧٥- مَن دفع غضبه دفع الله عنه عذابه، ومن حفظ لسانه ستر الله عورته، ومن اعتذر إلى الله قبل عذره.

١٩٧٦- مَـن ذكـر الله ففاضت عيناه من خشـية الله[1] حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذبه الله يوم القيامة.

١٩٧٧- مَـن ذهب في حاجة أخيه المسـلم فقضيـت حاجته كتب له حجة وعمرة، وإن لم تقض كتبت له عمرة.

١٩٧٨- من رأى شيئا يعجبه فقال: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» لم تضره العين.

١٩٧٩- مَن رأى من مسلم عورة فسترها، كان كمن أحيا موؤدة من قبرها.

١٩٨٠- مَن ربَّى صبيًّا حتى يقول: «لا إله إلا الله»، لم يحاسبه الله عز وجل.

١٩٨١- مَن رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل.

١٩٨٢- مَن رفع قرطاسـا من الأرض فيه بسم الله الرحمن الرحيم إجلالا

---

(١) مـن السَـبْعَةٌ الذيـن ذكر النبـي ﷺ أن اللهَ يُظِلُّهُمُ فِـي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِـلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: رَجُلٌ ذَكَـرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ [رواه البخاري ومسلم].

أن يـداس كتـب عند الله من الصديقين، وخفف عن والديه وإن كانا مشـركين، ومن كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجوَّده تعظيما لله غفر له.

١٩٨٣- مَن ركع عشر ركعات فيما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة.

١٩٨٤- مَن زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة مرة غفر الله له وكتب بَرًّا.

١٩٨٥- مَـن زار قبر والديه كل جمعة، فقرأ عندهما أو عنده (يس) غفر له بعدد كل آية أو حرف.

١٩٨٦- مَن زار قبري وجبت له شفاعتي.

١٩٨٧- مَن زارني بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة.

١٩٨٨- مَن زارني بعد موتي، فكأنما زارني في حياتي.

١٩٨٩- مَن زارني وزار أبي إبراهيم في سنة واحدة ضمنت له على الله الجنة.

١٩٩٠- مَن زارني وزار إبراهيم في عام واحد دخل الجنة.

١٩٩١- مَن زرع حصد.

١٩٩٢- مَن زَنَى زُنِيَ به ولو بحيطان داره[١].

١٩٩٣- مَـن زهـد في الدنيا أربعين يومـا وأخلص فيها العبـادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

١٩٩٤- مَـن زهـد في الدنيا علمه الله بـلا تعلُم، وهداه بـلا هداية، وجعله بصيرا، وكشف عنه العمى.

١٩٩٥- مَن زَوَّجَ كريمته من فاسق، فقد قطع رحمها[٢].

---

(١) قال الألباني في (السلسلة الضعيفة، (٢/ ١٥٥، رقم ٧٢٣): «ومما يؤيد بطلان هذا الحديث أنه يؤكد وقـوع الزنى في أهل الزاني، وهـذا باطل يتنافى مع الأصل المقـرر في القرآن: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[النجم:٣٩]، نعم إن كان الرجل يجهر بالزنا ويفعله في بيته فربما سرى ذلك إلى أهله والعياذ بالله تعالى ولكن ليس ذلك بحتم كما أفاده هذا الحديث، فهو باطل».

(٢) قـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا خَطَـبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَـوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَـهُ فَزَوِّجُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُـنْ فِتْنَةٌ فِى الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**». [رواه الترمذي، وحسّنه الألباني].

١٩٩٦- مَن سافر من دار إقامته يوم الجمعة دعت عليه الملائكة أن لايصحب في سفره.

١٩٩٧- مَن سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكان أن لايصحب في سفره ولا تقضى له حاجة [(١)].

١٩٩٨- مَن سبح دبر كل صلاة مكتوبة مائة مرة، وكبر مائة مرة، وهلل مائة مرة، غفر الله له ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر.

١٩٩٩- مَنْ سَرَّ مُؤمِنًا، فَإِنَّما يَسُرُّ اللهَ عز وجل[(٢)]، وَمَنْ عَظَّمَ مُؤمِنًا فِإِنَّما يُعظِّمُ اللهَ عز وجل، وَمَنْ أَكْرَمَ مُؤمِنًا، فِإِنَّما يُكرِمُ اللهَ عز وجل.

٢٠٠٠- «مَن سَرَّهُ أن يتزوج امرأة من أهل الجنة، فليتزوج أم أيمن»، رُوِيَ أن أم أيمن كانت تلطف النبي ﷺ، وتقوم عليه، فقال رسول الله ﷺ: «مَن سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة، فليتزوج أم أيمن»، فتزوجها زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد.

٢٠٠١- مَن سَرَّهُ أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال عليًّا مِن بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، رزقوا فهما وعلما، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي.

٢٠٠٢- مَن سَرَّهُ أن يحيا حياتي ويموت ميتتي، ويتمسك بالقصبة الياقوتة التي خلقها الله بيده، ثم قال لها: «كوني فكانت»، فليتَوَلَّ عليًّا بن أبي طالب من بعدي.

---

(١) ليس في السُنَّة ما يمنع من السفر يوم الجمعة مطلقا، وقد روى البيهقي عن الأسود بن قيس عن أبيه قال: أبصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلًا عليه هيئة سفر فسمعه يقول: «لولا أن اليوم يوم جمعة لخرجت» قال عمر رضي الله عنه: «اخرج فإن الجمعة لا تحبس عن سفر». [وهذا سند صحيح]. (انظر السلسلة الضعيفة للألباني، رقم ٢١٩).

(٢) قال ﷺ: «**أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ – عز وجل – سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ**» [رواه الطبراني، وحسنه الألباني].

٢٠٠٣- مَن سره أن ينجو فليلزم الصمت[١].

٢٠٠٤- مِن سعادة المرء أن يشبه أباه.

٢٠٠٥- مِن سعادة المرء خفة لحيته.

٢٠٠٦- مَن سمع المؤذن فقال مثل ما يقول فله مثل أجره.

٢٠٠٧- مَن صام من رجب ستة أيام خرج من قبره ووجهه أضوأ من القمر ليلة البدر، ومن صام من رجب سبعة أيام فإن لجهنم سبعة أبواب يغلق الله تعالى عنه بصوم كل يوم بابًا من أبوابها، ومن صام من رجب ثمانية أيام فإن للجنة ثمانية أبواب يفتح له بصوم كل يوم بابًا من أبوابها، ومن صام من رجب تسعة أيام خرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا الله، فلا يرد وجهه دون الجنة، ومن صام من رجب عشرة أيام جعل الله له على كل ميل من الصراط فراشًا يستريح عليه، ومن صام من رجب أحد عشر يومًا لم يُرَ في القيامة عبد أفضل منه إلا من صام مثله أو زاد عليه، ومن صام من رجب اثني عشر يومًا كساه الله يوم القيامة حلتين الحلة الواحدة خير من الدنيا وما فيها، ومن صام من رجب ثلاثة عشر يومًا توضع له يوم القيامة مائدة في ظل العرش والناس في شدة شديدة، ومن صام من رجب أربعة عشر يوما أعطاه الله تعالى من الثواب مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ومن صام من رجب خمسة عشر يومًا يقفه الله عز وجل موقف الآمنين، ولا يمر به ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا قال له: «طوباك أنت من الآمنين».

٢٠٠٨- مَن صام من رجب يومًا كان كسَنَةٍ.

٢٠٠٩- مَن صام من رجب يوما كتب له صوم ألف سنة، ومن صام منه يومين كتب له صوم ألفي سنة.

---

(١) قال ﷺ: «**مَنْ صَمَتَ نَجَا**» [رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه الألباني وحسنه الأرنؤوط]

٢٠١٠- مَن صام يوم الأربعاء والخميس كتب له براءة من النار.

٢٠١١- مَن صام يومًا من المحرم فله بكل يوم ثلاثون حسنة [١].

٢٠١٢- مَن صام يومًا من رجب عدل صيام شهر، ومن صام منه سبعة أيام غلقت عنه أبواب الجحيم السبعة، ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنة الثمانية، ومن صام عشر أيام بدل الله سيئاته حسنات ومن صام ثمانية عشر نادى مناد قد غفر الله لك ما مضى فاستأنف العمل.

٢٠١٣- مَن صام يومًا من رجب كان كصيام سنة، ومن صام سبعة أيام غلقت عنه أبواب جهنم، ومن صام ثمانية أيام فتحت له ثمانية أبواب الجنة، ومن صام عشرة أيام لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه الله، ومن صام خمسة عشر يومًا نادى مناد في السماء: «قد غفر لك ما سلف».

٢٠١٤- مَن صام يومًا من رجب، وصلى فيه أربع ركعات يقرأ في أول ركعة مائة مرة آية الكرسي، وفي الركعة الثانية ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له.

٢٠١٥- «مَن صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون».

٢٠١٦- مَن صلى الصبح ثم قرأ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائة مرة قبل أن يتكلم، فكلما قرأ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ غفر له ذنب سنة.

٢٠١٧- مَن صلى الصلوات لوقتها وأسبغ لها وضوءها وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها خرجت وهي بيضاء مسفرة تقول: «حفظك

---

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ**» [رواه مسلم].

الله كما حفظتني»، ومن صلاها لغير وقتها ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها خرجت وهي سوداء مظلمة تقول: «ضيعك الله كما ضيعتني»، حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه.

٢٠١٨- «مَن صلى الغداة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، جعل الله بينه وبين النار سترًا». رُوِيَ عن سعد الحذاء عن عمير بن المأموم قال: أتيتُ المدينة أزور ابنة عم لي تحت الحسن بن علي، فشهدتُ معه صلاة الصبح في مسجد رسول الله ﷺ، وأصبح ابن الزبير قد أَوْلَمَ، فأتى رسول ابن الزبير فقال: «يا ابن رسول الله! إن ابن الزبير أصبح قد أولم، وقد أرسلني إليك»، فالتفت إليَّ فقال: «هل طلعت الشمس؟» قلت: «لا أحسب إلا قد طلعت»، قال: «الحمد لله الذي أطلعها من مطلعها». قال: «سمعت أبي وجدي - يعني النبي ﷺ - يقول: «من صلى الغداة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، جعل الله بينه وبين النار سترًا» [1]، ثم قال: «قوموا فأجيبوا ابن الزبير»، فلما انتهينا إلى الباب تلقاه ابن الزبير على الباب فقال: «يا ابن رسول الله! أبطأتَ عني هذا اليوم؟»، فقال: «أما إني قد أجبتكم وأنا صائم»، قال: «فها هنا تحفة»، فقال الحسن بن علي: سمعت أبي وجدي - يعني النبي ﷺ - يقول: «تحفة الصائم الزائر أن يغلف لحيته ويجمر ثيابه ويذرر» [2]. قال: قلت: «يا ابن رسول الله ﷺ أعِدْ عليَّ الحديث»، قال: «سمعت أبي وجدي - يعني النبي ﷺ - يقول: «من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب آية محكمة، أو رحمة منتظرة، أو علمًا مستطرفًا،

---

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ»**. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ»**. [رواه الترمذي، وصححه الألباني]. (الغداة: الصبح).

(٢) أي يطيب، من (الذريرة)، وهو نوع من الطيب مجموع من أخلاط.

أو كلمة تزيده هدى أو تَرُدُّه عن ردًى، أو يدع الذنوب خشية أو حياء».

٢٠١٩- مَـن صلـى المغـرب في أول ليله من رجـب» رُوِيَ أن النبي ﷺ قـال: «من صلـى المغرب في أول ليله من رجب ثم صلى بعدها عشـرين ركعة يقـرأ في كل ليلة بفاتحة الكتاب و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾مرة ويسـلم فيهن عشـر تسـليمات أتدرون ما ثوابه؟ فإن الروح الأمين جبريل علمني ذلك»، قلنا: «الله ورسوله أعلم»، قال: «حفظه الله في نفسه وأهله وماله وولده، وأجير من عذاب القبر، وجاز على الصراط كالبرق بغير حساب ولا عذاب».

٢٠٢٠- مَـن صلى بعد المغرب سـت ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسـوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة.

٢٠٢١- مَن صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة بنى الله له بيتا في الجنة.

٢٠٢٢- مَن صلى خلف عالم تقي فكأنما صلى خلف نبي.

٢٠٢٣- مَـن صلى بعد المغرب سـت ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسـوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة.

٢٠٢٤- مَن صلى ركعتين لا يراه إلا الله عز وجل والملائكة كانت له براءة من النار.

٢٠٢٥- مَـن صلى سـت ركعـات بعد المغـرب قبل أن يتكلـم غفر له بها ذنوب خمسين سنة.

٢٠٢٦- مَن صلى صلاة فريضة فله دعوة مسـتجابة، ومن ختم القرآن فله دعوة مستجابة.

٢٠٢٧- مَـن صلـى علَيَّ في كِتَـاب؛ لم تزل الملائكة يسـتغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب.

٢٠٢٨- مـن صلـى ليلة الجمعة بين المغرب والعشـاء اثنتي عشـرة ركعة

يقـرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ إحدى عشـرة مرة فكأنما عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها.

٢٠٢٩- مَـن صلـى ليلة الجمعة صلاة العشـاء الآخـرة في جماعة وصلى ركعتـي السُـنّة، ثم صلى بعدهما عشـر ركعات قرأ في كل ركعـة فاتحة الكتاب و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ والمعوذتين مرة مرة، ثم أوتر بثلاث ركعات، ونام على جنبه الأيمن وجهه إلى القبله فكأنما أحيا ليلة القدر.

٢٠٣٠- مَن صلى ليله النصف من رجب أربع عشر ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد مرة و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾، إحدى عشر مرة و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثلاث مرات، فإذا فرغ من صلاته صلى علَيَّ عشر مرات، ثم يسبح الله ويحمده ويكبره ويهلله ثلاثين مرة، بعث الله إليه ألف ملك يكتبون له حسناته ويغرسون له الأشجار في الفردوس، ومحى عنه كل ذنب أصابه إلى تلك الليلة، ولم يكتب عليـه إلا مثلهـا من القابل، ويكتـب له بكل حرف قرأ في هذه الصلاة سـبعمائة حسـنة، وبني له بكل ركوع وسـجود عشـر قصور في الجنة من زبرجد أخضر، وأعطـي بـكل ركعة عشـر مدائن في الجنة ملَـك فيضع يده بين كتفيـه فيقول له استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك.

٢٠٣١- مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَـعْبَانَ اثْنَتَيْ عَشْـرَةَ رَكْعَةً، يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَـةٍ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ ثَلاثِينَ مَـرَّةً لَمْ يَخْرُجْ حَتَّى يَرَى مَقْعَـدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيَشْفَعَ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ وَجَبْت لَهُ النَّارُ».

٢٠٣٢- «مَنْ صَنَعَ مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتَ كَانَ لَهُ كَعِشْرِينَ حَجَّةً مَبْرُورَةٍ وَكَصِيَامِ عِشْرِينَ سَنَةٍ مَقْبُولَةٍ»، رُوِيَ عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ الله لَيْلَةَ النِّصْفِ مِـنْ شَـعْبَانَ قَامَ فَصَلَّى أَرْبَعَ عَشْـرَةَ رَكْعَةً ثُـمَّ جلس بعد الْفَرَاغ فَقَـرَأَ بِأم الْقُرْآنِ أَرْبَعَ عَشَـرَ مَرَّةً، وَ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ أَرْبَعَ عَشَـرَ مَرَّةً وَآيَة الْكُرْسِـيّ مرّة،

و ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلاتِهِ سَأَلْتُهُ عَمَّا رَأَيْتُهُ مِنْ صَنِيعِهِ فَقَالَ: «مَنْ صَنَعَ مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتَ كَانَ لَهُ كَعِشْرِينَ حَجَّةً مَبْرُورَةٍ وَكَصِيَامِ عِشْرِينَ سَنَةٍ مَقْبُولَةٍ، فَإِنْ أَصْبَحَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ صَائِمًا كَانَ لَهُ كَصِيَامِ سَنَتَيْنِ سَنَةٍ مَاضِيَةٍ وَسَنَةٍ مُسْتَقْبَلَةٍ».

٢٠٣٣- مَن ضحى طَيِّبَةً بها نفسه، محتسبًا لأضحيته كانت له حجابًا من النار.

٢٠٣٤- مَن ضحك في الصلاة فلْيُعِد الوضوء والصلاة.

٢٠٣٥- من طاف بالبيت أسبوعًا وصلى خلق المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت.

٢٠٣٦- مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا[1]، وَلاَ يَتَكَلَّمُ إِلاَّ بِسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ مُحِيَتْ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ...»، رُوِيَ عَنْ حُمَيْدُ بْنُ أَبِى سَوِيَّةَ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ هِشَامٍ يَسْأَلُ عَطَاءَ بْنَ أَبِى رَبَاحٍ عَنِ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقَالَ عَطَاءٌ: حَدَّثَنِى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «وُكِلَ بِهِ سَبْعُونَ مَلَكًا، فَمَنْ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، قَالُوا آمِينَ». فَلَمَّا بَلَغَ الرُّكْنَ الأَسْوَدَ قَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَا بَلَغَكَ فِى هَذَا الرُّكْنِ الأَسْوَدِ فَقَالَ عَطَاءٌ: حَدَّثَنِى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ فَاوَضَهُ[2] فَإِنَّمَا يُفَاوِضُ يَدَ الرَّحْمَنِ». قَالَ لَهُ ابْنُ هِشَامٍ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ فَالطَّوَافُ، قَالَ عَطَاءٌ: حَدَّثَنِى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ طَافَ

---

(١) قال ﷺ: «مَنْ طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ أُسْبُوعًا فَأَحْصَاهُ كَانَ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ، وَلاَ يَضَعُ قَدَمًا وَلاَ يَرْفَعُ أُخْرَى إِلاَّ حَطَّ اللهُ عَنْهُ خَطِيئَةً وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً». [رواه الترمذي، وصححه الألباني]. (أُسْبُوعًا: أي سبعة أشواط).

(٢) (فاوضه): أي قابله بوجهه.

بِالْبَيْتِ سَبْعًا، وَلاَ يَتَكَلَّمُ إِلاَّ بِسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ مُحِيَتْ عَنْهُ عَشْرُ سِيِّئَاتٍ وَكُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَرُفِعَ لَهُ بِهَا عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَمَنْ طَافَ فَتَكَلَّمَ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ بِرِجْلَيْهِ كَخَائِضِ الْمَاءِ بِرِجْلَيْهِ»[١].

٢٠٣٧- مَن طلب الدنيا حلالًا واستعفافًا عن المسألة وسعيًا على أهله، وتعطفًا على جاره، بعثه الله يوم القيامة، ووجهه مثل القمر ليلة البدر، ومن طلبها حلالا متكاثرا بها مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان.

٢٠٣٨- مَن طلب العلم تكفل الله له برزقه.

٢٠٣٩- مَن طلب ما عند الله كانت السماء ظلاله، والأرض فراشه، لم يهتم بشيء من أمر الدنيا، فهو لا يزرع ويأكل الخبز، وهو لا يغرس الشجر ويأكل الثمار، توكلا على الله تعالى، وطلبا لمرضاته، فضمن الله السموات السبع والأرضين السبع رزقه، فهم يتعبون فيه، ويأتون به حلالا، ويستوفي هو رزقه بغير حساب عند الله تعالى حتى أتاه اليقين.

٢٠٤٠- مَن عبد الله بجهل كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

٢٠٤١- مَن عرف نفسه فقد استراح.

٢٠٤٢- مَن عَرَفَ نفسهُ فقد عرف ربَّه.

٢٠٤٣- مَن عشق فعف ثم مات مات شهيدا.

٢٠٤٤- مَن عشق فكتم وعف فمات فهو شهيد.

٢٠٤٥- من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه.

٢٠٤٦- مَن عفا عند القدرة عفا الله عنه يوم العسرة.

---

(١) (خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ بِرِجْلَيْهِ كَخَائِضِ الْمَاءِ بِرِجْلَيْهِ) أي كأنَّ رجليه في الرحمة فقط دون سائر جسده. بخلاف من يذكر الله تعالى في تلك الحالة فإنه في الرحمة بتمام جسده.

٢٠٤٧- من علّم عبدًا آية من كتاب الله فهو له عبد.

٢٠٤٨- مَن علمني حرفًا صرت له عبدًا.

٢٠٤٩- من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم.

٢٠٥٠- مَن عيَّر أخاه بذنب لم يمُت حتى يعمله.

٢٠٥١- «مَـنْ فَاوَضَهُ فَإِنَّمَا يُفَاوِضُ يَـدَ الرَّحْمَنِ»، رُوِيَ عَنْ حُمَيْدُ بْنُ أَبِى سَـوِيَّةَ قَالَ سَـمِعْتُ ابْنَ هِشَامٍ يَسْـأَلُ عَطَاءَ بْنَ أَبِى رَبَاحٍ عَنِ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ وَهُوَ يَطُـوفُ بِالْبَيْـتِ، فَقَالَ عَطَـاءٌ: حَدَّثَنِى أَبُو هُرَيْـرَةَ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَـالَ: «وُكِلَ بِهِ سَـبْعُونَ مَلَكًا، فَمَنْ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْـأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، قَالُوا آمِينَ»، فَلَمَّا بَلَغَ الرُّكْنَ الأَسْـوَدَ قَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَا بَلَغَكَ فِى هَذَا الرُّكْنِ الأَسْـوَدِ فَقَالَ عَطَاءٌ حَدَّثَنِى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ فَاوَضَهُ[١] فَإِنَّمَا يُفَاوِضُ يَدَ الرَّحْمَنِ»، قَالَ لَهُ ابْنُ هِشَامٍ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ فَالطَّوَافُ، قَالَ عَطَاءٌ: حَدَّثَنِى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا[٢]، وَلاَ يَتَكَلَّمُ إِلاَّ بِسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ مُحِيَتْ عَنْهُ عَشْـرُ سِـيِّئَاتٍ وَكُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَرُفِعَ لَهُ بِهَا عَشْـرُ دَرَجَاتٍ، وَمَنْ طَافَ فَتَكَلَّمَ وَهُوَ فِى تِلْكَ الْحَالِ خَاضَ فِى الرَّحْمَةِ بِرِجْلَيْهِ كَخَائِضِ الْمَاءِ بِرِجْلَيْهِ»[٣].

٢٠٥٢- «مَـن فَضَّـل زوجته علـى أمه فعليـه لعنة الله والملائكـة والناس أجمعيـن»، رُوِيَ أنه كان في زمن النبي ﷺ شـاب يُسـمَّى علقمـة، وكان كثير

(١) (فاوضه): أي قابله بوجهه.

(٢) قـال ﷺ: «مَـنْ طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ أُسْـبُوعًا فَأَحْصَـاهُ كَانَ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ، وَلاَ يَضَعُ قَدَمًـا وَلاَ يَرْفَعُ أُخْرَى إِلَّا حَطَّ اللهُ عَنْهُ خَطِيئَةً وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَـنَةً»، [رواه الترمذي، وصححه الألباني]. (أُسْـبُوعًا: أي سبعة أشواط).

(٣) (خَاضَ فِى الرَّحْمَةِ بِرِجْلَيْهِ كَخَائِضِ الْمَاءِ بِرِجْلَيْهِ) أي كأنَّ رجليه في الرحمة فقط دون سـائر جسده. بخلاف من يذكر الله تعالى في تلك الحالة فإنه في الرحمة بتمام جسده.

الاجتهاد في طاعة الله في الصلاة والصوم والصدقة، فمرض واشتد مرضه، فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ: «إن زوجي علقمة في النزْع فأردتُ أن أعلمك يا رسول الله بحاله»، فأرسل النبي ﷺ عمارًا وصهيبًا وبلالًا وقال «امضوا إليه ولقنوه الشهادة»، فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجدوه في النـزع فجعلوا يلقنونه «لا إله إلا الله» ولسانه لا ينطق بها، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة، فقال النبي ﷺ: «هل من أبويه أحد حي؟»، قيل: «يا رسول الله، أم كبيرة السن»، فأرسل إليها رسول الله ﷺ، وقال للرسول: «قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقَرِّي في المنزل حتى يأتيك»، فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت: «نفسي لنفسه فداء، أنا أحق بإتيانه»، فتوكأت وقامت على عصا وأتت رسول الله ﷺ فسلمَتْ فرد عليها السلام، وقال لها: «يا أم علقمة اصدقيني، وإن كذبت جاء الوحي من الله تعالى، كيف كان حال ولدك علقمة؟»، قالت: «يا رسول الله كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة»، قال رسول الله ﷺ: «فما حالك؟»، قالت: «يا رسول الله أنا عليه ساخطة»، قال: «ولِمَ؟»، قالت: «يا رسول كان يُؤْثِرُ علَيَّ زوجته ويعصيني»، فقال رسول الله ﷺ: «إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة»، ثم قال: «يا بلال انطلق واجمع لي حطبًا كثيرًا»، قالت: «يا رسول الله، وما تصنع؟» قال: «أحرقه بالنار بين يديك»، قالت: «يا رسول الله، ولدي لا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يدي»، قال: «يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى فإنْ سَرَّكِ أن يغفر الله له فارضي عنه؛ فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دُمْتِ عليه ساخطة»، فقالت: «يا رسول الله إني أشهِدُ الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين أني قد رضيت عن ولدي علقمة»، فقال رسول الله ﷺ: «انطلق يا بلال إليه وانظر هل

يستطيع أن يقول لا إله إلا الله أم لا؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياءً مني»، فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول: «لا إله إلا الله» فدخل بلال فقال: «يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وإن رضاها أطلق لسانه، ثم مات علقمة من يومه فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه، ثم قام على شفير قبره، وقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار، مَن فَضَّل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، إلا أن يتوب إلى الله عز وجل، ويحسن إليها ويطلب رضاها، فرضى الله في رضاها وسخط الله في سخطها»[1].

٢٠٥٣- مِن فقه الرجل أن يصلح معيشته، وليس من حب الدنيا طلب ما يصلحك.

٢٠٥٤- مِن فقه الرجل رفقه في معيشته.

٢٠٥٥- مَن قال إذا أصبح: سبحان الله وبحمده ألف مرة، فقد اشترى نفسه من الله تبارك وتعالى، وكان من آخر يومه عتيقا من النار.

٢٠٥٦- مَن قال: جزى الله عنا محمدا ﷺ بما هو أهله، أتعب سبعين كاتبا ألف صباح.

٢٠٥٧- مَن قال حين يأوي إلى فراشه: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه» ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت عدد ورق الشجر، وإن كانت عدد رمل عالج، وإن كانت عدد أيام الدنيا.

٢٠٥٨- مَن قال حين يصبح ثلاث مرات: «أعوذ بالله السميع العليم من

---

(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ**» [رواه الترمذي وصححه الألباني]، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِلَفْظِ: «**رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِهِمَا**» [وحسنه الألباني].

الشيطان الرجيم»، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكّل الله به سبعين ألف ملك يُصَلّون عليه حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدًا، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة.

٢٠٥٩- مَن قال حين يصبح: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم] أدرك ما فاته في يومه ذلك. ومن قالهن حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته.

٢٠٦٠- من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه» ثلاث مرات، غفر الله تعالى ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر.

٢٠٦١- مَنْ قَالَ فِي القُرآنِ بِرَأيِهِ، فَأَصَابَ، فَقَدْ أَخْطَأَ.

٢٠٦٢- مَنْ قَالَ فِي القُرآنِ بِرأيِهِ، أَوْ بِمَا لا يَعلَمُ فَلْيَتَبوأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.

٢٠٦٣- مَن قام ليلتي العيد محتسبا لله تعالى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب.

٢٠٦٤- مَن قَبَّلَ بين عينَيْ أمه كان له سترا من النار.

٢٠٦٥- مَن قتل حية أو عقربا فكأنما قتل كافرا.

٢٠٦٦- مَن قرأ إذا سلم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثني رجليه: فاتحة الكتاب و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ سبعًا سبعًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

٢٠٦٧- مَن قرأ السورة التي يُذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تَجِبَ الشمس[1].

---

(١) وجبَتِ الشَّمسُ: غابت.
قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَأتِي القُرْآنُ يَوْمَ القِيَامَةِ تَقْدُمُهُ البَقَرَةُ وآلُ عِمْرَانَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَّافّ**» [رواه مسلم].
(غمامتان أو غَيَايتانِ): كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها، (فِرْقان): أي: قطعتان.

٢٠٦٨- مَن قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم، وقراء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة، فاستجر به الملوك، واستمال به الناس، ورجل قرأ القرآن فأقام حروفه وضيع حدوده، كثر هؤلاء من قراء القرآن لا كثرهم الله، ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله وأظمأ به نهاره فأقاموا به مساجده، بهؤلاء يدفع الله البلاء ويزيل الأعداء وينزل غيث السماء فوالله لهؤلاء من قراء القرآن أعز من الكبريت الأحمر.

٢٠٦٩- مَن قرأ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ و﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ في الفجر لم يرمد.

٢٠٧٠- مَن قرأ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ و﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ في ركعتي الفجر قصرت يد كل ظالم وعدو عنه ولم يجعل له إليه سبيلًا.

٢٠٧١- مَن قرأ بعد صلاة الجمعة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ سبع مرات أعاذه الله بها من السوء إلى الجمعة الأخرى.

٢٠٧٢- مَن قرأ (حم الدخان) في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك.

٢٠٧٣- مَن قرأ (حم الدخان) في ليلة الجمعة غفر له.

٢٠٧٤- مَن قرأ (حم الدخان) في ليلة جمعة أو يوم جمعة بنى الله له بيتا في الجنة.

٢٠٧٥- مَن قرأ (حم المؤمن) إلى ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[١] وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح[٢].

---

(١) أي قوله تَعَالَىٰ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر].

(٢) راجع الأحاديث الصحيحة في أذكار الصباح والمساء.

٢٠٧٦- مَـن قرأ خواتيم الحشـر من ليـل أو نهار فقبض في ذلـك اليوم أو الليلة فقد أوجب الجنة.

٢٠٧٧- مَـن قـرأ ربع القرآن فقد أوتي ربع النبوة، ومن قرأ ثلث القرآن فقد أوتي ثلث النبوة، ومن قرأ ثلثي القرآن فقد أوتي ثلثي النبوة، ومن قرأ القرآن فقد أوتي النبوة.

٢٠٧٨- من قرأ سورة الدخان في ليلة غفر له ما تقدم من ذنبه.

٢٠٧٩- من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا، ومن قرأ كل ليلة ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لقي الله يوم القيامة ووجهه في صورة القمر ليلة البدر[1].

٢٠٨٠- مـن قرأ سـورة الواقعة وتعلمها لم يكتب مـن الغافلين ولـم يفتقر هو وأهل بيته.

---

(١) عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ ﴿الٓمٓ ① تَنزِيلُ﴾ السَّجْدَةِ وَ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾. [رواه الترمذي، وصححه الألباني]. وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لاَ يَنَامُ عَلَى فِرَاشِهِ حَتَّى يَقْرَأَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَالزُّمَرَ». [رواه الترمذي، وصححه الألباني].
(لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالزُّمَرَ) أَيْ لَمْ يَكُنْ عَادَتُهُ النَّوْمَ قَبْلَ قِرَاءَة سُورَتَيْ الْإِسْرَاء وَالزُّمَرَ.
وعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَـارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لاَ يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الْمُسَـبِّحَاتِ وَيَقُولُ: «فِيهَا آيَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ». [رواه الترمذي، وحسّنه الألباني].
(الْمُسَـبِّحَاتِ) بِكَسْـرِ الْبَاءِ: هِيَ السُّـوَرُ الَّتِي فِي أَوَائِلِهَا سُـبْحَانَ أَوْ سَـبَّحَ بِالْمَاضِي أَوْ يُسَبِّحُ أَوْ سَبِّحْ بِالْأَمْرِ وَهِيَ سَـبْعَةٌ: الْإِسْرَاءُ وَالْحَدِيدُ وَالْحَشْـرُ وَالصَّفُّ وَالْجُمُعَةُ وَالتَّغَابُنُ وَالْأَعْلَى. (قَبْلَ أَنْ يَرْقُدَ) أَيْ يَنَامَ.
(يَقُولُ) اِسْتِئْنَافٌ لِبَيَانِ الْحَامِلِ لَهُ عَلَى قِرَاءَةِ تِلْكَ السُّوَرِ كُلَّ لَيْلَةٍ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ (إِنَّ فِيهِنَّ) أَيْ فِي الْمُسَبِّحَاتِ (آيَـةً) أَيْ عَظِيمَـةً (خَيْرٌ) أَيْ هِيَ خَيْرٌ (مِنْ أَلْفِ آيَةٍ) قِيلَ: هِيَ قولُه تعَالَى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] وَهَذَا مِثْلُ اِسْمِ الْأَعْظَمِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَسْمَاءِ فِي الْفَضِيلَةِ فَعَلَى هَذَا (فِيهِنَّ) أَيْ فِي مَجْمُوعِهِنَّ.
وَقِيلَ: هِيَ قولُه تعَالَى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].
وَقِيلَ: الْأَظْهَرُ أَنَّهَا هِيَ الْآيَةُ الَّتِي صُدِّرَتْ بِالتَّسْبِيحِ، وَفِيهِـنَّ بِمَعْنَى جَمِيعُهُنَّ وَالْخَيْرِيَّةُ لِمَعْنَى الصِّفَةِ التَّنْزِيهِيَّةِ الْمُلْتَزِمَةِ لِلنُّعُوتِ الْإِثْبَاتِيَّةِ.
وَقِيـلَ: أَخْفَـى الْآيَةَ فِيهَا كَإِخْفَاءِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي اللَّيَالِي وَإِخْفَاءِ سَـاعَةِ الْإِجَابَةِ فِي يَوْمِ الْجُمْعَةِ مُحَافَظَةً عَلَى قِرَاءَةِ الْكُلِّ لِئَلَّا تَشِذَّ تِلْكَ الْآيَةُ.

٢٠٨١- مَن قرأ في إثر وضوئه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ مرة واحدة كان من الصديقين، ومَن قرأها مرتين كُتب في ديوان الشهداء، ومَن قرأها ثلاثًا حشره الله محشر الأنبياء.

٢٠٨٢- مَن قرأ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ألف مرة فقد اشترى نفسه من النار.

٢٠٨٣- مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَكَانَ أَفْضَلَ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ إِذَا اتَّقَى(١).

٢٠٨٥- مَن قرأ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن أجمع (٢).

---

(١) عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا – قَالَ – فَأَدْرَكْتُهُ فَقَالَ: «قُلْ». فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا. ثُمَّ قَالَ: «قُلْ». فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا. قَالَ: «قُلْ». قُلْتُ: «مَا أَقُولُ؟». قَالَ: «قُلْ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ». [رواه الترمذي، وحسّنه الألباني].

(٢) قال الألباني: «والمحفوظ في الأحاديث الصحيحة: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن؛ دون تثليث قراءتها»، (انظر: السلسلة الضعيفة، رقم ٤٦٣٤).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**» [رواه البخاري]. وفي رواية للبخاري أيضًا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ أَنَّ الرَّجُلَ قَامَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَقْرَأُ مِنَ السَّحَرِ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: «أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟»، فَقَالَ: «اللهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ» [رواه البخاري ومسلم].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْشُدُوا، فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَقَرَأَ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: «إِنِّي أُرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ»، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**» [رواه مسلم].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»، فَقَرَأَ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا [رواه مسلم].

وعن مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ ﵁ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، عَشْرَ مَرَّاتٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**» [رواه الطبراني، وصححه الألباني].

٢٠٨٦- مَن قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة.

٢٠٨٧- من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرة بورك عليه، فإن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله، فإن قرأها ثلاثا بورك عليه وعلى أهله وعلى جيرانه، وإن قرأها اثنتي عشرة مرة بنى الله له بها اثني عشر قصرا في الجنة [1] وتقول الحفظة: «انطلقوا بنا ننظر إلى قصور أخينا»، فإن قرأها مئة مرة كفر عنه ذنوب خمس وعشرين سنة؛ ما خلا الدماء والأموال، فإن قرأها مئتي مرة كفر عنه ذنوب خمسين سنة؛ ما خلا الدماء والأموال، وإن قرأها ثلاثمئة مرة كتب له أجر اربعمئة شهيد كل قد عقر جواده وأهريق دمه، وأن قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة أو يرى له.

٢٠٨٨- من قرأ كل يوم مائتي مرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ محي عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين.

٢٠٨٩- مَنْ قَرَأَ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ أَلْفَ مَرَّةٍ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي مِائَةِ رَكْعَةٍ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ إِلَيْهِ فِي مَنَامه مَلَكٍ ثَلاثُونَ يُبَشِّرُونَهُ بِالْجَنَّةِ وَثَلاثُونَ يُؤَمِّنُونَهُ مِنَ النَّارِ وَثَلاثُونَ يَعْصِمُونَهُ من أَن يُخطئ وَعشر يكيدون من عَادَاهُ.

٢٠٩٠١٢- مَنْ قَرَأَ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ أَلْفَ مَرَّةٍ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي مِائَةِ رَكْعَةٍ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ إِلَيْهِ فِي مَنَامِهِ مِائَةَ مَلَكٍ، ثَلاثُونَ يُبَشِّرُونَهُ بِالْجَنَّةِ وَثَلاثُونَ يُؤَمِّنُونَهُ مِنَ النَّارِ وَثَلاثُونَ يَعْصِمُونَهُ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ، وَعَشْرٌ يَكِيدُونَ مَنْ عَادَاهُ مَنْ قَرَأَ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

---

(١) عن مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، عَشْرَ مَرَّاتٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**» [رواه الطبراني، وصححه الألباني].

أَلْفَ مَرَّةً فِي عَشْرِ رَكَعَاتٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ إِلَيْهِ مِائَةَ مَلَكٍ ثَلاثُونَ يُبَشِّرُونَهُ بِالْجَنَّةِ وَثَلاثُونَ يُؤَمِّنُونَهُ مِنَ الْعَذَاب وَثَلَاثُونَ يقوّمُونه أَن يخطىء وَعَشَرَةُ أَمْلاكٍ يَكْتُبُونَ أَعْدَاءَهُ.

٢٠٩١- مَنْ قَرَأَ مِنْكُمْ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ فَانْتَهَى إِلَى آخِرِهَا ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ فَلْيَقُلْ: «بَلَى وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ»، وَمَنْ قَرَأَ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، فَانْتَهَى إِلَى ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فَلْيَقُلْ: «بَلَى» (١)، وَمَنْ قَرَأَ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ فَبَلَغَ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ فَلْيَقُلْ: «آمَنَّا بِاللهِ».

٢٠٩٢- مَن قرأ ﴿يسٓ﴾ ابتغاء وجه الله غفر الله له ما تقدم من ذنبه فاقرءوها عند موتاكم.

٢٠٩٣- مَنْ قَرَأَ ﴿يسٓ﴾ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ عَشْرَ مَرَّاتٍ.

٢٠٩٤- مَن قرأ ﴿يسٓ﴾ مرة فكأنما قرأ القرآن عشر مرات.

٢٠٩٥- مَن قرأ ﴿يسٓ﴾ في ليلة أصبح مغفورا له.

٢٠٩٦- مَن قرأ ﴿يسٓ﴾ كل ليلة غفر له.

٢٠٩٧- مَن قرأ ﴿يسٓ﴾ مرة فكأنما قرأ القرآن مرتين.

٢٠٩٨- مَنْ قَرِضَ بيتَ شِعرٍ بَعدَ العِشاءِ الآخِرةِ، لَمْ تُقبلْ لَهُ صَلاةٌ تِلكَ الليلَةَ.

٢٠٩٩- مَن قضى لأخيه المسلم حاجة كان له من الأجر كمن حج واعتمر.

---

(١) عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَوْقَ بَيْتِهِ وَكَانَ إِذَا قَرَأَ ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قَالَ: «سُبْحَانَكَ، فَبَلَى»، فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: (سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ» [رواه أبو داود، وصححه الألباني]. والرجل صحابي وجهالته لا تضركما هو معروف عند العلماء.
وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وأبو داود، وصححه الألباني].

٢١٠٠- مَن قضى لأخيه المسلم حاجة كان له من الأجر كمن خدم الله عمره.

٢١٠١- مَن قضى لأخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت له [(١)].

٢١٠٢- مَن قَلّد عالمًا لقِيَ الله سالمًا.

٢١٠٣- مَن قَلَّمَ أظافره يوم الجمعة قبل الصلاة، أخرج الله منه كل داء، وأدخل مكانه الشفاء والرحمة.

٢١٠٤- مَن قَلَّمَ أظفاره يوم الجمعة وُقِيَ من السوء إلى مثلها.

٢١٠٥- مَن كان له صبي فليتصابى له.

٢١٠٦- مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجعل نفسه موضع التهمة[(٢)].

٢١٠٧- «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُرَوِّعَنَّ مسلمًا»، رُوِيَ عن شمر بن عطية عن سليمان بن صرد أن أعربيًا صلى مع النبي ﷺ ومعه قرن، فأخذها بعض القوم، فلما سلم النبي ﷺ قال الأعرابي: «أين القرن؟» فكأن

---

(١) قَالَ ﷺ: «أَحَبُّ النَاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ، وأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ - عز وجل - سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِي مَعَ أَخِي المسْلِمِ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ شَهْرًا، ومَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رِضًى يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ المُسْلِمِ فِي حَاجَتِهِ حَتَّى يُثْبِتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللهُ تَعَالَى قَدَمَهُ يَوْمَ تَزِلّ الأَقْدَامُ، وإِنّ سُوءَ الخُلُقِ لَيُفْسِدُ العَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الخَلّ العَسَلَ». [رواه الطبراني وحسّنه الألباني].

(٢) عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ لأَنْقَلِبَ فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»، فَقَالَا: «سُبْحَانَ اللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ»، قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا»، أَوْ قَالَ: «شَيْئًا». [رواه البخاري ومسلم].

بعض القوم ضحك! فقال النبي ﷺ: «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُرَوِّعَنَّ مسلمًا»[1].

٢١٠٨- مَن كانت له حاجة إلى الله أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ فليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله وليصل على النبي ﷺ ثم ليقل: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل برّ، والسلامة من كل إثم، لا تدع لي ذنبا إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها، يا أرحم الراحمين».

٢١٠٩- مَن كانت له ذمتنا، فدمه كدَمِنا، ودِيَتُه كديتنا[2].

---

(١) ويغني عنه حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا**»، [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

(٢) ومثله: حديث لهم ما لنا، وعليهم ما علينا (يعني أهل الذمة).

قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ في السلسلة الضعيفة (رقم ١١٠٣): «وقد اشتهر في هذه الأزمنة المتأخرة، على ألسنة كثير من الخطباء والدعاة والمرشدين، مغترين ببعض الكتب الفقهية، مثل (الهداية) في المذهب الحنفي، وقد أشار الحافظان الزيلعي وابن حجر إلى أن الحديث لا أصل له عن رسول الله ﷺ، وأن صاحب (الهداية) قد وهم في زعمه ورود ذلك في الحديث.

بل قد جاء ما يدل على بطلان ذلك، وهو قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ**»، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، فهذا نص صريح على أن الذين قال فيهم الرسول ﷺ هذه الجملة: «لهم ما لنا، وعليهم ما علينا» ليس هم أهل الذمة الباقين على دينهم، وإنما هم الذين أسلموا منهم، ومن غيرهم من المشركين!

وهذا هو المعروف عند السلف، فقد حدّث أَبُو الْبَخْتَرِيِّ أَنَّ جَيْشًا مِنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ كَانَ أَمِيرَهُمْ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَاصَرُوا قَصْرًا مِنْ قُصُورِ فَارِسَ فَقَالُوا: «يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَلَا نَنْهَدُ إِلَيْهِمْ»، قَالَ: «دَعُونِي أَدْعُهُمْ كَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْعُوهُمْ»، فَأَتَاهُمْ سَلْمَانُ فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ فَارِسِيٌّ تَرَوْنَ الْعَرَبَ يُطِيعُونَنِي؛ فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ فَلَكُمْ مِثْلُ الَّذِي لَنَا وَعَلَيْكُمْ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَا، وَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا دِينَكُمْ تَرَكْنَاكُمْ عَلَيْهِ وَأَعْطُونَا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ»، قَالَ: «وَرَطَنَ إِلَيْهِمْ بِالْفَارِسِيَّةِ: «وَأَنْتُمْ غَيْرُ مَحْمُودِينَ وَإِنْ أَبَيْتُمْ نَابَذْنَاكُمْ عَلَى سَوَاءٍ»، قَالُوا: «مَا نَحْنُ بِالَّذِينَ نُعْطِي الْجِزْيَةَ وَلَكِنَّا نُقَاتِلُكُمْ»، =

٢١١٠- مَن كتب ﴿يسٓ﴾ ثم شربها؛ دخل جوفه ألف نور، وألف رحمة، وألف بركة، وألف دواء، أو خرج منه ألف داء.

= فَقَالُوا: «يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَلَا نَنْهَدُ إِلَيْهِمْ؟»، قَالَ: «لَا»، فَدَعَاهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَى مِثْلِ هَذَا ثُمَّ قَالَ: «انْهَدُوا إِلَيْهِمْ»، قَالَ: «فَنَهَدْنَا إِلَيْهِمْ فَفَتَحْنَا ذَلِكَ الْقَصْرَ». (أخرجه الترمذي وقال: «حديث حسن» وأحمد من طرق عن عطاء بن السائب عنه).

ولقد كان هذا الحديث (أي حديث لهم ما لنا وعليهم ما علينا) ونحوه من الأحاديث الموضوعة والواهية سببًا لتبَنِّي بعض الفقهاء من المتقدمين، وغير واحد من العلماء المعاصرين، أحكامًا مخالفة للأحاديث الصحيحة، المذهب الحنفي مثلا يرى أن دم المسلمين كدم الذميين، فيقتل المسلم بالذمي، ودِيَتُه كدِيَتِه مع ثبوت نقيض ذلك في السنة على ما بينْتُه في حديث سبق برقم (٤٥٨)، وذكرتُ هناك من تبناه من العلماء المعاصرين!

وهذا الحديث الذي نحن في صدد الكلام عليه اليوم طالما سمعناه من كثير من الخطباء والمرشدين يرددونه في خطبهم، يتبجحون به، ويزعمون أن الإسلام سوَّى بين الذميين والمسلمين في الحقوق، وهم لا يعلمون أنه حديث باطل لا أصل له عن رسول الله ﷺ! فأحببت بيان ذلك، حتى لا يُنْسَب إلى النبي ﷺ ما لم يقل!

ونحوه ما روى أبو الجنوب قال: قال علي رضي الله عنه: «من كانت له ذمتنا، فدمه كدمنا، وديته كديتنا»، أخرجه الشافعي (١٤٢٩) والدارقطني (٣٥٠) وقال: «وأبو الجنوب ضعيف».

وأورده صاحب (الهداية) بلفظ: «إنما بذلوا الجزية، لتكون دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا».

وهو مما لا أصل له، كما ذكرته في [إرواء الغليل (١٢٥١)]، (اه كلام الألباني باختصار وتصرف يسيرين).

وقال الألباني أيضًا في (السلسلة الضعيفة رقم ٢١٧٦): «وإن مما يؤكد بطلانه (أي حديث لهم ما لنا، وعليهم ما علينا) مخالفته لنصوص أخرى قطعية كقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم]، وقوله ﷺ: «**لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ**»، وقوله: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ**»، وقوله: «**لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ**»، وكل هذه الأحاديث مما اتفق العلماء على صحتها». اهـ.

ومن هنا يظهر جليا صدقَ عنوان كتابنا هذا في الأحاديث الضعيفة: «وأثرها السيئ في الأمة»، فطالما صرفت كثيرا منهم على مر الدهور والعصور عن دينهم، لا فرق في ذلك بين العقائد والأحكام والأخلاق والسلوك، وليس ذاك في العامة فقط، بل وفي بعض الخاصة، وها هو المثال بين يديك، فإن هذا الحديث الباطل، قد تلقاه بالقبول بعض الدعاة والكُتّاب الإسلاميين، وأشاعوه بين الشباب المسلم في كتاباتهم ومحاضراتهم، وبنوا عليه مِن الأحكام ما لم يَقُلْ به عالم من قبل!

وإن مما يحسن لفت النظر إليه أن الأحناف الذين تفردوا بهذا الحديث الباطل لم يأخذوا به إلا في المبايعات كما تقدم ذكره عن كتابهم (الهداية)، خلافا لهؤلاء الكتاب الذي توسعوا في تطبيقه توسعا خالفوا به جميع العلماء، فاعتبروا يا أولي الألباب! (انتهى كلام الألباني باختصار وتصرف يسيرين).

٢١١١- مَـن كثـر كلامه كثر سـقطه، ومن كثر سـقطه كثـرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه، فالنار أولى به.

٢١١٢- مَن كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار.

٢١١٣- مِن كرامتي على ربي أني ولدت مختونًا ولم ير أحد سوأتي.

٢١١٤- مَن كَفَّ غضبه كَفَّ الله جل ثناؤه عنه عذابه (١)، ومن خزن لسانه، ستر الله عورته، ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره.

٢١١٥- مِن كنوز البر كتمان المصائب والأمراض والصدقة.

٢١١٦- مِن كنوز البر كتمان المصائب، وما صبر من بث.

٢١١٧- مَن لا حياء له فلا غيبة له.

٢١١٨- مَن لا يستحي من الناس لا يستحي من الله.

٢١١٩- مَـن لا يهتم بأمر المسـلمين فليس منهم، ومن لا يصبح ويمسـي ناصحًا لله ورسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم.

٢١٢٠- مَن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، فلا صلاة له (٢).

٢١٢٢- مَـن لـم تنهـه صلاتـه عـن الفحشـاء والمنكـر، لم يـزدد من الله إلا بُعدًا (٣).

---

(١) قال النَّبيِّ ﷺ: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُو يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ يُزَوِّجُهُ مِنْهَا مَا شَـاءَ**»، (رواه الإمامُ أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وحسّـنه الألباني). وقال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ جُرْعَةٍ أحبَّ إلى اللهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا عَبْدٌ، مَا كَظَمَ عَبْدٌ للهِ إلّا مَلأَ اللهُ جَوْفَهُ إِيمَانًا**» (قال ابن كثير: إسناده حسن ليس فيه مجروح، ومتنه حسن).

(٢) قـال الشـيخ محمد صالح المنجـد: «أعْرِفُ رجلاً قال لي بلسـانه وكان رجلاً ضالاً ثـم مَنَّ الله عليه فاهتـدى: «كنـت وأنـا ضـال في البداية أصلي، مع أني أسـافر وأفجر وأفسـق لكني كنـت أصلي، ثم سمعتُ هذا الحديث: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له»، فقال: قلت في نفسي: إذًا لماذا أصلي إذا كان ليس لي صلاة وأنا مصمم على المعصية مُصِرٌّ عليها، إذًا: ليس لي حاجة لِأَنْ أصلي، وكلما أردت أن أصلي بَرَزَ أمام عيني هذا الحديث فتركْتُ الصلاة».
لماذا ترك الصلاة؟ لهذا الحديث الموضوع المكذوب المنكر.

(٣) ظاهر هذا الحديث المكذوب يشـمل من صلى صلاة بشـروطها وأركانها بحيث أن الشـرع يحكم =

٢١٢٣- مَن لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار.

٢١٢٤- مَن لم يرض بقضاء الله ويؤمن بقدر الله فليلتمس إلها غير الله.

٢١٢٥- مَن لم يزرني فقد جفاني.

٢١٢٦- من لم يُصَلِّ عليَّ فلا دين له.

٢١٢٧- من لم يطهره البحر فلا طهره الله.

٢١٢٨- مَن لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة.

٢١٢٩- مَنْ لَمْ يَمْنَعْهُ عَنْ الْحَجِّ حَاجَةٌ ظَاهِرَةٌ أَوْ سُلْطَانٌ جَائِرٌ أَوْ مَرَضٌ

= عليها بالصحة وإن كان هذا المصلي لا يزال يرتكب بعض المعاصي، فكيف يكون بسببها لا يزداد بهذه الصلاة إلا بُعدًا؟! هذا مما لا يُعقل ولا تشهد له الشريعة، فالمراد في الحديث الصلاة الصحيحة التي لم تُثمر ثمرتها التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وأكدها رسول الله ﷺ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ»، قَالَ: «**إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ**». [رواه الإمام أحمد في المسند، وصححه الألباني، وقال الأرنؤوط: «إسناده صحيح»].

فأنت ترى أن النبي ﷺ أخبر أن هذا الرجل سينتهي عن السرقة بسبب صلاته - إذا كانت على الوجه الأكمل طبعًا كالخشوع فيها والتدبر في قراءتها - ولم يقل: إنه «لا يزداد بها إلا بُعْدًا» مع أنه لمّا ينته عن السرقة، فالمصلي على الحقيقة المحافظ على صلاته الملازم لها تنهاه صلاته عن ارتكاب المحارم والوقوع في المحارم، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الصلاة مكفرة للذنوب، فكيف تكون مكفرة ويزداد بها بُعدًا؟! هذا مما لا يُعقَل!

ومعنى قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥]. أَنَّهَا تَنْهَى عَنْ أَضْدَادِهَا إِذْ كَانَ أَهْلُهَا يَأْتُونَهَا عَلَى الْأَحْوَالِ الَّتِي أُمِرُوا أَنْ يَأْتُوا بها عَلَيْهَا، مِنَ الطَّهَارَةِ لَهَا، وَمِنْ سَتْرِ الْعَوْرَةِ عِنْدَهَا، وَمِنَ الْخُشُوعِ لَهَا، وَتَوْفِيَتِهَا مَا يَجِبُ أَنْ تُوَفَّاهُ، وَاللهُ - عز وجل - قَدْ وَعَدَ أَهْلَهَا بِمَا فِي الْآيَةِ، فَكَانَتِ السَّرِقَةُ ضِدًّا لَهَا، وَهِيَ تَنْهَى عَنْ أَضْدَادِهَا، وَيَرُدُّ اللهُ - عز وجل - أَهْلَهَا إِلَيْهَا، وَيَنْفِي عَنْهُمْ أَضْدَادَهَا حَتَّى يُوَفِّيَهُمْ ثَوَابَهَا، وَحَتَّى يُنْزِلَهُمُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي يُنْزِلُهَا أَهْلَهَا، وَفِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ - عز وجل - بِمَنِّهِ وَلُطْفِهِ وَسِعَةِ رَحْمَتِهِ يُبَرِّئُ ذَلِكَ السَّارِقَ مِمَّا كَانَ سَرَقَ، وَيَرُدُّهُ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى يَلْقَاهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، لَا تَبِعَةَ قَبْلَهُ تَمْنَعُهُ مِنْ دُخُولِ جَنَّتِهِ بِمَنِّهِ وَقُدْرَتِهِ.

فحديث «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له، أو لم يزدد من الله إلا بُعدًا» ليس بثابت عن النبي ﷺ لكن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما ذكر الله في كتابه، وبكل حال فالصلاة لا تزيد صاحبها بُعدًا، بل الذي يصلي خير من الذي لا يصلي وأقرب إلى الله منه وإن كان فاسقًا.

[انظر: شرح مشكل الآثار للطحاوي (٥/ ٣٠٠ - ٣٠١)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للألباني (١/ ٥٧ - ٥٩)].).

حَابِسٌ فَمَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ فَلْيَمُتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا شَاءَ نَصْرَانِيًّا.

٢١٣٠- من لم يهتم للمسلمين فليس منهم.

٢١٣١- من مات فقد قامت قيامته.

٢١٣٢- من مات ولم يحج حجة الإسلام في غير وجع حابس، أو حاجة ظاهرة، أو سلطان جائر، فليمت أي الملتين شاء: إما يهوديًا، وإما نصرانيًا.

٢١٣٣- مَنْ مَاتَ فِي طَرِيقِ مَكةَ، لَمْ يَعْرِضهُ اللهُ يَومَ القِيامَةَ وَلَمْ يُحاسِبهُ.

٢١٣٤- مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية [1].

٢١٣٥- مَن مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام.

---

(١) قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/ ٥٢٥) رقم ٣٥٠: «لا أصل له بهذا اللفظ وقد قال الشيخ ابن تيمية: «والله ما قاله رسول الله ﷺ هكذا، و إنما المعروف ما رَوَى مسلم أن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»، وأقره الذهبي في (مختصر منهاج السنة، ص ٢٨) وكفى بهما حجة، وهذا الحديث رأيْتُه في بعض كتب الشيعة، ثم في بعض كتب القاديانية يستدلون به على وجوب الإيمان بدجالهم ميرزا غلام أحمد المتنبي، ولو صح هذا الحديث لَمَا كان فيه أدنى إشارة إلى ما زعموا، وغاية ما فيه وجوب اتخاذ المسلمين إمامًا يبايعونه، و هذا حق كما دل عليه حديث مسلم و غيره.

ثم رأيت الحديث في كتاب (الأصول من الكافي) للكليني من علماء الشيعة، رواه (١/ ٣٧٧) عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن الفضيل عن الحارث بن المغيرة عن أبي عبد الله مرفوعًا، و أبو عبد الله هو الحسين بن علي رضي الله عنهما، لكن الفضيل هذا وهو الأعور أورده الطوسي الشيعي في (الفهرست، ص ١٢٦)، ثم أبو جعفر السروي في (معالم العلماء، ص ٨١)، و لم يذْكُرا في ترجمته غير أن له كتابًا! و أما محمد بن عبد الجبار فلم يورداه مطلقا، و كذلك ليس له ذكر في شيء من كتبنا، فهذا حال هذا الإسناد الوارد في كتابهم (الكافي) الذي هو أحسن كتبهم كما جاء في المقدمة (ص٣٣).

و من أكاذيب الشيعة التي لا يمكن حصرها قول الخميني في (كشف الأسرار، ص ١٩٧): «وهناك حديث معروف لدى الشيعة وأهل السنة منقول عن النبي... ثم ذكره دون أن يقرنه بالصلاة عليه ﷺ، و هذه عادته في هذا الكتاب! فقوله: «وأهل السنة» كذب ظاهر عليه؛ لأنه غير معروف لديهم كما تقدم بل هو بظاهره باطل إن لم يفسر بحديث مسلم كما هو محقق في (المنهاج) و(مختصره) وحينئذ فالحديث حجة عليهم فراجعهما.

٢١٣٦- مَن مر بالمقابر فقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إحدى عشـرة مرة، ثم وهب أجره للأموات، أعطي من الأجر بعدد الأموات.

٢١٣٧- مَـنْ مَلَـكَ زَادًا ورَاحِلةً، فَلَمْ يَحجَّ إلى بَيـتِ اللهِ - عز وجل- فلا يَضرُّهُ يهوديًا ماتَ أَوْ نَصرانيًا.

٢١٣٨- مَن نام بعد العصر، فاختُلس عقله، فلا يلومنَّ إلا نفسه.

٢١٣٩- مَن نزل على قوم فلا يصوم تطوعا إلا بإذنهم.

٢١٤٠- مَن نظر إلى أخيه نظرة ود غفر الله له.

٢١٤١- مَن نظر إلى مسلم نظرة يخيفه بها في غير حق أخافه الله يوم القيامة.

٢١٤٢- مَـن نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبـه الله صابرا وشـاكرا، ومن نظر في الدنيا إلى مـن هو فوقه وفي الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا [١].

٢١٤٣- مَنْ وَسَّع على عياله في يوم عاشوراء وسع الله عليه في سنته كلها.

٢١٤٤- مَنْ وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

٢١٤٥- مَنْ وُلِدَ له ثلاثة أولاد ولم يُسمِّ أحدهم محمدًا فقد جهل.

٢١٤٦- مَـنْ وُلِـدَ له ولد، فـأَذَّن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسـرى، لم تضره أم الصبيان [٢].

---

(١) يغنـي عن هذا الحديث قوله ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْـفَلَ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُـرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ**» [رواه مسلم].

(٢) هذا حديث موضوع. في إسناده يحيى بن العلاء ومروان بن سالم، وهما متهمان بالوضع.
وأُم الصِّبيان هي التابعة من الجنِّ.
رُوِيَ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَذَّنَ فِي أُذُنَي الْحَسَنِ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَـةُ بِالصَّـلاَةِ»، رواه الإمام لأحمد في المُسـنَد، وأبـو داود، والترمذي وصححـه. ورواه الحاكم وصحح إسناده، وتعقبه الذهبي بأن فيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف.
وأخرجه الطبراني بإسناد ضعيف جدًا. =

٢١٤٧- مَـن وُلِـدَ لـه مولود، فسـماه محمدا تـبركا به، كان هـو و مولوده في الجنة.

= وذكـر الحافـظ ابـن حجر هـذا الحديـث في التلخيـص الحبيـر في تخريج أحاديـث الرافعـي الكبير (٤/ ٢٢٧)، وقـال: «مَـدَارُهُ عَلَى عَاصِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ وَهُوَ ضَعِيفٌ». وذكر الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٤/ ٢٨) أن ابن القطان قد ضعّفه.

وقال الأرنؤوط في تعليقه على المُسنَد: «إسناده ضعيف».

والحديـث حسّـنه الألبـاني في إرواء الغليـل ١١٧٣، وصحيح الكلـم الطيب طبعـة المعارف ١٦٨، وصحيح سنن أبي داود، وصحيح سنن الترمذي، بالشاهد الذي رواه البيهقي في (شُعَب الإيمان) عن ابن عباس، ثم تراجع عن تحسـينه في السلسـلة الضعيفة (٣٢١) الطبعة الجديدة، وضعيف أبي داود ٥١٠٥ الطبعة الجديدة. والسلسلة الضعيفة (١٣/ ٢٧١) برقم (٦١٢١).

وقال في (طبعة المعارف لسـنن الترمذي، رقم ٢١١ ص ١٦٢): «ثم تبيَّنَ أن في سـند الشاهد مُتَّهَمَيْن فخرجْتُه في (الضعيفة ٦١٢١) فيبقى حديث أبي رافع على الضعف».

وقـال في تخريجه لكتـاب هداية الرواة إلى تخريـج أحاديث المصابيح والمشـكاة (٤/ ١٣٨) معلِّقًا على تصحيح الترمذي: «وفيه نظر، بيَّنْتُه في الضعيفة (٣٢١)، والإرواء (١١٧٣)، ومِلتُ - فيه - إلى تحسينه، والله أعلم، ثم ترجّح لي - بعدُ - تضعيفه، فانظر (الضعيفة ٦١٢١)». اهـ.

والشـاهد المشـار إليه رواه البيهقي في (شـعب الإيمان) من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ أَذَّنَ في أُذُنِ الحسـنِ بنِ عليّ يومَ وُلِدَ، فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْـرَى». قال الألباني في السلسـلة الضعيفة (١٣/ ٢٧١) برقم ٦١٢١:

«موضوع، أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان، ٦/ ٣٩٠/ ٨٦٢٠) من طريق محمد بن يونس : حدثنا الحسـن بن عمرو بن سـيف السَّدوسي : حدثنا القاسم ابن مطيب عن منصور بن صفية عن أبي معبد عَـنْ ابْـنِ عَبَّاسٍ: أن النبي ﷺ أذّن... الحديث، وقال - وقد ذكـر قبله حديث أم الصبيان المتقدم في المجلد الأول برقم (٣٢١) من رواية الحسين بن علي -؛ : «في هذين الإسنادين ضعف»!.

قلت (أي الألباني): وفي هذا القول تساهل كبير، ما كنت أود له أن يصدر منه؛ لشدة ضعف الإسنادين، فـإن الحديث المشـار إليه فيه رجلان يضعان الحديـث، وقد اغتر بمثل هذا التسـاهل بعض العلماء المتأخرين؛ فقوى به حديث أبي رافع الضعيف إسناده - كما بينت هناك -، ولو أنه علم شدة ضعفه؛ ما قواه... لأن الشديد الضعف لا ينفع في الشواهد باتفاق العلماء.

ومثله حديث الترجمة هذا [أي حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ أَذَّنَ في أُذُنِ الحسنِ بنِ عليّ يومَ وُلِدَ، فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْـرَى»]: فإن الحسـن بن عمرو السدوسـي متروك، وكذَّبه ابن المديني والبخاري.

ومحمـد بـن يونس - وهو : الكديمي؛ وهـو - كذاب وضاع، وتقدمت لـه أحاديث، فراجع فهارس الرواة المترجم لهم في المجلدات المطبوعة.

ولقد أصابني مِثلُ أو نحْوُ ما أصاب ذلك البعض من الاغترار بتسـاهل البيهقي هذا؛ فإني قوَّيْتُ أو =

٢١٤٨- مَن وُلِدَ له مولود فليحسن أدبه واسمه، فإذا بلغ فليزوجه، فإن بلغ ولم يزوجه فأصاب إثما باء بإثمه.

٢١٤٩- مَن يخطب الحسناء يدفع مهرها.

٢١٥٠- مَن يخطب الحسناء يصبر على البذل.

٢١٥١- «مه! إن صاحب الدين له سلطان على صاحبه، حتى يقضيه»، رُوِيَ عن ابن عباس قال: جاء رجل يطلب نبي الله ﷺ بدين أو بحق، فتكلم ببعض الكلام، فهَمَّ صحابة رسول الله ﷺ به، فقال رسول الله ﷺ: «مه! إن صاحب الدين له سلطان على صاحبه، حتى يقضيه».

٢١٥٢- «مهلًا يا معاوية ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب».

رُوِيَ أن أعرابيًّا أنشد النبي ﷺ:

لسعَتْ حيَّةُ الهوَى كبِدِي ... فلا طبيبَ لها ولا راقِي

إلا الحبيبُ الذي شُغِفْتُ به ... فذِكْرُهُ رُقْيَتِي وتِرْياقِي

فتواجَد حتى سقطت البردة عن منكبيه، فقال معاوية: «ما أحسن لهوكم»، فقال: «مهلًا يا معاوية، ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب».

= كِدْتُ أن أقوِّي حديث أبي رافع المشار إليه بحديث الترجمة هذا، فإني ذكرته كشاهد له، وقد نقلت عقبه عن ابن القيم قول البيهقي المذكور في تضعيف الإسنادين، وقلت عقبه ما نصه: «قلت: فلعل إسناد هذا خير من إسناد حديث الحسن بحيث أنه يصلح شاهداً لحديث أبي رافع، والله أعلم». ومع أنني تحفظت في الاستشهاد به، فقد غلب علَيَّ الثقة بقول البيهقي المذكور، فحسَّنْتُ حديث أبي رافع به في (الإرواء ٤/ ٤٠٠/ ١١٧٣)، والآن وقد طبع - والحمد لله - كتاب البيهقي: (الشُعَب)، ووقفت فيه على إسناده، وتبين لي شدة ضعفه؛ فقد رجعت عن التحسين المذكور، وعاد حديث أبي رافع إلى الضعف الذي يقتضيه إسناده، وهذا مثال من عشرات الأمثلة التي تضطرني إلى القول بأن العلم لا يقبل الجمود، وأن أستمر على البحث والتحقيق حتى يأتيني اليقين، والحمد لله رب العالمين». انتهى كلام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

[وانظر الارواء ١١٧٣، والضعيفة - ط المعارف ١/ ٤٩٣- ٤٩٤، حديث ٣٢١، الإعلام بآخر أحكام الألباني الإمام، لمحمد عبد الحكيم القاضي، طبعة دار ابن رجب (ص ٩٠-٩١، رقم ٣١)].

٢١٥٣- مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به، لا عذر لأحدكم في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله، فسنة مني ماضية، فإن لم يكن سنة مني ماضية، فما قال أصحابي، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء، فأيها أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة.

٢١٥٤- موت الغريب شهادة.

حرف النون

٢١٥٥- نبات الشعر في الأنف أمان من الجذام.

٢١٥٦- نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع.

٢١٥٧- نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي.

٢١٥٨- نزل آدم الهند و استوحش، فنزل جبريل فنادى بالأذان الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين، أشهد أن محمدًا رسول الله مرتين، قال آدم: «من محمد؟»، قال: «آخر ولدك من الأنبياء ﷺ».

٢١٥٩- نظرة في وجه العالم أحب إلى الله من عبادة ستين سنة صيامًا وقيامًا.

٢١٦٠- «نِعْمَ الْجَمَلُ جَمَلُكُمَا، وَنِعْمَ الْعِدْلَانِ أَنْتُمَا»، رُوِيَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا هُوَ عَلَى أَرْبَعَ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَلَى ظَهْرِهِ، وَهُوَ يَحْبُو بِهِمَا فِي الْبَيْتِ وَهُوَ يَقُولُ: «نِعْمَ الْجَمَلُ جَمَلُكُمَا، وَنِعْمَ الْعِدْلَانِ أَنْتُمَا» (١).

---

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ هَذَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَهَذَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَهُوَ يَلْثِمُ هَذَا مَرَّةً، وهَذَا مَرَّةً، حَتَّى انْتَهَى إِلَيْنَا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ تُحِبُّهُمَا»، فَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي» [رواه الإمام أحمد في المسند، =

٢١٦١- نِعم العبد صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه.

٢١٦٢- نِعم الأمير إذا كان بباب الفقير، وبئس الفقير إذا كان بباب الأمير.

٢١٦٣- «نَعَم، خصال أربع: الدعاء لهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ وعدهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما»، رُوِيَ أن النبي ﷺ قاله لمن سأله: «هل بقي من بر أبوَيَّ شيء بعد موتهما أبرهما به؟».

٢١٦٤- نِعم سلاح المؤمن الصبر والدعاء.

٢١٦٥- «نهضت الملائكة فنهضت معهم»، روي عن ابن عباس قال: استب رجلان على عهد رسول الله ﷺ، فسب أحدهما، والآخر ساكت، والنبي ﷺ جالس، ثم رد الآخر، فنهض النبي ﷺ فقيل: لم نهضت؟ قال: «نهضت الملائكة فنهضت معهم، إن هذا ما كان ساكتا ردت الملائكة على الذي سبه، فلما رد نهضت الملائكة»[1].

٢١٦٦- نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله مضاعف ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور.

٢١٦٧- نوم على علم خير من صلاة على جهل.

= وصححه الألباني، وحسنه الأرنؤوط]. (يَلْثِمُ هَذَا مَرَّةً، وهَذَا مَرَّةً) : يُقَبِّلُ هَذَا مَرَّةً، وهَذَا مَرَّةً.

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، غَضِبْتَ وَقُمْتَ، قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ**». ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: مَا مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِي عَنْهَا لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا أَعَزَّ اللهُ بِهَا نَصْرَهُ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ، يُرِيدُ بِهَا صِلَةً، إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا كَثْرَةً، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ، يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً، إِلَّا زَادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قِلَّةً**». [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني].

٢١٦٨- نَوّروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن [(١)].

٢١٦٩- نية المؤمن أبلغ من عمله.

٢١٧٠- نية المؤمن خير من عمله، وعمل المنافق خير من نيته، وكُلٌ يعمل على نيته، فإذا عمل المؤمن عملا ثار في قلبه نور.

حرف الهاء

٢١٧١- هاجِروا من الدنيا وما فيها.

٢١٧٢- هبط عليَّ جبريل فقال: «يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول: «إنى حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك». فقال: «يا جبريل بيِّنْ لى»، فقال: «أما الصلب فعبْدُ الله، وأما البطن فآمنة بنت وهب، وأما الحجر فعبد المطلب وفاطمة بنت أسد».

٢١٧٣- «هذا إبليس اللعين لَعَنَه الله تعالى»، رُوِيَ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن ابن عباس قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت رجل من الأنصار في جماعة فنادى منادٍ: «يا أهل المنزل. أتأذنون لي بالدخول، ولكم إليّ حاجة؟»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتعلمون من المنادي؟»، فقالوا: «الله ورسوله أعلم»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا إبليس اللعين لَعَنَه الله تعالى»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أتأذن لي يا رسول الله أن أقتله؟»، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مهلًا يا عمر؛ أمَا علمتَ أنه من المُنظَرين إلي يوم الوقت المعلوم؟ لكن افتحوا له الباب فإنه مأمور، فافهموا عنه ما يقول واسمعوا منه ما يحدثكم»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فَفُتِحَ له الباب فدخل علينا فإذا هو شيخ أعور وفي لحيته سبع

(١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ «**صَلُّوا فِى بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا**». [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

شعرات كشعر الفرس الكبير، وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير وشفتاه كشفتي الثور، فقال: «السلام عليك يا محمد. السلام عليكم يا جماعة المسلمين»، فقال النبي ﷺ: «السلام لله يا لعين، قد سمعتُ حاجتك ما هي؟»، فقال له إبليس: «يا محمد ما جئتك اختيارًا ولكن جئتك إضطرارًا»، فقال النبي: «وما الذي اضطرك يا لعين؟»، فقال: «أتاني ملَكٌ من عند رب العزة، فقال: «إن الله تعالى يأمرك أن تأتي لمحمد وأنت صاغر ذليل متواضع وتخبره كيف مَكرُكَ ببني آدم وكيف إغواؤك لهم، وتَصدُقَه في أي شيء يسألك، فوعزتي وجلالي لئن كذبته بكذبة واحدة ولم تَصدُقَه لأجعلنك رمادًا تذروه الرياح ولأشمتن الأعداء بك»، وقد جئتك يا محمد كما أُمِرْتُ فاسأل عما شئت، فإن لم أَصدُقَك فيما سألتني عنه شَمَتَت بي الأعداء وما شيء أصعب من شماتة الأعداء»، فقال رسول الله: «إن كنت صادقا، فأخبرني مَن أبغض الناس إليك؟»، فقال: «أنت يا محمد أبغض خلق الله إليّ، ومن هو على مثلك»، فقال النبي ﷺ: «ماذا تبغض أيضًا؟»، فقال: «شاب تقي وهب نفسه لله تعالى»، قال: «ثم مَن؟»، فقال: «عالم وَرِع»، قال: «ثم من؟»، فقال: «من يدوم على طهارةٍ»، قال: «ثم من؟»، فقال: «فقير صبور إذا لم يصف فقره لأحد ولم يَشْكُ ضُره»، فقال: «وما يدريك أنه صبور؟»، فقال: «يا محمد إذا شكا ضره لمخلوق مثله ثلاثة أيام لم يكتب الله له عمل الصابرين»، فقال: «ثم من؟»، فقال: «غني شاكر»، فقال النبي ﷺ: «وما يدريك أنه شكور؟»، فقال: «إذا رأيته يأخذ مِن حِلّه ويضعه في محله»، فقال النبي ﷺ: «كيف يكون حالك إذا قامت أمتي إلى الصلاة؟»، فقال: «يا محمد تلحقني الحمى والرعدة»، فقال: «وَلِمَ يا لعين؟»، فقال: «إن العبد إذا سجد لله سجدة رفعه الله درجة»، فقال ﷺ: «فإذا صاموا؟»، فقال: «أكون مقيدًا حتى يفطروا»، فقال: «فإذا حجوا؟»،

فقال: «أكون مجنونًا»، فقال: «فإذا قرأوا القُرآن؟»، فقال: «أذوب كما يذوب الرصاص على النار»، فقال: «فإذا تصدقوا؟»، فقال: «فكأنما يأخذ المتصدق المنشار فيجعلني قطعتين»، فقال له النبي ﷺ: «وَلِمَ ذلك يا أبا مُرّة؟»، فقال: «إن في الصدقة أربع خصال، وهي أن الله تعالي يُنزِلُ في ماله البركة، وحببه إلي حياته، ويجعل صدقته حجابًا بينه وبين النار، ويدفع بها عنه العاهات والبلايا»، فقال له النبي: «فما تقول في أبي بكر؟»، فقال: «يا محمد لَم يُطعني في الجاهلية فكيف يُطيعني في الإسلام»، فقال: «فما تقول في عمر بن الخطاب؟»، فقال: «والله ما لقيته إلا وهربت منه»، فقال: «فما تقول في عثمان بن عفان؟»، فقال: «أستحى ممن استحت منه ملائكة الرحمن»، فقال: «فما تقول في علي بن أبي طالب؟»، فقال: «ليتني سلمت منه رأسًا برأس ويتركني وأتركه، ولكنه لم يفعل ذلك قط»، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي أسعد أمتي وأشقاك إلى يوم معلوم»، فقال له إبليس اللعين: «هيهات هيهات. وأين سعادة أمتك وأنا حي لا أموت إلي يوم معلوم! وكيف تفرح على أمتك وأنا أدخل عليهم في مجاري الدم واللحم وهم لا يرَوْني، فوالذي خلقني وأنظَرَني إلي يوم يبعثون لأغوينهم أجمعين، جاهلهم وعالمهم وأمِّيَّهم وقارئهم، وفاجرهم وعابدهم إلا عباد الله المخلصين»، فقال ﷺ: «ومن هم المخلصون عندك؟»، فقال: «أمَا علمتَ يا محمد أن مَن أحب الدرهم والدينار ليس بمخلص لله تعالى؟ وإذا رأيت الرجل لا يحب الدرهم والدينار ولا يحب المدح والثناء علمت أنه مخلص لله تعالى فتركته، وأن العبد ما دام يحب المال والثناء وقلبه متعلق بشهوات الدنيا فإنه أطوع مما أصف لكم! أما علمت أن حب المال من أكبر الكبائر يا محمد؟ أما علمت أن حب الرياسة من أكبر الكبائر، وإن التكبر من أكبر الكبائر؟ يا محمد! أما علمت إن لي سبعين ألف ولد، ولكل ولد منهم

سبعون ألف شيطان؟ فمنهم من قد وَكّلتُه بالعلماء، ومنهم قد وكلته بالشباب، ومنهم من وكلته بالمشايخ، ومنهم من وكلته بالعجائز، أما الشبّان فليس بيننا وبينهم خلاف، وأما الصبيان فيلعبون بهم كيف شاؤا، ومنهم من قد وكلته بالعُبّاد، ومنهم من قد وكلته بالزهاد فيدخلون عليهم فيخرجوهم من حال إلي حال ومن باب إلي باب حتى يُسْبُوهم بسبب من الأسباب فآخذ منهم الإخلاص وهم يعبدون الله تعالى بغير إخلاص وما يشعرون، أما علمت يا محمد أن (برصيصا) الراهب أخلص لله سبعين سنة، كان يعافى بدعوته كل من كان سقيمًا؟ فلم أتركه حتى زني وقتل وكفر وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز بقوله تَعَالَىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر:١٦]، أما علمت يا محمد أن الكذب منّي وأنا أول من كذب، ومن كذب فهو صديقي، ومن حلف بالله كاذبًا فهو حبيبي؟ أما علمت يا محمد أني حلفت لآدم وحواء بالله إني لكما لمن الناصحين؟ فاليمين الكاذبة سرور قلبي، والغيبة والنميمة فاكهتي وفرحي، وشهادة الزور قرة عيني ورضاي، ومن حلف بالطلاق يوشك أن يأثم ولو كان مرة واحدة ولو كان صادقًا، فإنه من عَوّدَ لسانه بالطلاق حُرّمَت عليه زوجته! ثم لا يزالون يتناسلون إلي يوم القيامة فيكونون كلهم أولاد زنا فيدخلون النار من أجل كلمة، يا محمد إن من أمتك من يؤخر الصلاة ساعة فساعة، كلما يريد أن يقوم إلي الصلاة لَزِمته فأوسوس له وأقول له: «الوقت باقٍ وأنت في شغل»، حتى يؤخرها ويصليها في غير وقتها فَيُضرَبَ بها في وجهه، فإن هو غلبني أرسلت إليه واحدة من شياطين الإنس تشغله عن وقتها، فإن غلبني في ذلك تركته حتى إذا كان في الصلاة قلت له انظر يمينًا وشمالًا فينظر، فعند ذلك أمسح بيدي على وجهه وأُقَبّلَ ما بين عينيه وأقول له قد أتيت ما لا يصح أبدًا،

وأنـت تعلم يـا محمد من أَكثَرَ الالتفـات في الصلاة يُضرَب، فـإذا صلى وحده أمرتـه بالعجلـة فينقرها كما ينقر الديك الحبة ويبادر بهـا، فإن غلبني وصلى في الجماعة ألجمته بلجام ثم أرفع رأسه قبل الإمام وأضعه قبل الإمام وأنت تعلم أن من فعل ذلك بطلت صلاته، ويمسـخ الله رأسه رأس حمار يوم القيامة، فإن غلبني في ذلك أمرته أن يفرقع أصابعه في الصلاة حتى يكون من المسـبحين لي وهـو في الصلاة، فإن غلبني في ذلك نفخت في أنفه حتى يتثاءب وهو في الصلاة فإن لم يضع يده على فيه (فمه) دخل الشـيطان في جوفه فيزداد بذلك حرصًا في الدنيا وحبًا لها ويكون سـميعًا مطيعًا لنا، وأي سـعادة لأمتك وأنا آمر المريض أن يدعَ الصلاة وأقول: «ليسـت عليك صلاة إنمـا هي على الذي أنعم الله عليه بالعافيـة لأن الله تعالـي يقـول: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح:١٧]، وإذا أفقـت صليـت ما عليـك»، حتى يموت كافرًا؟ فإذا مات تـاركًا للصلاة وهو في مرضه لقـي الله تعالـى وهو غضبان عليه، يا محمد، وإن كنت كذبت أو زغت فأسـال الله أن يجعلنـي رمـادًا، يـا محمـد أتفـرح بأمتك وأنـا أُخرج سـدس أمتك من الإسـلام؟»، فقـال النبي ﷺ: «يا لعين، مَن جلُيسـك؟»، فقـال: «آكِل الربا». فقـال: «فمـن صديقُك؟»، فقـال: «الزاني»، فقـال: «فمن ضجيعُـك؟»، فقال: «السكران»، فقال: «فمن ضيفُك؟»، فقال: «السارق»، فقال: «فمن رسولُك؟»، فقال: «السـاحر»، فقال: «فما قرةُ عينيك؟»، فقـال: «الحلف بالطلاق»، فقال: «فمن حبيبُك؟»، فقال: «تارك صلاة الجمعة»، فقال رسول الله ﷺ: «يا لعين، فما يكسـر ظهرك؟»، فقـال: «صهيل الخيل في سـبيل الله»، فقـال: «فما يذيب جسـمك؟» فقـال: «توبة التائـب»، فقال: «فما ينضـج كبدك؟»، فقـال: «كثرة الاسـتغفار لله تعالـي بالليـل والنهـار»، فقال: «فمـا يخزي وجهـك؟»، فقال: «صدقـة السـر»، فقال: «فمـا يطمس عينيـك؟»، فقال: «صلاة الفجـر»، فقال:

«فمـا يقمع رأسـك؟»، فقال: «كثرة الصـلاة في الجماعة»، فقال: «فمن أسـعدُ النـاس عنـدك؟»، فقـال: «تارك الصـلاة عامـدًا»، فقـال: «فأي الناس أشـقي عندك؟»، فقال: «البخلاء»، فقال: «فما يشغلك عن عملك؟»، فقال: «مجالس العلمـاء»، فقال: «فكيـف تأكل؟»، فقال: «بشـمالي وبإصبعـي»، فقال: «فأين تسـتظل أولادك في وقت الحرور والسـموم؟»، فقال: «تحت أظفار الإنسان»، فقال النبي ﷺ: «فكم سـألت من ربك حاجة؟»، فقال: «عشرة أشياء»، فقال: «فمـا هي، يا لعين؟»، فقال: «سـألته أن يشـركني في بنـي آدم في مالهم وولدهم فأشـركني فيهـم وذلك قولـه تَعَالَىٰ: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء:٦٤]، وكل مال لا يُزَكّى فإني آكل منه وآكل مـن كل طعـام خالطـه الربا والحـرام، وكل مـال لا يُتَعَـوَّذ عليه من الشـيطان الرجيـم، وكل مـن لا يتعوذ عند الجماع إذا جامع زوجته فإن الشـيطان يجامع معه فيأتي الولد سـامعًا ومطيعًا، ومن ركب دابة يسـير عليها في غير طلب حلال فإني رفيقه لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء:٦٤]، وسألته أن يجعـل لـي بيتًـا فـكان الحمـام لي بيتًـا، وسـألته أن يجعـل لي مسـجدًا فكان الأسواق، وسألته أن يجعل لي قرآنًا فكان الشعر، وسألته أن يجعل لي ضجيعًا فكان السـكران، وسـألته أن يجعل لي أعوانًا فكان القدَرِيَّة، وسـألته أن يجعل لـي إخوانًا فـكان الذين ينفقـون أموالهم في المعصية، ثم تـلا قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء:٢٧]، فقـال النبـي ﷺ: «لـو لا أتيتنـي بتصديق كل قول بآية من كتاب الله تعالى ما صدقتك»، فقال: «يا محمد سألت الله تعالـى أن أرى بنـى آدم وهـم لا يـروني فأجراني على عروقهـم مجرى الدم أجول بنفسـي كيف شئت وإن شئت في ساعة واحدة»، فقال الله تعالى: «لك ما

سـألت»، وأنا أفتخر بذلك إلي يوم القيامة، وإن من معي أكثر ممن معك وأكثر ذريـة آدم معـي إلي يوم القيامة، وإن لي ولدًا سـميته عتمة يبول في أذن العبد إذا نـام عن صلاة الجماعة، ولولا ذلـك ما وجد الناس نومًا حتـى يؤدوا الصلاة، وإن لي ولدًا سـميته المتقاضـي فإذا عمل العبد طاعة سـرًا وأراد أن يكتمها لا يـزال يتقاضـى به بيـن الناس حتـى يخبر بهـا الناس فيمحـوا الله تعالى تسـعة وتسـعين ثوابًـا من مائة ثـواب، وإن لي ولدًا سـميته كحيلًا وهـو الذي يكحل عيون الناس في مجلس العلماء وعند خطبة الخطيب حتى ينام عند سماع كلام العلمـاء فـلا يكتـب له ثـواب أبدًا، وما مـن امرأة تخـرج إلا قعد شـيطان عند مؤخرتهـا وشـيطان يقعـد في حجرها يزينهـا للناظرين ويقولان لهـا: «أَخرِجي يـدك»، فتُخْـرِج يدها ثم تبرز ظفرهـا فتهتك»، ثم قال: «يـا محمد ليس لي من الإضلال شـيء إنما أنا موسـوس ومُزَيِّـن، ولو كان الإضلال بيـدي ما تركت أحدًا على وجه الأرض ممن يقول لا إله إلا الله، محمد رسـول الله، ولا صائما ولا مصليًا، كما أنه ليس لك من الهداية شـيء بل أنت رسول ومبلغ ولو كانت بيدك ما تركت على وجه الأرض كافرًا، وإنما أنت حجة الله تعالي على خلقه، وأنا سـبب لمن سـبقت له الشقاوة، والسعيد من أسعده الله في بطن أمه والشقي من أشـقاه الله في بطن أمه، فقرأ رسـول الله قوله تَعَـالَىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هـود] ثـم قـرأ قولـه تَعَـالَىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨]. ثـم قال النبي ﷺ: «يا أبا مُـرّة: هل لك أن تتوب وترجع إلى الله تعالـى وأنا أضمـن لك الجنة؟». فقال: «يا رسـول الله، قد قُضِـيَ الأمر وجَفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، فسـبحان مَن جعلك سيد الأنبياء المرسلين وخطيب أهل الجنة فيها وخَصّكَ واصطفاك، وجعلنى سـيد الأشقياء وخطيب

أهل النار وأنا شقي مطرود، وهذا آخر ما أخبرتك عنه، وقد صدقتُ فيه»[(١)].

٢١٧٤- «هذا ابليس جاء يشككم في دينكم»، رُوِيَ عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كنا عند رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فجاء رجل أقبح الناس وجها وأقبح الناس ثيابًا وأنتن الناس ريحًا حافيًا يتخطى رقاب الناس، فجلس بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: «من خلقك؟»، قال: «الله»، قال: «فمن خلق السماء؟»، قال: «الله»، قال: «فمن خلق الأرض؟»، قال: «الله»، قال: «فمن خلق الله؟»، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «هذا ابليس جاء يشككم في دينكم».

٢١٧٥- «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى اسْمِ اللهِ الأَعْظَمِ»، رُوِيَ عَنْ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى اسْمِ اللهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى؟ الدَّعْـوَةُ الَّتِي دَعَا بِهَا يُونُسُ حَيْثُ نَادَاهُ فِي الظُّلُمَاتِ الثَّلَاثِ: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فَقَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُـولَ اللهِ، هَـلْ كَانَتْ لِيُونُسَ خَاصَّةً أَمْ لِلْمُؤْمِنِينَ عَامَّةً؟» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَلا تَسْمَعُ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنبياء: ٨٨]، وَقَالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا مُسْـلِمٍ دَعَا بِهَا فِي مَرَضِهِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً، فَمَاتَ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ أُعْطِيَ أَجْرَ شَهِيدٍ، وَإِنْ بَرَأَ

---

(١) مـن علامـات الكـذب الواضحة المفضوحـة ذِكْر (الحلـف بالطلاق)! وهـو لم يكـن معروفا عند الصحابـة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وقولـه على لسـان الشـيطان: «وإن لي ولدًا سـميته كحيلًا وهو الـذي يكحل عيون الناس في مجلس العلماء وعند خطبة الخطيب حتى ينام عند سـماع كلام العلماء فلا يكتب له ثواب أبدًا» كيف لا يُكتب له ثواب أبدًا، وقد حضر مجلس العِلم أو الخُطبة؟ وهل يستوي من حضر فغلبته عينه مع من لم يحضر أصلا؟!

ومـن هـذا الكذب أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَرَض على إبليس التوبة، وأن يشـفع له عند الله عَزَّ وَجَلَّ! وهذا من أعظم الكـذب فإن الله قال وقوله الحق، ووعد ووعده لا يُخلـف، ولا يُبدّل القول لديه، وعد إبليس أنه من المنظرين وأخبر أنه من الملعونين وأنه سوف يُدخله جهنم وأنه سوف يقوم خطيبا في أتباعه في جهنم إلى غير ذلك، فكيف تُعرض عليه التوبة؟! لأن قبول توبته والشفاعة له معناه إلغاء هذه الوعود.

بَرَأَ، وَقَدْ غُفِرَ لَهُ جَمِيعُ ذُنُوبِهِ»[١].

٢١٧٦- هذه يد لا تمسها النار»، رُوِيَ عن أنس بن مالك قال: أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك فاستقبله سعد بن معاذ الأنصاري، فصافحه النبي ﷺ ثم قال له: «ما هذا الذي أكنب يداك؟» (أي صارت غليظة من العمل). فقال: «يا رسول الله أضرب بالمر والمسحاة في نفقة عيالي»، قال: فقَبَّل النبي ﷺ يده، وقال: «هذه يد لا تمسها النار»[٢].

٢١٧٧- هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك العرش بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء.

٢١٧٨- هل تدرون ما هذا؟ هذا العنان هذه روايا الأرض يسوقه الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه. هل تدرون ما فوقكم؟ فإنها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف. هل تدرون كم بينكم وبينها؟ بينكم وبينها خمسمائة سنة. هل تدرون ما فوق ذلك؟ فإن فوق ذلك سماءين ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة في عدد سبع سموات ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض. هل تدرون ما فوق ذلك؟ فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد مثل ما بين السماءين.

---

(١) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ». [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

(٢) سعد بن معاذ رضي الله عنه لم يكن حيًّا في وقت غزوة تبوك، فقد كان موته بعد غزوة بني قريظة من السهم الذي رُمِيَ به.

هل تدرون ما الذي تحتكم؟ فإنها الأرض هل تدرون ما الذي تحت ذلك؟ فإن تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة.

٢١٧٩- هل تدرون ما يقول ربكم عز وجل؟»، قالوا: «الله ورسوله أعلم»، قالها ثلاثا: قال: «قال عز وجل: وعزتي لا يصليها عبد لوقتها إلا أدخلته الجنة، ومن صلى لغير وقتها إن شئت رحمته، وإن شئت عذبته».

٢١٨٠- «هل تدرين ما هذه الليلة؟»، رُوِيَ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «هل تدرين ما هذه الليلة؟» - يعني ليلة النصف من شعبان - قالت: «ما فيها يا رسول الله؟»، فقال: «فيها يكتب كل مولود من بني آدم في هذه السنة، وفيها يكتب كل هالك من بني آدم في هذه السنة، وفيها ترفع أعمالهم وفيها تنزل أرزاقهم».

٢١٨١- «هَلْ رُئِيَ فِيكُمْ الْمُغَرِّبُونَ؟»، رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ رُئِيَ - أَوْ كَلِمَةً غَيْرَهَا - فِيكُمْ الْمُغَرِّبُونَ؟»، قُلْتُ: «وَمَا الْمُغَرِّبُونَ؟»، قَالَ «الَّذِينَ يَشْتَرِكُ فِيهِمْ الْجِنُّ»[1].

٢١٨٢- «هل من أبويه أحدٌ حي؟»، رُوِيَ أنه كان في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاب يُسَمَّى علقمة، وكان كثير الاجتهاد في طاعة الله في الصلاة والصوم والصدقة، فمرض واشتد مرضه، فأرسلت امرأته إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن زوجي علقمة في النزع فأردتُ أن أعلمك يا رسول الله بحاله»، فأرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمارًا وصهيبًا وبلالًا وقال «امضوا إليه ولقنوه الشهادة»، فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجدوه

---

(١) (هَلْ رُئِيَ) بِصِيغَةِ الْمَجْهُول (أَوْ كَلِمَة غَيْرهَا): شَكٌّ مِنْ الرَّاوِي أَيْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَة هَلْ رُئِيَ أَوْ قَالَ كَلِمَة أُخْرَى غَيْر هَذِهِ الْكَلِمَة، (الْمُغَرِّبُونَ الَّذِينَ يَشْتَرِكُ فِيهِمْ الْجِنُّ) قِيلَ الْمُغَرِّب مِنْ الْإِنْسَان مَنْ خُلِقَ مِنْ مَاء الْإِنْسَان وَالْجِنّ وَهَذَا مَعْنَى الْمُشَارَكَة لِأَنَّهُ دَخَلَ فِيهِ عِرْق غَرِيب أَوْ جَاءَ مِنْ نَسَب بَعِيد وَقَدْ انْقَطَعُوا عَنْ أُصُولهمْ وَبُعْد أَنْسَابهمْ بِمُدَاخَلَةِ مَنْ لَيْسَ مِنْ جِنْسهمْ.

في النزع فجعلوا يلقنونه «لا إله إلا الله» ولسانه لا ينطق بها، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة، فقال النبي ﷺ: «هل من أبويه أحد حي؟»، قيل: «يا رسول الله، أم كبيرة السن»، فأرسل إليها رسول الله ﷺ، وقال للرسول: «قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقَرِّي في المنزل حتى يأتيك»، فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت: «نفسي لنفسه فداء، أنا أحق بإتيانه»، فتوكأت وقامت على عصا وأتت رسول الله ﷺ فسلمَتْ فرد عليها السلام، وقال لها: «يا أم علقمة أصدقيني، وإن كذبت جاء الوحي من الله تعالى، كيف كان حال ولدك علقمة؟»، قالت: «يا رسول الله كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة»، قال رسول الله ﷺ: «فما حالك؟»، قالت: «يا رسول الله أنا عليه ساخطة»، قال: «ولِمَ؟»، قالت: يا رسول كان يُؤْثِرُ علَيَّ زوجته ويعصيني»، فقال رسول الله ﷺ: «إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة»، ثم قال: «يا بلال انطلق واجمع لي حطبًا كثيرًا»، قالت: «يا رسول الله، وما تصنع؟» قال: «أحرقه بالنار بين يديك»، قالت: «يا رسول الله، ولدي لا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يدي»، قال: «يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى فإنْ سَرَّكِ أن يغفر الله له فارضي عنه؛ فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دُمْتِ عليه ساخطة». فقالت: «يا رسول الله إني أشهِدُ الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين أني قد رضيت عن ولدي علقمة»، فقال رسول الله ﷺ: «انطلق يا بلال إليه وانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله أم لا؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياءً مني»، فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول: «لا إله إلا الله» فدخل بلال فقال: «يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وإن رضاها أطلق لسانه، ثم مات علقمة من يومه فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه

ثم صلى عليه وحضر دفنه، ثم قام على شفير قبره، وقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار، مَن فَضَّل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، إلا أن يتوب إلى الله عز وجل، ويحسن إليها ويطلب رضاها، فرضى الله في رضاها وسخط الله في سخطها»(١).

٢١٨٣- هلكت الرجال حين أطاعت النساء.

٢١٨٤- همة الرجال تزيل الجبال.

٢١٨٥- هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون: يعني مروان بن الحكم.

حرف الواو

٢١٨٦- «وَاغَوْثَاه يَا الله، أَهْل بَيْت مُحَمَّد يَمُوتُونَ جُوعًا»، رُوِيَ عَنْ اِبْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: ٧ – ٨]، قَالَ: مَرِضَ الْحَسَن وَالْحُسَيْن فَعَادَهُمَا رَسُول الله ﷺ، وَعَادَهُمَا أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ، وَعَامَّة الْعَرَب ; فَقَالَ أَبُو بَكْر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يَا أَبَا الْحَسَن لَوْ نَذَرْت عَنْ وَلَدَيْك شَيْئًا، وَكُلّ نَذْر لَيْسَ لَهُ وَفَاء فَلَيْسَ بِشَيْءٍ». فَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنْ بَرَأَ وَلَدَايَ صُمْت لِلَّهِ ثَلَاثَة أَيَّام شُكْرًا»، وَقَالَتْ جَارِيَة لَهُمْ نُوبِيَّة: «إِنْ بَرَأَ سَيِّدَايَ صُمْت لِلَّهِ ثَلَاثَة أَيَّام شُكْرًا»، وَقَالَتْ فَاطِمَة مِثْل ذَلِكَ، فَقَالَ الْحَسَن وَالْحُسَيْن: «عَلَيْنَا مِثْل ذَلِكَ»، فَأُلْبِسَ الْغُلَامَانِ الْعَافِيَة، وَلَيْسَ عِنْد آلِ مُحَمَّد قَلِيل وَلَا كَثِير، فَانْطَلَقَ عَلِيّ إِلَى شَمْعُون بْن حاريا

(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ» (رواه الترمذي وصححه الألباني)، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِلَفْظِ: «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِهِمَا» (وحسنه الألباني).

الْخَيْبَرِيّ، وَكَانَ يَهُودِيًّا، فَاسْتَقْرَضَ مِنْهُ ثَلَاثَة أَصْوُع مِنْ شَعِير، فَجَاءَ بِهِ، فَوَضَعَهُ نَاحِيَة الْبَيْت، فَقَامَتْ فَاطِمَة إِلَى صَاع فَطَحَنَتْهُ وَاخْتَبَزَتْهُ، وَصَلَّى عَلِيٌّ ﵁ مَعَ النَّبِيّ ﷺ، ثُمَّ أَتَى الْمَنْزِل فَوُضِعَ الطَّعَام بَيْن يَدَيْهِ، (وفي رواية): فَقَامَتْ الْجَارِيَة إِلَى صَاع مِنْ شَعِير فَخَبَزَتْ مِنْهُ خَمْسَة أَقْرَاص، لِكُلِّ وَاحِد مِنْهُمْ قُرْص، فَلَمَّا مَضَى صِيَامهمْ الْأَوَّل وُضِعَ بَيْن أَيْدِيهِمْ الْخُبْز وَالْمِلْح الْجَرِيش؛ إِذْ أَتَاهُمْ مِسْكِين، فَوَقَفَ بِالْبَابِ وَقَالَ: «السَّلَام عَلَيْكُمْ أَهْل بَيْت مُحَمَّد أَنَا مِسْكِين مِنْ مَسَاكِين أُمَّة مُحَمَّد ﷺ، وَأَنَا وَاللهِ جَائِع؛ أَطْعِمُونِي أَطْعَمَكُمْ الله مِنْ مَوَائِد الْجَنَّة»، فَسَمِعَهُ عَلِيّ ﵁ فَأَنْشَأَ يَقُول:

فَاطِمَ ذَاتَ الْفَضْلِ وَالْيَقِينْ ... يَا بِنْتَ خَيْرِ النَّاسِ أَجْمَعِينْ
أَمَا تَرَيْنَ الْبَائِسَ الْمِسْكِينْ ... قَدْ قَامَ بِالْبَابِ لَهُ حَنِينْ
يَشْكُو إِلَى الله وَيَسْتَكِينْ ... يَشْكُو إِلَيْنَا جَائِعٌ حَزِينْ
كُلُّ امْرِئٍ بِكَسْبِهِ رَهِينْ ... وَفَاعِلُ الْخَيْرَات يَسْتَبِينْ
مَوْعِدنَا جَنَّة عِلِّيِّينْ ... حَرَّمَهَا الله عَلَى الضَّنِينْ
وَلِلْبَخِيلِ مَوْقِفٌ مَهِينْ ... تَهْوِي بِهِ النَّار إِلَى سِجِّينْ
شَرَابه الْحَمِيمُ وَالْغِسْلِينْ ... مَنْ يَفْعَل الْخَيْر يَقُمْ سَمِينْ
وَيَدْخُل الْجَنَّة أَيّ حِينْ

فَأَنْشَأَتْ فَاطِمَة ﵂ تَقُول:

أَمْرك عِنْدِي يَا ابْن عَمٍّ طَاعَهْ ... مَا بِي مِنْ لَوْم وَلَا وَضَاعَهْ
غَذَيْتُ فِي الْخُبْز لَهُ صِنَاعَهْ ... أُطْعِمهُ وَلَا أُبَالِي السَّاعَهْ
أَرْجُو إِذَا أَشْبَعْت ذَا الْمَجَاعَهْ ... أَنْ أَلْحَقَ الْأَخْيَار وَالْجَمَاعَهْ
وَأَدْخُل الْجَنَّة لِي شَفَاعَهْ

فَأَطْعَمُوهُ الطَّعَام، وَمَكَثُوا يَوْمَهُمْ وَلَيْلَتهمْ لَمْ يَذُوقُوا شَيْئًا إِلَّا الْمَاء الْقَرَاح،

فَلَمَّا أَنْ كَانَ فِي الْيَوْم الثَّانِي قَامَتْ إِلَى صَاع فَطَحَنَتْهُ وَاخْتبَزَتْهُ، وَصَلَّى عَلِيّ مَعَ النَّبِيّ ﷺ، ثُمَّ أَتَى الْمَنْزِل فَوُضِعَ الطَّعَام بَيْن أَيْدِيهِمْ ؛ فَوَقَفَ بِالْبَاب يَتِيم فَقَالَ: «السَّلَام عَلَيْكُمْ أَهْل بَيْت مُحَمَّد، يَتِيم مِنْ أَوْلَاد الْمُهَاجِرِينَ اُسْتُشْهِدَ وَالِدِي يَوْم الْعَقَبَة، أَطْعِمُونِي أَطْعَمَكُمْ الله مِنْ مَوَائِد الْجَنَّة»، فَسَمِعَهُ عَلِيّ فَأَنْشَأَ يَقُول:

فَاطِمَ بِنْت السَّيِّد الْكَرِيمْ — بِنْت نَبِيّ لَيْسَ بِالزَّنِيمْ

لَقَدْ أَتَى الله بِذِي الْيَتِيمْ — مَنْ يَرْحَم الْيَوْم يَكُنْ رَحِيمْ

وَيَدْخُل الْجَنَّة أَيْ سَلِيمْ — قَدْ حُرِّمَ الْخُلْد عَلَى اللَّئِيمْ

أَلَّا يَجُوز الصِّرَاط الْمُسْتَقِيمْ — يَزِلّ فِي النَّار إِلَى الْجَحِيمْ

شَرَابه الصَّدِيد وَالْحَمِيمْ

فَأَنْشَأَتْ فَاطِمَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُول:

أُطْعِمُهُ الْيَوْم وَلَا أُبَالِي — وَأُوثِر الله عَلَى عِيَالِي

أَمْسَوْا جِيَاعًا وَهُمْ أَشْبَالِي — أَصْغَرهمْ يُقْتَل فِي الْقِتَالِ

بِكَرْبَلَا يُقْتَل بِاغْتِيَالِ — يَا وَيْل لِلْقَاتِل مَعْ وَبَالِ

تَهْوِي بِهِ النَّار إِلَى سِفَالِ — وَفِي يَدَيْهِ الْغُلّ وَالْأَغْلَال

كَبْوَلَة زَادَتْ عَلَى الْأَكْبَال

فَأَطْعَمُوهُ الطَّعَام وَمَكَثُوا يَوْمَيْنِ وَلَيْلَتَيْنِ لَمْ يَذُوقُوا شَيْئًا إِلَّا الْمَاء الْقَرَاح ؛ فَلَمَّا كَانَتْ فِي الْيَوْم الثَّالِث قَامَتْ إِلَى الصَّاع الْبَاقِي فَطَحَنَتْهُ وَاخْتبَزَتْهُ، وَصَلَّى عَلِيّ مَعَ النَّبِيّ ﷺ، ثُمَّ أَتَى الْمَنْزِل، فَوُضِعَ الطَّعَام بَيْن أَيْدِيهِمْ ؛ إِذْ أَتَاهُمْ أَسِير فَوَقَفَ بِالْبَابِ فَقَالَ: «السَّلَام عَلَيْكُمْ أَهْل بَيْت مُحَمَّد، تَأْسِرُونَنَا وَتَشُدُّونَنَا وَلَا تُطْعِمُونَنَا! أَطْعِمُونِي فَإِنِّي أَسِير مُحَمَّد». فَسَمِعَهُ عَلِيّ فَأَنْشَأَ يَقُول:

فَاطِم يَا بِنْت النَّبِيّ أَحْمَدْ — بِنْت نَبِيّ سَيِّد مُسَوَّدْ

وَسَمَّاهُ الله فَهُوَ مُحَمَّدْ — قَدْ زَانَهُ الله بِحُسْنٍ أَغْيَدْ

هَـذَا أَسِـيرٌ لِلنَّبِيِّ الْمُهْتَدْ مُـثَـقَّـل فِـي غُـلِّـهِ مُـقَـيَّـدْ
يَشْكُو إِلَيْنَا الْجُوع قَدْ تَمَدَّدْ مَنْ يُطْعِم الْيَوْم يَجِدهُ فِي غَدْ
عِنْد الْعَلِيّ الْوَاحِد الْمُوَحَّدْ مَا يَزْرَع الزَّارِع سَوْفَ يَحْصُدْ
أَعْطِيهِ لَا لَا تَجْعَلِيهِ أَقْعَدْ

فَأَنْشَأَتْ فَاطِمَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَقُول:

لَـمْ يَبْقَ مِمَّا جَاءَ غَيْر صَاعْ قَدْ ذَهَبَتْ كَفِّي مَعَ الـذِّرَاعْ
اِبْـنَـايَ وَاللَّـه هُـمَـا جِيَاعْ يَـا رَبّ لَا تَـتْـرُكـهُـمَـا ضَـيَاعْ
أَبُـوهُـمَـا لِلْخَيْرِ ذُو اِصْطِنَاعْ يَصْطَنِع الْمَعْرُوف بِابْتِدَاعْ
عَبْل الـذِّرَاعَيْنِ شَدِيد الْبَاعْ وَمَـا عَـلَى رَأْسِـيَ مِـنْ قِـنَاعْ
إِلَّا قِنَاعًا نَسْجه أَنْسَاعْ

فَأَعْطَوْهُ الطَّعَام وَمَكَثُوا ثَلَاثَة أَيَّام وَلَيَالِيهَا لَمْ يَذُوقُوا شَيْئًا إِلَّا الْمَاء الْقَرَاح، فَلَمَّا أَنْ كَانَ فِي الْيَوْم الرَّابِع، وَقَدْ قَضَى الله النَّذْر أَخَذَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى الْحَسَن، وَبِيَدِهِ الْيُسْرَى الْحُسَيْن، وَأَقْبَلَ نَحْو رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم وَهُمْ يَرْتَعِشُونَ كَالْفِرَاخ مِنْ شِدَّة الْجُوع ; فَلَمَّا أَبْصَرَهُمْ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «يَا أَبَا الْحَسَن مَا أَشَدّ مَا يَسُوءنِي مَا أَرَى بِكُمْ، اِنْطَلِقْ بِنَا إِلَى اِبْنَتِي فَاطِمَة»، فَانْطَلَقُوا إِلَيْهَا وَهِيَ فِي مِحْرَابهَا، وَقَدْ لَصِقَ بَطْنهَا بِظَهْرِهَا، وَغَارَتْ عَيْنَاهَا مِنْ شِدَّة الْجُوع، فَلَمَّا رَآهَا رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم وَعَرَفَ الْمَجَاعَة فِي وَجْههَا بَكَى وَقَالَ: «وَاغَوْثَاه يَا الله، أَهْل بَيْت مُحَمَّد يَمُوتُونَ جُوعًا».

فَهَبَطَ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام وَقَالَ: السَّلَام عَلَيْك، رَبّك يُقْرِئك السَّلَام يَا مُحَمَّد، خُذْهُ هَنِيئًا فِي أَهْل بَيْتك»، قَالَ: «وَمَا آخُذ يَا جِبْرِيل» فَأَقْرَأَهُ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان][1].

٢١٨٧- «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، مَا قَدَرْتُ أَنْ أَضَعَ قَدَمَيَّ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ نَزَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِتَشْيِيعِهِ»، رُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنهما قَالَ: «أَسْلَمَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: ثَعْلَبَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَكَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ وَيُخِفُّ لَهُ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَهُ لَهُ فِي حَاجَةٍ، فَمَرَّ بِبَابِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَرَأَى امْرَأَةَ الْأَنْصَارِيِّ تَغْتَسِلُ، وَخَافَ أَنْ يَنْزِلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا صَنَعَ، فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ، فَيَأْتِي جِبَالًا بَيْنَ مَكَّةَ

---

(١) قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: «وَقَدْ ذَكَرَ النَّقَّاش وَالثَّعْلَبِيّ وَالْقُشَيْرِيّ وَغَيْر وَاحِد مِنْ الْمُفَسِّرِينَ فِي قِصَّة عَلِيّ وَفَاطِمَة وَجَارِيَتهمَا حَدِيثًا لَا يَصِحّ وَلَا يَثْبُت... فذكره...، ثم قال: قَالَ التِّرْمِذِيّ الْحَكِيم أَبُو عَبْد الله فِي نَوَادِر الْأُصُول: «فَهَذَا حَدِيث مُزَوَّق مُزَيَّف، قَدْ تَطَرَّفَ فِيهِ صَاحِبه حَتَّى تَشَبَّهَ عَلَى الْمُسْتَمِعِينَ، فَالْجَاهِل بِهَذَا الْحَدِيث يَعَضّ شَفَتَيْهِ تَلَهُّفًا أَلَّا يَكُون بِهَذِهِ الصِّفَة، وَلَا يَعْلَم أَنَّ صَاحِب هَذَا الْفِعْل مَذْمُوم؛ وَقَدْ قَالَ الله تَعَالَى فِي تَنْزِيله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الْبَقَرَة: ٢١٩] وَهُوَ الْفَضْل الَّذِي يَفْضُل عَنْ نَفْسك وَعِيَالك، وَجَرَتْ الْأَخْبَار عَنْ رَسُول الله ﷺ مُتَوَاتِرَة بِأَنَّ «**خَيْر الصَّدَقَة مَا كَانَ عَنْ ظَهْر غِنًى**»، «**وَابْدَأْ بِنَفْسِك ثُمَّ بِمَنْ تَعُول**» وَافْتَرَضَ الله عَلَى الْأَزْوَاج نَفَقَة أَهَالِيهِمْ وَأَوْلَادهمْ، وَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوت**».
أَفَيَحْسَب عَاقِل أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه جَهِلَ هَذَا الْأَمْر حَتَّى أَجْهَدَ صِبْيَانًا صِغَارًا مِنْ أَبْنَاء خَمْس أَوْ سِتّ عَلَى جُوع ثَلَاثَة أَيَّام وَلَيَالِيهِنَّ؟ حَتَّى تَضَوَّرُوا مِنْ الْجُوع، وَغَارَتْ الْعُيُون مِنْهُمْ؛ لِخَلَاءِ أَجْوَافِهِمْ، حَتَّى أَبْكَى رَسُول الله ﷺ مَا بِهِمْ مِنْ الْجَهْد، هَبْ أَنَّهُ آثَرَ عَلَى نَفْسه هَذَا السَّائِل، فَهَلْ كَانَ يَجُوز لَهُ أَنْ يَحْمِل أَهْله عَلَى ذَلِكَ؟! وَهَبْ أَنَّ أَهْله سَمَحَتْ بِذَلِكَ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه فَهَلْ جَازَ لَهُ أَنْ يَحْمِل أَطْفَاله عَلَى جُوع ثَلَاثَة أَيَّام بِلَيَالِيهِنَّ؟! مَا يُرَوَّج مِثْل هَذَا إِلَّا عَلَى حَمْقَى جُهَّال؛ أَبَى الله لِقُلُوبٍ مُتَنَبِّهَة أَنْ تَظُنَّ بِعَلِيٍّ رضي الله عنه مِثْل هَذَا، وَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ حَفِظَ هَذِهِ الْأَبْيَات كُلّ لَيْلَة عَنْ عَلِيّ وَفَاطِمَة، وَإِجَابَة كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا صَاحِبه، حَتَّى أَدَّاهُ إِلَى هَؤُلَاءِ الرُّوَاة؟ فَهَذَا وَأَشْبَاهه مِنْ أَحَادِيث أَهْل السُّجُون - فِيمَا أَرَى - بَلَغَنِي أَنَّ قَوْمًا يُخَلَّدُونَ فِي السُّجُون فَيَبْقَوْنَ بِلَا حِيلَة، فَيَكْتُبُونَ أَحَادِيث فِي السَّمَر وَأَشْبَاهه، وَمِثْل هَذِهِ الْأَحَادِيث مُفْتَعَلَة، فَإِذَا صَارَتْ إِلَى الْجَهَابِذَة رَمَوْا بِهَا وَزَيَّفُوهَا، وَمَا مِنْ شَيْء إِلَّا لَهُ آفَة وَمَكِيدَة، وَآفَة الدِّين وَكَيْدُهُ أَكْثَر». [تفسير القرطبي (١٩/ ١٣٥)].

وَالْمَدِينَةِ فَوَلَجَهَا، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَأَنَّ جِبْرِيلَ - صَلَوَاتُ اللهُ عَلَيْهِ - نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: «إِنَّ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِكَ بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ يَتَعَوَّذُ بِي». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا عُمَرُ وَيَا سَلْمَانُ، انْطَلِقَا فَأْتِيَانِي بِثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ»، فَخَرَجَا مِنْ أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ فَلَقِيَا رَاعِيًا مِنْ رُعَاةِ الْمَدِينَةِ، يُقَالُ لَهُ: ذُفَافَةُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هَلْ لَكَ عِلْمٌ بِشَابٍّ بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ يُقَالُ لَهُ ثَعْلَبَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟». فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تُرِيدُ الْهَارِبَ مِنْ جَهَنَّمَ؟»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «وَمَا عِلْمُكَ أَنَّهُ هَارِبٌ مِنْ جَهَنَّمَ؟»، قَالَ: «لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَرَجَ عَلَيْنَا مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْجِبَالِ وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ، وَهُوَ يُنَادِي: «يَا لَيْتَكَ قَبَضْتَ رُوحِي فِي الْأَرْوَاحِ، وَجَسَدِي فِي الْأَجْسَادِ، وَلَمْ تُجَرِّدْنِي لِفَصْلِ الْقَضَاءِ»، فَقَالَ عُمَرُ: «إِيَّاهُ نُرِيدُ»، فَانْطَلَقَ بِهِمَا، فَلَمَّا كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْجِبَالِ وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ وَهُوَ يُنَادِي: «يَا لَيْتَكَ قَبَضْتَ رُوحِي فِي الْأَرْوَاحِ، وَجَسَدِي فِي الْأَجْسَادِ»، فَعَدَى عَلَيْهِ عُمَرُ فَاحْتَضَنَهُ، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ، هَلْ عَلِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَنْبِي؟» قَالَ: «لَا عِلْمَ لِي، إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَكَ بِالْأَمْسِ فَأَرْسَلَنِي وَسَلْمَانُ فِي طَلَبِكَ»، قَالَ: «يَا عُمَرُ، لَا تُدْخِلْنِي عَلَيْهِ إِلَّا وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ»، فَابْتَدَرَ عُمَرُ وَسَلْمَانُ الصَّفَّ، فَلَمَّا سَمِعَ ثَعْلَبَةُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «يَا عُمَرُ، يَا سَلْمَانُ، مَا فَعَلَ ثَعْلَبَةُ؟»، قَالَا: «هَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَرَّكَهُ فَأَنْبَهَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا غَيَّبَكَ عَنِّي؟». قَالَ: «ذَنْبِي يَا رَسُولَ اللهِ»، قَالَ: «أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى آيَةٍ لِمَحْوِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا؟»، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ ﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١]، فَقَالَ: «ذَنْبِي أَعْظَمُ، يَا رَسُولَ اللهِ»، قَالَ: «بَلْ كَلَامُ اللهِ أَعْظَمُ»، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالِانْصِرَافِ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَمَرِضَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ إِنَّ سَلْمَانَ أَتَى

رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «هَلْ لَكَ فِي ثَعْلَبَةَ؛ نَأتِه لِمَا بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُومُوا بِنَا إِلَيْهِ»، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ رَأْسَهُ فَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ، فَأَزَالَ رَأْسَهُ عَنْ حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «لِمَ أَزَلْتَ رَأْسَكَ عَنْ حِجْرِي؟»، قَالَ: «لِأَنَّهُ مَلآنُ مِنَ الذُّنُوبِ»، قَالَ: «مَا تَشْتَكِي؟»، قَالَ: «مِثْلَ دَبِيبِ النَّمْلِ بَيْنَ عَظْمِي وَلَحْمِي وَجِلْدِي»، قَالَ: «فَمَا تَشْتَهِي؟»، قَالَ: «مَغْفِرَةَ رَبِّي»، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يُقْرِئكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: «لَوْ أَنَّ عَبْدِيَ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَقِيتُهُ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[١]، فَأَعْلَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ، فَصَاحَ صَيْحَةً فَمَاتَ قَالَ: فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِغُسْلِهِ، وَكَفَّنَهُ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَيْهِ جَعَلَ يَمْشِي عَلَى أَطْرَافِ أَنَامِلِهِ، فَلَمَّا دَفَنَهُ، قِيلَ لَهُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْنَاكَ تَمْشِي عَلَى أَطْرَافِ أَنَامِلِكَ»، قَالَ: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، مَا قَدَرْتُ أَنْ أَضَعَ قَدَمَيَّ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ نَزَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِتَشْيِيعِ».

٢١٨٨- وَاللهِ مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ حَتَّى سَمَّى فَمَا بَقِيَ فِي بَطْنِهِ شَيْءٌ إِلَّا قَاءَهُ»، رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْكُلُ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ فَلَمْ يُسَمِّ اللهَ حَتَّى كَانَ فِي آخِرِ طَعَامِهِ فَقَالَ: «بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللهِ مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ حَتَّى سَمَّى فَمَا بَقِيَ فِي بَطْنِهِ شَيْءٌ إِلَّا قَاءَهُ».

---

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِى. يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِى، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِى بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِى لاَ تُشْرِكُ بِى شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**». (رواه الترمذي، وحسّنه الألباني).
(إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي) أَيْ مَا دُمْت تَدْعُونِي وَتَرْجُونِي يَعْنِي فِي مُدَّةِ دُعَائِك وَرَجَائِك. (غَفَرْت لَك عَلَى مَا كَانَ فِيك) أَيْ مِنْ الْمَعَاصِي وَإِنْ تَكَرَّرَتْ وَكَثُرَتْ. (وَلَا أُبَالِي) أَيْ وَالْحَالُ أَنِّي لَا أَتَعَظَّمُ مَغْفِرَتَك عَلَيَّ وَإِنْ كَانَ ذَنْبًا كَبِيرًا أَوْ كَثِيرًا، وفِي قَوْلِهِ تعالى: (وَلَا أُبَالِي) مَعْنَى لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ. (عَنَانَ السَّمَاءِ) أَيْ سَحَابَهَا، وَقِيلَ مَا عَنَّ مِنْهَا، أَيْ ظَهَرَ لَك مِنْهَا إِذَا رَفَعْت رَأْسك إِلَى السَّمَاءِ. (بِقُرَاب الْأَرْضِ) بِضَمِّ الْقَافِ وَيُكْسَرُ: أَيْ بِمَا يُقَارِبُ مِلْأَهَا. (لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً): بشرط أَنْ يَكُونَ مَوْتُهُ عَلَى التَّوْحِيدِ.

٢١٨٩- وايم الله لو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلى السابعة لهبط على الله عز وجل» ثم قرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

٢١٩٠- وُزِنَ حبر العلماء بدم الشهداء فرجح عليهم.

٢١٩١- وضْعُ الحناء في القبر مع الميت، (لم يثبت فيه حديث) (١).

٢١٩٢- وقع في نفس موسى: هل ينام الله تعالى ذكره؟ فأرسل الله إليه ملكًا، فأرَّقه ثلاثًا، ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة، ثم نام نومة فاصطفقت يداه وانكسرت القارورتان، قال: «ضرب الله له مثلًا أن الله لو كان ينام لم تستمسك السماوات والأرض».

٢١٩٣- «وُكِلَ بِهِ سَبْعُونَ مَلَكًا»، رُوِيَ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ أَبِى سَوِيَّةَ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ هِشَامٍ يَسْأَلُ عَطَاءَ بْنَ أَبِى رَبَاحٍ عَنِ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقَالَ عَطَاءٌ: حَدَّثَنِى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «وُكِلَ بِهِ سَبْعُونَ مَلَكًا، فَمَنْ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، قَالُوا آمِينَ»، فَلَمَّا بَلَغَ الرُّكْنَ الأَسْوَدَ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَا بَلَغَكَ فِى هَذَا الرُّكْنِ الأَسْوَدِ فَقَالَ عَطَاءٌ حَدَّثَنِى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ فَاوَضَهُ (٢) فَإِنَّمَا يُفَاوِضُ يَدَ الرَّحْمَنِ»، قَالَ لَهُ ابْنُ هِشَامٍ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ فَالطَّوَافُ، قَالَ عَطَاءٌ: حَدَّثَنِى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ

---

(١) كثير من الناس يعتاده، وهو خلاف السُنّة، ولعل أول من فعل ذلك أو حسنه للناس اعتمد على ما أخرجه ابن عساكر عن معروف الخياط عن واثلة: «عليكم بالحناء فإنه ينور رؤوسكم ويطهر قلوبكم ويزيد في الجماع وهو شاهد في القبر»، قال السيوطي: «ومعروف منكر الحديث جدًا»، ولو ثبت فلا دليل فيه لأن المراد أن خضاب الشيب بالحناء عمل شاهد لمتعاطيه في القبر. (انظر: الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث لأحمد بن عبد الكريم الغزي العامري، ص٢٥١).

(٢) (فاوضه): أي قابله بوجهه.

النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا [١]، وَلاَ يَتَكَلَّمُ إِلاَّ بِسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَقُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ مُحِيَتْ عَنْهُ عَشْرُ سِيِّئَاتٍ وَكُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَرُفِعَ لَهُ بِهَا عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَمَنْ طَافَ فَتَكَلَّمَ وَهُوَ فِى تِلْكَ الْحَالِ خَاضَ فِى الرَّحْمَةِ بِرِجْلَيْهِ كَخَائِضِ الْمَاءِ بِرِجْلَيْهِ»[٢].

٢١٩٤- ولد نوح ثلاثة: فسام أبو العرب وحام أبو الحبشة ويافث أبو الروم.

٢١٩٥- «وُلِدتُ في زمن الملك العادل» (يعني أنوشروان)[٣].

٢١٩٦- «وما ذنبك صِفْه لي؟»، رُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: «بحرمة هذا البيت[٤] إلا غفرت لي ذنبي»، فقال ﷺ: «وما ذنبك صِفْه لي؟»، فقال: «هو أعظمُ مِن أن أصِفَه لك!»، فقال: «ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون؟»، فقال: «بل ذنبي أعظم، يا رسول الله»، قال: «فذنبك أعظم أم الجبال؟»، قال: «بل ذنبي أعظم،

(١) قال ﷺ: «**مَنْ طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ أُسْبُوعًا فَأَحْصَاهُ كَانَ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ، وَلاَ يَضَعُ قَدَمًا وَلاَ يَرْفَعُ أُخْرَى إِلَّا حَطَّ اللهُ عَنْهُ خَطِيئَةً وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً**»، (رواه الترمذي، وصححه الألباني)، (أُسْبُوعًا: أي سبعة أشواط).

(٢) (خَاضَ فِى الرَّحْمَةِ بِرِجْلَيْهِ كَخَائِضِ الْمَاءِ بِرِجْلَيْهِ) أي كأنَّ رجليه في الرحمة فقط دون سائر جسده، بخلاف من يذكر الله تعالى في تلك الحالة فإنه في الرحمة بتمام جسده.

(٣) قال الحليمي: «لا يصح ... ليس يجوز أن يسمِّي رسولُ الله ﷺ مَن يحكم بغير حكم الله عادلاً» (المقاصد الحسنة، ص ٧٠٨).

(٤) قد ورد النهي عن النَّبي ﷺ عن الحلف بالكعبة، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ قُتَيْلَةَ، امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: «مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»، وَتَقُولُونَ: «وَالْكَعْبَةِ»، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «**وَرَبِّ الْكَعْبَةِ**»، وَيَقُولُوا: «**مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ**» [رواه النسائي والحاكم وقال: «صحيح الإسناد»، وصححه الألباني]. وعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ فَحَلَفَ رَجُلٌ بِالْكَعْبَةِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «وَيْحَكَ لَا تَفْعَلْ»، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**» [رواه ابن حبان، وصححه الألباني، وقال الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم»].

يا رسول الله»، قال: «فذنبك أعظم أم البحار؟»، قال: «بل ذنبي أعظم، يا رسول الله»، قال: «فذنبك أعظم أم السموات؟»، قال: «بل ذنبي أعظم، يا رسول الله»، قال: «فذنبك أعظم أم العرش؟»، قال: بل ذنبي أعظم، يا رسول الله»، قال: «فذنبك أعظم أم الله؟»، قال: «بل الله أعظم وأعلى»، قال: «ويحك، فصِفْ لي ذنبك»، قال: «يا رسول الله، إني رجُل ذو ثروة من المال، وإن السائل ليأتيني يسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار»، فقال ﷺ: «إليك عني، لا تحرقني بنارك، فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمتَ بين الركن والمقام ثم صليتَ ألفي ألف عام، ثم بكيت حتى تجري من دموعك الأنهار وتسقى بها الأشجار، ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله في النار، ويحك! أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار؟ ويحك! أما علمت أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [محمد:٣٨]، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾؟! [الحشر:٩].

٢١٩٧- «ويحك ما صنعت بالدم؟» رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حجم النبيَّ ﷺ غلامٌ لبعض قريش، فلما فرغ من حجامته أخذ الدم، فذهب به من وراء الحائط، فنظر يمينا وشمالا، فلما لم ير أحدا تحسى دمه حتى فرغ، ثم أقبل، فنظر النبي ﷺ في وجهه، فقال: ويحك ما صنعت بالدم؟ قلت: غَيَّبْتُه من وراء الحائط. قال: أين غَيَّبْتَه؟ قلت: يا رسول الله! نفست على دمك أن أهريقه في الأرض، فهو في بطني. قال: اذهب فقد أحرزت نفسك من النار».

٢١٩٨- «وَيْحَكَ يَا ثَعْلَبَةُ قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُهُ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِثْلَ نَبِيِّ اللهِ» رُوِيَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ ثَعْلَبَةَ بْنِ حَاطِبٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللهِ! ادْعُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنِي مالًا»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيْحَكَ يَا ثَعْلَبَةُ، قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُهُ»،

ثُمَّ قَالَ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِثْلَ نَبِيِّ اللهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ تَسِيرَ مَعِيَ الْجِبَالُ ذَهَبًا وَفِضَّةً لَسَارَتْ»، قَالَ: «وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ دَعَوْتَ اللهَ فَرَزَقَنِي مَالًا لَأُعْطِيَنَّ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ ثَعْلَبَةَ مَالًا»، فَاتَّخَذَ غَنَمًا، فَنَمَتْ كَمَا يَنْمُو الدُّودُ، فَضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَدِينَةُ، فَتَنَحَّى عَنْهَا، فَنَزَلَ وَادِيًا مِنْ أَوْدِيَتِهَا، حَتَّى جَعَلَ يُصَلِّي الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ فِي جَمَاعَةٍ، وَيَتْرُكُ مَا سِوَاهُمَا. ثُمَّ نَمَتْ وكَثُرت، فَتَنَحَّى حَتَّى تَرَكَ الصَّلَوَاتِ إِلَّا الْجُمُعَةَ، وَهِيَ تَنْمُو كَمَا يَنْمُو الدُّودُ، حَتَّى تَرَكَ الْجُمُعَةَ، فَطَفِقَ يَتَلَقَّى الرُّكْبَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، يَسْأَلُهُمْ عَنِ الْأَخْبَارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا فَعَلَ ثَعْلَبَةُ؟»، فَقَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، اتَّخَذَ غَنَمًا فَضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَدِينَةُ. فَأَخْبَرُوهُ بِأَمْرِهِ، فَقَالَ: «يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ، يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ، يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ»، وَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ الْآيَةَ [التَّوبَة:١٠٣]، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِ فَرَائِضُ الصَّدَقَةِ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلَيْنِ عَلَى الصَّدَقَةِ: رَجُلًا مِنْ جُهَيْنَةَ، وَرَجُلًا مِنْ سُلَيْمٍ، وَكَتَبَ لَهُمَا كَيْفَ يَأْخُذَانِ الصَّدَقَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَالَ لَهُمَا: «مُرا بِثَعْلَبَةَ، وَبِفُلَانٍ - رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ - فَخُذَا صَدَقَاتِهِمَا»، فَخَرَجَا حَتَّى أَتَيَا ثَعْلَبَةَ، فَسَأَلَاهُ الصَّدَقَةَ، وَأَقْرَآهُ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ إِلَّا جِزْيَةٌ. مَا هَذِهِ إِلَّا أُخْتُ الْجِزْيَةِ. مَا أَدْرِي مَا هَذَا، انْطَلِقَا حَتَّى تفرُغا ثُمَّ عُودا إِلَيَّ». فَانْطَلَقَا وَسَمِعَ بِهِمَا السُّلَمِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى خِيَارِ أَسْنَانِ إِبِلِهِ، فَعَزَلَهَا لِلصَّدَقَةِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُمَا بِهَا، فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: «مَا يَجِبُ عَلَيْكَ هَذَا، وَمَا نُرِيدُ أَنْ نَأْخُذَ هَذَا مِنْكَ»، قَالَ: «بَلَى، فَخُذُوهَا، فَإِنَّ نَفْسِي بِذَلِكَ طَيِّبَةٌ، وَإِنَّمَا هِيَ لَهُ»، فَأَخَذُوهَا مِنْهُ، فَلَمَّا فَرَغَا مِنْ صَدَقَاتِهِمَا رَجَعَا حَتَّى مَرَّا بِثَعْلَبَةَ، فَقَالَ: «أَرُونِي كِتَابَكُمَا فَنَظَرَ فِيهِ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ إِلَّا أُخْتُ الْجِزْيَةِ. انْطَلِقَا حَتَّى أَرَى رَأْيِي»، فَانْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُمَا قَالَ: «يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ» قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمَا، وَدَعَا لِلسُّلَمِيِّ بِالْبَرَكَةِ، فَأَخْبَرَاهُ

بِالَّذِي صَنَعَ ثَعْلَبَةُ وَالَّذِي صَنَعَ السُّلَمِيُّ، فَأَنْزَلَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة]، وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ أَقَارِبِ ثَعْلَبَةَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَاهُ فَقَالَ: «وَيْحَكَ يَا ثَعْلَبَةُ. قَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِيكَ كَذَا وَكَذَا»، فَخَرَجَ ثَعْلَبَةُ حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَقبَلَ مِنْهُ صَدَقَتَهُ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ مَنَعَنِي أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ صَدَقَتَكَ»، فَجَعَلَ يَحْثُو عَلَى رَأْسِهِ التُّرَابَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا عَمَلُكَ، قَدْ أَمَرْتُكَ فَلَمْ تُطِعْنِي»، فَلَمَّا أَبَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَقْبَلَ صَدَقَتَهُ رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فقُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ أَتَى أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ اسْتُخْلِفَ، فَقَالَ: «قَدْ عَلِمْتَ مَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَوْضِعِي مِنَ الْأَنْصَارِ، فَاقْبَلْ صَدَقَتِي»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «لَمْ يَقْبَلْهَا مِنْكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، فَقُبِضَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَقْبَلْهَا، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَتَاهُ فَقَالَ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اقْبَلْ صَدَقَتِي»، فَقَالَ: «لَمْ يَقْبَلْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا أَبُو بَكْرٍ، وَأَنَا أَقْبَلُهَا مِنْكَ!»، فَقُبِضَ وَلَمْ يَقْبَلْهَا؛ ثُمَّ وَلِيَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَأَتَاهُ فَسَأَلَهُ أَنْ يَقبَلَ صَدَقَتَهُ، فَقَالَ: «لَمْ يَقْبَلْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ، وَأَنَا أَقْبَلُهَا مِنْكَ!» فَلَمْ يَقْبَلْهَا مِنْهُ، وَهَلَكَ ثَعْلَبَةُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ[1].

---

(١) إذا ثبت لرجل أو لامرأة الصحبة فلا يمكن أن يقبل لمزةُ بالنفاق إلا بإسناد صحيح، ولهذا لا يصح قول مَن قال: إن ثعلبة بن حاطب الأنصاري رضي الله عنه - وهو ممن شهد غزوة بدر - هو المقصود بقوله تعالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧].

وهذه القصة - التي يذكرها كثير من الخطباء في أثناء حديثهم عن الزكاة - لا تصح سندًا ولا مَتْنًا، أما سندًا فهي من طريق معان بن رفاعة عن علي بن يزيد، وكلاهما لا يصح حديثه. =

٢١٩٩- «ويحك يا سالم»، رُوِيَ أن سالم أبي هند الحجام قال: حجمت رسول الله ﷺ، فلما فرغت شربته، فقلت: «يا رسول الله شربته»، فقال: «ويحك يا سالم، أما علمت أن الدم حرام! لا تَعُد».

حرف اليـــاء

٢٢٠٠-«يا أبا الحسن، أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، وينفع بهن من علمته، ويثبت ما تعلمت في صدرك؟»، رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «بأبي أنت، تفَلَّتَ هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه»، فقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا الحسن، أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، وينفع بهن من

= وأما متنًا فلأمرين:

الأول: مخالفتها للقرآن الكريم وللسنة حيث ورد فيهما قبول توبة التائب، مهما كان عمله مالم تطلع الشمس من مغربها أو يغرغر، والقصة تفيد عكس ذلك تمامًا.

الثاني: مخالفتها للأحاديث الثابتة الواردة في مانع الزكاة، فالنبى ﷺ قرر أن مانع الزكاة تؤخذ منه قسرًا، وحارب أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة، فكيف يرفض أَخْذَها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما؟.

وقد أنكر العلماء هذه القصة وقالوا ببطلانها، وممن ضعفها من أهل العلم :الإمام ابن حزم، والحافظ البيهقي، والإمام القرطبي، والحافظ الذهبي، والحافظ العراقي، والحافظ الهيثمي، والحافظ ابن حجر، والعلامة المناوي، والعلامة الألباني.

قال الإمام ابن حزم رحمه الله، قال في المحلى (١١/ ٢٠٧، ٢٠٨) : «على أنه قد روينا أثرا لا يصح وأنها نزلت في ثعلبة بن حاطب، وهذا باطل؛ لأن ثعلبة بدري معروف، ثم ساق الحديث بإسناده من طريق معان بن رفاعة عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عبد الرحمن عن أبي أمامة وقال: «وهذا باطل لا شك؛ لأن الله أمر بقبض زكوات أموال المسلمين، وأمر عليه السلام عند موته ألا يبقى في جزيرة العرب دينان فلا يخلو ثعلبة من أن يكون مسلمًا ففرض على أبي بكر وعمر قبض زكاته ولا بد ولا فسحة في ذلك، وإن كان كافرا ففرضٌ ألا يبقى في جزيرة العرب فسقط هذا الأثر بلا شك، وفي رواته معان بن رفاعة، والقاسم بن عبد الرحمن وعلي بن يزيد - هو ابن عبد الملك - وكلهم ضعفاء».

انظر في نقد هذه القصة وأقوال أهل العلم فيها: «الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب»، لسليم بن عيد الهلالي، «ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه»، لعداب الحمش.

علمته، ويثبت ما تعلمت في صدرك؟»، قال: «أجل يا رسول الله فعلّمْنِي»، قال: «إذا كان ليلة الجمعة، فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة، والدعاء فيها مستجاب، فقد قال أخي يعقوب لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٩٨]، يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة، فإن لم تستطع فقم في أوسطها، فإن لم تستطع فقم في أولها، فصَلّ أربع ركعات: تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل (السجدة)، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله، وصلّ عليَّ وأحسِنْ وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل: «اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني، وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال ولإكرام، والعزة التي لا ترام، أسالك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام، أسالك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري، وأن تطلق به لساني، وأن تفرج به عن قلبي، وأن تشرح به صدري، وأن تستعمل به بدني، فإنه لا يعينني على الحق غيرك، ولا يؤتينيه إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». يا ابا الحسن، تفعل ذلك ثلاث جُمَع، أو خمسًا، أو سبعًا، تجاب بإذن الله، والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمنا قط»، قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فو الله ما لبث عليٌّ إلا خمسًا أو سبعًا حتى جاء رسول الله ﷺ في ذلك المجلس فقال: «يا رسول الله، إني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن، فإذا

قرأتهــن على نفســي تفلّتن، وأنــا أتعلم اليــوم أربعين آية ونحوهــا، فإذا قرأتهن على نفســي فكأنما كتاب الله بين عينَيَّ، ولقد كنتُ أســمع الحديث، فإذا رددتُه تفلّــتَ، وأنا اليوم أســمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخــرم منها حرفا، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «مؤمن ورب الكعبة يا أبا الحسن»[١].

٢٢٠١- يَا أَبَا الْحَسَــن مَا أَشَــدّ مَا يَسُوءنِي مَا أَرَى بِكُمْ؛ اِنْطَلِقْ بِنَا إِلَى اِبْنَتِي فَاطِمَة»، رُوِيَ عَنْ اِبْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْله تَعَــالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسـان]. قَــالَ: مَــرِضَ الْحَسَن وَالْحُسَيْن فَعَادَهُمَا رَسُول الله ﷺ، وَعَادَهُمَا أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ، وَعَامَّة الْعَرَب ; فَقَالَ أَبُو بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا أَبَا الْحَسَــن لَوْ نَذَرْت عَنْ وَلَدَيْك شَــيْئًا، وَكُلّ نَــذْر لَيْسَ لَــهُ وَفَاء فَلَيْسَ بِشَــيْءٍ»، فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنْ بَرَأَ وَلَــدَايَ صُمْت لِلَّهِ ثَلَاثَة أَيَّام شُكْرًا»، وَقَالَتْ جَارِيَة لَهُمْ نُوبِيَّة: «إِنْ بَرَأَ سَيِّدَايَ صُمْت لِلَّهِ ثَلَاثَة أَيَّام شُــكْرًا»، وَقَالَتْ فَاطِمَة مِثْل ذَلِكَ، فَقَالَ الْحَسَــن وَالْحُسَيْن: «عَلَيْنَا مِثْل ذَلِكَ»، فَأُلْبِــسَ الْغُلَامَــانِ الْعَافِيَة، وَلَيْسَ عِنْد آلِ مُحَمَّد قَلِيل وَلَا كَثِير، فَانْطَلَقَ عَلِيّ إِلَى شَــمْعُون بْن حاريــا الْخَيْبَــرِيّ، وَكَانَ يَهُودِيًّا، فَاسْــتَقْرَضَ مِنْهُ ثَلَاثَــة أَصْوُع مِنْ شَعِير، فَجَاءَ بِهِ، فَوَضَعَهُ نَاحِيَة الْبَيْت، فَقَامَتْ فَاطِمَة إِلَى صَاع فَطَحَنَتْهُ وَاخْتَبَزَتْهُ،

---

(١) مما يجب معرفته في هذا المقام أن العبادة مبناها على التوقيف، فلا يُعبد الله إلا بما شرعه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وليس لأحد أن يستحسن عبادة لم تثبت عن المعصوم ﷺ، ومما دأب عليه أهل البدع إشغال المسلمين بأذكار وصلوات وأدعية يحددون لها أعدادًا معينة، ويختارون لها أوقاتًا وكيفيات لم تثبت في الشريعة، وهذا من تزيين الشيطان لهم سوء أعمالهم فإن في السنة الصحيحة غنية وكفاية لمن أنعم الله عليهم بالهداية، وعرفوا قدر السنة، وحذروا من الوقوع في البدعة، فإن كل بدعة ضلالــة، وكل ضلالــة في النار كما صح عنــه ﷺ، ولم يثبت عن أحد من أصحــاب النبي ﷺ وهم الغايــة في الاتبــاع والحرص على الخير أن اخترع ذكرًا أو دعاء أو صلاة بعدد معين في وقت معين ولا شــك أن العدول عن طريقهم باب إلى الخســران، قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كل عبادة لم يتعبدها أصحاب النبي ﷺ فلا تعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالًا».

وَصَلَّى عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ أَتَى المَنْزِل فَوُضِعَ الطَّعَام بَيْن يَدَيْهِ، (وفي رواية): فَقَامَتْ الْجَارِيَة إِلَى صَاع مِنْ شَعِير فَخَبَزَتْ مِنْهُ خَمْسَة أَقْرَاص، لِكُلِّ وَاحِد مِنْهُمْ قُرْص، فَلَمَّا مَضَى صِيَامهمْ الْأَوَّل وُضِعَ بَيْن أَيْدِيهِمْ الْخُبْز وَالْمِلْح الْجَرِيش ; إِذْ أَتَاهُمْ مِسْكِين، فَوَقَفَ بِالْبَابِ وَقَالَ: «السَّلَام عَلَيْكُمْ أَهْل بَيْت مُحَمَّد أَنَا مِسْكِين مِنْ مَسَاكِين أُمَّة مُحَمَّد ﷺ، وَأَنَا وَاللهِ جَائِع ; أَطْعِمُونِي أَطْعَمَكُمْ الله مِنْ مَوَائِد الْجَنَّة»، فَسَمِعَهُ عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَأَنْشَأَ يَقُول:

فَاطِمَ ذَاتَ الْفَضْلِ وَالْيَقِينْ ... يَا بِنْتَ خَيْرِ النَّاسِ أَجْمَعِينْ
أَمَا تَرَيْنَ الْبَائِسَ الْمِسْكِينْ ... قَدْ قَامَ بِالْبَابِ لَهُ حَنِينْ
يَشْكُو إِلَى الله وَيَسْتَكِينْ ... يَشْكُو إِلَيْنَا جَائِعٌ حَزِينْ
كُلُّ امْرِئٍ بِكَسْبِهِ رَهِينْ ... وَفَاعِلُ الْخَيْرَات يَسْتَبِينْ
مَوْعِدنَا جَنَّة عِلِّيِّينْ ... حَرَّمَهَا الله عَلَى الضَّنِينْ
وَلِلْبَخِيلِ مَوْقِفٌ مَهِينْ ... تَهْوِي بِهِ النَّار إِلَى سِجِّينْ
شَرَابه الْحَمِيمُ وَالْغِسْلِينْ ... مَنْ يَفْعَل الْخَيْر يَقُمْ سَمِينْ
وَيَدْخُل الْجَنَّة أَيّ حِينْ

فَأَنْشَأَتْ فَاطِمَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَقُول:

أَمْرك عِنْدِي يَا اِبْن عَمٍّ طَاعَهْ ... مَا بِي مِنْ لَوْم وَلَا وَضَاعَهْ
غَذَيْتُ فِي الْخُبْز لَهُ صِنَاعَهْ ... أُطْعِمهُ وَلَا أُبَالِي السَّاعَهْ
أَرْجُو إِذَا أَشْبَعْت ذَا الْمَجَاعَهْ ... أَنْ أَلْحَقَ الْأَخْيَار وَالْجَمَاعَهْ
وَأَدْخُل الْجَنَّة لِي شَفَاعَهْ

فَأَطْعَمُوهُ الطَّعَام، وَمَكَثُوا يَوْمَهُمْ وَلَيْلَتهمْ لَمْ يَذُوقُوا شَيْئًا إِلَّا المَاء الْقَرَاح، فَلَمَّا أَنْ كَانَ فِي الْيَوْم الثَّانِي قَامَتْ إِلَى صَاع فَطَحَنَتْهُ وَاخْتَبَزَتْهُ، وَصَلَّى عَلِيّ مَعَ

النَّبِيّ ﷺ، ثُمَّ أَتَى الْمَنْزِل فَوُضِعَ الطَّعَام بَيْن أَيْدِيهِمْ، فَوَقَفَ بِالْبَابِ يَتِيم فَقَالَ: «السَّلَام عَلَيْكُمْ أَهْل بَيْت مُحَمَّد، يَتِيم مِنْ أَوْلَاد الْمُهَاجِرِينَ اُسْتُشْهِدَ وَالِدِي يَوْم الْعَقَبَة، أَطْعِمُونِي أَطْعَمَكُمْ الله مِنْ مَوَائِد الْجَنَّة»، فَسَمِعَهُ عَلِيّ فَأَنْشَأَ يَقُول:

فَاطِمَ بِنْت السَّيِّد الْكَرِيمْ ... بِنْت نَبِيّ لَيْسَ بِالزَّنِيمْ
لَقَدْ أَتَى الله بِذِي الْيَتِيمْ ... مَنْ يَرْحَم الْيَوْم يَكُنْ رَحِيمْ
وَيَدْخُل الْجَنَّة أَيْ سَلِيمْ ... قَدْ حُرِّمَ الْخُلْد عَلَى اللَّئِيمْ
أَلَّا يَجُوز الصِّرَاط الْمُسْتَقِيمْ ... يَزِلّ فِي النَّار إِلَى الْجَحِيمْ
شَرَابه الصَّدِيد وَالْحَمِيمْ

فَأَنْشَأَتْ فَاطِمَة رضي الله عنها تَقُول:

أُطْعِمُهُ الْيَوْم وَلَا أُبَالِي ... وَأُوثِر الله عَلَى عِيَالِي
أَمْسَوْا جِيَاعًا وَهُمْ أَشْبَالِي ... أَصْغَرهمْ يُقْتَل فِي الْقِتَالِ
بِكَرْبَلَا يُقْتَل بِاغْتِيَالِ ... يَا وَيْل لِلْقَاتِلِ مَعْ وَبَالِ
تَهْوِي بِهِ النَّار إِلَى سِفَالِ ... وَفِي يَدَيْهِ الْغُلّ وَالْأَغْلَال
كَبُوْلَة زَادَتْ عَلَى الْأَكْبَال

فَأَطْعَمُوهُ الطَّعَام وَمَكَثُوا يَوْمَيْنِ وَلَيْلَتَيْنِ لَمْ يَذُوقُوا شَيْئًا إِلَّا الْمَاء الْقَرَاح ; فَلَمَّا كَانَتْ فِي الْيَوْم الثَّالِث قَامَتْ إِلَى الصَّاع الْبَاقِي فَطَحَنَتْهُ وَاخْتَبَزَتْهُ، وَصَلَّى عَلِيّ مَعَ النَّبِيّ ﷺ، ثُمَّ أَتَى الْمَنْزِل، فَوُضِعَ الطَّعَام بَيْن أَيْدِيهِمْ ; إِذْ أَتَاهُمْ أَسِير فَوَقَفَ بِالْبَابِ فَقَالَ: «السَّلَام عَلَيْكُمْ أَهْل بَيْت مُحَمَّد، تَأْسِرُونَنَا وَتَشُدُّونَنَا وَلَا تُطْعِمُونَنَا! أَطْعِمُونِي فَإِنِّي أَسِير مُحَمَّد». فَسَمِعَهُ عَلِيّ فَأَنْشَأَ يَقُول:

فَاطِم يَا بِنْت النَّبِيّ أَحْمَدْ ... بِنْت نَبِيّ سَيِّد مُسَوَّدْ
وَسَمَّاهُ الله فَهُوَ مُحَمَّدْ ... قَدْ زَانَهُ الله بِحُسْنٍ أَغْيَدْ
هَذَا أَسِيرٌ لِلنَّبِيِّ الْمُهْتَدْ ... مُثَقَّل فِي غُلِّهِ مُقَيَّدْ

يَشْكُو إِلَيْنَا الْجُوع قَدْ تَمَدَّدْ مَنْ يُطْعِم الْيَوْم يَجِدهُ فِي غَدْ
عِنْد الْعَلِيّ الْوَاحِد الْمُوَحَّدْ مَا يَزْرَع الزَّارِع سَوْفَ يَحْصُدْ
أَعْطِيهِ لَا لَا تَجْعَلِيهِ أَقْعَدْ

فَأَنْشَأَتْ فَاطِمَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُول:

لَمْ يَبْقَ مِمَّا جَاءَ غَيْر صَاعْ قَدْ ذَهَبَتْ كَفِّي مَعَ الذِّرَاعْ
ابْنَايَ وَاللَّه هُمَا جِيَاعْ يَا رَبّ لَا تَتْرُكهُمَا ضَيَاعْ
أَبُوهُمَا لِلْخَيْرِ ذُو اصْطِنَاعْ يَصْطَنِع الْمَعْرُوف بِابْتِدَاعْ
عَبْل الذِّرَاعَيْنِ شَدِيد الْبَاعْ وَمَا عَلَى رَأْسِيَ مِنْ قِنَاعْ
إِلَّا قِنَاعًا نَسْجه أَنْسَاعْ

فَأَعْطَوْهُ الطَّعَام وَمَكَثُوا ثَلَاثَة أَيَّام وَلَيَالِيهَا لَمْ يَذُوقُوا شَيْئًا إِلَّا الْمَاء الْقَرَاح، فَلَمَّا أَنْ كَانَ فِي الْيَوْم الرَّابِع، وَقَدْ قَضَى الله النَّذْر أَخَذَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى الْحَسَن، وَبِيَدِهِ الْيُسْرَى الْحُسَيْن، وَأَقْبَلَ نَحْو رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ يَرْتَعِشُونَ كَالْفِرَاخ مِنْ شِدَّة الْجُوع ; فَلَمَّا أَبْصَرَهُمْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا أَبَا الْحَسَن مَا أَشَدَّ مَا يَسُوءنِي مَا أَرَى بِكُمْ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى ابْنَتِي فَاطِمَة»، فَانْطَلَقُوا إِلَيْهَا وَهِيَ فِي مِحْرَابهَا، وَقَدْ لَصِقَ بَطْنهَا بِظَهْرِهَا، وَغَارَتْ عَيْنَاهَا مِنْ شِدَّة الْجُوع، فَلَمَّا رَآهَا رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَرَفَ الْمَجَاعَة فِي وَجْههَا بَكَى وَقَالَ: «وَاغَوْثَاه يَا الله، أَهْل بَيْت مُحَمَّد يَمُوتُونَ جُوعًا».

فَهَبَطَ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام وَقَالَ: السَّلَام عَلَيْك، رَبّك يُقْرِئك السَّلَام يَا مُحَمَّد، خُذْهُ هَنِيئًا فِي أَهْل بَيْتك»، قَالَ: «وَمَا آخُذُ يَا جِبْرِيل»، فَأَقْرَأهُ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن

كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان](1).

٢٢٠٢- يـا أبـا بكر، إن الله قد أعطاني ثواب مَن آمـن بي منذ خلق آدم إلى أن بعثنـي، وإن الله أعطـاك يا أبا بكـر ثواب مَن آمن بي منـذ بعثني إلى أن تقوم الساعة.

٢٢٠٣- «يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك من الله السلام ويقول: «أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم سـاخط؟»»، رُوِيَ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ جالـس وعنـده أبو بكر وعليه عباءة قد خلَّلها على صـدره بخلال، إذ نزل عليه جبريل فأقرأه من الله السلام وقال: «يا رسول الله، ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة

(١) قـال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير هـذه الآية: «وَقَدْ ذَكَرَ النَّقَّـاش وَالثَّعْلَبِيّ وَالْقُشَـيْرِيّ وَغَيْر وَاحِد مِنْ الْمُفَسِّـرِينَ فِي قِصَّة عَلِيّ وَفَاطِمَة وَجَارِيَتهمَا حَدِيثًـا لَا يَصِحّ وَلَا يَثْبُت... فذكره...، ثم قال: قَالَ التِّرْمِـذِيّ الْحَكِيم أَبُو عَبْد الله فِي نَـوَادِر الْأُصُول: «فَهَذَا حَدِيث مُزَوَّق مُزَيَّـف، قَدْ تَطَرَّفَ فِيهِ صَاحِبه حَتَّى تَشَبَّهَ عَلَى الْمُسْتَمِعِينَ، فَالْجَاهِل بِهَذَا الْحَدِيث يَعَضّ شَـفَتَيْهِ تَلَهُّفًا أَلَّا يَكُون بِهَذِهِ الصِّفَة، وَلَا يَعْلَـم أَنَّ صَاحِـب هَـذَا الْفِعْل مَذْمُـوم ؛ وَقَدْ قَـالَ الله تَعَالَى فِي تَنْزِيلـه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الْبَقَرَة:٢١٩] وَهُوَ الْفَضْل الَّذِي يَفْضُل عَنْ نَفْسك وَعِيَالك، وَجَرَتْ الْأَخْبَار عَنْ رَسُول الله ﷺ مُتَوَاتِرَة بِأَنَّ «**خَيْر الصَّدَقَة مَا كَانَ عَنْ ظَهْر غِنًى**»، «**وَابْدَأْ بِنَفْسِك ثُمَّ بِمَنْ تَعُول**» وَافْتَرَضَ الله عَلَى الْأَزْوَاج نَفَقَة أَهَالِيهمْ وَأَوْلَادهمْ، وَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوت**».
أَفَيَحْسَـب عَاقِـل أَنَّ عَلِيًّـا رضي الله عنه جَهِلَ هَذَا الْأَمْـر حَتَّى أَجْهَدَ صِبْيَانًـا صِغَارًا مِنْ أَبْنَاء خَمْس أَوْ سِـتّ عَلَـى جُـوع ثَلَاثَة أَيَّام وَلَيَالِيهنَّ؟ حَتَّى تَضَـوَّرُوا مِنْ الْجُوع، وَغَارَتْ الْعُيُون مِنْهُـمْ ؛ لِخَلَاءِ أَجْوَافِهِمْ، حَتَّى أَبْكَى رَسُـول الله ﷺ مَا بِهِمْ مِنْ الْجَهْد، هَبْ أَنَّهُ آثَرَ عَلَى نَفْسـه هَذَا السَّـائِل، فَهَلْ كَانَ يَجُوز لَهُ أَنْ يَحْمِـل أَهْله عَلَى ذَلِكَ؟! وَهَبْ أَنَّ أَهْله سَـمَحَتْ بِذَلِكَ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه فَهَلْ جَـازَ لَهُ أَنْ يَحْمِل أَطْفَاله عَلَـى جُـوع ثَلَاثَة أَيَّام بِلَيَالِيهِنَّ؟! مَـا يُرَوَّج مِثْل هَذَا إِلَّا عَلَى حَمْقَى جُهَّال ؛ أَبَـى الله لِقُلُوبٍ مُتَنَبِّهَة أَنْ تَظُنَّ بِعَلِيٍّ رضي الله عنه مِثْل هَذَا. وَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ حَفِظَ هَذِهِ الْأَبْيَات كُلّ لَيْلَة عَنْ عَلِيّ وَفَاطِمَة، وَإِجَابَة كُلّ وَاحِـد مِنْهُمَـا صَاحِبه، حَتَّى أَدَّاهُ إِلَى هَؤُلَاءِ الرُّوَاة؟ فَهَذَا وَأَشْـبَاهه مِنْ أَحَادِيث أَهْل السُّـجُون - فِيمَا أَرَى - بَلَغَنِي أَنَّ قَوْمًا يُخَلَّدُونَ فِي السُّـجُون فَيَبْقَوْنَ بِلَا حِيلَة، فَيَكْتُبُونَ أَحَادِيث فِي السَّـمَر وَأَشْبَاهه، وَمِثْـل هَـذِهِ الْأَحَادِيث مُفْتَعَلَة، فَإِذَا صَارَتْ إِلَـى الْجَهَابِذَة رَمَوْا بِهَا وَزَيَّفُوهَا، وَمَا مِنْ شَـيْء إِلَّا لَهُ آفَة وَمَكِيدَة، وَآفَة الدِّين وَكَيْدُهُ أَكْثَر»، [تفسير القرطبي (١٩/ ١٣٥)].

قـد خللها على صدره بخلال؟»، فقال: «يا جبريـل، أنفق ماله عليَّ قبل الفتح، قال: فأَقْرِئْهُ من الله السلام وقل له: يقول لك ربك: أراضٍ أنت عني في فقرك أم ساخط؟»، قال: فالتفت النبي إلى أبي بكر، فقال: «يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك من الله السـلام ويقول: «أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم سـاخط؟»، فبكى أبو بكر وقال: «أَعَلَى ربك أغضبُ، أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربي راضٍ»[١].

٢٢٠٤- «يـا أبا بكر، أتدري من الرجـل؟»، رُوِيَ أنّ أبا بكر الصّدّيق رضي الله عنه أنفق ماله حتى لم يبق معه إلا الثوب الذي عليه، فجاءه مسـكين يسـأل، فقال: «لم يبق معي شـيء في المنزل، ولا في البيت أعطيك أياه»، فقال: «أتردُّني هكذا صفـر اليديـن؟»، فقال: «لا، إني أسـتحيي مـن الله أن أَرُدَّك صفـر اليدين، قف محلك، فأوقفه خـارج البيت ودخل الصديق إلى المنزل، وخلع الثوب الباقي الذي على بدنه - الذي يسـتر عورته- وناوله للمسـكين من عند الباب. وأخذ شـملة[٢] واتزر بها ليسـتر عورته وخاطها بالشـوك، ولما كان رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مجلسـه قال: «أين أبو بكـر؟»، قالوا: «لم يأت»، قال: «ادعـوه لي»، فدعَوْه فأقبل الصديق يمشـي على اسـتحياء يخشى أن تنكشف عورته، وجلس جلسة العـذراء، فبينما هم كذلـك إذ جاء أعرابي يلبس كما يلبس أبو بكر، فلم ينكروا ذلك عليه لشـدة فقر الأعراب وجوعهم وقد يلبسون مثل هذا، فأكبَّ الأعرابي على رسـول صلى الله عليه وآله وسلم وسارَّه في أذنه ثم انصرف الأعرابي، فلما غاب التفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقـال: «يا أبـا بكر، أتدري من الرجل؟»، قال: «الله ورسـوله أعلم»، قال: «إنه جبريل جاءني السـاعةَ، وقال: «أقرئ أبا بكر من ربِّه السـلام، وقل له: إنَّ الله يقرئك السلام ويقول لك: «هل أنت راض عن ربّك؟ هل أنت راضٍ عن

(١) راجع الأحاديث الضعيفة في فضل أبي بكر رضي الله عنه.
(٢) (الشَمْلة): كساء من صوفٍ أو شَعْرٍ يُتغطّى ويتلفّف به.

ربك في فقرك هذا؟ فإن الله قد رضي عنك» فبكى الصدِّيق.

٢٢٠٥- «يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَخَذُوا بِهَا لَكَفَتْهُمْ»، رُوِيَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَعَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَتْلُو عَلَيَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق]، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَخَذُوا بِهَا لَكَفَتْهُمْ»، فَجَعَلَ يَتْلُوهَا، وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ حَتَّى نَعَسْتُ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، كَيْفَ تَصْنَعُ إِنْ أُخْرِجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ؟»، قُلْتُ: «إِلَى السَّعَةِ وَالدَّعَةِ، أَنْطَلِقُ حَتَّى أَكُونَ حَمَامَةً مِنْ حَمَام مَكَّةَ»، قَالَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ إِنْ أُخْرِجْتَ مِنْ مَكَّةَ؟»، قُلْتُ: «إِلَى السَّعَةِ وَالدَّعَةِ، إِلَى الشَّامِ وَالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ»، قَالَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ إِنْ أُخْرِجْتَ مِنَ الشَّامِ؟»، قُلْتُ: «إِذَنْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ أَضَعَ سَيْفِي عَلَى عَاتِقِي»، قَالَ: «أَوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟»، قُلْتُ: «أَوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟»، قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا».

٢٢٠٦- يا أبا هريرة، أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا، قم من الليل فصَلّ وأنت تريد رضا ربك، يا أبا هريرة صَلّ في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا.

٢٢٠٧- «يا أبا هريرة، أما علمت أن يدي ويد علي في العدل سواء»، رُوِيَ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «جئت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين يديه تمر فسلمتُ عليه فرد عليَّ وناوَلَنِي من التمر ملء كفه فعددته ثلاثًا وسبعين تمرة، ثم مضيتُ مِن عنده إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وبين يديه تمرة فسلمتُ عليه فرَدَّ عليَّ وضحك إليَّ وناولَنِي من التمر ملء كفه، فعددته فإذا هو ثلاث وسبعون تمرة، فكثر تعجبي من ذلك، فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: «يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جئتُك وبين يديك تمر فناولْتَني ملء كفك، فعددْتُه فإذا هو ثلاث وسبعون تمرة، ثم

مضيتُ إلى علي بن أبي طالب وبين يديه تمر فناولَني ملء كفه، فعددته ثلاثا وسبعين تمرة، فعجبتُ مِن ذلك فتبسم النبي ﷺ، وقال: «يا أبا هريرة أما علمت أن يدي ويد علي في العدل سواء».

٢٢٠٨- يا أبا هريرة، علم الناس القرآن وتعلمه، فإنك إن مت وأنت كذلك زارت الملائكة قبرك كما يزار البيت العتيق، وعلم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تُحْدِث في دين الله حدثا برأيك.

٢٢٠٩- يا أبا هريرة، مُر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب.

٢٢١٠- يَا ابْنَ عُمَرَ دِينَكَ دِينَكَ، إِنَّمَا هُوَ لَحْمُكَ وَدَمُكَ، فَانْظُرْ عَمَّنْ تَأْخُذُ، خُذْ عَنِ الَّذِينَ اسْتَقَامُوا، وَلَا تَأْخُذْ عَنِ الَّذِينَ مَالُوا[١].

٢٢١١- يا ابن عمر لا يغرنك ما سبق لأبيك مِن قِبَلي؛ فإن العبد لو جاء يوم القيامة بالحسنات كأمثال الجبال الرواسي ظن أنه لا ينجو من أحوال ذلك اليوم، يا ابن عمر، دينك إنما هو لحمك ودمك، وانظر عمن تأخذ، خذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا.

٢٢١٣- يا ابن عوف! إنك من الأغنياء، ولن تدخل الجنة إلا زحفًا[٢]،

---

(١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ» (رواه مسلم).
ورُوِيَ عن الْحَسَنَ أنه قال: «يَا ابْنَ آدَمَ دِينَكَ دِينَكَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمُكَ وَدَمُكَ، فَإِنْ تَسْلَمْ بِهَا فَيَالَهَا مِنْ رَاحَةٍ، وَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَنَعُوذُ بِاللهِ فَإِنَّمَا هِيَ نَارٌ لَا تُطْفَأُ وَحَجَرٌ لَا يُبْرَدُ وَنَفْسٌ لَا تَمُوتُ».

(٢) هذه القصة وغيرها من الروايات منكرة جدًا وضعيفة، فإن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قد شهد له النبي ﷺ بالجنة دون ذكر التأخير أو الدخول زحفًا، قال ابن الجوزي: «أفترى مَن يسبق إذا حَبَا عبد الرحمن بن عوف، وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن أهل بدر المغفور لهم، ومن أصحاب الشورى؟».

فأقـرض الله يطلق قدميك، قال: «فما أقـرض الله؟»، قال: «تتبرأ مما أنت فيه»، قـال: «يا رسـول الله! من كله أجمع؟»، قال: «نعم، فخـرج ابن عوف وهو يهم بذلـك، فأرسـل إليه رسـول الله ﷺ فقال: «أتـاني جبريل فقال: مُـرْ ابن عوف فليُضِف الضيف، وليُطعِم المسكين، وليعط السائل، وليبدأ بمن يعول، فإنه إذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه».

٢٢١٤- «يَا أَخِي أَشرِكنَا فِي دُعَائِكَ، وَلاَ تَنسَنَا»، رُوِيَ عَنْ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْعُمْرَةِ فَأَذِنَ لَهُ، وقَالَ: «يَا أَخِي، لَا تَنْسَنَا مِنْ دُعَائِكَ»، وَقَالَ بَعْدُ فِـي الْمَدِينَةِ: «يَا أَخِي، أَشْـرِكْنَا فِـي دُعَائِكَ»، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أُحِـبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، لِقَوْلِهِ: «يَا أَخِي».

٢٢١٥- «يَا أَسْمَاءُ إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ المَحِيضَ لَمْ تَصْلُحْ أَنْ يُرَى مِنْهَا إِلاَّ هَذَا وَهَذَا» وَأَشَـارَ إِلَى وَجْهِهِ وَكَفَّيْهِ، رُوِيَ عَنْ خَالِدِ بْنُ دُرَيْكٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِى بَكْرٍ دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ رِقَاقٌ فَأَعْرَضَ عَنْهَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ «يَا أَسْـمَاءُ إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ الْمَحِيضَ لَمْ تَصْلُحْ أَنْ يُرَى مِنْهَا إِلاَّ هَذَا وَهَذَا»، وَأَشَارَ إِلَى وَجْهِهِ وَكَفَّيْهِ [١].

٢٢١٦- «يـا أم أيمن قومي إلى تلك الفخـارة فأهريقي ما فيها»، رُوِيَ عن أم أيمـن رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: قام النبي ﷺ من الليـل إلى فخارة من جانب البيت

(١) رواه أَبُو دَاوُدَ، وقَالَ: «هَذَا مُرْسَلٌ، خَالِدُ بْنُ دُرَيْكٍ لَمْ يُدْرِكْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا».

وفي الحديـث علل قادحـة: العلة الأولى: انقطاع سـنده، كما صَرَّح بذلك الأمام أبـو داود رحمه الله نفسه، فقد قال عقب روايته الحديث: «هذا مُرْسَل، خالد بن دُرَيْك لم يدرك عائشة».

العلة الثانية: أن في سنده سعيد بن بشير أبو عبد الرحمن البصري، قال الحافظ: «ضعيف».

العلـة الثالثـة: أن فيه قتـادة، وهو مدلس، وقد عنعنه، كما أن فيه الوليدَ بنَ مسـلم، قال الحافظ: «ثقة، لكنه كثير التدليس والتسوية، وقد عنعنه».

وعلـى فرض صحة الحديث، أو تقويته بشـواهده، فأجاب عنه العلماء القائلون بتحريم السـفور بأن حملـوه على أنه كان قبل الأمر بالحجاب. [انظر: عودة الحجاب، للشـيخ محمد إسـماعيل المقدَّم (٣/ ٣٧١).

فبال فيها، فقمت من الليل وأنا عطشى فشربت ما في الفخارة وأنا لا أشعر، فلما أصبح النبي ﷺ قال: «يا أم أيمن قومي إلى تلك الفخارة فأهريقي ما فيها». قلت: «قد والله شربت ما فيها»، قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: «أما أنك لا يفجع بطنك بعده أبدًا».

٢٢١٧- «يا أم علقمة صدقيني، وإن كذبت جاء الوحي من الله تعالى، كيف كان حال ولدك علقمة؟»، رُوِيَ أنه كان في زمن النبي ﷺ شاب يُسمَّى علقمة، وكان كثير الاجتهاد في طاعة الله في الصلاة والصوم والصدقة، فمرض واشتد مرضه، فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ: «إن زوجي علقمة في النزْع فأردتُ أن أعلمك يا رسول الله بحاله»، فأرسل النبي ﷺ عمارًا وصهيبًا وبلالًا وقال «امضوا إليه ولقنوه الشهادة»، فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجدوه في النزع فجعلوا يلقنونه «لا إله إلا الله» ولسانه لا ينطق بها، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة، فقال النبي ﷺ: «هل من أبويه أحد حي؟»، قيل: «يا رسول الله، أم كبيرة السن»، فأرسل إليها رسول الله ﷺ، وقال للرسول: «قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقَرِّي في المنزل حتى يأتيك»، فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت: «نفسي لنفسه فداء، أنا أحق بإتيانه»، فتوكأت وقامت على عصا وأتت رسول الله ﷺ فسلمَتْ فرد عليها السلام، وقال لها: «يا أم علقمة اصدقيني وإن كذبت جاء الوحي من الله تعالى، كيف كان حال ولدك علقمة»، قالت: «يا رسول الله كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة»، قال رسول الله ﷺ: «فما حالك؟»، قالت: «يا رسول الله أنا عليه ساخطة». قال: «ولِمَ؟»، قالت: يا رسول كان يُؤْثِرُ علَيَّ زوجته ويعصيني»، فقال رسول الله ﷺ: «إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة»، ثم قال: «يا بلال انطلق واجمع لي حطبًا كثيرًا»،

قالت: «يا رسول الله، وما تصنع؟» قال: «أحرقه بالنار بين يديك»، قالت: «يا رسول الله، ولدي لا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يدي»، قال: «يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى فإنْ سَرَّكِ أن يغفر الله له فارضي عنه؛ فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دُمْتِ عليه ساخطة»، فقالت: «يا رسول الله إني أشهِدُ الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين أني قد رضيت عن ولدي علقمة»، فقال رسول الله ﷺ: «انطلق يا بلال إليه وانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله أم لا؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياءً مني»، فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول: «لا إله إلا الله» فدخل بلال فقال: «يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وأن رضاها أطلق لسانه، ثم مات علقمة من يومه فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه، ثم قام على شفير قبره، وقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار، مَن فَضَّل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، إلا أن يتوب إلى الله عز وجل، ويحسن إليها ويطلب رضاها، فرضى الله في رضاها وسخط الله في سخطها»[١].

٢٢١٨- يا أنسُ، إذا هممتَ بأمرٍ، فاستخرْ ربكَ فيهِ سبعَ مراتٍ، ثمَّ انظرْ إلى الذي يسبقُ إلى قلبكَ، فإنَّ الخيرَ فيهِ.

٢٢١٩- «يا أنس، ضع بصرك موضع سجودك»[٢]، رُوِيَ عن أنس

---

(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ**» (رواه الترمذي وصححه الألباني)، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِلَفْظِ: «**رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِهِمَا**» (وحسنه الألباني).

(٢) أَي انْظُر إِلَى مَحل سجودك مَا دمت فِي الصَّلاَة. وثبت أن النبي ﷺ كان إذا صلى؛ طأطأ رأسه، ورمى ببصره نحو الأرض، ولما دخل الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها، قال الألباني: «وقد اختلف العلماء في الجهة التي ينبغي للمصلي أن يتوجه بنظره إليها؛ فذهب مالك إلى أن نظر المصلي يتجه إلى جهة القبلة، وترجم له البخاري في (صحيحه): (باب رفع البصر إلى الإمام =

ابن مالك أن النبي ﷺ قال: «يا أنس، ضع بصرك موضع سجودك»، قَالَ أنس: قلت: «يَا رَسُول الله، هَذَا شَدِيد لَا أُطِيقهُ»، قَالَ: «فَفِي الْمَكْتُوبَة إِذن».

٢٢٢٠- يَـا أَيُّهَا النَّاسُ، ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُـوا فَتَبَاكَوْا، فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَبْكُونَ فِي النَّارِ حَتَّى تَسِـيلَ دُمُوعُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ، فَتَسِيلَ يَعْنِي الدِّمَاءَ فَتَقَرَّحَ الْعُيُونَ، فَلَوْ أَنَّ سُفُنًا أُرْخِيَتْ فِيهَا لَجَرَتْ.

٢٢٢١- يـا أيها الناس! توبوا إلـى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا، وصِلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقـة في السـر والعلانيـة تُؤجـروا وتُحمدوا وتُرزقـوا وتُنصـروا وتُجبروا، واعلموا أن الله قد افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا في يومي هذا في شهري هـذا في عامـي هذا إلى يـوم القيامة فريضـة مكتوبة، من وجد إليها سـبيلا فمن تركها في حياتي أو بعد مماتي [1] جحودًا بها واسـتخفافا بحقها وله إمام عادل أو

= في الصلاة) (٢/ ١٨٤)، وساق فيه عدة أحاديث في أن الصحابة كانوا ينظرون إلى الرسول ﷺ وهم في الصـلاة في أحـوال مختلفة، وذهب الشـافعي، والكوفيون - وهو الصحيح مـن مذهب الحنفية - إلى أنه يسـتحب للمصلي النظر إلى موضع سـجوده؛ لأنه أقرب إلى الخشوع، وهو الصواب؛ لدلالة الأحاديث السابقة عليه.

وفصَّل الحافظ ابن حجر؛ فقال: «ويمكن أن نفرق بين الإمام والمأموم؛ فيستحب للإمام النظر إلى موضع السجود وكذا للمأموم؛ إلا حيث يحتاج إلى مراقبة إمامه، وأما المنفرد فحكمه حكم الإمام».ا هـ.

وبهذا يُجمع بين الأحاديث التي ساقها البخاري وبين أحاديث النظر إلى موضع السجود، وهو جمْعٌ حسن، والله تعالى أعلم». [انظر: صفة صلاة النبي ﷺ، للألباني (١/ ٢٣٠- ٢٣٣)].

(١) عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا سَـمِعَا رَسُـولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ**» (رواه مسلم).

(وَدْعهـمْ) أَيْ تَرْكهـمْ. وَمَعْنَى الْخَتْم الطَّبْع وَالتَّغْطِيَـة، وَمِثْله (الرَّيْن) فَقِيلَ: الرَّيْن الْيَسِـير مِنْ الطَّبْع، وَالطَّبْع الْيَسِير مِنْ الْأَقْفَال، وَالْأَقْفَال أَشَدُّهَا.

وقَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثًا مِنْ غَيْرِ عُـذْرٍ، فَهُوَ مُنَافِقٌ**». (رواه ابن حبان، وصححه الألباني، وحسنه الأرنؤوط).

وَقَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ الجُمُعَةَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ تَهَاوُنًا بِهَـا طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ**». (رواه الترمذي، وصححه الألباني).

جائـر فلا جمع الله شـمله ولا بارك له في أمـره، ألا ولا صلاة له، ألا ولا وضوء له، ألا ولا حج له، ألا ولا صدقة له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا صوم له، ألا ولا برَّ له حتى يتوب، فمن تاب تاب الله عليه، ألا لا تؤُمَّنَّ امرأةٌ رجلًا، ولا يؤم أعرابي مهاجرًا ولا يَؤُمّ فاجرٌ مؤمنًا، إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه [(١)].

---

(١) قـال الشـيخ ابن عثيمـين رَحِمَهُ اللَّهُ: «القاعدة التي تؤيدها الأدلة الشـرعية فيما نـرى: أن كل من صحت صلاتـه صحـت إمامته، حتى الفاسـق حالق اللحية، وشـارب الدخان، تصح إمامتـه، والذي يغتاب الناس تصح إمامته، فهذه القاعدة هي التي نرى أن الأدلة الشـرعية تدل عليها، ولا يسـتثنى من ذلك إلا ما اسـتثناه الشـرع، كإمامة المرأة للرجال، فإن كون المرأة إمامًا للرجال حرام ولا تصح، وتفسـد الصـلاة، لعموم قوله ﷺ: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**» فإذا ولينا أمرنا في الصلاة امرأة فلا فلاح لنا» (لقاء الباب المفتوح، والحديث رواه البخاري).

وقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَـوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّـنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّـنَّةِ سَـوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَـوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِـلْمًا، وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**» (رواه مسلم).

وعن أَبِي مَسْـعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً، فَلْيَؤُمَّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا، وَلَا تَؤُمَّنَّ الرَّجُلَ فِي أَهْلِهِ، وَلَا فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا تَجْلِسْ عَلَى تَكْرِمَتِهِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَكَ، أَوْ بِإِذْنِهِ**». (رواه مسلم).

وقوله ﷺ: «فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّـنَّةِ» فِيهِ دَلِيلٌ لِمَنْ يَقُولُ بِتَقْدِيـمِ الْأَقْرَأِ عَلَى الْأَفْقَهِ وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَـدَ وَبَعْضِ الشَّـافِعِيَّةِ، وَقَالَ مَالِكٌ وَالشَّـافِعِيُّ وَأَصْحَابُهُمَـا: الْأَفْقَهُ مُقَدَّمٌ عَلَى الْأَقْـرَأِ لِأَنَّ الَّذِي يَحْتَـاجُ إِلَيْـهِ مِنَ الْقِرَاءَةِ مَضْبُوطٌ وَالَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْفِقْـهِ غَيْرُ مَضْبُوطٍ وَقَدْ يَعْرِضُ فِي الصَّلَاةِ أَمْرٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى مُرَاعَاةِ الصَّوَابِ فِيهِ إِلَّا كَامِلُ الْفِقْهِ، قَالُوا: وَلِهَذَا قَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْبَاقِينَ مَعَ أَنَّهُ ﷺ نَصَّ عَلَى أَنَّ غَيْرَهُ أَقْرَأُ مِنْهُ، وَأَجَابُوا عَنِ الْحَدِيثِ بِأَنَّ الْأَقْرَأَ مِنَ الصَّحَابَةِ كَانَ هُوَ الْأَفْقَهُ، لَكِنَّ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَـوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّـنَّةِ» دَلِيلٌ عَلَى تَقْدِيمِ الْأَقْرَأِ مُطْلَقًا.

قَوْلُهُ ﷺ: «فَإِنْ كَانُوا فِي السُّـنَّةِ سَـوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً» يَدْخُلُ فِيهِ طَائِفَتَانِ إِحْدَاهُمَا الَّذِينَ يُهَاجِرُونَ الْيَوْمَ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّ الْهِجْرَةَ بَاقِيَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ.

الطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ أَوْلَادُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا اسْتَوَى اثْنَانِ فِي الْفِقْهِ وَالْقِرَاءَةِ وَأَحَدُهُمَا مِنْ أَوْلَادِ مَنْ تَقَدَّمَتْ هِجْرَتُهُ وَالْآخَرُ مِنْ أَوْلَادِ مَنْ تَأَخَّرَتْ هِجْرَتُهُ قُدِّمَ الْأَوَّلُ.

قَوْلُهُ ﷺ «فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَـوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِـلْمًا»، وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: «فَأَكْبَرُهُمْ سِنًّا» مَعْنَاهُ إِذَا اسْـتَوَيَا فِـي الْفِقْهِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْهِجْرَةِ وَرَجحَ أَحَدُهُمَا بِتَقَدُّمِ إِسْـلَامِهِ أَوْ بِكِبَرِ سِـنِّهِ قُـدِّمَ لِأَنَّهَا فَضِيلَةٌ يُرَجَّحُ بِهَا.

=

٢٢٢٢- يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعا، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه في رزق المؤمن، ومن فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء» [(١)]، قالوا: «يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم»، قال: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على مذقة لبن، أو تمرة، أو شربة من ماء، ومن أشبع صائما سقاه الله من الحوض شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة، وهو شهر أوله رحمة، ووسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال، خصلتان ترضون بهما ربكم، وخصلتان لا غنى بكم عنهما، أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما، فتسألون الجنة، وتعوذون من النار.

٢٢٢٣- يا أيها الناس! كأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الموت فيها على غيرنا كُتِب، وكأن الذين نشيع من الأموات سفر، عما قليل إلينا عائدون،

= قَوْلُهُ ﷺ: «وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلَ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ» مَعْنَاهُ أَنَّ صَاحِبَ الْبَيْتِ وَالْمَجْلِسِ وَإِمَامَ الْمَسْجِدِ أَحَقُّ مِنْ غَيْرِهِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْغَيْرُ أَفْقَهَ وَأَقْرَأَ وَأَوْرَعَ وَأَفْضَلَ مِنْهُ وَصَاحِبُ المَكَانِ أَحَقُّ، فَإِنْ شَاءَ تَقَدَّمَ وَإِنْ شَاءَ قَدَّمَ مَنْ يُرِيدُهُ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِي يُقَدِّمُهُ مَفْضُولًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَاقِي الْحَاضِرِينَ لأنه سلطانه فيتصرف فيه كيف شاء، فَإِنْ حَضَرَ السُّلْطَانُ أَوْ نَائِبُهُ قُدِّمَ عَلَى صَاحِبِ الْبَيْتِ وَإِمَامِ الْمَسْجِدِ وَغَيْرِهِمَا لِأَنَّ وِلَايَتَهُ وَسَلْطَنَتَهُ عَامَّةٌ، وَيُسْتَحَبُّ لِصَاحِبِ الْبَيْتِ أَنْ يَأْذَنَ لِمَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»، قَالَ الْعُلَمَاءُ التَّكْرِمَةُ الْفِرَاشُ وَنَحْوُهُ مِمَّا يُبْسَطُ لِصَاحِبِ الْمَنْزِلِ وَيُخَصُّ بِهِ. (باختصار من شرح صحيح مسلم للنووي ٥/ ١٧٢-١٧٤).

(١) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُنْقِصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»**، (رواه الترمذي، وصححه الألباني).

نبوئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم، قد نسينا كل واعظة، وأمنا كل جائحة. طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، وجانب أهل الذل والمعصية. طوبى لمن ذل في نفسه، وحسنت خليقته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، ولم يَعْدُهَا إلى البدعة.

٢٢٢٤- يا أيها الناس لا يغترن أحدكم بالله، فإن الله لو كان غافلا شيئا لأغفل البعوضة، والخردلة، والذرة.

٢٢٢٥- «يا أيها الناس! يا أهل الإسلام!»، رُوِيَ عن أبي أيوب قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا فأخذ بعضادتي باب المسجد ونادى بأعلى صوته: «يا أيها الناس! يا أهل الإسلام! جاء الموت بما جاء بالروح والرحمة والكرة المباركة لأولياء الله من أهل دار السرور الذين كان سعيهم ورغبتهم فيها. يا أيها الناس! يا أهل الإسلام! جاء الموت بما جاء بالحسرة والندامة والكرة الخاسرة لأولياء الشيطان من أهل الغرور، الذين كان سعيهم ورغبتهم فيها، ألا إن لكل ساع، وغاية كل ساع الموت».

٢٢٢٦- يا بلال! غَنِّ الغَزَل.

٢٢٢٧- «يا جارية هذه صفات المؤمنين حقًا، لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق»، روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: يا سبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس في خير، عجبا لرجل يجيئه أخوه المسلم في الحاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا، فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الأخلاق، فإنها تدل على سبل النجاح، فقام إليه رجل فقال: فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين، أسمعته من رسول الله ﷺ قال: نعم، وما هو خير منه، لما أتى بسبايا طيئ وقفت

جارية حمراء لعساء ذلفاء عيطاء، شماء الأنف، معتدلة القامة والهامة، درماء العين، خدلة الساقين، لفاء الفخذين، خميصة الخصرين، ضامرة الكشحين، مصقولة المتنين، قال: فلما رأيتُها أعجبت بها وقلت: لأطلبن إلى رسول الله ﷺ يجعلها في فيئي، فلما تكلمت أنسيتُ جمالها لِمَا رأيتُ من فصاحتها، فقالت: «يا محمد إن رأيت أن تخلى عنا ولا تشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولا يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم طيئ»، فقال النبي ﷺ: «يا جارية هذه صفة المؤمنين حقًّا، لو كان أبوك مسلما لَتَرَحَّمْنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق والله يحب مكارم الأخلاق»، فقام أبو بردة بن نيار، فقال: يا رسول الله، الله عز وجل يحب مكارم الأخلاق؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق»[١].

٢٢٢٨- «يا جبريل صِف لي النار، وانعت لي جهنم»، فقال جبريل: «إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة، لا يضيء شررها، ولا يطفأ لهبها، والذي بعثك بالحق لوأن خازنا من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه لمات من في الأرض كلهم من قبح وجهه، ومن نتن ريحه، والذي بعثك بالحق لوأن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى، فقال رسول الله ﷺ: «حسبي

(١) هذه القصة المكذوبة فيها عبارات مستهجنة من وصف الراوي - و هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه - لجسم هذه الفتاة، و عينيها، و فخذيها، وقامتها و ساقيها.

يا جبريل لا يتصدع قلبي، فأموت» فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل وهو يبكي، فقال: «تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به»، فقال: «مالي لا أبكي؟ أنا أحق بالبكاء! لعلي أبتلى بما ابتلي به إبليس، فقد كان من الملائكة، وما أدري لعلي أبتلي مثل ما ابتلي به هاروت وماروت»، فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبريل عليه السلام، فما زالا يبكيان حتى نوديا: «أن يا جبريل ويا محمد إن الله عز وجل قد أَمَّنَكُمَا أن تعصياه»، فارتفع جبريل عليه السلام، وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون، فقال: «أتضحكون ووراءكم جهنم؟! لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، ولما أسغتم الطعام والشراب، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل» (١)، فنودي: «يا محمد! لا تُقَنِّطْ عبادي، إنما بعثتك ميسرا ولم أبعثك معسرا»، فقال رسول الله ﷺ: «سددوا وقاربوا» (٢).

٢٢٢٩- يا جبريل، ما لي أرى الشمس طلعت بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت به فيما مضى؟»، رُوِيَ عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فطلعت الشمس بشعاع وضياء ونور لم نرها طلعت فيما مضى، فأتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال له: «يا جبريل، مالي أرى الشمس طلعت بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت به فيما مضى؟»، فقال: «ذلك إن معاوية بن معاوية

---

(١) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**»، قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ» (رواه البخاري ومسلم)، والخنين: هو الصَّوْت الَّذِي يَرْتَفِع بِالْبُكَاءِ مِنْ الأَنْف.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، والترمذي، وصححه الألباني].

(٢) قال ﷺ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا**» [رواه البخاري ومسلم].

الليثي مات بالمدينة اليوم فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه»، قال: «وفيم ذلك؟»، قال: «كان يكثر قراءة قل هو الله أحد في الليل والنهار، وفي ممشاه وقيامه وقعوده، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه؟»، قال: «نعم»، فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم رجع.

٢٢٣٠- «يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ اللَّيْلَةُ؟»، رُوِيَ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: «قُمْ فَصَلِّ وَارْفَعْ رَأْسَكَ وَيَدَيْكَ إِلَى السَّمَاءِ»، فَقُلْتُ: «يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ اللَّيْلَةُ؟»، قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأَبْوَابُ الرَّحْمَةِ ثَلَاثمِائَة بَابٍ فَيُغْفَرُ لِجَمِيعِ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا غَيْرَ مُشَاحِنٍ أَوْ عَاشِرٍ [١] أَوْ مُدْمِنِ خَمْرٍ أَوْ مُصِرٍّ عَلَى الزِّنَا فَإِنَّ هَؤُلاءِ لَا يُغْفَرُ لَهُمْ حَتَّى يَتُوبُوا، فَأَمَّا مُدْمِنُ خَمْرٍ فَإِنَّهُ يُتْرَكُ لَهُ بَابًا مِنَ الرَّحْمَةِ مَفْتُوحًا حَتَّى يَتُوبَ، فَإِذَا تَابَ غُفِرَ لَهُ، وَأَمَّا الْمُشَاحِنُ فَإِنَّهُ يُتْرَكُ لَهُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الرَّحْمَةِ حَتَّى يُكَلِّمَ صَاحِبَهُ، فَإِذَا كَلَّمَهُ غُفِرَ لَهُ»، قَالَ النَّبِيُّ: «يَا جِبْرِيلُ، فَإِنْ لَمْ يُكَلِّمْهُ حَتَّى يَمْضِيَ عَنْهُ النِّصْفُ»، قَالَ: «لَوْ مَكَثَ إِلَى أَنْ يَتَغَرْغَرَ بِهَا فِي صَدْرِهِ فَهُوَ مَفْتُوحٌ، فَإِنْ تَابَ قُبِلَ مِنْهُ»، فَخَرَجَ رَسُول الله إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَبَيْنَا هُوَ سَاجِدٌ وَهُوَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، جَلَّ ثَنَاؤُكَ وَلا أَبْلُغُ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلامُ- فِي رُبُعِ اللَّيْلِ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ إِلَى السَّمَاءِ»، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ مَفْتُوحَةٌ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكٌ يُنَادِي: «طُوبَى لِمَنْ سَجَدَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ». وَعَلَى الْبَابِ الثَّالِثِ مَلَكٌ يُنَادِي: «طُوبَى لِمَنْ رَكَعَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ»، وَعَلَى الْبَابِ الرَّابِعِ مَلَكٌ يُنَادِي: «طُوبَى لِمَنْ دَعَا رَبَّهُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ»، وَعَلَى الْبَابِ الْخَامِسِ مَلَكٌ يُنَادِي: «طُوبَى لِمَنْ نَاجَى رَبَّهُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ»، وَعَلَى

(١) عشَر القومَ: أخذ عُشْر أموالهم. عشَر المالَ: أخذ عُشْره مَكْسًا.

الْبَابِ السَّـادِسِ مَلَكٌ يُنَادِي: «طُوبَى لِلْمُسْـلِمِينَ فِي هَـذِهِ اللَّيْلَةِ»، وَعَلَى الْبَابِ السَّابِعِ مَلَكٌ يُنَادِي: «طُوبَى لِلْمُوَحِّدِينَ»، وَعَلَى الْبَابِ الثَّامِنِ مَلَكٌ يُنَادِي: «هَلْ مِنْ تَائِبٍ يُتَابُ عَلَيْهِ»، وَعَلَى الْبَابِ التَّاسِعِ مَلَكٌ يُنَادِي: «هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ»، وَعَلَى الْبَابِ الْعَاشِرِ مَلَكٌ يُنَادِي: «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ»، ثُمَّ إِن رَسُول الله ﷺ قَـالَ: «يَا جِبْرِيلُ، إِلَـى مَتَى أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ مَفْتُوحَـةٌ؟»، قَالَ: «مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى صَلاةِ الْفَجْرِ».

٢٢٣١- «يا حميراء، [١] أما شـعرت أن الأنين اسم من أسماء الله عز وجل يسـتريح به المريض؟!»، رُوِيَ عن عائشـة رضي الله عنها قالت: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ وفي البيت مريض يئن، فمنعَتْه عائشة، فقال رسول الله ﷺ: «يا حميراء! أما شعرتِ أن الأنين اسم من أسماء الله - عز وجل - يستريح به المريض؟!»».

٢٢٣٢- يا حميراء، أما علمت أن العبد إذا سـجد سـجدة لله تعالى طهر له موضع سـجوده إلى سـبع أرضين»، رُوِيَ عن عائشـة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان صلـي في المـكان الـذي يبول فيه الحسـن والحسـين، فقالت عائشـة: «يا رسـول الله! ألا تنظر مكانـا أنظف من هذا؟». قال: «يا حميـراء! أما علمت أن العبد إذا سجد سجدة لله تعالى طهر له موضع سجوده إلى سبع أرضين».

٢٢٣٣- يا حميـراء، من أعطى نارا فكأنما تصدق بجميع ما نضجت تلك النار، ومن أعطى ملحًا فكأنما تصدق بجميع ما طيب ذلك الملح، و من سقى مسـلما شـربة من ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبة، و من سـقى مسـلما شربة من ماء حيث لا يوجد، فكأنما أحياها.

---

(١) أي عائشة رضي الله عنها، وحميراء تصغير كلمة حمراء.

ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» رِوَايَةِ النَّسَـائِيِّ عَنْ عائشـة رضي الله عنها قالت: «دَخَلَ الْحَبَشَـةُ يَلْعَبُـونَ، فَقَـالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا حُمَيْرَاءُ أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ؟**»، فَقُلْتُ: «نَعَمْ»، ثم قال الحافظ: «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَلَمْ أَرَ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ ذِكْرَ الْحُمَيْرَاءِ إِلَّا فِي هَذَا».

٢٢٣٤- يا حميراء، إنه لما كان ليلة أسري بي إلى السماء، أُدخِلْتُ الجنة، فوقفتُ على شجرة من شجر الجنة، لم أر في الجنة شجرة هي أحسن منها حسنًا، ولا أبيض منها ورقة، ولا أطيب منها ثمرة، فتناولت ثمرة من ثمراتها، فأكلتها، فصارت نطفة في صلبي، فلما هبطت واقعت خديجة؛ فحملَتْ بفاطمة، فإذا أنا اشتقت إلى رائحة الجنة، شممت ريح فاطمة، يا حميراء! إن فاطمة ليست كنساء الآدميين، ولا تعتل كما يعتلون.

٢٢٣٥- «يا زبير! إن باب الرزق مفتوح»، رُوِيَ عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال لي الزبير: مررت برسول الله ﷺ فجبذ عمامتي فالتفت إليه فقال لي: «يا زبير! إن باب الرزق مفتوح من لدن العرش، إلى قرار بطن الأرض، يرزق الله كل عبد على قدر همته ونهمته».

٢٢٣٦- يا زبير! إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش، ينزل الله للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم، فمن كثر كثر له، ومن قلل قلل له.

٢٢٣٧- «يا سعد! أطِبْ مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما»، رُوِيَ عن ابن عباس قال: تليت هذه الآية عند رسول الله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة:١٦٨]، فقام سعد بن أبي وقاص، فقال: «يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة»، فقال له النبي ﷺ: «يا سعد! أطِبْ مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما» (١).

(١) عَنْ أبي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ طيِّبًا، وإنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ المُؤْمنينَ بمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون:٥١]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٧٢]، ثـمَّ ذكَرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفرَ: أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يمُدُّ يدَيهِ إلى السَّماءِ: يا رَبِّ، يا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، وَمَلْبَسُهُ حرامٌ، وَغُذِّيَ بالحَرَامِ، فأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذلكَ؟». [رواهُ مُسلمٌ].

٢٢٣٨ - يا سلمى، أهريقي ما في الإناء في موضع لا يتخطاه أحد»، رُوِيَ عَنْ سَلْمَى امرأة أبي رافع قالت: «كان رسول الله ﷺ فَوْق بيته جالسًا، فقال: يا سلمى، ائتني بغسل»، فجئت إليه بإناء فيه ماء سدر فصفيته له، ثم جثا على مرفقة حشوها ليف، وأنا أصب على رأسه فغسله، وإني لأنظر إلى كل قطرة من رأسه في الإناء كأنه الدر يلمع، ثم جئته بماء فغسله، فلما فرغ من غَسْلِه قال: «يا سلمى، أهريقي ما في الإناء في موضع لا يتخطاه أحد»، فأخذتُ الإناء، قلت: يا رسول الله، حَسَدتُ الأرض عليه فشربتُ بعضه، ثم أهرقْتُ الباقي»، فقال: «اذهبي فقد حرمك الله بذلك على النار».

٢٢٣٩- «يا عائشة الويل لمن لا يراني يوم القيامة»، رُوِيَ عَنْ عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كنتُ في حجرتي أخيط ثوبًا لي فانكفأ المصباح وأظلمت الحجرة وسقط المِخيَطُ (أي الإبرة)، فبينما كنت في حيرتي أتحسس مخيطي إذا أطلَّ عليَّ رسول الله ﷺ بوجهه من باب الحجرة، رفع الشملة [1] وأطل بوجهه، فوالله الذي لا إله إلاّ هو، لقد أضاءت أرجاء الحجرة من نور وجهه حتى لقد التقطت المخيط من نور طلعته. ثمَّ التفتُّ إليه فقلتُ: «بأبي أنت يارسول الله، ما أضوأ وجهك!»، فقال: «يا عائشة الويل لمن لا يراني يوم القيامة»، قالت: «ومن ذا الذي لا يراك يوم القيامة يارسول الله؟». قال: «مَن ذُكِرتُ عنده فلم يصل عليّ» [2].

٢٢٤٠- يا عائشة، أما تعلمين أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران، وكلثم أخت موسى، وامرأة فرعون.

٢٢٤١- «يا عائشة، أما علمت أن أجسادنا نبتت على أرواح أهل الجنة

(١) (الشَمْلة): كساء من صوفٍ أو شَعْرٍ يُتغطّى ويتلفّف به.
(٢) قال ﷺ: «**البَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**» [رواه النسائي، وصححه الألباني].

فمـا خرج منا شـيء ابتلعتـه الأرض»، رُوِيَ عن عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنهـا قالت: كان رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا دخل الغائط دخلْتُ على إثره فلم أرَ شيئًا، فذكرت ذلك له فقال: «يا عائشـة، أما عِلِمْتِ أن أجسادنا نبتت على أرواح أهل الجنة فما خرج منا شيء ابتلعته الأرض».

٢٢٤٢- «يـا عائشـة، أمـا علمـت أن الله أمـر الأرض أن تبتلـع مـا خـرج مـن الأنبيـاء»، رُوِيَ عن عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنهـا قالت: «يا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إني أراك تدخـل الخلاء ثم يجيء الذي يدخل بعدك فلم يـر لما خرج منك أثرًا»، فقال: «يا عائشة، أما علمت أن الله أمر الأرض أن تبتلع ما خرج من الأنبياء».

٢٢٤٣- يا عائشـةُ، إن أردت اللحوق بي، فليكفك من الدنيا كزاد الركب، ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه، وإياك ومجالسة الأغنياء [(١)].

٢٢٤٤- «يا عثمان، ما سألنى عنها أحد قبلك»، رُوِيَ أن عثمان سأل النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن تفسـير قولـه تَعَـالَى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الزمـر:٦٣]، فقال: «يا عثمان، ما سألني عنها أحد قبلك، تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شـئ قدير. يا عثمان من قالها إذا أصبح وإذا أمسـى عشـر مرات أعطاه الله سـت خصال: أما أول خصلـة فيحرس من إبليس وجنوده، وأما الثانية فيعطى قنطارا من الأجر، وأما الثالثة فيرفع له درجة فى الجنة، وأما الرابعة فيزوجه تعالى من الحور العين، وأما الخامسة فيحضرها اثنا عشر ملكا، وأما السادسة ففيها من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزبـور، وله يا عثمان من الأجر كمن حج واعتمر فقبل حجه وتقبلت عمرته، فإن مات من يومه ختم له بطابع الشهداء.

(١) راجع: الأحاديث الصحيحة في زهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وصحابته.

٢٢٤٥- «يَا عَبدَ اللهِ، مَا صَنَعتَ؟» رُوِيَ عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أَنَّهُ أَتى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وَهُوَ يَحتَجِمُ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: «يَا عَبدَ اللهِ، اذهَب بِهَذَا الدَّمِ فَأَهرِقهُ حَتَّى لا يَرَاهُ أَحَدٌ»، فَلَمَّا بَرَزَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم عَمَدَ إِلَى الدَّمِ فَشَرِبَهُ، فَقَالَ: «يَا عَبدَ اللهِ، مَا صَنَعتَ؟»، قَالَ: «جَعَلتُهُ فِي أَخفَى مَكَانٍ ظَنَنتُ أَنَّهُ يَخفَى عَلَى النَّاسِ»، قَالَ: «لَعَلَّكَ شَرِبتَهُ»، قَالَ: «نَعم»، قَالَ: «وَلِمَ شَرِبتَ الدَّمَ؟ وَيلٌ لِلنَّاسِ مِنكَ، وَوَيلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ».

٢٢٤٦- يا عجبا كل العجب للشاك في قدرة الله وهو يرى خلقه، بل عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الأخرى وهو يرى الأولى، ويا عجبا كل العجب للمكذب بنشور الموت وهو يموت كل يوم وفي كل ليلة ويحيى، ويا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور، ويا عجبا كل العجب للمختال الفخور، وإنما خلق من نطفة، ثم يعود جيفة وهو بين ذلك لا يدري ما يفعل به.

٢٢٤٧- «يَا عَكَّافُ، هَلْ لَكَ مِنْ زَوْجَةٍ؟»، رُوي عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: عَكَّافُ بْنُ بِشْرٍ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «يَا عَكَّافُ، هَلْ لَكَ مِنْ زَوْجَةٍ؟». قَالَ: «لَا». قَالَ: «وَلَا جَارِيَةٍ؟». قَالَ: «وَلَا جَارِيَةَ»، قَالَ: «وَأَنْتَ مُوسِرٌ بِخَيْرٍ؟»، قَالَ: «وَأَنَا مُوسِرٌ بِخَيْرٍ»، قَالَ: «أَنْتَ إِذًا مِنْ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ، وَلَوْ كُنْتَ فِي النَّصَارَى كُنْتَ مِنْ رُهْبَانِهِمْ، إِنَّ سُنَّتَنَا النِّكَاحُ، شِرَارُكُمْ عُزَّابُكُمْ، وَأَرَاذِلُ مَوْتَاكُمْ عُزَّابُكُمْ، أَبِالشَّيْطَانِ تَمَرَّسُونَ! مَا لِلشَّيْطَانِ مِنْ سِلَاحٍ أَبْلَغُ فِي الصَّالِحِينَ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا الْمُتَزَوِّجُونَ، أُولَئِكَ الْمُطَهَّرُونَ الْمُبَرَّءُونَ مِنْ الْخَنَا، وَيْحَكَ يَا عَكَّافُ إِنَّهُنَّ صَوَاحِبُ أَيُّوبَ، وَدَاوُدَ، وَيُوسُفَ، وَكُرْسُفَ، فَقَالَ لَهُ بِشْرُ بْنُ عَطِيَّةَ: «وَمَنْ كُرْسُفُ، يَا رَسُولَ اللهِ؟»، قَالَ: «رَجُلٌ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ بِسَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ ثَلَاثَ مِائَةِ عَامٍ،

يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ، ثُمَّ إِنَّهُ كَفَرَ بِاللهِ الْعَظِيمِ فِي سَبَبِ امْرَأَةٍ عَشِقَهَا، وَتَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ اسْتَدْرَكَهُ اللهُ بِبَعْضِ مَا كَانَ مِنْهُ فَتَابَ عَلَيْهِ، وَيْحَكَ يَا عَكَّافُ، تَزَوَّجْ وَإِلَّا فَأَنْتَ مِنَ الْمُذَنْبِينَ»، قَالَ: «زَوِّجْنِي يَا رَسُولَ اللهِ»، قَالَ: «قَدْ زَوَّجْتُكَ كَرِيمَةَ بِنْتَ كُلْثُومٍ الْحِمْيَرِيِّ».

٢٢٤٨- يا عليّ، أنت أخي في الدنيا والآخرة.

٢٢٤٩- يا عليّ، أنت أخي وصاحبي ورفيقي في الجنة.

٢٢٥٠- «يا علي، ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساءً من أمتي يعذبن بأنواع العذاب»، رُوِيَ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: دخلتُ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنا وفاطمة رضي الله عنها، فوجدناه يبكي بكاءً شديدًا، فقلت له: «فداك أبي وأمي يا رسول اللهِ، ما الذي أباك؟»، قال: «يا علي، ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساءً من أمتي يُعَذّبْن بأنواع العذاب، فبكيتُ لما رأيت من شدة عذابهن، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغها، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها، ورأيت امرأة معلقة بثديها، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار عليها ألف ألف لون من العذاب، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل مِن فِيها (أي فمها) وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار»، فقامت فاطمة رضي الله عنها وقالت: «حبيبي وقرة عيني، ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب؟»، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا بُنَيَّة، أما المعلقة بشعرها يغلي دماغها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، وأما التي معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها فإنها كانت تؤذي زوجها، وأما المعلقة بثدييها فإنها كانت تفسد فراش زوجها، وأما التي تشد رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهزئ

بالصلاة، وأما التي رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار وعليها ألف ألف لون من العذاب فإنها كانت نمامة كذابة، وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل من فِيها وتخرج من دبرها فإنها كانت منانة حسادة، ويا بنية الويل لامرأة تعصي زوجها»[(١)].

٢٢٥١- «يا علي لا تنم إلا أن تأتي بخمسة أشياء وهي قراءة القرآن كله والتصدق بأربعة آلاف درهم، زيارة الكعبة، حفظ مكانك بالجنة، إرضاء الخصوم»، قال علي: «وكيف ذلك يا رسول الله؟»، فقال ﷺ: «أما تعلم أنك إذا قرأت ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقد قرأت القرآن كله، وإذا قرأت الفاتحة أربع مرات فقد تصدقت بأربعة آلاف درهم، وإذا قلت: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات فقد زرت الكعبة، وإذا قلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عشر مرات حفظت مكانك في الجنة، وإذا قلت أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه عشر مرات فقد أرضيت الخصوم.

٢٢٥٢- يا عليّ، لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك.

٢٢٥٣- يا عليّ، مثل الذي لا يتم صلاته كمثل حبلى حملت، فلما دنا نفاسها أسقطت، فلا هي ذات ولد، ولا هي ذات حمل. ومثل المصلي كمثل التاجر لا يخلص له ربحه حتى يخلص له رأس ماله، كذلك المصلي لا تقبل نافلته حتى يؤدي الفريضة.

٢٢٥٤- «يَا عَلِيُّ مَنْ صَلَّى مِائَةَ رَكْعَةٍ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ...»، رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عَلِيُّ مَنْ صَلَّى مِائَةَ رَكْعَةٍ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكتاب و ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ

(١) راجع قصة المعراج الصحيحة التي أخرجها البخاري ومسلم وغيرهما.

أَحَـدٌ ﴾ عَشْرَ مَرَّات، يَا عَلِيُّ مَا مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَوَاتِ إِلا قَضَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ كُلَّ حَاجَةٍ طَلَبَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ». قِيلَ: «يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ كَانَ اللهُ تَعَالَى كَتَبَهُ شَـقِيًّا أَيَجْعَلُهُ سَـعِيدًا»، قَالَ: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ يَا عَلِيُّ إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ إِنَّ فُلانَ بْنَ فُلانٍ خُلِقَ شَـقِيًّا يَمْحُوهُ اللهُ وَيَجْعَلُهُ سَـعِيدًا، وَيَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَكْتُبُونَ لَهُ الْحَسَـنَاتِ وَيَمْحُونَ عَنْهُ السَّـيِّئَاتِ وَيَرْفَعُونَ لَهُ الدَّرَجَاتِ إِلَى رَأْسِ السَّـنَةِ، وَيَبْعَثُ اللهُ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ سَبْعِينَ أَلف ملَك أَو سَبْعمِائَة أَلْفِ مَلَكٍ، يَبْنُونَ لَهُ الْمَدَائِنَ وَالْقُصُورَ وَيَغْرِسُونَ لَهُ الأَشْجَارَ، مَا لَا عين رَأَتْ وَلَا أذن سَـمِعْتُ وَلَا خطرَ عَلَى قلب الْمَخْلُوقين مِثْـلُ هَذِهِ الْجِنَانِ، فِي كُلِّ جَنَّةٍ عَلَى مَا وَصَفْتُ لَكُمْ مِنَ الْمَدَائِنِ وَالْقُصُورِ وَالأَشْجَارِ. فَإِنْ مَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَحُولَ الْحَوْلُ مَاتَ شَـهِيدًا وَيُعْطِيهِ اللهُ تَعَالَى بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾ فِي لَيْلَتِهِ مِنْ ذَلِكَ سَـبْعِينَ أَلْفَ حَوْرَاءَ لِكُلِّ حَوْرَاءَ وَصِيفٌ ووصيفة، وَسَبْعُونَ أَلفا غلْمَان، وَسَـبْعُونَ أَلفا ولدان، وَسَـبْعُونَ أَلْفًا قَهارِمَةً [1]، وَسَبْعُونَ أَلْفًا حُجّاب. وَكُلُّ مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يُكْتَبُ لَهُ أَجْرُ سَـبْعِينَ شَـهِيدًا وَتُقْبَـلُ صَلاتُـهُ الَّتِي صَلاهَا قَبْلَ ذَلِـكَ وَتُقُبِّلَ مَا يُصَلِّي بَعْدَهَـا، وَإِنْ كَانَ وَالِدَاهُ فِي النَّارِ دَعَا لَهُمَا أَخْرَجَهُمَا اللهُ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يُشْـرِكَا بِاللهِ شَـيْئًا، وَيَدْخُلانِ الْجَنَّةَ، وَيَشْـفَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي سَـبْعِينَ أَلْفًا إِلَى آخِـرِ ثَلاثِ مَرَّاتٍ، وَالَّذِي بَعَثَنِـي بِالْحَقِّ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَـا حَتَّى يَرَى مَنْزِلَهُ فِي الْجَنَّةِ كَمَا خَلَقَهُ اللهُ أَوْ يُرَى لَهُ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُ فِي كُلِّ سَـاعَةٍ مِنْ سَـاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ - وَهِيَ أَربع وعشـرُون سَاعَةً - سَـبْعون أَلْفَ مَلَكٍ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَيُصَافِحُونَهُ وَيَدْعُونَ لَهُ إِلَى أَنْ يُنْفَخَ فِي الصُّورِ، وَيُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْكِرَامِ

(١) القهرمان: الوكيل الذي يتولى إدارة القصر والإشراف عليه، القهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه.

الْبَرَرَةِ، وَيَأْمُرُ الْكَاتِبَيْنِ أَنْ لَا تَكْتُبُوا عَلَى عَبْدِي سَيِّئَةً وَاكْتُبُوا لَهُ الْحَسَنَاتِ إِلَى أَنْ يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ، وَمَنْ صَلَّى هَذِهِ الصَّلاةَ وَهُوَ يُرِيدُ الصَّلاةَ وَالدَّارَ الآخِرَةَ يَجْعَل الله لَهُ نَصِيبًا مِنْ عِنْدِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ».

٢٢٥٥- «يَا عمُّ! قُل لاَ إِلهَ إلاَّ اللهُ»: لَمَّا أَتَى رَسولُ اللهِ ﷺ أبَا طَالِبٍ في مَرَضِهِ، قَالَ لَهُ: «يَا عمُّ! قُل لاَ إِلهَ إلاَّ اللهُ، كَلمةً أستَحِلُّ بِهَا لَكَ الشَّفاعَةَ»، قَالَ: «يَا ابنَ أخِي! وَاللهِ لَولاَ أَنْ تَكُونَ سُبَّةً عَلَيَّ وَعَلى أهلِي مِن بَعدِي، يَرونَ أنِّي قُلتُها جَزعًا مِنَ المَوتِ، لَقُلتُها، لاَ أَقُولُها إلاَّ لأسُرَّكَ بِها!! فَلَمَّا ثَقُلَ أَبُو طَالِبٍ رُؤِيَ يُحرِّكُ شَفَتيهِ فَأصغَى إليهِ العَباسُ فَسمِعَ قَولَهُ، فَرفَعَ رَأسَهُ عَنهُ فَقالَ: «قَد قَالَ وَاللهِ الكَلِمةَ التي سَألتَهُ عَنها»، فَقالَ النبيُ ﷺ: «لَمْ أسمَعْ»[1].

٢٢٥٦- يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يُظْهره الله أو أهلك فيه ما تركته»، رُوِيَ عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث: أن قريشا حين قالوا لأبي طالب: «يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا لا نصبر على هذا من شتم آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين»، بعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فقال له: «يا ابن أخي إن قومك قد جاؤني فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبْقِ عليَّ

---

(١) عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهِ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِى أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ: «**أَيْ عَمِّ قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِى أُمَيَّةَ: «أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: «عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَاللهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣]، وَأَنْزَلَ اللهُ فِى أَبِى طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ**﴾ [القصص: ٥٦]، [رواه البخاري].

وعلى نفسك، ولا تُحَمِّلْني من الأمر ما لا أطيق»، قال: فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء ومُسْلِمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يُظْهِره الله أو أهلك فيه ما تركته»، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب: «أقبل يا ابن أخي!»، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: «اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فواللهِ لا أسْلِمك لشيء أبدا»(١).

٢٢٥٧- «يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن اتباعه، اذهب به يا عمر! وأعطه حقه، وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما رُعْتَه»، رُوي عن عبد الله بن سلام قال: «إن الله لما أراد هدى زيد بن سعنة، قال زيد بن سعنة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه، يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه من جهله، قال زيد بن سعنة: فخرج رسول الله ﷺ يوما من الحجرات، ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأتاه رجل على راحلته كالبدوي فقال: «يا رسول الله! إن قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام، وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق غدا وقد أصابتهم سنة وشدة وقحوط من الغيث، فأنا أخشى يا

---

(١) عن عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا: «إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يُؤْذِينَا فِي نَادِينَا وَفِي مَسْجِدِنَا فَانْهَهُ عَنْ أَذَانَا»، فَقَالَ: «يَا عَقِيلُ ائْتِنِي بِمُحَمَّدٍ»، فَذَهَبْتُ فَأَتَيْتُهُ بِهِ. فَقَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ بَنِي عَمِّكَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَفِي مَسْجِدِهِمْ فَانْتَهِ عَنْ ذَلِكَ». فَحَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ**»؟ فَقَالُوا: «نَعَمْ»، قَالَ: «**مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَدَعَ لَكُمْ ذَلِكَ إِلا أَنْ تُشْعِلُوا لِي مِنْهَا شُعْلَةً**»، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: «مَا كَذَبَنَا ابْنُ أَخِي؛ فَارْجِعُوا». [رواه الطبراني وأبو يعلى، وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر، وحسّنه الألباني].

رسـول الله! أن يخرجوا من الإسلام طمعًا، كما دخلوا فيه طمعًا، فإن رأيت أن ترسـل إليهم بشـيء تعينهم به فعلْتُ، فنظر إلى رجل إلى جانبه أراه عليًّا ﵁ فقال: «يا رسول الله! ما بقي منه شيء»، قال زيد بن سعنة: «فدنوتُ إليه فقلت: «يـا محمد! هـل لك أن تبيعني تمـرًا معلوما من حائط بني فـلان إلى أجل كذا وكـذا؟»، فقال: «لا يا يهودي! ولكني أبيعك تمـرا معلوما إلى أجل كذا وكذا، ولا تسـمي حائط بني فلان»، قلت: «بلى، فبايعني»، فأعطيته ثمانين مثقالا من ذهـب في تمر معلـوم إلى أجل كذا وكـذا، فأعطاها الرجل فقـال: «اغْدُ عليهم فأعِنْهُـم بهـا»، فقال زيد بن سـعنة: «فلما كان قبل محل الأجـل بيومين أوثلاثة أتيتـه، فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليـه بوجه غليظ فقلت له: «ألا تقضينـي يا محمد حقي؟ فوالله ما علمتكم بنـي عبد المطلب لمُطْل (أي أناس مماطلون)، ولقد كان لي بمخالطتكم علم»، ونظرت إلى عمر وإذا عيناه تدوران في وجهه كالفلك المسـتدير، ثم رماني ببصره فقال: «يا عدوالله! أتقول لرسـول الله ﷺ ما أسـمع؟ وتصنع به ما أرى؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربتُ بسيفي رأسـك!»، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة ثم قال: «يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسـن الأداء، وتأمره بحسن اتباعه، اذهب به يا عمر! وأعطه حقه، وزده عشرين صاعا من تمر مكان مـا رُعْتَه»، قال زيد: فذهب بي عمر ﵁ فأعطاني حقي وزادني عشـرين صاعا مـن تمر، فقلـت: «ما هذه الزيادة يـا عمر؟»، فقال: «أمرني رسـول الله ﷺ أن أزيـدك مـكان ما رُعْتُـك»، قلت: «وتعرفني يـا عمر؟»، قـال: «لا، من أنت؟»، قلت: «أنا زيد بن سـعنة»، قال: «الحـبر؟»، قلت: «الحبر»، قال: «فما دعاك أن فعلت برسـول الله ﷺ ما فعلت وقلت له مـا قلت؟»، قلت: «يا عمر! لـم تكن مـن علامات النبوة شـيء إلا وقـد عرفته في وجه رسـول الله ﷺ حين نظرت

إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، فقد خبرتهما، فأشهدك يا عمر أني رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا، وأشهدك أن شطر مالي - وإني أكثرها مالا - صدقة على أمة محمد»، فقال عمر ﵁: «أوعلى بعضهم فإنك لا تسعهم». قلت: «أوعلى بعضهم»، فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ فقال زيد: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ»، وآمن به وصدقه وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة. ثم توفي زيد في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر، رحم الله زيدا».

٢٢٥٨- «يا عمر! ههنا تسكب العبرات»، روي عن نافع عن ابن عمر قال: استقبل رسول الله ﷺ الحِجْر، ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلا، ثم التفت، فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكي، فقال: «يا عمر! ههنا تسكب العبرات».

٢٢٥٩- «يَا عُمَرُ وَيَا سَلْمَانُ، انْطَلِقَا فَأْتِيَانِي بِثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ»، رُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ ﵄ قَالَ: «أَسْلَمَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: ثَعْلَبَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَكَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ وَيُخِفُّ لَهُ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَهُ لَهُ فِي حَاجَةٍ، فَمَرَّ بِبَابِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَرَأَى امْرَأَةَ الْأَنْصَارِيِّ تَغْتَسِلُ، وَخَافَ أَنْ يَنْزِلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا صَنَعَ، فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ، فَيَأْتِي جِبَالًا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَوَلَجَهَا، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَأَنَّ جِبْرِيلَ - صَلَوَاتُ اللهُ عَلَيْهِ - نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: «إِنَّ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِكَ بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ يَتَعَوَّذُ بِي». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا عُمَرُ وَيَا سَلْمَانُ، انْطَلِقَا فَأْتِيَانِي بِثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ»، فَخَرَجَا مِنْ أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ فَلَقِيَا رَاعِيًا مِنْ رُعَاةِ الْمَدِينَةِ، يُقَالُ لَهُ: ذُفَافَةُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ ﵁: «هَلْ لَكَ عِلْمٌ بِشَابٍّ بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ يُقَالُ لَهُ ثَعْلَبَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟». فَقَالَ:

«لَعَلَّكَ تُرِيدُ الْهَارِبَ مِنْ جَهَنَّمَ؟». فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «وَمَا عِلْمُكَ أَنَّهُ هَارِبٌ مِنْ جَهَنَّمَ؟». قَالَ: «لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَرَجَ عَلَيْنَا مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْجِبَالِ وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ، وَهُوَ يُنَادِي: «يَا لَيْتَكَ قَبَضْتَ رُوحِي فِي الْأَرْوَاحِ، وَجَسَدِي فِي الْأَجْسَادِ، وَلَمْ تُجَرِّدْنِي لِفَصْلِ الْقَضَاءِ»، فَقَالَ عُمَرُ: «إِيَّاهُ نُرِيدُ»، فَانْطَلَقَ بِهِمَا، فَلَمَّا كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْجِبَالِ وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ وَهُوَ يُنَادِي: «يَا لَيْتَكَ قَبَضْتَ رُوحِي فِي الْأَرْوَاحِ، وَجَسَدِي فِي الْأَجْسَادِ»، فَعَدَا عَلَيْهِ عُمَرُ فَاحْتَضَنَهُ، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ، هَلْ عَلِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَنْبِي؟» قَالَ: «لَا عِلْمَ لِي، إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَكَ بِالْأَمْسِ فَأَرْسَلَنِي وَسَلْمَانُ فِي طَلَبِكَ». قَالَ: «يَا عُمَرُ، لَا تُدْخِلْنِي عَلَيْهِ إِلَّا وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ»، فَابْتَدَرَ عُمَرُ وَسَلْمَانُ الصَّفَّ، فَلَمَّا سَمِعَ ثَعْلَبَةُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «يَا عُمَرُ، يَا سَلْمَانُ، مَا فَعَلَ ثَعْلَبَةُ؟»، قَالَا: «هَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَرَّكَهُ فَأَنْبَهَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا غَيَّبَكَ عَنِّي؟». قَالَ: «ذَنْبِي يَا رَسُولَ اللهِ»، قَالَ: «أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى آيَةٍ لِمَحْوِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا؟»، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ ﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١]، فَقَالَ: «ذَنْبِي أَعْظَمُ، يَا رَسُولَ اللهِ»، قَالَ: «بَلْ كَلَامُ اللهِ أَعْظَمُ»، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالِانْصِرَافِ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَمَرِضَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ إِنَّ سَلْمَانَ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «هَلْ لَكَ فِي ثَعْلَبَةَ؛ نَأْتِه لِمَا بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُومُوا بِنَا إِلَيْهِ»، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ رَأْسَهُ فَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ، فَأَزَالَ رَأْسَهُ عَنْ حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «لِمَ أَزَلْتَ رَأْسَكَ عَنْ حِجْرِي؟»، قَالَ: «لِأَنَّهُ مَلْآنُ مِنَ الذُّنُوبِ»، قَالَ: «مَا تَشْتَكِي؟»، قَالَ: «مِثْلَ دَبِيبِ النَّمْلِ بَيْنَ عَظْمِي وَلَحْمِي وَجِلْدِي». قَالَ: «فَمَا تَشْتَهِي؟». قَالَ: «مَغْفِرَةَ رَبِّي». فَنَزَلَ جِبْرِيلُ

-عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يُقْرِئكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: «لَوْ أَنَّ عَبْدِيَ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَقِيتُهُ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[1]. فَأَعْلَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ، فَصَاحَ صَيْحَةً فَمَاتَ قَالَ: فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِغُسْلِهِ، وَكَفَّنَهُ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَيْهِ جَعَلَ يَمْشِي عَلَى أَطْرَافِ أَنَامِلِهِ، فَلَمَّا دَفَنَهُ، قِيلَ لَهُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْنَاكَ تَمْشِي عَلَى أَطْرَافِ أَنَامِلِكَ». قَالَ: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، مَا قَدَرْتُ أَنْ أَضَعَ قَدَمَيَّ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ نَزَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِتَشْيِيعِهِ».

٢٢٦٠- يا غلام! قل: لا إله إلا الله»، رُوِيَ عن عبد الله بن أبي أوفى قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله! إن هاهنا غلامًا قد احتضر؛ يقال له: قل: «لا إله إلا الله»، فلا يستطيع أن يقولها، قال: «أليس قد كان يقولها في حياته؟»، قالوا: «بلى»، قال: «فما منعه منها عند موته؟». قال: فنهض رسول الله ﷺ ونهضنا معه حتى أتى الغلام فقال: «يا غلام! قل: لا إله إلا الله»، قال: «لا أستطيع أن أقولها»، قال: «ولِمَ؟»قال: «لعقوق والدتي»، قال: «أحية هي؟»قال: «نعم»، قال: «أرسلوا إليها»، فأرسلوا إليها؛ فجاءت، فقال لها ﷺ: «ابنك هو؟»، قالت: «نعم». قال: «أرأيت لو أن نارًا أُجِّجَتْ؛ فقيل لك: إن لم تشفعي له قذفناه في هذه النار!؟»، قالت: «إذن كنت أشفع له»، قال: «فأشهدي الله،

---

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِى. يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِى، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِى بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِى لاَ تُشْرِكُ بِى شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**». [رواه الترمذي، وحسّنه الألباني].

(إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي) أَيْ مَا دُمْت تَدْعُونِي وَتَرْجُونِي يَعْنِي فِي مُدَّةِ دُعَائِك وَرَجَائِك. (غَفَرْت لَك عَلَى مَا كَانَ فِيك) أَيْ مِنْ الْمَعَاصِي وَإِنْ تَكَرَّرَتْ وَكَثُرَتْ. (وَلَا أُبَالِي) أَيْ وَالْحَالُ أَنِّي لَا أَتَعَظَّمُ مَغْفِرَتَك عَلَيَّ وَإِنْ كَانَ ذَنْبًا كَبِيرًا أَوْ كَثِيرًا. وَفِي قَوْلِهِ تعالى: (وَلَا أُبَالِي) مَعْنَى لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ. (عَنَانَ السَّمَاءِ) أَيْ سَحَابَهَا، وَقِيلَ مَا عَلَا مِنْهَا، أَيْ ظَهَرَ لَك مِنْهَا إِذَا رَفَعْت رَأْسك إِلَى السَّمَاءِ. (بِقُرَابِ الْأَرْضِ) بِضَمِّ الْقَافِ وَيُكْسَرُ: أَيْ بِمَا يُقَارِبُ مِلْأَهَا. (لَأَتَيْتُك بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً): بشرط أَنْ يَكُونَ مَوْتُهُ عَلَى التَّوْحِيدِ.

وأشهدينا معك بأنك قد رضيت»، قالت: «قد رضيت عن ابني»، قال: «يا غلام! قل: لا إله إلا الله»، فقال: «لا إله إلا الله»، فقال ﷺ: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

٢٢٦١- يا فاطمة قومي إلى أضحيتك فاشهديها فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها كل ذنب عملتيه وقولي: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]، قال عمران بن حصين قلت يا رسول الله: «هذا لك ولأهل بيتك خاصة وأهل ذاك أنتم أم للمسلمين عامة؟»، قال: «لا، بل للمسلمين عامة».

٢٢٦٢- «يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هَا هُنَا مُنْذُ ثَلاثٍ أَنْتَظِرُكَ»، رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِى الْحَمْسَاءِ قَالَ بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِبَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِى مَكَانِهِ فَنَسِيتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلاثٍ فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِى مَكَانِهِ فَقَالَ: «يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هَا هُنَا مُنْذُ ثَلاثٍ أَنْتَظِرُكَ».

٢٢٦٣- «يا كريم»، رُوي أنه بينما النبي ﷺ في الطواف إذا سمع أعرابيًّا يقول: «يا كريم»، فقال النبي خلفه: «يا كريم»، فمضى الأعرابي إلى جهة الميزاب، وقال: «يا كريم»، فقال النبي خلفه: «يا كريم»، فالتفت الأعرابي إلى النبي ﷺ وقال: «يا صبيح الوجه، يارشيق القد أتهزأ بي لكوني اعرابيًا؟، والله لولا صباحة وجهك ورشاقة قدك لشكوتك الى حبيبي محمد ﷺ»، فتبسم النبي ﷺ وقال: «أما تعرف نبيك يا أخا العرب؟»، قال الأعرابي: «لا»، قال النبي ﷺ: «فما إيمانك به»، قال: «آمنتُ بنبوته ولم أره وصدقت برسالته ولم ألقَه»، قال النبي ﷺ: «يا أعرابي، اعلم أني نبيك في الدنيا، وشفيعك في الآخرة»، فأقبل الأعرابي يقبل يد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «مهلا يا أخا العرب، لا تفعل بي كما تفعل الأعاجم بملوكها؛ فإن الله سبحانه وتعالى

بعثني لا متكبراً ولا متجبراً، بل بعثني بالحق بشيرًا ونذيرًا، فهبط جبريل على النبي ﷺ، وقال له: «يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام، ويقول لك: قل للأعرابي: «لا يغرنه حلمنا ولا كرمنا،فغدًا نحاسبه على القليل والكثير والفتيل والقطمير»، فقال الأعرابي: «أوَيحاسبني ربي يا رسول الله؟»، قال: «نعم يحاسبك إن شاء»، فقال الأعرابي: «وعزته وجلاله، إن حاسبني لأحاسبنه»[1]، فقال النبي ﷺ: «وعلى ماذا تحاسب ربك يا أخا العرب؟»، قال الأعرابي: «إن حاسبني ربي على ذنبي حاسبْتُه على مغفرته، وإن حاسبني على معصيتي حاسبْتُه على عفوه، وإن حاسبني على بُخلي حاسبْتُه على كرمه»، فبكى النبي ﷺ حتى ابتلت لحيته، فهبط جبريل على النبي ﷺ، وقال: «يا محمد، السلام يقرئك السلام، ويقول لك: «يا محمد قلل من بكائك فقد ألهيْتَ حملة العرش عن تسبيحهم، وقل لأخيك الأعرابي: «لا يحاسبنا ولا نحاسبه، فإنه رفيقك في الجنة».

---

(١) العبد لايخاطِب ربه بهذا الخطاب المنافي للأدب، وما كان النبي ﷺ ليُقِّر من يقول عن ربه: «لئن حاسبني ربي لأحاسبنه»؛ ذلك أن العبد لايحاسب ربه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ولهذا فحتى الرسل عليهم السلام يوم القيامة يقولون تأدبا مع الله ﷻ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١٠٩].
والعبد يسأل ربه عفوه وكرمه، ولا يحاسبه على شيء، ومع ذلك فلا يدخل أحدٌ الجنة إلا برحمة الله، لايدخل أحدٌ بعمله، كما صح في الحديث، فالعبد في حال التقصير دائمًا بمقتضى عبوديته، والرب هو المتفضل الرحمن الرحيم بكمال صفاته، ولهذا ورد في حديث سيد الاستغفار أن يقول العبد: «**أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**» [رواه البخاري ومسلم].
(أَبُوءُ): أي أقرّ وأعترف بنعمك العظيمة التي قابلتها بالتقصير والذنب.
والصحيح أن يقول العبد: «إن حاسبني ربي على ذنوبي، رجوتُ رحمته وسألته مغفرته، فإني العبد الخطّاء وهو الرب الرحيم العفو الغفور. وإن حاسبني على بخلي، سألته أن يمن علي بكرمه وتجاوزه، فإني مقر بذنبي وهو الجواد الكريم المنان، فمن أرجو إن لم أرجوه، ومن ذا يغفر الذنوب سواه، ومن أكرم الكرماء غيره سبحانه»، أو نحو هذا من القول الذي فيه الإقرار بالعبودية والذنب، في مقام السؤال والتوسل والتذلل لله تعالى الخالي من خطاب التحدي المنافي للأدب.

٢٢٦٤- يا مسلم، اضمن لي ثلاثا أضمن لك الجنة: إن أنت عملت بما افترض الله عليك؛ فأنت أعبد الناس، وإن قنعت بما رزقك؛ فأنت أغنى الناس، وإن أنت اجتنبت ما حرم الله عليك؛ فأنت أورع الناس[١].

٢٢٦٥- يا معاذ، إني مرسلك إلى قوم أهل كتاب فإذا سئلت عن المجرة التي في السماء فقل هي لعاب حية تحت العرش.

٢٢٦٦- يأتي على الناس زمان هم فيه ذئاب، فمن لم يكن ذئبا أكلته الذئاب.

٢٢٦٧- «يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا مهاجرا، فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي، ولا يبلغ الميت»، رُوي عن عبد الله بن الزبير قال: لما كان يوم فتح مكة، هرب عكرمة بن أبي جهل، وكانت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عاقلة، أسلمت، ثم سألَتْ رسول الله ﷺ الأمان لزوجها، فأمرها برده، فخرجت في طلبه، وقالت له: «جئتك من عند أوْصَلِ الناس، وأبَرِّ الناس، وخيرِ الناس، وقد استأمنتُ لك، فأمَّنَك»، فرجع معها، فلما دنا من مكة، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا مهاجرا، فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي، ولا يبلغ الميت»، فلما بلغ باب رسول الله ﷺ استبشر ووثب له رسول الله ﷺ قائما على رجليه، فرحا بقدومه».

٢٢٦٩- يؤجر المرء على رغم أنفه[٢].

---

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ**»، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَقُلْتُ «أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ»، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا، وَقَالَ: «**اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلاَ تُكْثِرْ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ**» (رواه البخاري). الْمُرَادُ بِكَوْنِ السَّلاَسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ مُقَيَّدٌ بِحَالَةِ الدُّنْيَا فَلاَ مَانِعَ مِنْ حَمْلِهِ عَلَى حَقِيقَتِهِ وَالتَّقْدِيرُ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَكَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا فِي السَّلاَسِلِ. =

٢٢٧٠- «يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف أمة»، رُوِيَ عن حذيفة بن اليمان قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج؟ قال: «يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا يموت الرجل حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه، كل واحد قد حمل السلاح»، قلت: «يا رسول الله، صِفْهم لنا؟»، قال: «هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز»، قلت: «وما الأرز؟»، قال: «شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء»، فقال رسول الله ﷺ: «هؤلاء الذين لا يقوم لهم حيل ولا حديد، وصنف منهم يفترش بأذنه، ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام، وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق، وبحيرة طبرية».

٢٢٧١- يبعث الله ناقة صالح فيشرب من لبنها هو ومن آمن به من قومه، ولي حوض كما بين عدن إلى عمان، أكوابه عدد نجوم السماء[1]، فيستسقي

= وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قَالَ: «خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاَسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ» (رواه البخاري). (تَأْتُونَ بِهِمْ) أي أسرى مقيدين. (حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ) يكون أَسْرُكم لهم سبب إسلامهم وتحصيل سعادة الدنيا والآخرة لهم.

قَالَ ابن الْجَوْزِيِّ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ أُسِرُوا وَقُيِّدُوا فَلَمَّا عَرَفُوا صِحَّةَ الْإِسْلَام دَخَلُوا طَوْعًا فَدَخَلُوا الْجَنَّةَ فَكَانَ الْإِكْرَاهُ عَلَى الْأَسْرِ وَالتَّقْيِيدِ هُوَ السَّبَبُ الْأَوَّلُ، وَكَأَنَّهُ أَطْلَقَ عَلَى الْإِكْرَاهِ التَّسَلْسُلَ، وَلَمَّا كَانَ هُوَ السَّبَبُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ أَقَامَ الْمُسَبَّبَ مَقَامَ السَّبَبِ.

وعن أَبِي الطُّفَيْلِ قال: ضحك رسول الله ﷺ حتى استغرق ضحِكًا ثم قال: «**أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ ضَحِكْتُ؟**» قُلْنَا: «يَا رَسُولَ اللهِ مِمَّ ضَحِكْتَ؟» قال: «**رَأَيْتُ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلَاسِلِ مَا أَكْرَهَهَا إليهم!**»، قلنا: «مَنْ هُمْ؟»، قَالَ: «**قَوْمٌ مِنَ الْعَجَمِ يَسْبِيهُمُ الْمُهَاجِرُونَ فَيُدْخِلُونَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ**» [رواه أبو نعيم في (أخبار أصبهان)، وحَسَّنَه الألباني].

(١) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟»، قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**» [رواه مسلم].

و قَالَ أَنَسٌ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**تُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ**» [رواه مسلم].

الأنبياء، ويبعث الله صالحا على ناقته، قال معاذ بن جبل: «يا رسول الله وأنت على العضباء؟»، قال: «أنا على البراق، يخصني الله به من الأنبياء، وفاطمة ابنتي على العضباء، ويؤتى بلال على ناقة من نوق الجنة فيركبها، وينادي بالأذان فيصدقه من سمعه من المؤمنين حتى يوافي المحشر، ويوتى بلال بحلتين من حلل الجنة فيكساهما، فأول من يكسى من المسلمين بلال، وصالح المؤمنين بعدُ.

٢٢٧٢- يُثَاب المرء رغمًا عن أنفه[1].

٢٢٧٣- «يُجْلِسُنِي على العرش»، رُوِيَ عن عبد الله بن مسعود رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أنه قال: «بَيْنَا أنا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أقرأ عليه حتى بلغت: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩]، قال: يُجْلِسُنِي على العرش».

٢٢٧٤- يجيء بلال يوم القيامة على راحلة رحلها ذهب وزمامها در وياقوت، يتبعه المؤذنون حتى يدخلهم الجنة، حتى إنه ليدخل من أذن أربعين يوما يطلب بذلك وجه الله.

٢٢٧٥- يحشر العلماء في زمرة الأنبياء، ويحشر القضاة في زمرة السلاطين.

٢٢٧٦- يحشر المؤذنون يوم القيامة على نوق من نوق الجنة يقدمهم بلال، رافعي أصواتهم بالأذان ينظر إليهم الجمع، فيقال: «مَن هؤلاء؟»، فيقال: «مؤذنو أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون».

٢٢٧٧- «يخرج المؤمن ذنبه فى أول ليلة كيوم ولدته أمه»، روي عن علي بن أبي طالب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أنه قال: سُئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن فضائل التراويح فى شهر رمضان فقال: «يخرج المؤمن ذنبه فى أول ليلة كيوم ولدته أمه، وفى الليلة الثانية

(١) انظر هامش حديث: «يُؤجر المرء على رغم أنفه».

يغفر له ولأبويه إن كانا مؤمنين، وفى الليلة الثالثة ينادى ملك من تحت العرش: استأنف العمل غفر الله ماتقدم من ذنبك، وفى الليلة الرابعة له من الأجر مثل قراءة التوراه والإنجيل والزبور والفرقان، وفى الليلة الخامسة أعطاه الله تعالى مثل من صلى في المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الاقصى، وفى الليلة السادسة أعطاه الله تعالى ثواب من طاف بالبيت المعمور ويستغفر له كل حجر ومدر، وفى الليلة السابعة فكأنما أدرك موسى عليه السلام ونصره على فرعون وهامان، وفى الليلة الثامنة أعطاه الله تعالى ما أعطى ابراهيم عليه السلام، وفى الليلة التاسعة فكأنما عبد الله تعالى عبادة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وفى الليلة العاشرة يرزقة الله تعالى خير الدنيا والآخرة، وفى الليلة الحادية عشر يخرج من الدنيا كيوم ولد من بطن أمه، وفى الليلة الثانية عشر جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، وفى الليلة الثالثة عشر جاء يوم القيامة آمنا من كل سوء، وفى الليلة الرابعة عشر جاءت الملائكة يشهدون له أنه قد صلى التراويح فلا يحاسبه الله يوم القيامة، وفى الليلة الخامسة عشر تصلى عليه الملائكة وحملة العرش والكرسى، وفى الليلة السادسة عشر كتب الله له براءة النجاة من النار وبراءة الدخول فى الجنة، وفى الليلة السابعة عشر يعطى مثل ثواب الأنبياء، وفى الليلة الثامنة عشر نادى الملك ياعبد الله أن رضى عنك وعن والديك، وفى الليلة التاسعة عشر يرفع الله درجاته فى الفردوس، وفى الليلة العشرين يعطى ثواب الشهداء والصالحين، وفى الليلة الحادية والعشرين بنى الله له بيتا فى الجنة من النور، وفى الليلة الثانية والعشرين جاء يوم القيامة آمنا من كل غم وهم، وفى الليلة الثالثة والعشرين بنى الله له مدينة فى الجنة، وفى الليلة الرابعة والعشرين كان له أربعة وعشرون دعوة مستجابة، وفى الليلة الخامسة والعشرين يرفع الله تعالى عنه عذاب القبر، وفى الليلة السادسة والعشرين يرفع الله له ثوابه أربعين عاما، وفى الليلة السابعة

والعشـرين جاز يوم القيامـة على الصراط كالبرق الخاطـف، وفى الليلة الثامنة والعشرين يرفع الله له ألف درجة فى الجنة، وفى الليلة التاسعة والعشرين أعطاه الله ثـواب ألف حجة مقبولة، وفى الليلة الثلاثين يقول الله: ياعبدى كل من ثمار الجنة واغتسل من مياه السلسبيل واشرب من الكوثر أنا ربك وأنت عبدى».

٢٢٧٨- يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسـون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله: «أبِـي يغترون أم عليَّ يجترئون؟! فبِي حلفتُ لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم منهم حيران».

٢٢٧٩- يَدٌ لا تقدر على قَطْعِها فقَبّلْها.

٢٢٨٠- يَدُ عدوك إذا لم تقدر على قطعها قبِّلْها[1].

٢٢٨١- يُدْعَى الناس يوم القيامة بأمهاتهم ستراً من الله عز وجل عليهم.

٢٢٨٢- «يَرْحَمُ اللهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِـي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ»، رُوِيَ عَـنْ عَبْـدِ اللهِ بْـنِ مَسْـعُودٍ ﵁ قَالَ: لَمَّا سَـارَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ إِلَى تَبُوكَ جَعَـلَ لَا يَـزَالُ يَتَخَلَّفُ الرَّجُلُ فَيَقُولُونَ: «يَا رَسُـولَ اللهِ، تَخَلَّفَ فُلَانٌ»، فَيَقُولُ: «دَعُـوهُ، إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَـيُلْحِقُهُ اللهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْـرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللهُ مِنْهُ»، حَتَّى قِيلَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍّ، وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعُوهُ، إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللهُ مِنْـهُ»، فَتَلَـوَّمَ أَبُو ذَرٍّ ﵁ عَلَـى بَعِيرِهِ فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَبْطَـأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ فَجَعَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَاشِيًا، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي

(١) حديث: «إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَام، وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ» لا أصل له مرفوعًا إلى النبي ﷺ، والغالب أنه ثابت موقوفًا، وإنما ذكره البخاري معلقًا موقوفًا فقال: ويذكر عن أبي الدرداء: إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَام، وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ». وَالْكَشْـرُ: ظُهُورُ الْأَسْـنَانِ وَأَكْثَرُ مَا يُطْلَقُ عِنْدَ الضَّحِكِ. [انظر: السلسـلة الضعيفة (١/ ٣٨٤)].

بَعْضِ مَنَازِلِهِ، وَنَظَرَ نَاظِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا ذَرٍّ»، فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ، قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ وَاللهِ أَبُو ذَرٍّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَرْحَمُ اللهُ أَبَا ذَرٍّ؛ يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ»، فَضَرَبَ الدَّهْرُ مِنْ ضَرْبَتِهِ، وَسُيِّرَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى امْرَأَتَهُ وَغُلَامَهُ: «إِذَا مُتُّ فَاغْسِلَانِي وَكَفِّنَانِي، ثُمَّ احْمَلَانِي فَضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَأَوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّونَ بِكُمْ فَقُولُوا: «هَذَا أَبُو ذَرٍّ»، فَلَمَّا مَاتَ فَعَلُوا بِهِ كَذَلِكَ فَاطَّلَعَ رَكْبٌ، فَمَا عَلِمُوا بِهِ حَتَّى كَادَتْ رَكَائِبُهُمْ تَطَأُ سَرِيرَهُ، فَإِذَا ابْنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقَالُوا: «مَا هَذَا؟»، فَقِيلَ: «جِنَازَةُ أَبِي ذَرٍّ»، فَاسْتَهَلَّ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَبْكِي، فَقَالَ: «صَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَرْحَمُ اللهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ»، فَنَزَلَ فَوَلِيَهُ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَجَنَّهُ، فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ذُكِرَ لِعُثْمَانَ قَوْلُ عَبْدِ اللهِ وَمَا وَلِيَ مِنْهُ.

٢٢٨٣- يس لما قُرِئَتْ له.

٢٢٨٤- يَشفعُ يومَ القِيامَةِ ثَلاثَةٌ: الأنبياءُ، ثُمَّ العُلماءُ، ثُمَّ الشُهداءُ.

٢٢٨٥- يُصَفُّ الناس يوم القيامة صفوفا فيمر الرجل من أهل النار على الرجل من أهل الجنة فيقول: «يا فلان! أمَا تذكر يوم استسقيت فسقيتك شربة؟»، فيشفع له ويمر الرجل على الرجل فيقول: «أمَا تذْكُر يوم ناولتك طهورا؟»، فيشفع له ويقول: «يا فلان! أمَا تذكر يوم بعثتني في حاجة كذا وكذا فذهبت لك؟»، فيشفع له.

٢٢٨٦- «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ مِن هذا الفجّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، رُوِيَ عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ مِن هذا الفجّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَاطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصار تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ

مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فسلَّم، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: «إِنِّي لَاحَيْتُ[١] أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ»، قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ أَنَسٌ: «وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ»، قَالَ عَبْدُ اللهِ: «غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: «يَا عَبْدَ اللهِ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ، وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟»، فَقَالَ: «مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ». فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: «مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ»، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ»[٢].

---

(١) لَاحَيْتُ: خاصمتُ.

(٢) هـذا الحديثُ ضعيفٌ - وإن كان ظاهر إسناده الصحة - فإنه معلول؛ لأن فيه انقطاعًا بين الزهري وأنس ابن مالك رضي الله عنه، وممن أشار إلى هذه العلة الحافظ المزي في تحفة الأشراف (١/ ٣٩٥)، وابن كثير في تفسيره (٨/ ٩٦) والحافظ ابن حجر في النكت الظراف. وكان الألباني قد صححه في الضعيفة (١/ ٢٦). ثم تراجع عن ذلك وضعفه في ضعيف الترغيب (١٧٢٨). وقال: «وجرينا على ذلك برهة من الزمن، حتى تبينت العلة» (انظر: حديث: يطلع عليكم الآن رجل... في ميزان النقد لعبد الله زقيل).

فالحديث ضعيف ويخالف دأب الصحابة رضي الله عنهم، فإن في القصة أنّ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال للرجل (إني لاحيت أبي) أي تخاصمت معه، وهذا كذب يُنَزَّه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن الوقوع فيه، إذ كان =

٢٢٨٧- يُعاد الوضوء من الرعاف السائل.

٢٢٨٨- يقول الرب تبارك وتعالى: مَن شـغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السـائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.

٢٢٨٩- يقـول الله تبـارك وتعالى: «يا دنيا مُرِّي علـى أوليائي وأحبائي، لا تحلولي لهم فتفتنيهم، وأكرمي مَن خدمني، وأتعبي مَن خدمك».

٢٢٩٠- يقـول الله تعالى: «أُحـب ثلاثًا، وحبي لثلاثٍ أشـد، أحب الغني الكريـم وحبـي للفقير الكريم أشـد، وأحـب الفقيـر المتواضع وحبـي للغني المتواضـع أشـد، وأحب الشـيخ الطائع وحبي للشـاب الطائع أشـد، وأبغض ثلاثًا وبغضي لثلاث أشـد: أبغض الغني المتكبر وبغضي للفقير المتكبر أشـد، وأبغـض الفقير البخيل وبغضي للغني البخيل أشـد، وأبغض الشـاب العاصي وبغضي للشيخ العاصي أشد».

٢٢٩١- يقـول الله تعالـى: «أُحـب ثلاثـة، وحبـي لثلاثـةٍ أشـد، وأُبغض ثلاثة، وبغضي لثلاثةٍ أشـد، أُحب الطائعين، وحبي للشاب الطائع أشد وأحب المتواضعيـن، وحبي للغنـي المتواضع أشـد، وأحب الكرمـاء، وحبي للفقير الكريم أشد، وأبغض البخلاء، وبغضي للغني البخيل أشد وأُبغض المتكبرين، وبغضـي للفقير المتكبر أشـد، وأبغـض الزنـاة، وبغضي للشـيخ الكبير الزاني أشد».

٢٢٩٢- يقول الله تعالى: «المال مالي، والفقراء عيالي، والأغنياء وكلائي، فإذا بخل وكلائي بمالي على عيالي، نالهم البلاء والغضب مني ولا أبالي».

= يكفيه أن يسـأل رسـول الله ﷺ بدلًا من أن يكذب على الرجل، فينبغي عدم رواية هذه القصة حتى لا نُسيء إلى الصحابة رضي الله عنهم دون أن نشعر.

٢٢٩٣- يقول الله تعالى: «إني لأجدني أستحيي من عبدي يرفع يديه ويقول: «يا رب، يـا رب»، فأردهما، فتقول الملائكة: «إنه ليس أهلا لتغفر له»، فأقول: «ولكني أهل التقوى وأهل المغفرة، أشهِدُكم أني قد غفرت لعبدي».

٢٢٩٤- يقـول الله تعالى: «يـا ابن آدم! ما تنصفني، أتحبـب إليك بالنعم، وتتمقت إلي بالمعاصي، خيري إليك منزل، وشرك إلي صاعد، ولا يزال ملك كريـم يأتيني عند كل يوم وليلة بعمل قبيح! يا ابن آدم! لو سـمعت وصفك من غيـرك وأنـت لا تعلم من الموصوف؛ لسـارعتَ إلى مقته! ترتكـب الكبائر ثم تتـوب إليَّ فأقبلك إذا خلصت نيتك، وأصفح عما مضى من ذنوبك، وأدخلك جنتي وأجعلك في جواري، سوءة لإقامتك على قبيح فعالك».

٢٢٩٥- يقـول الله عز وجل: «ما غضبـت على أحد كغضبى على عبد أتى معصية فتعاظمت عليه فى جنب عفوى».

٢٢٩٦- يقـول الله عـز وجل: «يـا ابن آدم لا تخافن من ذي سـلطان مادام سلطاني باقيا وسلطاني لا ينفد أبدا، يا ابن آدم! لا تخش من ضيق الرزق فخزائني مملـوءة وخزائني لا تنفد أبدًا، يا ابن آدم! لا تطلب غيري وأنا لك، فإن طلبتني وجدتنـي وإن فُتَّنـي فُتُّك، وإن فُتُّكَ فقد فاتك الخير كله، يا ابن آدم! إن رضيت بما قسمتُه لك أرحتَ قلبك وبدنك وصرتَ عندي محمودًا، وإن لـم ترض بما قسمتُه لك، فوعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البرية، ثم لا يصيبك إلا ما قسمته لك، وصِرْتَ عندي مذمومًا، يا ابن آدم! أنا لا أنسـى مَن عصاني فكيف أنسـى من أتى إلي تائبًا؟ فوعزتي وجلالي لو أتيتني نهـارًا قبلتك، ولو أتيتني ليلًا قبلتك، ولو تقربتَ مني شـبرًا تقربتُ منك ذراعًا، ولـو تقربت منـي ذراعًا تقربت منك باعًا، ولو أتيتني تمشـي أتيتك مهرولًا [1]،

---

(١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ، قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ العَبْدُ إِلَيَّ شِـبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» (رواه البخاري ومسلم).

فمن أعظم مني جودًا وأنا الجواد الكريم، يا ابن آدم أنا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا».

٢٢٩٧- يُلقَى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب فيدفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون: ادعوا خزنة جهنم فيقولون: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر:٥٠]، فيقولون: ادعوا مالكا فيقولون: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧]، فيجيبهم: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ فيقولون: «ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم، فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون] فيجيبهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨] فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل.

٢٢٩٨-يمكث رجل في النار فينادي ألف عام: «يا حنان يا منان!»، فيقول الله تبارك وتعالى: «يا جبريل! أخرج عبدي فإنه بمكان كذا وكذا»، فيأتي جبريل النار، إذا أهل النار منكبين على مناخرهم، فيقول: «يا جبريل! اذهب فإنه في مكان كذا وكذا»، فيُخْرِجُه، فإذا وقف بين يدي الله تبارك وتعالى، يقول الله تبارك وتعالى: «أيْ عبدي كيف رأيت مكانك؟»، قال: «شر مكان، وشر مقيل»، فيقول الرب سبحانه وتعالى: «ردوا عبدي»، فيقول: «يا رب ما كان هذا رجائي»، فيقول الرب : «أدخلوا عبدي الجنة».

٢٢٩٩- يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء.

٢٣٠٠- يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة.

٢٣٠١- يوم الثلاثاء يوم الدم، فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم.

٢٣٠٢- يوم صومكم يوم نحركم.

٢٣٠٣- يوم صومكم، يوم نحركم، يوم سنتكم الجديدة.

٢٣٠٤- يوم عرفة إن وافق الجمعة فهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة.

٢٣٠٥- يومٌ من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة.

٢٣٠٦- يومئذ تحدث أخبارها أتدرون ما أخبارها؟ فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول: «عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا فهذه أخبارها».



باب كان، وهي الشمائل الشريفة

٢٣٠٧- كان آخر ما تكلم به: «جلال ربي الرفيع، فقد بلغت»، ثم قضي.

٢٣٠٨- كان أحب التمر إليه: العجوة.

٢٣٠٩- كان أحب الشراب إليه: العسل.

٢٣١٠- كان أحب الشراب إليه: اللبن.

٢٣١١- كان أحب الصبغ إليه: الصفرة.

٢٣١٢- كان أحب الطعام إليه: الثريد من الخبز والثريد من الحيس.

٢٣١٣- كان أحب الفاكهة إليه: الرطب والبطيخ.

٢٣١٤- - كان إذا أتاه رجل فرأى في وجهه بشرا أخذ بيده.

٢٣١٥- كان إذا أتي بالسبي أعطى أهل البيت جميعا كراهية أن يفرق بينهم.

٢٣١٦- كان إذا أتي بلبن قال: بركة.

٢٣١٧- كان إذا اجتهد في اليمين قال: لا والذي نفس أبي القاسم بيده.

٢٣١٨- كان إذا أحس من الناس بغفلة من الموت جاء بعضادتي الباب، ثم هتف ثلاثا: يا أيها الناس! يا أهل الإسلام! أتتكم الموتة راتبة لازمة، جاء الموت بما جاء به، جاء بالروح والراحة، والكرة المباركة لأولياء الرحمن، من أهل دار الخلود الذين كان سعيهم ورغبتم فيها لها، ألا إن لكل ساع غاية، وغاية كل ساع الموت، سابق ومسبوق.

٢٣١٩- كان إذا أخذ من شعره أو قلم أظفاره، أو احتجم بعث به إلى البقيع فدفن.

٢٣٢٠- كان إذا ادَّهَـن صب في راحته اليسـرى فيبـدأ بحاجبيه ثم عينيه ثم رأسه.

٢٣٢١- كان إذا أراد أمرا قال: اللهم خر لي و اختر لي.

٢٣٢٢- كان إذا أراد أن يبول فأتى عزازا من الأرض أخذ عودا فنكت به في الأرض حتى يثير من التراب ثم يبول فيه.

٢٣٢٣- كان إذا أراد أن يتحف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم.

٢٣٢٤- كان إذا أراد أن يـزوج امـرأة من نسـائه يأتيها مـن وراء الحجاب فيقول لها: «يا بُنَيَّة إن فلانا قد خطبك فإن كرهتيه فقولي: لا فإنه لا يستحي أحد أن يقول لا و إن أحببت فإن سكوتك إقرار».

٢٣٢٥- كان إذا أراد سـفرًا قـال: «اللهـم بك أصول، وبـك أحول، وبك أسير».

٢٣٢٦- كان إذا استجد ثوبًا لبسه يوم الجمعة.

٢٣٢٧- كان إذا استلم الركن قَبَّلَه، ووضع خده الأيمن عليه.

٢٣٢٨- كان إذا أشـفق مـن الحاجة ينسـاها ربط في خنصـره أو في خاتمه الخيط.

٢٣٢٩- كان إذا أصابـه رمـد أو أحـدا من أصحابه دعا بهـؤلاء الكلمات: «اللهـم متعنـي ببصري، واجعله الوارث منـي، وأرني في العدو ثأري، وانصرني على من ظلمني».

٢٣٣٠- كان إذا أصابه غم أو كرب يقول: «حسبي الرب من العباد، حسبي الخالق من المخلوقين، حسبي الرازق من المرزوقين، حسبي الذي هو حسبي، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم».

٢٣٣١- كان إذا أصبح قال: «أصبحنا وأصبح الملك لله عز وجل، والحمد لله، والكبرياء والعظمة لله، والخلق والأمر، والليل والنهار، وما سكن فيهما لله عز وجل، اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحًا، وأوسطه نجاحًا، وآخره فلاحًا، يا أرحم الراحمين».

٢٣٣٢- كان إذا أصبح وإذا أمسى يدعو بهذه الدعوات: «اللهم إني أسألك من فجاءة الخير وأعوذ بك من فجاءة الشر، فإن العبد لا يدري ما يفجؤه إذا أصبح وإذا أمسى».

٢٣٣٣- كان إذا اغتم أخذ لحيته بيده ينظر فيها.

٢٣٣٤- كان إذا أفطر قال: «الحمد لله الذي أعانني فصمت، ورزقني فأفطرت».

٢٣٣٥- كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبته معد بن عدنان ثم يمسك، ويقول: «كذب النسابون، قال الله تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾» [الفرقان:٣٨].

٢٣٣٦- كان إذا بعث أميرا قال: أقصر الخطبة وأقل الكلام فإن من الكلام سحرا.

٢٣٣٧- كان إذا تغدى لم يتعش، وإذا تعشى لم يتغد.

٢٣٣٨- كان إذا توضأ فضل ماء حتى يسيله على موضع سجوده.

٢٣٣٩- كان إذا جرى به الضحك وضع يده على فيه.

٢٣٤٠- كان إذا جلس مجلسا فأراد أن يقوم استغفر عشرًا إلى خمس عشرة.

٢٣٤١- كان إذا جلس يتحدث يخلع نعليه.

٢٣٤٢- كان إذا جلس يتحدث يكثر أن يرفع طرفه إلى السماء.

٢٣٤٣- كان إذا خاف أن يصيب شيئا بعينه، قال: «اللهم بارك فيه

ولا تضره»[١].

٢٣٤٤- كان إذا خاف أن ينسى حاجة ربط في أصبعه خيطًا ليذكرها.

٢٣٤٥- كان إذا خرج من الخلاء قال: «الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني».

٢٣٤٦- كان إذا خرج من الغائط قال: «الحمد لله الذي أحسن إليَّ في أوله وآخره».

٢٣٤٧- كان إذا خرج من بيته قال: «بسم الله، التكلان على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله».

٢٣٤٨- كان إذا خطب في الحرب خطب على قوس، وإذا خطب في الجمعة خطب على عصا.

٢٣٤٩- كان إذا خطب يعتمد على عنَزة أو عصا [٢].

٢٣٥٠- كان إذا خلا بنسائه ألين الناس وأكرم الناس ضحاكًا بسامًا.

٢٣٥١- كان إذا دخل الجبانة يقول: السلام عليكم أيتها الأرواح الفانية! والأبدان البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بالله مؤمنة اللهم أدخل عليهم روحا منك و سلاما منا.

٢٣٥٢- كان إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس

---

(١) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ أَوْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ مَالِهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيُبَرِّكْهُ؛ فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ**» [رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني].

(٢) العنَزة: أطول من العصا وأقصر من الرمح.

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» رقم(٩٦٤): «لم يَرِدْ في حديث أنه ﷺ كان يعتمد على العصا أو القوس وهو على المنبر»، وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -: «الاعتماد إنما يكون عند الحاجة، فإن احتاج الخطيب إلى اعتماد، مثل أن يكون ضعيفاً يحتاج إلى أن يعتمد على عصا فهذا سُنّة؛ لأن ذلك يعينه على القيام الذي هو سُنّة، وما أعان على سنة فهو سنة، أما إذا لم يكن هناك حاجة، فلا حاجة إلى حمل العصا». (الشرح الممتع على زاد المستقنع ٥/ ٦٣).

الخبيث المخبث الشيطان الرجيم»، وإذا خرج قال: «الحمد لله الذي أذاقني لذته وأبقى فيَّ قوته و أذهب عني أذاه.

٢٣٥٣- كان إذا دخل الخلاء قال: «يا ذا الجلال!».

٢٣٥٤- كان إذا دخل الخلاء وضع خاتمه.

٢٣٥٥- كان إذا دخل السوق قال: «بسم الله اللهم إني أسألك من خير هذه السوق وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها، اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة»(١).

٢٣٥٦- كان إذا دخل الغائط قال: «اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم».

٢٣٥٧- كان إذا دخل المِرفَق (٢) لبس حذاءه و غطى رأسه.

٢٣٥٨- كان إذا دخل رجب قال: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلِّغْنا رمضان»، وكان إذا كانت ليلة الجمعة قال: «هذه ليلة غراء و يوم أزهر».

٢٣٥٩- كان إذا دخل رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل.

٢٣٦٠- كان إذا دخل رمضان تغير لونه وكثرت صلاته وابتهل في الدعاء وأشفق لونه.

٢٣٦١- كان إذا دخل رمضان شد مئزره ثم لم يأت فراشه حتى

---

(١) قال ﷺ: «**مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**» [رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم، وقال الألباني: «حسن لغيره؛ لمجموع طرقه»، وصححه بمجموع طرقه محققُ كتاب (مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم) للعَلاّمة سِرَاج الدّين عُمَر بن علي بن أحمَد المعروف بابن المُلَقن].

(٢) (المِرفَق): بكسر الميم وفتح الفاء: الكنيف: المرحاض.

ينسلخ(١).

٢٣٦٢- كان إذا رمدت عين امرأة من نسائه لم يأتها حتى تبرأ عينها.

٢٣٦٣- كان إذا زوج أو تزوج نثر تمرا.

٢٣٦٤- كان إذا سجد رفع العمامة عن جبهته.

٢٣٦٥- كان إذا سلم من الصلاة قال ثلاث مرات: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين».

٢٣٦٦- كان إذا سمع المؤذن، قال: «حي على الفلاح»، قال: «اللهم اجعلنا مفلحين».

٢٣٦٧- كان إذا صلى مسح بيده اليمنى على رأسه ويقول: «بسم الله الذي لا إله غيره الرحمن الرحيم، اللهم أذهب عني الهم و الحزن».

٢٣٦٨- كان إذا غضب لم يجترئ عليه أحد إلا عليّ.

٢٣٦٩- كان إذا غضبت عائشة عرك بأنفها وقال: «يا عويش قولي: اللهم رب محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن».

٢٣٧٠- كان إذا فرغ من طعامه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا، وسقانا، وجعلنا مسلمين».

٢٣٧١- كان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قال: «بَلَى»(٢)،

---

(١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ»، (رواه البخاري ومسلم). (شَدَّ مِئْزَرَهُ) هو كناية عن الاستعداد للعبادة والاجتهاد لها زيادة عن المعتاد، وقيل هو من ألطف الكنايات عن اعتزال النساء وترك الجماع، والمئزر: الإزار، وهو ما يلبس من الثياب أسفل البدن.

(وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ) نبههن للعبادة وحثهن عليها.

(٢) عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَوْقَ بَيْتِهِ وَكَانَ إِذَا قَرَأَ ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قَالَ: «سُبْحَانَكَ، فَبَلَى»، فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ» [رواه أبو داود، وصححه الألباني]. والرجل صحابي وجهالته لا تضركما هو معروف عند العلماء.

وإذا قرأ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ قال: «بَلَى».

٢٣٧٢- كان إذا قضى صلاته مسح جبهته بيده اليمنى ثم قال: «أشهد أن لا إله إلا الله الرحمن الرحيم، اللهم أذهب عني الهم والحزن».

٢٣٧٣- كان إذا قضى صلاته مسح جبهته بكفه اليمنى ثم أمرّها على وجهه حتى يأتي بها على لحيته ويقول: «بسم الله الذي لا إله إلا هو، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، اللهم أذهِبْ عني الغم والحزن والهم، اللهم بحمدك انصرفت، وبذنبي اعترفت، أعوذ لك من شر ما اقترفت، وأعوذ بك من جهد بلاء الدنيا، ومن عذاب الآخرة».

٢٣٧٤- كان إذا لم يحفظ اسم الرجل قال: «يا ابن عبد الله».

٢٣٧٥- كان إذا نزل عليه الوحي صدع فيغلف رأسه بالحناء.

٢٣٧٦- كان إذا نزل منزلا في سفر أو دخل بيته لم يجلس حتى يركع ركعتين.

٢٣٧٧- كان إذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلي فيه ركعتين.

٢٣٧٨- كان إذا نظر إلى البيت قال: «اللهم زد بيتك هذا تشريفا، وتعظيما و تكريما وبرا ومثابة».

٢٣٧٩- كَانَ إذا نَظَرَ في المِرآةِ قَالَ: «الحَمدُ للهِ الذي خَلَقني، فَأَحسَنَ خَلقِي وَخُلُقي، وزَانَ مِنّي مَا شَانَ مِن غيري».

٢٣٨٠- كان إذا نظر وجهه في المرآة قال: «الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله، وكرم صورة وجهي فحسنها، وجعلني من المسلمين».

٢٣٨١- كان ربما اغتسل يوم الجمعة و ربما تركه أحيانا.

٢٣٨٢- كان ربما يضع يده على لحيته في الصلاة من غير عبث.

٢٣٨٣- كان لا يحدث حديثا إلا تبسم.

٢٣٨٤- كان لا يعود مريضًا إلا بعد ثلاث.

٢٣٨٥- كان لا يقعد في بيت مظلم حتى يضاء له بالسراج.

٢٣٨٦- كان لا ينزل منزلا إلا ودعه بركعتين.

٢٣٨٧- كان لا يولي واليا حتى يعممه و يرخي لها عذبة من جانب الأيمن نحو الأذن.

٢٣٨٨- كان من دلالات حمل النبي ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت: «حُمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة، وهو أمان الدنيا، وسراج أهلها»، ولم يبق كاهنة من قريش ولا قبيلة من قبائل العرب إلا حُجِبَت عن صاحبتها، وانتزع علم الكهنة، ولم يكن سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسًا [١] والملك مخرسًا لا ينطق يومه ذلك، ومرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات، وكذلك البحار يبشر بعضهم بعضًا به في كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السماء: «أن أبشروا؛ فقد آنَ لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميمونًا مباركًا»، فكانت أمه تحدث عن نفسها وتقول: «أتاني آت حين مر بي من حمله ستةُ أشهر فوكَزني برجله في المنام وقال: «يا آمنة إنك قد حملت بخير العالمين طرًّا [٢] فإذا ولدتيه فسميه محمدًا واكتمي شأنك»، فكانت تقول: «لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم ذكرٌ ولا أنثى، وإني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه، فسمعتُ وجبة شديدة وأمرًا عظيما فهالني ذلك وذلك يوم الاثنين فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني كل رعب وكل فزع ووجع كنت أجده، ثم التفتُ فإذا أنا بشربة بيضاء وظننتها لبنا، وكنْتُ عطشى، فتناولتها فشربتها فأضاء مني

(١) المنكوس: المقلوب عن أصل حالته.

(٢) جميعًا.

نور عال، ثم رأيت نسـوة كالنخل الطوال كأنهن بنـات عبد المطلب يحدقن بي فبينا أنا أعجب وأقول: «واغوثاه من أين علمن بي هؤلاء»، واشتد بي الأمر وأنا أسـمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول فإذا أنا بديباج أبيض قد مُدَّ بين السماء والأرض، وإذا قائل يقول: «خذوه عن أعين الناس»، ورأيت رجالا قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة وأنا يرشح مني عرق كالجُمَان أطيب ريحًا من المسك الأذفـر[1]، وأنا أقول: «يا ليـت عبد المطلب قد دخل عليَّ»، وعبد المطلب عني نَـاءٍ[2]، فرأيتُ قطعةً من الطير قد أقبلَتْ من حيث لا أشـعر حتى غطت حجرتي مناقيرهـا من الزمـرد وأجنحتها من اليواقيت، فكشـف لي عن بصري فأبصرت سـاعتي مشـارق الأرض ومغاربهـا، ورأيت ثـلاث أعلام مضروبـات: علم في المشـرق، وعلـم في المغـرب، وعلم على ظهـر الكعبة، وأخـذني المخاض[3] واشـتد بي الأمر جدًّا فكنت كأني مسـتندة إلى أركان النسـاء، وكثرن عليَّ حتى كأن الأيـدي معي في البيت وأنا لا أرى شـيئا، فولـدت محمدًا ﷺ، فلما خرج من بطني دُرْتُ فنظرتُ إليه فإذا أنا به ساجد قد رفع إصبعيه كالمتضرع المبتهل، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيته فغيب عن وجهي، فسـمعت مناديًا يقول: «طوفوا بمحمد شـرق الأرض وغربهـا وأدخلوه البحار كلهـا؛ ليعرفوه باسـمه ونعته وصورته ويعلموا أنه سـمي فيهـا الماحي؛ لا يبقى شـيء من الشـرك إلا محي به في زمنه»[4]، ثم تجلت عنه في أسـرع وقت فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض أشد بياضا من اللبن وتحته حريرة خضراء قد قبض

---

(١) أذفر: جيد إلى الغاية، رائحته شديدة.

(٢) النائي: البعيد.

(٣) المخاض: ألم الولادة.

(٤) قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِي أَسْـمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَـا الْحَاشِـرُ الَّذِي يُحْشَـرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِـي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّـذِي لَيْسَ بَعْدِي نَبِـيٌّ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

على ثلاث مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض وإذا قائل يقول: قبض محمد على مفاتيح النصر ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة، ثم أقبلت سحابة أخرى يسمع منها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة حتى غشيَتْه فغيب عن عيني فسمعتُ مناديًا ينادي: «طوفوا بمحمد الشرق والغرب، وعلى مواليد النبيين، واعرضوه على كل روحاني من الجن والأنس والطير والسباع، وأعطوه صفاء آدم ورقة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل وبشرى يعقوب وجمال يوسف وصوت داود وصبر أيوب وزهد يحيى وكرم عيسى، وأغمروه في أخلاق الأنبياء»، ثم تجلت عنه فإذا أنا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية وإذا قائل يقول: «بَخٍ بَخٍ، قبض محمد على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها إلا دخل في قبضته»، وإذا أنا بثلاثة نفر في يد أحدهم إبريق من فضة، وفي يد الثاني طست من زمرد أخضر، وفي يد الثالث حريرة بيضاء، فنشرها فأخرج منها خاتمًا تحار أبصار الناظرين دونه، فغسله من ذلك الإبريق سبع مرات، ثم ختم بين كتفيه بالخاتم، ولفه في الحريرة ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رَدَّهُ إليَّ».

٢٣٨٩- كان يأخذ من لحيته من عرضها و طولها.

٢٣٩٠- كان يأكل الرطب و يلقي النوى على الطبق.

٢٣٩١- كان يأمر بدفن الشعر والأظافر.

٢٣٩٢- كان يأمر بدفن سبعة أشياء من الإنسان: الشعر والظفر والدم والحيضة والسن والعلقة والمشيمة.

٢٣٩٣- كان يتمثل بهذا البيت: كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا.

٢٣٩٤- كان يحب أن يفطر على ثلاث تمرات أو شيء لم تصبه النار[١].

---

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُطَبَاتٌ فَتَمَرَاتٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ (رواه الإمام أحمد وحسنه الألباني).

٢٣٩٥- كان يُرَى بالليل في الظلمة كما يُرى بالنهار في الضوء.

٢٣٩٦- كان يسبح بالحصى[1].

٢٣٩٧- كان يستحب إذا أفطر أن يفطر على لبن.

٢٣٩٨- كان يسمي التمر و اللبن: الأطيبان.

٢٣٩٩- كان يصافح النساء وعلى يده ثوب.

٢٤٠٠- كان يصافح النساء من تحت الثوب.

٢٤٠١- كان يعجبه الإناء المنطبق.

---

(١) هذا الحديث يخالف ما ثبت عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَعْقِدُ التَّسْبِيحَ بِيَمِينِهِ» (رواه أبو داود، وصححه الألباني)، وعَنْ حُمَيْضَةَ بِنْتِ يَاسِرٍ عَنْ جَدَّتِهَا يُسَيْرَةَ وَكَانَتْ مِنْ الْمُهَاجِرَاتِ قَالَتْ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ، وَاعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ؛ فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ، وَلَا تَغْفُلْنَ فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ»** (رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني).
(قَالَ لَنَا) أَيْ مَعْشَرَ النِّسَاءِ «عَلَيْكُنَّ» اِسْمُ فِعْلٍ بِمَعْنَى اِلْزَمْنَ وَأَمْسِكْنَ «بِالتَّسْبِيحِ» أَيْ بِقَوْلِ سُبْحَانَ الله «وَالتَّهْلِيلِ» أَيْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله «وَالتَّقْدِيسِ» أَيْ قَوْلِ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ أَوْ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ.
(وَاعْقِدْنَ) بِكَسْرِ الْقَافِ أَيْ اُعْدُدْنَ عَدَدَ مَرَّاتِ التَّسْبِيحِ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ، (بِالْأَنَامِلِ) أَيْ بِعِقْدِهَا أَوْ بِرُءُوسِهَا يُقَالُ عَقَدَ الشَّيْءَ بِالْأَنَامِلِ عَدَّهُ. وَالْأَنَامِلُ جَمْعُ أُنْمُلَةٍ: الَّتِي فِيهَا الظُّفْرُ، وَالظَّاهِرُ أَنْ يُرَادَ بِهَا الْأَصَابِعُ مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ الْبَعْضِ وَإِرَادَةِ الْكُلِّ، (فَإِنَّهُنَّ) أَيْ الْأَنَامِلَ كَسَائِرِ الْأَعْضَاءِ (مَسْئُولَاتٌ) أَيْ يُسْأَلْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا اِكْتَسَبْنَ وَبِأَيِّ شَيْءٍ اُسْتُعْمِلْنَ، (مُسْتَنْطَقَاتٌ) بِفَتْحِ الطَّاءِ أَيْ مُتَكَلِّمَاتٌ بِخَلْقِ النُّطْقِ فِيهَا فَيَشْهَدْنَ لِصَاحِبِهِنَّ أَوْ عَلَيْهِ بِمَا اِكْتَسَبَهُ، (وَلَا تَغْفُلْنَ) بِضَمِّ الْفَاءِ، وَالْفَتْحُ لَحْنٌ، أَيْ عَنْ الذِّكْرِ يَعْنِي لَا تَتْرُكْنَ الذِّكْرَ، (فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ) بِفَتْحِ التَّاءِ، أَيْ فَتَتْرُكْنَ الرَّحْمَةَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِضَمِّ التَّاءِ بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ مِنْ الْإِنْسَاءِ، قَالَ الْقَارِي: وَالْمُرَادُ بِنِسْيَانِ الرَّحْمَةِ نِسْيَانُ أَسْبَابِهَا أَيْ لَا تَتْرُكْنَ الذِّكْرَ فَإِنَّكُنَّ لَوْ تَرَكْتُنَّ الذِّكْرَ لَحُرِمْتُنَّ ثَوَابَهُ فَكَأَنَّكُنَّ تَرَكْتُنَّ الرَّحْمَةَ. اه باختصار من (تحفة الأحوذي).
وأما كيفية استعمال الأصابع في عدِّ التسبيح، فالأمر فيها واسع، ولا نعلم حديثًا نقل فيه هل كان النبي ﷺ يعقد بكل أصبع تسبيحة واحدة أو ثلاث تسبيحات بكل مفصل تسبيحة، وأي الكيفيتين فعل الإنسان أجزأه، فمن عد بوضع طرف الإبهام على أنامل الأصابع الأخرى فقد عد بالأنامل، ومن وضع أطراف الأنامل على الكف فقد عد أيضا بها. قال ابن علان رحمه الله: يحتمل أن المراد العقد بنفس الأنامل أو بجملة الأصابع، قال: والعقد بالمفاصل أن يضع إبهامه في كل ذكر على مفصل، والعقد بالأصابع أن يعقدها ثم يفتحها. وفي شرح المشكاة العقد هنا بما يتعارفه الناس، فالأمر في ذلك واسع.
باختصار من (فتاوى موقع الشبكة الإسلامية - بإشراف د. عبدالله الفقيه).

٢٤٠٢- كان يعجبه النظر إلى الخضرة و الماء الجاري.

٢٤٠٣- كان يُعجبه من الدنيا ثلاثة أشياء: الطيب والنساء والطعام، فأصاب اثنتين ولم يصب واحدة، أصاب النساء والطيب، ولم يصب الطعام[١].

٢٤٠٤- كان يعد الآي في الصلاة.

٢٤٠٥- كان يعلمهم من الحمى والأوجاع كلها أن يقولوا: «باسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار، ومن شر حر النار».

٢٤٠٦- كان يعود المريض و هو معتكف.

٢٤٠٧- كان يُقَبِّل و هو محرم.

٢٤٠٨- كان يقصر في السفر ويتم.

٢٤٠٩- كان يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يروح إلى الصلاة.

٢٤١٠- كان يكره الكليتين لمكانهما من البول.

٢٤١١- كان يكره الطعام الحار ويقول: «عليكم بالبارد فإنه ذو بركة، ألا وإن الحار لا بركة له».

٢٤١٢- كان يكره أن يؤكل الطعام الحار حتى تذهب فورة دخانه.

٢٤١٣- كان يكره أن يرى المرأة ليس في يدها أثر حناء أو أثر خضاب.

٢٤١٤- كان يكره أن يطلع من نعليه شيء عن قدميه.

٢٤١٥- كان يليه في الصلاة الرجال ثم الصبيان ثم النساء[٢].

---

(١) قد صَحّ عنه ﷺ أنه قال: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**» (رواه الإمام أحمد والنسائي، وصححه الألباني).

(٢) حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ «أَنَّهُ كَانَ يَجْعَلُ الرِّجَالَ قُدَّامَ الْغِلْمَانِ، وَالْغِلْمَانَ خَلْفَهُمْ، وَالنِّسَاءَ خَلْفَ الْغِلْمَانِ»، (رواه الإمام أحمد وغيره وضعفه الألباني والأرنؤوط).

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «وفي صَفِّ النساء لوحدهم وراء الرجال أحاديث صحيحة، وأما جعل الصبيان =

٢٤١٦- كان يمص اللسان[1].

= وراءهم فلم أجد فيه سوى هذا الحديث، ولا تقوم به حجة؛ فلا أرى بأسًا من وقوف الصبيان مع الرجال إذا كان في الصف متسع؛ وصلاة اليتيم مع أنس وراءه ﷺ حجة في ذلك». (تمام المنة، ص ٢٨٤).
وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا شَكَّ أنَّ مكان الصبيان خلفَ الرِّجالِ أَوْلَى، لكن إذا كان يحصُلُ به تشويشٌ وإفسادٌ للصَّلاةِ على البالغين؛ وعليهم أنفسِهم، فإنَّ مراعاةَ ذلك أَولى مِن مراعاة فَضْلِ المكان، إذًا؛ كيف نعملُ؟
الجواب: نعملُ كما قال بعضُ العلماءِ: بأنْ نجعلَ بين كُلِّ صبيين بالغًا مِن الرِّجالِ فَيَصفُّ رَجُلٌ بالغٌ يليه صبيٌّ، ثم رَجُلٌ ثم صبيٌّ، ثم رَجُلٌ، ثم صبيٌّ؛ لأنَّ ذلك أضبطُ وأبعدُ عن التشويشِ، وهذا وإنْ كان يستلزمُ أنْ يتأخَّرَ بعضُ الرِّجالِ إلى الصَّفِّ الثاني أو الثالثِ حسب كثرة الصبيان؛ فإنَّه يحصُلُ به فائدةٌ، وهي الخشوعُ في الصَّلاةِ وعدمُ التشويشِ».انظر: (الشرح الممتع على زاد المستقنع، (٤/ ٢٧٨ - ٢٧٩).
وقال الشيخ ابن عثيمين في شرحه لما رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: «لِيَلِنِى مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»: «وفي قوله: «لِيَلِنِى مِنْكُمْ» اللام لام الأمر، والمعنى أنه في الصلاة ينبغي أن يتقدم أولو الأحلام والنهى، وأولو الأحلام يعني الذين بلغوا الحُلُم، وهم البالغون، والنُهَى جمع نُهْيَة وهي العقل، يعني العقلاء، فالذي يجب أن يتقدم في الصلاة العاقلون البالغون؛ لأن ذلك أقرب إلى فهم ما يقوله النبي ﷺ؛ فلهذا حث النبي ﷺ أن يتقدم هؤلاء حتى يَلُوا الإمام.
وليس معنى الحديث لا يلني إلا أولو الأحلام والنهى بحيث نطرد الصبيان عن الصف الأول فإن هذا لا يجوز، فلا يجوز طرد الصبيان عن الصف الأول إلا أن يحدُثَ منهم أذية؛ فإن لم يحدث منهم أذية فإن من سبق إلى ما لم يسبق إليه أحد أحق به، وهناك فرق بين أن تكون العبارة النبوية (لا يلني إلا أولو الأحلام) وبين قوله (ليلني أولو الأحلام) فالثانية تحُثُّ الكبار العقلاء على التقدم، والأولى لو قُدِّرَ أنها نَصُّ الحديث لكان ينهى أن يلي الإمام مَن ليس بالغًا أو ليس عاقلًا.
ولهذا نقول: إن أولئك الذين يطردون الصبيان عن الصف الأول أخطؤوا من جهة أنهم منعوا ذوي الحقوق حقوقهم، ومن جهة أخرى أنهم يُكَرِّهُون الصبيان المساجد؛ وهذا يؤدي إلى أن ينفر الصبي عن المسجد إذا كان يُطْرَدُ عنه، ومنها أن هذه لا تزال في نفسه عقدة مِن الذي طرده فتجده يكرهه ويكره ذكره؛ فمن أجل هذه المفاسد نقول: لا تطردوا الصبيان من أوائل الصفوف، ثم إننا لو طردناهم من أوائل الصفوف حصل منهم لعب لو كانوا كلهم في صف واحد، كما يقوله مَن يقوله مِن أهل العلم لحصل منهم مِن اللعب ما يوجب اضطراب المسجد واضطراب أهل المسجد، ولكن إذا كانوا مع الناس في الصف الأول ومتفرقين فإن ذلك أسلم من الفوضى التي تحصل بكونهم يجتمعون في صف واحد. (شرح رياض الصالحين، ٢/ ١٦٧ - ١٦٨).

(١) (كَانَ يمص اللِّسَان) أَي يمص لِسَان حلائله، أي زوجاته.



موضوعات عامـــــة

١٠١- القرآن حجة لك أو عليك (١)

سمِعْتُكَ يا قرآنُ والليلُ واجِمٌ	سَرَيْتَ تهزُّ الكونَ سُبحانَ مَن أسْرَى
فتحْنا بك الدنيا فأشرقَ نورُها	وسِرْنا علَى الأفلاكِ نملؤُها أجْرا

عَنْ أَبِى مَالِكٍ الأَشْعَرِىِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْـكَ**»، [رواه مسلم]. وقـال الله ﷻ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال بعضُ السَّـلف: «ما جالَسَ أحدٌ القرآنَ فقام عنه سالمًا؛ بل إمَّا أنْ يربح أو أنْ يخسرَ»، ثمَّ تلا هذه الآية.

وقال ابنُ مسـعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «القرآنُ شافع مُشـفَّع وماحِلٌ مصدَّق، فمن جعله أمامَـه، قادَه إلـى الجنَّةِ، ومـن جعله خَلْفَ ظهـره، قاده إلى النـار». (الماحل: الشاهد).

وعنـه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «يجيءُ القرآنُ يومَ القيامة، فيشـفع لِصاحبه، فيكون قائدًا إلى الجنَّة، أو يشهد عليه، فيكون سائقًا إلى النار».

وقال أبو موسـى الأشعري: «إنَّ هذا القرآن كائنٌ لكم أجرًا، وكائنٌ عليكم وِزرًا، فاتَّبِعوا القرآن، ولا يتَّبعكُم القرآن، فإنَّه مَنِ اتَّبعَ القرآنَ هبط به على رياضِ الجنَّةِ، ومن اتَّبعه القرآنُ، زخَّ في قفاه، فقذفه في النار».

القرآن حجة لك إن عرفته:

قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟

---

(١) هـذه الخطبـة والتـي تليها بتصـرف من (القرآن حجـة لك أوعليـك)، لمحمد بن أحمـد بن محمد العماري.

﴿ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الرعد ١٩]. يقول تعالى مُفَرّقًا بين أهل العلم والعمل وبين ضدهم: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ ففهم ذلك وعمل به، ﴿كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ﴾ لا يعلم الحق ولا يعمل به فبينهما من الفرق كما بين السماء والأرض، فحقيقٌ بالعبد أن يتذكر ويتفكر أي الفريقين أحسن حالا وخير مآلا فيُؤْثِر طريقها ويسلك خلف فريقها، ولكن ما كل أحد يتذكر ما ينفعه ويضره. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أي: أولو العقول الرزينة، والآراء الكاملة، الذين هم لُبّ العالم، وصفوة بني آدم.

والقرآن حجة عليك إن لم تعرفه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء ٢٤]. حال المشركين أنهم اتخذوا من دون الله آلهة فقُلْ لهم موبخا ومقرعا: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ﴾ أي: حجتكم ودليلكم على صحة ما ذهبتم إليه، ولن يجدوا لذلك سبيلا بل قد قامت الأدلة القطعية على بطلانه، ولهذا قال: ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾ أي: قد اتفقت الكتب والشرائع على صحة ما قلتُ لكم، من إبطال الشرك، فهذا كتاب الله الذي فيه ذكر كل شيء، بأدلته العقلية والنقلية، وهذه الكتب السابقة كلها، براهين وأدلة لِمَا قلت.

ولما علم أنهم قامت عليهم الحجة والبرهان على بطلان ما ذهبوا إليه، علم أنه لا برهان لهم، لأن البرهان القاطع يجزم أنه لا معارض له، وإلا لم يكن قطعيًّا، وإن وُجِدَتْ معارضات، فإنها شبه لا تُغْني من الحق شيئا.

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ﴾ أي: وإنما أقاموا على ما هم عليه، تقليدا لأسلافهم يجادلون بغير علم ولا هدى، وليس عدم علمهم بالحق لخفائه وغموضه، وإنما ذلك، لإعراضهم عنه، وإلا فلو التفتوا إليه أدنى التفات، لتبين

لهم الحق من الباطل تبينا واضحا جليا ولهذا قال: ﴿فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾.

القرآن حجة لك إن حفظته وقرأته وفهمته وتدبرته وعملت بما فيه وتمسكت به:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

أي: ﴿بَلۡ﴾ هذا القرآن ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾ لا خَفِيَّات، ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ وهم سادة الخلق، وعقلاؤهم، وأولو الألباب منهم، والكُمَّل منهم.

فإذا كان آيات بينات في صدور أمثال هؤلاء، كانوا حجة على غيرهم، وإنكار غيرهم لا يضر، ولا يكون ذلك إلا ظلما، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لأنه لا يجحدها إلا جاهل تكلم بغير علم، ولم يقتد بأهل العلم، وهو متمكن من معرفته على حقيقته، وإما متجاهل عرف أنه حق فعانده، وعرف صدقه فخالفه.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [فاطر].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي: يتبعونه في أوامره فيمتثلونها، وفي نواهيه فيتركونها، وفي أخباره، فيصدقونها ويعتقدونها، ولا يقدمون عليه ما خالفه من الأقوال، ويتلون أيضا ألفاظه، بدراسته، ومعانيه، بتتبعها واستخراجها.

ثم خص من التلاوة بعد ما عم، الصلاة التي هي عماد الدين، ونور المسلمين، وميزان الإيمان، وعلامة صدق الإسلام، والنفقة على الأقارب والمساكين واليتامى وغيرهم، من الزكاة والكفارات والنذور والصدقات. ﴿سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ في جميع الأوقات.

﴿يَرۡجُونَ﴾ بذلك ﴿تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ أي: لن تكسد وتفسد، بل

تجـارة، هي أجَـلّ التجارات وأعلاهـا وأفضلها، ألا وهي رضـا ربهم، والفوز بجزيل ثوابه، والنجاة من سـخطه وعقابه، وهذا فيـه أنهم يخلصون بأعمالهم، وأنهم لا يرجون بها من المقاصد السيئة والنيات الفاسدة شيئًا.

وذكـر أنهم حصل لهم ما رجوه فقـال: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ ﴾ أي: أجور أعمالهـم، على حسـب قلتهـا وكثرتها، وحُسْـنها وعدمـه، ﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ زيـادة عن أجورهم. ﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ غفر لهم السـيئات، وقبل منهم القليل من الحسنات.

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**» [رواه مسلم].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَـنَةٌ، وَالحَسَـنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

وعَـنْ عَبْـدِ اللهِ بْنِ عَمْـرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ «**يُقَـالُ لِصَاحِبِ الْقُـرْآنِ: اقْـرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَـإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**» [رواه أبوداود، وصححه الألباني].

(يُقَـالُ): أَيْ عِنْدَ دُخُولِ الْجَنَّة (لِصَاحِبِ الْقُـرْآن): أَيْ مَنْ يُلَازِمُهُ بِالتِّلَاوَةِ وَالْعَمَل لَا مَنْ يَقْرَؤُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ (اِقْرَأْ وَارْتَقِ): أَيْ اِصْعَدْ إِلَى دَرَجَات الْجَنَّة أَوْ مَرَاتِب الْقُرَبِ (وَرَتِّلْ): أَيْ لَا تَسْـتَعْجِلْ فِي قِرَاءَتِك فِي الْجَنَّة الَّتِي هِيَ لِمُجَرَّدِ التَّلَذُّذِ وَالشُّهُودِ الْأَكْبَرِ كَعِبَادَةِ الْمَلَائِكَةِ (كَمَا كُنْت تُرَتِّلُ): أَيْ فِي قِرَاءَتِك، وَفِيهِ إِشَـارَةٌ إِلَى أَنَّ الْجَـزَاءَ عَلَى وَفْقِ الْأَعْمَال كَمِّيَّة وَكَيْفِيَّة (فِـي الدُّنْيَا): مِنْ تَجْوِيدِ الْحُرُوفِ وَمَعْرِفَة الْوُقُوف (فَإِنَّ مَنْزِلَك عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ**

لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ» [رواه البخاري]، ولفظ مسلم: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ**».

(الْمَاهِرُ) الْحَاذِقُ، الْكَامِلُ الْحِفْظِ الَّذِي لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ بِجَوْدَةِ حِفْظِهِ وَإِتْقَانِهِ، فَالْمُرَادُ بِالْمَهَارَةِ بِالْقُرْآنِ: جَوْدَةُ الْحِفْظِ وَجَوْدَةُ التِّلَاوَةِ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ فِيهِ لِكَوْنِهِ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ كَمَا يَسَّرَهُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَكَانَ مِثْلَهَا فِي الْحِفْظِ وَالدَّرَجَةِ.

(السَّفَرَةُ) جَمِيعُ سَافِرٍ كَكَاتِبٍ وَكَتَبَةٍ وَالسَّافِرُ الرَّسُولُ وَالسَّفَرَةُ الرُّسُلُ لِأَنَّهُمْ يُسْفِرُونَ إِلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِ اللهِ، وَقِيلَ: السَّفَرَةُ الْكَتَبَةُ، وَ(الْبَرَرَةُ): الْمُطِيعُونَ مِنَ الْبِرِّ وَهُوَ الطَّاعَةُ.

ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى كَوْنِهِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ أَنَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مَنَازِلَ يَكُونُ فِيهَا رَفِيقًا لِلْمَلَائِكَةِ السَّفَرَةِ لِاتِّصَافِهِ بِصِفَتِهِمْ مِنْ حَمْلِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ أَنَّهُ عامل بعملهم وَسَالِكٌ مَسْلَكَهُمْ.

وَأَمَّا الَّذِي يَتَتَعْتَعُ فِيهِ فَهُوَ الَّذِي يَتَرَدَّدُ فِي تِلَاوَتِهِ لِضَعْفِ حِفْظِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ أَجْرٌ بِالْقِرَاءَةِ وَأَجْرٌ بِتَتَعْتُعِهِ فِي تِلَاوَتِهِ وَمَشَقَّتِهِ.

وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أن الَّذِي يَتَتَعْتَعُ عَلَيْهِ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ أَكْثَرُ مِنَ الْمَاهِرِ بِهِ؛ بَلِ الْمَاهِرُ أَفْضَلُ وَأَكْثَرُ أَجْرًا لِأَنَّهُ مَعَ السَّفَرَةِ وَلَهُ أُجُورٌ كَثِيرَةٌ وَلَمْ يَذْكُرْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ لِغَيْرِهِ، وَكَيْفَ يَلْحَقُ بِهِ مَنْ لَمْ يَعْتَنِ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَحِفْظِهِ وَإِتْقَانِهِ وَكَثْرَةِ تِلَاوَتِهِ وَرِوَايَتِهِ كَاعْتِنَائِهِ حَتَّى مَهَرَ فِيهِ.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[ص:٢٩]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه، لدلهم على كل خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء تُحذَر، ولَعَرَّفَهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولَشَوَّقَهم إلى الثواب الجزيل، ورَهَّبَهم من العقاب الوبيل. ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ أي: قد أغلِق على ما فيها من الشر وأقفلت، فلا يدخلها خير أبدا؟

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢١].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أَنْ يُحِلَّ حَلَالَهُ وَيُحَرِّمَ حَرَامَهُ وَيَقْرَأَهُ كَمَا أَنْزَلَهُ اللهُ، وَلَا يُحَرِّفَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يَتَأَوَّلَ مِنْهُ شَيْئًا عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ».

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «يَعْمَلُونَ بِمُحْكَمِهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِمُتَشَابِهِهِ، يَكِلُونَ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ إِلَى عَالِمِهِ».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾، قَالَ: «يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشَّمْسِ: ٢]، يَقُولُ: اتَّبَعَها».

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء].

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ تُحَاجَّانِ**

عَنْ صَاحِبِهِمَا»، [رواه مسلم].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٠]. ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: يتمسكون به عِلمًا وعملًا فيعلمون ما فيه من الأحكام والأخبار، التي علمها أشرف العلوم. ويعملون بما فيها من الأوامر التي هي قرة العيون وسرور القلوب، وأفراح الأرواح، وصلاح الدنيا والآخرة.

ومن أعظم ما يجب التمسك به من المأمورات، إقامة الصلاة، ظاهرًا وباطنًا، ولهذا خصها الله بالذكر لفضلها، وشرفها، وكَوْنِها ميزان الإيمان، وإقامتها داعية لإقامة غيرها من العبادات.

ولما كان عملهم كله إصلاحا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ في أقوالهم وأعمالهم ونياتهم، مصلحين لأنفسهم ولغيرهم.

أنا قُدوتِي ما عِشْتُ شرعُ محمدِ بالشرْقِ أو بالغربِ لسْتُ بمقتدِي

ومعِي كتابُ اللهِ يسطعُ في يَدِي حاشَايَ يُثْنِينِي سَرابٌ خادعٌ

والقرآن حجة عليك إن أعرضت عنه وتركت العمل به:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾ [طه].

﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ أي: عطية نفيسة، ومنحة جزيلة من عندنا.

﴿ ذِكْرًا ﴾ وهو هذا القرآن الكريم، ذكر للأخبار السابقة واللاحقة، وذكر يتذكر به ما لله تعالى من الأسماء والصفات الكاملة، ويتذكر به أحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء، وهذا مما يدل على أن القرآن مشتمل على أحسن ما يكون من الأحكام، التي تشهد العقول والفطر بحسنها وكمالها، ويذكر هذا القرآن ما أودع الله فيها، وإذا كان القرآن ذكرا للرسول ولأمته، فيجب تلقيه

بالقبول والتسليم والانقياد والتعظيم، وأن يُهتدى بنوره إلى الصراط المستقيم، وأن يقبلوا عليه بالتعلم والتعليم.

وأما مقابلته بالإعراض، أو ما هو أعظم منه من الإنكار، فإنه كُفْر لهذه النعمة، ومن فعل ذلك، فهو مستحق للعقوبة، ولهذا قال: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به، أو تهاون بأوامره ونواهيه، أو بتعلم معانيه الواجبة ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾ وهو ذنبه، الذي بسببه أعرض عن القرآن، وأولاه الكفر والهجران، ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ﴾ أي: في وزرهم، لأن العذاب هو نفس الأعمال، تنقلب عذابا على أصحابها، بحسب صغرها وكبرها.

﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾ أي: بئس الحمل الذي يحملونه، والعذاب الذي يعذبونه يوم القيامة.

وقَالَ تَعالَى في صفات عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان ٧٣].

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ التي أمرهم باستماعها والاهتداء بها، ﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي لم يقابلوها بالإعراض عنها والصمم عن سماعها وصرف النظر والقلوب عنها كما يفعله من لم يؤمن بها ولم يصدق، وإنما حالهم فيها وعند سماعها كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة:١٥].

يقابلونها بالقبول والافتقار إليها والانقياد والتسليم لها، وتجد عندهم آذانا سامعة وقلوبا واعية فيزداد بها إيمانهم ويتم بها إيقانهم وتُحْدِث لهم نشاطا ويفرحون بها سرورا واغتباطا.

وقَالَ تَعالَى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ

فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف].

يقـول تعالى لنبيـه ﷺ: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ أي: علمناه كتاب الله، فصار العالم الكبير والحَبر النحرير.

﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ أي: انسـلخ مـن الاتصـاف الحقيقـي بالعلـم بآيـات الله، فإن العلـم بذلك، يصيـر صاحبه متصفا بمـكارم الأخلاق ومحاسـن الأعمال، ويرقى إلـى أعلى الدرجات وأرفـع المقامات، فترك هذا كتـاب الله وراء ظهره، ونبذ الأخلاق التي يأمـر بها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللباس.

فلما انسـلخ منها أتبعه الشـيطان، أي: تسـلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزه إلى المعاصي أزا.

﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ بعد أن كان من الراشدين المرشدين.

وهـذا لأن الله تعالى خذله ووكله إلى نفسـه، فلهذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾ بـأن نوفقـه للعمـل بهـا، فيرتفع في الدنيـا والآخـرة، فيتحصن من أعدائه.

﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ﴾ فعـل مـا يقتضـي الخـذلان، فَأَخْلَـدَ إِلَـى الأَرْضِ، أي: إلـى الشـهوات السـفلية، والمقاصد الدنيويـة، ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ﴾ وتـرك طاعة مولاه، ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ في شـدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها، ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ أي: لا يـزال لاهثـا في كل حال، وهذا لا يزال حريصا، حرصا قاطعا قلبه، لا يسد فاقته شيء من الدنيا.

﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بعـد أن سـاقها الله إليهـم، فلـم ينقـادوا لها، بل كذبوا بها وردوها، لهوانهـم على الله، واتباعهم لأهوائهم، بغير

هدى من الله.

﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ضرب الأمثال، وفي العبر والآيات، فإذا تفكروا علموا، وإذا علموا عملوا.

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

ذكر أن الذين حمَّلهم الله التوراة من اليهود وكذا النصارى، وأمرهم أن يتعلموها، ويعملوا بما فيها، وأنهم لم يحملوها ولم يقوموا بما حُمِّلُوا به، وأنهم لا فضيلة لهم، وأن مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفارًا من كتب العلم، فهل يستفيد ذلك الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟ وهل يلحق به فضيلة بسبب ذلك؟ أم حظه منها حملها فقط؟ فهذا مثل علماء اليهود الذين لم يعملوا بما في التوراة، الذي من أجله وأعظمه الأمر باتباع محمد ﷺ، والبشارة به، والإيمان بما جاء به من القرآن، فهل استفاد من هذا وصفه من التوراة إلا الخيبة والخسران وإقامة الحجة عليه؟ فهذا المثل مطابق لأحوالهم.

﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ الدالة على صِدْق رسولنا وصِدْقِ ما جاء به، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا يرشدهم إلى مصالحهم، ما دام الظلم لهم وصفًا، والعناد لهم نعتًا، ومن ظلم اليهود وعنادهم أنهم يعلمون أنهم على باطل، ويزعمون أنهم على حق، وأنهم أولياء الله من دون الناس.

القرآن حجة لك إن تعلمته وعلمته للناس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]. أي: علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم

قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل.

والباء في قوله تعالى: ﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ باء السببية، أي: بسبب تعليمكم لغيركم المتضمن لعلمكم ودرسكم لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، التي بدرسها يرسخ العلم ويبقى، تكونون ربانيين.

وقال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء١٠٦].

أي: وأنزلنا هذا القرآن مفرقًا، فارقًا بين الهدى والضلال، والحق والباطل. ﴿ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ أي: على مهل، ليتدبروه ويتفكروا في معانيه، ويستخرجوا علومه. ﴿ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ أي: شيئًا فشيئًا، مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة.

وعَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (رواه البخاري).

فالَّذِي يُعَلِّمُ غَيْرَهُ يَحْصُلُ لَهُ النَّفْعُ الْمُتَعَدِّي بخِلَافِ مَنْ يَعْمَلُ فَقَطْ بَلْ مِنْ أَشْرَفِ الْعَمَلِ تَعْلِيمُ الْغَيْرِ، فَمُعَلِّمُ غَيْرِهِ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ تَعَلَّمَهُ وَتَعْلِيمُهُ لِغَيْرِهِ عَمَلٌ وَتَحْصِيلُ نَفْعٍ مُتَعَدٍّ، والْقُرْآنُ أَشْرَفُ الْعُلُومِ فَيَكُونُ مَنْ تَعَلَّمَهُ وَعَلَّمَهُ لِغَيْرِهِ أشرف ممَّن تعلم غيرَ القرآن.

وَالْجَامِعُ بَيْنَ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمِهِ مُكَمِّلٌ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ جَامِعٌ بَيْنَ النَّفْعِ الْقَاصِرِ وَالنَّفْعِ الْمُتَعَدِّي وَلِهَذَا كَانَ أَفْضَلَ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ عَنَى بِقَوْلِهِ:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]، وَالدُّعَاءُ إِلَى اللهِ يَقَعُ بِأُمُورٍ شَتَّى مِنْ جُمْلَتِهَا تَعْلِيمُ الْقُرْآنِ وَهُوَ أَشْرَفُ الْجَمِيعِ.

وَعَكْسُهُ الْكَافِرُ الْمَانِعُ لِغَيْرِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن

كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

رســـولُ اللهِ علَّمنا	مـن الإيـمـانِ أجملَهُ
كـتـابُ اللهِ نحمِلُهُ	ونـقـرؤُهُ ونفهمُهُ
بـه الأجـرُ بـه الفوزُ	إذا قُمْنا نبلِّغُهُ
تعلَّمْ منهُ لا تسأَمْ	ولـلـدُّنْيا فعلِّمْهُ

والقرآن حجة عليك إن كتمته:

قَالَ تعَالَـى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة].

وقَالَ تعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة].

هذا وعيد شديد لمن كتم ما أنزل الله على رسله عليهم السلام، من العلم الذي أخذ الله الميثاق على أهله، أن يبينوه للناس ولا يكتموه، فمن تعوض عنه بالحطام الدنيوي، ونبذ أمر الله، فأولئك: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ لأن هذا الثمن الذي اكتسبوه، إنما حصل لهم بأقبح المكاسب، وأعظم المحرمات، فكان جزاؤهم من جنس عملهم.

﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بل قد سخط عليهم وأعرض عنهم، فهذا أعظم عليهم من عذاب النار.

﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ أي: لا يطهرهم من الأخلاق الرذيلة، وليس لهم أعمال

تصلح للمدح والرضا والجزاء عليها، وإنما لم يزكهم لأنهم فعلوا أسباب عدم التزكية التي أعظم أسبابها العمل بكتاب الله، والاهتداء به، والدعوة إليه، فهؤلاء نبـذوا كتاب الله، وأعرضوا عنه، واختاروا الضلالة على الهدى، والعذاب على المغفرة، فهؤلاء لا يصلح لهم إلا النار، فكيف يصبرون عليها، وأنى لهم الجلد عليها؟

القـرآن حجة لـك إن آمنت به كله، وحجـة عليك إن آمنت ببعضه وتركت بعضه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ [آل عمران ١١٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة].

ومـن المعلوم أن الديـن كلٌّ، لا يقبل أن يتجزأ من جهة الإيمان به والقبول والإذعـان له، وأن من رفض حكمًا من أحكام الله وكفر به واعتقد أنه لا يصلح لهـذا الزمان، وأن تطبيقه يجب أن يُعـرضَ على العقل، أو على التصويت، فإن وافـق ذلك أحـكام الله كان بها ونعمت، وإن لم يوافق أحـكام الله تركنا ما أنزل الله وراء ظهورنـا، واتبعنـا عقولنا ونتيجـة التصويت، من زعم ذلـك فهو كافر مشرك بالله.



١٠٢- القرآن حجة لك أو عليك

القرآن حجة لك إن آمنت بمتشـابهه واتبعت مُحكَمه، وحجة عليك إن اتبعت متشابهه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧]. القرآن العظيم كله محكم كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١]، فهو مشتمل على غاية الإتقان والإحكام والعدل والإحسان، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠]، وكله متشابه في الحُسْن والبلاغة وتصديق بعضه لبعضه ومطابقته لفظا ومعنى.

وأما الإحكام والتشابه المذكور في هذه الآية فإن القرآن كما ذكره الله ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ أي: واضحات الدلالة، ليس فيها شبهة ولا إشكال ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: أصله الذي يرجع إليه كل متشابه، وهي معظمه وأكثره، ﴿ وَأُخَرُ ﴾ ومنه آيات أُخَرُ ﴿ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ أي: يلتبس معناها على كثير من الأذهان: لكون دلالتها مجملة، أو يتبادر إلى بعض الأفهام غير المراد منها، فالحاصل أن منها آيات بينة واضحة لكل أحد، وهي الأكثر التي يرجع إليها، ومنه آيات تشكل على بعض الناس، فالواجب في هذا أن يُرَدَّ المتشابه إلى المحكم والخَفِيّ إلى الجَلِيّ، فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضًا ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة، ولكن الناس انقسموا إلى فرقتين:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ﴾ أي: ميل عن الاستقامة بأن فسدت مقاصدُهم، وصار قصدهم الغي والضلال وانحرفت قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ أي: يتركون المحكم الواضح ويذهبون إلى المتشابه، ويعكسون الأمر فيحملون المحكم على المتشابه ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ لمن يَدْعونهم لقولهم، فإن المتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه، وإلا فالمحكم الصريح ليس محلا للفتنة، لوضوح الحق فيه لمن قصده اتباعه.

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ للمفسرين في الوقوف على ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ من قوله ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ قولان:

- جمهورهم يقفون عندها.
- وبعضهم يعطف عليها ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ بِٱلۡحَقِّ

وذلك كله محتمل، فإن التأويل إن أريد به علم حقيقة الشيء وكُنْهه كان الصواب الوقوف على ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾؛ لأن المتشابه الذي استأثر الله بعلم كنهه وحقيقته، نحو حقائق صفات الله وكيفيتها، وحقائق أوصاف ما يكون في اليوم الآخر ونحو ذلك، فهذه لا يعلمها إلا الله، ولا يجوز التعرض للوقوف عليها، لأنه تعرض لما لا يمكن معرفته.

كما سُئِل الإمامُ مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقال السائل: «كيف استوى؟»، فقال مالك: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

فهكذا يقال في سائر الصفات لمن سأل عن كيفيتها أن يقال كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تلك الصفة معلومة، وكيفيتها مجهولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة، وقد أخبرنا الله بها ولم يخبرنا بكيفيتها، فيجب علينا الوقوف على ما حُدَّ لنا، فأهل الزيغ يتبعون هذه الأمور المشتبهات تعرضًا

لمـا لا يعني، وتكلفا لما لا سـبيل لهـم إلى علمه، لأنه لا يعلمهـا إلا الله، وأما الراسخون في العلم فيؤمنون بها ويَكِلُون المعنى إلى الله فيُسْلِمُون ويَسْلَمُون.

وإنْ أريـد بالتأويل التفسـير والكشـف والإيضـاح، كان الصـواب عطف ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ علـى ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فيكـون الله قد أخبر أن تفسـير المتشـابه ورَدَّه إلى المحكم وإزالة ما فيه من الشبهة لا يعلمها إلا هو تعالى والراسخون في العلـم يعلمون أيضًا، فيؤمنون بها ويردونها للمُحْكَم و﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ﴾ من المحْكَم والمتشـابه ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ وما كان من عنده فليس فيه تعارض ولا تناقض بل هو متفق يصدق بعضه بعضا ويشـهد بعضـه لبعض، وفيه تنبيه على الأصل الكبير، وهو أنهم إذا علموا أن جميعه من عند الله، وأشكل عليهم مجمل المتشابه، علموا يقينًا أنه مردود إلى المُحكَم، وإن لم يفهموا وجه ذلك.

ولمـا رغَّب في التسـليم والإيمان بأحكامـه وزجر عن اتباع المتشـابه قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ أي: يتعـظ بمواعـظ الله ويقبـل نصحـه وتعليمـه ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: أهـل العقول الرزينة لب العالـم وخلاصة بني آدم يصل التذكير إلـى عقولهم، فيتذكرون ما ينفعهـم فيفعلونه، وما يضرهـم فيتركونه، وأما من عداهـم فهـم القشـور التي لا حاصـل لها ولا نتيجـة تحتهـا، لا ينفعهم الزجر والتذكير لخلوهم من العقول النافعة.

وَعَـنْ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَـتْ: تَلَا رَسُـولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم هَـذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]، فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَـابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ» [رواه البخاري ومسلم].

القـرآن حجة لك إن حكمت به بين الناس، وحجة عليك إن حكمت بغيره:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[المائدة:٤٤].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

نحنُ أُسْدُ اللهِ لا أُسْدُ الشَّرَى آنَ لـلـدنـيـا بـنـا أن تَـطْـهُـرا

أو نَرى القرآنَ دُستورَ الورَى قَـد قَطَعنا العـهـدَ ألا نُـقْـبَـرا

كُلُّ شيءٍ مَا سِوَى الدينِ هَبَاءْ

أُسْد: أسُود. الشَّرَى: موضع تكثُر فيه الأُسود.

نُقْبَـر: نُدْفَن. هَباء: غبار أو تراب تطيِّره الرِّيحُ ويلزق بالأشـياء، أو ينبثُّ في الهواء فلا يبدو إلاّ في ضوء الشَّمس. وما تطاير في البيت وتراه في ضوء الشَّمس شبيهًا بالدُّخان، ويُضرب به المثل لما لا يُعتدّ به.

القـرآن حجة لك إن طلبت التحاكـم إليه، وحجة عليك إن طلبت التحاكم إلى غيره:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:١٠].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴾ [النساء: ٦٠-٦١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ٦٥].

قال الشيخ محمد متولي الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ: «إياك أن ترد الأمر على الله، لا تَقُل إن هذه الشريعة لم تَعُدْ تناسب العصر الحديث، فإنك بذلك تكون قد كفَرْتَ، والعياذ بالله»[1].

عُودُوا إلى اللهِ يُنقِذْكُمْ برحْمَتِهِ ... مِن الشقاءِ الذي بِتْنَا نُعانِيهِ
ولْتَسْتَقُوا مِن كتابِ اللهِ منهجَكمْ ... فليسَ في الأرضِ منهاجٌ يُدانِيهِ

بِتْنَا: صِرْنا أو أصبحْنا.

فليسَ في الأرضِ منهاجٌ يُدانِيهِ: لا مثيل له من مناهج الأرضِ.

والقرآن حجة عليك إن تركته واتبعت شريعة من قبلنا أو شريعة البشر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾ [المائدة: ٤٨].

(١) تفسير الشعراوي، عند تفسير الآية ٣٧ من سورة البقرة.

عَـن جَابِـرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ عُمَـرَ بْـنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَتَى رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِنُسْـخَةٍ مِنَ التَّوْرَاةِ، فَقَالَ: «يَا رَسُـولَ اللهِ، هَذِهِ نُسْـخَةٌ مِنَ التَّوْرَاةِ»، فَسَكَتَ فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَوَجْهُ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَتَغَيَّرُ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ، مَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟»، فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى وَجْهِ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَعُوذُ بِالله مِنْ غَضَبِ اللهِ وَغَضب رَسُـوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا»، فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّـذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ بَدَا لَكُمْ مُوسَـى فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ عَنْ سَـوَاءِ السَّـبِيلِ وَلَـوْ كَانَ حَيًّـا وَأَدْرَكَ نُبُوَّتِي لَاتَّبَعَنِي**»، (رَوَاهُ الدَّارِمِيّ، وحسنه الألباني).

(بِنُسْخَةٍ) أَيْ: بِشَيْءٍ نُسِخَ وَنُقِلَ. (مِنَ التَّوْرَاةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ نُسْخَةٌ مِـنَ التَّوْرَاةِ) أَيْ: فَهَلْ تَأْذَنُ لَنَا أَنْ نُطَالِعَ فِيهَا لِنَطَّلِعَ عَلَى مَا فِيهَا مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ وَشَـرَائِعِ مُوسَـى عَلَيْهِ السَّلَامُ. (فَسَـكَتَ): مِنْ كَمَالِ حِلْمِهِ وَغَايَةِ لِينِهِ وَرَحْمَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. (فَجَعَلَ) أَيْ: شَـرَعَ عُمَرُ (يَقْرَأُ): تِلْكَ النُّسْـخَةَ ظَنًّا أَنَّ السُّـكُوتَ عَلَامَةُ الرِّضَا وَالْإِذْنِ.

(وَوَجْهُ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَتَغَيَّرُ): مِنْ أَثَرِ الْغَضَبِ (فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِعُمَرَ: ثَكِلَتْـكَ): أَيْ فَقَدَتْكَ (الثَّوَاكِلُ) أَيْ: مِنَ الْأُمَّهَـاتِ وَالْبَنَاتِ وَالْأَخَوَاتِ وَأَصْلُهُ دُعَاءٌ لِلْمَوْتِ، لَكِنَّ الْعَرَبَ تَسْتَعْمِلُهُ فِي مُحَاوَرَاتِهِمْ غَيْرَ قَاصِدِينَ بِهِ حَقِيقَةَ ذَلِكَ كَ(تَرِبَتْ يَمِينُهُ) وَ (رَغِمَ أَنْفُهُ).

(مَـا تَرَى): مَا: نَافِيَةٌ بِتَقْدِيرِ الِاسْـتِفْهَامِ (مَا بِوَجْهِ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!) «مَا» هَذِهِ مَوْصُولَةٌ، والمعنى: أَلَسْتَ تَرَى الذي بِوَجْهِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!

(فَنَظَـرَ عُمَـرُ إِلَى وَجْهِ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): فَعَـرَفَ آثَارَ الْغَضَبِ فِيـهِ (فَقَالَ: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِ اللهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): غَضَبُ اللهِ تَوْطِئَةٌ لِذِكْرِ غَضَبِ

رَسُولِهِ ﷺ إِيذَانًا بِأَنَّ غَضَبَهُ غَضَبُهُ، وَإِيمَاءً إِلَى أَنَّ التَّعَوُّذَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ غَضَبِ اللهِ حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا يَتَعَوَّذُ مَنْ غَضِبِ رَسُولِهِ ﷺ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِغَضَبِهِ تَعَالَى.

(رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا): قَالَهُ اعْتِذَارًا عَمَّا صَدَرَ عَنْهُ، وَجُمِعَ الضَّمِيرُ إِرْشَادًا لِلسَّامِعِينَ، أَوْ إِيمَاءً إِلَى أَنِّي مَعَ الْحَاضِرِينَ فِي مَقَامِ الرِّضَا طَلَبًا لِلرِّضَا وَاجْتِنَابًا عَنِ الْغَضَبِ.

(فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ بَدَا): أَيْ: ظَهَرَ (لَكُمْ مُوسَى): عَلَى الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ (فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي): لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى الِاتِّبَاعِ لِأَنَّهُ بِمُجَرَّدِهِ لَا مَحْذُورَ فِيهِ، وَإِنَّمَا الْمَحْذُورُ فِي اتِّبَاعٍ يُؤَدِّي إِلَى التَّرْكِ (لَضَلَلْتُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ): فَكَيْفَ مَعَ وُجُودِي وَعَدَمِ ظُهُورِ مُوسَى تَتَّبِعُونَ كِتَابَهُ الْمَنْسُوخَ وَتَتْرُكُونَ الْأَخْذَ مِنِّي.

(وَلَوْ كَانَ) أَيْ: مُوسَى (حَيًّا) أَيْ: فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ (وَأَدْرَكَ نُبُوَّتِي) أَيْ: زَمَانَهَا (لَاتَّبَعَنِي): لِأَنَّ دِينَهُ صَارَ مَنْسُوخًا فِي زَمَانِي، وَلِأَخْذِ الْمِيثَاقِ مِنْهُ وَمِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى ذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ**﴾ [آل عمران: ٨١].

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَمْ يَبْعَثِ اللهُ تَعَالَى نَبِيًّا، آدَمَ وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى قَوْمِهِ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَئِنْ بُعِثَ وَهُمْ أَحْيَاءٌ لَيَنْصُرُنَّهُ».

وَفِي الْحَدِيثِ نَهْيٌ بَلِيغٌ عَنِ الْعُدُولِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِلَى غَيْرِهِمَا مِنْ كُتُبِ الْحُكَمَاءِ وَالْفَلَاسِفَةِ.

جميعُ الكُتْبِ يُدرك مَن قَرَاها مِــلالٌ أو فُـتُـورٌ أو سـآمـةْ
سِوى القرآنِ فافهمْ واستمِع لي وقَولُ المصطفَى يا ذَا الشَّهامَةْ
الكُتْبِ: الكُتُبِ. مَن قَرَاها: مَن قَرَأها.

وَعَـنْ جَابِـرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَتَاهُ عُمَرُ فَقَالَ: «إِنَّا نَسْـمَعُ أَحَادِيثَ مِـنْ يَهُودَ تُعْجِبُنَا أَفْتَـرَى أَنْ نَكْتُبَ بَعْضَهَا؟»، فَقَـالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَمُتَهَوِّكُونَ أَنْتُمْ كَمَا تَهَوَّكَـتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً وَلَوْ كَانَ مُوسَـى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي**». [رواه الإمام أحمد في المسند، وحسنه الألباني].

(إِنَّا نَسْمَعُ أَحَادِيثَ) أَيْ: حِكَايَاتٍ وَمَوَاعِظَ (مِنْ يَهُودَ): الْأَصْلُ فِي (يَهُودَ) وَ(مَجُوسَ) تَرْكُ اللَّامِ لِأَنَّهُمَا عَلَمَانِ لِقَوْمَيْنِ.

(تُعْجِبُنَا): أَيْ: تَحْسُـنُ عِنْدَنَا وَتَمِيلُ قُلُوبُنَا إِلَيْهَا (أَفْتَرَى): أَيْ: أَتُحَسِّـنُ لَنَا اسْتِمَاعَهَا، (فَتَرَى) يَعْنِي فَتَأْذَنُ (أَنْ نَكْتُبَ بَعْضَهَا؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) زَجْرًا لَهُ وَلِأَمْثَالِهِ: (أَمُتَهَوِّكُونَ) أَيْ: أَمُتَحَيِّرُونَ فِي دِينِكُمْ حَتَّى تَأْخُذُوا الْعِلْمَ مِنْ غَيْرِ كِتَابِكُمْ وَنَبِيِّكُمْ (أَنْتُمْ): لِلتَّأْكِيدِ (كَمَا تَهَوَّكَتِ الْيَهُـودُ وَالنَّصَارَى؟!) أَيْ: كَتَحَيُّرِهِمْ حَيْثُ نَبَذُوا كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَ أَحْبَارِهِمْ وَرُهْبَانِهِمْ.

(لَقَـدْ جِئْتُكُمْ بِهَا) أَيْ: بِالْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّـةِ بِقَرِينَةِ الْكَلَامِ (بَيْضَاءَ) أَيْ: وَاضِحَةً (نَقِيَّةً) أَيْ: ظَاهِرَةٌ صَافِيَةٌ خَالِصَةٌ خَالِيَةٌ عَنِ الشِّـرْكِ وَالشُّـبْهَةِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا أَنَّهَـا مَصُونَةٌ عَنِ التَّبْدِيـلِ وَالتَّحْرِيفِ وَالْإِصْـرِ وَالْأَغْلَالِ خَافِيَةٌ عَـنِ التَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ، لِأَنَّ فِي دِينِ الْيَهُودِ إِخْرَاجُ رُبُعِ مَالِهِمْ زَكَاةً، وَقَطْعُ مَوْضِعِ النَّجَاسَةِ بَدَلًا عَنِ الْغَسْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَوَصَـفَ الْمِلَّةَ بِالْبَيَـاضِ تَنْبِيهًا عَلَى كَرَمِهَـا وَفَضْلِهَا، وَكَرَمُهَـا إِفَادَتُهَا كُلَّ مَـا يُحْتَـاجُ إِلَيْـهِ لِأَنَّ الْبَيَاضَ لَمَّا كَانَ أَفْضَلَ لَـوْنٍ عِنْدَ الْعَرَبِ عَبَّرَ بِـهِ عَنِ الْكَرَمِ وَالْفَضْـلِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَشَـارَ بِذَلِكَ إِلَـى أَنَّهُ أَتَاهُـمْ بِالْأَعْلَى وَالْأَفْضَلِ،

وَاسْتِبْدَالُ الْأَدْنَى عَنْهُ مَظِنَّةٌ لِلتَّحَيُّرِ.

(وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ) أَيْ: مَا جَازَ لَهُ (إِلَّا اتِّبَاعِي): فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا فَائِدَةً مِنْ قَوْمِهِ مَعَ وُجُودِي.

القرآن حجة لك إن اتبعته في معرفة الله ودينه ونبيه ﷺ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧].

من اتبع ما أمر الله به، واجتنب ما نهى الله عنه، فإنه لا يضل في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يشقى فيهما، بل قد هُدِيَ إلى صراط مستقيم، في الدنيا والآخرة، وله السعادة والأمن في الآخرة.

وقد نُفي عنه الخوف والحزن في آية أخرى، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، واتباع الهدى: بتصديق الخبر، وعدم معارضته بالشُبَه، وامتثال الأمر بأن لا يعارضه بشهوة.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ أي: كتابي الذي يُتَذَكَّرُ به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له، والكفر به ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: فإن جزاءه، أن نجعل معيشته ضيقة مشقة، ولا يكون ذلك إلا عذابًا.

وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر.

والذي أوجب لمن فسرها بعذاب القبر فقط من السلف، وقصرها على

ذلك -والله أعلم- آخر الآية، وأن الله ذكر في آخرها عذاب يوم القيامة.

وبعض المفسرين، يرى أن المعيشة الضنك، عامة في دار الدنيا، بما يصيب المُعْـرِض عن ذكر ربه، من الهموم والغمـوم والآلام، التي هي عذاب مُعَجَّل، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة، لإطلاق المعيشة الضنك، وعدم تقييدها.

﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾ أي: هذا المُعْرِض عن ذِكْرِ ربه ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ البصر على الصحيح، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧].

﴿قَالَ﴾ على وجه الذل والمراجعة والتألم والضجر من هذه الحالة: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ﴾ في دار الدنيا ﴿بَصِيرًا﴾ فما الذي صيرني إلى هذه الحالة البشعة.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ بإعراضك عنها ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ أي: تترك في العذاب. فأجيب، بأن هذا هو عين عملك، والجزاء من جنس العمل، فكما عميت عن ذكر ربك، وعشيت عنه ونسيته ونسيت حظك منه، أعمى الله بصرك في الآخرة، فحشرت إلى النار أعمى، أصم، أبكم، وأعرض عنك، وتركك في العذاب.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: هذا الجزاء ﴿نَجْزِى﴾ به ﴿مَنْ أَسْرَفَ﴾ بأن تعدى الحدود، وارتكب المحارم وجاوز ما أذِنَ له ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾ الدالة على جميع مطالب الإيمان دلالةً واضحةً صريحة، فالله لم يظلمه ولم يضع العقوبة في غير محلها، وإنما السبب إسرافه وعدم إيمانه.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ من عذاب الدنيا أضعافًا مضاعفة ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ لكونه لا ينقطع، بخلاف عذاب الدنيا فإنه منقطع، فالواجب الخوف والحذر من عذاب الآخرة.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن العظيم، والذكر الحكيم. ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ أي: فيه الخير الكثير والعلم الغزير، وهو الذي تستمد منه سائر العلوم، وتستخرج منه البركات، فما من خير إلا وقد دعا إليه ورغب فيه، وذكَر الحكم والمصالح التي تحث عليه، وما من شر إلا وقد نهى عنه وحذر منه، وذكَر الأسباب المنفرة عن فعله وعواقبها الوخيمة ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ فيما يأمر به وينهى، وابنوا أصول دينكم وفروعه عليه ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ الله تعالى أن تخالفوا له أمرًا ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ إن اتبعتموه ﴿تُرْحَمُونَ﴾ فأكبر سبب لنيل رحمة الله ﷻ اتباعُ هذا الكتاب، علمًا وعملًا.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

يخبر تعالى أنه أنزل كتابه على رسوله محمد ﷺ لنفع الخلق، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة وأنواع المعاصي إلى نور العلم والإيمان والأخلاق الحسنة، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي: لا يحصل منهم المراد المحبوب لله، إلا بإرادة من الله ﷻ ومعونة، ففيه حث للعباد على الاستعانة بربهم.

ثم فسر النور الذي يهديهم إليه هذا الكتاب فقال: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي: الموصل إليه وإلى دار كرامته، المشتمل على العلم بالحق والعمل به، وفي ذكر ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ بعد ذكر الصراط الموصل إليه إشارة إلى أن من سلكه فهو عزيز بعز الله قوي ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمود في أموره، حسن العاقبة.

وليدل ذلك على أن صراط الله من أكبر الأدلة على ما لله من صفات الكمال،

ونعوت الجلال، وأن الذي نصبه لعباده، عزيز السلطان، حميد في أقواله وأفعاله وأحكامه، وأنه مَألُوهٌ معبود بالعبادات التي هي منازل الصراط المستقيم، وأنه كما أن له ملك السماوات والأرض خلقًا ورزقًا وتدبيرًا، فله الحكم على عباده بأحكامه الدينية، لأنهم ملكه، ولا يليق به أن يتركهم سدى.

وقال رسُولُ الله ﷺ: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ**» (رواه مسلم).

ألفاظُه كعُقودِ الدُّرِّ ساطعةً — وآيُهُ لظلامِ الجهلِ أقمارُ
رَقَّتْ معانِيهِ إذْ دَقَّتْ لَطَائِفُهُ — فأمْعَنَتْ فيه ألبابٌ وأفكارُ
كفَى بهِ لأولِي الألبابِ تبصرةً — أنْ أنصَفُوا وبِحُكْمِ العقلِ ما جَارُوا
بهِ هدَى اللهُ أقوامًا وأيَّدَهُم — فأصبحُوا وعلَى المنهاجِ قد ساروا

والقرآن حجة عليك إن تركته واتبعت الشيطان أو العقل في معرفة الله ودينه ونبيه ﷺ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج].

أي: ومن الناس طائفة وفرقة، سلكوا طريق الضلال، وجعلوا يجادلون بالباطلِ الحقَّ، يريدون إحقاق الباطل وإبطال الحق، والحال أنهم في غاية الجهل ما عندهم من العلم شيءٌ، وغايةُ ما عندهم، تقليدُ أئمة الضلال، من كل شيطان مريد، متمرد على الله وعلى رسله، معاند لهم، قد شاق الله ورسوله ﷺ، وصار من الأئمة الذين يدعون إلى النار.

﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ﴾ أي: قُدِّر على هذا الشيطان المريد ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي: اتبعه ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ عن الحق، ويجنبه الصراط المستقيم ﴿وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ وهذا نائب إبليس حقا، فإن الله قال عنه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا

﴿يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[فاطر: ٦]. فهـذا الـذي يجـادل في الله ﷻ، قد جمع بين ضلاله بنفسه، وتَصَدِّيه إلى إضلال الناس، وهو متبع، ومقلد لكل شـيطان مريد، ظلمات بعضها فوق بعض، ويدخل في هذا، جمهور أهل الكفر والبدع، فإن أكثرهم مُقَلّدَة، يجادلون بغير علم.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج].

﴿يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ أي: يجادل رسل الله وأتباعهم بالباطل ليدحض به الحق، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ صحيـح ﴿وَلَا هُدًى﴾أي: غيـر متبـع في جداله هـذا من يهديه، لا عقـلٍ مُرشـد، ولا متبـوعٍ مهتـدٍ، ﴿وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ أي: واضح بيـن، أي: فلا لـه حجة عقلية ولا نقلية، إن هي إلا شـبهات، يوحيها إليه الشـيطان، ومع هذا ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ أي: لاوي جانبـه وعنقـه، وهـذا كنايـة عـن كِبْرِه عـن الحق، واحتقـاره للخلـق، فقد فرح بما معه مـن العلم غير النافـع، واحتقر أهل الحق ومـا معهم مـن الحق، ﴿لِيُضِلَّ﴾ النـاس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: ليكون من دعاة الضـلال، ويدخـل تحت هذا جميـع أئمة الكفـر والضلال، ثم ذكـر عقوبتهم الدنيويـة والأخرويـة فقـال: ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي: يفتضـح هـذا في الدنيـا قبـل الآخرة، وهذا مـن آيات الله العجيبـة، فإنك لا تجد داعيًا مـن دعاة الكفر والضـلال، إلا ولـه من المقت بين العالمين، واللعنـة، والبغض، والذم، ما هو حقيق به، وكل بحسب حاله.

﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: نذيقـه حرهـا الشـديد، وسـعيرها البليغ، وذلك بما قدمت يداه، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

والقرآن حجة عليك إن تركته واتبعت الرؤى والأحلام في معرفة الله ودينه ونبيه ﷺ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[النجم:٢٣]. و قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ [النساء:١٥٧]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس: ٣٦].

يَا أَيُّهَا الرجُلُ المُرِيدُ نَجَاتَهُ ... اسْمَعْ مقَالَةَ نَاصِحٍ مِعْوانِ
كُنْ فِي أمُورِكَ كُلِّهَا مُتَمَسِّكًا ... بِالْوَحْيِ لَا بِزَخَارِفِ الهَذَيَانِ
وانْصُرْ كتَابَ اللهِ وَالسّنَنَ الَّتِي ... جَاءَت عَن الْمَبْعُوثِ بالفرقانِ
واحمِلْ بعَزْمِ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ ... مُتَجَرِّدٍ للهِ غيرَ جَبَانِ
واثبُتْ بصبْرِكَ تَحتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى ... فَإذا أصِبْتَ فَفِي رضَى الرَّحْمَنِ
واجعَلْ كتابَ اللهِ والسننَ التِي ... ثبتَتْ سِلاحَكَ ثم صِحْ بجَنَانِ
مَن ذَا يُبَارِزُ فَلْيُقَدِّمْ نفْسَهُ ... أَوْ مَن يُسَابِقْ يَبْدُ فِي المِيْدَانِ
واصْدَعْ بما قَالَ الرسُولُ ولا تَخَفْ ... مِنْ قِلَّةِ الأنصارِ والأعوانِ
فاللهُ ناصِرُ دِينِه وكتَابِه ... واللهُ كافٍ عبدَه بأمانِ



١٠٣-الرجولة

معنى الرجولة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

إن بين الله وبين المؤمنين بيعة، مفادها قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١]. المشتري هو الله، والبائع فيها هو المؤمن، والسلعة هي الأنفس والأموال، والثمن هو الجنة. فالله ﷻ يُعَلّمنا أن الرجال من المؤمنين هم الذين يصدقون الله في بيعتهم، وليس كل المؤمنين رجالًا.

فيا عظْم شوقِي إلى الفاتحينَ ... رجـالِ الشهامةِ والأرْيَحِيَّةْ
ويا عظْم شوقي إلى العاقدينَ ... مع اللهِ تِلكَ العقُودِ الوفِيَّةْ
ويا عظْم شوقِي إلى السابقينَ ... مِن المؤمنين ذوي الأفْضَلِيةْ
سَلُوا المشرقَيْنِ سَلُوا المغربيْنِ ... سَلُوا سائرَ السِّيَرِ العالميةْ
كم استعمرُوا مِن أراضٍ قِفَارٍ ... وكمْ أسعَدُوا مِن شعوبٍ شَقِيَّةْ

من هو الرجل؟

مادة: (رجل) تدل بأصل وضعها في اللغة على طائفة كبيرة من المعاني، غير الذكورة المقابلة للأنوثة في بني الإنسان، تقول العرب في المفاضلة بين الاثنين وتفوُّق أحدهما على صاحبه: «أرْجَل الرجلين»، وللدلالة على القدرة على التصدي للأحداث: «رجل الساعة»، وفي ختام المباهاة بالشرف والثناء تقول: «هو من رجالات قومه».

وعنـد ورودها في القرآن تضيف مع دلالتها على النوع معاني أخرى تسـمو بالنوع إلى السمو والامتياز. استعمل القرآن (رجالًا) وصفًا للمصطفَيْن الأخيار فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم ﴾ [يوسف: ١٠٩].

والوصـف بالرجولة في بعـض المواطن تعريفٌ مقصـودٌ يُوحي بمقومات هذه الصفة من جرأة على الحق ومناصرة للقائمين عليه، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[القصص: ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾[غافر: ٢٨]. قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [يس: ٢٠].

والرجل: هو الذي أخضع ذاته ونفسه لمنهج الله ﷻ، فهمًا وسلوكًا.

قال العلمـاء: الزمن يحوي الليـل والنهار، وجنس الإنسـان يحوي الذكر والأنثـى، ولكل منهما مهمته، فكما أن الليل للسـكنى والهدوء والنهار للكدح والعمـل، فالرجـل بمنزلة النهار، والمـرأة بمنزلة الليل. وقـد جمع بينهما رب العزة سـبحانه، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴾ [الليل].

وقد نهانـا الله ﷻ أن يتمنى الرجلُ أن يكون امرأة، والمرأة أن تكون رجلًا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾ [النساء: ٣٢].

ينهـى المؤمنيـن عـن أن يتمنـى بعضهم مـا فضل الله بـه غيره مـن الأمور الممكنـة وغير الممكنة، فلا تتمنى النسـاء خصائص الرجـال التي بها فضلهم على النسـاء، ولا صاحب الفقر والنقص حالة الغنى والكمال تمنيًا مجردًا لأن

هذا هو الحسـد بعينه، تمنـي نعمة الله على غيرك أن تكون لك ويُسـلَب إياها؛ ولأنه يقتضي السـخط على قدر الله والإخلاد إلى الكسل والأماني الباطلة التي لا يقترن بها عمل ولا كسب.

وإنمـا المحمود أمران: أن يسـعى العبد على حسـب قدرته بمـا ينفعه من مصالحـه الدينيـة والدنيوية، ويسـأل الله تعالى من فضله، فلا يتّكِل على نفسـه ولا على غير ربه؛ ولهـذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ أي: من أعمالهـم المنتجة للمطلـوب، ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ فكل منهم لا يناله غير ما كسبه وتعب فيه، ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي: من جميع مصالحكم في الدين والدنيا، فهذا كمال العبد وعنوان سـعادته لا مَن يترك العمل، أو يتكل علـى نفسـه غيـر مفتقر لربـه، أو يجمع بين الأمريـن فإن هذا مخذول خاسـر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فيعطي مَن يعلمه أهلًا لذلك، ويمنع من يعلمه غير مستحق.

سمات الرجولة:

١- الرجولة صدقٌ للعهد مع الله :

الرجل الحق يصدق في عهده، ويفي بوعده، ويثبت على الطريق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب].

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ أي: وفـوا بـه، وأتمـوه، وأكملوه، فبذلوا مهجهم في مرضاته، وسبَّلوا أنفسهم في طاعته.

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ أي: إرادتـه ومطلوبه، وما عليه من الحق، فقتل في سبيل الله، أو مات مؤديًا لحقه، لم ينقصه شيئًا.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ تكميل ما عليه، فهو شارع في قضاء ما عليه، ووفاء نَحْبه ولما يكمله، وهو في رجاء تكميله، ساع في ذلك، مُجِدّ، ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ كما بدل غيرهم، بل لم يزالوا على العهد، لا يلوون، ولا يتغيرون، فهؤلاء، الرجال على الحقيقة، ومن عداهم، فصورهم صور رجال، وأما الصفات، فقد قصرت عن صفات الرجال.

﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ أي: بسبب صدقهم، في أقوالهم، وأحوالهم، ومعاملتهم مع الله، واستواء ظاهرهم وباطنهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ أي: قدرنا ما قدرنا من هذه الفتن والمحن والزلازل؛ ليتبين الصادق من الكاذب، فيجزي الصادقين بصدقهم ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ الذين تغيرت قلوبهم وأعمالهم، عند حلول الفتن، ولم يَفُوا بما عاهدوا الله عليه، ﴿إِن شَآءَ﴾ تعذيبهم، بأن لم يشأ هدايتهم، بل علم أنهم لا خير فيهم، فلم يوفقهم.

﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بأن يوفقهم للتوبة والإنابة، وهذا هو الغالب، على كرم الكريم، ولهذا ختم الآية باسمين دالين على المغفرة، والفضل، والإحسان فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ غفورًا لذنوب المسرفين على أنفسهم، ولو أكثروا من العصيان، إذا أتوا بالمتاب، ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم، حيث وفقهم للتوبة، ثم قبلها منهم، وستر عليهم ما اجترحوه.

قال أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ؛ لَئِنْ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ».

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَـفَ الْمُسْـلِمُونَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي أَصْحَابَهُ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي الْمُشْـرِكِينَ»، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْـتَقْبَلَهُ سَـعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: «يَا سَـعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ»، قَالَ سَعْدٌ: «فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ».

قَالَ أَنَسٌ بن مالك: «فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَـهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْـرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ».

قَالَ أَنَسٌ: «كُنَّا نُرَى – أَوْ نَظُنُّ – أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْـبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾»، [رواه البخاري ومسلم].

إِنِّـي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ: مَحْمُول عَلَى ظَاهِره، وَأَنَّ اللهُ تَعَالَى أَوْجَدَهُ رِيحهَـا مِنْ مَوْضِع الْمَعْرَكَـة، وَقَدْ ثَبَتَتْ الْأَحَادِيث أَنَّ رِيحهَا تُوجَد مِنْ مَسِـيرَة خَمْسمِائَةِ عَام.

لـنـا أَسْـــوةٌ في رجَـــالٍ مـضَـوْا ... على الدربِ كانوا به شامخينْ
فـهـذا بــلالٌ مـضَـى للجنانِ ... ولم ينحرفْ خشيةَ المشركينْ
وذاك صهيبٌ أخـو المتقينْ ... يـبـيـعُ الـحـيـاةَ فَـيُـربَـح ديـنْ
ومصعبُ يـتـرُكُ عيشَ النعيمْ ... أبَـى أنْ يـظَـلَّ مع المترفينْ
يـعـيـش لينصر ديـنًـا عظيمًا ... ويمضي شهيدًا مع الخالدينْ
مـئـاتُ ألـوفٍ مِـن الصادقينْ ... قضَوْا في ثباتٍ مضَوْا في يقينْ
فـريـقٌ قـضَـى وفـريـقٌ مُقيـمْ ... ومَـا بـدّلـوا بـل بـقُـوْا ثابتينْ
ونـحـن على إثْـرهـم سـائـرونْ ... بـعَـون الإلــه لـنُـصـرة ديـنْ
فـهـذِي الـطـريـقُ طـريـقُ الأبـاةْ ... وهَـــذِي مـعَـالـمُ ديــنٍ متينْ
ومَـن رامَ حقًّا دخُـولَ الجِنَانْ ... وشــاءَ الـعِـنَـاق لـحـورٍ وعِـيـنْ

فـلا بُـدَّ مِـنْ تبعـاتِ الطريق ولابُـدَّ مِـن بـذْلِ مَـهـرٍ ثمينْ

٢- الرجولـة صمـودٌ أمـام المُلْهِيات، واسـتعلاء على المغريـات والذكر الدائم لله ﷻ حذرًا من يوم عصيب:

الرجولـة هـو أن لا تشـغلك الدنيا عن الآخرة، بنص قـول الله تَعَالَىٰ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[النور].

أي: يتعبـد لله ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ عظيمـة فاضلـة، هـي أحـب البقـاع إليه، وهي المسـاجد، ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ﴾ أي: أمر ووصـى ﴿أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ هذان مجمـوع أحكام المسـاجد، فيدخل في رفعهـا، بناؤها، وكنسـها، وتنظيفها من النجاسـة والأذى، وصَوْنهـا مـن المجانين والصبيـان الذيـن لا يتحرزون عن النجاسة، وأن تصان عن اللغو فيها، ورفع الأصوات بغير ذكر الله.

﴿وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ يدخـل في ذلـك الصلاة كلهـا، فرضهـا، ونفلها، وقـراءة القـرآن، والتسـبيح، والتهليـل، وغيره من أنـواع الذكـر، وتعلم العلم وتعليمـه، والمذاكرة فيها، والاعتكاف، وغير ذلـك من العبادات التي تفعل في المسـاجد، ولهذا كانت عمارة المسـاجد على قسـمين: عمارة بنيان، وصيانة لها، وعمارة بذِكْر اسـم الله من الصلاة وغيرها، وهذا أشـرف القسمين، ولهذا شـرعت الصلوات الخمس والجمعة في المسـاجد، وجوبا عنـد أكثر العلماء، أو اسـتحبابا عنـد آخرين. ثم مدح تعالـى عمارها بالعبـادة فقال: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ﴾ إخلاصا ﴿بِٱلۡغُدُوِّ﴾ أولَ النهار ﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾ آخِرَه.

وخـص هذين الوقتين لشـرفهما ولتيسـر السـير فيهما إلى الله وسـهولته.

ويدخـل في ذلـك، التسـبيح في الصلاة وغيرهـا، ولهذا شـرعت أذكار الصباح والمساء وأورادهما عند الصباح والمساء.

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾

﴿رِجَالٌ﴾ أي: يسـبح فيها الله رجال، وأي رجال؟!، ليسـوا ممن يُؤْثِرُ على ربه دنيا، ولا لذات، ولا تجارة ومكاسب، مشغلة عنه، ﴿لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ﴾ وهذا يشـمل كل تكسـب يقصد به العوض، فيكون قوله: ﴿وَلَا بَيۡعٌ﴾ من باب عطف الخـاص على العـام، لكثرة الاشـتغال بالبيع على غيره، فهـؤلاء الرجال، وإن اتجـروا، وباعوا، واشـتروا، فإن ذلك لا محذور فيه؛ لكنـه لا تلهيهم تلك، بأن يقدموها ويؤثروها علـى ﴿ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه.

ولمـا كان ترك الدنيا شـديدًا علـى أكثر النفوس، وحب المكاسـب بأنواع التجـارات محبوبا لها، ويشـق عليها تركه في الغالـب، وتتكلف من تقديم حق الله علـى ذلك، ذكر ما يدعوها إلى ذلـك -ترغيبًا وترهيبًا- فقال: ﴿يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ مـن شـدة هوله وإزعاجه للقلـوب والأبدان، فلذلك خافوا ذلك اليوم، فسهل عليهم العمل، وترك ما يشغل عنه.

﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ أعمالهم الحسـنة الصالحة، لأنها أحسـن ما عملـوا، لأنهم يعملـون المباحات وغيرهـا، فالثواب لا يكـون إلا على العمل الحسـن، كقوله تعَـالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الزمر].

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ زيـادة كثيرة عن الجزاء المقابـل لأعمالهم، ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بـل يعطيـه من الأجر ما لا يبلغه عمله، بل ولا تبلغه أمنيته، ويعطيه من الأجر بلا عَدٍّ ولا كَيْل، وهذا كناية عن كثرته جدًا.

٣- الرجولة طهارةٌ معنوية وطهارةٌ حسية:

﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ ظهـر فيـه الإسـلام في «قبـاء» وهو مسجد «قباء»، أسـس على إخلاص الدين لله، وإقامة ذكره وشعائر دينه، وكان قديمًا في هذا عريقا فيه، فهذا المسـجد الفاضـل ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ وتتعبد، وتذكـر الله تعالى فهو فاضـل، وأهله فضلاء، ولهذا مدحهـم الله بقوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ من الذنوب، ويتطهروا من الأوسـاخ، والنجاسات والأحداث.

ومن المعلوم أن من أحب شـيئًا لا بد أن يسـعى له ويجتهد فيما يحب، فلا بد أنهم كانوا حريصين على التطهر من الذنوب والأوسـاخ والأحداث، ولهذا كانوا ممن سـبق إسـلامه، وكانوا مقيمين للصلاة، محافظيـن على الجهاد، مع رسول الله ﷺ، وإقامة شرائع الدين، وممن كانوا يتحرزون من مخالفة الله ﷻ ورسوله ﷺ.

وعَـنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَـنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «نَزَلَتْ هَـذِهِ الآيَةُ فِى أَهْلِ قُبَاءَ ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ قَالَ: «**كَانُوا يَسْـتَنْجُونَ بِالْمَـاءِ؛ فَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الآيَةُ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ الطهارة المعنوية، كالتنزه من الشرك والأخلاق الرذيلة، والطهارة الحسية كإزالة الأنجاس ورفع الأحداث.

٤- الرجولة نصحٌ لأهل الحق، ودعاة الخير: الرجولة الحقة رأيٌ سـديد، وكلمـة طيبـة، ومروءة وشـهامة، وتعـاون وتضامـن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠].

قيض الله ذلك الرجل الناصح، وبادر إلى الإخبار لموسـى بما اجتمع عليه رَأْيُ مَلَئِهِـم، فقال: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ أي: ركضا على قدميه من نصحـه لموسـى، وخوفـه أن يوقعوا به، قبل أن يشـعر، فـ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ﴾ أي: يتشـاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ عن المدينة، ﴿ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ فامتثل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نصحه.

٥- الرجولة دعوةٌ إلى الله وحرصٌ على النصح للخلق:

الرجولة تحملٌ للمسئولية في الدفاع عن التوحيد والنصح في الله عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس].

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ حرصًا على نصح قومه حين سـمع ما دعت إليه الرسل وآمن به، وعلم ما رَدَّ به قومه عليهم فقال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ فأمرهـم باتباعهم ونصحهم على ذلك، وشـهد لهم بالرسـالة، ثـم ذكـر تأييدًا لما شـهد بـه ودعا إليـه، فقـال: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا ﴾ أي: اتبعـوا مَن نصحكم نصحًا يعود إليكم بالخيـر، وليس يريد منكم أموالكم

ولا أجرا على نصحه لكم وإرشاده إياكم، فهذا موجب لاتباع مَن هذا وَصْفُه.

بقـي أن يقال: فلعله يدعـو ولا يأخذ أجرة، ولكنه ليـس على الحق، فدفع هـذا الاحـتراز بقوله: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ لأنهـم لا يدعون إلا لما يشـهد العقل الصحيح بحسنه، ولا ينهون إلا بما يشهد العقل الصحيح بقبحه.

فـكأن قومـه لم يقبلـوا نصحه، بـل عـادوا لائمين لـه على اتباع الرسـل، وإخـلاص الدين لله وحده، فقال: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: ومـا المانـع لي مـن عبادة من هو المسـتحق للعبـادة، لأنه الـذي فطرني، وخلقنـي، ورزقني، وإليه مآل جميع الخلق، فيجازيهـم بأعمالهم، فالذي بيده الخلـق والرزق، والحكم بين العبـاد، في الدنيا والآخرة، هو الذي يسـتحق أن يعبد، ويثنى عليه ويمجد، دون من لا يملك نفعًا ولا ضرًّا، ولا عطاءً ولا منعًا، ولا حياةً ولا موتًا ولا نشورًا.

ولهذا قـال: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ لأنـه لا أحـد يشـفع عند الله إلا بإذنـه، فلا تغني شفاعتهم عني شيئا، وَلا هُمْ يُنْقذونني من الضر الذي أراده الله بي.

﴿إِنِّىٓ إِذًا﴾ أي: إن عبـدت آلهـة هذا وَصْفُهـا ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فجمع في هـذا الكلام، بين نصحهم، والشـهادة للرسـل بالرسـالة، والاهتـداء والإخبار بِتعيُّن عبادة الله وحده، وذكَر الأدلة عليها، وأن عبادة غيره باطلة، وذكَر البراهين عليها، والإخبار بضلال مَن عبدها، والإعلان بإيمانه جهرًا، مع خوفه الشـديد مـن قتلهم، فقال: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ فقتله قومه، لما سـمعوا منه وراجعهم بما راجعهم به.

فـ ﴿قِيلَ﴾ لـه في الحـال: ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ فقال مخبراً بمـا وصل إليه من الكرامـة علـى توحيده وإخلاصـه، وناصحا لقومـه بعد وفاته، كمـا نصح لهم

في حياتـه: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ أي: بـأي: شـيء غفـر لـي، فـأزال عني أنـواع العقوبـات، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ بأنـواع المثوبات والمسرات، أي: لو وصل علم ذلك إلى قلوبهم، لم يقيموا على شركهم.

هذا الرجل المؤمن وقد اطلع على ما آتاه الله في الجنة من المغفرة والكرامة، يذْكُر قومه طيب القلب رَضِيَّ النفس، يتمنى لو يراه قومه ويرون ما آتاه ربه من الرضى والكرامة، ليعرفوا الحق معرفة اليقين.

وفي قوله هذا تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل، والـترؤف على مـن أدخل نفسـه في غمار الأشـرار وأهل البغي، والتشـمير في تخليصه، والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به، والدعاء عليه، ألا ترى كيف تمنى هذا الرجل المؤمن الخير لقَتَلَتِه، وهم كفرة وعبَدَة أصنام.

لقد نصح قومه حيًّا وميِّتًا.

٦- الرجولة قوةٌ في القول، وصَدْعٌ بالحق، وتحذير من المخالفة من أمر الله مع حرص وفطنة، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [غافر: ٢٨].

٧- الرجولـة نُصرة للدين وإعزاز للدعوة: فقـد كان النبي ﷺ يتطلع إلى الرجولـة التـي تناصره وتعتـز بها دعوته، ويسـألها ربه، فعَنْ ابْـنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْـلَامَ بِأَحَـبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْـنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْـلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ**» قَالَ: «وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

يتطلع إلى معالم الرجولة التي تؤثر في نشر الدعوة وإعزاز الإسلام، وقد كان إسـلام عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حدثًا كبيرًا، وُجدت رجولته في اللحظة الأولى من إسـلامه، فبعد أن كان المسـلمون لا يجرؤون على الجهر بدينهم جهروا به، قال عبدُ اللهِ

ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «مَازِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ» [رواه البخاري].

لم تكن رجولة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوة بدنه، ولا في فروسيته، ففي قريش مَن هو أقوى منه، ولكن رجولته كانت في إيمانه القوي، ونفسه الكبيرة التي تبعث على التقدير والإكبار.

وقد أخرج ابن عساكر وغيره عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما علمت أن أحدًا من المهاجرين هاجر إلا مختفيًا إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هَمّ بالهجرة تقلّد سيفه، وتنكّب قوسه، وأخرج أسهما من كنانته، وجعلها في يديه، واخْتَصَر عَنَزَته، ومضى قِبَل الكعبة والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعًا، ثم أتى المقام فصلّى ركعتين.

ثم وقف على الحِلَق واحدةً واحدةً فقال لهم: «شاهت الوجوه، لا يُرْغِمُ اللهُ إلا هذه المعاطس، مَن أراد أنْ تثْكَلَه أمه، أو يُؤتَّمَ ولَدُه، أو تُرَمَّل زوجتُه فلْيَلْقَنِي وراء هذا الوادي»، فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علّمهم ما أرشدهم إليه، ثم مضى لوجهه، وقد صحبه في هجرته بعض أهله وقومه، كما صحبه بعض المستضعفين ليحتموا به.

(العنزة): العصا، (واختصر عَنَزَته) أي حملها مضمومةً إلى خاصرته.

(شاهت): قبحت. (لا يُرْغِمُ اللهُ): لا يُلْصِق بالرغام وهو التراب. (إلا هذه المعاطس): أي الأنوف.

الرجولة أمنية عمرية:

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومًا لأصحابه: «تَمَنَّوا»، فقال رجل: «أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا، أنفقه في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ»، فقال: «تمنوا»، فقال رجل: «أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤًا وزبرجدًا وجوهرًا أنفقه في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، وأتصدق به»، ثم قال: «تمنوا»، قالوا: «ما ندري ما نقول يا أمير

المؤمنيــن؟»، قال عمــر: «لكني أتمنى لو أن هذه الــدار مملوءة رجالًا مثل أبي عبيدة بنِ الجراح، ومعاذِ بنِ جبلٍ، وسالمٍ مولى أبي حذيفة، فأستعين بهم على إعلاء كلمة الله».

رحــم الله عمــر الملهم، لقــد كان خبيــرًا بما تقــوم به الحضــارات الحقة، وتنهض به الرسالات الكبيرة، وتحيا به الأمم الهامدة.

إن الأمم والرسالات تحتاج إلى المعادن المذخورة، والثروات المنشورة، ولكنها تحتاج قبل ذلك إلى الرؤوس المفكرة التي تســتغلها، والقلوب الكبيرة التي ترعاها والعزائم القوية التي تنفذها: إنها تحتاج إلى الرجال.

لَرَجُــلٌ أعز من كل معدن نفيس، وأغلــى من كل جوهر ثمين، ولذلك كان وجودُه عزيزًا في دنيا الناس. الرجل الكُفء الصالح هو عماد الرسالات، وروح النهضات، ومحور الإصلاح. أعِدَّ ما شــئت من معامل السلاح والذخيرة، فلن تقتل الأسلحة إلا بالرجل المحارب، وضع ما شئت من مناهج للتعليم والتربية فلن يقوم المنهج إلا بالرجل الذي يقوم بتدريســه، وأنشِــئ ما شــئت من لجان فلن تنجز مشروعًا إذا حُرمتَ الرجل الغيور!!

ذلك ما يقوله الواقع الذي لا ريب فيه.

إن القوة ليســت بحد السلاح بقدر ما هي في قلب الجندي، والتربية ليست في صفحات الكتاب بقدر ما هي في روح المعلم، وإنجاز المشروعات ليس في تكوين اللجان بقدر ما هو في حماسة القائمين عليها.

فللــه ما أحكم عمــر حين لم يتمن فضــة ولا ذهبًا، ولا لؤلــؤًا ولا جوهرًا، ولكنــه تمنى رجالًا من الطراز الممتــاز الذين تتفتح على أيديهم كنوز الأرض، وأبواب السماء.

ويضــع عمر البرامــج لتعليــم الرجولة فيقــول: «عَلِّمُــوا أولادكــم الرماية

والسباحة وركوب الخيل، ورؤُّوهم ما يُجَمِّل من الشِّعر».

أيها التاريخُ حَدِّثْ عن رجالٍ عن زمانٍ لم تمُتْ فيه الضمائرْ
هل تَرى يا أمتِي ألقاكِ يومَ تكتُبين لنا من النصْرِ المفاخِرْ
ذلكَ الحُلْمُ الذِي أرجُوه دومًا أنْ أراكِ عزيزةً واللهُ قادرْ



١٠٤- الرجال قوامون على النساء

من سمات الرجولة: القوامة على الأسرة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤].

القيم أي الرئيس، الذي يحكم أهله ويقوم اعوجاجهم إذا اعوجوا، وهو المسؤول عنهم يوم القيامة، قال ﷺ: «**أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» [رواه البخاري ومسلم].

يخبر تعالى في هذه الآية أن الرِّجَالَ ﴿قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموهن بذلك، وقوامون عليهن أيضا بالإنفاق عليهن، والكسوة والمسكن.

ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء فقال: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ أي: بسبب فضل الرجال على النساء وإفضالهم عليهن، فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة: من كون الولايات مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع. وبما خصهم الله به من العقل والرزانة

والصبر والجَلَد الذي ليس للنساء مثله. وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال ويتميزون عن النساء.

ولعل هذا سر قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾ وحذف المفعول ليدل على عموم النفقة، فعلم من هذا كله أن الرجل كالوالي والسيد لامرأته، وهي عنده عانية أسيرة خادمة، فوظيفته أن يقوم بما استرعاه الله به.

ووظيفتها: القيام بطاعة ربها وطاعة زوجها فلهذا قال: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ أي: مطيعات لله تعالى ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ﴾ أي: مطيعات لأزواجهن حتى في الغيب تحفظ بعلها بنفسها وماله، وذلك بحفظ الله لهن وتوفيقه لهن، لا من أنفسهن، فإن النفس أمارة بالسوء، ولكن من توكل على الله كفاه ما أهمه من أمر دينه ودنياه.

ولا يقدح في رجولة الرجل:

١ - أن يعين أهله، سُئِلَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟»، فقَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ» [رواه البخاري].

ومن الأشياء التي ووصفت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بها فِعْلَ رسولِ الله ﷺ في بيته أنه: «كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ، وكَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

(فِي مَهْنَةِ أَهْله) الْمُرَاد بِالْأَهْلِ نَفْسه أَوْ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ، وَهذا الحديث فِيهِ التَّرْغِيب فِي التَّوَاضُع وَتَرْك التَّكَبُّر وَخِدْمَة الرَّجُل أَهْله.

(فلَّى الشَّعرَ أو الثَّوبَ ونحوهما): نقَّاهما من القَمْل وغيره.

(خصَف النَّعْلَ ونحوَها): خاطها بالمِخْصَف، خرزها، أصلحها.

والمِخْصَف: مِخْرَز، أداة لعمل الثُّقوب الصَّغيرة باليد.

(وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ) من الاشتغال بمهنة الأهل والنفس إرشادًا للتواضع وترك التكبر، لأنه ﷺ مُشَرَّفٌ بالوحي والنبوة، ومُكَرَّمٌ بالمعجزات والرسالة، وفي الحديث أن الإمام الأعظم يتولى أموره بنفسه وأنه من دأب الصالحين.

٢- أن يلاطف أهله أو أن يمازحهن:

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، قَالَتْ: «فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: «هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

٣- أن يستشير أهله وأن يأخذ بمشورتهن إذا رأى فيها الصواب:

ومن ذلك ما أشارت به أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على رسول الله ﷺ زمن الحديبية عندما دَخَلَهُمْ أَمْر عَظِيم مِنْ الْمَشَقَّة عَلَى أنفسهم فِي أَمْر الصُّلْح وَرُجُوعهمْ بِغَيْرِ فَتْح، فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا».

قَالَ الراوي: «فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: «يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ»، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا» [رواه البخاري].

وَفِي الحديث فَضْلُ الْمَشُورَة، وَأَنَّ الْفِعْل إِذَا انْضَمَّ إِلَى الْقَوْل كَانَ أَبْلَغَ مِنْ الْقَوْل الْمُجَرَّد، وَجَوَاز مُشَاوَرَة الْمَرْأَة الْفَاضِلَة، وَفَضْل أُمّ سَلَمَة وَوُفُور عَقْلهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ومن ذلك قول بِنْت صاحب مدين فِي أَمْر مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ أي: إحدى ابنتيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ أي: اجعله أجيرًا عندك، يرعى الغنم ويسقيها، ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾أي: إن موسى أولى من استؤجر، فإنه جمع القوة والأمانة، وخير أجير استُؤْجِر، من جمعهما، أي: القوة والقدرة على ما استُؤْجِر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملًا بإجارة أو غيرها.

فإن الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد إحداهما، وأما باجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل، وإنما قالت ذلك، لأنها شاهدت من قوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عند السقي لهما ونشاطه، ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما، وإنما قصده بذلك وجه الله.

الذي يقدح في رجولة الرجل في مجال الأسرة هو:

١ - انعدام غيرته على أهله، ومن مظاهر ذلك:

أ - في أمر لباسها لا يعنيه أن تخرج وأن تكشف عورتها للناس:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» [رواه مسلم].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا الْحَدِيث مِنْ مُعْجِزَات النُّبُوَّة، فَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَصْحَاب السِّيَاط فَهُمْ غِلْمَان وَالِي الشُّرْطَة. وأَمَّا (الْكَاسِيَات) فَفِيهِ أَوْجُه:

أَحَدهَا: مَعْنَاهُ: كَاسِيَات مِنْ نِعْمَة اللهِ، عَارِيَات مِنْ شُكْرهَا.

وَالثَّانِي: كَاسِيَات مِنْ الثِّيَاب، عَارِيَات مِنْ فِعْل الْخَيْر وَالِاهْتِمَام لِآخِرَتِهِنَّ، وَالِاعْتِنَاء بِالطَّاعَاتِ.

وَالثَّالِث: تَكْشِف شَيْئًا مِنْ بَدَنهَا إِظْهَارًا لِجَمَالِهَا، فَهُنَّ كَاسِيَات عَارِيَات.

وَالرَّابِع: يَلْبَسْنَ ثِيَابًا رِقَاقًا تَصِف مَا تَحْتهَا، كَاسِيَات عَارِيَات فِي الْمَعْنَى.

وَأَمَّا (مَائِلَات مُمِيلَات): فَقِيلَ: زَائِغَات عَنْ طَاعَة اللهِ تَعَالَى، وَمَا يَلْزَمهُنَّ مِنْ حِفْظ الْفُرُوج وَغَيْرهَا، وَمُمِيلَات يُعَلِّمْنَ غَيْرهنَّ مِثْل فِعْلهنَّ، وَقِيلَ: مَائِلَات مُتَبَخْتِرَات فِي مِشْيَتهنَّ، مُمِيلَات أَكْتَافهنَّ، وَقِيلَ: مَائِلَات يَتَمَشَّطْنَ الْمِشْطَة الْمَيْلَاء، وَهِيَ مِشْطَة الْبَغَايَا مَعْرُوفَة لَهُنَّ، مُمِيلَات يُمَشِّطْنَ غَيْرهنَّ تِلْك الْمِشْطَة، وَقِيلَ: مَائِلَات إِلَى الرِّجَال مُمِيلَات لَهُمْ بِمَا يُبْدِينَ مِنْ زِينَتهنَّ وَغَيْرهَا.

وَأَمَّا (رُءُوسهنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْت) فَمَعْنَاهُ: يُعَظِّمْنَ رُءُوسهنَّ بِالْخُمُرِ وَالْعَمَائِم وَغَيْرهَا مِمَّا يُلَفّ عَلَى الرَّأْس، حَتَّى تُشْبِه أَسْنِمَة الْإِبِل الْبُخْت، هَذَا هُوَ الْمَشْهُور فِي تَفْسِيره، قَالَ الْمَازِرِيّ: وَيَجُوز أَنْ يَكُون مَعْنَاهُ يَطْمَحْنَ إِلَى الرِّجَال وَلَا يَغْضُضْنَ عَنْهُمْ، وَلَا يُنَكِّسْنَ رُءُوسهنَّ.

وَاخْتَارَ الْقَاضِي أَنَّ الْمَائِلَات تُمَشِّطْنَ الْمِشْطَة الْمَيْلَاء، قَالَ: وَهِيَ ضَفْر الْغَدَائِر وَشَدّهَا إِلَى فَوْق، وَجَمْعهَا فِي وَسَط الرَّأْس فَتَصِير كَأَسْنِمَةِ الْبُخْت، قَالَ: وَهَذَا يَدُلّ عَلَى أَنَّ الْمُرَاد بِالتَّشْبِيهِ بِأَسْنِمَةِ الْبُخْت إِنَّمَا هُوَ لِارْتِفَاعِ الْغَدَائِر فَوْق رُءُوسهنَّ، وَجَمْع عَقَائِصهَا هُنَاكَ، وَتُكْثِرهَا بِمَا يُضَفِّرْنَهُ حَتَّى تَمِيل إِلَى نَاحِيَة مِنْ جَوَانِب الرَّأْس، كَمَا يَمِيل السَّنَام.

قَوْله ﷺ: (لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّة) يُتَأَوَّل تَأْوِيلَيْنِ:

أَحدهمَا: أَنَّهُ مَحْمُول عَلَى مَنْ اِسْتَحَلَّتْ حَرَامًا مِنْ ذَلِكَ مَعَ عِلْمهَا بِتَحْرِيمِهِ، فَتَكُون كَافِرَة مُخَلَّدَة فِي النَّار، لَا تَدْخُل الْجَنَّة أَبَدًا.

وَالثَّانِي: يُحْمَل عَلَى أَنَّهَا لَا تَدْخُلهَا أَوَّل الْأَمْر مَعَ الْفَائِزِينَ».

ب- لا تعنيه الجلسات المختلطة: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: «يَا رَسُولَ اللهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟»، قَالَ: «**الْحَمْوُ الْمَوْتُ**» [رواه البخاري ومسلم].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وَتَقْدِير الْكَلَام اِتَّقُوا أَنْفُسكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا عَلَى النِّسَاء، وَالنِّسَاء أَنْ يَدْخُلْنَ عَلَيْكُمْ... وَتَضَمَّنَ مَنْعُ الدُّخُول مَنْعُ الْخَلْوَة بِهَا بِطَرِيقِ الْأَوْلَى».ا هـ.

الْحَمو أَخُو الزَّوْج، وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ أَقَارِب الزَّوْج: اِبْن الْعَمّ وَنَحْوه.

(الْحَمو الْمَوْت) مَعْنَاهُ أَنَّ الْخَوْف مِنْهُ أَكْثَر مِنْ غَيْره، وَالشَّرّ يُتَوَقَّع مِنْهُ، وَالْفِتْنَة أَكْثَر لِتَمَكُّنِهِ مِنْ الْوُصُول إِلَى الْمَرْأَة وَالْخَلْوَة مِنْ غَيْر أَنْ يُنْكِر عَلَيْهِ، بِخِلَافِ الْأَجْنَبِيّ. وَالْمُرَاد بِالْحَمْوِ هُنَا أَقَارِب الزَّوْج غَيْر آبَائِهِ وَأَبْنَائِهِ، فَأَمَّا الْآبَاء وَالْأَبْنَاء فَمَحَارِم لِزَوْجَتِهِ تَجُوز لَهُمْ الْخَلْوَة بِهَا، وَلَا يُوصَفُونَ بِالْمَوْتِ، وَإِنَّمَا الْمُرَاد الْأَخ، وَابْن الْأَخ، وَالْعَمّ، وَابْنه، وَنَحْوهم مِمَّنْ لَيْسَ بِمَحْرَم، وَعَادَة النَّاس الْمُسَاهَلَة فِيهِ، وَيَخْلُو بِامْرَأَةِ أَخِيهِ، فَهَذَا هُوَ الْمَوْت، وَهُوَ أَوْلَى بِالْمَنْعِ مِنْ الْأَجْنَبِيّ.

لا تأمنَنَّ على النساءِ ولو أخًا ... ما في الرجالِ علَى النساءِ أمينُ
إنّ الأمينَ وإن تحفّظَ جهْدَهُ ... لا بُد أنْ بنَظْرةٍ سيخُونُ

ج- يقدح في رجولة الرجل أن يلقي للزوجة الحبل على الغارب، تخرج متى تشاء، وتعود متى تشاء، ولا يعرف الوجهة التي خرجت إليها، أو أن تسافر بغير محرم.

إن وجود هذه الأمور وعدم انشغال الرجل بها يدل على فقدان الغيرة؛ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ،**

وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالدَّيُّوثُ»، [رواه النسائي وصححه الألباني].

والدَّيُّوثُ هو القَوَّاد على أَهله، والذي لا يَغارُ على أَهله. قال الإمام الماوَرْدِيّ الشافعي رَحِمَهُ اللهُ يُعَرِّف الدَيُّوث: «هو الذي يجمع بين الرجال والنساء، سمي بذلك لأنه يَدُثُّ بينهم».

وجاء في لسان العرب: دَيَّثَ الأَمرَ: لَيَّنَه ودَيَّثَ الطريقَ: وَطَّأَه، وطريقٌ مُدَيَّثٌ أَي مُذَلَّل وقيل: إِذا سُلِكَ حتى وَضَحَ واستبان، ودَيَّثَ البعيرَ: ذلَّلَهُ بعض الذُّلّ، وجَملٌ مُدَيَّثٌ ومُنوَّقٌ إِذا ذُلِّلَ حتى ذَهَبَتْ صُعوبتُه... والدَّيُّوثُ القَوَّاد على أَهله، والذي لا يَغارُ على أَهله: دَيُّوثٌ، والتَّدييثُ: القِيادة، وفي المحكم: الدَّيُّوثُ والدَّيْبُوثُ الذي يدخُل الرجالُ على حُرْمته بحيث يراهم كأَنه لَيَّنَ نفسه على ذلك.

٢- ويقدح في رجولة الرجل أن يُسْلِم قيادة أمره إلى زوجته.

٣- ويقدح في رجولة الرجل أن يقدم محبة أهله على محبة الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[التوبة: ٢٤].

إن محبة الله ورسوله، يتعين تقديمهما على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما فقال: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ ومثلهم الأمهات ﴿وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ في النسب والعشيرة ﴿وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ أي: قراباتكم عموما ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ أي: اكتسبتموها وتعبتم في تحصيلها، خصها بالذكر، لأنها أرغب عند أهلها، وصاحبها أشد حرصا عليها ممن تأتيه الأموال من غير

تعب ولا كَدّ.

﴿وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ أي: رُخْصها ونقصها، وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب من عروض التجارات، من الأثمان، والأواني، والأسلحة، والأمتعة، والحبوب، والحروث، والأنعام، وغير ذلك.

﴿وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾ من حُسنها وزخرفتها وموافقتها لأهوائكم، فإن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ فأنتم فسقة ظلمة.

﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أي: انتظروا ما يحل بكم من العقاب ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ الذي لا مرد له، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ أي: الخارجين عن طاعة الله، المقدمين على محبة الله شيئا من المذكورات.

وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله ﷺ، وجهاد في سبيله.

وعلامة ذلك، أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه الله ورسوله ﷺ، وليس لنفسه فيه هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُفَوِّتُ عليه محبوبًا لله ورسوله ﷺ، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه على ما يحبه الله دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه.

عوامل شرعية لتنمية الرّجولة في شخصية الطّفل:

١ - التكْنِية: أي مناداة الصغير بأبي فلان أو الصغيرةِ بأمّ فلان، فهذا ينمّي الإحساس بالمسئولية، ويُشعر الطّفل بأنّه أكبر من سنّه فيزداد نضجه، ويرتقي بشعوره عن مستوى الطفولة المعتاد، ويحسّ بمشابهته للكبار، وقد كان النبي ﷺ

يكنّـي الصّغـار؛ فعَـنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَـال: «كَانَ النَّبِيُّ أَحْسَـنَ النَّاسِ خُلُقًـا، وَكَانَ لِـي أَخٌ يُقَـالُ لَهُ أَبُـو عُمَيْرٍ، وَكَانَ إِذَا جَـاءَ قَالَ: «**يَا أَبَـا عُمَيْرٍ، مَا فَعَـلَ النُّغَيْرُ؟**» [رواه البخاري].

(النّغَيْر): طَائِر مَعْرُوف يُشْبِه الْعُصْفُور.

وعَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ قالت: أُتِيَ النَّبِيُّ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ فَقَـالَ: «مَـنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُـوَ هَذِهِ؟» فَسَـكَتَ الْقَـوْمُ، قَالَ: «**ائْتُونِي بِـأُمِّ خَالِدٍ**»، فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَلُ فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَـهَا وَقَالَ: «**أَبْلِي وَأَخْلِقِي**»، وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ فَقَالَ: «**يَا أُمَّ خَالِدٍ، هَذَا سَـنَاه**»، وَسَـنَاه بِالْحَبَشِـيَّةِ حَسَـنٌ. [رواه البخاري].

(الخميصـة) ثوب مـن حرير. (فَأُتِـيَ بِهَا تُحْمَـلُ): وفيه إشـارة إلى صغر سنّها.

(أَبْلِـي) من أبليت الثـوب إذا جعلته عتيقـا، و(أخلقي) بمعنـاه، والمعنى عيشي وخرقي ثيابك وارقعيها وهكذا.

٢- ومما ينمي الرجولة في شخصية الطفل: أخذه للمجامع العامة وإجلاسُه مـع الكبار؛ وهذا مما يلقّح فهمه ويزيد في عقلـه، ويحمله على محاكاة الكبار، ويرفعـه عن الاسـتغراق في اللهو واللعب، وكـذا كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يصحبون أولادهم إلى مجلس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ومـن ذلك: مـا جاء عن مُعَاوِيَةَ بْنِ قُـرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَـالَ: كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَـسَ يَجْلِسُ إِلَيْـهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِـهِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيـرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْـرِهِ فَيُقْعِدُهُ بَيْنَ يَدَيْـهِ فَهَلَكَ، فَامْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْضُرَ الْحَلْقَةَ لِذِكْرِ ابْنِهِ فَحَزِنَ عَلَيْـهِ، فَفَقَـدَهُ النَّبِـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**مَا لِـى لاَ أَرَى فُلاَنًا؟**». قَالُوا: «يَا رَسُـولَ اللهِ، بُنَيُّـهُ الَّذِى رَأَيْتَهُ هَلَكَ»، فَلَقِيَهُ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَسَـأَلَهُ عَنْ بُنَيِّهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَكَ فَعَزَّاهُ

عَلَيْـهِ، ثُـمَّ قَالَ: «**يَا فُلاَنُ أَيُّمَـا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمْـرَكَ أَوْ لاَ تَأْتِى غَدًا إِلَـى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلاَّ وَجَدْتَهُ قَدْ سَـبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُـهُ لَكَ**»، قَالَ: «يَا نَبِىَّ اللهِ بَـلْ يَسْـبِقُنِى إِلَى بَابِ الْجَنَّـةِ فَيَفْتَحُهَا لِى لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ»، قَـالَ «**فَذَاكَ لَكَ**».

[رواه النسائي، وصححه الألباني].

٣- ومما ينمي الرجولة في شخصية الأطفال: تحديثهم عن بطولات السابقين واللاحقيـن والمعارك الإسـلامية وانتصارات المسـلمين؛ لتعظم الشـجاعة في نفوسهم، وهي من أهم صفات الرجولة، وروى ابن المبارك في الجهاد عن هشام بـن عروة عن أبيه عـن عبد الله بن الزبير أنه كان مع أبيه يـوم اليرموك، فلما انهزم المشـركون حمل فجعل يُجْهِز على جرحاهم، (يُجهز) أي يُكمل قَتْل من وجده مجروحًا، وهذا مما يدل على قوة قلبه وشجاعته من صغره.

٤- ومما ينمي الرجولة في شخصية الطفل: تعليمه الأدب مع الكبار، ومن ذلـك مـا رواه أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**يُسَـلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، والْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، والْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ**» [رواه البخاري].

٥- ومما ينمي الرجولة في شـخصية الطفل: إعطاء الصغير قدره وقيمته في المجالس، ومما يوضّح ذلك حديث سَـهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم بِقَدَحٍ فَشَـرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ، وَالأَشْـيَاخُ عَنْ يَسَـارِهِ فَقَالَ: «**يَـا غُلامُ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأشْـيَاخَ؟**»، قَـال: «مَا كُنْتُ لِأُوثِـرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا، يَا رَسُولَ اللهِ»، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. [رواه البخاري].

٥- ومما ينمي الرجولة في شخصية الطفل: تعليمهم الرياضات الرجولية؛ كالرماية والسـباحة وركوب الخيل، وجاء عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَـهْلٍ قَالَ: «كَتَبَ عُمَـرُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْـنِ الْجَرَّاحِ أَنْ عَلِّمُوا غِلْمَانَكُمْ الْعَـوْمَ وَمُقَاتِلَتَكُمُ الرَّمْيَ».

[رواه الإمام أحمد في المسند، وحسنه الأرنؤوط].

٦- ومما ينمي الرجولة في شخصية الطفل: تجنيبه أسباب الميوعة والتخنث؛ فيمنعه وليّه من رقص كرقص النساء، وتمايل كتمايلهن، ومشطة كمشطتهن، ويمنعه من لبس الحرير والذّهب ونحو ذلك مما يخص النساء.

٧- ومما ينمي الرجولة في شخصية الطفل: تجنب إهانته خاصَّةً أمام الآخرين، وعدم احتقار أفكاره، وتشجيعه على المشاركة، وإعطاؤه قدره وإشْعَاره بأهميته، وذلك يكون بأمور مثل:

٨- إلقاء السّلام عليه، وقد جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ عَلَى غِلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِم. [رواه مسلم].

٩- ومثل استشارته وأخذ رأيه، وأيضًا توليته مسئوليات تناسب سِنّه وقدراته وكذلك استكتامه الأسرار، ويصلح مثالًا لذلك حديث أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: «مَا حَبَسَكَ؟»، قُلْتُ: «بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ لِحَاجَةٍ». قَالَتْ: «مَا حَاجَتُهُ؟»، قُلْتُ: «إِنَّهَا سِرٌّ»، قَالَتْ: «لا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدًا». [رواه مسلم].

وفي رواية عن أَنَس رضي الله عنه قال: «انْتَهَى إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ وَأَنَا غُلامٌ فِي الْغِلْمَانِ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَار- أَوْ قَالَ إِلَى جِدَار - حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ»، [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

وعن ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «كُنْتُ غُلامًا أَسْعَى مَعَ الْغِلْمَانِ فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِنَبِيِّ الله ﷺ خَلْفِي مُقْبِلًا فَقُلْتُ: «مَا جَاءَ نَبِيُّ اللهِ إِلا إِلَيَّ»، فَسَعَيْتُ حَتَّى أَخْتَبِئَ وَرَاءَ بَابِ دَار، فَلَمْ أَشْعُرْ حَتَّى تَنَاوَلَنِي فَأَخَذَ بِقَفَايَ فَحَطَأَنِي حَطْأَةً فَقَالَ: «اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ»، قَالَ: وَكَانَ كَاتِبَهُ فَسَعَيْتُ فَأَتَيْتُ مُعَاوِيَةَ فَقُلْتُ: «أَجِبْ نَبِيَّ اللهِ فَإِنَّهُ عَلَى حَاجَةٍ» [رواه الإمام أحمد في المُسند وصححه الذهبي، وحسنه الأرنؤوط].

(حَطَأَنِـي حَطْأَة):هُـوَ الضَّـرْب بِالْيَـدِ مَبْسُـوطَة بَيْـن الْكَتِفَيْنِ، وَإِنَّمَـا فَعَلَ النبي ﷺ هَذَا بِابْنِ عَبَّاس مُلَاطَفَة وَتَأْنِيسًا.

١٠- تعليمه الجرأة في مواضعها ويدخل في ذلك تدريبه على الخطابة.

١١- الاهتمام بالحشـمة في ملابسـه وتجنيبه الميوعـة في الأزياء وقصّات الشّعر والحركات والمشي، وتجنيبه لبس الحرير الذي هو من طبائع النساء.

١٢- إبعاده عن التّرف وحياة الدّعة والكسل والرّاحة والبطالة.

١٣- تجنيبـه مجالـس اللهـو والباطـل والغناء والموسـيقى؛ فإنها منافية للرّجولة ومناقضة لصفة الجِدّ.

علّمُوهم حُبَّ الرسولِ تفُوزُوا ... إنّـما الـحُـبُّ نِـعـمـةٌ تتسامَى
أدِّبُـوهـم وبـالـتُّـقى زوِّدُوهـم ... إنّ تقوى الإلـهِ تنفِي السِّقامَا
أيُّهَا المصلحونَ يا مَن رعَيْتُم ... فـلـذاتِ الأكـبـادِ والأيـتـامَـا
أنـقِـذوا الـنـشءَ إنَّ في شَـقْـوةِ ... الـنشءِ شقـاءً وذلـةً وانهـزامَـا
حَصِّنُوه بالعِلْم والخُلُقِ دومًا ... وامـنـحـوهُ رعـايـةً واحـترامَـا
ينشأُ الطِّفلُ مثلما عَـوَّدُوهُ كُلُّ ... مَـن ألْـهِـمَ الـصـوابَ استقامَا



١٠٥- موازين الرجولة

انقلاب الموازين:

قد أعلمنا رسول الله ﷺ بانقلاب المقاييس، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**»، قِيلَ: «وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟» قَالَ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**». [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

وفي رواية: «**السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**»، [رواه الإمام أحمد في المسند، وحسنه الأرنؤوط]. وفي رواية: «**الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**» [رواه الإمام أحمد في المسند، وحسنه الأرنؤوط].

(سَنَوَاتٌ) جَمْعُ سَنَةٍ، (خَدَّاعَاتٌ) الخداع: المكر والحيلة، وإضافة الخداعات إلى السنوات مجازية، والمراد أهل السنوات. وقِيل: سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ: أي تكثر فيها الأمطار ويقل الريع فذلك خداعها؛ لأنها تُطَمِّعُهم في الخصب بالمطر ثم تُخلف، وقيل الخداعة: القليلة المطر من خدع الريق إذا جف. (الرُّوَيْبِضَةُ) تضغير رابضة، وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور وقعد عن طلبها، وَالتَّافِهُ: الْحَقِيرُ الْيَسِيرُ، أَيْ: قَلِيلُ الْعِلْمِ».

ونحن في زمن اختلطت فيه بعض المفاهيم على كثير من الناس فانخدعوا بأبواق الإعلام العلماني الفاسد، وصار - عند هؤلاء المخدوعين - بعض الحقِّ باطلًا وبعض الباطلِ حقًّا.

ومما يدل على اختلال موازين الناس في الحكم على الرجال ما أخبر به

رسـول الله ﷺ من رَفْعِ الْأَمَانَةِ وَالْإِيمَانِ مِنْ بَعْضِ الْقُلُوبِ ثم قال ﷺ: «... **فَيُصْبِـحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُـؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: «إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُـلًا أَمِينًـا»، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: «مَـا أَجْلَدَهُ، مَا أَظْرَفَهُ، مَا أَعْقَلَـهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»** [رواه البخاري ومسلم].

الميزان الحقيقي للرجولة:

الرجولـة مطلـب يسـعى للتجمـل بخصائصهـا أصحاب الهمم، ويسـمو بمعانيهـا الرجـال الجـادون، وهـي صفة أساسـية، فالنـاس إذا فقـدوا أخلاق الرجولة صاروا أشـباه الرجال، غثاءً كغثاء السيل. الرجولة تُرسَّخ بعقيدة قوية، وتهذَّب بتربية صحيحة، وتنمَّى بقدوة حسـنة. ميـزان الرجولة عند عامة الناس هـو ميزان مادي فقط، فمـن كان جميل المظهر مكتمل القـوى كثير المال فهو الرجل الطيب، ولكن ميزان الرجال في شريعة الإسلام من كانت أعماله فاضلة، وأخلاقه حسنة.

عَنْ سَـهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّـاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟**»، فَقَالَ: «رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَـفَعَ أَنْ يُشَـفَّعَ»، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟**» فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**» [رواه البخاري].

(أَشْـرَافُ النَّاس) وُجَهَاؤُهم وأغنياؤُهم. (حَرِيّ) جديرٌ ولائقٌ. (لا يُشَفَّع) لا يلتفت إليه. (هَذَا) أَيِ الْفَقِيرُ (خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا) أَيِ الْغَنِيُّ.

كَم فِي التُرابِ إِذا فَتَّشتَ عَن رَجُلٍ مَن ماتَ بِالعَهدِ أَو مَن ماتَ بِالقَسَمِ
لَولا مَواهِبُ فِي بَعضِ الأَنامِ لَما تَفاوَتَ الناسُ فِي الأَقدارِ وَالقِيَمِ

أوزان الرجال:

إن رجـلًا واحدًا قد يسـاوي مائة، ورجلًا قـد يوازي ألفًـا، ورجلًا قد يزن شـعبًا بأسْـره، وقد قيل: «رجل ذو همة يحيي أمة». وكبيرو الهمة يتسابقون إلى المكارم، لا يَكَلُّون، ولا يَمَلُّون، ولا يقنطون، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿**وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ**﴾ [الحجر: ٥٦].

وجَدَ القنوطُ إلى الرجَالِ سبيلَه وإليك لم يجدِ القنوطُ سبيلَا
ولَـرُبَّ فَـردٍ في سُـمُـوِّ فِعَالِه وعُـلُـوِّه خُـلُـقًا يُـعـادِلُ جيلَا

وهـم في الناس كالعملة النادرة، يصدق عليهم قول رسـول الله ﷺ: «**إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ المِائَةِ، لاَ تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً**» [رواه البخاري]، ورواه مسلم بلفظ: «**تَجِدُونَ النَّاسَ كَإِبِلٍ مِائَةٍ، لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً**».

قَـالَ الْخَطَّابِـيُّ: تَأَوَّلُوا هَـذَا الْحَدِيث عَلَى وَجْهَيْـنِ: أَحَدهمَـا: أَنَّ النَّاس فِي أَحْـكَامِ الدِّينِ سَـوَاءٌ لَا فَضْلَ فِيهَا لِشَـرِيفٍ عَلَى مَشْـرُوفٍ وَلَا لِرَفِيـعٍ عَلَى وَضِيعٍ كَالإِبِـلِ الْمِائَـةِ الَّتِي لَا يَكُونُ فِيهَا رَاحِلَةٌ وَهِيَ الَّتِي تُرَحَّـلُ لِتُرْكَبَ، وَالرَّاحِلَةُ فَاعِلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ أَيْ كُلّهَا حَمُولَةٌ تَصْلُحُ لِلْحَمْلِ وَلَا تَصْلُح لِلرَّحْلِ وَالرُّكُوب عَلَيْهَا.

وَالثَّانِـي: أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ أَهْل نَقْصٍ: وَأَمَّا أَهْلُ الْفَضْـلِ فَعَدَدُهُمْ قَلِيلٌ جِدًّا، فَهُـمْ بِمَنْزِلَـةِ الرَّاحِلَةِ فِي الْإِبِـلِ الْحَمُولَةِ، وَمِنْـهُ قَوْله **تَعَـالَىٰ:** ﴿**وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.

وَقَـالَ الْقُرْطُبِـيّ: «الَّـذِي يُنَاسِـبُ التَّمْثِيـلَ أَنَّ الرَّجُل الْجَوَادَ الَّـذِي يَحْمِل أَثْقَـال النَّاس وَالْحُمَـالَات عَنْهُمْ وَيَكْشِـف كُرَبَهُمْ عَزِيزُ الْوُجُـودِ كَالرَّاحِلَةِ فِي الْإِبِلِ الْكَثِيرَةِ».

وَقَالَ اِبْن بَطَّال: «مَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ النَّاس كَثِيرٌ وَالْمَرْضِيَّ مِنْهُمْ قَلِيلٌ».

وهم في الناس ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين:

وقد كانوا إذا عُدُّوا قليلًا فقد صاروا أعَزَّ من القليل.

الواحد منهم بأمة، والفرد منهم بألف:

يُعَدُّ بألْفٍ من رجالِ زمانِه لكِنَّه في الألمعيةِ واحدُ

وقال آخر:

ولم أرَ أمثالَ الرجال تفاوتًا إلى المجد حتى عُدَّ ألفٌ بواحدِ

ولذا عظمت المصيبة بفقدهم، وعمت الرزية بموتهم:

تَعَلَّمْ ما الرَّزِيَّةُ فَقْدُ مالٍ ولا شاةٌ تموتُ ولا بعيرُ

ولكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ حُرٍّ يموتُ بموْتِهِ بشَرٌ كثيرُ

قال بعض السلف: «موت العالِم ثُلْمَةٌ في الإسلام، لا يسدها شيءٌ».

لما حاصر خالد بن الوليد (الحيرة) طلب من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مددًا، فما أمده إلا برجل واحد هو القعقاع بن عمرو التميمي وقال: «لا يهزم جيش فيه مثله»، وكان يقول: لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل».

ولما طلب عمرو بن العاص المدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في فتح مصر كتب إليه: «أما بعد: فإني أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف: رجل منهم مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد».

وقال أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن على الباقرُ: «لكل قوم نجيبةٌ، وإن نجيبة بني أمية عمر بن عبد العزيز، إنه يُبْعَث أمَةً وَحْدَهُ».

أَعِيدُوا مَجْدَنا دُنْيا ودِينَا وذُودُوا عن تُراثِ المُسْلِمِينَا

فمنْ يَعْنُو لغيرِ اللهِ فينَا ونحنُ بَنُو الغُزاةِ الفاتحِينَا

مَلَكْنا الأمرَ فوق الأرضِ دَهْرًا ... وخَلَّدْنَا علَى الأيَّامِ ذِكْرَى
أنَّى عُمَرٌ فأنسَى عدلَ كِسْرَى ... كذلك كانَ عَهْدُ الرَّاشِدِينا
جَبَيْنا السُّحْبَ في عَهْدِ الرَّشيدِ ... وباتَ النَّاسُ في عيشٍ رغيدِ
وطَوَّقت العَوارفُ كلَّ جِيدِ ... وكان شِعارُنا رِفْقًا ولِينًا
سَلُوا بغدادَ والإسلامُ دِينُ ... أكانَ لها على الدُّنيا قَرينُ
رِجالٌ للحوادِثِ لاَ تَلينُ ... وعِلْمٌ أيَّدَ الفَتْحَ المُبِينا

ولما صافَّ قتيبةُ بن مسلم للترك، وهالَهَ أمْرُهم، سأل عن محمد بن واسع، فقيل: «هو ذاك في الميمنة جامح على قوسه، يبصبصُ بأصبعه نحوَ السماء».

قال: «تلك الأصبعُ أحبُّ إليَّ من مائة ألف سيف شهير، وشاب طرير».

(بَصْبَصَ في دعائه): رفع سبابتيه إلى السماء وحركهما.

(شهَر السّيفَ، أشهَر السّيفَ): سلَّه من غمده ورفَعه.

(ورَجُلٌ طَرِيرٌ): ذُو هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ وجَمالٍ، وقِيلَ: هُوَ المُسْتَقْبِلُ الشَّباب. والطَّرُّ: طُلُوعُ النَّبْتِ والشارِبِ.

وقد يقرن ذو الهمة بالعجائب، بل يوفى عليها:

قال يحيى بن معين إمام المحدثين: «رأيت بمصر ثلاث عجائب: النيل، والأهرام، وسعيد بن عفير».

وهو الإمام الحافظ العلامة الأخباري الثقة أبو عثمان المصري كان من بحور العلم، وحسبك أن ينبهر به يحيى بن معين!

وسئل ابن المبارك عن الجماعة؟ فقال: «أبو بكر وعمر»، فقيل له: «قد مات أبو بكر وعمر»، قال: «فلانٌ وفلان»، قيل: «قد مات فلانٌ وفلان؟»، قال ابن المبارك: «أبو حمزة السكري جماعة».

نساء أرجل من كثير من الرجال:

١- صفية بنت عبد المطلب الهاشـمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هي عمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وشقيقة أسـد الله حمزة، وأم حواري رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الزبير بن العوام، والعوام زوجها هو أخو سـيدة النساء خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأمها من بني زُهرة وهي هالة بنت وهب خالةُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي من المهاجرات الأوَل.

رُوِيَ أن رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لما خرج إلى الخندق جعل نساءه في حصن يقال له فارع، فجاء يهودي فرَقِيَ في الحصن فلصق بالحصن ليسمع، فأخذَتْ صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عمـودًا فنزلتْ إليه حتى فتحت الباب قليـلًا قليلًا، فحملت عليه فضربَتْه بالعمود فقتَلَتْه حتى قطعَتْ رأسـه، فأخذَتْ رأسه فرمتْ به على اليهود، فقالوا: «قـد علمنـا أن محمدًا لم يترك أهله خلوا ليس معهـم أحد» فتفرقوا، وهي أول امرأة قتلت رجلًا من المشركين.

٢- وشـهدت أسـماء بنت يزيـد موقعة اليرموك وقتلت سـبعة مـن الروم بعمود فسطاط ظلتها؛ عَنْ مُحَمَّدِ بن مُهَاجِرٍ، وَعَمْرِو بن مُهَاجِر ، عَنْ أَبِيهِمَا، أَنَّ أَسْـمَاءَ بنتَ يَزِيدَ بن السَّكَنِ بنتَ عَمِّ مُعَاذِ بن جَبَلٍ قَتَلَتْ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ تِسْعَةً مِنَ الرُّومِ بِعَمُودِ فُسْـطَاطِهَا. [رواه سعيد بن منصور في سننه، والطبراني في (المعجم الكبير)، وحسنه الألباني].

والقصة ليسـت دليلًا على جواز اختلاط الرجال بالنساء؛ لأنه لا يُفهم منها أن أسـماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قاتلت مـع الرجال وبحضرتهم، بل ظاهرها أنها قتلت السـبعة المذكورين لما جاؤوا إلى خيمتها أو اقتربوا منها. وشتان بين خروج المرأة مع محارمها ودفاعها عن نفسـها عند مهاجمة خيمتها، وبين الاختلاط في الدراسة أوالعمل لساعات بدون محرم ولا ضرورة.

ولَـوْ كـانَ النّسَـاءُ كمَنْ ذكَرْنا لفُضّلَتِ النّساءُ على الرّجالِ
فما التأنيثُ لاسمِ الشّمسِ عَيبٌ ولا التّذكيرُ فَخْرٌ للهِلالِ

ما الرجل الذي نريد؟

هـل هو كل من طَرَّ شـاربه، ونبتت لحيتـه من بني الإنسـان؟ إذن فما أكثر الرجال!

إن الرجولة ليست بالسن المتقدمة، فكم من شيخ في سن السبعين وقلبه في سن السابعة، يفرح بالتافه، ويبكي على الحقير، ويتطلع إلى ما ليس له، ويقبض على ما في يده قبض الشـحيح حتى لا يشـركه غيره، فهو طفل صغير، ولكنه ذو لحية وشارب.

وكم من غلام في مقتبل العمر، ولكنك ترى الرجولة المبكرة في قوله وعمله وتفكيره وخلقه.

مر عمر على ثلة مـن الصبيان يلعبون فهرولوا، وبقي صبي مفرد في مكانه، هو عبد الله بن الزبير، فسـأله عمر: «لِمَ لَـمْ تعْدُ مع أصحابك؟»، فقال: «يا أمير المؤمنين لم أقترف ذنبًا فأخافك، ولم تكن الطريق ضيقةً فأوسعها لك».

أولئـك هـم الصغار الكبـار، وفي دنيانـا ما أكثـر الكبار الصغار؟ وليسـت الرجولـة ببسـطة الجسـم، وطولِ القامـة، وقوةِ البنيـة، فقد قـال الله عن طائفة مـن المنافقيـن: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقـون: ٤] ومـع هـذا فهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤].

عَـنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُـولِ اللهِ ﷺ قَـالَ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»، وَقَالَ: **اقْرَءُوا**: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] [رواه البخاري ومسلم].

وعَـنِ ابْـنِ مَسْـعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّـهُ كَانَ يَجْتَنِـي سِـوَاكًا مِـنْ الْأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيـقَ

السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتْ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟»، قَالُوا: «يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ»، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

ليست الرجولة بالسن ولا بالجسم ولا بالمال ولا بالجاه، وإنما الرجولة قوة نفسية تحمل صاحبها على معالي الأمور، وتبعده عن سفسافها، قوةٌ تجعله كبيرًا في صغره، غنيًا في فقره، قويًا في ضعفه، قوةٌ تحمله على أن يعطي قبل أن يأخذ، وأن يؤدي واجبه قبل أن يطلب حقه، يعرف واجبه نحو نفسه، ونحو ربه، ونحو بيته، ودينه، وأمته. الرجولة بإيجاز هي قوة الخُلُق وخُلُق القوة.

إن خير ما تقوم به دولة لشعبها، وأعظم ما يقوم عليه منهج تعليمي، وأفضل ما تتعاون عليه أدوات التوجيه كلها من صحافة وإذاعة، ومسجد ومدرسة، هو صناعة هذه الرجولة، وتربية هذا الطراز من الرجال.

ولن تترعرع الرجولة الفارعة، ويتربى الرجال الصالحون، إلا في ظلال العقائد الراسخة، والفضائل الثابتة، والمعايير الأصيلة، والتقاليد المرعية، والحقوق المكفولة. أما في ظلام الشك المحطم، والإلحاد الكافر والانحلال السافر، والحرمان القاتل، فلن توجد رجولة صحيحة، كما لا ينمو الغرس إذا حرم الماء والهواء والضياء.

ولم تر الدنيا الرجولة في أجلى صورها وأكمل معانيها كما رأتها في تلك النماذج الكريمة التي صنعها الإسلام على يد رسوله العظيم ﷺ، من رجال يكثرون عند الفزع، ويقلون عند الطمع، لا يغريهم الوعد، ولا يلينهم الوعيد، لا يغرهم النصر، ولا تحطمهم الهزيمة.

أما اليوم، وقد أفسد الاستعمار جو المسلمين بغازاته السامة الخانقة من إلحاد وإباحية، فقلما ترى إلا أشباه الرجال، ولا رجال.

تُعجِبنا وتُؤلمنا كلمة لرجل درس تعاليم الإسلام السمحة الشاملة فقال في إعجاب مرير: «يا له من دين لو كان له رجال»!! وهذا الدين الذي يشكو قلة الرجال يضم ما يزيد على ألف مليار مسلم، ينتسبون إليه، ويحسبون عليه.

وماذا يغني عن الإسلام رجال أَهَمَّتْهم أنفسُهم، وحكمَتْهم شهواتُهم، وسَيَّرَتْهم مصالحُهم، فلا وثقوا بأنفسهم، ولا اعتمدوا على ربهم، رجال يجمعهم الطمع، ويفرقهم الخوف، أو كما قيل: يجمعهم مزمار وتفرقهم عصا!

أما والله لو ظفر الإسلام في كل ألف من أبنائه برجل واحد فيه خصائص الرجولة، لكان ذلك خيرًا له وأجدى عليه من هذه الجماهير المكدسة التي لا يهابها عدو ولا ينتصر بها صديق. إن الرجل الواحد قد ينقذ الموقف بمفرده بما حباه الله من الخصائص الإيمانية والمواقف الرجولية التي ربما عملها بمفرده.

ضلع الديْن وقهر الرجال:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ وَالبُخْلِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

وفي رواية: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

(مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ) الْحَزَنُ خُشُونَةٌ فِي النَّفْسِ لِحُصُولِ غَمٍّ، وَالْهَمُّ حُزْنٌ يُذِيبُ الْإِنْسَانَ فَهُوَ أَخَصُّ مِنْ الْحَزَنِ، وَقِيلَ: هُوَ بِالْآتِي وَالْحَزَنُ بِالْمَاضِي وَقِيلَ: هُمَا بِمَعْنًى.

(وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ) الْعَجْزُ هُوَ عَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى الْخَيْرِ وَقِيلَ هُوَ تَرْكُ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ وَالتَّسْوِيفُ بِهِ. أَمَّا الْكَسَلُ فَهُوَ عَدَمُ انْبِعَاثِ النَّفْسِ لِلْخَيْرِ وَقِلَّةُ الرَّغْبَةِ مَعَ إِمْكَانِهِ.

(وَالْبُخْلِ) ضِدُّ السَّخَاوَةِ. (وَضَلَعِ الدَّيْنِ) ثِقَلُ الدَّيْنِ وَشِدَّتُهُ وَذَلِكَ حَيْثُ لَا يَجِدُ مَنْ عَلَيْهِ الدَّيْنُ وَفَاءً وَلَا سِيَّمَا مَعَ الْمُطَالَبَةِ، وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «مَا دَخَلَ هَمُّ الدَّيْنِ قَلْبًا إِلَّا أَذْهَبَ مِنْ الْعَقْلِ مَا لَا يَعُودُ إِلَيْهِ».

(وَقَهْرِ الرِّجَالِ) (وَغَلَبَة الرِّجَال): أَيْ قَهْرهمْ وَشِدَّة تَسَلُّطهمْ عَلَيْهِ. وَالْمُرَاد بِالرِّجَالِ الظَّلَمَة أَوْ الدَّائِنُونَ.

إن كثيرًا من الناس والأثرياء والمؤسسات وأصحاب الملايين لم يُخرجوا حق الفقير من أموالهم، والله لحكمة جعل الناس القلة أغنياء، والكثرة فقراء ثم امتحن الأغنياء بأموالهم، لأن الأموال لله، فمنهم من يبخل فلا يُخرج حق الفقير في مال الغني إنما يأكله، وهنا يتسبب عدم إخراجه للزكاة أن يستدين الفقير من أجل ضروريات الحياة، وهُنا يتعرض لغلبة الدين وقهر الرجال، والمؤسسات المُدينة التي تُطارده بالأقساط وترهقه، ثم قلة وعي الناس اليوم والتقليد الأعمى الذي عليه بعضهم، وحُب الظهور والتظاهر بأنهم أغنياء وهم ليسوا أغنياء، يقلدونهم فيرهقون أنفسهم.

فكم من إنسان عنده سيارةٌ متواضعة تقضي حاجته وتوصله حيث يريد لكنه رأى جارًا له قد اشترى سيارة جديدة أو أخًا له أو قريبًا فقالت له زوجته: «نُريد سيارة جديدة»، فلم يملك أن يقول لها: «لا، إن راتبي لا يكفي، بل نُصلح هذه السيارة ونمشي بها، وإنني لا أطيق». غلبة الدين وقهر الرجال لضعفٍ في شخصيته، فيطيع زوجته فيشتري السيارة فتركبه الديون وتطارده الأقساط أو يتعرض لا قدّر الله إلى حادث فتنقلب السيارة.

وهنا تقهره الأقساط حقيقة على حساب الأطفال، وعلى حساب المعيشة، وعلى حساب الكرامة، ترفع عليه قضية ويُجر إلى المحاكم.

رجلٌ آخر أخذ القرض والأرض وبدأ يبني ويؤسس، فأكل البناء كل ما

أخـذ من قـرض: الرخام وغير الرخـام، وأعمدة لا حاجة لهـا وزخارف وزينة ثـم أخذ يسـتدين بعد ذلك للأثاث، السـرير، بكذا ألف، والحمّـام بكذا ألف، ثـم كانت النتيجة أصحاب الحقـوق ينتظرون جميعًا مع المقاول خارج القصر الفارغ الذي لا يسـتطيع أحد أن يدخله أو يسكنه، ويتخطف أصحاب الحقوق راتبه ثم يستدين ثم لا يكفي ثم يهرب عند أمه أو أخته، لا يستطيع أن يدخل إلى بيته، لكثرة المدينين الذين ينتظرونه خارج البيت.

ثم هذا الذي يُطالب بحقوقه، إذا كلّ وملّ ذهب إلى المحاكم، ورفع قضية فيجد نفسه يعرض بيته في المزاد ثم يبيعه بالخسران ثم يُوقع شيكًا لا رصيد به، وتكون الكارثة يعتقل، ويُسـجن، وتشرد الأسـرة والعائلة، ويبدؤون يتكففون الناس وتسير أيديهم العُليا سفلى، ويصبحون أحاديث.

كل ذلـك لأنهـم حُرمـوا القناعـة، لأن القناعـة والرضا كنـزٌ لا يفنى، فعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ الغِنَى عَن كَثْرَةِ العَرَض، وَلكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**» [رواه البخاري ومسلم].

(العَرَضُ): هُوَ المَالُ.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسـول الله ﷺ قَالَ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْـلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وقَنَّعَهُ الله بِمَا آتَاهُ**» [رواه مسلم].

والرسـول ﷺ عندما أراد أن يصف السعيد في هذه الدنيا لم يقل أصحاب الملاييـن، والقصور الفاخرة والسـيارة الفاخـرة وإنما قال: «**مَـنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِـرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَـدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**»، [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

(آمِنًـا) أَيْ غَيْرَ خَائِفٍ مِنْ عَدُوٍّ (فِي سِـرْبِهِ) أَيْ فِي نَفْسِـهِ، وَقِيلَ: السِّـرْبُ الْجَمَاعَةُ، فَالْمَعْنَى فِي أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ، وَقِيلَ: بِفَتْحِ السِّـينِ أَيْ فِي مَسْلَكِهِ وَطَرِيقِهِ،

وَقِيلَ: بِفَتْحَتَيْنِ أَيْ فِي بَيْتِهِ. وَفِي الْقَامُوسِ: السَّرْبُ الطَّرِيقُ وَبِالْكَسْرِ الطَّرِيقُ وَالْبَالُ وَالْقَلْبُ وَالنَّفْسُ وَالْجَمَاعَةُ، وَبِالتَّحْرِيكِ جُحْرُ الْوَحْشِيِّ وَالْحَفِيرُ تَحْتَ الأَرْضِ.

والْمُرَادُ مِنْ الْحَدِيثِ الْمُبَالَغَةُ فِي حُصُولِ الأَمْنِ وَلَوْ فِي بَيْتٍ تَحْتَ الأَرْضِ ضَيِّقٍ كَجُحْرِ الْوَحْشِ أَوْ التَّشْبِيهِ بِهِ فِي خَفَائِهِ وَعَدَمِ ضَيَاعِهِ. (مُعَافًى فِي جَسَدِهِ) أَيْ صَحِيحًا سَالِمًا مِنْ الْعِلَلِ وَالأَسْقَامِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. (عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ) أَيْ كِفَايَةُ قُوتِهِ مِنْ وَجْهِ الْحَلَالِ. (فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا) أَيْ جُمِعَتْ لَهُ بِتَمَامِهَا.

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «النعيمُ: الأمنُ والصحة».

لقد جعل الله عَزَّ وَجَلَّ أطول آية في القرآن في سورة البقرة آية الدين، وهذه القضية بالنسبة لمعظم هذه الأمة كارثة حتى إن أحدهم كلما تذكر الأحاديث يمر على قبر يفرك صدره ويتمنى أن يكون داخل هذا القبر في باطن الأرض من كثرة الديون والبلاء، نسأل الله العافية. والله عَزَّ وَجَلَّ في القرآن العظيم جعل الاعتدال في الإنفاق من صفات عباد الرحمن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

وأعطانا صورة جميلة لهذا الإنسان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩]. والذين بسطوا كل البسط حقيقة قعدوا ملومين محسورين، يذهبون إلى تلك اللجنة وإلى ذلك الدائن.. ربي سبحانه وتعالى لا يحب المسرفين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١]، والله لا يحب المبذرين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء].

يجب أن ننتبه إلى هذه القضية، فنربي أبناءنا على الاقتصاد، الدينارُ الحلال غالٍ ما جاء إلا من كد وتعب، فلنربِّ أهلنا على حسن إنفاقه.

إن تربية الزوجة والأهل والنفس على الاقتصاد يجعل رب الأسرة ينام بالليل ولا ديون عليه، يذهب للمسجد ولا ديون عليه، يذهب للسوق بحرية، إنها أنسٌ وسعادة تفوق السعادة التي تأتي من وراء الديون، نرى بعض الناس يركب سيارته الفارهة ثم تراه مطاردًا بالديون.

ديونٌ أخافَتْني وبَتَّتْ علائِقِي ... مِن النَّاسِ حتَّى كِدتُ أفزَعُ مِن ظِلّي



١٠٦- قصة رجل مؤمن

يا مَنْ يَخافُ من الظَلومِ وبطشِه ... ويهابُ قولَ الحقِّ للسلطانِ
أومَا علمتَ بأَنَّ صَمتَكَ زائدٌ ... في ظلمِهِ في البطشِ والطغيانِ
إنَّ السُّكوتَ عنِ الضلالِ ضلالةٌ ... ومؤازِرُ الشيطانِ كالشيطانِ
الجبنُ عارٌ لا يَزولُ شَنارُهُ ... ويبُوءُ بالخُسْرانِ كلُّ جبانِ
والنهيُ عن كلِّ المناكِرِ واجبٌ ... بعضُ الجهادِ نصيحةٌ بلسانِ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ

مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَاۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر].

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

أي: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ إلى جنس هؤلاء المكذبين ﴿مُوسَىٰ﴾ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابن عمران، ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ العظيمة، الدالة دلالة قطعية، على حقّيّة ما أرْسِل به،

وبطلان ما عليه من أرسل إليهم من الشرك وما يتبعه. ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حجة بينة، تتسلط على القلوب فتذعن لها، كالحية والعصا ونحوهما من الآيات البينات، التي أيد الله بها موسى، ومكنه مما دعا إليه من الحق.

والمبعوث إليهم ﴿فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ وزيره ﴿وَقَٰرُونَ﴾ الذي كان من قوم موسى، فبغى عليهم بماله، وكلهم ردوا عليه أشد الرد ﴿فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا﴾ وأيده الله بالمعجزات الباهرة، الموجبة لتمام الإذعان، لم يقابلوها بذلك، ولم يَكْفِهم مجرد الترك والإعراض، بل ولا إنكارها ومعارضتها بباطلهم، بل وصلت بهم الحال الشنيعة إلى أن ﴿قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ حيث كادوا هذه المكيدة، وزعموا أنهم إذا قتلوا أبناءهم، لم يقووا، وبقوا في رقهم وتحت عبوديتهم. فما كيدهم ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾، حيث لم يتم لهم ما قصدوا، بل أصابهم ضد ما قصدوا، أهلكهم الله وأبادهم عن آخرهم.

وتدبر هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالى: إذا كان السياق في قصة معينة أو على شيء معين، وأراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم لا يختص به ذَكَر الحكم، وعلقه على الوصف العام ليكون أعم، وتندرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها، وليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين، فلهذا لم يقل: (وما كيدهم إلا في ضلال)، بل قال: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

موسى عليه السلام ومعه آيات الله، ومعه الهيبة المستمدة من الحق الذي بيده. وفرعون وهامان وقارون، ومعهم باطلهم الزائف وقوتهم الظاهرة ومركزهم الذي يخافون عليه من مواجهة الحق ذي السلطان. عندئذ لجأوا إلى الجدال

بالباطل ليدحضوا به الحق: ﴿فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ويجمل السياق تفصيل ما حدث بعد هذا الجدال، ويطوي موقف ما حدث مع السحرة، وإيمانهم بالحق الذي غلب باطلهم ولقف ما يأفكون، ويعرض الموقف الذي تلا هذه الأحداث:

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ﴾، ويعقب عليه قبل أن تكمل الآية: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

إنه منطق الطغيان الغليظ، كلما أعوزته الحجة، وخذله البرهان، وخاف أن يستعلي الحق، بما فيه من قوة وفصاحة ووضوح، وهو يخاطب الفطرة فتصغي له وتستجيب، كما استجاب السحرة الذين جيء بهم ليغلبوا موسى وما معه، فانقلبوا أول المؤمنين بالحق في مواجهة فرعون الجبار.

فأما فرعون وهامان وقارون فقالوا: ﴿ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ﴾، ولقد كان فرعون- في أيام مولد موسى- قد أصدر مثل هذا الأمر، وفرعون كان له فيما يبدو اقتراح إضافي في أثناء التآمر، ذلك أن يتخلص من موسى نفسه، فيستريح!

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ متكبراً متجبراً مغرّرًا لقومه السفهاء: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ أي: زعم - قبحه الله - أنه لولا مراعاة خواطر قومه لَقتَله، وأنه لا يمنعه من دعاء ربه.

ويبدو من قوله: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ أن رأيه هذا كان يجد ممانعة ومعارضة - من ناحية الرأي- كأن يقال مثلا: إن قتل موسى لا ينهي الإشكال، فقد يوحي

هذا للجماهير بتقديسه واعتباره شهيدا، والحماسة الشعورية له وللدين الذي جاء به، وبخاصة بعد إيمان السحرة في مشهد شعبي جامع، وإعلانهم سبب إيمانهم، وهم الذين جيء بهم ليبطلوا عمله ويناوئوه.

وقد يكون بعض مستشاري الملك أحس في نفسه رهبة أن ينتقم إله موسى له، ويبطش بهم، وليس هذا ببعيد، فقد كان الوثنيون يعتقدون بتعدد الآلهة، ويتصورون بسهولة أن يكون لموسى إله ينتقم له ممن يعتدون عليه! ويكون قول فرعون: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ ردًّا على هذا التلويح! وإن كان لا يبعد أن هذه الكلمة الفاجرة من فرعون كانت تبجحا واستهتارا، فلقي جزاءه في نهاية المطاف.

ثم ذكر فرعون الحامل له على إرادة قتله، وأنه نصح لقومه، وإزالة للشر في الأرض فقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ الذي أنتم عليه ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ وهذا من أعجب ما يكون، أن يكون شر الخلق ينصح الناس عن اتباع خير الخلق. هذا من التمويه والترويج الذي لا يدخل إلا عقل من قال الله فيهم: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾.

هل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال الوثني عن موسى رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾؟!! أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح؟ أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل؟ أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث لإثارة الخواطر في وجه الإيمان الهادئ؟

إنه منطق واحد، يتكرر كلما التقى الحق والباطل، والإيمان والكفر، والصلاح والطغيان على توالي الزمان واختلاف المكان. والقصة قديمة مكررة تعرض بين الحين والحين.

فأما موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فالتجأ إلى الركن الركين والحصن الحصين، ولاذ بالجناب الذي يحمي اللائذين، ويجير المستجيرين: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ حين قال فرعون تلك المقالة الشنيعة التي أوجبها له طغيانه، واستعان فيها بقوته واقتداره، مستعينًا بربه: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ أي: امتنعت بربوبيته التي دبر بها جميع الأمور ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: يحمله تكبره وعدم إيمانه بيوم الحساب على الشر والفساد، يدخل فيه فرعون وغيره، كما تقدم قريبًا في القاعدة.

قالها واطمأن وسلّم أمره إلى المستعلي على كل متكبر، القاهر لكل متجبر، القادر على حماية العائذين به من المستكبرين وأشار إلى وحدانية الله ربه وربهم لم ينسها أو يتركها أمام التهديد والوعيد. كما أشار إلى عدم الإيمان بيوم الحساب فما يتكبر متكبر وهو يتصور موقفه يوم الحساب حاسرًا خاشعًا خاضعًا ذليلًا، مجردًا من كل قوة، ما له من حميم ولا شفيع يطاع.

فمنعه الله تعالى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بلُطْفه من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، وقيَّض له من الأسباب ما اندفع به عنه شر فرعون ومَلَئِه.

ومن جملة الأسباب، هذا الرجل المؤمن، الذي من آل فرعون، من بيت المملكة، لا بد أن يكون له كلمة مسموعة، وخصوصًا إذا كان يظهر موافقتهم ويكتم إيمانه، فإنهم يراعونه في الغالب ما لا يراعونه لو خالفهم في الظاهر، كما منع الله رسوله محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعمه أبي طالب من قريش، حيث كان أبو طالب كبيرًا عندهم، موافقًا لهم على دينهم، ولو كان مسلمًا لم يحصل منه ذلك المنع.

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ

صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾.

فقال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم، مقبحًا فعل قومه، وشناعة ما عزموا عليه: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ أي: كيف تستحلون قتله، وهذا ذنبه وجرمه، أنه يقول ربي الله، فهل هذه الكلمة البريئة المتعلقة باعتقاد قلب، واقتناع نفس تستحق القتل، ويرد عليها بإزهاق روح؟ إنها في هذه الصورة فعلة منكرة بشعة ظاهرة القبح والبشاعة. ولم يكن قوله أيضًا قولًا مجردًا عن البينات، فالذي يقول هذه الكلمة البريئة: ﴿رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ يقولها ومعه حجته، وفي يده برهانه؛ ولهذا قال: ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يشير إلى تلك الآيات التي عرضها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ورأوها، وهم - فيما بينهم وبعيدا عن الجماهير - يصعب أن يماروا فيها! لأن بينته اشتهرت عندهم اشتهارًا علم به الصغير والكبير، أي: فهذا لا يوجب قتله.

فهلا أبطلتم قبل ذلك ما جاء به من الحق، وقابلتم البرهان ببرهان يرده، ثم بعد ذلك نظرتم: هل يحل قتْلُه إذا ظهرتم عليه بالحجة أم لا؟ فأما وقد ظهرت حجته، واستعلى برهانه، فبينكم وبين حل قتله مفاوز تنقطع بها أعناق المَطِي.

ثم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل بأي حالة قدرت، فقال: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾

أي: موسى بين أمرين، إما كاذب في دعواه أو صادق فيها، فإن كان كاذبًا فكذبه عليه، وضرره مختص به، وليس عليكم في ذلك ضرر حيث امتنعتم من إجابته وتصديقه، وإن كان صادقًا وقد جاءكم بالبينات، وأخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذابًا في الدنيا وعذابًا في الآخرة، فإنه لا بد أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وهو عذاب الدنيا.

وهذا من حُسن عقله، ولُطْفِ دَفْعِه عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث أتى بهذا

الجـواب الذي لا تشـويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائـرًا بين هاتين الحالتين، وعلى كل تقدير فقَتْلُه سَفَهٌ وجهلٌ منكم.

ثـم انتقـل - رضي الله عنـه وأرضاه وغفر لـه ورحمه - إلى أمـر أعلى من ذلك، وبيان قرب موسى من الحق فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٌ﴾ أي: متجاوز الحد بترك الحق والإقبال على الباطل. ﴿كَذَّابٌ﴾ بنسبته ما أسرف فيه إلـى الله ﷻ، فهـذا لا يهديه الله إلى طريق الصـواب، لا في مدلوله ولا في دليله، ولا يوفق للصراط المسـتقيم، أي: وقد رأيتم ما دعا موسـى إليه من الحق، وما هداه الله إلى بيانه من البراهين العقلية والخوارق السـماوية، فالذي اهتدى هذا الهدى لا يمكن أن يكون مسـرفًا ولا كاذبًا، وهذا دليل على كمال علمه وعقله ومعرفته بربه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ فإذا كان الكذاب هو موسى فإن الله لا يهديـه ولا يوفقه، فدعوه له يلاقي منه جزاءه. واحذروا أن تكونوا أنتم الذين تكذبون على موسى وربه وتسرفون، فيصيبكم هذا المآل!

﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

ثم حـذر قومه ونصحهم، وخوفهـم عذاب الآخرة، ونهاهـم عن الاغترار بالملـك الظاهر، فقـال: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ على رعيتكم، تنفذون فيهم ما شـئتم مـن التدبير، فهبكم حصل لكم ذلك وتم، ولن يتم، ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿إِن جَآءَنَاۚ﴾ ؟ وهذا من حُسن دعوته، حيث جعل الأمر مشتركًا بينه وبينهم بقوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا﴾ وقوله: ﴿إِن جَآءَنَاۚ﴾ ليُفْهِمَهم أنه ينصح لهم كما ينصح لنفسه، ويرضى لهم ما يرضى لنفسه، وليشعرهم أن أمرهم يهمه، فهو واحد منهم، ينتظر مصيره معهم

وهــو إذن ناصح لهم مشـفق عليهم، لعل هذا أن يجعلهــم ينظرون إلى تحذيره باهتمام، ويأخذونه مأخذ البراءة والإخلاص، وهو يحاول أن يشعرهم أن بأس الله إن جاء فلا ناصر منه ولا مجير عليه، وأنهم إزاءه ضعاف ضعاف.

هنا يأخذ فرعون ما يأخذ كل طاغية توجه إليه النصيحة. تأخذه العزة بالإثم، ويرى في النصح الخالص افتياتا على سلطانه، ونقصا من نفوذه، ومشاركة له في النفوذ والسلطان: ف ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ معارضًا له في ذلك، ومغررًا لقومه أن يتبعوا موسى: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾.

إننــي لا أقول لكــم إلا مــا أراه صوابا، وأعتقــده نافعًا. وإنه لهــو الصواب والرشــد بلا شــك ولا جدال! وهل يرى الطغاة إلا الرشد والخير والصواب؟! وهل يسمحون بأن يظن أحد أنهم قد يخطئون؟! وهل يجوز لأحد أن يرى إلى جوار رأيهم رأيا؟! وإلا فلِمَ كانوا طغاةً؟!

وصدق فرعون في قوله: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ ولكن ما الذي رأى؟ رأى أن يسـتخف قومه فيتابعوه، ليقيم بهم رياسـته، ولم ير الحق معه، بل رأى الحق مع موسى، وجحد به مستيقنًا له.

وكذب في قوله: ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ فإن هذا قلب للحق، فلو أمرهم باتباعه اتباعًا مجردًا على كفره وضلاله، لكان الشر أهون، ولكنه أمرهم باتباعه، وزعم أن في اتباعه اتباع الحق، وفي اتباع الحق اتباع الضلال.

ولكن الرجل المؤمن يجد من إيمانه أن عليه واجبًا أن يُحَذّر وينصح ويُبدي من الرأي ما يراه، ويرى من الواجب عليه أن يقف إلى جوار الحق الذي يعتقده كائنا ما كان رأيُ الطغاة، ثم هو يطرق قلوبهم بإيقاع آخر لعلها تحس وتستيقظ وترتعش وتلين، يطرق قلوبهم بلفتها على مصارع الأحزاب قبلهم.

وهي شاهدة ببأس الله في أخذ المكذبين والطغاة:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ﴾ مكررًا دعوة قومه غير آيس من هدايتهم، كما هي حالة الدعاة إلى الله تعالى، لا يزالون يدعون إلى ربهم، ولا يردهم عن ذلك راد، ولا يثنيهم عتو من دعوه عن تكرار الدعوة فقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ يعني الأمم المكذبين، الذين تحزبوا على أنبيائهم، واجتمعوا على معارضتهم، ولكل حزب كان يوم، ولكن الرجل المؤمن يجمعها في يوم واحد: ﴿مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ فهو اليوم الذي يتجلى فيه بأس الله، وهو يوم واحد في طبيعته على تفرق الأحزاب.

ثم بينهم فقال: ﴿مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ أي: مثل عادتهم في الكفر والتكذيب وعادة الله فيهم بالعقوبة العاجلة في الدنيا قبل الآخرة، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه، ولا جرم أسلفوه، إنما يأخذهم بذنوبهم، ويصلح مَن حولهم ومَن بعدهم بأخذهم بأيام الله.

ثم يطرق الرجل المؤمن على قلوبهم طرقة أخرى، وهو يذكرهم بيوم آخر من أيام الله، يوم القيامة، يوم التنادي، فلما خوفهم العقوبات الدنيوية خوفهم العقوبات الأخروية، فقال: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ أي: يوم القيامة، حين ينادي أهل الجنة أهل النار: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

وحين ينادي أهل النار مالكًا ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فيقول: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ وحين ينادون ربهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ فيجيبهم: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ وحين يقال للمشركين: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾

فخوفهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا اليوم المهول، وتوجع لهم أن أقاموا على شركهم بذلك، ولهذا قال: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ أي: قد ذُهِبَ بكم إلى النار ﴿مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ لا من أنفسكم قوة تدفعون بها عذاب الله، ولا ينصركم من دونه من أحد ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق].

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ لأن الهدى بيد الله تعالى، فإذا منع عبده الهدى لعلمه أنه غير لائق به لخبثه، فلا سبيل إلى هدايته، والله يعلم من حال الناس وحقيقتهم من يستحق الهدى ومن يستحق الضلال.

ولعل فيها إشارة خفية إلى قولة فرعون: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

وأخيرًا يذكرهم بموقفهم من يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ - ومن ذريته كان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ - وكيف وقفوا موقف الشك من رسالته وما جاءهم به من الآيات، فلا يكرروا الموقف من موسى، وهو يصدق ما جاءهم به يوسف، فكانوا منه في شك وارتياب. ويكذب ما جزموا به من أن الله لن يبعث من بعده رسولا، وها هو ذا موسى يجيء على فترة من يوسف ويكذب هذا المقال:

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ۝٣٤ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾.

وهذه هي المرة الوحيدة في القرآن التي يشار فيها إلى رسالة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ

للقـوم في مصر، وقد عرفنا من سـورة يوسـف، أنه كان قد وصـل إلى أن يكون علـى خزائـن الأرض، المتصرف فيها، وأنه أصبح (عزيـز مصر) وهو لقب قد يكـون لكبيـر وزراء مصر، وفي السـورة كذلك ما قد يؤخذ منـه أنه جلس على عـرش مصر - وإن لـم يكن ذلك مؤكـدًا - وذلك قوله تعَالَىٰ: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾.

وقـد يكـون العرش الـذي رفع عليـه أبويه شـيئا آخر غير عـرش المملكة المصرية الفرعونية، وعلى أية حال فقد وصل يوسـف عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مكان الحكم والسـلطان، ومـن ثَمَّ نملك أن نتصور الحالة التي يشـير إليهـا الرجل المؤمن، حالة شكهم فيما جاءهم به يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من قبل، مع مصانعتهم ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ صاحب السلطان وعدم الجهر بتكذيبه وهو في هذا المكان!

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ﴾ بن يعقـوب عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل إتيان موسى ﴿بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ الدالة على صدقه، وأمركم بعبادة ربكم وحده لا شريك له، ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ في حياتـه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ ازداد شـككم وشـرككم، و ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ﴾ أي: هذا ظنكم الباطل، وحسـبانكم الـذي لا يليـق بالله، فإنـه تعالى لا يـترك خلقه سـدى، لا يأمرهم وينهاهم، ويرسل إليهم رسله، وظن أن الله لا يرسل رسولا ظن ضلال.

فهـم كأنما اسـتراحوا لموته، فراحـوا يظهرون ارتياحهـم في هذه الصورة، ورغبتهـم عمـا جاءهم بـه من التوحيـد الخالص، الـذي يبدو ممـا تكلم به في سـجنه مع صاحبـي السـجن: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩]، فزعموا أن لن يجيئهم من بعده رسول، لأن هذه كانت رغبتهم.

ولهذا قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ وهذا هو وصفهم الحقيقي الذي وصفوا به موسـى ظلمًا وعلوا، فهم المسرفون بتجاوزهم الحق

وعدولهم عنه إلى الضلال، وهم الكذبة، حيث نسبوا ذلك إلى الله ﷻ، وكذبوا رسوله ﷺ.

فالذي وَصْفُه السرف والكذب، لا ينفك عنهما، لا يهديه الله، ولا يوفقه للخير، لأنه رد الحق بعد أن وصل إليه وعرفه، فجزاؤه أن يعاقبه الله، بأن يمنعه الهدى، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف:٥]، ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:٨٦].

ثم ذكر وصف المسرف الكذاب فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ التي بينت الحق من الباطل، وصارت - من ظهورها - بمنزلة الشمس للبصر، فهم يجادلون فيها على وضوحها، ليدفعوها ويبطلوها ﴿بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ﴾ أي: بغير حجة وبرهان، وهذا وصف لازم لكل من جادل في آيات الله، فإنه من المحال أن يجادل بسلطان، لأن الحق لا يعارضه معارض، فلا يمكن أن يعارَض بدليل شرعي أو عقلي أصلًا.

﴿كَبُرَ﴾ ذلك القول المتضمن لرد الحق بالباطل ﴿مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ فالله أشد بغضًا لصاحبه، لأنه تضمن التكذيب بالحق والتصديق بالباطل ونسبته إليه، وهذه أمور يشتد بغض الله لها ولمن اتصف بها، وكذلك عباده المؤمنون يمقتون على ذلك أشد المقت موافقة لربهم، وهؤلاء خواص خلق الله تعالى، فمقتهم دليل على شناعة من مقتوه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما طبع على قلوب آل فرعون ﴿يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ متكبر في نفسه على الحق برده وعلى الخلق باحتقارهم، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه.

وعلى الرغم من هذه الجولة الضخمة التي أخذ الرجل المؤمن قلوبهم بها فقد ظل فرعون في ضلاله، مُصِرًّا على التنكر للحق، ولكنه تظاهر بأنه آخِذٌ في التحقق من دعوى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ويبدو أن منطق الرجل المؤمن وحجته كانت من شدة الوقع بحيث لم يستطع فرعون ومن معه تجاهلها. فاتخذ فرعون لنفسه مهربًا جديدًا:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ معارضًا لموسى ومكذبًا له في دعوته إلى الإقرار برب العالمين، الذي على العرش استوى، وعلى الخلق اعتلى: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ أي: بناء عظيمًا مرتفعًا، والقصد منه لعلي أطلع ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ في دعواه أن لنا ربًا، وأنه فوق السماوات.

هكذا يموه فرعون الطاغية ويحاور ويداور، كي لا يواجه الحق جهرة، ولا يعترف بدعوة الوحدانية التي تهز عرشه، وتهدد الأساطير التي قام عليها ملكه، وبعيد عن الاحتمال أن يكون هذا فهم فرعون وإدراكه.

وبعيدٌ أن يكون جادًّا في البحث عن إله موسى على هذا النحو المادي الساذج، وقد بلغ فراعنة مصر من الثقافة حدًّا يبعد معه هذا التصور، إنما هو الاستهتار والسخرية من جهة، والتظاهر بالإنصاف والتثبت من جهة أخرى، وربما كانت هذه خطة للتراجع أمام مطارق المنطق المؤمن في حديث الرجل المؤمن! وكل هذه الفروض تدل على إصراره على ضلاله، وتبجحه في جحوده.

قال الله تعالى في بيان الذي حمله على هذا القول: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ فزين له العمل السيئ، فلم يزل الشيطان يزينه،

وهـو يدعو إليه ويحسـنه، حتى رآه حسـنًا ودعـا إليه وناظر مناظـرة المحقين، وهو من أعظم المفسدين، ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ الحق، بسبب الباطل الذي زين له، وهو مسـتحق لأن يصد عن السـبيل، بهذا المراء الذي يميل عن الاسـتقامة وينحرف عن السبيل.

﴿وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ﴾ الـذي أراد أن يكيد به الحق، ويوهم به الناس أنه محق، وأن موسـى مبطل ﴿إِلَّا فِي تَبَابٖ﴾ أي: خسـار وبـوار، لا يفيده إلا الشقاء في الدنيا والآخرة.

وأمام هذه المراوغة، وهذا الاسـتهتار، وهذا الإصرار ألقى الرجل المؤمن كلمتـه الأخيرة مدويةً صريحة، بعد ما دعـا القوم إلى اتباعه في الطريق إلى الله، وهو طريق الرشـاد. وكشف لهم عن قيمة هذه الحياة الزائلة وشَوَّقهم إلى نعيم الحيـاة الباقيـة وحذرهم عذاب الآخرة وبين لهم ما في عقيدة الشـرك من زيف ومن بطلان:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ﴾ معيدًا نصيحتـه لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ لا كمـا يقـول لكـم فرعـون، فإنـه لا يهديكـم إلا طريق الغي والفسـاد، وقد كان فرعون منذ لحظات يقول: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ فهـو التحدي الصريـح الواضـح بكلمة الحق لا يخشـى فيها سـلطان فرعون الجبـار، ولا مَـلأه المتآمرين معه من أمثال هامان وقـارون - وزيري فرعون - فيما يقال.

ثم يكشـف لهم هذا الرجل المؤمن عن حقيقة الحياة الدنيا: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٌ﴾ متاع زائل لاثبات له ولا دوام، يتمتع بها ويتنعم قليلا ثم تنقطع وتضمحل، فلا تغرنكم وتخدعنكم عما خلقتم له ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ التي هي محل الإقامة، ومنزل السكون والاستقرار، فينبغي لكم أن تؤثروها، وتعملوا لها عملا يسعدكم فيها.

﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾ من شـرك أو فسوق أو عصيان ﴿فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ أي: لا يجازى إلا بما يسوؤه ويحزنه لأن جزاء السيئة السوء. ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾ من أعمال القلوب والجوارح وأقوال اللسـان، ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ أي مصدق بالله وبوعده ووعيده يوم لقائه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي المؤمنون العاملـون للصالحـات ﴿يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ أي: يعطون أجرهم بلا حَدٍّ ولا عَدٍّ، بل يعطيهم الله ما لا تبلغه أعمالهم.

فقـد اقتضى فضل الله ﷻ أن تُضَاعَف الحسـنات ولا تُضَاعف السـيئات، رحمـةً من الله بعبـاده، وتقديرًا لضعفهـم، وللجواذب والموانـع لهم في طريق الخير والاستقامة، فضاعف لهم الحسـنات، وجعلها كفارة للسيئات، فإذا هم وصلوا إلى الجنة بعد الحساب، رزقهم الله فيها بغير حساب.

ويسـتنكر الرجل المؤمن أن يدعوهم إلى النجاة فيدعونه إلى النار، فيهتف بهـم في اسـتنكار: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ وهم لم يدعوه إلى النار. إنما دعوه إلى الشـرك. وما الفرق بين الدعوة إلى الشرك والدعوة إلى النار؟

إنها قريب من قريب. فهو يبدل الدعوة بالدعوة في تعبيره في الآية التالية: ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴾.

وشتان بين دعوة ودعوة، إن دعوته لهم واضحة مستقيمة، إنه يدعوهم إلى العزيز الغفار، يدعوهم إلى إله واحد تشهد آثاره في الوجود بوحدانيته، وتنطق بدائع صنعته بقدرته وتقديره، يدعوهم إليه ليغفر لهم وهو القادر على أن يغفر، الذي تفضل بالغفران: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ بما قلت لكم ﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بترك اتباع نبي الله موسى عليه السلام.

ثم فسر ذلك فقال: ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ أنه يستحق أن يعبد من دون الله، والقول على الله بلا علم من أكبر الذنوب وأقبحها، ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي له القوة كلها، وغيره ليس بيده من الأمر شيء. ﴿ٱلْغَفَّٰرِ﴾ الذي يسرف العباد على أنفسهم ويتجرؤون على مساخطه ثم إذا تابوا وأنابوا إليه، كفّر عنهم السيئات والذنوب، ودفع موجباتها من العقوبات الدنيوية والأخروية.

فإلى أي شيء يدعونه؟ يدعونه للكفر بالله عن طريق إشراك ما لا علم له به من مدعيات وأوهام وألغاز! ويقرر من غير شك ولا ريبة أن هؤلاء الشركاء ليس لهم من الأمر شيء، وليس لهم شأن لا في دنيا ولا في آخرة، وأن المرد لله وحده، وأن المسرفين المتجاوزين للحد في الادعاء سيكونون أهل النار:

﴿ لَا جَرَمَ ﴾ أي: حقًا يقينًا ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ أي: لا يستحق من الدعوة إليه، والحث على اللجأ إليه، في الدنيا ولا في الآخرة، لعجزه ونقصه، وأنه لا يملك نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة، ولا نشورًا.

﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ تعالى فسيجازي كل عامل بعمله، ﴿وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ وهـم الذيـن أسـرفوا علـى أنفسـهم بالتجـرؤ على ربهم بمعاصيه والكفر به، دون غيرهم.

وماذا يبقى بعد هذا البيان الواضح الشـامل للحقائق الرئيسـية في العقيدة؟ وقـد جهر بها الرجـل في مواجهة فرعون وملئه بلا تـردد ولا تلَعْثُم، بعد ما كان يكتـم إيمانه، فأعلن عنه هذا الإعلان؟ لا يبقى إلا أن يفوض أمره إلى الله، وقد قال كلمة وأراح ضميره، مهددا إياهم بأنهم سـيذكرون كلمته هذه في موقف لا تنفع فيه الذكرى.

فلمـا نصحهـم وحذرهـم وأنذرهـم ولـم يطيعـوه ولا وافقـوه قـال لهم: ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾.

﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ﴾ مـن هذه النصيحة، وسـترون مغبة عدم قبولها حين يحل بكم العقاب، وتحرمون جزيل الثواب.

﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي: ألجـأ إليه وأعتصـم، وألقي أموري كلها لديه، وأتوكل عليه في مصالحي ودفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ يعلم أحوالهم وما يستحقون، يعلم حالي وضعفي فيمنعني منكـم ويكفيني شـركم، ويعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته ومشـيئته، فإن سلطكم علي، فبحكمة منه تعالى، وعن إرادته ومشيئته صدر ذلك.

وينتهي الجدل والحوار، وقد سجل مؤمن آل فرعون كلمته الحق خالدة في ضميـر الزمان، ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ أي: وقـى اللهُ القـويُّ الرحيمُ، ذلك

الرجلَ المؤمنَ الموفّق، عقوبات ما مكر فرعونُ وآلُه له، من إرادة إهلاكه وإتلافه، لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيدًا فحفظه الله من كيدهم ومكرهم وانقلب كيدهم ومكرهم، على أنفسهم، ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ أغرقهم الله في صبيحة واحدة عن آخرهم، وفي البرزخ ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ فهذه العقوبات الشنيعة، التي تحل بالمكذبين لرسل الله، المعاندين لأمره.

أَفْضَلُ الْجِهَادِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

الْمُرَادُ بِالْكَلِمَةِ مَا أَفَادَ أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ مِنْ لَفْظٍ أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ كَكِتَابَةٍ وَنَحْوِهَا. (سُلْطَانٍ جَائِرٍ) أَيْ صَاحِبِ جَوْرٍ وَظُلْمٍ.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح هذا الحديث: «فللسلطان بطانتان: بطانة السوء، وبطانة الخير. بطانة السوء تنظر ماذا يريد السلطان ثم تُزيِّنه له، وتقول هذا هو الحق هذا هو الطيب وأحسنت وأوفدت، ولو كان والعياذ بالله مِن أجْوَر ما يكون، تفعل ذلك مداهنة للسلاطين وطلبًا للدنيا. أما بطانة الحق فإنها تنظر ما يرضي الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتدل الحاكم عليه، هذه هي البطانة الحسنة.

كلمة الباطل عند سلطان جائر هذه والعياذ بالله ضد الجهاد، وكلمة الباطل عند سلطان جائر تكون بأن ينظر المتكلم ماذا يريد السلطان فيتكلم به عنده ويزينه له، وقول كلمة الحق عند سلطان جائر من أعظم الجهاد، وقال: «عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ» لأن السلطان العادل كلمة الحق عنده لا تضر قائلها؛ لأنه يقبل،

أما الجائر فقد ينتقم من صاحبها ويؤذيه.

فالآن عندنا أربع أحوال:

١- كلمة حق عند سلطان عادل وهذه سهلة.

٢- كلمة باطل عند سلطان عادل، وهذه خطيرة لأنك قد تَفْتِن السلطان العادل بكلمتك بما تزينه له من الزخارف.

٣- كلمة الحق عند سلطان جائر وهذه أفضل الجهاد.

٤- كلمة باطل عند سلطان جائر وهذه أقبح ما يكون.

فهذه أقسام أربعة لكن أفضلها كلمة الحق عند السلطان الجائر نسأل الله أن يجعلنا ممن يقول الحق ظاهرًا وباطنًا على نفسه وعلى غيره.

يا مَنْ تقاعَسَ عنْ جهادٍ خائفًا ... أتظنُّ أنَّ العُمْرَ ليسَ بفانِ

هل ماتَ ذو الهيجاءِ قبل أوانِه ... أوْ طالَ عمرُ الهاربِ الفزْعانِ

الموتُ لا يُدنيهِ خوضٌ للوغَى ... فالعمرُ لا يَزدادُ بضْعَ ثوانِ

والرزقُ محدودٌ فليسَ يَزيدُه ... طولُ البقاءِ وخشيةُ السلطانِ

ما قد قَضى المولى القديرُ فإنه ... لا بُدَّ آتٍ دونَ أيِّ تَوانِ

والناسُ لو جُمعوا لنفْع أو أَذى ... لم يَقْدِروا فالأمرُ للرحمَنِ

ما لم يُقَدَّرْ فهو ليسَ بكائنٍ ... جَلَّ الإلهُ مُدَبِّرُ الأكْوانِ

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «**سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ**» [رواه الحاكم، وقال: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ»، وحسنه الألباني].

(سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ) عم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم استُشْهد يوم أُحُدٍ (وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ) بالمعروف (وَنَهَاهُ) عن المنكر (فَقَتَلَهُ) لأجل أمْره أو نَهْيِه عن ذلك، فحمزة سيد شهداء الدنيا والآخرة والرجل المذكور سيد

الشهداء في الآخرة لمخاطرته بأنْفَس ما عنده وهي نفسه في ذات الله.

من قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أولًا: الشريعة الإسلامية هي الأصل في تقرير المعروف المنكر: والأصل في ذلك هو الكتاب والسنة، فالذي تقره الشريعة الإسلامية وتستحسنه وتأمر به يجب أن يكون معروفًا، وإذا استقبحت الشريعة الإسلامية أمرًا أو نهتْ عنه أو حكمت عليه بأنه منكر فيجب أن يكون كذلك.

ثانيًا: العلم بحقيقة المعروف للدعوة إليه وحقيقة المنكر للنهي عنه، إذ لا يمكن العمل بهما مع الجهل بحقيقتهما والأحكام المتعلقة بهما.

ثالثًا: مراعاة المصالح والمفاسد:

بأن يفقه الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر المصالح الحاصلة من أمره ونهيه والمفاسد الناتجة عن ذلك، وإيضاح ذلك أنه:

• إن حصلت مصلحة أعظم من المفسدة وجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

• إن كانت المفسدة أعظم من المصلحة لم يجب عليه، بل يحرم.

• إذا حصل التساوي والتكافؤ بين المعروف والمنكر لم يُؤْمَر بالمعروف ولم يُنْه عن المنكر؛ لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح.

• عند اختلاط المعروف بالمنكر يُدْعَى إلى المعروف دعوةً مطلقة، ويُنْهَى عن المنكر نهيًا مطلقًا.

رابعًا: البدء بالأهم فالمهم وتقديم الكليات على الجزئيات.

خامسًا: عدم التجسس على الناس واقتحام بيوتهم بالظنون.



١٠٧- الرجُل الصِّفْر [(١)]

حقيقة الرجل الصفر:

الرجـل الصِّفْر ذلك الرجل الذي يتصف بالسـلبية ودُنُـوّ الهمة، ذلك الداء الخطير الذي أصاب الكثير من المسلمين وخاصة الشباب والفتيات، وكما أن هنـاك رجـلًا صفرًا، فإن هناك أيضًا امرأة صفـرًا، وكل ما قيل في هذا الموضوع يشمل الرجال والنساء معًا، إلا فيما يختص به الرجال من مجال.

إنك إن بحثت عن شـبابنا كأمة إسـلامية، وجدت كثيرًا منهم - وللأسـف - على الأرصفة وفي الاسـتراحات وفي الصيـد والرحلات، وعلى المدرجات الرياضيـة وخلف الشاشـات؛ حتى بعـض الصالحين - أيضًـا - هم كذلك - وللأسف - ابتُلوا بمثل هذه الأمور، فبدل أن يكونوا مشاعل هداية ودلال خير، فإذا بالتيار يجرفهم فيزعزع التزامهم وصلاحهم:

وما النفسُ إلّا حيث يجعَلُها الفتى ... فإنْ أطعِمَتْ تاقَت وإلا تسَلَّتْ

وكانتْ على الآمَالِ نفسِي عزيزةً ... فلمّا رأتْ عزمِي علَى التَّرْكِ وَلّتْ

وإذا بحثـت عـن فتياتنا ومُهَجِ قلوبنـا، فقد تجد بعضهن خلف سـماعات الهاتـف يمزقـن الفضيلـة، أو مـع مجـلات وروايـات تنشـر الرذيلـة، أو أمام الشاشات والأفلام حتى أصبحن بلا هوية وبلا هدف وبلا مبدأ ولا عزيمة ولا همة، شهوات في شهوات، ولذات في لذات، وآهات وزفرات وحسرات، إلا ما شاء الله من النخبة القليلة.

وإن تعجب فعجَبٌ أمر أولئك! ألم يَمَلّوا هذه الحياة؟! ألم يسألوا أنفسهم:

---

(١) بتصرف من محاضرة للشيخ إبراهيم الدويش بهذا العنوان.

هب أننا حصلنا على كل ما نريد، ثم ماذا؟ ألم يسألوا أنفسهم هذا السؤال ثم ماذا في النهاية؟! الموت والحساب والعذاب، والقبر والصراط والنار.

إذا غامَرْتَ في شرفٍ مَرومِ[1] ... فلا تقْنَعْ بما دونَ النجوم

فطَعْمُ الموتِ في أمْرٍ حقيرٍ ... كطعمِ الموتِ في أمرٍ عظيم

إن الموت نهاية الجميع، لكن شتان بين من مات في أمر حقير، وبين من مات في أمر عظيم، شتان بين من يموت وهو على طاعة الله ﷻ، وبين من يموت وهو على معصية الله شتان بين من يموت وهو يحمل هم الإسلام ويحترق قلبه لصلاح المسلمين، وبين من يموت وهو يحمل هم شهوات الدنيا ولذاتها.

ألم يأن لشبابنا ولفتياتنا أن يعلموا حقيقة الحياة، والغاية التي من أجلها خُلقوا؟ ألم يأن للران أن ينقشع عن القلوب، قبل أن يجمدها هاذم اللذات؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد].

أي: ألم يجئ الوقت الذي تلين به قلوبهم وتخشع لذكر الله، الذي هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذي جاء به محمد ﷺ؟ وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولِمَا أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم على ذلك.

﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ أي: ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم

---

(١) رامَ يَروم، رَوْمًا، فهو رائم، والمفعول مَرُوم. رام الشَّيءَ: طلَبه، رغِب فيه، أراده ورجاه. كُلُّ شيء على ما يُرام: على أحسن ما يُرجى ويُتوقع ويُنتظر.

يدوموا عليه، ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾؛ فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تُذَكَّر بما أنزله الله، وتخاطَب بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فإن الآيات تدل العقول على العلم بالمطالب الإلهية، والذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الأموات بعد موتهم، فيجازيهم بأعمالهم، والذي أحيا الأرض بعد موتها بماء المطر قادر على أن يحيِيَ القلوب الميتة بما أنزله من الحق على رسوله ﷺ، وهذه الآية تدل على أنه لا عقل لمن لم يهتد بآيات الله ولم ينقد لشرائع الله.

إن ل (لا إله إلا الله) نورًا في القلب، فهل انطفأ هذا النور؟

إن أشعة لا إله إلا الله تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور وتفاوت أهلها في ذلك النور قوةً وضعفًا لا يحصيه إلا الله تعالى، فمن الناس من نور هذه الكلمة في قلبه كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري، ومنهم من نورها في قلبه كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف.

ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور هذه الكلمة علمًا وعملًا ومعرفةً وحالًا، وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهةً ولا شهوةً ولا ذنبًا إلا أحرقه.

وهذا حال الصادق في توحيده، الذي لم يشرك بالله شيئًا، فأي ذنب أو شهوة أو شبهة دنت من هذا النور أحرقها.

فسـماء إيمانه قد حُرِسَـت بالنجوم مِن كل سـارقٍ لحسـناته، فلا ينال منها السـارق إلا على غرّة وغفلة لا بد منها للبشـر، فإذا استيقظ وعلم ما سرق منه، اسـتنقذه من سارقه أو حصَّل أضعافه بكسبه، فهو هكذا أبدًا مع لصوص الجن والإنس ليس كمن فتح لهم خزانته وولى الباب ظهره.

إن الهمـم والعزائم تتفاوت، فلا نريد من أحد إلا ما يقدر عليه ويسـتطيع، لكـن مـن ابتُلي بداء السـلبية ودنو الهمة أو بشـيء منه، يجـب أنْ يعلم أنّ بيده الكثيـر وأنه قادر على خير وفير، متى؟ إذا علـم أنه يحمل لا إله إلا الله في قلبه، وأنه على المبدأ الحق، وأن الله معه يحفظه ويرعاه، وأن الجنة موعده إنْ توفاه، فإن عاش عاش عزيزًا وإن مات مات شهيدًا.

علَى قَدْرِ أهلِ العزمِ تأتِي العزائمُ وتأتي علَى قدرِ الكرامِ المكارمُ
وتَعْظُمُ في عَيْنِ الصغيرِ صغارُها وتصْغُرُ في عَيْنِ العظيمِ العظائمُ

أهم مظاهر السلبية ودنُوّ الهمة:

من أهم مظاهر السـلبية ودنو الهمـة أو من أهم صفات ذلك الرجل الصفر أو المرأة الصفر:

أولًا: الخمول والكسل:

الرجـل الصفـر أو المـرأة الصفـر لا يكلـف نفسـه القيام بشـيء، حتى في مصالحه الشخصية، بل ربما في ضروريات حياته كالدراسة أو الوظيفة أو حتى بيتـه وطلباته، فمـاذا نقول إذن في حاله مـع العبادات والطاعات مـن قيام ليل، وصلاة وتر، ومن السنن الرواتب، ومن صيام النفل، وقراءة القرآن وغيرها من العبادات ومن النوافل؟ بل انظر لحاله مع الفرائض والتثاقل فيها حتى أصبحت حاله شـبيهة بحال المنافقين الذين قـال الله عنهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢]، ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

﴿إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤].

فإن كان هذا حاله مع الفرائض فكيف سيكون حاله مع قضايا المسلمين والاهتمام بها؟ وكيف يحمل همّ هذا الدين والدعوة إلى الله ﷻ؟ لقد كَانَ من دعاء النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ**» [رواه مسلم].

ثانيًا: الرضا بالدون مع القدرة على ما هو أفضل وأحسن:

فمن علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دنيء.

ولم أرَ في عيوبِ الناسِ عيبًا ... كنَقْصِ القادرينَ على التمامِ

إن في شبابنا وفتياتنا ورجالنا ونسائنا خيرًا كثيرًا، وفي وسعهم وطاقاتهم الكثير الكثير، ولكنها السلبية تلك الداء العضال، إن الله يربي المؤمنين على التطلع إلى أعلى المقامات، فيقول سبحانه على لسانهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

انظر ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] لم يقل: واجعلنا من المتقين! ولكنها تربية على الهمة العالية والعزيمة الصادقة ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

إن الله ﷻ يريد منا أن نكون ذوي همم عالية، لا أن نكون من المتقين فقط، بل أن يكون الرجل إمامًا للمتقين، وأن تكون المرأة إمامة للمتقيات، هكذا يريد الله ﷻ أن يربي هذه النفوس، واسمع لرسول الله ﷺ وهو يقول: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

لماذا هذا الأمر؟! لأن المسلم صاحب مبدأ، وهو على الحق فإن عاش عاش عزيزًا، وإن مات مات شهيدًا، والله معه مؤيدًا وحافظًا، والجنة مستقره وموعده.

إن أقصى همة أحدنا إذا ذكرت الجنة أن يسأل الله الجنة، ولكن النبي ﷺ يربي فينا التطلع إلى أعلى المقامات، وعدم الرضا بالأمور الدنية، ولذلك: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ**».

ثالثًا: التقيد بروتين الحياة وعدم التطلع إلى الجديد:

اعتاد بعض المسـلمين على نمط معين مـن الحياة ودرج عليه، فيثقل عليه المشـاركة، ويصعب عليه العمـل، وكلما حُدِّثَ بأمرٍ كان الرد منه سـلبًا، حتى أصبح المسكين لا قيمة له ولا ينظر إليه، ولا يسمع لكلمته، ربما مع سعة علمه وعلو مركزه رضي بالدون ورضي برتابة الحياة، حتى مَلّها هو بنفسـه، وأصبح يعيـش في هامـش الحياة لا معنى لـه، فكيف تريـد من الآخريـن أن يحترموك أو يسـتجيبوا لـك أو حتى يسـمعوا كلمتك؟ مع ما أوتيت مـن علم ومن مركز مرمـوق، فإن الناس ينظـرون إلى علو همتـك، وينظرون إلى صـدق كلمتك، وينظرون إلى عملك.

إن بعض الناس إذا مات لا يبكيه أهله ومدينته فقط، بل تبكيه الأمة بكاملها؛ لأن الأمـة فقدته، لم يفقده أهله وحدهم، ولـم تفقـده مدينته وحدها، بل فقدته الأمـة بكاملهـا، كل الأمة تبكي عليه، من أجل أي شـيء هذا؟ لأن الرجل كان رجلًا ممتازًا، كان رجلًا معطاءً، كان رجلًا عاملًا نشيطًا.

وبعـض النـاس إذا مات بـكاه أهله أيامًـا، وربمـا قالوا في قرارة أنفسـهم: «الحمد لله الذي أراحنا منه»، فهو كَلٌّ عليهم، بل ربما ضاقت به نفسه التي بين جنبيـه بهمومها وغمومها وقلقها ومرضها ونفسـيتها، نفسـه ربما ضاقت عليه، لمـاذا؟ لأنـه لا همّ له إلا في شـهواته وملذاتـه؛ فضاقت عليه نفسـه، وضاق به أهله، وضاق به أهل مدينته، فكم من رجل وكم من امرأة، يتعوذ الناس من شره ومن شرها.

وربِّـك ما الـرزيـةُ فقْدُ مالٍ ... ولا شـاةٌ تـموتُ ولا بعيرُ
ولـكـنَّ الـرزِيَّـةَ فَـقْـدُ فَـذٍّ ... يـمُـوتُ بـمـوْتِـه خـلـقٌ كثيرُ

وشتان بين هذا وذاك، فإن من الناس من همته في الثرى - أي: في التراب- وإن من الناس من همته في الثُرَيَّا - أي في السماء، فالثُرَيَّا مجموعة من النجوم في صورة الثَّوْر، وهي سبعة كواكب، سُمِّيت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحلّ.

كيف يرضى مسلم عاقل أن يقتله روتين الحياة ورتابتها؟ كيف يرضى مسلم عاقل أن تذهب الأيام والليالي والشهور والسنون وهو على حاله بدون تطور ولا تقدم؟! اسأل نفسك: كم عمرك الآن؟ كم بلغت من العمر الآن؟ عشرون سنة؟ ثلاثون سنة، أربعون سنة؟ أسألك بالله هل أنت راضٍ عن نفسك؟! ماذا قدمت خلال هذه السنوات؟ وهل أنت في تطور أم أنك ما زلت على حالك، وعلى ما أنت فيه منذ سنوات طويلة؟ إن المسلم العاقل صاحب المبدأ، وصاحب اليقين لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار حتى يقدم ما في وسعه، وحتى يتقدم، وحتى يكون غده أفضل من أمسه.

رابعًا: الاستجابة للنفس الأمارة:

الاستجابة لشهواتها ولذاتها، بل وتمكينها من قيادة العقل وتغييبه، حتى لم يعد للنفس اللوامة مكانًا، فمات الشعور بالذنب، ومات الشعور بالتقصير، لذلك ظن الكثير من المسلمين أنه على خير، بل ربما لم يرد على خاطره أنه مقصر، فبمجرد قيامه بأصول الدين، وبمجرد محافظته على الصلوات، بل ربما والتزامه في الظاهر ظن في نفسه خيرًا عظيمًا، رأى نفسه فظن فيها خيرًا عظيمًا، ولكن ما كيفية هذا القيام؟ وما حقيقة هذا الالتزام؟ وهل قَبِلَ الله منه أم لا؟ بل لماذا نسي مئات بل آلاف من الصغائر التي تجمعت عليه من الذنوب والمعاصي؟

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ**

الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ»، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا: **كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ، فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، فَأَجَّجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا**». [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

(وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ): بفتح القاف المشددة، أي: صغائرها.

(يُهْلِكْنَهُ) إما لأن اعتيادها يؤدي إلى ارتكاب الكبائر، من حام حول الحمى يوشِك أن يقع فيه، فيكون الهلاك بالكبائر التي تؤدي إليها الصغائر.

وإما لأن اعتيادها يؤدي إلى قِلةِ المبالاة بها، أو هو يوجب الهلاك.

وإما لأن الإصرار على الصغيرة كبيرة، وهو محمل الحديث.

خامسًا: كثرة الجلسات وضياع الأوقات:

وليس الخطر في الاجتماعات ذاتها، بل في كثرة الكلام دون عمل يفيد الأمة وينفع الأجيال، وكثرة الجدال والمراء، هذا إن سلمت الجلسات من الغيبة والنميمة والجرح والثلب وتنقص الآخرين، وسلمت من وسائل اللهو المحرم، وإلا فإن الطامة أعظم.

إنك لتتألم أشد الألم وأنت تعلم أن في تلك الجلسات أعدادًا هائلة من أصحاب الطاقات والمواهب والعقول والأفكار، يلتقون على الأقل في الأسبوع مرة واحدة، أي: في السنة ما يقرب من ثمان وأربعين لقاء، واللقاء الواحد لا يقل عن خمس ساعات، ربما تزيد أو تقل، فما هي النتيجة؟ بماذا خرجوا بعد هذه الاجتماعات الطويلة؟ وماذا قدموا لأنفسهم؟ وماذا قدموا لعقيدتهم؟ وما هي حصيلة العلم التي كسبوها من هذه الجلسات؟ والموضوع يحتاج لا شك إلى دراسة وتأمل وتوجيه مفيد لاستغلال مثل هذه الجلسات، ومثل هذه الدوريات والاجتماعات.

سادسًا: عدم الاستعداد للالتزام بشيء، التهرب من كل عمل جدي، خداع النفس في الانشغال وهو فارغ.

كم من الناس إذا كلف بأمر قال: مشغول، وحقيقة أمره أنه غير مشغول، أو أنه مشغول بمثل هذه الجلسات ومثل هذه اللقاءات، أو الانشغال في شهوات النفس وملذاتها، أو التسويف والتأجيل وتأخير الأعمال والغفلة والنسيان المستمر لما كلف به، والأخطر من ذلك كله النقد المستمر لكل عمل إيجابي، وتضخيم الأخطاء، كل ذلك تبرير لعجزه وسلبيته القاتلة، بعض الناس لا يعمل، ويا ليته لم يعمل فقط، بل جعل نفسه راصدًا لأعمال إخوانه، مرة بالنقد، ومرة بالجرح، ومرة بالتثبيط والتخذيل والتنصل للمشاركة والعمل.

سابعًا: تعطيل العقل وعدم التفكير:

وإن فكر كثير من المسلمين والمسلمات واستخدم عقله فإذا هو يفكر فيما يحبه ويشتهيه كالرحلات والصيد والجلسات والملذات، وكأنها الهدف الذي خلق له، فهبطت اهتماماته وسفلت غاياته، فلا قضايا المسلمين تشغله، ولا مصائبهم تحزنه، ولا شئونهم تعنيه، وإن حدث شيء من ذلك فعاطفة سرعان ما تبرد ثم تزول.

ثامنًا: عقدة المستحيل ولا أستطيع، ولا أقدر:

كم من المرات نضع بأنفسنا العقبات والعراقيل أمام كثير من مشاريعنا!! نحن بأنفسنا نصنع العقبات ونصنع العراقيل، والواقع يشهد بهذا، فلماذا عذر المستحيل وعذر عدم الاستطاعة وعدم القدرة هي الورقة التي نلوح بها دائمًا، فنغلق نحن بأيدينا الأبواب في وجوهنا؟ لو فكرنا وحاولنا لوجدنا أن كثيرًا من العقبات والعراقيل التي تقف أمامنا إنما هي عراقيل وعقبات وهمية، وما هي

إلا حيل نفسـية، فكر جيدًا وارجع لنفسـك وحاسبها وسـتجد أننا بأنفسنا نعيق أنفسـنا عـن العمل، فكل أمر بمقـدور البشـر أن يفعله لا يمكن أبـدًا أن يكون مسـتحيلًا، وكل أمر بمقدورك أنت أيها الإنسـان! أن تفعلـه لا يمكن أن يكون مستحيلًا أبدًا.

سـئل نابليون: «كيف اسـتطعت أن تولد الثقة في أفراد جيشك؟»، فأجاب: «كنـت أرد بثـلاث على ثـلاث، من قال: لا أقـدر، قلت له: حـاوِلْ، ومن قال: لا أعرف، قلت له: تعلّمْ، ومن قال: مستحيل، قلت له: جرِّبْ».

كُنْ رابطَ الجأشِ وارفَعْ رايةَ الأمل   وسِـرْ إلى اللهِ في جدٍّ بلا هَـزْلِ
وإنْ شعرْتَ بنقصٍ فيكَ تعْرفُهُ   فغَذِّ رُوحَـك بالقُرآنِ واكتمِلِ
وحارِبِ النفسَ وامنعْها غوايَتَها   فالنفسُ تهوَى الذي يدعُو إلى الزللِ

تاسعًا: التثبيط والتيئيس للآخرين:

فإن الرجل الصفر لا يكتفي بعدم المشاركة، بل أصبح قاطع طريق، وعونًا للشـيطان وحزبـه، فتجـده يخلق الأعـذار والأسـباب، وربما ألبسـها الصبغة الشـرعية لتبريره لعجزه وعدم مشـاركته، فليس لديه شجاعة الاعتراف بالخطأ والتقصير، وليس لديه الاسـتعداد للعمل والمشـاركة، ولكنه على أتم استعداد للنقد والتجريح، والثلب والتقبيح.

عاشرًا: الضعف والفتور أثناء أوقات العافية، أو في مراحل العمل الجـاد: فإنك تـكاد لا ترى للرجل الصفر نشـاطًا ولا تعرف عنه جـدًا، فإذا ما وقعـت مصيبة أو وقعت فتنة أو كان الخلاف، رأيتَه وأصحابه ينشـطون وحول الحرص على الدعوة يتحدثون، وفي التخطيط ومعرفة العمل هم يلهجون، وفي الناس يصنفون ويقسمون.

والوقائـع والأحـداث والفتن هي التـي تميز بين أناس وأنـاس، فإن لكل

مـن الحق والباطل رجالًا، كمـا أن الحق يحمله رجال وينافحون عنه، فكذلك الفتـن لها رجال يحملونها ويدعـون الناس لها، ويتحملـون كبرها، ولكن بين حملة الحق والصابرين عليه ودعاة الفتنة جمهور يتنازعهم الخير والشـر، ومن هنـا ينبغي الحذر من دعـاة الفتن ومن يتأثر بهم من الرعـاع، وضعاف النفوس وأتباع الهوى.

أسباب السلبية ودنُو الهمة:

لمـاذا الرجـل الصفـر أصبـح رجـلًا صفـرًا؟ لمـاذا كثيـر من المسـلمين والمسـلمات أصبحـوا فعلًا أصفـارًا لا قيمة لهم على هامـش الحياة، لا معنى لهم، لا قيمة لهم، لا يقدمون شيئًا لأنفسهم فضلًا على أن يقدموا شيئًا لعقيدتهم ودينهم وهدفهم ومبدئهم؟

السبب الأول: الجهل أو الغفلة عن الغاية التي من أجلها خلق:

ألست مسلمًا؟ أولستِ مسلمة؟ ألم ترض بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسـلم نبيًا رسـولًا؟ ألا تعلم أن الغاية التي من أجلها خلقنا هي تحقيـق العبودية لله عز وجل في الأرض؟ هذا هو الهدف الذي من أجله خلقنا: عبودية الله، تحقيق العبودية لله تعالى على هذه الأرض.

إن بعـض الناس قد يجهل الهدف الذي من أجلـه خلق، وبعض الناس قد يعلم ولكنه يغفل وتغفله شهوات الدنيا ولذاتها عن ذلك الهدف.

فالغايـة التـي من أجلها خلقنـا هي عبـادة الله؛ ولكنها ليسـت العبادة فقط في المسـجد، و ليسـت الصـلاة والصيام والحـج والزكاة، لا وألـف لا، وإنما العبادة التي يريدها الله عز وجل: العبادة بمفهومها الشـامل، العبادة التي عرفها أهـل العلم يوم أن قالوا هي: اسـم جامع لكل ما يحبـه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

قَالَ تعَـالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأنعام:١٦٢] هكـذا هي العبوديـة، هكذا هو الهدف الذي من أجله خلقنـا، وهكذا يريده الله عز وجل، عندها يعلم الإنسـان أن كل حركة وكل سـكنة وكل نفَس، كل شيء يعمله، يُؤْجَر عليه إن أخلص النية لله ﷻ فيه، ويصير عبادة لله ﷻ.

إن العبـادة غايـة الذل لله مع غاية الحب له، فأي حب لله هذا الذي أقعدك؟ أيـن البينة على هذه المحبة؟ فلا تقبل الدعـوى إلا ببينة: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمـران:٣١] فإذا غرسـت شجرة المحبة في القلب وسقيت بماء الإخلاص، ومتابعة الحبيب ﷺ، أثمرت أينع الثمار.

السـبب الثاني: صحبة ذوي العزائم الواهنـة والهمم الدنيئة:

وهذا السـبب من أكثر الأسباب تأثيرًا، فالإنسان سريع التأثر بمن حوله، ولهذا كان التوجيـه النبوي: «**الْمَرءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُـرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»، [رواه أبو داود، وحسنه الألباني].

السبب الثالث: الغفلة عن الذنوب وقتل الشعور بالخطأ:

أو إن شـئت فقل: ضياع الوازع الديني أو النفس اللوامة، أو إن شئت فقل: قلة الخوف من الله ﷻ، أصبح ذلك الرجل الصفر أسيرًا لذنوبه فهو لا يستطيع التخلـص منها، فلا الذنوب والمعاصـي دفعته إلى العمل الصالح والإكثار منه لعلها تكون سببًا لمحوها وغفرانها، ولا هي التي جعلته ينظر لنفسه، بل جعلته أسيرًا مسكينًا ضعيفًا خامل النفس أسيرًا لها.

السـبب الرابع: الزهد في الأجر وعدم الاحتساب، والغفلة عن أهمية الحسنة الواحدة:

وهـذا نتاج الغفلـة عن الموت ونسـيان الآخرة، وإلا فـإن المؤمن مجزي على مثقال الذرة، إن المؤمن مجزي على مثقال الذرة، كما أنه محاسب عليها،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة].

إن قلب المؤمن والمؤمنة ذلك القلب الحي يرتعش لمثقال ذرة من خير أو شر، وفي الأرض قلوب لا تتحرك من الذنوب والمعاصي.

السبب الخامس: التردد والتذبذب والحيرة والارتياب:

فهو لا يدري من يرضي ولا يدري من يتبع، ولقلة علمه وضعفه أصبح كالريشة في مهب الريح، تؤثر فيه الأقوال المزخرفة.

إن منهج أهل السنة والجماعة وهدي السلف الصالح رضي الله عنهم، واضح بين لا غموض فيه ولا تزلف لأحد، يشع في النفس راحة واطمئنانًا، والالتزام به عامل مؤثر في الاستقرار والاستمرار، فعض عليه بالنواجذ، وانبذ أهل الهوى وجرح الناس ولمزهم، وعليك بالعمل الجاد، عليك بالعمل فإنه خير دليل على سلامة المنهج.

السبب السادس: عدم الثقة بالنفس والورع الكاذب الذي أصيب به عدد من المسلمين:

فتجده يعتذر عن إلقاء كلمة، لأنه لا يستطيع، وهو قادر؛ لكنه الخوف من الفشل والتهيب من المواجهة وهكذا في كل أمر يعرض عليه، فتقتل الطاقات، وتموت المواهب ولا شك أنه مسئول عنها أمام الله، فأعد للسؤال جوابًا.

السبب السابع والأخير: أمراض القلب كالحسد وسوء الظن والغل:

فإذا أصيب القلب بهذه الأمراض انشغل بالخلق عن الخالق، وزادت همومه وكثر كلامه، فلا تسمعه إلا متنقصًا للآخرين مغتابًا لهم، لا همّ له سوى الكلام والقيل والقال، بل هو يحزن لفرح أخيه ويفرح لحزنه، وبلية البلايا أن يرى أنه على حق وكل من خالفه فهو على باطل ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ

حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨] وربما عرف أنه أخطأ واكتشف الخلل، ولكنها الشهوة الخفية - أعاذنا الله منها - في التصدر والترفع وحب الرياسة، أهلكته وأصمته - نعوذ بالله من ذلك -:

قبيحٌ من الإنسانِ ينسَى عيوبَه ويذكُر عيبًا في أخيهِ قدِ اختفَى
فلو كانَ ذا عقلٍ لَمَا عابَ غيرَه وفيهِ عيوبٌ لو رآها بها اكتفَى

هل أنت رجل صفر أم لا؟ وهل أنت امرأة صفر أم لا؟

امتحان يسير لمعرفة النفس، أجب بينك وبين نفسك على هذه الأسئلة السريعة: انظر لنفسك عند قراءة كتاب بل رسالة من الرسائل الصغيرة.

انظر لنفسك عند حفظ شيء من القرآن والاستمرار عليه.

انظر لنفسك عندما تريد الإنفاق أو التردد في المقدار.

انظر لنفسك عند قيام الليل، بل عند المحافظة على الوتر.

انظر لنفسك وتقصيرك في الدعوة إلى الله والشح في الوقت لها.

انظر لنفسك عند طلب العلم، والمواصلة والاستمرار على ذلك.

انظر لنفسك عند الدعوة إلى دين الله ﷻ.

انظر لنفسك والاشتياق إلى الجنة والسعي لتكون من أهلها.

انظر لنفسك واهتمامها بالمسلمين وأحوالهم، وهل تحزن لمصابهم؟ وضابط ذلك: الدعاء لهم.

انظر لنفسك في الأعمال الخيرية، والمشاريع الدعوية ومدى حرصك عليها والرغبة فيها.

أجب على نفسك عن هذه الأسئلة السريعة وغيرها، حتى تعلم هل أنت رجل صفر، أم أنك رجل ممتاز؟ أجب على نفسك بصراحة، فإن أول العلاج أن تعرف الداء، وأن تعرف أنك أخطأت، فاتهم النفس وقِفْ معها وصارحها، وعندها سينطلق الإنسان.

علاج السلبية ودنو الهمة:

أولًا: وضوح الهدف والغاية والمبدأ:

ماضٍ وأعرفُ ما دَرْبي وما هدفِي والموتُ يرقصُ لي في كلِّ مُنعطَفِ
وما أُبالِي به حتى أحَاذِرَهُ فخَشْيةُ الموتِ عندي أبْرَدُ الطُرَفِ

ثانيًا: الخوف من الله خير زاد لعلو الهمة:

احرص على خوف الله، املأ قلبك بخوف الله، راقب الله، اعلم أن الله يراك، استعن بالله، واعلم أنه معين لك في كل أمر، وأنه مطلع عليك في كل حال وفي كل مكان وفي كل مقام، فكِّرْ في هذه الأمور حتى يمتلئ قلبك تعظيمًا لله، فإن من كان بالله أعرف كان لله أخوف.

ثالثًا: مصاحبة أصحاب الهمم العالية:

إذا ما صحبْتَ القوم فاصحَبْ خيارَهمْ ولا تصحبِ الأرْدَى فتَرْدَى مع الرَّدِي
عن المرءِ لا تسَألْ وسَلْ عنْ قرينِه فكُلِّ قَرينٍ بالمقَارنِ يقتدِي

وقل لي: من تصاحب؟ أقل لك: من أنت.

رابعًا: النظر في سير المجتهدين، وفي سير السلف الصالح، وفي أصحاب الهمم والعزائم:

اقرأ في السير والتراجم، فلا تترك فضيلة وقفت عليها ويمكن تحصيلها إلا حصلتها فإن القعود عن الفضائل حالة الأراذل.

خامسًا: التنافس على الخيرات والشعور بألم الفوات:

اسأل نفسك بحق كم يفوتك من الحسنات؟ كم من الناس اهتدوا فكانوا في موازين الآخرين؟ اسأل نفسك لماذا لم يكن هؤلاء الذين اهتدوا في موازين أعمالك أنت؟ لماذا لم تكن أنت الذي مد يده بشريط أو مدَّ يده بكتاب،

أو لسانه بكلمة طيبة، أو عقله بفكرة أو طرح؟ فالله عز وجل يقول: ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ويقول: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين:٢٦].

إن مجرد فكرة تقولها وتطرحها في مجلس من المجالس يُعمَل بها لك أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، من قال أن الوقف لله يجب أن يكون مالًا أو عقارًا؟! يمكن أن تطرح فكرة للمسلمين عامة فيعمل بها، فتكون هذه الفكرة وقفٌ لله تعالى، أنت صاحب الوقف تؤجر عليها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

سادسًا: فتش عما وراء الأكمة:

أي: ربما كانت هناك أسباب أخرى خفية لسلبية بعض الناس، فربما كان فلان شابًا قويًا جلدًا نشيطًا، صاحب مواهب وابتكارات؛ لكنه صفر، لماذا؟ بسبب سوء التخطيط أو سوء التوجيه، فليتنبه لذلك المربون والموجهون، فقد يكون سببًا رئيسًا في سلبية كثير من تلاميذه ومن تحت أيديهم، وليس في هذا تبرئة للرجل الصفر، إن عليه الحرص والاجتهاد، وأنه يجب عليه ألا ينتظر الفرص بل يبحث عنها، وألا ينتظر الموجه، فإن وجد وإلا فالتجربة خير برهان، فليتوكل على الله ولينطلق.



٨١٠- الرَّجُل الألف[1]

أوزان الرجال:

إن رجلًا واحدًا قد يساوي مائة، ورجلًا قد يوازي ألفًا، ورجلًا قد يزن شعبًا بأسْره، وقد قيل: «رجل ذو همة يحيي أمة». وكبيرو الهمة في الناس كالعملة النادرة، يصدق عليهم قول رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ المِائَةِ، لاَ تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً**» [رواه البخاري]، ورواه مسلم بلفظ: «**تَجِدُونَ النَّاسَ كَإِبِلٍ مِائَةٍ، لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً**»، وهم في الناس ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين:

وقد كانوا إذا عُدُّوا قليلًا ... فقد صاروا أعَزَ من القليل

الواحد منهم بأمة، والفرد منهم بألف:

يُعَدُّ بألْفٍ من رجالِ زمانِه ... لكِنَّه في الألمعيةِ واحدُ

وقال آخر:

ولم أرَ أمثالَ الرجال تفاوتًا ... إلى المجد حتى عُدَّ ألفٌ بواحدِ

ولذا عظمت المصيبة بفقدهم، وعمت الرزية بموتهم:

تعلَّمْ ما الرَّزِيَّةُ فَقْدُ مالٍ ... ولا شاةٌ تموتُ ولا بعيرُ

ولكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ حُرٍّ ... يموتُ بموْتِهِ بشَرٌ كثيرُ

رجل صوته فقط يساوى ألف رجل:

فكيف بعمله وعبادته وهمته، إنه الصحابي الجليل أبو طلحة زيد بن سهل الخزرجي رضي الله عنه، من بني النجَّار أخوال رسول الله ﷺ، وهو أحدُ أعيان البدريين، وهو زوج أم سُليم والدة أنس، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي

---

(١) بتصرف من محاضرة للشيخ إبراهيم الدويش بهذا العنوان.

عبيدة بن الجراح. مات أبو طلحة بالمدينة سنة أربع وثلاثين، وصلى عليه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَصَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الْجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ فِئَةٍ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

(خَيْرٌ) أي: أَهْيبُ في صدور العدو (مِنْ فِئَةٍ): أي: جماعة، وفي رواية «**صَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الْجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ**» [رواه الحاكم، وصححه الألباني].

المدد رجل واحد:

ولما حاصر خالد بن الوليد (الحيرة) طلب من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مددًا، فما أمده إلا برجل واحد هو القعقاع بن عمرو التميمي وقال: «لا يُهزم جيش فيه مثله»، وكان يقول: «لَصَوْتُ القعقاع في الجيش خيرٌ من ألف رجل».

أربعة رجال بأربعة آلاف رجل:

ولما طلب عمرو بن العاص المدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في فتح مصر كتب إليه: «أما بعد: فإني أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف: رجل منهم مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة ابن الصامت، ومسلمة بن مخلد».

وقال أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن على الباقرُ: «لكل قوم نجيبةٌ، وإن نجيبة بني أمية عمر بن عبد العزيز، إنه يُبْعَث أمَةً وَحْدَهُ».

الرجل المليوني:

لما مات خالد بن الوليد قالت أمه:

أنت خير من ألف ألف من القوم إذا ما كنت في وجوه الرجال

فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «صدقَتْ والله وإن كان لَكَذلك»، [ذكر ذلك الحافظ ابن حجر فى الإصابة].

من هو الرجل الآلف؟

قال أبو بكر بن دريد: «والناس ألف منهم كواحد، وواحد كالآلف».

* الرجل الألف رجل يساوى ألف رجل بهمته وعمله وجده وبصدقة وأمانته وعدله.

* الرجل الألف هو الذى يرفع القوم من سقوط ويبدلهم بالخمول نباهةً وبالطاعة العمياء كلمة حق ونصح وشجاعة أدبية. الرجل الألف من يتحرى الفضائل لا لجاه ولا لثروة ولا للذة ولا لاستشعار نخوة واستعلاء على البرية، بل يتحرى مصالح العباد شاكرًا بذلك نعمة الله متوخيًا به مرضاته غير مكترث بقلة مصاحبيه.

* الرجل الألف نورُه كالشمس وكالضياء ينفع كل أحد وكالنجم الساطع فى السماء. الرجل الألف لا يعرف الصعب، ولا يقف فى وجهه عقبات، أمل وعمل وبطولة ومغامرة وابتكار وأعجاز وتقدم وإنجاز.

فلم أرى أفضال الرجال تفاوتوا بالفضل حتى عد ألف بواحد.

* الرجل الألف شجاع لا يخاف إلا من الله لا يهاب من الموت بل جدير بالموت أن يهابه فهو يعلم أن حتف ابن آدم ليس فى فراق الروح وإنما حتفه فى ضعف الإيمان والحرمان من اليقين، لكن الشجاعة لا تعتمد على الإقدام والإحجام فحسب ولا على الخوف وعدمه وإنما تعتمد على ضبط النفس وعمل ما ينبغى فى الوقت الذى ينبغى.

فليس المحمود أن يتجرد الإنسان من كل خوف ليس هذا محمودًا، فالخوف عند الإقدام على أمر مهم تتعلق به مصالح الأمة أو يحتاج إلى اتخاذ قرار حاسم فضيلة وأى فضيلة وحق لك أن تخاف فى أن تخطوا خطوة فى هذا

مثل هـذا الأمـر إذا كان يتعلق بالمسـلمين أجمع. إذن هو يحمـل على الروية والتـأني والتـؤدة حتى يختمر الـرأي وينضج فى الذهن؛ ولهذا مـازال الحكماء ينصحـون الناس ألا يقدموا على مواقـع الخطر إلا أن تكون فائدة للإقدام أكبر من الخسارة.

الـرأيُ قبلَ شجاعةِ الشُجعانِ هـوَ أوَّلٌ وهـى المحِلُّ الثانِى
وإذَا هُما اجتمعَا لِنفْسٍ حُرَّةٍ حـازَتْ من العلياءِ كُـلَّ مكانِ

* الرجل الألف عظيم الهمة يستخف بالمرتبة السفلى بل ربما حتى المرتبة الوسـطى من معالي الأمور ولا تهدأ نفسـه إلا حين يضع نفسـه فى أسمى منزلة وأقصى غاية ويعبر عن هذا المعنى النابغة الجعدى بقوله:

بلغنَا السماء بمجدنَا وجدودنَا وإنا لنَبْغِي فوقَ ذلك مَظْهَرا

* الرجل الألف كالنحلة إن أكلت أكلت طيبًا، وإن أطعمت أطعمت طيبًا، وإن سقطت على شئ لم تكسره ولم تخدشه.

وكـأنَّـه الـقـمـرُ المنيرُ إذا بَـدا زالَـتْ ظُـلَـمْ
وكـأنـه الـبـحـرُ الـخِضَـمُّ إذا تـقـاذفَ والـتَـطَـمْ
وكـأنـه زهـرُ الـربـيـعِ إذا تـفَـتَّـحَ أو نَـجَـمْ

لماذا الرجل الألف؟

الإسلام دين العزة والكرامة ودين السمو والارتفاع ودين الجد والاجتهاد وليس دين مذلة ولا انكسـار، ولا مسـكنة وكسـل، ولا خمول. وأمة الإسـلام تعيش منعطفًا خطيرًا وتحولًا رهيبًا وهوانا وذلا عجيبًا، واقعٌ يحتاج إلى رجال ليس فقط يعملون بل رجال يحملون هم أمة.

فنحـن اليـوم بأمـس الحاجة إلـى الرجال ولكنهـم رجال يأخـذون بزمام المبادرة يحبون التقدم والتحضر لكنهم مستمسكون بعقيدتهم ودينهم، يعلمون

ويدركون كيد ومكر أعدائهم، يعيشــون لأمتهم لا لشــهوتهم، يقدمون مصلحة الأمة على مصلحتهم.

إننا فى مرحلة تقتضى أن يفكر الإنسان كيف يستطيع أن ينتج، كيف يستطيع أن ينتــج بأكثــر من طاقته، ولن يكــون ذلك ممكنًا إلا إذا وُجـدَتْ الهمة العالية والعزيمــة الصادقــة التى تتطلع إلى أفق عالٍ وقمة ســامقة مــن العطاء والإبداع وخدمة هذا الدين وهذه العقيدة.

إن اســتصغارَ الإنسان لنفســه يقتل الطموحات فيكبلها بالعجز حتى يصل إلى حد الشــلل الذى يعوقه عن الحركة والإنتاج، إن طاقة الإنسان تتآكل غالبًا حينما يزدرى الإنســان نفســه ويشــعر أنه ضعيف لا يســتطيع أن ينجز عملًا أو يبــدع فى أمــر، وفى كثير من الأحيان لا يكتشــف الإنســان طاقتــه مواهبه إلا من خلال التجارب، وإنتاج المرء غالبًا يعتمد على مقدار طموحه وهمته.

الإنسان الطموح هو الذى يجعل أمامه هدفًا عاليًا حتى ولو كانت قدراته لا تؤهله لذلك الآن لأنه سوف يحرص على تنمية قدراته للوصول إلى هدفه، فإذا نمت القدرات فإنه لن يبقى عند هدفه الأول بل سوف تنمو طموحاته وتزداد.

إن الأمــة التــى لا تدعُــو تُدعى، والتى لا تغــزُو تُغزَى، وقوة الأمــة بثوابتها ومبادئها والدعوة إليها، ولا يمكنها ذلك حتى تتحد فى أهدافها وأعمالها فتكون على دين واحد، عقيدةً وقولًا وعملًا وصراطًا مســتقيمًا، ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى: ٥٣].

الرجل الألف وهذا الزمان:

نحــن فى زمــن المغريات والشــهوات، فى زمــن تتابع الفتــن والانفتاح، فى زمــن الانهزام والخمول، فى زمن تميع الدين والعقيدة، فى زمن منهج الســلامة لا ســلامة المنهج، فى زمن الحرب الضروس على عقيدتنا ومُسَــلَّماتنا وثوابتنا

حتـى من بعض أبناء جلدتنا ولغتنا، ورغم هذا كله تبقى الأمة ولودًا معطائة إذا مات فيها سـيد قام سيد، وإن أغلق باب فُتحت عشرات الأبواب، ويأبى الله إلا أن يتم نوره فيقيض رجالًا ونساء عاملين يعملون ويبذلون، الرجل منهم كألف رجل. رجل أمة فى همه وفكره وهو رجل ميدان فى عمله، رجال ونساء هممهم عند الثريا بل أعلى.

مازالَ فى الأرضِ مَيْدانٌ ومُتَّسَعٌ ... للخيرِ يُدركه مَن جَدَّ فى الطلبِ
ولم تزَلْ نخلةُ الإسلامِ باسقةً ... مليئةً بعروق التمر والرطب
ولم تَزَلْ واحةُ الأخلاقِ مخصبةً ... فيها مشاتِلُ مِن تينٍ ومِن عنبِ

فهنيئًا لـك يا كل جاد، يا كل عامل فى زمن الضعف، هنيئًا لك يا كل عامل فى زمن الشهوات، وحب الهوى والملذات لا تيأس، لا تتردد فالله معك ويراك قد لا تُعرف ولكن حسبك أن الله يعرفك، لا بأس أن تحزن لأوضاع أمتك لكن الأهم أن تفعل وتفعل، ففعل الأسباب يفتح الأبواب.

وعلينا أن نستمر فى قرع أجراس الخطر لأفراد أمتنا حتى لا يستشعر الجميع حال الأمـة وضعفها وأن المسئولية على الجميـع العلماء والأمـراء، الرجال والنساء، الدعاة والمفكرين، والإعلاميين والمعلمين كل بحسبه.

لابـد أن يتحرك الجميع مـن منطلق العقيدة، فالعقيدة ليسـت ملكًا لأحد، ليسـت ملكًا خاصًا فقط هى للدعـاة والعلماء كما يتصور البعض بل هى للأمة جمعـاء، فهى عقيـدة الطبيب والمهنـدس والتاجـر والرجل والمـرأة والكبير والصغير، إن الإسلام ديننا وعقيدتنا جميعًا.

فالرجـل الألـف عالـم أو طالـب علـم ملـيء علمًا وفقهًـا من رأسـه إلى أخمص قدميه.

الرجل الألف مسئول يفيض همًا وعملًا وإخلاصًا وحرصًا.

الرجل الألف قاض يحكم بشرع الله، يحكم بالعدل.

الرجل الألف أستاذ ومعلم ومربٍ وقدوة يتدفق تجربة وحكمة.

الرجل الألف تاجرٌ موسرٌ ورعٌ يقول بالمال هكذا وهكذا فى سبيل الله وفى ميادين الدعوة والخير.

الرجل الألف إمام وخطيب وشعلة تنير الطريق لأهل حبه ومحبه.

الرجل الألف شاب يتدفق حيوية ونشاطًا فى مدرسته بين زملائه وأهله وعشيرته.

الرجل الألف كاتب وشاعر وصحفي يحمل هَمَّ أمانة الكلمة ونصرة أمته.

الرجل الألف طبيبٌ يداوى القلوب قبل الأبدان.

مهندسٌ يرسم عمارة القلوب قبل عمارة البنيان.

جنديٌ يدرك أن الأمانة بالإيمان.

طيارٌ يطير بالخيرات الحسان.

الرجل الألف رجل أمة شعلة وهمة وعلو وقمة.

الرجل الألف يُصلح ما أفسده الناس، غريب فى زمن الغربة فلا تلوموه.

فكن رجلًا عن ألف رجل ولا ترض بالدون، وتخطَّ العقبات وحاول ولا تيأس وإذا رأيت من يسابقك بالدنيا فنافسه فى الآخرة، وإن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل.

صاحب الهمة العالية والنفس الشريفة التواقة لا يرضى بالأشياء الدنية الفانية. إنما همتة المسابقة فى الدرجات الباقية فعمله لله وفى الله وهو مع الله وأجره على الله ومن كان فى الله تلفه كان على الله خلفه، وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت فى مرادها الأجسام.

الرجل الألف أيا كان موقعه يُحْسِن استغلال الموقف واستثمار الأخطاء وتوظيف الأحداث والإفاده منها والسعى وبذل الأسباب، ولا يقف عن حد الأمانى ولا مجرد الأقوال والأطروحات.

فهذا البخارى رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجلس مجلس إسحاق بن راهويه فيسمعه يقول: «لو أنه ألّفَ كتابًا فى الصحيح»، إذن القضية رأيٌ وفكرة طُرِحَت فى ذلك المجلس فلاقت قلبًا واعيًا وهمةً عالية، وما زالت الفكرة تعمل وتعمل فى رأس البخارى رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى اليقظة وفى المنام حتى قال: «رأيت فى المنام أن بيدى مروحة أذُبُّ بها عن رسول الله ﷺ»، فعُبِّرَتْ له أنه يَذُبُّ (أي يدْفَع) عن سنة رسول الله ﷺ الكذب.

ثم بعد هذا شرع بتصنيف الصحيح (صحيح البخارى) هذا المشروع العظيم الذى قام لهذه الأمة حتى أصبح أَصَحَّ كتاب على وجه الأرض بعد كتاب الله، صَنّفَه على هذه الهيئة العجيبة التى ذكرها العلماء، فنال مرتبة عظيمة بصدق وهِمّة صاحبه، فلم يبلغ البخارى هذا المبلغ إلا بنفس أبِيَّة وهمة علية.

يقول محمد بن يوسف: «كنتُ مع البخارى فى منزله ذات ليلة فأحصيتُ عليه أنه قام وأسرج أنه قام وأسرج فى ليلة يستذكر أشياء يعلقها فى ليلة واحدة ثمان عشرة مرة».

نام فإذا عَنّت له فكرة قام وأسرج السراج، ليس السراج كالآن كنورنا بضغط أصبع، وإنما يحتاج لزيت وعمل حتى يشعل السراج.

وقال محمد بن أبى حاتم الوراق: «كان أبو عبد الله (أي الإمام البخاري) إذا كنتُ معه فى سفر أراه يقوم فى ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، كل ذلك يأخذ القَدَّاحة فيوري نارًا ويسرج، ثم يخَرّج أحاديث ويعَلّم عليها»

إذن ليست هى مرة عند البخارى بل هو منهج عنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهكذا يكون الرجال.

نماذج وصور للرجل الألف فى هذا الزمان:

العاملون الصادقون والمسئولون المخلصون والغيورون الجادون ما أكثرهم، وها هي صور مبهمة وأمثلة حية والعبرة ليست بكثرة الأعمال ولكن بهمم الرجال والتغلب على الصعاب والمحال.

* فهذا شاب أصابه شلل رباعي بعد حادث تعرض له فأصبح أسير الفراش فى إحدى المستشفيات ولسنوات، ومع ذلك فكل من زاره تعجب من همة نفسه العالية ومن حُرْقَته على الدين حتى إنه أسلم على يديه عدد كبير من العاملين والأطباء فى المستشفى من الرجال والنساء، وقد جعل ما تحت سريره مستودعًا لكراتين الكتيبات والأشرطة وبعدد من اللغات، فلا يدخل عليه أحد إلا ويخرج بشريط وكتاب بحسب لغته.

يسيرُ بالحبِّ قلْبى ولم تَسِرْ خُطُواتِى
يُقَال عَنّى مُعَاقٌ ولم تُعَقْ عَزَمَاتى
يا قَوم لستُ معاقًا ما دُمْتُ أسمو بذاتِى
على السريرِ وأمشي دومًا بدرْبِ الهُداةِ
على السريرِ وعزمِي على جبالِ السُراةِ
على السريرِ ورُوحى تطيرُ كالنسمات

(السُراةِ) سراة كل شيء أعلاه.

* رجل كان هندوسيًا فأسلم، تعلم الإسلام واللغة الأردية بحُكم أنها لغة المسلمين فى بلده الهند، عندما عاد إلى بلده، قوبل بالطرد مِن قِبَل أبيه الذى كان يعمل كاهنًا لمعبد وثنى.

يقول: «تعرضتُ للضرب بيد أبي وأعوانه، فهاجرتُ ليلًا من قريتى

إلـى قرية أخرى بها مسـلمون، ولجأتُ إلى مسـجدها ومكثـتُ فيه، ثم انتقلت إلى قرية أخرى فيها ما يقارب الخمسـين منزلا كلهم مسـلمون بالاسـم فقط، لدرجة أنهم قد منعوا من فتح المسـجد المغلق خشـية خروج الأرواح الشريرة كما يزعمون.

وتحـت إصرار منى قمتُ بفَتْح باب المسـجد ونظافتـه ورفْع الأذان، فلما رأوا الحقيقة دخلوا المسجد، فشرعتُ فى تعليمهم مبادئ الإسلام والصلاة».

وقام بإنشـاء مركز إسلامى كبير يتكون من مدرسة ومسجد بجهوده الذاتية يوم أن كان مجرد عامل فى أحد المؤسسات.

* موقف عجيب حدث به أحد الدعاة يقول: «اتصلت بى إحدى الأخوات تطلب عناوين للمراسـلة الدعوية، وكانت باسـتمرار تطلب مني كميات كثيرة من الكتب والمطويات وبعدد من اللغات، كان يصلني منها كل أسبوع عشرات الرسائل المجهزة للإرسال، تعجبتُ من هِمَّتها واستمرارها وعدم انقطاعها عن هذا العمل لسـنوات، ومع الأيام اكتشـفتُ أمرًا عجيبًا، اكتشفت أن هذه المرأة صاحبة هذا النشاط امرأة بدون أطراف لا تستطيع أن تتحرك فهى تُحْمَل وتُنْزَل من على سريرها، ذلك من آثار حادث حريق تعرضت له.

وإذا بهـا قـد اسـتقدمت خادمتين فأحسـنت تعليمهما على هذا المشـروع وبتوجيهاتها من على فراشـها وسـريرها تنطلق مئات الرسـائل فى كل مكان فى العالم فى الشـهر، كانت تشـعر بالسـرور وهى تقرأ الردود بالتأثر والهداية بعد الضلال، فماذا لو علم أصحاب الردود أن سـبب إنقاذهم ودلالتهم على الخير وهدايتهم هى امراة مُقْعَده لا تستطيع نفعًا حتى لنفسها فى عرف عامة الناس».

* هذا مسلمٌ سويدي معاق لا يتحرك ولا يتكلم، أسلم على يده العديد من السويديين وأثر في الكثيرين منهم، قد تسأل وكيف ذلك؟

كانت الحكومة السويدية تضع له من يخدمه وكان يتغير كل فترة، وبما أن هذا المعاق لا يتحرك ولا يتكلم فقد وضعوا أمامه لوحة كبيرة فيها مربعات صغيرة، وكل مربع مكتوب فيه كتابة معينة، فمثلًا : أريد طعامًا، شكرًا، اتصل بصديقي،وغيرها.

ووضعوا على رأسه مثل القبعة فيها عود طويل يشبه القلم لكن أطْوَل، وإذا أراد شيئًا أشار بهذا العود على الكلمات التي يريد، وكان هذا الشخص إذا جاءه في بيته مَن يخدمه وهم في الغالب غير مسلمين، يطلب منهم من خلال هذه المربعات أن يتصلوا على صديقه، ويكون بينه وبين صديقه تنسيق.

فيقوم الموظف بالاتصال على صديق المعاق، فيرد الصديق : نعم! فيخبره هذا المعاق: اسأله ما هو الإسلام ؟ مباشرة الخادم يقول: صديقك يسألك عن الإسلام.

فيرد الأخر: الإسلام أن تعبد الله وحده لا شريك له ... الخ، ثم يتكلم الخادم مع المعاق ويعيد عليه ما قاله صديقه عن الإسلام.

هذا المعاق طبعًا يعرف هذا الكلام عن الإسلام لكن يريد أن يعلم الخادم بطريقة غير مباشرة، ثم يطلب منه أن يسأله عن الفرق بين الإسلام والنصرانية؟ وما عاقبة المسلم وما عاقبة الكافر، وهكذا، لمدة نصف ساعة يوميًا.

وإذا انتهى دوام الموظف طلب منه المعاق أن يفتح الدرج ويأخذ معه كتابًا عن الإسلام، انظر إلى الهمة كيف ترك له بصمة وأثرًا يدل على وجوده في هذه الحياة.

هل الرجل الألف خاص بالتذكير أم إن هناك المرأة الألف؟

إن امرأة ربما كانت خيرًا من ألف رجل، فالمرأة الألف مهما كانت وفى أى موقع كانت فهي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن، إنها المرأة الألف:

وإن أردتها فى الدعوة زمجرت فى سمعك الهمم وحلقت أمامك العزائم.

وإن أردتها فى البيت فأم مربية أجيال تبذل جهودًا مباركة فى إصلاح بيتها أو أختًا أو بنتًا تحمل هم أهلها.

وإن سألت عنها فى مجال البذل والإنفاق والإصلاح وجدت العجب العجاب من إعانة المحتاجين وإغاثة الملهوفين وإعانة الأسر الفقيرة والأيتام والمتعثرين.

فالمرأة الألف صابرة مجتهدة متعددة المواهب.

كيف أكون الرجل الألف أو المرأة الألف؟

لن تبلغ منازل الرجل الألف إلا بِهِمّةٍ تُرَقّيك وعلمٍ يبَصِّرك ويهديك، ومتى رأيتَ نفسك عجِزًا فَسَلِ الُمنعم، أو كسِلًا فَسَلِ الموفّق؛ فلن تنال خيرًا إلا بطاعة الله والعصمة به.

وأهم هذه الصفات على سبيل الإيجاز والاختصار:

أولًا: الإخلاص لله والتخلص من حظوظ النفس:

وهذا يحتاجه الرجل الألف عند كل عمل وعند كل هم بل عليه أن يعود نفسه دائمًا عليه ومن استعان بالله أعانه، وكم بذل المرائي نفسه ليمدحه الخلق فذهبت نفسه فانقلب المدح ذمًا ولو بذلها لله لبقيت ما بقي الدهر.

ثانيًا: العلم وسعة الإطلاع ومن ثم العمل: فالعلم والعمل توءمان أمهما علو الهمة، والجهل والبطالة توأمان أمهما إيثار الكسل.

ثالثًا: سلامة الصدر وتنقيته من الغل والحسد:بل العفو والصفح دائمًا وفى كل لحظة وإلا سيمتلئ قلبك ويصبح قلبًا أسود لا يمكن أن يعمل ولا أن يفكر.

رابعًا: الجدية وتنظيم الوقت: ومجانبة البطالين لصوص الأوقات والحذر منهم.

خامسًـا: لا يعيش الرجل الألف لنفسه فقط: بل يحمل هم الأخرين وحب النصح لهم ومساعدتهم وبذل الوسع لإسعادهم ولو على سبيل راحته فى بعض الأحايين.

سادسًـا: التأني وعدم العجلة والحلم وسـعة الصـدر والحكمة فى معالجة الأمور: بشرط عدم التواني والتسويف دون أسباب، وهذان أمران يحتاج الأمر للتوازن بينهما.

سابعًا: السعى فى التجديد وتطوير الذات وتعدد المواهب والقدرات.

ثامنًا: الإيجابية وتشجيع الآخرين فى كل عمل نافع ومفيد.

تاسعًا: الصبر وحسن الخلق والرفق بالناس والتلطف معهم.

عاشـرًا: اسـتثمار الأحداث والمواقف والإفادة منها لصالح أمته وعقيدته قدر المستطاع.

الحادى عشـر: الرجل الألف صاحب هدف وله مبدأ ومنهج واضح ثابت على أتم استعداد أن يبذل النفس والنفيس من أجله دون تردد أو حيرة.

الثانى عشر: الشجاعة فى اتخاذ القرار والعزيمة والإقدام

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكن ذا عزيمةٍ　　　إن فسـادَ الـرأيِ أن تـترددَا

الثالث عشر: اكتشاف الطاقات وتقديمها للأمة والسعي لتبوء هذه الطاقات مكانها المناسب دون غضاضة أو حسد فى النفس.

فبعـض النـاس ربما يعرف الكثير من الطاقات ولكـن يريد أن يكون هو فى المقدمـة، فاحـذر من هذا، الرجل الألف يهدف مصلحـة الأمة ولا يهمه أن لا تكون مصلحته هى الأولى.

الرابع عشر: لا يفتر ولا يمل ولا يقر ولا يستقر بل بذل وتضحية، وعمل لا يقف حتى يقف القلب؛ فعلو الهمة يورد صاحبه موارد التعب والعناء.

باختصار شديد كيف ينشأ الرجل الألف؟

١- بالقدوة.

٢- والعلم والمعرفة خاصة بمعنى علو الهمة وفضلها.

٣- وبالنظر فى التاريخ والسير وتراجم الرجال الذين يزنون آلاف الرجال.

٤- وقبل ذلك كله تدبر القرآن وفقه قصصه وآياته فهو مليء بذكر رجال نصروا الحق ورفعوا لواء الحرية والعدل وفجروا أنهار العلوم تفجيرا.

٥- الإخفاق قد يكون طريق النجاح، والخطأ قد يكون طريق الصواب؛ فالإخفاق مع المحاولة لا يضر. فإذا أخفقت فى البدايات مرة أو أكثر فلا تنزعج لذلك وأعد الكَرَّة بعد الكَرَّة، ولا يُعَدُّ المرء مخفقًا حتى يستسلم للهزيمة ويتخلى عن المحاولة.



١٠٩- فضائل مصر(١)

من شاهدَ الأرضَ وأقطارَها والنـاسَ أنـواعًـا وأجـنـاسَـا
ولا رأى مصرَ ولا أهلَها فما رأى الدنيا ولا الناسا

مصر في القرآن الكريم:

قد ذكر الله مصر في أربعة مواضع في كتابه الكريم، وفي ذلك تشريف لها وتكريم، فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ [يوسف:٢١]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس:١٠]، وقال ﷻ قاصًا قول فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾[الزخرف:٥١]. وذكرها إشارةً في مواضع عديدة تبلغ قرابة الثلاثين، وذلك نحو قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف:٣٠]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص:١٥].

وكقوله قاصًا قول آل فرعون: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٢٧]. وكقوله تعالى قاصًا قول ناصح موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ [القصص:٢٠]، إلى آخر تلك المواضع الكثيرة.

وقد وصف سبحانه وتعالى أرض مصر أحسن وصف فقال تَعَالَىٰ: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾

---

(١) بتصرف من كتاب (فضائل مصر ومزايا أهلها)، للدكتور محمد موسى الشريف. إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بوزارة الأوقاف المصرية.

كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الدخان]، وقد وُصفت مصر في القرآن بأنها خزائن الأرض فقال سبحانه قاصًا قولَ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [يوسف:٥٥]، وما ذلك إلا لكثرة خيراتها، وعظم غلاتها، وجودة أرضها.

ولم يُذكر نهر من الأنهار في القرآن سوى النيل، وذلك في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ ﴾ [القصص:٧]. والمفسرون على أن المقصود باليم هنا هو نيل مصر.

مصر في سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

قد وصى رسولنا الأعظم رسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأهل مصر خيرًا فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا» أَوْ قَالَ «ذِمَّةً وَصِهْرًا**» [رواه مسلم].

(الْقِيرَاطُ) جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَغَيْرِهِمَا وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ يُكْثِرُونَ مِنَ اسْتِعْمَالِهِ وَالتَّكَلُّمِ بِهِ. وَأَمَّا الذِّمَّةُ فَهِيَ الْحُرْمَةُ وَالْحَقُّ وَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى الذِّمَامُ.

و(الذِّمَامُ) العهد والأمان والكفالة والحق و الحرمة.

وَأَمَّا الرَّحِمُ فَلِكَوْنِ هَاجَرَ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُمْ، وَأَمَّا الصِّهْرُ فَلِكَوْنِ مَارِيَةَ القبطية أُمِّ إِبْرَاهِيمَ ابن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ. وَفِي الحديث مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِإِخْبَارِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ الْأُمَّةَ تَكُونُ لَهُمْ قُوَّةٌ وَشَوْكَةٌ بَعْدَهُ بِحَيْثُ يَقْهَرُونَ الْعَجَمَ وَالْجَبَابِرَةَ، وَيَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَوَقَعَ ذَلِكَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وفي رواية: «**إِذَا فَتَحْتُمْ مِصْرَ، فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**» [رواه الحاكم والطبراني، وصححه الألباني].

(فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً) حُرْمةً وأمانًا من جهة إبراهيم بن المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فإن أمّه مارية منهم (وَرَحِمًا) قرابة لأن هاجر أم إسمعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ منهم. وهذا من معجزاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

حيث فُتِحَتْ بعده، ولذلك قال عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قبط مصر أخوال قريش مرتين».

وقال رسول الله ﷺ: «**اللهَ اللهَ فِي قِبْطِ مِصْرَ، فَإِنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَكُونُونَ لَكُمْ عُدَّةً، وَأَعْوَانًا فِي سَبِيلِ اللهِ**» [رواه الطبراني، وصححه الألباني].

فضائل أرض مصر:

إن لأرض مصر فضائل كثيرة، منها:

* أن فيها الوادي المقدس طوى والجبل الذي كلم الله عليه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

* وفيها الجبل الذي تجلى الله له فانهد وصار دكًا.

* وهي المبوأ الصدق الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [يونس:٩٣]، قال القرطبي في تفسير المبوأ الصدق: «أي منزل صدق محمود مختار، يعني مصر»، وقال الضحاك: «هي مصر والشام».

* وفي أرضها يجري نهر النيل المبارك الذي ينبع أصله من الجنة كما أخبر النبي ﷺ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ، وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ**» [رواه مسلم].

وقال النبي ﷺ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ: «**ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيلَةِ، قَالَ: «هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى»، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: «نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ»، فَقُلْتُ: «مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟»، قَالَ: «أَمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ**» [رواه البخاري ومسلم].

وفي رواية للبخاري: «**وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلالُ هَجَرَ، وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الفُيُولِ، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: «أَمَّا البَاطِنَانِ: فَفِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: النِّيلُ وَالفُرَاتُ**».

وَأَمَّـا كَوْنُ هَـذِهِ الْأَنْهَارُ مِنْ أنْهارِ الْجَنَّةِ فَالْأَصَحُّ أَنَّهَـا عَلَى ظَاهِرِهَا وَأَنَّ لَهَا مَادَّةٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَالْجَنَّةُ والنَّارُ مَخْلُوقَتَان مَوْجُودَتان الآن في الدنيا، وهما باقيتان لا تفنيـان؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٣١]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٣]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [الحديد: ٢١]. فدل التعبير عن إعداد الجنة للمؤمنين بالفعل الماضي على أنهما موجودتان بالفعل في الدنيا.

* وفي مصر الربوة التي أوى إليها عيسى بن مريم وأمه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ على أحد أربعة أقوال للسلف، فقد قال ابن وهب وابن زيد وابن السائب أن مكان الربوة المذكورة في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[المؤمنون:٥٠] أنها في مصر.

* وعلى أرضها ضرب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ البحر بعصاه فظهرت المعجزة العظيمة والحادثة الفريدة في تاريخ البشرية.

* وقال تعالى قاصًا كلام آل فرعون: ﴿وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾[الشعراء:٣٦]، وهذا يدل على كثرة المدن في مصر آنذاك.

* وفي مصر رباط الإسكندرية الذي لا يدري إلا الله تعالى كم سكنه ورابط فيه من العلماء والعباد والزهاد والأبطال والشجعان والأولياء والصالحين العاملين، وهذا الإمام الكبير أبو الزناد الأعرج عبدالرحمن بن هرمز القرشي صاحب أبي هريرة والملازم له، المتوفى سنة ١١٧ يقول: «خير سواحلكم رباطًا الإسكندرية».

* وفي مصـر جامع عمرو بـن العاص صاحب رسـول الله ﷺ، وهو أول جامع بني في قارة إفريقيا، وقد ضبط قبلته جماعة كثيرة من الصحابة رضي الله عنهم قُدِّروا بثمانيـن رجـلًا. وفي مصر جامع الأزهر الذي له الفضل المشـهور، ولشـيوخه مواقف كثيرة جدًا في نصرة الإسلام وأهله.

مصر والأنبياء:

أما أهل مصر فيكفيهم شرفًا وفخرًا سكنى الأنبياء بين ظهرانيهم ومرورهم ببلادهم، فهذا شـيخ الموحدين وأفضل المرسـلين بعد نبينـا العظيم -عليهما أفضل الصلوات وأتم التسليم- قد مر بمصر في رحلته مع زوجه سارة، وجرى لهمـا مـع جبار مصـر ما جرى ممـا ورد في صحيـح الإمام البخـاري لمن أراد الرجوع إلى القصة.

* ودخلها يعقوب عليه السلام ودخلها الأسباط مرارًا وتوفوا ودُفنوا بها.

* وسـكن مصرَ يوسـفُ عليه السلام ونال بها المكانة العظيمة والجاه، وشـرفت أرض مصر بدفن جسده الطاهر فيها، ثم نُقل بعد ذلك إلى فلسطين زمن موسى عليه السلام في قصة جليلة.

* وموسى وهارون عليهما السلام وُلدا في مصر وعاشا فيها طويلًا، وجرى عليهما في أرض مصر ما جرى من الأحداث العظام مما قصه علينا الله في كتابه الجليل.

* ويوشـع بـن نون فتى موسـى وكان نبيًـا عليه السلام وُلد بمصـر، وعاش فيها، وخرج منها مع موسى عليهما السلام.

* ويكفـي المصرييـن شـرفًا وفخـرًا أن خيـر الأنبيـاء والمرسـلين مطلقًا إبراهيـم ومحمدًا عليهما السلام كان تحتهما هاجر ومارية المصريتان، فأنجبت الأولى إسـماعيل عليه السلام وهـو جد نبينا محمد ﷺ، وأنجبت الأخـرى إبراهيم بن نبينا محمد ﷺ، فما أحسن هذا وما أعظمه.

* وإن يفتخر المصريون بشيء بعد هذا فحق لهم أن يفخروا بماء زمزم الذي فُجِّر إكرامًا لهاجر وابنها، فللمصريين فضل في ظهور هذا الماء، والشرف موصول لهم ما بقي هذا الماء على وجه الأرض.

* وحَقٌّ على المصريين أن يفخروا بأن هاجر قد خَلّد الله سعيها بين الصفا والمروة جزاء طاعتها إبراهيم عليه السلام وأوجب على كل رسول ونبي وسائر مَن حج البيت الحرام أن يسعى سعيها ويجهد جهدها، فما أعظم هذا وما أحسنه.

* ولو لم يكن للمصريين فخر وشرف إلا أن هاجر هي جدة النبي الأعظم المفخّم المكرّم محمد صلى الله عليه وسلم لكان هذا كافيَهم، ولذلك قال فيها أبو هريرة رضي الله عنه : «**فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ**» [رواه البخاري ومسلم].

(يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ) أي العرب، قَالَ كَثِيرُونَ: الْمُرَادُ بِبَنِي مَاءِ السَّمَاءِ الْعَرَبُ كُلُّهُمْ لِخُلُوصِ نَسَبِهِمْ وَصَفَائِهِ، وَقِيلَ: لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ أَصْحَابُ مَوَاشٍ وَعَيْشَهُمْ مِنَ الْمَرْعَى وَالْخِصْبِ وَمَا يَنْبُتُ بِمَاءِ السَّمَاءِ.

* ومن المصريات العظيمات أم موسى عليه السلام.

* وآسية امرأة فرعون التي ضربها الله مثلًا في كتابه للمؤمنين وأثنى عليها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ [التحريم:١١].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها إحدى كوامل النسوة رضي الله عنها، فقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**» [رواه البخاري ومسلم].

يُقَالُ: كَمَلَ بِفَتْحِ الْمِيمِ، وَضَمِّهَا: كَمُلَ: وَلَفْظَةُ (الْكَمَال) تُطْلَقُ عَلَى تَمَام

الشَّـيْء وَتنَاهِيهِ فِي بَابـه، وَالْمُرَاد هُنَا التَّنَاهِي فِي جَمِيـع الْفَضَائِل وَخِصَال الْبِرِّ وَالتَّقْوَى.

قَوْله ﷺ: (وَفَضْل عَائِشَـة عَلَى النِّسَـاء كَفَضْل الثَّرِيد عَلَى سَائِر الطَّعَام)، قَـالَ الْعُلَمَـاء: مَعْنَـاهُ أَنَّ الثَّرِيدَ مِنْ كُلِّ الطَّعَـام أَفْضَلُ مِنْ الْمَـرَقِ، فَثَرِيدُ اللَّحْم أَفْضَلُ مِنْ مَرَقه بِلَا ثَرِيدٍ، وَثَرِيد مَا لَا لَحْم فِيهِ أَفْضَل مِنْ مَرَقه، وَالْمُرَاد بِالْفَضِيلَةِ نَفْعُهُ، وَالشِّبَع مِنْهُ، وَسُهُولَة مَسَاغه، وَالِالْتِذَاذ بِهِ، وَتَيَسُّر تَنَاوُله، وَتَمَكُّن الْإِنْسَان مِنْ أَخْذ كِفَايَته مِنْهُ بِسُـرْعَةٍ، وَغَيْر ذَلِكَ، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ الْمَرَقِ كُلِّهِ، وَمِنْ سَـائِر الْأَطْعِمَـة وَفَضْل عَائِشَـة عَلَى النِّسَـاء زَائِد كَزِيَـادَةِ فَضْل الثَّرِيد عَلَـى غَيْره مِنْ الْأَطْعِمَـة، وَلَيْسَ فِـي هَذَا تَصْرِيـحٌ بِتَفْضِيلِهَا عَلَـى مَرْيَم وَآسِـيَة؛ لِاحْتِمَالِ أَنَّ الْمُرَاد تَفْضِيلهَا عَلَى نِسَاء هَذِهِ الْأُمَّة.

* ومرت سارة زوج الخليل عليه السلام بمصر، ولها قصة فيها وردت في صحيح الإمام البخاري.

* ومن المصريين مؤمن آل فرعون، وقد شُـرف بتخليد صنيعه ودفاعه عن موسـى عليه السلام والدعوة الإسلامية في كتاب الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

* ومن المصريين كذلك الرجل المؤمن الذي حذر موسـيٰ وورد في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠].

* ومنهـم السـحرة الذيـن آمنـوا بموسـى عليه السلام وكانـوا جملـة وافـرة وعددًا ضخمًا.

مصر وأصحاب رسول الله ﷺ:

وقد سكن مصر بعد فتحها جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ فشرفت أرض مصر بهم وازدانت، وخالط ترابَها أجسادُهم الطاهرة، وبعضهم سكنها ومات بغيرها، وبعضهم مَرّ بها رسولًا أو مجاهدًا، وكان منهم عدد كبير عظيم يبلغ حوالي ثلاثمائة وخمسين صحابيًا من أشهرهم: عمرو بن العاص، وعقبة بن عامر الجهني وعبد الله بن أبي السرح، ومسلمة بن مخلد، وعبد الله بن عمرو، ومعاوية بن حُديج، وكلهم ولي إمرة مصر رضي الله عنهم.

ومن الصحابة الذين شهدوا فتح مصر: الزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وعبادة بن الصامت، وأبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر، وأبو ذر الغفاري، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعمار بن ياسر، وأبو الدرداء، وعبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنهم.

وولد بها خامس الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين عمر بن عبدالعزيز، وكان أبوه عبدالعزيز بن مروان واليًا عليها، وكان عمر يحب مصر ويثني عليها.

أما التابعون فقد سكنها جملة عظيمة منهم، فكان منهم أبو الزناد عبد الرحمن بن هرمز الأعرج صاحب أبي هريرة رضي الله عنه والملازم له. وحبيب بن الشهيد التجيبي المصري فقيه طرابلس الغرب. وبكير بن عبد الله الأشج المدني الفقيه نزيل مصر، وهو من ثقات المصريين وقرائهم. ويزيد بن أبي حبيب الأزدي، أبو رجاء المصري، فقيه مصر وشيخها ومفتيها، وكان ثقة كثير الحديث روى عنه أصحاب الكتب الستة، وكان مفتي أهل مصر، وهو أول من أظهر العلم بمصر والمسائل في الحلال والحرام.

أمـا تابعو التابعين فمـن بعدهم إلى يوم الناس هذا فجملة هائلة وعدد أكبر من أن يحصيه بشر.

علماء مصر:

أما العلماء المصريون أو الذين سـكنوا مصر مـدة طويلة أو قصيرة، فعدد لا يمكـن حصره، وهـذا - على التحقيـق - هو الذي بَوّأ مصـر مكانة عالية في التاريخ الإسـلاميّ، وهـو الذي رفع قدر البلاد، وحمى الله بـه العباد، فالعلماء صِمـام أمان المجتمع، وهم الذين تـزدان بهم البلاد، وتصان بجهودهم حقوق العبـاد، ومن هـؤلاء العلماء في القـرن الأول جملة مـن الصحابة ﭫ، وعدد من التابعين.

وعندما يُنْسَـبُ شـخصٌ مـا لمصر فهـو إما أن يكـون مصريًا بالـولادة أو بالأصـل، أو أنه وافـد طارئ على مصر أقام فيها أربع سـنين فأكثر، وذلك لأن الإمـام الكبير عبد الله بن المبارك قال: «من أقام ببلد أربع سـنين نُسـب إليها»، وهذا قد يكون أقدم قانون للجنسـية مطلقًـا، وقد أخذت بعض دول أوربا بهذه المدة التي عينها ابن المبارك ﭬ وأعطت الجنسـية لمن أقام بها أربع سنوات فأكثر، وهذا يدل على النظرة المبكرة الثاقبة لذلك الإمام الفذ.

ومـن هؤلاء العلماء في القـرن الأول جملة من الصحابـة ﭫ، وعدد من التابعيـن، وقد ذُكِر بعضهم مـن قبل. ومن علماء القرن الثاني: الليث بن سـعد ﭬ، وصاحب الإمام مالك: عبدالرحمن بن القاسم، وورش المصري عثمان بن سـعيد الذي يقرأ أكثر أهل المغرب العربي الكبير وإفريقيا بروايته إلى يومنا هـذا. ومن علماء القرن الثالث: الإمام الشـافعي، وأشـهب وأصبغ المالكيان، وعبد الملك بن هشام صاحب (السيرة النبوية) المشهورة.

ومـن علمـاء القرن الرابـع: الإمام الطحـاوي أحمد بن محمد بن سـلامة

الأزدي الحنفي، وهو صاحب العقيدة المشهورة التي أصبحت مرجعًا. ومن علماء القرن الخامس: القاضي عبدالوهاب المالكي. ومن علماء القرن السادس: الحافظ عبدالغني المقدسي الذي كان مشهورًا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإمام الكبير الطُرطوشي المالكي الذي كان له مواقف مشهودة مع العُبيدية الباطنية ودولتهم التي تُعرف زورًا وبهتانًا بالفاطمية، وما لهم من فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نصيب.

ومن علماء القرن السابع: العز بن عبد السلام الذي كان أعظم العلماء مطلقًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى اشتهر بسلطان العلماء وبائع الأمراء، والمؤرخ المشهور القاضي ابن خَلِّكان صاحب (وفيات الأعيان)، ومن علماء ذلك القرن الإمام الشاطبي المقرئ صاحب الشاطبية، وهي أعظم منظومات القراءات انتشارًا وقبولًا، ومنهم الحافظ المحدث عبدالعظيم المنذري صاحب الكتاب المشهور (الترغيب والترهيب)، والإمام الكبير أحمد بن إدريس القرافي المالكي أحد العقول الضخمة في الإسلام، وهو صاحب كتاب (الفروق).

ومن علماء القرن الثامن: ابن دقيق العيد، وابن هشام النحوي المشهور. ومن علماء القرن التاسع: العراقي زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، والهيثمي صاحب (مجمع الزوائد)، وابن عقيل شارح الألفية في النحو، وابن حجر العسقلاني الإمام المشهور صاحب (فتح الباري) وهو أحسن شرح لصحيح الامام البخاري، ومحمود العيني صاحب (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) وإليه ينسب القصر العيني في مصر اليوم، والمقريزي أحمد بن علي المؤرخ المشهور، وشيخ الإسلام عمر بن رسلان البُلقيني. ومن علماء القرن العاشر: الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، والحافظ السيوطي.

أبطال مصر:

وأما أبطال مصر الذين كانت لهم أيادٍ بيضاء على أهل الإسلام فهم جملة وافرة كبيرة من الصحابة والتابعين الذين فتحوا مصر واستقروا بها، ومن ثم اتخذوها قاعدة لفتح الشمال الإفريقي.

ومن أبطال العصر الوسيط والحديث: الأمير الكبير حسام الدين لؤلؤ، أحد أكابر الأمراء في دولة صلاح الدين الأيوبي، وهو المسؤول عن الأسطول البحري المصري فكان شوكة في حلق الفرنجة، وقد قال فيه الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان البحر في البحر، فكم من شجاع قد أسَر، وكم من مركب قد كسر، وكم من أسطول لهم قد فرّق شمله، ومن قارب قد غَرّق أهله، وقد كان مع كثرة جهاده دارّ الصدقات، كثير النفقات في كل يوم، وكان بديار مصر غلاء شديد فتصدق باثني عشر ألف رغيف لاثني عشر ألف نفس فجزاه الله خيرًا، ورحمه في قبره، وبيض وجهه يوم محشره ومنشره، آمين».

ولما عمل أرناط الصليبي أمير الكرك مراكب في البحر الأحمر لينفذ بها إلى مدينة رسول الله ﷺ أمر ملك مصر العادل أبو بكر بن صلاح الدين الأمير حسام الدين لؤلؤ صاحب الأسطول أن يدرك أسطول الفرنجة ويحمي قبر النبي ﷺ ففعل وأدرك أسطول الفرنجة فحرّق منه وغَرَّق، وسبى وأسر وقهر، وقَتَل بأمر من صلاح الدين نفسه كل من شارك من الصليبيين في هذه الحملة لأنهم اطلعوا على طريق الحجاز البحري، ولم يكن صلاح الدين يريد أن يبقى واحد من أولئك حيًا حتى لا يعيد الكرة.

وقد أنجد حسام الدين لؤلؤ صلاح الدين في حصار عكا بخمسين سفينة، فلما وصل الأسطول إلى سواحل عكا حاد عنه الأسطول الصليبي يمنة ويسرة خوفًا منه، ولله الحمد والمنة، فرحم الله تعالى ذلك البطل الكبير.

ومن أبطال مصر واليها المشهور صلاح الدين الأيوبي الذي عاش فيها مدة طويلة وقد صُقل في مصر، واكتسب تجارب وخبرات أَهَّلَتْه للسلطنة فيما بعد.

وكان له الفضل بعد الله في إنهاء الدولة العبيدية الرافضية الميمونية القداحية اليهودية التي تنسب زورًا وبهتانًا إلى فاطمة رضي الله عنها فيقال الدولة الفاطمية، فأنهى الدولة وأعاد مصر للخلافة العباسية.

وكان له الفضل بعد الله عز وجل في إنقاذ مصر من الصليبيين المتربصين بها سوءًا.

أما فتحه بيت المقدس فتلك قصة جليلة رائعة، طويلة الذيول، كثيرة التفاصيل.

وإن ينس التاريخ أبطالًا فلن ينسى أبدًا أبطال مصر الذين ردوا الحملة الصليبية التي جاء على رأسها لويس التاسع ملك فرنسا واستولى على دمياط، فكمن له أبطال مصر وأذاقوه سوء العذاب، وأبادوا من جيشه عشرات الآلاف، وحبسوه في دار ابن لقمان بالمنصورة ووضعوا القيد في رجليه، ووكلوا به حارسًا يُدعى صَبيحًا، وكانت وقعة جليلة.

ولما عاد إلى بلاده ذليلًا مهينًا بعد فداء نفسه بمبلغ ضخم من المال حدثته نفسه بالعودة إلى الديار المصرية، فأنشأ الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح قصيدة رائعة وبعثها إليه فأحجم عن المجيء وأَخْذِ الثأر، وهي:

قُل للفِرنسِيسِ إذا جئتَه ... مقالَةَ صِدْقٍ من قَؤُولٍ فصيحْ
أتيتَ مصرَ تبتغِي مُلْكَها ... تحسبُ أنَّ الزمرَ يا طبلُ ريحْ
وكلُّ أصحابِك أودَعْتَهم ... بحُسْنِ تدبيرِكَ بطنَ الضريحْ
وفقكَ اللهُ لأمثالِها ... لعَلَّ عيسَى منكمُ يستريحْ
آجَرَك اللهُ علَى ما جَرَى ... مِن قَتْل عُبَّادِ يَسُوعَ المسيحْ
فساقك الحَيْنُ إلى أدهمٍ ... ضاق به عن ناظريك الفسيحْ

خمسُون ألفًا لا ترَى منهمُ إلا قتيلًا أو أسيرًا جريحْ
إنْ كانَ بابَاكُم بذَا راضِيًا فرُبَّ غِشٍّ قدْ أتَى من نَصيحْ
وقُل لهم إن أضْمرُوا عودةً لأخْذِ ثأرٍ أو لِقَصْدٍ صحيحْ
دارُ ابنِ لقمانَ على حَالِها والقيدُ باقٍ والطواشِي صَبيحْ

ومنهم البطل الكبير قطز سلطان المماليك الذي كان له الأثر العظيم في معركة عين جالوت، وأوقف المد التتري الهمجي.

ومن أبطال المصريين الأشرف خليل بن قلاوون الذي طهر الساحل الشامي من الصليبيين وأخرجهم من آخر معاقلهم عكّا سنة ٦٩٠، بعد وفاة البطل صلاح الدين بقرن كامل، وكتب الله هذا الشرف للأشرف خليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان بطلًا شجاعًا مقدامًا مهيبًا، عاليَ الهمة، يملأ العين، ويُرْجِف القلب، وقد فتح إضافة إلى عكا بيروت وصور وصيدا وقلاعًا أخرى بحيث انقطع أثرهم تمامًا من البلاد الشامية، ولله الحمد والمنة.

ومن أبطال المصريين محمد كريّم والي الإسكندرية زمن الحملة الفرنسية الباغية الهمجية على الديار المصرية ١٢١٣ه/ ١٧٩٨م فقد قاتل قتال الأبطال وفعل كل ما في وسعه، لكن الأمر كان أكبر منه، وقتله نابليون بعد ذلك صبرًا فى القاهرة وغدرًا بعد أن طلب منه فدية ضخمة عجز عن دفعها، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

يا لَقَوْمِي جاهِدُوا لا تَهِنوا وسيأتي اللهُ بالنصرِ المبينْ
أَنْجِدُوا مِصْرَ إذا ما فَزِعَتْ وأهابَتْ بالكُمَاة الباسِلينْ
احفظوها إنَّ مِصرًا إن تَضِعْ ضاعَ في الدنيَا تراثُ المسلمينْ

ذم العصبية والعنصرية:

ليس معنى انتسابنا إلى مصر بما ذُكِرت به من فضائل أننا نتعصب لجنسنا

ضد غيرنا من المسلمين أو أن نوالي غير المسلمين من أبناء جنسنا ضد غيرنا من المسلمين، فرابطة الأخوة بين المؤمنين تعلو على كل الروابط، فآصرة التجمع في الإسلام هي العقيدة، والأمة في الإسلام هي المؤمنون بالله منذ فجر التاريخ، في كل أرض، وفي كل جيل. وليست الأمة مجموعة الأجيال من القدم، ولا المتجمعين في حيز من الأرض في جيل من الأجيال.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

يقول تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: لا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمنا بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا كان عاملا على مقتضى الإيمان ولوازمه، من محبة من قام بالإيمان وموالاته، وبغض من لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقرب الناس إليه.

وهذا هو الإيمان على الحقيقة، الذي وجدت ثمرته والمقصود منه، وأهل هذا الوصف هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان أي: رسمه وثبته وغرسه غرسًا، لا يتزلزل، ولا تؤثر فيه الشبه والشكوك، وهم الذين قوَّاهم الله بروح منه أي: بوحيه، ومعونته، ومدده الإلهي وإحسانه الرباني.

وهم الذين لهم الحياة الطيبة في هذه الدار، ولهم جنات النعيم في دار القرار، التي فيها من كل ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وتختار، ولهم أكبر النعيم وأفضله، وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدًا، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات، ووافر المثوبات، وجزيل الهبات، ورفيع

الدرجات بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاهم غاية، ولا فوقه نهاية.

وأما من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر، وهو مع ذلك مواد لأعداء الله، محب لمن ترك الإيمان وراء ظهره، فإن هذا إيمان زعمي لا حقيقة له، فإن كل أمر لا بد له من برهان يصدقه، فمجرد الدعوى، لا تفيد شيئا ولا يصدق صاحبها.

لقد جاء الإسلامُ والناسُ تموج بهم صراعاتُ الأجناس والألوانِ والطبقات، فأشرق نورُه، وجمع بين تلك المختلِفات على مبدأ المساواة بين النّاس، لا تفاضُلَ فيه إلاّ باعتبار التقوى التي تنطرِح معها كلّ نزعةٍ عنصريّة عصبية أو قومية، يقول المصطفى ﷺ في خطبة الوداع: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى**» [رواه الإمام أحمد، بإسناد صحيح].

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «**الْحَسَبُ الْمَالُ، وَالْكَرَمُ التَّقْوَى**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني]. (الْحَسَبُ الْمَالُ) أَيْ مَالُ الدُّنْيَا الْحَاصِلُ بِهِ الْجَاهُ غَالِبًا. (وَالْكَرَمُ) أَيْ الْكَرَمُ الْمُعْتَبَرُ فِي الْعَقِبِ الْمُتَرَتِّبُ عَلَيْهِ الْإِكْرَامُ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى (التَّقْوَى) لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

الْحَسَبُ مَا يَعُدُّهُ مِنْ مَآثِرِهِ وَمَآثِرِ آبَائِهِ، وَالْكَرَمُ الْجَمْعُ بَيْنَ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَالشَّرَفِ وَالْفَضَائِلِ، وَهَذَا بِحَسَبِ اللُّغَةِ، فَرَدَّهُمَا ﷺ إِلَى مَا هُوَ الْمُتَعَارَفُ بَيْنَ النَّاسِ وَعِنْدَ اللهِ، أَيْ لَيْسَ ذِكْرُ الْحَسَبِ عِنْدَ النَّاسِ لِلْفَقِيرِ حَيْثُ لَا يُوَقَّرُ وَلَا يُحْتَفَلُ بِهِ بَلْ كُلُّ الْحَسَبِ عِنْدَهُمْ مَنْ رُزِقَ الثَّرْوَةَ وَوُقِّرَ فِي الْعُيُونِ، أَيْ إِنَّهُ يُوَقَّرُ لِذَلِكَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ دَلِيلُ الثَّرْوَةِ وَذُو الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ عِنْدَ النَّاسِ وَلَا يُعَدُّ كَرِيمًا عِنْدَ اللهِ عز وجل وَإِنَّمَا الْكَرِيمُ عِنْدَهُ مَنْ اِرْتَدَى بِرِدَاءِ التَّقْوَى.

وعَـنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَـوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّـاسُ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللهُ آدَمَ مِـنْ تُرَابٍ، قَـالَ اللهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** [الحجرات:١٣]» [رواه الترمذي وصححه الألباني].

(إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ) أَيْ أَزَالَ وَرَفَعَ عَنْكُمْ، (عُبِّيَّة الْجَاهِلِيَّة) أَيْ فَخْرهَا وَتَكَبُّرهَـا وَنَخْوتهَـا، (وَتَعَاظُمَهَـا) أَيْ تَفَاخُرَهَا. (فَالنَّاسُ رَجُـلَانِ) أَيْ نَوْعَانِ: (رَجُـلٌ بَـرٌّ تَقِيٌّ) أَيْ فَـلَا يَنْبَغِي لَـهُ أَنْ يَتَكَبَّرَ عَلَى أَحَـدٍ لِأَنَّ مَـدَارَ الْإِيمَانِ عَلَى الْخَاتِمَةِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ اِتَّقَى، (وَفَاجِرٌ) أَيْ كَافِرٌ أَوْ عَاصٍ (شَقِيٌّ) أَيْ غَيْرُ سَعِيدٍ (هَيِّـنٌ) أَيْ ذَلِيـلٌ (عَلَى اللهِ) أَيْ عِنْدَهُ وَالذَّلِيلُ لَا يُنَاسِـبُهُ التَّكَبُّـرُ. (وَالنَّاسُ) أَيْ كُلُّهُـمْ (بَنُو آدَمَ) أَيْ أَوْلَادُهُ (وَخَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ التُّـرَابِ) أَيْ فَلَا يَلِيقُ بِمَنْ أَصْلُهُ التُّرَابُ النَّخْوَةُ وَالتَّجَبُّرُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ أَيْ آدَمَ وَحَـوَّاءَ **﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا﴾** جَمْعُ شَـعْبٍ وَهُوَ أَعْلَى طَبَقَاتِ النَّسَبِ **﴿وَقَبَآئِلَ﴾** هِيَ دُونَ الشُّعُوبِ، وَبَعْدَهَا الْعَمَائِـرُ، ثُمَّ الْبُطُونُ، ثُـمَّ الْأَفْخَاذُ، ثُمَّ الْفَصَائِلُ آخِرُهَـا. **﴿لِتَعَارَفُوٓا۟﴾** أَيْ لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لَا لِتُفَاخِرُوا بِعُلُوِّ النَّسَـبِ وَإِنَّمَـا الْفَخْرُ بِالتَّقْوَى. **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾** أَيْ إِنَّمَا تَتَفَاضَلُونَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى بِالتَّقْوَى لَا بِالْأَحْسَابِ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ**

أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنْ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ» [رواه أبو داود، وحسنه الألباني].

ورواه الترمذي بلفظ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمْ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنْ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ**...» [حسنه الألباني].

(مُؤْمِن تَقِيّ وَفَاجِر شَقِيّ) مَعْنَاهُ أَنَّ النَّاس رَجُلَانِ مُؤْمِن تَقِيّ فَهُوَ الْخَيِّرُ الْفَاضِل وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَسِيبًا فِي قَوْمه، وَفَاجِر شَقِيّ فَهُوَ الدَّنِيّ وَإِنْ كَانَ فِي أَهْله شَرِيفًا رَفِيعًا.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْمُفْتَخِر الْمُتَكَبِّر إِمَّا مُؤْمِن تَقِيّ فَإِذَنْ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَكَبَّر عَلَى أَحَد، أَوْ فَاجِر شَقِيّ فَهُوَ ذَلِيل عِنْد اللهِ، وَالذَّلِيل لَا يَسْتَحِقّ التَّكَبُّر فَالتَّكَبُّر مَنْفِيّ بِكُلِّ حَال.

(لَيَدَعَن): أَيْ لَيَتْرُكَن. (إِنَّمَا هُمْ): أَيْ أَقْوَام. (أَهْوَنَ): أَيْ أَذَلَّ. (عَلَى اللهِ): أَيْ عِنْده. (مِنْ الْجِعْلَان):جَمْع جُعَل: دُوَيْبَّة سَوْدَاء تُدِير الْخِرَاء بِأَنْفِهَا، وَمِنْ شَأْنه جَمْع النَّجَاسَة وَادِّخَارهَا، وَمِنْ عَجِيب أَمْره أَنَّهُ يَمُوت مِنْ رِيح الْوَرْد وَرِيح الطِّيب فَإِذَا أُعِيدَ إِلَى الرَّوْث عَاشَ. وَمِنْ عَادَته أَنْ يَحْرُس النِّيَام فَمَنْ قَامَ لِقَضَاءِ حَاجَته تَبِعَهُ وَذَلِكَ مِنْ شَهْوَته لِلْغَائِطِ لِأَنَّهُ قُوتُه. (الَّتِي تَدْفَع بِأَنْفِهَا النَّتِن): أَيْ الْعَذِرَة، أي البراز. (يُدَهْدِه) يُدَحْرِج.

شَبَّهَ ﷺ الْمُفْتَخِرِينَ بِآبَائِهِمْ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّة بِالْجِعْلَانِ، وَآبَاءَهُمْ الْمُفْتَخَر بِهِمْ بِالْعَذِرَةِ، وَنَفْس اِفْتِخَارهمْ بِهِمْ بِالدَّفْع وَالدَّهْدَهَة بِالْأَنْفِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ أَحَد الْأَمْرَيْنِ وَاقِع الْبَتَّة إِمَّا الِانْتِهَاء عَنْ الِافْتِخَار أَوْ كَوْنهمْ أَذَلّ عِنْد اللهِ تَعَالَى مِنْ الْجِعْلَانِ الْمَوْصُوفَة. وما أشبه هؤلاء الْمُفْتَخِرِينَ بِآبَائِهِمْ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّة بمن يفتخرون اليوم بالمشركين من الفراعنة أو الأشوريين أو البابليين أو غيرهم، يزعمون أنهم أجدادهم.

أَفـقْ أَيُّها التّاريخُ نبِّهْ رِجالَنا فَيارُبَّ مَرْمُوقٍ لهُ أَلْفُ هَفْوَةِ
أفْق أَيُّها التَاريخُ أَدْرِكْ حَقيقَتي فَعَنْ نَهْجَ ديني لن تَضِلَّ مَسيرَتي
أَفِق، وانتَظِر من أُمَّتي وَثَبَاتِها فَلَن تَقِفَ الأعْداءُ في وَجْهِ وَثبتي
فَلي من كِتابِ اللهِ أَعظمُ رائدٍ ومِنْ سُنَّةِ العَدْنَانِ أَعْظَمُ قُدْوَةِ
أَفِقْ فالفُؤادُ الحُّرِ لا يَعْرِفُ الخنا ولن تَصْلُحَ الأَيَّـامُ إلا بِسُنَّتِي
سَفَحْتُ دَمَ الأَحْقادِ دُونَ شَريعَتي وأَعْـدَدْتُ لـلأَيَّام كامِلَ عُدَّتي
وكَيْفَ يَنَالُ اليَأْسُ قَلْبًا مُوَحِّدًا إلى اللهِ يَرْنُو مُؤْمِنًا كُل لَحْظَةِ
أُخُوَّتُنا في اللهِ مَهْما تباعَدَتْ مَسافاتُ أَوْطَاني مِثالُ الأُخُـوَّةِ
عَليها بَنَى أَسْلافُنا صَرْحَ مَجْدِنا فَكَيْفَ هَدَمْنا صَرْحَنا بالتَعَنُّتِ
وقُلْ لَلعِدَى مَهْمَا يَجُورُونَ إننَا حَمَلْنا إلى الدُّنْيَا مَعالِمَ نَهْضَةِ
وَإِنّا سَنَمْضي في الطَّريقِ الذي مَضى عَلى نَهْجِهِ أَسْلافُنَا سَيْرَ حِكْمَةِ
وَإِنْ تَكُ أَوْطَاني تَشَتَّتَ جَمْعُها فَعَمّا قَريب سَوْفَ تَمْضي بِهِمَّةِ

إن أجدادنـا الذيـن يحق لنا أن نفخر بهم هـم تلاميذ محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ والحسن والحسين ومعاوية وعمرو ابن العاص رضي الله عنهم، ومن سار على نهجهم من التابعين وتابعيهم بإحسان.



١١٠- الغفلة [(١)]

يـا غـافـلًا عـنْ سـاعـةٍ مقرونةٍ	بـنَـوَادِبٍ وصَــوارِخٍ وثـواكِـلِ
قدِّمْ لنفسِك قبلَ موْتِكَ صالحًا	فالموتُ أسرعُ مِن نُزُولِ الهاطِلِ
حتّامَ سَمْعُكَ لا يَعِي لمُذَكِّرٍ	وصميمُ قلْبِكَ لا يَلِينُ لعاذِلِ
تَبغِي مـنَ الدنيَا الكثيرَ وإنَّمَا	يكفيكَ منها مِثْلُ زادِ الراحِلِ
آيُ الكتابِ تَهُزُّ سمْعَكَ دائِمًا	وتَصُمُّ عنها مُعْرِضًا كالغَافِلِ
كَمْ للإلهِ عليكَ مِن نِعَمٍ تُرَى	ومـواهـبٍ وفـوائـدٍ وفـواضـلِ
كمْ قدْ أنالَكَ مِن موانِحِ طَوْلِه	فاسْألْهُ عفْوًا فهُو غوثُ السائلِ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾[الأنبياء:١].

إن الـذي يتأمـل أحوال بعض النـاس في هذا الزمن يرى تطابـق الآية تمامًا مـع واقع كثيـر منهم وذلك من خلال ما يرى من كثـرة إعراضهم عن منهج الله وغفلتهم عن الآخرة وعن ما خلقوا من أجله، وكأنهم لم يخلقوا للعبادة، وإنما خلقوا للدنيا وشهواتها.

فإنهـم إن فكـروا فللدنيـا وإن أحبـوا فللدنيـا، وإن عملـوا فللدنيـا، فيهـا يتخاصمون ومن أجلها يتقاتلون وبسـببها يتهاونـون أو يتركون كثيرًا من أوامر ربهـم، حتى أن بعضهم مسـتعد أن يترك الصـلاة أو يؤخرها عن وقتها من أجل اجتماع عمل أو من أجل مباراة أو موعد مهم ونحو ذلك!!

كل شـيء في حياتهـم له مـكان، للوظيفة مـكان، للرياضة مـكان، للتجارة

---

(١) هـذه الخطبـة والثلاث الـلاتي بعدها بتصرف من كتـاب: الغفلـة، مفهومها، وخطرهـا، وعلاماتها، وأسبابها، وعلاجها، للدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

مـكان، للرحلات مكان، للأفلام والمسلسـلات وللأغاني مكان، للنوم مكان، للأكل والشرب مكان، كل شيء له مكان إلا العبادة وأوامر الدين!!

تجد الواحد منهم ما أعقله وأذكاه في أمور دنياه، لكن هذا العاقل المسكين لم يستفد من عقله فيما ينفعه في أُخراه، ولم يَقُدْه عقله إلى أبسط أمر وهو طريق الهداية والاسـتقامة على دين الله الذي فيه سـعادته في الدنيا والآخرة، وهذا هو والله غاية الحرمان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ أي: أكثـر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسـابها وشـؤونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسـبها، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة، كأن أحدهم مُغَفّل لا ذهن له ولا فكرة.

قال الحسـن البصري: «والله لَبَلَغَ من أحدهم بدنياه أنه يقلب الدرهم على ظفره، فيخبرك بوزنه، وما يُحْسن أن يصلي».

مـن يرى أحوالهم وما هم عليه من شـدة جرأتهم علـى ارتكاب المعاصي وتهاونهـم بهـا يقول: إن هؤلاء إما أنهم لم يصدقـوا بالنار، أو أن النار قد خلقت لغيرهم، نسـوا الحسـاب والعقاب وتعاموا عن ما أمامهم من أهوال وصعاب، انشـغلوا براحة أبدانهم وسـعادتها في الدنيا الفانية وأهملوا سعادتها وراحتها في الأخرى الباقية.

يا مُتعِبَ الجسْمِ كمْ تسعَى لراحَتِهِ ... أَتْعَبْتَ جسمَكَ فيما فيهِ خُسرانُ
أَقْبِلْ على الرُوحِ واستكْمِلْ فضائلَها ... فأنتَ بالرُوحِ لا بالجسمِ إنسانُ

مـا أحرصهم على أموالهم وما أحرصهم علـى وظائفهم، وصحتهم، لكن أمـور دينهـم والتفقه فيها وتطبيقهـا والتقيد بها فهي آخر ما يفكـرون فيه إن هم فكروا.

أوقاتهـم ضائعـة بلا فائدة، بـل إن أغلبها قد تضيـع في المحرمات وإضاعة واجبـات يبحثون بزعمهم عن الراحة والسـعادة، وهـم بعملهم هذا لن يجدوا إلا الشـقاء والتعاسة، شعروا بذلك أم لم يشـعروا لقوله تعَـالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤]، حتـى أصبح حال الكثيرين من هؤلاء كما قال الشاعر:

نهـارُك يا مغرورُ سهْوٌ وغفلةٌ ... وليلُك نَـومٌ والـردَى لك لازِمُ
يَغُرُّك مَا يَفْنَى وتُشغَلُ بالُمنَى ... كما غُرَّ باللذاتِ في النّومِ حالِمُ
وتُشْغَل في ما سَوفَ تكْرَهُ غِبَّهُ ... كذلكَ في الدنيَا تعيشُ البهائمُ

ولقـد مات عند الكثير من هؤلاء الشـعور بالذنب، ومات عندهم الشـعور بالتقصير، حتى ظن الكثير منهم أنه على خير عظيم، بل ربما لم يرد على خاطره أنـه مقصر في أمور دينه، فبمجرد قيامه بأصول الدين ومحافظته على الصلوات ظن في نفســه خيرًا عظيمًا، وأنه بذلك قد حاز الإســلام كله وأن الجنة تنتظره في نهاية المطاف.

ونسـي هذا المسـكين مئات بـل آلاف الذنـوب والمعاصي التـي يرتكبها صباحًـا ومسـاءً مـن غيبـة أو بهتـان أو نظـرة إلـى الحرام أو شـرب لحـرام أو حلـق لحيـة أو إسـبال ثـوب أو غيـر ذلك مـن المعاصـي والمخالفـات التي يسـتهين بهـا ولا يلقـي لها بـالًا ويظن أنهـا لا تضره شـيئًا وهي التـي قد تكون سـببًا لهلاكـه وخسـارته في الدنيـا والآخـرة وهـو لا يشـعر، ناهيـك عـن مـا يرتكبـه البعـض مـن كبائـر وموبقـات مـن ربا وزنـا ولـواط ورشـوة وعقوق ونحو ذلك!!

وإن المـرء ليعجب والله أشـد العجب! ألـم يمل أولئك هـذه الحياة؟ ألم يسـألوا أنفسـهم؟ ثم ماذا في النهايـة؟ ماذا بعد كل هذه الشـهوات والملذات؟

ماذا بعـد هذا اللهو والعبث؟ ماذا بعد هذه الحيـاة التافهة المملوءة بالمعاصي والمخالفات؟ هل غفل أولئك عما وراء ذلك.

هل غفلوا عن الموت والحساب والقبر والصراط، والنار والعذاب، أهوال وأهـوال وأمور تشـيب منها مفارق الولـدان، ذهبت اللذات وبقيـت التبعات، وانقضت الشـهوات وأورثت الحسـرات، متـاع قليل ثم عـذاب أليم وصراخ وعويـل في دركات الجحيـم، فهل من عاقـل يعتبر ويتدبر ويعمـل لما خلق له ويستعد لما أمامه.

تـاللهِ لـوْ عـاشَ الفتَى في عمْرِهِ ... ألفًا مِـن الأعـوامِ مالكَ أمْـرِهِ
مـتـلـذذًا فيـهـا بـكُـل نَـفِـيسَـةٍ ... مُتنَعِّمًا فيها بنُعْمَى عـصْـرِهِ
لا يعتريه الـهَـمُّ طُـولَ حياتِهِ ... أبـدًا ولا تجْرِي الهمومُ ببالِهِ
ما كـان ذلـكَ كُلُه في أنْ يَفِي ... بـمبيتِ أوَّلِ ليـلـةٍ في قَـبْـرِهِ

إن مثل هؤلاء المساكين الغافلين السائرين في غيّهم قد أغلقت الحضارات الحديثـة أعينهـم وألهتهم الحياة الدنيـا عن حقائقهم ومآلهم، ولكنهم سـوف يندمـون أشـد الندم إذا اسـتمروا في غيهـم ولهوهـم وعنادهم ولـم يفيقوا من غفلتهم وسباتهم ويتوبوا إلى ربهم.

يقـول تعالى عن مثـل هـؤلاء: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٣] أي دعهم يعيشـوا كالأنعـام ولا يهتمون إلا بالطعام والشـراب واللباس والشـهوات!؟ ألم يأن لكل مسـلم أن يعلـم حقيقة الحياة والغاية التي من أجلها خلق؟

أمَـا واللهِ لـو عَـلِـمَ الأنَـامُ ... لِـمَ خُلقُوا لما غَفَلُوا ونامُوا
لـقَـدْ خُـلِقُـوا لِـمَا لـوْ أبـصَـرَتْـهُ ... عيُونُ قُلُوبِهِمْ تاهُوا وهَامُوا
مـمـاتٌ ثُـمَّ قَـبـرٌ ثُـمَّ حَـشْـرٌ ... وتـوبـيـخٌ وأهْـوالٌ عِـظَـامُ

مفهوم الغفلة:

الغفلة: سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ.

وقيل: متابعة النفس على ما تشتهيه.

وقيـل: إبطال الوقـت بالبطالة، وقيل الغفلة عن الشـيء: هـي أن لا يخطر ذلك بباله، وقيل: غيبة الشـيء عن بال الإنسـان وعدم تذكره له، وقد اسـتعمل فيمـن تركه إهمـالًا وإعراضًـا كمـا قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١].

الفرق بين الغفلة والنسيان:

* الغفلة: ترك باختيار الغافل.

* أما النسيان: فهو ترك بغير اختيار الإنسان.

* أمـا الذكـر: فهـو التخلص مـن الغفلة والنسـيان؛ ولهذا قـال الله تَعَـالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾، ولم يقل ولا تكن من الناسـين؛ لأن النسـيان لا يدخل تحـت التكليف فلا ينهى عنه؛ لقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**». [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

خطر الغفلة:

الغفلة مرض فتَّاك من أمراض القلوب، وقد حذر الله منها، وبيَّن عقاب من وقع فيها، ومما يدل على هذا ما يلي:

أولًا: توقـع في الهـلاك، قال الله تعالى في قـوم فرعون: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف]، فأسـباب هـلاك قوم فرعون كثيرة، ولكن منها سببان: تكذيبهم بآيات الله، وتغافلهم عنها.

ثانيـًا: من أصيب بالغفلـة الكاملة خُتِمَ على قلبه، وسـمعه، وبصره، وكان أضل من الحيوان، والأنعـام، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فهـم لا ينتفعون بشـيء من هـذه الجوارح التـي جعلها الله سـببًا للهداية، فقلوبهـم لا يصل إليها فقه ولا علـم، وأعينهم لا ينتفعون بها فلا يبصرون آيات الله، وآذانهـم لا يسـمعون بها مـا ينفعهم، كما قـال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقـاف:٢٦]، وقـال تَعَالَىٰ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقـرة: ١٨]، وقـال تَعَالَىٰ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

ولـم يكونوا صمًّا، ولا بكمًا، ولا عميًا إلا عن الهدى، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣] وقال تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقـان:٤٤] وقـال تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ثالثًا: الغفلة، قرينة التكذيب بآيات الله، قال تَعَالَىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعـراف: ١٤٦]، فالسـبب التكذيب والغفلة، فالغفلة قرينة التكذيب بآيات الله تعالى.

فرَدُّهُـم لآيات الله وغفلتهم عما يُراد بها، واحتقارهم لها، هو الذي أوجب

لهم من سلوك طريق الغي، وترك طريق الرشاد ما أوجب.

رابعًا: لعظم خطر الغفلة نهى الله عنها رسوله ﷺ، فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. والغافلون الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم؛ فإنهم حُرِموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عن من كل السعادة والفوز بذكره، وعبوديته، وأقبلوا على مَن كلُّ الشقاوة، والخيبة، والاشتغال به.

خامسًا: الغفلة صفة من صفات أهل النار، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس]. فهذه حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة، ولا يرجون في لقائه شيئًا، ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنت إليها نفوسهم، وهم غافلون عن آيات الله الكونية، فلا يتفكرون فيها، وعن آياته الشرعية فلا يأتمرون بها.

سادسًا: الحذر من الغفلة؛ لأن أكثر الناس وقعوا في الغفلة، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

سابعًا: الغفلة تغلق على العبد أبواب الخير، وتفتح له أبواب الشر، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [النحل].

ثامنًا: من أعظم خطر الغفلة أن مَن غفل عن الله عاقبه بأن يغفله عن

ذكـره، ويتبع هـواه ويكون أمـره ضائعًا معطلًا، قـال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

تاسـعًا: أهل الغفلة لهم الحسـرة يوم الحسرة، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: «يَا أَهْلَ الجَنَّةِ»، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: «هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟» فَيَقُولُونَ: «نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ»، ثُمَّ يُنَادِي: «يَا أَهْلَ النَّارِ»، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: «وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟»، فَيَقُولُونَ: «نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ»، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: «يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]، وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]**». [رواه البخاري].

(كَبْشٍ أَمْلَحَ) الأملح قيل هو الأبيض الخالص، وقيل هو الذي فيه بياض وسواد وبياضه أكثر، (فَيَشْرَئِبُّونَ) أي يرفعون رؤوسهم إلى المنادي.

عاشـرًا: اقتراب السـاعة والموت للناس وهم في غفلاتهـم، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء]، فهم في غفلة عما خُلِقُوا له، وإعراض عما زجروا به، كأنهم للدنيا خلقوا، وللتمتع بها وُلِدُوا، وقلوبهم غافلـة معرضة، لاهية بمطالبها الدنيوية، وأبدانهم لاعبة، قد اشـتغلوا

بتناول الشهوات، والعمل بالباطل.

حادي عشر: حذر الله تعالى الناس عن الغفلة، وبين سبحانه خطرها، فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء].

ثاني عشر: ذم الله تعالى الغافلين عن الآخرة، فقال تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم].

ثالث عشر: لخطر الغفلة فقد أرسل الله نبينا محمدًا ﷺ لإنذار الناس عن الغفلة، قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ٩ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يس].

رابع عشر: توبيخ الغافل يوم القيامة، وتقريعه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ٢٥ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ٢٦ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٢٧ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ٣٠

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق].

موقفان يتنبه فيهما الغافلون:

الموقف الأول: في ساعة الاحتضار يعلم الغافل أنه كان غافلًا، الغافل الذي ضيع وقته وشبابه وعافيته وفراغه وصحته متى يعلم أنه غافل؟ الغافل الذي كان يكابر ويعاند في هذه الغفلة متى ينتبه؟ عند ساعة الاحتضار، عند هجوم المنية، إذا بلغت المنية منه مبلغها: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون].

في هذه اللحظة يعلم أنه غافل ويستفيق ويصرخ: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ أريد العودة، أريد الرجعة ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ فيرد بكل زجر وتوبيخ ﴿كَلَّآ﴾ لا مرد ولا رجعة، ما بعد هذا إلا حياة برزخية، مضى وفات وانقضى زمن العمل وأنت في زمن البرزخ، إما أن تكون في حسرة فتقول: رب لا تقم الساعة، وإما أن تكون فرحًا جذلان مما ترى من كرامات الله وفضله ومنه، وروح من الله وريحان فتقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة.

ينتبه الغافلون في ساعة الاحتضار فيقول أحدهم: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] ولِمَ لَمْ تتصدق يوم كنت تُدعى إلى الصدقة وكنت غنيًا؟ ولِمَ لَمْ تتصدق وأنت تُدعى إلى أداء الزكاة والأموال تملأ حسابات البنوك بأرصدتها؟ ولِمَ لَمْ تتصدق وأموالك تئط أطيط الرحل من كثرة الأرصدة؟ ولِمَ لَمْ تتصدق وكنت قادرًا على الصدقة من قليل أو من كثير؟

أمـا إذا جـاء المـوت: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقـون: ١٠]، والجـواب: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١]، هذا هو الموقف الأول يتذكر فيه الغافلون أنهم في غفلة، في ساعة الاحتضار.

والموقـف الثـاني الذي يتذكـر الغافلون أنهم في غفلة: هـو موقف الآخرة: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢] إنـا موقنون الآن! موقنون الآن بعـد أن قامت القيامـة! موقنون الآن بعد أن جئتمونا فـرادى كما خلقناكم أول مرة! لا ينفع اليقين حينئذٍ، كان اليقين نافعًا في حياة الدنيا، يوم أن كنتم تُؤمرون وتُنهون وأمامكم فرصة للعمل وفرصة للكسب والسعي في طاعة الله عز وجل، لذلك يتذكر الغافلون فيقولون: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطـر: ٣٧] هيهات هيهـات، انتهى زمن العمل وفات.

يقـول أحـد الصالحين: «لو لـم يبك العاقـل فيما بقي من عمـره إلا على تفويـت ما مضى منه في غير طاعة الله لـكان خليقًا أن يحزنه ذلك إلى الممات، فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله؟!»

كيف من يستقبل ما مضى من عمره بمثل الغفلة السابقة؟!



١١١- أعراض مرض الغفلة

أعراض مرض الغفلة:

الغفلة داء معنوي يصاب به الناس، فلا يروق لهم سماع الموعظة، ولا التفكر في الموت أو الآخرة، والمشكل في هذا الداء أن المصابين به لا يشعرون به، بل ويظنون أنهم في حال حسنة، والغفلة لها علامات كثيرة وأعراض عديدة، منها ما يأتي:

أولًا: التكاسل عن الطاعات، قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾** [النساء: ١٤٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَيْسَ صَلاَةٌ أَثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنَ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**» [رواه البخاري ومسلم].

ثانيًا: عدم مبالاة الغافل بذنوبه واستصغار المحرمات والتهاون بها:

فيرى الواحد منا نفسه يقع في الصغيرة تلو الصغيرة ولا يبالي بما ارتكب من الذنوب ،يجمع محقرات الذنوب ولا يهتم بها ،وقد حذر النبي ﷺ فقال: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**»

[رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

إن الغافل عن نفسه، والغافل عن ذنوبه، والغافل عن أعماله يجمع المصائب تلو المصائب، وبلايا مع البلايا، وفتنًا مع الفتن، وعظائم مع العظائم، وهو لا يدري ما تجمع عليه وما تحصل له من سوء عاقبة ما اجترحت يداه، ونطق به لسانه، ومشت إليه قدماه أو نظرت إليه عيناه، أو سمعته أذناه، لا يبالي أأصبح

مطيعًا أم عاصيًا، أمَضَى ومشـى إلى طاعة الله أم إلى معصيته، إلى جلسـة علم أم إلى جلسـة لهو، إلى مجلس عبادة أم إلى مجلس فسـق وباطل، إلى مجلس حلال أم إلى مجلس حرام.

أولئك الذين غفلوا عن أعمالهم فلا يحاسب الواحد نفسه قبل أن يخرج: إلى أين؟ ولأجـل من؟ وما هي العاقبة؟ وما الخاتمة؟ وما النتيجة؟ أولئك هم الغافلون.

أما الذين يتذكرون، فهم أصحاب القلوب الحية والسـليمة الذين يساءلون أنفسـهم في كل حركة وخطـوة وكلمة وصمت وذهاب وإيـاب وغدو ورواح: مـاذا أرادوا بهذا؟ ولأجل مـن؟ وما الغاية؟ وما الطريق؟ ومـا النتيجة؟ وكيف العاقبة؟ وهل يباعد من الله أم يقرب منه؟ أما الغافل والجاهل وأما المنافق فهو لا يبالي بذلك أبدًا.

قال عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا »، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: « بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ» [رواه البخاري ومسلم].

(إِنَّ الْمُؤْمِن يَرَى ذُنُوبه كَأَنَّهُ قَاعِد تَحْت جَبَل يَخَاف أَنْ يَقَع عَلَيْهِ)

السَّبَب فِي ذَلِكَ أَنَّ قَلْب الْمُؤْمِن مُنَوَّر، فَإِذَا رَأَى مِنْ نَفْسه مَا يُخَالِف مَا يُنَوِّر بِهِ قَلْبه عَظُمَ الْأَمْر عَلَيْهِ، وَالْحِكْمَة فِي التَّمْثِيل بِالْجَبَلِ أَنَّ غَيْره مِنْ الْمُهْلِكَات قَدْ يَحْصُل التَّسَـبُّب إِلَى النَّجَاة مِنْهُ بِخِلَافِ الْجَبَل إِذَا سَقَطَ عَلَى الشَّخْص لَا يَنْجُو مِنْهُ عَادَة.

وَحَاصِله أَنَّ الْمُؤْمِن يَغْلِب عَلَيْهِ الْخَوْف لِقُوَّةِ مَا عِنْده مِنْ الْإِيمَان فَلَا يَأْمَن الْعُقُوبَة بِسَـببِهَا، وَهَذَا شَأْن الْمُسْـلِم أَنَّهُ دَائِم الْخَوْف وَالْمُرَاقَبَة، يَسْتَصْغِر عَمَله الصَّالِح وَيَخْشَى مِنْ صَغِير عَمَله السَّيِّئ.

(وَإِنَّ الْفَاجِر يَرَى ذُنُوبه كَذُبَابٍ) أَيْ ذَنْبه سَهْل عِنْده لَا يَعْتَقِد أَنَّهُ يَحْصُل لَهُ بِسَبَبِهِ كَبِير ضَرَر، كَمَا أَنَّ ضَرَر الذُّبَاب عِنْده سَهْل، وَكَذَا دَفْعه عَنْهُ.

والسَّبَب فِي ذَلِكَ أَنَّ قَلْب الْفَاجِر مُظْلِم فَوُقُوع الذَّنْب خَفِيف عِنْده، وَلِهَذَا تَجِد مَنْ يَقَع فِي الْمَعْصِيَة إِذَا وُعِظَ يَقُول هَذَا سَهْل.

قَوْله (فَقَالَ بِهِ هَكَذَا) أَيْ نَحَّاهُ بِيَدِهِ أَوْ دَفَعَهُ، هُوَ مِنْ إِطْلَاق الْقَوْل عَلَى الْفِعْل قَالُوا وَهُوَ أَبْلَغ. قَوْله (بِيَدِهِ عَلَى أَنْفه) هُوَ تَفْسِير مِنْهُ لِقَوْلِهِ: «فَقَالَ بِهِ».

وَالْحِكْمَة فِي تَشْبِيهِ ذُنُوب الْفَاجِر بِالذُّبَابِ كَوْن الذُّبَاب أَخَفّ الطَّيْر وَأَحْقَره، وَهُوَ مِمَّا يُعَايَن وَيُدْفَع بِأَقَلّ الْأَشْيَاء، وَفِي ذِكْر الْأَنْف مُبَالَغَة فِي اِعْتِقَاده خِفَّة الذَّنْب عِنْده؛ لِأَنَّ الذُّبَاب قَلَّمَا يَنْزِل عَلَى الْأَنْف وَإِنَّمَا يَقْصِد غَالِبًا الْعَيْن.

وَفِي إِشَارَته بِيَدِهِ تَأْكِيد لِلْخِفَّةِ أَيْضًا لِأَنَّهُ بِهَذَا الْقَدْر الْيَسِير يُدْفَع ضَرَره.

ثالثًا: إلف المعصية ومحبتها؛ قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا؛ فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**» [رواه مسلم].

وَمَعْنَى (تُعْرَض) أَنَّهَا تُلْصَق بِعَرْضِ الْقُلُوب أَيْ جَانِبهَا كَمَا يُلْصَق الْحَصِير بِجَنْبِ النَّائِم، وَيُؤَثِّر فِيهِ شِدَّة اِلْتِصَاقهَا بِهِ. وَمَعْنَى (عُودًا عُودًا) أَيْ تُعَاد وَتُكَرَّر شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. (كَالْحَصِيرِ) أَيْ كَمَا يُنْسَج الْحَصِير عُودًا عُودًا وَشَظِيَّة بَعْد أُخْرَى. وَذَلِكَ أَنَّ نَاسِج الْحَصِير عِنْد الْعَرَب كُلَّمَا صَنَعَ عُودًا أَخَذَ آخَر وَنَسَجَهُ فَشَبَّهَ عَرَضَ الْفِتَن عَلَى الْقُلُوب وَاحِدَة بَعْد أُخْرَى بِعَرْضِ قُضْبَان الْحَصِير عَلَى صَانِعهَا وَاحِدًا بَعْد وَاحِد.

مَعْنَى (أُشْرِبَهَا) دَخَلَتْ فِيهِ دُخُولًا تَامًّا وَأُلْزِمَهَا وَحَلَّتْ مِنْهُ مَحَلّ الشَّرَاب.

وَمِنْهُ قَوْلـه تَعَالَى: ﴿وَأُشْـرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْـلَ﴾ [البقرة: ٩٣]، أَيْ حُبّ الْعِجْـل، وَمِنْـهُ قَوْلهمْ: ثَوْب مُشْـرَب بِحُمْـرَةٍ: أَيْ خَالَطَتْهُ الْحُمْـرَة مُخَالَطَة لَا انْفِكَاك لَهَا.

وَمَعْنَى (نُكِتَ نُكْتَة): نُقِطَ نُقْطَة. وَمَعْنَى (أَنْكَرَهَا) رَدَّهَا.

وَقَوْلـه ﷺ: «حَتَّى تَصِير عَلَـى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَض مِثْل الصَّفَا فَلَا تَضُرّهُ فِتْنَة مَـا دَامَتْ السَّـمَوَات وَالْأَرْض وَالْآخَر أَسْـوَد مُرْبَادًّا كَالْكُـوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِف مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِر مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ». لَيْسَ تَشْبِيهه بِالصَّفَا بَيَانًا لِبَيَاضِهِ لَكِنْ صِفَة أُخْرَى لِشِـدَّتِهِ عَلَى عَقْد الْإِيمَان وَسَـلَامَته مِنْ الْخَلَل، وَأَنَّ الْفِتَن لَمْ تَلْصَق بِهِ، وَلَمْ تُؤَثِّر فِيهِ كَالصَّفَا وَهُوَ الْحَجَر الْأَمْلَس الَّذِي لَا يَعْلَق بِهِ شَيْء.

(مُرْبَادًّا) أي: شـديد السواد في بياض، ولَيْسَ قَوْله (كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا) تَشْبِيهًا لِسَـوَاده بَلْ هُوَ وَصْف آخَـر مِنْ أَوْصَافه بِأَنَّهُ قُلِبَ وَنُكِّـسَ حَتَّى لَا يَعْلَق بِهِ خَيْر وَلَا حِكْمَـة، وَمَثّلَـه بِالْكُوزِ الْمُجَخِّـي وَبَيَّنَهُ بِقَوْلِهِ: «لَا يَعْـرِف مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِر مُنْكَرًا». شَـبَّهَ الْقَلْب الَّـذِي لَا يَعِي خَيْرًا بِالْكُوزِ الْمُنْحَرِف الَّـذِي لَا يَثْبُت الْمَاء فِيـهِ. ومَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ الرَّجُل إِذَا تَبِعَ هَوَاهُ وَارْتَكَبَ الْمَعَاصِي دَخَلَ قَلْبه بِكُلِّ مَعْصِيَة يَتَعَاطَاهَا ظُلْمَة، وَإِذَا صَارَ كَذَلِكَ اُفْتُتِنَ وَزَالَ عَنْهُ نُور الْإِسْلَام.

وَالْقَلْب مِثْل الْكُوز فَإِذَا انْكَبَّ انْصَبَّ مَا فِيهِ وَلَمْ يَدْخُلهُ شَيْء بَعْد ذَلِكَ.

رابعًا: عدم المبالاة بضياع العمر وتضييع الوقت من غير فائدة؛ فإن الوقت نعمـة، ولا يضيعـه إلا غافل؛ ولهذا والله أعلم يسـتقصرون الوقت يوم القيامة، كما جاء في الأدلة الآتية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥].

يخـبر تعالى، عـن سـرعة انقضـاء الدنيـا، وأن الله تعالى إذا حشـر الناس

وجمعهم ليوم لا ريب فيه، كأنهم ما لبثوا إلا ساعة من نهار، وكأنه ما مر عليهم نعيم ولا بؤس، وهم يتعارفون بينهم، كحالهم في الدنيا، ففي هذا اليوم يربح المتقون، ويخسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين إلى الصراط المستقيم والدين القويم، حيث فاتهم النعيم، واستحقوا دخول النار.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ﴿١٠٣﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾ [طه].

أي: إذا نفخ في الصور وخرج الناس من قبورهم، كل على حسب حاله، فالمتقون يحشرون إلى الرحمن وفدا، والمجرمون يحشرون زرقا ألوانهم من الخوف والقلق والعطش، يتناجون بينهم، ويتخافتون في قصر مدة الدنيا، وسرعة الآخرة، فيقول بعضهم: ما لبثتم إلا عشرة أيام، ويقول بعضهم غير ذلك، والله يعلم تخافتهم، ويسمع ما يقولون ﴿إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً﴾ أي: أعدلهم وأقربهم إلى التقدير ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾

والمقصود من هذا، الندم العظيم، كيف ضيعوا الأوقات القصيرة، وقطعوها ساهين لاهين، معرضين عما ينفعهم، مقبلين على ما يضرهم، فها قد حضر الجزاء، وحق الوعيد، فلم يبق إلا الندم، والدعاء بالويل والثبور.

وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مَثَلُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ**» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

(**فِي الْآخِرَةِ**) أي في جنبها وبالنظر إليها.

اغتَنِمْ في الفراغِ فضْلَ رُكوعٍ   فعسَى أنْ يكونَ موتُك بغتَهْ
كمْ صحيحٍ رأيتَ مِن غَيْرِ سُقْمٍ   ذهبَتْ نفْسُه الصحيحةُ فَلْتَهْ

وإذا أردت أن تعلم هل أنت من الغافلين أم لا، فانظر إلى قول عبد اللهِ

ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما ندمْتُ علَى شَيءٍ ندمِي على يومٍ غربَتْ شمسُه نقَصَ فيه أجَلِي، ولم يزدَدْ فيه عمَلي».

إن كنتَ تمر عليك الأيام والليالي لا تتحسر على فواتها لأنها مضت في غير طاعـة أو لم تتزود منها كما ينبغي فاعلم أنك غافل، إذا أردت أن تعلم هل أنت من الغافلين أم لا فانظر اهتمامك بوقتك، إن كنت تقتله سدى، تضيعه هباءً، لا تبالي بما أدبر وأقبل منه فأنت غافل مسكين.، وإن كنت كما يقول القائل:

ينافِسُ أمْسِي فِي يومِي تحَرُّقًا وتحسدُ أسحارِي علي الأصائِلِ

إن كنـت كذلك فأنـت بإذن الله من أهـل الذكرى إذا كنـت تجعل ذلك في مرضاة الله.

أيُّ غبـن وأي صفقات نخسـرها من الصحة والعافية ومـن الفراغ؟ يضيع منـا الكثير منه في غير طاعـة الله عَزَّ وَجَلَّ، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**» [رواه البخاري].

والغَبْنُ في البيع والشـراء: الوَكْسُ، غَبَنَه يَغْبِنُه غَبْنًا أَي خدَعه، وقد غُبِنَ فهو مَغْبُونٌ. وَإِنَّ مَنْ لَا يَسْـتَعْمِل الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ فِيمَا يَنْبَغِي فَقَدْ غُبِنَ لِكَوْنِهِ بَاعَهُمَا بِبَخْسٍ وَلَمْ يُحْمَد رَأْيه فِي ذَلِكَ.

ومَعْنَـى الْحَدِيث أَنَّ الْمَـرْء لَا يَكُون فَارِغًا حَتَّى يَكُون مَكْفِيًّا صَحِيح الْبَدَن فَمَنْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ فَلْيَحْرِصْ عَلَى أَنْ لَا يُغْبَن بِأَنْ يَتْرُك شُـكْر اللهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِـهِ عَلَيْهِ، وَمِنْ شُـكْره اِمْتِثَال أَوَامِـره وَاجْتِنَاب نَوَاهِيه، فَمَنْ فَـرَّطَ فِي ذَلِكَ فَهُوَ الْمَغْبُون.

وَقَـدْ يَكُـون الْإِنْسَـان صَحِيحًا وَلَا يَكُـون مُتَفَرِّغًا لِشُـغْلِهِ بِالْمَعَـاشِ، وَقَدْ يَكُون مُسْـتَغْنِيًا وَلَا يَكُون صَحِيحًا، فَإِذَا اِجْتَمَعَا فَغَلَبَ عَلَيْهِ الْكَسَـل عَنْ الطَّاعَة فَهُـوَ الْمَغْبُـون، وَتَمَام ذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَـا مَزْرَعَة الْآخِرَة، وَفِيهَا التِّجَـارَة الَّتِي يَظْهَر

رِبْحهَا فِي الْآخِرَة، فَمَنْ اِسْتَعْمَلَ فَرَاغه وَصِحَّته فِي طَاعَة الله فَهُوَ الْمَغْبُوط، وَمَنْ اِسْتَعْمَلَهُمَا فِي مَعْصِيَة الله فَهُوَ الْمَغْبُون، لِأَنَّ الْفَرَاغ يَعْقُبهُ الشُّغْل وَالصِّحَّة يَعْقُبهَا السَّقَم، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْهَرَم كَمَا قِيلَ:

يَسُرّ الْفَتَى طُول السَّلَامَة وَالْبَقَا ... فَكَيْف تَرَى طُول السَّلَامَة يَفْعَلُ

يَرُدّ الْفَتَى بَعْد اِعْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ ... يَنُوءُ إِذَا رَامَ الْقِيَام وَيُحْمَلُ

وَقَد ضَرَبَ النَّبِيّ ﷺ لِلْمُكَلَّفِ مَثَلًا بِالتَّاجِرِ الَّذِي لَهُ رَأْس مَال، فَهُوَ يَبْتَغِي الرِّبْح مَعَ سَلَامَة رَأْس الْمَال، فَطَرِيقه فِي ذَلِكَ أَنْ يَتَحَرَّى فِيمَنْ يُعَامِلهُ وَيَلْزَم الصِّدْق وَالْحِذْق لِئَلَّا يُغْبَن، فَالصِّحَّة وَالْفَرَاغ رَأْس الْمَال، وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُعَامِل الله بِالْإِيمَانِ، وَمُجَاهَدَة النَّفْس وَعَدُوّ الدِّين، لِيَرْبَح خَيْرَيْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة.

وَقَرِيب مِنْهُ قَوْل الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف]. وَعَلَيْهِ أَنْ يَجْتَنِب مُطَاوَعَة النَّفْس وَمُعَامَلَة الشَّيْطَان لِئَلَّا يُضَيِّع رَأْس مَاله مَعَ الرِّبْح.

وَقَوْله ﷺ فِي الْحَدِيث: «مَغْبُون فِيهِمَا كَثِير مِنْ النَّاس» إِشَارَة إِلَى أَنَّ الَّذِي يُوَفَّق لِذَلِكَ قَلِيل كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] فَالْكَثِير فِي الْحَدِيث فِي مُقَابَلَة الْقَلِيل فِي الْآيَة.

أرأيتم صحيحًا سخر عافيته وجلده وقوته ونشاطه لطاعة الله سبحانه وتعالى أيعد مغبونًا؟ لا والله، ولكن الكثيرين من الأقوياء يسهرون ويتعبون، ويجعلون أوقاتًا مخصصة محددة بكل دقة لتخفيف الوزن ولرفع الأثقال، ولكمال الأجسام، ولبلوغ الأرقام القياسية في تنمية عضلات الزند وعضلات الفخذ وتقوس الظهر وعضلات البطن وعضلات الصدر، وينفقون على ذلك

أموالًا وأوقاتًا ولا يذكرون الله فيها، ومع ذلك لا يرى أنه ضيع شيئًا.

هذه العافية بدلًا من أن تكون في طول القيام وطول القنوت وطول الخشوع وطول التذلل والانكسار لله عز وجل، الجلد، الحيوية، القوة، الشباب ما صرفت في صيام النهار، وما صرفت في قيام الليل، وما صرفت في قضاء الحوائج، ولا في شفاعة للمسلمين، ولا في إغاثة للملهوفين، ولا إعانة للمحتاجين، ولا كفالة للأيتام، ولا إعالة للأرامل، ولا قيام على المساكين... في ماذا؟

كثير من الشباب جعلها في العَدْو والركض والسباق، وكمال الأجسام وحمل الأثقال والسير على الجهاز والعدو على الدراجة الواقفة... وغير ذلك، إننا لا نحرّم أن تنمي بدنك، وأن تعتني بصحتك، وأن تتعاهد قوتك، ولكن انظر الفرق العظيم والبون الشاسع بين ما تجعله لبدنك، وما تجعله لطاعة ربك:

يا خادمَ الجسمِ كمْ تسعَى لراحتِهِ ... ضيعْتَ عُمرَك فيما فيهِ خسران

أَقْبِلْ على الرُّوحِ فاستكمِلْ فضائِلَها ... فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

إن كانت النفس والقلب وإن كان الفؤاد والعقل يحمل همًا في طاعة الله ومرضاته، والاشتغال بعبادته والخوف من عذابه فتلك والله نفس إنسان، وإن كانت نفسًا لا هم لها إلا الأكل والشرب والنكاح والنوم فتلك نفس بهيمة إذ البهائم تشاركه في هذا.

فَوا أَسَفي عَلى عُمْرٍ تَوَلَّت ... لَذاذَتُهُ وَأَبقَت قُبحَ عارِ

فَنَحنُ اليَومَ نَبكي ما فَعَلنا ... فَكَيفَ وَكَم وَقَعنا في خَسارِ

فَلَيسَ لَنا سِوى حُزْنٍ وَخَوفٍ ... وَنَدبٍ في خُضوعٍ وَاِنكِسارِ

تَعالَوا نَبكِ ما قَد كانَ مِنّا ... وَقوموا في الدَياجي بِاِعتِذارِ

وَما شَيءٌ لِمَحْوِ الذَنبِ أَوْلَى ... مِنَ الأَحزانِ وَالدَمعِ الغِزارِ

سَتَدري يا مُفَرِطُ صِدقَ قَولي ... إِذا غُودِرتَ في بَطنِ الصَحارِ

وَخَـلّاكَ الـرَفيـقُ أسَيـرَ قَـفْرٍ   تُـرافِـقُـكَ الـنَـدامَـةُ في القِفارِ
وَقَـد فَـازُوا بِما حَـازُوا جَميعًا   وَأَنْــتَ رَهيــنُ ذُلٍّ وَافـتِـقـارِ
فَـخُـذْ حَــذَرًا وَزادًا تكتَفيهِ   لِـرحلَـتِـهِ إِلَـى تِـلـكَ الـدِيَـارِ
تَمَتَّع مِـن شَميمِ عَـرارِ نَجْدٍ   فَـما بَـعْـدَ الـعَـشِـيَّـةِ مِـن عَـرارِ

(العَرَارُ: نبات طيب الريح).

خامسًا: الغفلة عن ذكر الله :

إن كثيرًا منا وإن عد نفسه من الأخيار والصالحين لا يذكر الله ﷻ في غالب أحيانـه، وإنما نصيب الذكر من أوقاته، ونصيب الذكر من حالاته نصيب قليل، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

الخاسر: الذي يغفل عن ذكر الله، المغبون: الذي تضيع أيامه وتضيع لياليه وسـنواته وأشهره وساعاته وأوقاته، قد شـغل بكل قيل وقال وكل غاد ورائح، وقـد شـغل بما لا يعنيه إلا مـا كان من ذكر الله عز وجل، الـذي يهمه وينفعه في الدنيا والآخرة فتراه مشغولًا عنه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهـل يعجز أحد عن ذكر الله؟ تلكم العبادة التي جعل الله فيها أجورًا كثيرة في جارحة صغيرة بحركة يسيرة، تلكم العبادة العظيمة الجليلة، لا يعجز الناس عـن ذكر الله غاديـن أو رائحين، قائمين أو قاعديـن، مضطجعين أو يتحركون، مصبحين أو ممسين، في كل أحوالهم.

وفي الذكـر مـن الأجر العظيم ما الله به عليم، تمحى به السيئات، وترفع به الدرجات، وتحيا به القلوب، ويكون حرزًا لك من الشيطان.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَـرِيكَ لَـهُ، لَهُ الْمُلْـكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَـىْءٍ قَدِيرٌ. فِـى يَوْمٍ مِائَةَ**

مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْـرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّـيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ» [رواه البخاري ومسلم].

هـذا الأجر العظيم بنقل جبال؟ بنقل بحار؟ بمشـي أميـال؟ بصدقة أوزان الجبال من الأموال؟ لا، حركة يسيرة على جارحة صغيرة، بهذا اللسان الذي لو جعلنـا آلة تحصي حركاته وتحصي كلماته وتحصي حروفه لوجدنا أننا تكلمنا ملاييـن الكلمـات أو مليارات الكلمـات، ولو أحصينا ما نطقنا بـه من ذكر الله وطاعة الله وتسبيح الله وتهليله وتحميده وتكبيره لوجدنا أقل القليل من ذلك ما كان في ذكر الله ﷻ.

فيا حسـرة الغافلين عن ذكر الله! يا حسـرة الغافلين بالملاهي! ويا حسـرة الغافلين بالأغاني! ويا حسـرة الغافلين بالأفلام! ويا حسرة الغافلين والغافلات بالمسلسلات والمباريات في القنوات الفضائية!

سادسًا: الغفلة في المجالس:

لقد حذرنا نبينا ﷺ عن الغفلة عامة، وحذرنا عن الغفلة بالمجالس، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرٍ إِلَّا تَفَرَّقُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْـرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»** [رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني].

(إِلَّا قَامُـوا عَنْ مِثْل جِيفَة حِمَار): أَيْ مِثْلهَا فِـي النَّتْن وَالْقَذَارَة. وَذَلِكَ لِمَا يَخُوضُونَ مِنْ الْكَلَام فِي أَعْرَاض النَّاس وَغَيْر ذَلِكَ. (حَسْـرَة): أَيْ نَدَامَة لَازِمَة لَهُمْ لِأَجْل مَا فَرَّطُوا فِي مَجْلِسهمْ ذَلِكَ مِنْ ذِكْر الله تَعَالَى.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ**

غَفَرَ لَهُمْ» [صحيح رواه الترمذي].

(إِلَّا كَانَ) أَيْ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ (عَلَيْهِمْ تِرَةً) بِكَسْرِ التَّاءِ وَتَخْفِيفِ الرَّاءِ تَبِعَةً وَمُعَاتَبَةً أَوْ نُقْصَانًا وَحَسْرَةً مِنْ وَتَرَهُ حَقَّهُ نَقَصَهُ وَهُوَ سَبَبُ الْحَسْرَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

(فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ) أَيْ بِذُنُوبِهِمْ السَّابِقَةِ وَتَقْصِيرَاتِهِمْ اللَّاحِقَةِ.

(وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ) أَيْ فَضْلًا مِنْهُ وَرَحْمَةً وَفِيهِ إِيمَاءٌ بِأَنَّهُمْ إِذَا ذَكَرُوا اللهَ لَمْ يُعَذِّبْهُمْ حَتْمًا بَلْ يَغْفِرُ لَهُمْ جَزْمًا، وَمَعْنَى قَوْلِهِ تِرَةً يَعْنِي حَسْرَةً وَنَدَامَةً.

سابعًا: الإعراض عن معرفة الآخرة والاهتمام بمعرفة الدنيا:

إن حرصنا على الدنيا ومعرفتنا بها بلغ حدًا لا يوصف، أما شأن الآخرة فكثير منا قد جمع فيه بين الجهل والغفلة، يقول الحسن البصري: «والله لبلغ من أحدهم بدنياه أن يقلب الدرهم والدينار على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي» معاذ الله أن نكون ممن قال الله فيهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧]، الذين يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا: يعلمون أمر معاشهم كيف يكتسبون، وكيف يتَّجرون، ومتى يغرسون ويزرعون، ومتى يحصدون، وكيف يعيشون ويبلون، أما شأن الآخرة فهم عنها ساهون وبها جاهلون، لا يتفكرون فيها ولا لأجلها يعملون.

ثامنًا: الغفلة عن الآيات الشرعية والكونية:

يقول ربنا سبحانه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢] الآيات الكونية والآيات الشرعية التي توجب الاعتبار والتدبر والادكار والتفكر، التي توقظ من سنة الغفلة، ونحن عنها غافلون إلا من رحم الله وقليل ما هم ذلك.

ومعاذ الله أن تبلغ بنا الغفلة إلى أن تكون غفلة كاملة مستحكمة تامة كما غفل الكافرون عن آيات الله سبحانه وتعالى، فجمعوا بعدًا وقنوطًا من الآخرة،

ورضـىً بالدنيـا وطمأنينة بها، وهم بعد ذلك وقبلـه في غفلة عن آيات الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[يونس: ٧-٨].

تاسعًا: ألا يعلم الغافل أنه في غفلة:

كما قـال الله تعَـالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]، إنهم في نسيان وينسون أنهم في نسيان، وذلك هو العذاب المضاعف، وذلك هو البلاء المركب.

لقـد عظمت هذه الغفلة حتى حجبت الكثير عـن التفكر والتدبير، نحن في غفلة عن الآخرة، والحسـاب قريـب: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[الأنبياء: ١].

فيا ساهيًا في غَمْرةِ الجهْلِ والهوَى ... صريعَ الأماني عن قريبٍ ستندمُ

أفِقْ قد دنَا الوقتُ الذي ليس بعْدَهُ ... سِـوَى جَنةٍ أو حَـرِّ نـارٍ تُضْرَمُ

قَالَ تعَـالَىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]، فأهل الدنيا في غفلة.

أيقظانُ أنتَ اليَومَ أمْ أنتَ نائمُ ... وكيفَ يطيقُ النومَ حيرانُ هائمُ

فلو كنتَ يقظانَ الغَداةَ لَحَرَّقَتْ ... مدامِعَ عينيْكَ الدموعُ السواجمُ

نهـارُك يا مغرورُ سهْوٌ وغفلةٌ ... وليلُك نَـومٌ والـردَى لك لازِمُ

يَغُرُّك مَا يَفْنَى وتُشغَلُ بالُمنَى ... كما غُرَّ باللذاتِ في النّومِ حالِمُ

وتُشْغَل في ما سوف تكْرَهُ غِبَّهُ ... كذلكَ في الدنيَا تعيشُ البهائمُ

(السواجمُ): السَّجَمانُ: سَيَلان الدمع كلِّه قلِيلِه وكثيرِه، والسَّجَم: الدمع.

١١٢- أسباب مرض الغفلة

ضرورة المبادرة باليقظة من الغفلة:

الذين هم في غفلة وينكرون أنهم في غفلة متى يستفيقون؟ ومتى يستيقظون؟ ومتى ينتبهون؟ ينتبهون إذا حلت المصائب بدورهم، وتربعت بين أظهرهم، ونزل الخوف وتسربلت به أيديهم وأقدامهم وأرجلهم، وفصل على أبدانهم، إذا ذاقوا لباس الخوف والجوع بما كانوا يصنعون، إذا رأوا عاقبة ما كانوا يفعلون أدركوا بعد غفلتهم أنهم كانوا في غفلة، وقد كانوا يجادلون ويكابرون وينكرون أنهم في غفلة، ولا يحبون الناصحين، ولا يحبون من يقول لهم: إنكم في غفلة.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف].

ذكر الله ﷻ أن أهل القرى، لو آمنوا بقلوبهم إيمانا صادقا صدقته الأعمال، واستعملوا تقوى اللّه تعالى ظاهرا وباطنا بترك جميع ما حرم اللّه، لفتح عليهم بركات السماء والأرض، فأرسل السماء عليهم مدرارا، وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون وتعيش بهائمهم، في أخصب عيش وأغزر رزق، من غير عناء ولا تعب، ولا كد ولا نصب، ولكنهم لم يؤمنوا ويتقوا ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ بالعقوبات والبلايا ونزع البركات، وكثرة الآفات، وهي بعض جزاء أعمالهم، وإلا فلو آخذهم بجميع ما كسبوا، ما ترك عليها من دابة.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ أي: المكذبة، بقرينة السـياق ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ أي: عذابنا الشديد ﴿بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ أي: في غفلتهم، وغرتهم وراحتهم.

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ أي: أي شـيء يؤمنهـم من ذلـك، وهم قد فعلوا أسـبابه، وارتكبـوا من الجرائـم العظيمة، ما يوجب بعضه الهلاك؟!

﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ حيث يستدرجهم من حيث لا يعلمون، ويملي لهم، إن كيده متيـن، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ فإن من أمن من عذاب اللّه، فهو لم يصدق بالجزاء على الأعمال، ولا آمن بالرسل حقيقة الإيمان.

وهـذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ، على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمنا على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفا وجلا أن يبتلى ببلية تسلب مـا معه من الإيمان، وأن لا يزال داعيا بقوله: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) وأن يعمل ويسعى، في كل سبب يخلصه من الشر، عند وقوع الفتن، فإن العبد – ولو بلغت به الحال ما بلغت – فليس على يقين من السلامة.

عَـنْ عُقْبَـةَ بْنِ عَامِـرٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَـالَ: «إِذَا رَأَيْـتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِـنْ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْـتِدْرَاجٌ»، ثُمَّ تَلَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] [رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني].

أسباب الغفلة:

الغفلة لها أسباب كثيرة، ولكن من أبرزها ما يأتي:

أولًا: الجهل بالله تعالى، وبأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وبدينه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ ربهم ويعلمون دينه الشرعي ودينه الجزائي، وما له في ذلك من الأسرار والحكم ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ شيئا من ذلك؟ لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ إذا ذُكِّروا ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: أهل العقول الزكية الذكية، فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، فيؤثرون العلم على الجهل، وطاعة اللّه على مخالفته، لأن لهم عقولا ترشدهم للنظر في العواقب، بخلاف من لا لب له ولا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه.

ثانيًا: المعاصي من أعظم أسباب الغفلة:

قال الله عز وجل: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤].

﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾: أي غطى قلوبهم وحجبها عن قبول الحق.

ما كانوا يكسبون: أي من الذنوب والآثام، فصارت قلوبهم لا تميز بين الكلام الحق والكلام الباطل، ولا بين كلام الله وكلام غيره.

وقال عبد الله بن عباس: «إن للحسنة ضياء في الوجه، ونورًا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق».

ثالثًا: الإعراض واتباع الهوى يسببان سد أبواب الهداية وفتح أبواب الغواية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ

عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية:٢٣].

وقَالَ تعَـالَىٰ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [محمد:١٦].

وقَالَ تعَـالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة:٢٢].

وعَـنْ أَبِـي وَاقِدٍ اللَّيْثِـيِّ، أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْـجِدِ وَالنَّـاسُ مَعَـهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَـالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُـمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَـأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْـتَحْيَا فَاسْـتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْـرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ». [رواه البخاري ومسلم].

رابعًا: صحبة الغافلين:

جلساء السـوء، قَالَ تعَـالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان]. وقَالَ تعَـالَىٰ: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف:٢٧].

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَـاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِـخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»، [رواه البخاري ومسلم].

(يُحْذِيَكَ) يعطيك شيئا من المسك يتحفك به.

وعَـنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِـيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِيـنِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُـمْ مَنْ يُخَالِلُ**»، [رواه أبو داود، وصححه الألباني]. وعَنْ أَبِي سَـعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**» [رواه أبو داود، وحسنه الألباني].

(لَا تُصَاحِـب إِلَّا مُؤْمِنًـا): أَيْ كَامِـلًا، أَوْ الْمُـرَاد النَّهْـي عَـنْ مُصَاحَبَـة الْكُفَّـار وَالْمُنَافِقِينَ لِأَنَّ مُصَاحَبَتهـمْ مُضِرَّة فِي الدِّين، فَالْمُـرَاد بِالْمُؤْمِنِ جِنْس الْمُؤْمِنِينَ.

(وَلَا يَـأْكُلْ طَعَامَـك إِلَّا تَقِيٌّ) أَيْ لَا تُطْعِمْ طَعَامَـك إِلَّا تَقِيًّا مُتَوَرِّعًا يَصْرِفُ قُوَّةَ الطَّعَام إِلَى عِبَادَةِ اللهِ.

وهَذَا إِنَّمَا جَاءَ فِي طَعَامِ الدَّعْوَةِ دُونَ طَعَامِ الْحَاجَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿**وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ [الإنسان: ٨] وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَسْرَاهُمْ كَانُوا كُفَّارًا غَيْرَ مُؤْمِنِيـنَ، وَإِنَّمَا حَذَّرَ مِنْ صُحْبَـةِ مَنْ لَيْسَ بِتَقِيٍّ، وَزَجَرَ عَـنْ مُخَالَطَتِهِ وَمُؤَاكَلَتِهِ لِأَنَّ الْمَطَاعِمَ تُوقِعُ الْأُلْفَةَ، وَالْمَوَدَّةَ فِي الْقُلُوبِ.

صُحبةُ الأخيـارِ للقلبِ دَوَى   تزيدُ في القلبِ نشاطًا وقـوَى
وصحبةُ الـجُـهَّالِ داءٌ وعَمَى   تزيدُ في القلبِ السقيمِ سقَمًا

وقد نهى الله عز وجل عن موادة من حاد الله ورسوله، فقال عز وجل: ﴿**لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ**﴾ [المجادلة:٢٢].

ونهـى عن طاعـة من أغفل قلبـه، فقال سـبحانه وتعَـالَىٰ: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا**﴾ [الكهف:١٨].

خامسًا: ترك صلاة الجمعة أو التهاون بها:

قـال صلى الله عليه وسلم: «**لَيَنْتَهِيَـنَّ أَقْوَامٌ عَـنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَـاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَـنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ**» [رواه مسلم]. وقال رَسُـولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا بِهَا، طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

سادسًا: ترك صلاة الجماعة:

قـال ﷺ: «**لَيَنْتَهِيَـنَّ أَقْوَامٌ عَـنْ وَدْعِهِمُ الْجَمَاعَـاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَـنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ**» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

سابعًا: طول الأمل:

قـال الله تعَالَىٰ: ﴿ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الحجر:٣].

عَـنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَـبِيلٍ**» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» [رواه البخاري].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ**» [رواه مسلم].

إنَّـا لَـنَـفْـرَحُ بـالأيـامِ نقْطَعُها ... وكلُّ يومٍ مضَى يُدنِي مِن الأجلِ

فاعمَلْ لنَفْسِك قبل الموتِ مجتهدًا ... فإنّما الربحُ والخسرانُ في العملِ

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِـبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ وَاحِـدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اليَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلاَ عَمَلٌ» [رواه البخاري].

إذا هَـبَّـتْ ريـاحُـكَ فاغتَنِمْها ... فعُقبَى كـلِّ خـافـقَـةٍ سُـكُـونُ

ولا تغفَلْ عن الإحسـانِ فيهَا ... فما تدرِي السكونُ متَى يكونُ

ثامنًا: كثرة الضحك:

عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَأْخُذُ عَنِّـي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَـاتِ فَيَعْمَلُ بِهِـنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَـلُ بِهِنَّ**»، فَقَالَ أَبُو هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقُلْتُ:

« أَنَـا يَـا رَسُـولَ اللهِ» فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًـا، وَقَـالَ: «**اتَّقِ الْمَحَـارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّـاسِ، وَارْضَ بِمَـا قَسَـمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِـنْ إِلَـى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرْ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

(هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ) أَيْ الْأَحْكَامَ الْآتِيَةَ لِلسَّامِعِ الْمُصَوَّرَةَ فِي ذِهْنِ الْمُتَكَلِّمِ.

(وَقَالَ اِتَّقِ الْمَحَارِمَ) أَيْ اِحْذَرْ الْوُقُوعَ فِيمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْك.

(تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ) أَيْ مِنْ أَعْبَدْهُمْ.

(وَارْضَ بِمَا قَسَـمَ اللهُ لَك) أَيْ أَعْطَاك (تَكُنْ أَغْنَـى النَّاسِ) فَإِنَّ مَنْ قَنَعَ بِمَا قُسِـمَ لَهُ وَلَمْ يَطْمَعْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ اِسْـتَغْنَى عَنْهُمْ، قال ﷺ: «**لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ**» [رواه البخاري ومسلم].

والْعَرَض هُوَ مَا يُنْتَفَع بِهِ مِنْ مَتَاع الدُّنْيَا.

(وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِك) بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ (تَكُنْ مُؤْمِنًا) أَيْ كَامِلَ الْإِيمَانِ.

(وَأَحِـبَّ لِلنَّـاسِ مَـا تُحِبُّ لِنَفْسِـك) مِـنْ الْخَيْرِ (تَكُـنْ مُسْـلِمًا) أَيْ كَامِلَ الْإِسْلَام.

(وَلَا تُكْثِرْ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ) أَيْ تُصَيِّرُهُ مَغْمُورًا فِي الظُّلُمَاتِ، بِمَنْزِلَةِ الْمَيِّتِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ نَفْسَـهُ بِنَافِعَةٍ وَلَا يَدْفَعُ عَنْهَا مَكْرُوهًا، وَذَا مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ، وقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**» [رواه البخاري ومسلم].

تاسعًا: الركون إلى الدنيا:

إذ الدنيـا لهـا بريـق لامع تأسـر صاحبها وتشـده إليهـا فيسـعى جاهدًا في تحصيلهـا، ويزداد بها تعلقًا حتى يصبح لها عبدًا تأمره فيطيع، وتزجره فينزجر، فيهـون عليه فعل الحـرام بتحصيلها، ويفرط في الواجبات ليسـتكثر منها، وبذا

تستحكم الغفلة.

قال يحيى بن معاذ الرازي: «الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لم يفق إلا في عسكر الموت نادمًا مع الخاسرين».

قـال ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَـارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْـدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**» [رواه البخاري].

(تَعِـسَ) ضِدُّ سَـعِدَ تَقُولُ تَعِسَ فُلَانٌ أَيْ شَـقِيَ. وَقِيلَ مَعْنَـى التَّعَس الْكَبُّ عَلَى الْوَجْهِ، قَالَ الْخَلِيل: التَّعَسُ أَنْ يَعْثُرَ فَلَا يَفِيقُ مِنْ عَثْرَتِهِ.

وَقِيلَ التَّعَسُ: الشَّرُّ، وَقِيلَ: الْبُعْدُ. وَقِيلَ: الْهَلَاكُ.

وَقِيلَ: التَّعَسُ: أَنْ يَخِرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَالنَّكَسُ أَنْ يَخِرَّ عَلَى رَأْسِهِ.

(وَانْتكَسَ) أَيْ عَاوَدَهُ الْمَرَضُ.

وَقِيلَ: إِذَا سَقَطَ اِشْتَغَلَ بِسَقْطَتِهِ حَتَّى يَسْقُطَ أُخْرَى.

(وَإِذَا شِـيكَ فَـلَا انْتَقَـشَ) إِذَا أَصَابَتْـهُ الشَّـوْكَةُ فَلَا وَجَـدَ مَـنْ يُخْرِجُهَا مِنْهُ بِالْمِنْقَاشِ تَقُولُ نَقَشْتُ الشَّوْكَ إِذَا اِسْتَخْرَجْتَهُ.

وَفِـي الدُّعَاءِ بِذَلِكَ إِشَـارَةٌ إِلَى عَكْـسِ مَقْصُودِهِ لِأَنَّ مَنْ عَثَـرَ فَدَخَلَتْ فِي رِجْلِـهِ الشَّـوْكَة فَلَمْ يَجِـدْ مَنْ يُخْرِجُهَـا يَصِيرُ عَاجِـزًا عَنْ الْحَرَكَةِ وَالسَّعْيِ فِي تَحْصِيل الدُّنْيَا.

إن الغفلـة في الدنيا عن الآخرة هي جماع المصائـب وبؤرة الحرمان، وقد قـال ﷺ: «**مَـنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَـلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

ورواه الإمـام أحمـد بلفظ: «**مَـنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةَ جَمَعَ اللهُ شَـمْلَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ**

وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ» [وإسناده صحيح].

(وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَة)أَيْ مَقْهُورَة، فَالْحَاصِل أَنَّ مَا كُتِبَ لِلْعَبْدِ مِنْ الرِّزْق يَأْتِيه لَا مَحَالَة إِلَّا أَنَّهُ مَنْ طَلَبَ الْآخِرَة يَأْتِيه بِلَا تَعَب وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا يَأْتِيه بِتَعَبٍ وَشِدَّة.

فَطَالِب الْآخِرَة قَدْ جَمَعَ بَيْن الدُّنْيَا وَالْآخِرَة فَإِنَّ الْمَطْلُوب مِنْ جَمْعٍ الْمَال الرَّاحَة فِي الدُّنْيَا وَقَدْ حَصَلَتْ لِطَالِبِ الْآخِرَة، وَطَالِب الدُّنْيَا قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة لِأَنَّهُ فِي الدُّنْيَا فِي التَّعَب الشَّدِيد فِي طَلَبهَا فَأَيّ فَائِدَة لَهُ فِي الْمَال إِذَا فَاتَتْ الرَّاحَة.

وقال ﷺ: «**مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ**» [رواه ابن ماجه، وحسّنه الألباني].

(مَنْ جَعَلَ الْهُمُوم هَمًّا وَاحِد) أَيْ مَنْ جَعَلَ هَمَّهُ وَاحِدًا مَوْضِع الْهُمُوم الَّتِي لِلنَّاسِ أَوْ مَنْ كَانَ لَهُ هُمُوم مُتَعَدِّدَة فَتَرَكَهَا وَجَعَلَ مَوْضِعهَا الْهَمّ الْوَاحِد.

(وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُوم) أَيْ تَفَرَّقَت فِيهِ الْهُمُوم أَوْ فَرَّقَتْهُ الْهُمُوم.



١١٣- علاج مرض الغفلة

من وسائل علاج مرض الغفلة:

أولًا: العلم:

وهـو معرفـة الله، ومعرفـة نبيه ﷺ، ومعرفـة دين الإسـلام بالأدلة، ومما يـدل على أهمية العلم ومكانته في صـلاح القلوب وإزالة غفلتها قول الله تَعَـالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٩]. وقَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١].

وعن مُعَاوِيَةَ بن أبي سـفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَـمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»، [رواه البخاري ومسلم]. وقال ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِـسُ فِيهِ عِلْمًا، سَـهَّلَ اللهُ لَهُ بِـهِ طَرِيقًا إِلَـى الْجَنَّةِ**» [رواه البخاري ومسـلم]، ولـم يأمر الله تعالى نبيه ﷺ بالازدياد إلا في العلم: قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]. وقال رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ**» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

ثانيًا: ذكر الله تعالى على كل حال:

قال الله تَعَـالَىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

الذكـر للّهِ تعالى يكون بالقلب، ويكون باللسـان، ويكون بهما، وهو أكمل أنواع الذكر وأحواله، فأمر اللهُ عبدَه ورسوله محمدًا أصلًا وغيره تبعًا، بذكر ربه في نفسه، أي: مخلصًا خاليًا.

﴿تَضَرُّعًا﴾ أي: متضرعا بلسانك، مكررا لأنواع الذكر، ﴿وَخِيفَةً﴾ في قلبك بأن تكون خائفا من الله، وَجِلَ القلب منه، خوفا أن يكون عملك غير مقبول، وعلامة الخوف أن يسعى ويجتهد في تكميل العمل وإصلاحه، والنصح به.

﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: كن متوسطا، لا تجهر بصلاتك، ولا تخافت بها، وابتغ بين ذلك سبيلا، ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ أول النهار ﴿وَٱلْأَصَالِ﴾ آخره، وهذان الوقتان لذكر الله فيهما مزية وفضيلة على غيرهما.

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ الذين نسوا اللهَ فأنساهم أنفسهم، فإنهم حُرِمُوا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عمن كلّ السعادة والفوز في ذكره وعبوديته، وأقبلوا على من كلّ الشقاوة والخيبة في الاشتغال به، وهذه من الآداب التي ينبغي للعبد أن يراعيها حق رعايتها، وهي الإكثار من ذكر اللّه آناء الليل والنهار، خصوصا طَرَفَيِ النهار، مخلصا خاشعا متضرعا، متذللا ساكنا، وتواطئا عليه قلبه ولسانه، بأدب ووقار، وإقبال على الدعاء والذكر، وإحضار له بقلبه وعدم غفلة، فإن اللهَ لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ»**. [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

ثالثًا: أعظم الذكر وأعظم العلاج للغفلة قراءة القرآن:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧]. فالقرآن حياة القلوب، وشفاءٌ لما في الصدور، فبالجملة فلا شيءَ أنفعُ للقلب من قراءة القرآن بالتدبر، والتفكر، وهذا الذي يورث المحبة والشوق، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والرضى، والشكر، والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب، وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب

وهلاكه، فلو عَلِمَ الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها.

رابعًا: من أعظم علاج الغفلة: التوبة، والاستغفار:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**» [رواه مسلم].

(لَيُغَانُ): بِضَمِّ الْيَاء بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ مِنْ الْغَيْنِ، وَأَصْله الْغَيْمُ.

وَغِينَتْ السَّمَاءُ تُغَان إِذَا أَطْبَقَ عَلَيْهَا الْغَيْمُ، أَرَادَ مَا يَغْشَاهُ مِنْ السَّهْو الَّذِي لَا يَخْلُو مِنْهُ الْبَشَر لِأَنَّ قَلْبَهُ أَبَدًا كَانَ مَشْغُولًا بِاللهِ تَعَالَى، فَإِنْ عَرَضَ لَهُ وَقْتًا مَا عَارِضٌ بَشَرِيٌّ يَشْغَلُهُ عَنْ أُمُور الْأُمَّةِ وَالْمِلَّة وَمَصَالِحهمَا عُدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا وَتَقْصِيرًا فَيَفْرُغُ إِلَى الِاسْتِغْفَار.

وَقِيلَ: سَبَبُه اِشْتِغَالُه بِالنَّظَرِ فِي مَصَالِح أُمَّته وَأُمُورهمْ، وَمُحَارَبَة الْعَدُوّ وَمُدَارَاته، وَتَأْلِيف الْمُؤَلَّفَة، وَنَحْو ذَلِكَ فَيَشْتَغِل بِذَلِكَ مِنْ عَظِيم مَقَامه، فَيَرَاهُ ذَنْبًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَظِيم مَنْزِلَته، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُور مِنْ أَعْظَم الطَّاعَات، وَأَفْضَل الْأَعْمَال، فَهِيَ نُزُول عَنْ عَالِي دَرَجَته، وَرَفِيع مَقَامه مِنْ حُضُوره مَعَ الله تَعَالَى، وَمُشَاهَدَته وَمُرَاقَبَته وَفَرَاغه مِمَّا سِوَاهُ، فَيَسْتَغْفِر لِذَلِكَ.

(وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ) وهو النبي ﷺ الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بنا.

خامسًا: الدعاء والتضرع إلى الله والاستعانة به:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [البقرة:١٨٦]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

وعـن أَنَس بْـنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قـالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِفَاطِمَـةَ رضي الله عنها: «**مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْـمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ، أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْـتَغِيثُ أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**» [رواه النسائي، وصححه الألباني].

فإذا أردنا أن نعالج أنفسـنا من الغفلة فلنتعلق بالله ولنسـأله أن يثبت قلوبنا علـى دينه، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُـولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُكْثِـرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُـوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، فَقُلْتُ: «يَا رَسُـولَ اللهِ، آمَنَّا بِـكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَـلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟»، قَالَ: «**نَعَمْ؛ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْـنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

و عـن عَبْـدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَـمِعَ رَسُـولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ «**إِنَّ قُلُـوبَ بَنِـى آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِـعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْـثُ يَشَـاءُ**». ثُمَّ قَالَ رَسُـولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُـمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُـوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**» [رواه مسلم].

سادسًا: المحافظة على الصلوات الخمس مع الجماعة:

قـال رسـول اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ حَافَـظَ عَلَى هَـؤُلَاءِ الصَّلَـوَاتِ المَكْتُوبَاتِ لَمْ يُكْتَـبْ مِنَ الْغَافِلِينَ**» [رواه ابن خزيمة، وصححه الألباني]. وقال رسـول اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ صَلَّى للهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنْ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنْ النِّفَاقِ**» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

سابعًا: الحرص على قيام الليل وقراءة القرآن ولو عشر آيات في قيامه:

قَالَ رَسُـولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ قَامَ بِعَشْـرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ**». [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

(مِـنَ الْقَانِتِينَ) أي المواظبيـن على الطاعة أو المطَوّليـن القيام في العبادة. وقيل: من الذين قاموا بأمر الله ولزموا طاعته وخضعوا له.

(كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ) بِكَسْـرِ الطَّاءِ: مِنَ الْمَالِكِينَ مَالًا كَثِيرًا، وَالْمُرَادُ كَثْرَةُ الْأَجْرِ، أي من المكثرين من الأجر، مأخوذ من القنطار وهو المال الكثير، يعني من الذين بلغوا في حيازة المثوبات مبلغ المقنطرين في حيازة الأموال.

تاسعًا: الصدقة علاج نافع للغفلة:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَما يُطْفِئُ الْمَاءُ النارَ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني]. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**» [رواه الطبراني، وحسنه الألباني].

تاسعًا: صيام التطوع علاج للغفلة وخاصة عند غفلة الناس:

عن أسـامة بن زيد رضي الله عنهما قَالَ: قُلْتُ: يا رسـول الله لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَـهْرٍ مِنْ الشُّـهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟»، قَالَ: «**ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَـهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**». [رواه الإمام أحمد، وحسنه الألباني].

عاشرًا: التقوى ورأسها المراقبة لله تَعَالَىٰ:

إذا ما خلوتَ الدهرَ يومًا فلا تَقُلْ	خلَوْتُ ولكنْ قُلْ علَيَّ رقيبُ
لا تحسَبَنَّ اللهَ يغفلُ ساعةً	ولا أن ما يُخفَى عليه يغيبُ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢-٣]. وقـال عـز وجـل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق:٥]. وقـال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤]. وقال جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

إذا ما خلوْتَ بريبةٍ في ظُلمةٍ   والنفْسُ داعيةٌ إلى الطُّغيانِ
فاستحْيِ مِن نظرِ الإلهِ وقُل لهَا   إنَّ الذي خلقَ الظلامَ يرانِي

فتزودْ بالتقوى عسى أن تنجلي تلك الغشاوة من الغفلة، عن عَلِيٍّ بْنِ أبي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنَ الْقُلُوبِ قَلْبٌ، إِلَّا وَلَهُ سَحَابَةٌ كَسَحَابَةِ الْقَمَرِ، بَيْنَا الْقَمَرُ مُضِيءٌ إِذْ عَلَتْهُ سَحَابَةٌ، فَأَظْلَمَ إِذْ تَجَلَّتْ عَنْهُ فَأَضَاءَ**» [رواه الطبراني وغيره، وحسنه الألباني].

فهذه الغفلة سحابة على القلب يمكن أن تنجلي بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ، لكن سحابة الغفلات لا تنجلي بالأماني ولا تنجلي بالكلام وإنما تنجلي بالتطبيق، وتنجلي بالمجاهدة: **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

الحادي عشر: التفكر في حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة:

أفِي دارِ الخرابِ تَظَلّ تبنِي   وتُعَمِّرُ، ما لِعُمْرانٍ خُلِقْتَا
وما تَركَتْ لك الأيّامُ عُذْرًا   لقدْ وَعظَتْك لكنْ مَا اتّعَظْتَا
تُنادَى للرحيلِ بكُلّ حِينٍ   وتُعلَنُ إنّما المقصودُ أنتَا
وتُسْمِعُكَ النّداءَ وأنتَ لاهٍ   عنِ الداعِي كأنّك ما سمِعْتَا
وتَعْلمُ أنّهُ سفَرٌ بعيدٌ   وعن إعدادِ زادٍ قد غفَلْتَا
تنَامُ وطالِبُ الأيامِ ساعٍ   وراءَك لا ينامُ فكيفَ نِمْتَا
معائبُ هذِهِ الدُنيا كثيرٌ   وأنتَ على محبّتِها طُبِعْتَا
يضيعُ العمرُ في لَعِبٍ ولَهْوٍ   ولوْ أعطِيتَ عقْلًا ما لَعِبْتَا
فما بعْدَ المماتِ سِوَى جحيمٍ   لعَاصٍ أو نعيمٍ إنْ أطَعْتَا

انظروا إلى الذي غرس غرسًا فما أكل ثمره، وبنى قصرًا فما سكنه، وهيأ دارًا فما انتقل إليها، وأعد وظيفة فما وصلها، ورتب شيئًا فما أدركه، وكان الموت سابقًا له قبل ذلك، ثم افترض وهب لو أنك عشت فيما شئت من

شـهوات ولذات، أوليس الموت نهايتك؟ وهب أنك عشـت منذ أن ولدت في مفارش الحرير إلى أن مت أوليست غمسة في النار تنسي هذا كله؟

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِـنْ أَهْلِ النَّارِ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ: «يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟»، فَيَقُولُ: «لَا وَاللهِ يَا رَبِّ»، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًـا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: «يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟»، فَيَقُولُ: «لَا وَاللهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ**» [رواه مسلم].

قَوْلـه ﷺ: (فَيُصْبَـغ فِـي النَّـار صَبْغَـة) أَيْ: يُغْمَـس غَمْسَـة، وَالْبُـؤْس هُوَ: الشِّدَّة.

فالصبر الصبر؛ فإنما هـي أيام وكل يعرف مكانه، وكل يعرف مرتبته، وكل يـرى منزلتـه، وكل يرى عاقبـة عمله إن خيرًا فخير وإن شـرًا فشـر: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿**وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ**﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فليسَتِ هـذهِ الـدُّنْيَـا بشيءٍ ... تـسـوؤُك حِقبـةً وتَـسُـرُّ وقْتَـا
وغـايـتُـهـا إذا فـكّـرْتَ فيهَا ... كفَيْئِكَ أو كحُلْمِك إذْ حلَمْتَا
سُجِنْتَ بها وأنـتَ لها مُحِبٌّ ... فكيفَ تُـحِـبّ ما فيه سُجِنْتَا
وتُطْعِمُكَ الطعامَ وعن قريبٍ ... ستَطْعَمُ منكَ ما فيها طُعِمْتَا
فلا تـحزَنْ علَى ما فـاتَ مِنها ... إذا مـا أنـتَ في أخْـراكَ فُـزْتَـا
فليسَ بـنـافِـعٍ مـا نِـلْـتَ مِنهَا ... مِـن الفانِي إذا البَاقِي حُرِمْتَا

وتذكر مواقف يشيب لها الولدان، تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سـكارى، الشـمس تكور، النجوم تنكدر،

السماء تنفطر، البحار تسجر، الجبال تتطاير كالعهن المنفوش، يجعلها الله قاعًا صفصفًا، كل ذلك من الأهوال التي بين أيدينا سنراها ونعتقدها ونؤمن بها حق اليقين، أفلا يليق بواحد منا تأمل ذلك أن يقلع عن غفلته وأن يتدبر لنهايته؟

يقول إبراهيم التيمي: «مثَّلْتُ نفسي في الجنة آكل من ثمارها، وأشربُ من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثّلْتُ نفسي في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: يا نفس! أي شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحًا، قلت: فأنت في الأمنية فاعملي، فأنت في الأمنية فاعملي».

الثاني عشر: الزهد في الدنيا من أعظم علاج الغفلة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله ﷻ وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي.

﴿وَزِينَةٌ﴾ أي: تزين في اللباس والطعام والشراب، والمراكب والدور والقصور والجاه وغير ذلك ﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾ أي: كل واحد من أهلها يريد

مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها، والذي له الشهرة في أحوالها، ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ أي: كل يريـد أن يكون هـو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه، وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين إليها.

وهذا النوع يختلف عمن عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبرًا ولم يجعلها مستقرا، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى الله ﷻ وإذا رأى من يكاثره وينافسه بالأموال والأولاد، نافسه بالأعمال الصالحة.

ثـم ضـرب للدنيا مثلا بغيث نزل علـى الأرض، فاختلط بـه نبات الأرض ممـا يـأكل الناس والأنعـام، حتى إذا أخـذت الأرض زخرفهـا، وأعجب نباته الكفـار، الذيـن قصـروا همهم ونظرهم إلـى الدنيا جاءها من أمـر الله ما أتلفها فهاجت ويبسـت، فعادت على حالها الأولى، كأنه لـم ينبت فيها خضراء، ولا رؤي لهـا مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هـي زاهية لصاحبها زاهرة، مهما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة، إذ أصابها القـدر بما أذهبهـا من يده، وأزال تسـلطه عليها، أو ذهب به عنهـا، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن، فتبا لمن أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه.

وأمـا العمل للآخرة فهو الذي ينفع، ويدخر لصاحبه، ويصحب العبد على الأبـد، ولهـذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ أي: حـال الآخرة، ما يخلـو من هذين الأمريـن: إما العذاب الشـديد في نار جهنم، وأغلالها وسلاسلها وأهوالها لمن كانت الدنيا هي غايته ومنتهى مطلبه، فتجرأ على معاصي الله، وكذب بآيات الله، وكفر بأنعم الله.

وإما مغفرة من الله للسيئات، وإزالة للعقوبات، ورضوان من الله، يحل مَن أحله به دار الرضوان لمن عرف الدنيا، وسعى للآخرة سعيها.

فهـذا كله مما يدعـو إلى الزهد في الدنيـا، والرغبة في الآخـرة، ولهذا قال: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ أي: إلا متاع يتمتع به وينتفع به، ويستدفع بـه الحاجـات، لا يغتر به ويطمئن إليـه إلا أهل العقول الضعيفـة الذين يغرهم بالله الغرور.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيْرِ ﵁ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿ أَلْهَـٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾، قَـالَ: «**يَقُـولُ ابْـنُ آدَمَ**: «**مَالِـي، مَالِي**»، قَـالَ: «**وَهَلْ لَكَ، يَـا ابْنَ آدَمَ مِـنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْـتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْـتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْـتَ فَأَمْضَيْتَ؟**»، [رواه مسلم].

وعَـنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَقُـولُ الْعَبْدُ: مَالِي، مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ، وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ**» [رواه مسلم].

الثاني عشر: تذكر الخاتمة والإكثار من ذكر الموت:

سَتَنْقُلُكَ المنايَا عـنْ ديَـارِكْ ... ويُبْدِلُـكَ الـردَى دارًا بـدارِكْ
وتَـتْـرُك مـا غنيـتَ بـه زمَـانًـا ... وتُنقَلُ مِن غِنَاكَ إلى افْتِقَارِكْ
فـدُودُ القَبْرِ في عينيْكَ يرعَى ... وترعَى عيْنُ غيرِكَ في ديَـارِكْ

تزول الغفلة بتذكر الخاتمة، قال ﷺ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! عِشْ مَا شِـئْتَ فَإِنَّـكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِـئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِـئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَـرَفَ الْمُؤْمِـنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزَّهُ اسْـتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ**».
[رواه الحاكم وغيره، وحسنه الألباني].

إذا أردنا أن تنجلي هذه الغفلة فلنتذكر أننا راحلون، كم جنازة صلينا عليها تذكر أنك يومًا من الأيام واحدة من الجنائز التي يصلى عليها، زر المقابر وتأمل أحوال هذه المقابر:

زُرْ قـبر الرئيس وقبر الزعيـم، وقبر الأمير وقبر الوزيـر، وقبر الملك، وقبر الثـري وقـبر الفقير؛ كلها بجـوار بعضها، أيـن الحجّاب، وأين البـواب، وأين الاستئذان، وأين البرتوكول، وأين المواعيد؟

انتهـى الأمـر: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ٩٤]، هذا هو المرد وهذه هي النهاية، فمن تذكر ذلك حتى وإن ركب ما ركب وسـكن ما سـكن وجمع ما جمع فإنه بإذن الله ﷻ يعود منكسرًا إلى الله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق: ٨]، لذا أمرنا النبي ﷺ بزيارة القبور لأنها تذكر الآخرة.

قـال ﷺ: «**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا**» [رواه مسلم]، وفي رواية لابن ماجه وابن حبان: «**فَزُورُوا الْقُبُورَ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْمَوْتَ**» [صححه الألباني].

وعَنْ الْبَرَاءِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فِي جِنَازَةٍ فَجَلَسَ عَلَى شَـفِيرِ الْقَبْرِ فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى ثُمَّ قَالَ: «**يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا**» [حسن رواه ابن ماجه].

(عَلَى شَفِير الْقَبْر) أَيْ طَرَفه. (الثَّرَى)أَيْ التُّرَاب.

(فَأَعِدُّوا) أَيْ صَالِح الْأَعْمَال الَّذِي يَدْخُل الْقَبْر مَعَ الْمُؤْمِن.

فليتفكـر العبـد في هذا، وليعلم أنـه لا يعالجه من هذه الغفلة إلا أن يكسـر ويحطـم قسـوة قلبه بـأن يـرى الأموات يغسـلون، ويـرى الأمـوات يكفنون، ويقـف عند المقابـر، ويزور المرضى، وينظر أحوال أصحـاب العاهات الذين سـلبت منهم العافية بين لحظة ولحظة ليعرف حالـه وأن ما أصابهم ليس ببعيد أن يصيبه.

وعَـنْ أَبِـى هُرَيْـرَةَ رضي الله عنه قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْثِـرُوا ذِكْـرَ هَاذِمِ اللَّـذَّاتِ**»، يَعْنِى الْمَوْتَ، [رواه ابن ماجه، وصححه الألبـاني]. وقال ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَـاذِمِ اللَّـذّاتِ: الْمَوْتِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ فِي ضِيقٍ مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا وَسَّـعَهُ عَلَيْهِ وَلَا ذَكَرَهُ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ**» [رواه البيهقي وابن حبان، وحسنه الألباني].

(أَكْثِـرُوا ذِكْرَ هَـاذِمِ اللَّذَّاتِ: الْمَـوْتِ) الْهَاذِمُ: هُوَ الْقَاطِـعُ، فالموت يقطع اللـذات ويزيلهـا، والحديث دليل على أنه لا ينبغي للإنسـان أن يغفل عن ذكر أعظـم المواعـظ وهو المـوت. والإنسـان لا ينفك عن حاليـن: ضيق ومحنة، وسعة ونعمة.

فإن كان في حال ضيق ومحنة فذِكْرُ الموت يسهل عليه ما هو فيه من الضيق والمحنة عندما يقارن حاله عند الضيق والمحنة التي هو فيها بحاله في القبر.

وإن كان في حال سعة ونعمة من الاغترار بها والركون إليها فإن ذِكْرُ الموت يجعله يستحضر أن هذا اليوم أو هذه الليلة قد يكون آخر عهده بالحياة فلا يغتر بالدنيا، بل يُقبِل على الآخرة.

يـا غـافـلًا عَـمَّـا يُـــرَادُ لـهُ ... حانَ الرحيلُ فمَا أعدَدْتَ مِن زادِ

تَـظُـنُّ أنَّـكَ تبقَى سـرمَـدًا أبـدًا ... هيهَات أنتَ غدًا فيمنَ غَدَا غادِ

الثالث عشر: ذكر القبر والبلى:

عن عَبْدِ اللهِ بْنُ بَحِيرٍ أَنَّهُ سَـمِعَ هَانِئًا مَوْلَى عُثْمَانَ قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَـى قَبْرٍ بَكَـى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: «تُذْكَرُ الْجَنَّـةُ وَالنَّارُ فَلاَ تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟»، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**»، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**». [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

أفظع: أي أشدُّ وأشنع.

١١٤- العـــزة [1]

أَحَلَّ الْكُفْرُ بِـالْإِسْـلَامِ ضَيْمًا يَطُولُ بِهِ عَلَى الدِّينِ النَّحِيبُ
فَـحَـقٌّ ضَـائِـعٌ وَحِـمًـى مُـبَـاحٌ وَسَـيْـفٌ قَـاطِـعٌ وَدَمٌ صَبِيبُ
وَكَـمْ مِنْ مُسْلِمٍ أَضْحَى سَلِيبًا وَمُـسْـلِـمَـةٍ لَـهَـا حَـرَمٌ سَلِيبُ
وَكَـمْ مِـنْ مَسْجِدٍ جَعَلُوهُ دَيْـرًا عَلَى مِحْرَابِهِ نُصِبَ الصَّلِيبُ
دَمُ الْخِنْزِيرِ فِيهِ لَهُمْ خُلُوفٌ وَتَحْرِيقُ الْمَصَاحِفِ فِيهِ طِيبُ
أُمُـــورٌ لَـوْ تَـأَمَّـلَـهُـنَّ طِـفْـلٌ لَطَفِلَ فِي عَـوَارِضِـهِ الْمَشِيبُ
أَتُسْبَى الْمُسْلِمَاتُ بِكُلِّ ثَغْرٍ وَعَيْشُ الْمُسْلِمِينَ إِذًا يَطِيبُ
أَمَـا لِـلَّـهِ وَالْإِسْـــلَامِ حَـقٌّ يُـدَافِـعُ عَـنْـهُ شُـبَّـانٌ وَشِـيـبُ
فَقُلْ لِذَوِي الْكَرَامَةِ حَيْثُ كَانُوا أَجِيبُوا اللهَ وَيْحَكُمُوا أَجِيبُوا

مـا أحوج الأمة اليوم إلى مَـن يُعيد لها تاريخها المجيد، وعزها السـليب، ذاك المجد الذي استمر قرونًا طويلة، وأزمنةً مديدة، ولكن يا حسرة على العباد انحرفـت الأمة عـن الجادة، وضلت طريقها فراحت تتخبـط في دياجر الظلام، وظنـت أن كرامتهـا في تقليـد عدوهـا، والسـير علـى منواله فأصابهـا من الذل والهوان ما لم يمر عليها منذ أن قامت للإسلام قائمة.

العزة: ارتباط بالله تعالى وارتفاع بالنفس عن مواضع المهانة، والتحرر من رق الأهواء ومن ذل الطمع، وعدم السير إلا وفق ما شرع الله تعالى ورسوله ﷺ.

والعزة لا بد أن يجتمع فيها الأمور التالية:

---

(١) هـذه الخطبـة والتي بعدها بتصرف من كتاب: (العزة. مصادرها أسـبابها مواقـف وأحداث)، تأليف الدكتور: محمد بن عبد الله الهبدان، المشرف العام على مؤسسة نور الإسلام.

- القوة حتى لا يُغلب – القوة الإيمانية والجسدية والعلمية –.
- القناعة حتى يستغني بها عن الناس.
- أن يمده الله بنصره وقوته.
- أن يسير على وفق ما أراده الله تعالى.

كانتْ تعيشُ مَذلّةً وصَغارًا إسْلامُنَا بالأمسِ أنشَأَ أمَّةً
كانتْ لكلِّ الحائرينَ منَارًا فغَدَتْ بفضلِ اللهِ أعظمَ أمَّةٍ
فَبِه نُربي صَفوةً أبْرارًا وإذا اتخَذْنا دينَنا منهاجَنا
حتى ينالُوا الخلدَ والأنهارَا يشْرُونَ دُنياهُم بأكرمِ مِيتةٍ

معاني العزة في القرآن الكريم:

العزة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه كما قال بعض المفسرين:

أحدها: العظمة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

والثاني: المَنَعة والقوة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

والثالث: الحمية: ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦] وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ٢].

أقسام العزة:

يمكن أن تقسم العزة إلى قسمين: عزة شرعية، وعزة غير شرعية.

فالأول: العزة الشرعية: وهي التي ترتبط بالله تعالى ورسوله ﷺ، فيعتز المرء بدينه ويرتفع بنفسه عن مواضع المهانة، فهو لا يريق ماء وجهه، ولا يبذل عرضه فيما يدنسه، فيبقى موفور الكرامة، مرتاح الضمير، مرفوع الرأس، شامخ العرين، سالمًا من ألم الهوان، متحررًا من رق الأهواء، ومن ذل الطمع،

لا يسير إلا وفق ما يمليه عليه إيمانه، والحق الذي يحمله ويدعو إليه.

الثـاني: العزة غير الشـرعية: كاعتزاز الكفار بكفرهـم وهو في الحقيقية ذل، أو الاعتـزاز بالنسـب على جهة الفخـر والخيلاء أو الاعتـزاز بالمال، كل هذه مذمومة.

صور من العزة غير الشرعية:

١- الاعتزاز بالكفار من يهود ونصارى ومنافقين وعلمانيين وغيرهم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء].

البشـارة تسـتعمل في الخير، وتستعمل في الشر بقيد كما في هذه الآية، يقول تَعَالَى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ أي: الذيـن أظهـروا الإسـلام وأبطنـوا الكفـر، بأقبح بشـارة وأسـوئها، وهو العذاب الأليم، وذلك بسبب محبتهم الكفار وموالاتهم ونصرتهـم، وتَرْكهم لموالاة المؤمنين، فأي شـيء حملهم على ذلك؟ أيبتغون عندهم العزة؟

وهذا هو الواقع من أحوال المنافقين، ساء ظنهم بالله وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عمّا وراء ذلك، فاتخذوا الكافرين أولياء يتعزوون بهم ويستنصرون.

والحـال أن العزة لله جميعا، فإن نَوَاصِي العباد بيده، ومشـيئتُه نافذة فيهم، وقـد تكفل بنصر دينه وعباده المؤمنين، ولو تخلل ذلك بعض الامتحان لعباده المؤمنيـن، وإدَالـةُ العـدو عليهم إدالةٌ غير مسـتمرة، فـإن العاقبة والاسـتقرار للمؤمنيـن، وفي هذه الآيـة الترهيب العظيم من مـوالاة الكافرين؛ وترك موالاة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم.

٢- الاعتزاز بالآباء والأجداد:

ومن صور الاعتزاز المذموم الاعتزاز بالآباء والأجداد الذين ماتوا على الكفر؛ واعتبار أن بينهم وبين الجيل المسلم نسبا وقرابة! كما يعتز ناس بالفراعنة والأشوريين والفينيقيين والبابليين وعرب الجاهلية اعتزازًا جاهليًّا، وحمية جاهلية.

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: انْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: «أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، فَمَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ؟»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«انْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: «أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، حَتَّى عَدَّ تِسْعَةً، فَمَنْ أَنْتَ لا أُمَّ لَكَ؟»، قَالَ: «أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ابْنُ الْإِسْلَامِ»، قَالَ: «فَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ هَذَيْنِ الْمُنْتَسِبَيْنِ، أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَمِي أَوِ الْمُنْتَسِبُ إِلَى تِسْعَةٍ فِي النَّارِ فَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا هَذَا الْمُنْتَسِبُ إِلَى اثْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الْجَنَّةِ»** [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ»** [رواه أبو داود، وحسنه الألباني]. ورواه الترمذي بلفظ: **«لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ...»** [حسنه الألباني].

(مُؤْمِن تَقِيّ وَفَاجِر شَقِيّ) مَعْنَاهُ أَنَّ النَّاس رَجُلَانِ مُؤْمِن تَقِيّ فَهُوَ الْخَيِّرُ الْفَاضِل وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَسِيبًا فِي قَوْمه، وَفَاجِر شَقِيّ فَهُوَ الدَّنِيّ وَإِنْ كَانَ فِي أَهْله شَرِيفًا رَفِيعًا.

وَقِيـلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْمُفْتَخِر الْمُتكَبِّر إِمَّا مُؤْمِن تَقِـيّ فَإِذَنْ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتكَبَّر عَلَى أَحَد، أَوْ فَاجِر شَـقِيّ فَهُوَ ذَلِيل عِنْد اللهِ، وَالذَّلِيل لَا يَسْـتَحِقّ التَّكَبُّر فَالتَّكَبُّر مَنْفِيّ بِكُلِّ حَال.

(لَيَدَعَن): أَيْ لِيَتْرُكَن. (إِنَّمَا هُمْ): أَيْ أَقْوَام. (أَهْوَنَ): أَيْ أَذَلَّ. (عَلَى اللهِ): أَيْ عِنْـده (مِـنْ الْجِعْلَان):جَمْع جُعَل: دُوَيْبَّة سَـوْدَاء تُدِير الْخِـرَاء بِأَنْفِهَا، وَمِنْ شَـأْنِه جَمْع النَّجَاسَـة وَادِّخَارهَـا، وَمِنْ عَجِيب أَمْـره أَنَّهُ يَمُوت مِـنْ رِيح الْوَرْد وَرِيـح الطِّيب فَإِذَا أُعِيدَ إِلَى الرَّوْث عَاشَ، وَمِنْ عَادَته أَنْ يَحْرُس النِّيَام فَمَنْ قَامَ لِقَضَاءِ حَاجَته تَبِعَهُ وَذَلِكَ مِنْ شَهْوَته لِلْغَائِطِ لِأَنَّهُ قُوتُه.

(الَّتِي تَدْفَع بِأَنْفِهَا النَّتْنُ): أَيْ الْعَذِرَة، أي البراز. (يُدَهْدِه) يُدَحْرِج.

شَـبَّهَ ﷺ الْمُفْتَخِرِينَ بِآبَائِهِمْ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّة بِالْجِعْلَانِ، وَآبَاءَهُمْ الْمُفْتَخَر بِهِمْ بِالْعَذِرَةِ، وَنَفْس اِفْتِخَارهمْ بِهِمْ بِالدَّفْعِ وَالدَّهْدَهَة بِالْأَنْفِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ أَحَد الْأَمْرَيْنِ وَاقِع الْبَتَّة إِمَّا الِانْتِهَاء عَنْ الِافْتِخَار أَوْ كَوْنهمْ أَذَلّ عِنْد اللهِ تَعَالَى مِنْ الْجِعْلَانِ الْمَوْصُوفَة.

إن آصـرة التجمـع في الإسـلام هـي العقيـدة، وإن الأمـة في الإسـلام هي المؤمنـون بالله منـذ فجر التاريـخ، في كل أرض، وفي كل جيل، وليسـت الأمة مجموعـة الأجيال مـن القدم، ولا المتجمعين في حيز مـن الأرض في جيل من الأجيال.

٣- الاعتـزاز بالقبيلـة والرهط: عـن أَبِي مَالِـكٍ الْأَشْـعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَـابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**» [رواه مسلم].

(أَرْبَعٌ) أي أربع خصالٍ كائنة في (أُمَّتِي) أي: أمة الإجابة.

(لَا يَتْرُكُونَهُنَّ): أي كُل التَّرْك، إن تتركه طائفة يفعله آخرون.

(الْفَخْرُ) التعالى والتعاظم، (فِي الْأَحْسَابِ): أي: يفخر بسبب الحسب الذي هو عليه.

والحسب: ما يحتسبه الإنسان من شرف وسؤدد، كأن يكون من بني هاشم فيفتخر بذلك، أو من آباء وأجداد مشهورين بالشجاعة، فيفتخر بذلك، وهذا من أمر الجاهلية، لأن الفخر في الحقيقة يكون بتقوى الله عز وجل الذي يمنع الإنسان من التعالى والتعاظم، والمتقي حقيقة هو الذي كلما ازدادت نعم الله عليه ازداد تواضعًا للحق وللخلق.

(الطَّعْنُ): العيب، لأنه وخز معنوي كوخز الطاعون فى الجسد، ولهذا سمي العيب طعنًا. (فِي الْأَنْسَابِ) جمع نسب، وهو أصل الأنسان وقرابته، (وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ): بالطعن في نسب فلان وفلان والتكذيب بنسب فلان وفلان بغير دليل شرعي ومن غير حاجة شرعية،، فيطعن في نسبه كأن يقول: أنت ابن الدباغ.

(وَالْاسْتِسْقَاءُ): هو طلب السقيا والمطر والغيث.

(وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ) أي: نسبة المطر إلى النجوم مع أعتقاد أن الفاعل هو الله عز وجل، أما إن أعتقد أن النجوم هي التي تخلق المطر والسحاب أو دعاها من دون الله لتنزل المطر، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة. (وَالنِّيَاحَةُ): هي رفع الصوت بالبكاء على الميت قصدًا، على سبيل النوْح، كنَوْح الحمام.

٤- الاعتزاز بالكثرة سواء كان بالمال أو العدد:

قال تعالى في قصة صاحب الجنتين: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤]. فخر بكثرة ماله، وعزة أنصاره من عبيد، وخدم، وأقارب، وهذا جهل منه، وإلا فأي افتخار بأمر خارجي ليس فيه فضيلة نفسية، ولا صفة معنوية، وإنما هو بمنزلة، فخر الصبي بالأماني، التي لا حقائق تحتها.

وقَالَ تَعَالَىٰ: في بيان قارون وما جرى منه ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص].

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ أي: من بني إسـرائيل، الذين فُضِّلوا على العالميـن، وفاقوهـم في زمانهم، وامتـن الله عليهم بما امتن بـه، فكانت حالهم مناسـبة للاسـتقامة، ولكن قـارون هذا، بغى علـى قومه وطغى، بمـا أوتيه من الأمـوال العظيمة المطغية ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ أي: كنوز الأموال شـيئًا كثيرًا، {مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ {أُولِي الْقُوَّةِ} والعصبة: من العشرة إلى التسعة إلى السـبعة، ونحو ذلـك، أي: حتى أن مفاتح خزائن أموالـه لتثقل الجماعة القوية عـن حملها، هذه المفاتيح، فمـا ظنك بالخزائن؟ ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ ناصحين له محذريـن له عـن الطغيـان: ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ أي: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة، وتفتخر بها، وتلهيك عن الآخرة، فإن الله لا يحب الفرحين بها، المنكبين على محبتها.

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ﴾ أي: قـد حصل عندك من وسـائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند الله، وتصدق ولا تقتصر على مجرد نَيْل الشهوات، وتحصيل اللذات، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: لا نأمـرك أن تتصـدق بجميـع مالـك وتبقـى ضائعًـا، بل أنفـق لآخرتك، واسـتمتع بدنياك استمتاعًا لا يضر بآخرتك، ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ بهـذه الأمـوال، ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ بالتكبر والعمل بمعاصي الله والاشـتغال بالنعم عن المنعم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا

يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ بل يعاقبهم على ذلك، أشد العقوبة.

٥- الاعتـزاز بالجاه والمنصب: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤] فاستغاثوا بعزة عبد ضعيف، عاجز من كل وجه، إلا أنه قد تجبر وحصل على صورة ملك وجنود، فغرتهم تلك الأبهة، ولم تنفذ بصائرهم إلى حقيقة الأمر.

٦- الاعتزاز عند النصح والإرشاد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: إذا تكلم راق كلامه للسامع، وإذا نطق ظننته يتكلم بكلام نافع، ويؤكد ما يقول بأنه ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ ﴾ بأن يخبر أن الله يعلم أن ما في قلبه موافق لما نطق به، وهو كاذب في ذلك؛ لأنه يخالف قوله فعله.

فلو كان صادقا، لتوافق القول والفعل، كحال المؤمن غير المنافق، فلهذا قال: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ أي: إذا خاصمته، وجدت فيه من اللدد والصعوبة والتعصب، وما يترتب على ذلك، ما هو من مقابح الصفات، ليس كأخلاق المؤمنين، الذين جعلوا السهولة مركبهم، والانقياد للحق وظيفتهم، والسماحة سجيتهم.

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾ هذا الذي يعجبك قوله إذا حضر عندك ﴿سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾ أي: يجتهد على أعمال المعاصي، التي هي إفساد في الأرض ﴿وَيُهْلِكَ ﴾ بسبب ذلك ﴿ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾ فالزروع والثمار والمواشي

تتلف وتنقص وتقل بركتها بسبب العمل في المعاصي، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ وإذا كان لا يحب الفساد، فهو يبغض العبد المفسد في الأرض غاية البُغْض، وإن قال بلسانه قولًا حسنًا.

ففي هذه الآية دليل على أن الأقوال التي تصدر من الأشخاص، ليست دليلًا على صدق ولا كذب، ولا بر ولا فجور حتى يوجد العمل المصدق لها، المزكي لها وأنه ينبغي اختبار أحوال الشهود، والمحق والمبطل من الناس، بسبر أعمالهم، والنظر لقرائن أحوالهم، وأن لا يغتر بتمويههم وتزكيتهم أنفسهم.

ثم ذكر أن هذا الُمفْسِد في الأرض بمعاصي الله، إذا أُمِر بتقوى الله تكبر وأنف و﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ فيجمع بين العمل بالمعاصي والكبر على الناصحين.

﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ التي هي دار العاصين والمتكبرين، ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ أي: المستقر والمسكن، عذاب دائم، وهم لا ينقطع، ويأس مستمر، لا يخفف عنهم العذاب، ولا يرجون الثواب، جزاء لجناياتهم ومقابلة لأعمالهم، فعياذا بالله من أحوالهم.

٧- الاعتزاز بجمال الثياب:

قال ﷺ: «**مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا، أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ أَلْهَبَ فِيهِ نَارًا**» [رواه أبو داود، وابن ماجه، وحسنه الألباني].

(ثَوْبُ شُهْرَةٍ) أَيْ: مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا يَقْصِدُ بِهِ الِاشْتِهَارَ بَيْنَ النَّاسِ سَوَاءٌ كَانَ الثَّوْبُ نَفِيسًا يَلْبَسُهُ تَفَاخُرًا بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، أَوْ خَسِيسًا يَلْبَسُهُ إِظْهَارًا لِلزُّهْدِ وَالرِّيَاءِ.

والشُّهْرَةُ ظُهُورُ الشَّيْءِ وَالْمُرَادُ أَنَّ ثَوْبَهُ يَشْتَهِرُ بَيْنَ النَّاسِ لِمُخَالَفَةِ لَوْنِهِ

لِأَلْـوَانِ ثِيَابِهِمْ فَيَرْفَعُ النَّـاسُ إِلَيْهِ أَبْصَارَهَـمْ وَيَخْتَالُ عَلَيْهِمْ بِالْعُجْـبِ وَالتَّكَبُّرِ. وَإِذَا كَانَ اللُّبْسُ لِقَصْدِ الِاشْـتِهَارِ فِي النَّاسِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ رَفِيعِ الثِّيَابِ وَوَضِيعِهَا وَالْمُوَافِقِ لِمَلْبُوسِ النَّاسِ وَالْمُخَالِفِ لِأَنَّ التَّحْرِيمَ يَدُورُ مَعَ الِاشْتِهَارِ، وَالْمُعْتَبَرُ الْقَصْدُ وَإِنْ لَمْ يُطَابِقْ الْوَاقِعَ.

٨- الاعتزاز بالأصنام والأوثان:

قـال تعالـى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ [مريم] فهـؤلاء الذيـن كفـروا ربهـم يتخـذون من دونه آلهة يطلبون عندها العزة، والغلبـة والنصرة، وكان فيهم من يعبد الملائكة ومن يعبد الجن ويستنصر بهم ويتقون بهم. كلا فسيكفر الملائكة والجن بعبادتهم، وينكرونها عليهم، ويبرأون إلى الله منهم ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ بالتبرؤ منهم والشهادة عليهم.

مصادر العزة:

للعزة مصادر شـتى لكنها مثل السـراب لا حقيقة لها، والعزة الحقيقية لها مصـدر واحـد وهو الله جل جلاله، والالتجاء إلى جنابه، فهو سـبحانه يذل من يشـاء، ويعز من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦]. فالله سـبحانه هو المعز الحقيقي لمن يشاء إعزازه من البشر، بما يُقَيِّض له من الأسباب الموجبة للعز، كالقـوة، ونُصْرة الحق، وكثرة الأعـوان، ونفاذ الكلمة، وغير ذلك من الصفات التي تجعل الحاصل عليها عزيزا.

ولا تـلازم بين العز والملك، فقد يكون الملك ذليلا لعدم قوته ونفوذه، أو لعدم اسـتقلاله بسياسـته الخرقاء، فيكون منفذا لإرادة الغير، وكم من إنسان لا

ملك له ولا سـلطان، ولكنه يعيش عزيزًا، وله نفـوذ وعزة أقوى من نفوذ وعزة السلطان، وذلك لتوفر وسائل العز وأسبابه التي قدرها الله له.

فمن كان يريد العزة لينال الفوز الأكبر ويدخل دار العزة ولله العزة فليقصد بالعزة الله والاعتزاز به فإنه من اعتز بالعبد أذله الله ومن اعتز بالله أعزه الله. فمن اعتـز بذي العز فـذو العز له عـز. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠] هـذه الحقيقة كفيلة حين تسـتقر في القلوب أن تبـدل المعايير كلها، وتبدل الوسائل والخطط أيضًا!

إن العـزة كلها لله، وليس شـيء منها عند أحد سـواه، فمـن كان يريد العزة فليطلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدر غيره، ليطلبها عند الله، فهو واجدها هنـاك وليـس بواجدها عند أحـد، ولا في أي كنف، ولا بأي سـبب ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾.

إن الناس الذين كانت قريش تبتغي العزة عندهم بعقيدتها الوثنية المهلهلة؛ وتخشى اتباع الهدى - وهي تعترف أنه الهدى - خشية أن تصاب مكانتها بينهم بـأذى، إن النـاس هؤلاء القبائل والعشـائر ومـا إليها، إن هؤلاء ليسـوا مصدرًا للعـزة، ولا يملكون أن يعطوها أو يمنعوها ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾. وإذا كانت لهم قـوة فمصدرهـا الأول هو الله، وإذا كانت لهم منعـة فواهبها هو الله، وإذن فمن كان يريد العزة والمنعة فليذهب إلى المصدر الأول، لا إلى الآخذ المستمِدّ من هذا المصدر، ليأخذ من الأصل الذي يملك وحده كل العزة، ولا يذهب يطلب قمامة الناس وفضلاتهم، وهم مثله طلاب محاويج ضعاف!

إنها حقيقة أساسية من حقائق العقيدة الإسلامية، وهي حقيقة كفيلة بتعديل القيم والموازين، وتعديل الحكم والتقدير، وتعديل النهج والسـلوك، وتعديل الوسائل والأسباب! ويكفي أن تستقر هذه الحقيقة وحدها في أي قلب لتقف به

أمام الدنيـا كلها عزيزًا كريمًا ثابتًا في وقفته غير مزعزع، عارفًا طريقه إلى العزة، طريقه الذي ليس هنالك سواه!

إنه لن يحني رأسـه لمخلوق متجـبر، ولا لحدث جلل، ولا لقوة من قوى الأرض جميعًـا، وعـلامَ؟ ﴿فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾، وليـس لأحـد منها شـيء إلا برضاه؟ فالعزة لله وحده، فهي تطلب عنده وإلا فلا عزة ولا قوة عند الآخرين.

ولـذا رد الله تعالـى علـى المنافقيـن الذيـن ادعـو أن العـزة لهـم فقـال: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: «يَا لَلْأَنْصَارِ»، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: «يَا لَلْمُهَاجِرِينَ»، فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَا بَـالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟**»، قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «**دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»، فَسَـمِعَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ: «قَدْ فَعَلُوهَا، وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ»، قَالَ عُمَرُ: «دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ»، فَقَالَ: «**دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**» [رواه البخاري ومسلم].

وفي روايـة الترمذي: فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْـدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ: «وَاللهِ لاَ تَنْقَلِبُ حَتَّى تُقِرَّ أَنَّكَ الذَّلِيلُ وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم الْعَزِيزُ» فَفَعَلَ. [صححه الألباني].

(الكسع): الضرب على المؤخرة.

إنها صورة رائعة صورة الرجل المؤمن عبدالله بن عبدالله بن أبي، وهو يقول ذلك لأبيه فلا يدعه يدخل المدينة حتى يُقر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الأعز.

قَـومٌ إذا داعِـي الجهادِ دعاهُمُ ... هَبُّـوا إلـى الـداعِـي بغيرِ تـوانِ
وبنعمةِ الإسْـلام عاشوا إخوةً ... شركاءَ في الأفـراحِ والأحـزانِ

محرابُهم بالليْلِ معمورٌ بهمْ	يـتـضـرّعـونَ تـضـرّعَ الـرهـبـانِ
وإذاانقضَى الليلُ البهيمُ وجدتَهمْ	بنهارهم يـا صـاحِ كالفرسانِ
وهـتـافـهـمْ اللهُ أكــبرُ إنَّــهـمْ	لم يهْتِفُوا بحياةِ شخصٍ فَانِ



١١٥- أسباب العزة

أسباب العزة:

لنيل العزة أسباب كثيرة منها:

١- الإيمان بالله تعالى وطاعته:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر:١٠]. فمن كان يطلب العـزة فليطلبها بطاعة الله بالكلم الطيب والعمل الصالح، فمن كان يريد بعبادة الله ﷻ العزة، والعزة له فإن الله ﷻ يُعِزُّه في الآخرة والدنيا، وقد كان من دعاء بعض السلف: «اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك».

وعلى قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يلبسه الله من عزه ويقيم له العز في قلوب المؤمنين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨].

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رضي الله عنهما: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**»، (رواه أصحاب السنن وصححه الألباني).

فعلى قدر طاعة العبد لربه يكون عزه ورفعة مكانه، وبحسب متابعة الرسول ﷺ تكون العزة والكفاية والنصرة كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في

مخالفتـه، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعـزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيـا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة.

٢- الإيمان باليوم الآخر:

من أسـباب عزة المؤمن إيمانه باليوم الآخر، وان هذه الدنيا دار فناء لا دار بقاء، فلا يتحسـر على فواتها، ولا يستذل من أجلها و لا يحزن على فراق لذاتها لأنها متاع قليل كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

وإذا علـم المؤمن أن الله قد أعد للمتقين مفـازا، حدائق وأعنابا، وكواعب أترابا فإنه سيكون عزيزًا قويًا بإذن الله تعالى. قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، ويقـول تعَـالَىٰ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

إن رسـوخ هـذه الحقائق في القلـوب يورثها العز الـذي يتعالى على لذات الدنيا وشهواتها، ويترفع عن حطامها الفاني، ومتاعها الزائل.

٣- الإيمان بالملائكة:

إن إيمان العبد بالملائكة يجعله عزيزًا، لأنه يعلم حينها أنه ليس وحده على الطريق، فلا يسـتوحش من قلة السـالكين وكثرة الهالكين، ومعاداة المعاندين فـإن معه ملائكةً كرامًا بررة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. كيف يسـتوحش المؤمـن في الطريق وهـو يعلم أن البَيْـتُ المَعْمُورَ الذي في السـماء السابعة يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ [رواه البخاري ومسلم].

(آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ) أي دخولهم الأول ذلك هو آخر دخولهم لكثرتهم.

كيف يكون ذليلًا حقيرًا من يعلم قول رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**» [رواه مسلم]، فعلى ذلك فإن الذين يأتون بجهنم يوم القيامة أربعة آلاف وتسعمائة مليون ملَك!!

فهل يمكن لجيوش الدنيا أن تقف أمام هذا العدد الهائل من الملائكة؟! بل أمام ملك واحد منهم الذي بين النبي ﷺ صفته، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

(أُذِنَ لِي) بالبناء للمفعول والآذِن له هو الله، ولولا الإِذْن لم يجز له التحديث، وقوله ﷺ: (أُذِنَ لِي) يفيد أن علم الغيب مختص به لكنه يُطْلِع مِنه مَن شاء مِن أنبيائه على ما شاء. قَالَ تَعَالَى: ﴿**عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ**﴾ [الجن].

(**مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ**) أي من الذين يحملون عرش الرحمن الذي هو أعظم المخلوقات. (**مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ**) أي بالفرس الجواد، فما ظنك بطُولِه وعِظَم جثته؟ وشحمة الأذن ما لَانَ مِن أسفلِها، وهو مُعَلَّقُ القرْط، والعاتق ما بين المنكب والعُنُق.

٤- الإيمان بالرسل والانتماء إليهم:

من أسباب العزة أيضا شعوره بانتمائه إلى كوكبة الأنبياء، وزمرة الأصفياء، الذين هم خيرة الله في أرضه وأكرمهم على الله، اصطفاهم الله من بين العالمين، ونصرهم على العالمين، وجعل لهم العزة والتمكين، ورفع ذكرهم وأعلى شأنهم ورفع قدرهم، فالمؤمن حينما يستعرض موكب الرسالات، وموكب

الرسـل، منـذ فجـر البشـرية، ومنـذ أول نبـي الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلـى رسـالة النبـي الأمي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فماذا يرى؟

٥- الجهاد في سبيل الله:

إن مـن المعلوم ما للجهاد في سـبيل رفعة راية الدين مـن مكانة عالية ومنزلة رفيعة ومرتبة سـامية، ولذا قـال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**رَأْسُ الْأَمْرِ الإِسْـلامُ، وَعَمُـودُهُ الصَّلَاةُ، وذِرْوَةُ سَـنامِهِ الْجِهَـادُ**» [رواه الترمـذي، وصححـه الألباني]، فإذا تجرد الإنسـان من كل ملذات الدنيا وشهواتها، وألقى بنفسه في ساحات الوغى، وليس له هدف ولا أمل إلا في رفعة راية الدين خفاقة، فإن الله تعالى يكرمه برفعة مقامه وإعلاء شأنه.

إن سيف الجهاد والقتال هو آية العز، وبه مُصِّرَت الأمصار ومُدِّنَت المدن، وانتشر الدين الإسلامي، ونفذت تشريعاته، وبه حمي الإسلام من عبث العابثين في غابـر الزمـان، ويحميه من طمـع الطامعيـن في الحاضر وبه امتدت سـيطرة الإسلام إلى ما وراء جبال الأورال شمالًا وخط الاستواء جنوبًا، والصين شرقًا والمحيط الأطلنطي غربًا.

ملكْنَا هَـذِهِ الـدُّنْيـا الْقُـرونَـا ... وأخضعها جُـدودٌ خـالـدونَـا
وسطَّرنَا صَحائفَ مِن ضِياءٍ ... فما نَـسِيَ الـزمـانُ ولا نسينَا
بنَيْنَا حِقْبةً في الأرضِ مُلكًا ... يُـدَعِّـمُـه شـبـابٌ طامـحونَـا
شـبَـابٌ ذلّـلـوا سُـبُلَ المعالِي ... وما عرفُوا سِوَى الإسـلام دينَا
تـعـهَّـدهـمْ فـأَنْبَـتَـهُـمْ نَـبَـاتًـا ... كريمًا طابَ في الدنيا غُصُونَا
إذا شهدُوا الوغَى كانوا كُماةً ... يـدكّـون المعاقِلَ والحُصُونَا
شـبـابٌ لـم تُـحَـطِّـمْـهُ الليالِي ... ولمْ يُسْلِمْ إلَى الخَصْمِ العرينَا
وإنْ جَـنَّ الـمسَـاءُ فـلا تراهُمْ ... مِـن الإشْـفـاقِ إلا سَاجدينَا
كذلكَ أخـرجَ الإسْـلامُ قومِي ... شـبـابًـا مخلصًا حُـرًّا أمِـينَـا

وعلّمَهُ الكرامَةَ كيْف تُبنَى	فيأبَى أنْ يُقَيّدَ أو يَهُونَا
وما فَتِئَ الزمانُ يدورُ حتَّى	مضَى بالمجْدِ قَومٌ آخرونَا
وأصبحَ لا يُرَى في الرَّكْبِ قومِي	وقَدْ عاشُوا أئمّتَه سِنِينَا
وآلَمَنِي وآلَم كُلَّ حُرٍّ	سُؤالُ الدهرِ أينَ المسلمونَا؟
تُرَى هَلْ يرجِعُ الماضِي فإنِّي	أذوبُ لذلكَ الماضِي حَنِينَا
دَعُونِي مِن أمَانٍ كاذباتٍ	فلمْ أجِدِ المُنَى إلا ظُنُونَا
وهاتُوا لي مِن الإيمانِ نُورًا	وقَوُّوا بينَ جَنْبَيَّ اليَقِينَا
أمُدُّ يَدِي فأنتزِعُ الرواسِي	وأبْنِي المجْدَ مُؤْتلِفًا مَكِينَا

وإذا تقاعس المسلمون عن الجهاد وخانوا أمانة الله في نصرة دينه، ونقضوا بيعة الله التي بايعهم فيها على النفس والمال صار أمرهم إلى الأسوأ لتفضيلهم العيش الرخيص واللذة الحيوانية عيش الذل، على حياة العز.

وبسبب تفريط الأمة المحمدية، ورفض استجابتها لنداءات الله التي تحقق لها الحياة الطيبة وانعكاس أمرها باستجابتها لمخططات أعدائها المفسدة لعقولها وأجسامها انقلبت أوضاعها رأسًا على عقب؛ ولذا كتب الله على المسلمين الذلة والصغار إذا تركوا ذروة سنام الإسلام، فقال ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًا لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

وَبَيْعُ الْعِينَةِ هُوَ أَنْ يَبِيعَ شَيْئًا مِنْ غَيْرِهِ بِثَمَنٍ مُؤَجَّلٍ وَيُسَلِّمُهُ إِلَى الْمُشْتَرِي ثُمَّ يَشْتَرِيهِ قَبْلَ قَبْضِ الثَّمَنِ بِثَمَنٍ نَقْدٍ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ الْقَدْرِ.

مثال بيع العينة: باع عمرو علَى زيد سيارة بعشرين ألفًا إلى سنة، ثم إن عمرو اشتراها من زيد بثمانية عشر ألفًا، فهذا حرام لا يجوز؛ لأنه يتخذ حيلة إلى أن يبيع السيارة بيعًا صوريًا بعشرين ألفًا، ثم يعود فيشتريها بثمانية عشر ألفًا

نقدًا، فيكون قد أخذ منه ثمانية عشر ألفًا وسيوفيه عشرين ألفًا وهذا ربا، فهذا لا يجوز؛ لأنه حيلة واضحة.

(وَأَخَذْتُـمْ أَذْنَـابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ) حُمِلَ هَذَا عَلَى الِاشْتِغَالِ بِالزَّرْعِ فِي زَمَنٍ يَتَعَيَّنُ فِيهِ الْجِهَادُ (وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ) أَيِ الْمُتَعَيِّنَ فِعْلُهُ (سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا) أَيْ صَغَارًا وَمَسْكَنَةً، وَمِنْ أَنْـوَاعِ الذُّلِّ الْخَرَاجُ الَّذِي يُسَلِّمُونَهُ كُلَّ سَـنَةٍ لِمُلَّاكِ الْأَرْضِ.

وَسَـبَبُ هَذَا الذُّلِّ - وَاللهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُمْ لَمَّا تَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَـبِيلِ اللهِ الَّذِي فِيهِ عِزُّ الْإِسْلَامِ وَإِظْهَارُهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ عَامَلَهُمُ اللهُ بِنَقِيضِهِ - وَهُوَ إِنْزَالُ الذِّلَّةِ بِهِمْ - فَصَارُوا يَمْشُونَ خَلْفَ أَذْنَابِ الْبَقَرِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَرْكَبُونَ عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ الَّتِي هِيَ أَعَزُّ مَكَانٍ.

أمَّـةَ الإسلامِ يا شعبَ الجهادْ	مَنْ سواكُمْ حَلَّ أغلالَ الورَى
أيُّ داعٍ قبْلَكم في ذَا الوجُودْ	صاحَ لا كسرَى هنَا لا قيصَرَا
مَن سواكُمْ في قديمٍ أو حديثْ	أطْلَعَ القرآنَ صبحًا للرشادْ
هاتفًا في مسمعِ الكونِ العظيمْ	ليسَ غيرُ اللهِ ربًّا للعبادْ

٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد جعل الله تعالى من أسباب عزة الأمة وكرامتها القيام بهذه الشعيرة العظيمة والتي بسببها كرمت على سائر الأمم، وفضلت على العالمين، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال أبو عبد الرحمن العمري: «من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة المخلوقين نُزِعَتْ منه هيبةُ الله تعالى، فلو أمر بعض ولده أو بعض مواليه لاستَخَفَّ به».

٧- التواضع والعفو عن الناس مع المقدرة:

من أسباب العزة تواضع العبد وخفض جناحه للمؤمنين والعفو عن الناس وتجاوز عثراتهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**» [رواه مسلم].

(مَا نَقَصَتْ صَدَقَة مِنْ مَال) ذَكَرُوا فِيهِ وَجْهَيْنِ:

أَحَدهمَا: مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُبَارَك فِيهِ، وَيَدْفَع عَنْهُ الْمَضَرَّات، فَيَنْجَبِر نَقْص الصُّورَة بِالْبَرَكَةِ الْخَفِيَّة، وَهَذَا مُدْرَك بِالْحِسِّ وَالْعَادَة.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ وَإِنْ نَقَصَتْ صُورَته كَانَ فِي الثَّوَاب الْمُرَتَّب عَلَيْهِ جَبْر لِنَقْصِهِ، وَزِيَادَة إِلَى أَضْعَاف كَثِيرَة.

(وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا) فِيهِ أَيْضًا وَجْهَانِ:

أَحَدهمَا: أَنَّهُ عَلَى ظَاهِره، وَأَنَّ مَنْ عُرِفَ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْح سَادَ وَعَظُمَ فِي الْقُلُوب، وَزَادَ عِزّه وَإِكْرَامه.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَاد أَجْره فِي الْآخِرَة وَعِزّه هُنَاكَ.

(وَمَا تَوَاضَعَ أَحَد للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ)، فِيهِ أَيْضًا وَجْهَانِ:

أَحَدهمَا: يَرْفَعهُ فِي الدُّنْيَا، وَيُثْبِتُ لَهُ بِتَوَاضُعِهِ فِي الْقُلُوب مَنْزِلَة، وَيَرْفَعهُ اللهُ عِنْد النَّاس، وَيُجِلّ مَكَانه.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَاد ثَوَابه فِي الْآخِرَة، وَرَفْعه فِيهَا بِتَوَاضُعِهِ فِي الدُّنْيَا.

قَالَ الْعُلَمَاء: وَهَذِهِ الْأَوْجُه فِي الْأَلْفَاظ الثَّلَاثَة مَوْجُودَة فِي الْعَادَة مَعْرُوفَة، وَقَدْ يَكُون الْمُرَاد الْوَجْهَيْنِ مَعًا فِي جَمِيعهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة.

٨- العلم:

ومن أسباب العزة حمل العلم ونشره بين الناس قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، إن العلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة ما لا يرفعه المُلْك ولا المال ولا غيرهما، فالعلم يزيد الشريف شرفًا، ويرفع العبد المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك، فعَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: «مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي»، فَقَالَ: «ابْنَ أَبْزَى»، قَالَ: «وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟»، قَالَ: «مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا»، قَالَ: «فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟»، قَالَ: «إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ»، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**» [رواه مسلم].

وقال النضر بن شميل: «من أراد أن يشرف في الدنيا والآخرة فليتعلم العلم، وكفى بالمرء سعادة أن يوثق به في دين الله، ويكون بين الله وبين عباده».

وقال سفيان بن عيينة: «ارفع الناس منزلة عند الله من كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء».

وتأمل ما حصل لآدم من تميزه على الملائكة واعترافهم له بتعليم الله له الأسماء كلها ثم ما حصل له من تدارك المصيبة والتعويض عن سكنى الجنة بما هو خير له منها بعلم الكلمات التي تلقاها من ربه.

وما حصل ليوسف من التمكين في الأرض والعزة والعظمة بعلمه بتعبير تلك الرؤيا، ثم علمه بوجوه استخراج أخيه من إخوته بما يقرون به و يحكمون هم به حتى آل الأمر إلى ما آل إليه من العز والعاقبة الحميدة وكمال الحال التي توصل إليها بالعلم كما أشار إليه سبحانه في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٧٦]. جاء في تفسيرها: نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على إخوته بالعلم.

وقال في إبراهيم عليه السلام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، فهذه رفعة بعلم الحجة، والأول رفعة بعلم السياسة.

وكذلك ما حصل للخضر بسبب علمه من تلمذة كليم الرحمن له وتلطفه معه في السؤال حتى قال: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

٩- اليقين بأن المستقبل لهذا الدين:

إن دين الإسلام هو دين الحق الذي كتب الله عز وجل له البقاء وقدر سبحانه أن الله ناصر دينه، ومعل كلمته، مهما طال الزمان أو قصر، ومهما تكالب الأعداء للفتك به وبأهله فإن الدائرة على الكافرين قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة].

إذن المستقبل لهذا الدين، والعزة لأهل هذا الدين، والتمكين للمتمسكين بهذا الدين، العاضين عليه بالنواجذ، المهتدين بهديه، المستنين بسنته، المقتفين أثره، السائرين على منهاجه، قال جل جلاله في تحلية هذه الحقيقة الكبرى، والنعمة العظمى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور]، قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وإن دينًـا كتـب الله لـه الظهور، ولأهلـه النصر والتمكيـن في الأرض لا بد أن يسـتعلي ويهيمن وأن يصبـح أهله أهل القيادة والسـيادة، فيملؤون الأرض عـدلًا كما ملئت جورًا، وأن يحرروا الناس من عبوديـة المخلوقات إلى عبادة الله الواحـد الأحـد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولـم يكن له كفوًا أحد، الذي ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

إن اسـتقرار هذا المعنى في قلوب أهل الإيمـان في هذا الزمان يبعد خواطر التشـاؤم عـن القلوب، وضـرورة غلبتـه، وظهـوره وهيمنته على سـائر الأمم والشعوب، فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَـذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**».

وَكَانَ تَمِيـمٌ الـدَّارِيُّ، يَقُولُ: «قَـدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِـي أَهْلِ بَيْتِـي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْـلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّـرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَـنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ» [رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني].

مواقف وأحداث في طريق العزة:

كُنّـا جِبـالًا في الـجبالِ وربَّما ... سِرْنَا علَى موجِ البحارِ بحارَا

بمعابدِ الإفـرنـجِ كـان أذانُـنـا ... قبلَ الكتائبِ يفتحُ الأمصارَا

لم تَنْسَ إفريقْيَا ولا صحراؤُها ... سجَداتِنا والأرضُ تقذفُ نارَا

كنا نُـقَـدِّمُ للسيوفِ صُـدورَنـا ... لم نَخْشَ يَومًا غاشمًا جَبَّارَا

لقـد جرى في تاريخ الأمـة الطويل مواقف كلما تذكرها المسـلم عرف أنه ينتسـب إلى أمة أعزها الله ﷻ، ورفع من شـأنها، وأعلى من مكانها، فكيف يليق بمـن ينتسـب لهذه الأمة أن يضع رأسـه في التراب، وأن يترك زمـام المبادرة في قيادة العالم لغيره.

فإليك نماذج فذة ومواقف باهرة، وأحداث عظيمة:

١ - عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ**» قَالَ: «وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ» (رواه الترمذي، وصححه الألباني)، وقد كان لإسلام عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عظيم الأَثَر في نشر الدعوة وإعزاز الإسلام، فبعد أن كان المسلمون لا يجرؤون على الجهر بدينهم جهروا به، قال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَازِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ» [رواه البخاري].

وقد أخرج ابن عساكر وغيره عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «ما علمت أن أحدًا من المهاجرين هاجر إلا مختفيًا إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هَمّ بالهجرة تقلّد سيفه، وتنكّب قوسه، وأخرج أسهما من كنانته، وجعلها في يديه، واخْتَصَر عَنَزَته، ومضى قِبَل الكعبة والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعًا، ثم أتى المقام فصلّى ركعتين.

ثم وقف على الحِلَق واحدةً واحدةً فقال لهم: «شاهت الوجوه، لا يُرْغِمُ اللهُ إلا هذه المعاطس، مَن أراد أنْ تثْكَلَه أمه، أو يُؤتَّمَ ولَدُه، أو تُرَمَّل زوجتُه فلْيَلْقَنِي وراء هذا الوادي»، فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علّمهم ما أرشدهم إليه، ثم مضى لوجهه، وقد صحبه في هجرته بعض أهله وقومه، كما صحبه بعض المستضعفين ليحتموا به.

(العَنَزة): العصا، المِخْصَرَةُ مَا اخْتَصَرَ الإنسانُ بِيَدِهِ فأَمْسَكَهُ مِنْ عَصًا أَو عَنَزَةٍ أَو عُكَّازَةٍ وَمَا أَشْبَهَها. (واختصر عَنَزَته) أي حملها مضمومةً إلى خاصرته، أَوِ اعْتَمَدَ عَلَيْهَا فِي مَشْيِهِ. (شاهت): قبحت. (لا يُرْغِمُ اللهُ): لا يُلْصِق بالرغام وهو التراب. (إلا هذه المعاطس): أي الأنوف.

٢- موقف عمر بن الخطاب مع أبي عبيدة رضي الله عنهما:

عن طارق بن شـهاب قال: «خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشـام ومعنا أبـو عبيدة بـن الجراح، فأتوا على مخاضـة وعمر على ناقة، فنـزل عنها وخلع خُفَّيْه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته، فخاض بها المخاضة.

فقال أبو عبيدة: «يا أمير المؤمنين، أأنت تفعل هذا؟! تخلع خفيك وتضعهما علـى عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟! ما يسـرني أن أهل البلـد استشـرفوك!» فقال عمر: «أَوَّهْ، لـو يَقُلْ ذَا غيرُك أبا عبيـدة، جعلته نكالًا لأمـة محمد صلى الله عليه وسلم! إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسـلام، فمهما نطلب العز بغير مـا أعزنا الله بـه أذلنا الله» [رواه الحاكم وقال: «صحيح على شـرط الشـيخين»، ووافقه الذهبي، والألباني].

(استشـرفوك): رفعوا أبصارهـم ينظـرون إليـك. (أَوَّهْ) كَلِمَـة تُقَـال عِنْـد التَّوَجُّع.

(لو يَقُلْ ذَا غيرُك): لو يَقُلْ أحدٌ غيرُك هذا الكلام.

٣- موقف ربعي بن عامر رضي الله عنه مع رستم:

دخل ربعيُّ بنُ عامر رضي الله عنه على رستم، فقال رستم: «ما جاء بكم؟».

قال ربعيُّ بنُ عامر رضي الله عنه: «الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العِبـاد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سـعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسـلام، فأرسـلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منـه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبدا؛ حتى نفضي إلى موعود الله».

قال: «وما موعود الله؟».

قال: «الجنة لمن مات على قتالِ مَن أبى، والظفَر لمن بقي».

٤- موقف عبدالله بن حذافة السهمي:

وَجَّهَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَيْشًا إِلَى الرُّوْمِ، فَأَسَرُوا عَبْدَ اللهِ بنَ حُذَافَةَ، فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِم، فَقَالُوا: «إِنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ».

فَقَالَ: «هَلْ لَكَ أَنْ تَتَنَصَّرَ، وَأُعْطِيَكَ نِصْفَ مُلْكِي؟»، قَالَ: «لَوْ أَعْطَيْتَنِي جَمِيْعَ مَا تَمْلِكُ، وَجَمِيْعَ مُلْكِ العَرَبِ مَا رَجَعْتُ عَنْ دِيْنِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم طَرْفَةَ عَيْنٍ».

قَالَ: «إِذاً أَقْتُلُكَ»، قَالَ: «أَنْتَ وَذَاكَ».

فَأَمَرَ بِهِ، فَصُلِبَ، وَقَالَ لِلرُّمَاةِ: «ارْمُوْهُ قَرِيْبًا مِنْ بَدَنِهِ»، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ، وَيَأْبَى، فَأَنْزَلَهُ، وَدَعَا بِقِدْرٍ، فَصَبَّ فِيْهَا مَاءً حَتَّى احْتَرَقَتْ، وَدَعَا بِأَسِيْرَيْنِ مِنَ المُسْلِمِيْنَ، فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمَا، فَأُلْقِيَ فِيْهَا، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ، وَهُوَ يَأْبَى، ثُمَّ بَكَى. فَقِيْلَ لِلْمَلِكِ: إِنَّهُ بَكَى، فَظَنَّ أَنَّه قَدْ جَزِعَ، فَقَالَ: «رُدُّوْهُ، مَا أَبْكَاكَ؟».

قَالَ: «قُلْتُ: هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تُلْقَى السَّاعَةَ فَتَذْهَبُ، فَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُوْنَ بِعَدَدِ شَعْرِي أَنْفُسٌ تُلْقَى فِي النَّارِ فِي اللهِ».

فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ: «هَلْ لَكَ أَنْ تُقَبِّلَ رَأْسِي، وَأُخَلِّيَ عَنْكَ؟».

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: «وَعَنْ جَمِيْعِ الأُسَارَى؟»، قَالَ: «نَعَمْ».

فَقَبَّلَ رَأْسَهُ، وَقَدِمَ بِالأُسَارَى عَلَى عُمَرَ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُ.

فَقَالَ عُمَرُ: «حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقَبِّلَ رَأْسَ ابْنِ حُذَافَةَ، وَأَنَا أَبْدَأُ».

فَقَبَّلَ رَأْسَهُ.

٥- موقف الشيخ عبد الحميد الجزائري والمندوب السامي:

استدعى المندوب السامي الفرنسي في سورية الشيخ عبد الحميد الجزائري، وقال له: «إما أن تُقْلِع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار، وإلا أرسلت جنودًا لإغلاق المسجد الذي تنفث فيه هذه السموم ضدنا، وإخماد أصواتك المنكرة».

فأجاب الشيخ عبد الحميد: «أيها الحاكم، إنك لا تستطيع ذلك؟!».

واستشاط الحاكم غضبا، وقال: «كيف لا أستطيع؟».

قـال الشـيخ: «إذا كنـتُ في عُـرْسٍ علَّمْـتُ المحتفلين، وإذا كنـت في مأتم وعظت المُعَزِّين، وإن جلستُ في قطار علّمْتُ المسافرين، وإن دخلْتُ السجن أرشـدتُ المسجونين، وإن قتلتموني ألهبت مشـاعر المواطنين، وخير لك أيها الحاكم ألا تتعرض للأمة في دينها ولغتها».

٦- موقف الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي مع خورشيد:

جيء بالشـيخ المجاهد سـعيد النورسي ليمثل أمام خورشـيد باشا، فسأله خورشيد وهو ينظر إلى الأجساد التي تتأرجح في الهواء: «وهل أنت أيضًا تدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية يا شيخ سعيد؟».

فأجابه - وهو ينظر إلى أجساد إخوانه الذين تمَّ إعدامهم: «اعلم يا خورشيد أنـه لـو كان لي ألـفُ رُوح، لَمَا تـردَدْتُ أن أجعلهـا كلها فـداءً لحقيقة واحدة من حقائق الإسـلام، واسـمع مني جيدًا يا خورشـيد، إنني لا أخشـى حكمكم بإعدامي، فقد هيأتُ نفسـي بشوق عظيم للذهاب إلى الآخرة، لألحق بإخواني الذين سبقوني إلى أعواد المشانق لينالوا الشهادة في سبيل الله».

واكتفـى الطغاة بسـجنه، ومضى رَحِمَهُ اللَّهُ في قيادة مسـيرة الحركة الإسـلامية الممتحنـة في تلـك الأيـام العصيبة. وكانـت المحاكم قد قضت ضـده أحكامًا بالإعـدام عدة مرات لكنهم كانوا يعدلون عـن تنفيذ هذا الحكم خوفًا من ثورة أتباعه وأنصاره.

٧- موقف الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي مع خال قيصر روسيا والقائد العام للجبهة الروسية، نيكولا نيكولافيج:

في سـنة ١٩١٦ تمكنت القوات الروسية من الدخول إلى مدينة (أرضروم)

التركية، وقد تصدى النورسي وتلاميذه المتطوعون للقوات الروسية، وخاضوا عدة معارك ضدها، ثم جرح النورسي جرحًا بليغًا، ونزف نزفًا شديدًا كاد يودي بحياته، الأمر الذي اضطر أحد تلاميذه إلى إعلام القوات الروسية بذلك، فاقتادوه أسيرًا، وبقي في الأسر في (قوصطرما) سنتين وأربعة أشهر، ثم تمكن من الهرب من معسكرات الاعتقال، إثر الثورة البلشفية في روسيا.

وذات يوم قُدِّمَ هناك إلى المحكمة الحربية بتهمة إهانة القيصر الروسي.

أما قصة ذلك فهي كما يأتي:

كان خال القيصر والقائد العام للجبهة الروسية، نيكولا نيكولافيج، يزور معسكر الأسرى فقام جميع الأسرى لأداء التحية ماعدا (سعيد النورسي)، لاحظ القائد العام ذلك، فرجع ومرّ ثانية أمامه، فلم يقم له كذلك، وفي المرة الثالثة وقف أمامه وجرت المحاورة الظريفة الآتية بينهما بواسطة مترجم القائد:

القائد: الظاهر أنك لم تعرفني؟

النورسيّ: بلى، لقد عرفتك، إنك نيكولا نيكولافيج، خال القيصر، والقائد العام في جبهة القفقاس.

القائد: إذن فلِمَ تستهين بي؟

النورسيّ: كلا، إنني لم أستهن بأحد، وإنما فعلت ما تأمرني به عقيدتي.

القائد: وماذا تأمرك عقيدتك؟

النورسيّ: إنني عالم مسلم، أحمل في قلبي إيمانًا، والذي يحمل في قلبه إيمانًا هو أفضل من الذي لا إيمان له، ولو أنني قمت لك لكنت إذن قليل الاحترام لعقيدتي ومقدساتي، لذلك فإنني لم أقم لك.

القائد: إذن فإنك بإطلاقك عليّ صفة عدم الإيمان، تكون قد أهنتني

وأهنت جيشـي وأمتي والقيصر كذلك، يجب تشـكيل محكمة عسكرية للنظر في هذا الأمر.

تشـكلت المحكمـة العسـكرية، وقُدِّمَ إليها سـعيد النورسـي بتهمـة إهانة القيصر والأمة الروسية والجيش الروسي.

ويسود حزن في معسكر الأسرى ويلتف حوله الضباط الأسرى من الأتراك والألمـان والنمسـاويين ملحّين عليه القيـام بالاعتذار للقائد الروسـي وطلب العفـو منـه، إلا أنه رفض ذلك بإصرار، قائلاً لهـم: «إنني أرغب في الرحيل إلى الآخرة، والمثول بين يدي رسـول الله ﷺ، لذلك فإنني بحاجة فقط إلى جواز سفر للآخرة، وأنا لا أستطيع أن أعمل بما يخالف إيماني».

وتصدر المحكمة قرارها بالإعـدام، وفي يوم التنفيذ تحضر ثلة من الجنود على رأسها ضابط روسي لأخذه إلى ساحة الإعدام، ويقوم سعيد النورسي من مكانه بابتهاج قائلاً للضابط الروسي: «أرجو أن تسمح لي قليلاً لأؤدي واجبي الأخير».

ثم يقوم ويتوضأ ويصلي ركعتين.

وهنا يأتي القائد العام ليقول له بعد فراغه من الصلاة: «أرجو منك المعذرة، كنت أظنك قـد قمت بعملك قاصدًا إهانتي، ولكنني واثق الآن أنك كنت تنفذ مـا تأمرك به عقيدتـك وإيمانك، لذا فقد أبطلتُ قـرار المحكمة، وإنني أهنئك على صلابتك في عقيدتك، وأرجو المعذرة منك مرة أخرى».



١١٦- الأخفياء[١]

حقيقة الأخفياء:

عن سَـعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَـمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ**» [رواه مسلم].

الْمُـرَادُ بِالْغَنِيِّ غَنِـيُّ النَّفْسِ، هَذَا هُـوَ الْغَنِيُّ الْمَحْبُـوبُ لِقَوْلِهِ ﷺ: «**لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ**» [رواه البخاري ومسلم].

و(الْعَـرَضِ) هو متاع الدنيا، ومعنى الحديث الغنـى المحمود غِنَى النفس وشبعها وقلة حرصها لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة؛ لأن مَن كان طالبًا للزيادة لم يستَغْنِ بما معه فليس له غنى. (الْخَفِيُّ) الْخَامِلُ الْمُنْقَطِعُ إِلَى الْعِبَادَةِ وَالِاشْتِغَالِ بِأُمُورِ نَفْسِهِ.

(الأخفياء) ربما أنهم الذين عرفوا ربهم، وعرفهم، فأحبوه وأحبهم وحرصوا أن يكون بينهم وبين الله أسـرار وأسـرار، والله يعلم إسـرارهم فكان خيرًا لهم، وربمـا أنهم الأنقيـاء الأتقياء، فما اجتهدوا في إخفـاء أعمالهم؛ إلا لخوفهم من ربهم وخوفهم من فسـاد أعمالهم بالعجب والغرور، وهجمات الرياء، وطلب الثناء والمحمدة من الناس.

وربمـا أنهم هـم الجنود المجهولـون، الناصحون العاملـون، الذين قامت على سـواعدهم هذه الصحوة المباركة، فكم من ناصح ومن مربٍّ وداع للحق لا يعرف، وكلمة ورسـالة وشـريط طار في كل مطار، فسـارت به الركبان، كان خلفه أخفياء وأخفياء، فهنيئا لهم!

---

(١) هذه الخطبة والتي بعدها بتصرف من محاضرة (الأخفياء) للشيخ إبراهيم الدويش.

وربما أنهم أيضًا هم الساجدون الراكعون في الخلوات، فكم من دعوةٍ في ظلمة الليل شقّتْ عنان السماء، وكم من دمعة بللت الأرض، وبهذه الدمعات وهذه السجدات حُفِظْنا وحُفِظ أمننا، ورزقنا وسقانا ربنا.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إلا بِضُعَفَائِكُمْ**» [رواه البخاري]، وقال ﷺ: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلاتِهِمْ وَإِخْلاصِهِمْ**» [رواه النسائي، وصححه الألباني]. وفي رواية: «**هَلْ تُنْصَرُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ، بِدَعْوَتِهِمْ وَإِخْلاَصِهِمْ**» [رواه أبو نعيم في الحلية، وصححه الألباني].

وربما أن الأخفياء هم الذين يسعون في ظلمة الليل، ليتحسسوا أحوال الضعفاء والمساكين والأرامل والأيتام؛ لإطعام الطعام وبذل المال؛ ليفكوا بها كربة مكروب، وليفرجوا بها هم أرملة ضعيفة شريدة الحال كثيرة العيال.

وربما أن الأخفياء هم أولئك الذين لا يعرفهم الناس، أو الذين لا يعرف أعمالهم الناس ولكن الله يعرفهم، وكفى بالله شهيدًا. فهنيئًا لهم.

وربما يكون الأخفياء أولئك جميعًا، وأن تكون هذه الصفات كلها صفات لأولئك الأخفياء؟!

الخفاء في الكتاب والسنة:

الخفاء منهج شرعي، ففي الصدقة قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٧١] هذه الآية ظاهرة في تفضيل صدقة السر وإخفائها.

﴿**إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ**﴾ فتظهروها وتكون علانية حيث كان القصد بها وجه الله ﴿**فَنِعِمَّا هِىَ**﴾ أي: فنعم الشيء ﴿**هِىَ**﴾ لحصول المقصود بها ﴿**وَإِن تُخْفُوهَا**﴾ أي: تسروها ﴿**وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ ففي هذا أن صدقة

السر على الفقير أفضل من صدقة العلانية، وأما إذا لم تؤت الصدقات الفقراء فمفهوم الآية أن السر ليس خيرًا من العلانية، فيرجع في ذلك إلى المصلحة، فإن كان في إظهارها إظهار شعائر الدين وحصول الاقتداء ونحوه، فهو أفضل من الإسرار، ودل قوله: ﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ على أنه ينبغي للمتصدق أن يتحرى بصدقته المحتاجين، ولا يعطي محتاجًا وغيره أحوج منه، ولما ذكر تعالى أن الصدقة خير للمتصدق ويتضمن ذلك حصول الثواب، قال: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ ففيه دفع العقاب ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ من خير وشر، قليل وكثير، والمقصود من ذلك المجازاة.

ويقول تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥]. الدعاء يدخل فيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة، فأمر بدعائه ﴿تَضَرُّعًا﴾ أي: إلحاحا في المسألة، ودُءُوبا في العبادة، ﴿وَخُفْيَةً﴾ أي: لا جهرا وعلانية، يخاف منه الرياء، بل خفية وإخلاصًا لله ﷻ.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ أي: المتجاوزين للحد في كل الأمور، ومن الاعتداء كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له، أو يتنطع في السؤال، أو يبالغ في رَفْعِ صوته بالدعاء، فكل هذا داخل في الاعتداء المنهي عنه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**» [رواه البخاري ومسلم].

(وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ) انظر

لدقة الخفاء في هذه الصدقة، وفي الحديث نفسه صورة أخرى يذكرها ﷺ: (وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**قَالَ رَجُلٌ: «لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ»، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: «تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ»، قَالَ: «اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ»، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: «تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ»، قَالَ: «اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى غَنِيٍّ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ»، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: «تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ»، فَقَالَ: «اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ»، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: «أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ**» [رواه البخاري ومسلم].

ووجه الدلالة من هذا الحديث على أن الخفاء منهج شرعي أن الرجل تصدق ليلًا على سارق وعلى زانية وعلى غني وهو لا يعلم بحالهم، فالصدقة المذكورة وقعت بالليل، لقوله ﷺ في الحديث: (فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ)، وقوله ﷺ على لسان الرجل: (لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ» فدل ذلك على أن صدقته كانت سرًا في الليل، إذ لو كانت هذه الصدقة بالجهر نهارًا لما خَفِيَ عنه حال الغَنِيّ، بخلاف حال الزانية والسارق، فالغَنِيّ ظاهرٌ حاله، فلذلك كانت الصدقة سرًا في الليل.

وأيضًا حديث صلاة النافلة في البيوت، فقد قال ﷺ: «**صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِى بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلاَةِ الْمَرْءِ فِى بَيْتِهِ إِلاَّ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ**» [رواه النسائي، وصححه الألباني].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَضْلُ صَلاةِ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ عَلَى صَلاتِهِ حَيْثُ يَرَاهُ**

النَّاسُ، كَفَضْلِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَى النَّافِلَةِ» [رواه الطبراني، وحسنه الألباني].

انظر الشاهد: (حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ)، إذًا فالاختفاء عن أعين الناس في صلاة النافلة لا شك أنه أفضل.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ»** [رواه البخاري ومسلم].

قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ مَنْ رَاءَى بِعَمَلِهِ وَسَمَّعَهُ النَّاسَ لِيُكْرِمُوهُ وَيُعَظِّمُوهُ وَيَعْتَقِدُوا خَيْرَهُ سَمَّعَ اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ النَّاسَ وَفَضَحَهُ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: أَرَاهُ اللهُ ثَوَابَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهُ لِيَكُونَ حَسْرَةً عَلَيْهِ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ النَّاسَ أَسْمَعَهُ اللهُ النَّاسَ وَكَانَ ذَلِكَ حَظَّهُ مِنْهُ.

وقال ﷺ: **«مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمَّعَ اللهُ بِهِ أَسَامِعَ خَلْقِهِ، وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ»** [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، والبيهقي، وصححه الألباني].

(مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ) أَيْ: رَاءَاهُمْ بِعَمَلِهِ، أَيِ: الْمَطْلُوبِ مِنْهُ أَنْ يُخْفِيَهِ عَنْ نَظَرِ الْخَلْقِ فَأَظْهَرَهُ لَهُمْ، فَكَأَنَّهُ نَادَاهُمْ، (سَمَّعَ اللهُ) أَيْ: أَسْمَعَ (بِهِ) أَيْ: بِعَمَلِهِ الرِّيَائِيِّ وَالسَّمْعِيِّ (أَسَامِعَ خَلْقِهِ) أَيْ: آذَانَهُمْ وَمَحَالَّ سَمَاعِهِمْ، وَالْمَعْنَى جَعَلَهُ مَسْمُوعًا لَهُمْ وَمَشْهُورًا فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي الْعُقْبَى، أَوْ أَظْهَرَ لَهُمْ سَرِيرَتَهُ، وَمَلأَ أَسْمَاعَهُمْ مِمَّا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ خُبْثِ سَرَائِرِهِ جَزَاءً لِفِعْلِهِ.

(أَسَامِعَ خَلْقِهِ) هِيَ جَمْعُ أَسْمُعٍ، (أَسْمُع) جمع سَمْع، يُقَالُ: سَمْعٌ وَأَسْمُعٌ وَأَسَامِعُ جَمْعُ الْجَمْعِ، يُرِيدُ: أَنَّ اللهَ يُسْمِعُ أَسْمَاعَ خَلْقِهِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَحَاصِلُهُ أَنَّ أَسَامِعَ بِالنَّصْبِ مَفْعُولُ سَمَّعَ، أَيْ: بَلَّغَ اللهُ مَسَامِعَ خَلْقِهِ أَنَّهُ مُرَاءٍ مُزَوِّرٌ، وَأَشْهَرَهُ بِذَلِكَ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ، فَأَسَامِعُ جَمْعُ أَسْمُعٍ، وَهُوَ جَمْعُ سَمْعٍ بِمَعْنَى الْأُذُنِ.

وَرُوِيَ: (سَامِعُ خَلْقِهِ) مَرْفُوعًا عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَالْمَعْنَى: سَمَّعَ اللهُ

الَّذِي هُوَ سَامِعُ خَلْقِهِ، يَعْنِي فَضَحَهُ اللهُ. وَلَوْ رُوِيَ بِالنَّصْبِ (سَامِعَ خَلْقِهِ) لَكَانَ الْمَعْنَى: سَمَّعَ اللهُ بِهِ مَنْ كَانَ لَهُ سَمْعٌ مِنْ خَلْقِهِ.

وقد نَبَّهَ الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ في تحقيقه للمسند (٦/ ٦٨) أنَّ كلمة (سامع) كُتِبَتْ في تفسير ابن كثير والترغيب (مسامع)، وأن ذلك خطأ من الناسخ أو الطابع.

(وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ) أَيْ: جَعَلَهُ حَقِيرًا ذَلِيلًا مِنَ الصَّغَارِ، وَهُوَ الذُّلُّ وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَجْعَلَهُ كَالذَّرِّ صَغِيرًا، كَمَا وَرَدَ فِي جَنَّةِ الْمُتَكَبِّرِينَ.

الخفاء عند السلف:

قال عبد الله بن داود الخريبي رَحِمَهُ اللهُ: «كانوا يستحبون - أي: السلف الصالح - أن يكون للرجل خَبِيئَة من عمل صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها».

وقال الزبير بن العوام: «من استطاع منكم أن يكون له خِبْءٌ مِن عَمَلٍ صالحٍ فلْيفْعَلْ».

هل نُخفِي أعمالنا دائما فلا نظهر منها شيئًا أبدًا؟!

الإجابة على هذا السؤال يتفضل بها شيخ الإسلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه مدارج السالكين (٢/ ٨٣-٨٤) عندما قال:

«الْمُشَاهَدَة فِي الْعَمَلِ لِغَيْرِ اللهِ نَوْعَانِ:

مُشَاهَدَةٌ تَبْعَثُ عَلَيْهِ، أَوْ تُقَوِّي بَاعِثَهُ، فَهَذِهِ مُرَاءَاةٌ خَالِصَةٌ أَوْ مَشُوبَةٌ، كَمَا أَنَّ الْمُشَاهَدَةَ الْقَاطِعَةَ عَنْهُ أَيْضًا مِنَ الْآفَاتِ وَالْحُجُبِ.

وَمُشَاهَدَةٌ لَا تَبْعَثُ عَلَيْهِ وَلَا تُعِينُ الْبَاعِثَ، بَلْ لَا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَ وُجُودِهَا وَعَدَمِهَا، فَهَذِهِ لَا تُدْخِلُهُ فِي التَّزَيُّنِ بِالْمُرَاءَاةِ، وَلَا سِيَّمَا عِنْدَ الْمَصْلَحَةِ الرَّاجِحَةِ فِي هَذِهِ الْمُشَاهَدَةِ: إِمَّا حِفْظًا وَرِعَايَةً، كَمُشَاهَدَةِ مَرِيضٍ، أَوْ مُشْرِفٍ عَلَى هَلَكَةٍ يَخَافُ وُقُوعَهُ فِيهَا.

أَوْ مُشَاهَدَةِ عَدُوٍّ يَخَافُ هُجُومَهُ كَصَلَاةِ الْخَوْفِ عِنْدَ الْمُوَاجَهَةِ.

أَوْ مُشَاهَدَةُ نَاظِرٍ إِلَيْكَ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْكَ، فَتَكُونُ مُحْسِنًا إِلَيْهِ بِالتَّعْلِيمِ، وَإِلَى نَفْسِكَ بِالْإِخْلَاصِ، أَوْ قَصْدًا مِنْكَ لِلِاقْتِدَاءِ، وَتَعْرِيفِ الْجَاهِلِ.

فَهَذَا رِيَاءٌ مَحْمُودٌ، وَاللهُ عِنْدَ نِيَّةِ الْقَلْبِ وَقَصْدِهِ.

فَالرِّيَاءُ الْمَذْمُومُ أَنْ يَكُونَ الْبَاعِثُ قَصْدَ التَّعْظِيمِ وَالْمَدْحِ، وَالرَّغْبَةَ فِيمَا عِنْدَ مَنْ تُرَائِيهِ، أَوِ الرَّهْبَةَ مِنْهُ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْنَاهُ - مِنْ قَصْدِ رِعَايَتِهِ، أَوْ تَعْلِيمِهِ، أَوْ إِظْهَارِ السُّنَّةِ، وَمُلَاحَظَةِ هُجُومِ الْعَدُوِّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ - فَلَيْسَ فِي هَذِهِ الْمَشَاهِدِ رِيَاءٌ، بَلْ قَدْ يَتَصَدَّقُ الْعَبْدُ رِيَاءً مَثَلًا، وَتَكُونُ صَدَقَتُهُ فَوْقَ صَدَقَةِ صَاحِبِ السِّرِّ.

مِثَالُ ذَلِكَ: رَجُلٌ مَضْرُورٌ، سَأَلَ قَوْمًا مَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، فَعَلِمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنَّهُ إِنْ أَعْطَاهُ سِرًّا، حَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ لَمْ يَقْتَدِ بِهِ أَحَدٌ، وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ سِوَى تِلْكَ الْعَطِيَّةِ، وَأَنَّهُ إِنْ أَعْطَاهُ جَهْرًا اقْتُدِيَ بِهِ وَاتُّبِعَ، وَأَنِفَ الْحَاضِرُونَ مِنْ تَفَرُّدِهِ عَنْهُمْ بِالْعَطِيَّةِ. فَجَهَرَ لَهُ بِالْعَطَاءِ، وَكَانَ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَى الْجَهْرِ إِرَادَةَ سَعَةِ الْعَطَاءِ عَلَيْهِ مِنَ الْحَاضِرِينَ. فَهَذِهِ مُرَاءَاةٌ مَحْمُودَةٌ؛ حَيْثُ لَمْ يَكُنِ الْبَاعِثُ عَلَيْهَا قَصْدَ التَّعْظِيمِ وَالثَّنَاءِ. وَصَاحِبُهَا جَدِيرٌ بِأَنْ يَحْصُلَ لَهُ مِثْلُ أُجُورِ أُولَئِكَ الْمُعْطِينَ».

أخفياء، ولكن!

يكثر في هذا الزمن الأخفياء، ولكنهم أخفياء من نوع آخر، أخفياء يختفون عن أعين الناس، و يحرصون كل الحرص ألا يطلع أحد من الناس على أعمالهم، هؤلاء الأخفياء قد أخبرنا عنهم النبي ﷺ، فعَنْ ثَوْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**»، قَالَ ثَوْبَانُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ»، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ**

جِلْدَتِكُـمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا». [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

(جَلِّهِمْ لَنَا) بِالْجِيمِ مِنَ التَّجْلِيَةِ، أَيِ: اكْشِفْ مَا لَهُمْ لَنَا (مِنْ جِلْدَتِكُمْ) أَيْ: مِنْ جِنْسِكُمْ (وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ) أَيْ: يَأْخُذُونَ مِنْ عِبَادَةِ اللَّيْلِ نَصِيبًا.

عقبات في طريق الأخفياء:

العقبة الأولى: الرياء الخفي:

والرِّيَـاءِ الْخَفِـيِّ لَا يُنْتَبَـهُ لَهُ إِلَّا بِنَظَـرٍ دَقِيقٍ وَتَأَمُّـلٍ حَقِيقِـيٍّ إِذْ لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا الْخَاصَّةُ، فَقَد يَكُونَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ أَيْ صَوْتِ حَرَكَةِ مَشْـيِهَا عَلَى حَجَرٍ وَنَحْوِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْـهُلُ حِسُّهُ لِكَمَالِ لُطْفِهِ فَإِذَا كَانَ خَفِيًّا لَا يُدْرِكُ بِالْحِسِّ فَيَكُونُ إِدْرَاكُهُ بِالِاسْتِدْلَالِ فَتَحْتَاجُ فِي مَعْرِفَتِهِ إِلَى عَلَامَاتٍ وَأَمَارَاتٍ لِتَسْتَدِلَّ بِهَا مِنْهَا:

أولًا: أَنَّ يُسْـرَ الْعَابِـدِ بِاطِّـلَاعِ النَّاسِ عَلَى طَاعَتِـهِ وَمَدْحِهِمْ لَـهُ، فَرُبَّ عَبْدٍ يُخْلِصُ فِي عَمَلِهِ وَلَا يَعْتَقِدُ الرِّيَاءَ بَلْ يَكْرَهُهُ وَيَرُدُّهُ وَيُتِمُّ الْعَمَلَ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ إِذَا اطَّلَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ سَـرَّهُ ذَلِكَ، وَهَذَا السُّـرُورُ يَدُلُّ عَلَى رِيَاءٍ خَفِيٍّ مِنْهُ، إِذْ لَوْلَا الْتِفَـاتُ الْقَلْـبِ إِلَى النَّاسِ لَمَا ظَهَرَ سُـرُورُهُ عِنْدَ اطِّلَاعِ النَّـاسِ فَلَقَدْ كَانَ الرِّيَاءُ مُسْـتَكِنًّا فِي الْقَلْبِ اسْـتِكْنَانَ النَّارِ فِي الْحَجَرِ، ويَكُوْنُ هَذَا السُّـرُورُ رِيَاءٌ إِنْ كَانَ اخْتِيَارِيًّا، وَالْغَالِبُ فِي مِثْلِهِ الِاضْطِرَارِيُّ، نَعَمْ إِنْ خَطَرَ السُّرُورُ ابْتِدَاءً بِلَا اخْتِيَارٍ وَلَمْ يَدْفَعْهُ بَلْ اسْتَمَرَّ بِاخْتِيَارِهِ يَكُونُ رِيَاءً.

لَكِنْ لَا يَدُلُّ هَذَا السُّرُورُ عَلَى الرِّيَاءِ:

١- إِذَا كَانَ سَبَبُ سُرُورِه اقْتِدَاءَ غَيْرِهِ بِهِ فِي تِلْكَ الطَّاعَةِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَتَضَاعَفُ الْأَجْـرُ لِكَوْنِهِ عِبَـادَةً مُتَعَدِّيَةً فَلَهُ أَجْرُ عَمَلِهِ وَأَجْرُ عَمَلِ مَـنْ اقْتَدَى بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ.

٢- وكَذَلِكَ إِذَا كَانَ سَبَبُ سُرُورِه إِطَاعَتُهُمْ لِلَّهِ ﷻ فِي مَدْحِهِمْ لَهُ وَمَحَبَّتِهِمْ

لِلْمُطِيعِ؛ إِذْ مَدْحُ الْمُطِيعِ وَمَحَبَّتُهُ طَاعَةٌ فَسَبَبُ مَسَرَّتِهِ حِينَئِذٍ كَوْنُهُمْ فِي طَاعَتِهِ تَعَالَى بِمَدْحِهِمْ.

٣- وكَذَلِكَ إِذَا كَانَ سَبَبُ سُرُورِه أَنْ يُسْتَدَلَّ بِاطِّلَاعِ النَّاسِ وَمَدْحِهِمْ لَهُ عَلَى حُسْنِ صُنْعِ اللهِ تَعَالَى وَحُسْنِ نَظَرِهِ لَهُ حَيْثُ سَتَرَ عَنْهُ الْقَبِيحَ إذ الْإِنْسَانُ لَا يَخْلُو عَنْ قَبِيحٍ مَا، وَأَظْهَرَ الْجَمِيلَ مِنْهَا وَلَا لُطْفَ أَعْظَمَ مِنْ إِظْهَارِ الْجَمِيلِ وَسَتْرِ الْقَبِيحِ، فَيَكُونُ فَرَحُهُ بِجَمِيلِ نَظَرِ اللهِ تَعَالَى لَهُ لَا بِحَمْدِ النَّاسِ وَقِيَامِ الْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ إِكْرَامِهِ وَإِحْسَانِهِ بِالْعِنَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ لَا بِشَيْءٍ آخَرَ مِنْ زَخَارِفِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾؛ لِأَنَّ الْفَرَحَ بِذَلِكَ طَاعَةٌ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى بَعْدَهُ ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أَيْ مِنْ جَمِيعِ مَا فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ الْأَغْرَاضِ الْفَاسِدَةِ وَفِي أَيْدِيهِمْ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا.

فكَانَ سَبَبُ سُرُورِه، أَنَّهُ ظَهَرَ لَهُ أَنَّهُ عِنْدَ اللهِ مَقْبُولٌ فَفَرِحَ بِهِ.

٤- وكَذَلِكَ إِذَا كَانَ سَبَبُ سُرُورِه أَنْ يَسْتَدِلَّ بِإِظْهَارِ اللهِ تَعَالَى الْجَمِيلَ وَسَتْرِ الْقَبِيحِ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَوْصَافِهِ وَأَعْمَالِهِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى كَذَلِكَ يَفْعَلُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ كَمَا قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: «أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟»، فَيَقُولُ: «نَعَمْ أَيْ رَبِّ»، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: «سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ»، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] [رواه البخاري].

ورواه مسلم بلفظ: «**يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: «هَلْ تَعْرِفُ؟»، فَيَقُولُ: «أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ»، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ**».

فَإِنَّ السُّرُورَ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ: مُلَاحَظَةُ اقْتِدَاءِ الْغَيْرِ وَمُلَاحَظَةُ طَاعَتِهِمْ فِي مَدْحِهِمْ وَالِاسْتِدْلَالِ بِإِظْهَارِ الْجَمِيلِ وَسَتْرِ الْقَبِيحِ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَنْ يُفْعَلَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ وَالِاسْتِدْلَالُ بِالْمَدْحِ مِنْ النَّاسِ عَلَى حُسْنِ صُنْعِ اللهِ لَهُ حَيْثُ سَتَرَ الْقَبِيحَ وَأَظْهَرَ الْجَمِيلَ - حَقٌّ ثَابِتٌ فِي الشَّرْعِ لَا يَدُلُّ عَلَى الرِّيَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا نَظَرُ الدُّنْيَا.

وَلَكِنْ كَثِيرًا مَا يَدْخُلُهُ تَلْبِيسُ إِبْلِيسَ فَلْيَكُن السَّالِكُ عَلَى بَصِيرَةٍ وَتَيَقُّظٍ تَامٍّ لِئَلَّا يَقَعَ فِي حِيَلِ إِبْلِيسَ.

ثانيًا: من عَلَامَاتِ الرِّيَاءِ الْخَفِيِّ:

أَنْ يُحِبَّ أَنْ يُوَقِّرَهُ النَّاسُ وَيُعَظِّمُونَهُ وَيُثْنُوا عَلَيْهِ وَأَنْ يَنْشَطُوا فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ، وَأَنْ يُسَامِحُوهُ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ بِأَنْ يُبَاعَ لَهُ بِثَمَنٍ رَخِيصٍ وَيُشْتَرَى مِنْهُ بِثَمَنٍ غَالٍ، وَأَنْ يُوَسِّعُوا لَهُ فِي الْمَكَانِ عِنْدَ قُدُومِهِ؛ فَإِنْ قَصَّرَ فِيهِ مُقَصِّرٌ ثَقُلَ عَلَى قَلْبِهِ، وَوَجَدَ لِذَلِكَ اسْتِبْعَادًا لِمَا يَرَى مِنْ نَفْسِهِ عَظَمَةً وَفَضِيلَةً كَأَنَّ نَفْسَهُ تَتَقَاضَى أَيْ تَقْبِضُ شَيْئًا فَشَيْئًا وَتَطْلُبُ الِاحْتِرَامَ وَالتَّعْظِيمَ مِنْ النَّاسِ عَلَى الصَّالِحَاتِ الَّتِي أَخْفَاهَا عَنْ النَّاسِ، ولَا يَخْفَى أَنَّ الْإِخْفَاءَ عَنْ النَّاسِ يَقْتَضِي عَدَمَ اطِّلَاعِ أَحَدٍ، وَطَلَبُ الِاحْتِرَامِ مِنْ النَّاسِ يَقْتَضِي الِاطِّلَاعَ؛ فَتَأَمَّلْ.

العقبة الثانية في طريق الأخفياء: ذم النفس عند الناس:

وهي أن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يرى الناس أنه

متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء، وقد نبه عليه السلف الصالح، قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: «كفى بالنفس إطراءً أن تذمها على الملأ كأنك تريد بِذَمِّها زينتَها، وذلك عند الله سفه!».



١١٧- صور من حياة الأخفياء

الضابط الصحيح للإخلاص والرياء:

مـا هـو المعيـار في الإخلاص والريـاء؟! ما هـو المعيار والميـزان الدقيق والضابـط الصحيـح في معرفة أنني مخلـص أو غير مخلـص؟! ذكر ذلك أهل العلـم، فبينـوا أن الضابـط في الإخـلاص هو: اسـتواء أعمال العبـد في الظاهر والباطن، أي: أن تستوي أعمالك في ظاهرك وباطنك، هذا معيار الإخلاص.

وأمـا الضابـط في الرياء هو: أن يكون ظاهرك خيرٌ مـن باطنك، وأما صدق الإخلاص: أن يكون الباطن خيرًا من الظاهر.

هل يترك الإنسان أعمال الخير بحجة الخوف من الرياء؟

لا ينبغي للإنسان أن يترك كثيرًا من أعمال الخير بحجة الخوف من الرياء، أو حتى أن يفتح على نفسـه باب الهواجس والوسـاوس فيقع الإنسـان فريسـة لهـذا الأمر، فيدخل الشـيطان على القلب فيصبح الإنسـان دائمًا في وسـاوس وهواجس حول هذا الباب.

ولو فتح الإنسـان عليـه باب ملاحظة الناس والاحـتراز من تطرق ظنونهم الباطلـة لانْسَـدَّ عليـه أكثر أبـواب الخيـر، وضيع على نفسـه شـيئًا عظيمًا من مهمات الدين.

فمـن كان له ورد مشـروع من صلاة الضحى أو قيـام ليل أو غير ذلك، فإنه يصليه حيث كان، ولا ينبغي له أن يَدَع وِرْدَه المشروع لأجل كَوْنِه بين الناس إذا علم الله من قلبه أنه يفعله سـرًا لله، مع اجتهاده في سـلامته من الرياء ومفسدات الإخلاص.

وَمَنْ نَهَى عَنْ أَمْرٍ مَشْـرُوعٍ بِمُجَرَّدِ زَعْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ رِيَاءٌ فَنَهْيُهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَـا: أَنَّ الْأَعْمَالَ الْمَشْـرُوعَةَ لَا يُنْهَى عَنْهَا خَوْفًا مِـنْ الرِّيَاءِ بَلْ يُؤْمَرُ بِهَا وَبِالْإِخْلَاصِ فِيهَا؛ لِأَنَّ الْفَسَـادَ فِي تَرْكِ إظْهَارِ الْمَشْـرُوعِ أَعْظَمُ مِنْ الْفَسَـادِ فِي إظْهَـارِهِ رِيَاءً كَمَا أَنَّ فَسَـادَ تَـرْكِ إظْهَارِ الْإِيمَـانِ وَالصَّلَوَاتِ أَعْظَمُ مِنْ الْفَسَـادِ فِـي إظْهَارِ ذَلِكَ رِيَاءً؛ وَلِأَنَّ الْإِنْكَارَ إنَّمَا يَقَعُ عَلَى الْفَسَـادِ فِـي إظْهَارِ ذَلِكَ رِئَاءَ النَّاسِ.

الثَّانِـي: لِأَنَّ الْإِنْكَارَ إنَّمَا يَقَعُ عَلَى مَا أَنْكَرَتْهُ الشَّـرِيعَةُ، وَقَدْ قَالَ رَسُـولُ اللهُ ﷺ: «**إنِّـي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلاَ أَشُـقَّ بُطُونَهُمْ**» [رواه البخاري ومسلم]. وَقَـدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّـابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْـرًا أَحْبَبْنَاهُ وَوَالَيْنَاهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَتْ سَـرِيرَتُهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ. وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا شَـرًّا أَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّ سَرِيرَتَهُ صَالِحَةٌ».

الثَّالِثُ: أَنَّ تَسْوِيغَ مِثْلِ هَذَا يُفْضِي إلَى أَنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ وَالْفَسَادِ يُنْكِرُونَ عَلَى أَهْلِ الْخَيْرِ وَالدِّينِ إذَا رَأَوْا مَنْ يُظْهِرُ أَمْرًا مَشْرُوعًا مَسْنُونًا قَالُوا: هَذَا مِرَاءٌ فَيَتْرُكُ أَهْـلُ الصِّـدْقِ وَالْإِخْلَاصِ إظْهَارَ الْأُمُورِ الْمَشْـرُوعَةِ حَذَرًا مِـنْ لَمْزِهِمْ وَذَمِّهِمْ فَيَتَعَطَّلُ الْخَيْرُ وَيَبْقَى لِأَهْلِ الشِّـرْكِ شَـوْكَةٌ يُظْهِرُونَ الشَّـرَّ وَلَا أَحَدَ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَفَاسِدِ.

توضيح:

قـال الفضيل بـن عياض رَحِمَهُ اللهُ: «تَرْكُ العمل من أجـل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافِيَك الله منهما».

جاء في (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ١/ ٧٦٨):

«أمـا قولـه: «إن العمـل من أجـل الناس شـرك» فهو صحيـح؛ لأن الأدلة

مـن الكتـاب والسـنة تدل علـى وجوب إخـلاص العبـادة لله وحـده وتحريم الريـاء، وقد سـماه النبي ﷺ: «الشـرك الأصغر»، وذكر أنه أخـوف ما يخاف على أمته ﷺ.

وأما قوله: «إن تَرْك العمل من أجل الناس رياء» فليس على إطلاقه، بل فيه تفصيـل، والمعول في ذلك على النية؛ لقـول النبي ﷺ «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» مع العناية بتحري موافقة الشريعة في جميع الأعمال؛ لقولـه ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، فإذا وقع للإنسـان حالة تـرك فيها العمل الذي لا يجب عليه؛ لئلا يظن به ما يضره فليس هذا الرياء، بل هو من السياسة الشرعية، وهكذا لو ترك بعض النوافل عند بعض الناس خشية أن يمدحـوه بما يضره أو يخشـى الفتنة بـه، أما الواجب فليس لـه أن يتركه إلا لعذر شرعي».

صور من حياة الأخفياء:

١- صاحب صدقة السر :

عن عمرو بن ثابت قال: لما مات علي بن الحسين فغسلوه، جعلوا ينظرون إلى آثار سـواد في ظهره، فقالوا: «ما هذا؟!»، قالوا: كان يحمل جرب الدقيق - يعني: أكياس الدقيق - ليلًا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة».

وذكر ابن عائشـة قال: قال أبي: سـمعت أهـل المدينة يقولـون: «ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ».

٢- ابن المبارك يفك أسر صاحبه:

وعـن محمـد بـن عيسـى قـال: كان عبد الله بـن المبـارك كثير الاختـلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرقة في خان - يعني في فندق - فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجـه ويسـمع منه الحديث، قال: فقـدم عبد الله الرقة مرة فلم ير ذلك الشـاب،

وكان مستعجلًا - أي عبد الله بن المبارك - فخرج في النفير - أي: في الجهاد.

فلما قفل من غزوته ورجع إلى الرقة سأل عن الشاب فقالوا: «إنه محبوس لدَيْنٍ ركبه»، فقال عبد الله: «وكم مبلغ دينه؟»، فقالوا: «عشرة آلاف درهم»، فلم يزل يستقصي حتى دل على صاحب المال فدعا به ليلًا ووزن له عشرة آلاف درهم وحلّفه أن لا يخبر أحدًا ما دام عبد الله حيًا، وقال: «إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس».

وأدلج عبد الله - أي: سار في آخر الليل - وأخرج الفتى من الحبس، وقيل له: عبد الله بن المبارك كان هاهنا وكان يذكرك وقد خرج، فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة، فقال عبد الله بن المبارك للفتى: «أين كنت؟! لم أرك في الخان!»، (انظر: عبد الله يتصانع أنه ما علم عن حال الفتى).

قال: «نعم. يا أبا عبد الرحمن! كنتُ محبوسًا بدَيْن»، قال: «وكيف كان سبب خلاصك؟!»، قال: «جاء رجُلٌ وقضى ديني ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس»، فقال له عبد الله: «يا فتى! احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك»، فلم يخبر ذلك الرجل أحدًا إلا بعد موت عبد الله.

٣- يخادع زوجته:

قالت امرأة حسان بن سنان: كان يجيء فيدخل معي فراشي ثم يخادعني كما تخادع المرأة صبيها، فإذا علم أني نمت، سَلّ نفسه فخرج ثم يقوم يصلي، قالت: فقلت له: «يا أبا عبد الله! كم تعذب نفسك، ارفق بنفسك!»، فقال: «اسكتي، ويحك! فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زمانًا».

٤- صَامَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً، لاَ يَعْلَمُ بِهِ أَهْلُه:

قَالَ الفَلاَّسُ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي عَدِيٍّ يَقُوْلُ: «صَامَ دَاوُدُ بنُ أَبِي هِنْدٍ أَرْبَعِيْنَ

سَنَةً، لاَ يَعْلَمُ بِهِ أَهْلُه. كَانَ خَزَّازًا، يَحْمِلُ مَعَهُ غَدَاءهُ، فَيَتصدَّقُ بِهِ فِي الطَّرِيقِ».

٥- يغطي المصحف بثوبه:

قالت امرأة الربيع بن خثيم: «كان عمل الربيع كله سرًا، إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه»، أي: إذا قدم الرجل على الربيع قام الربيع فغطى المصحف بثوبه حتى لا يرى الرجل أنه يقرأ القرآن.

٦- لاَ تَذْكُرُنِي لأَحَدٍ، وَلاَ تَذْكُرُ هَذَا لأَحَدٍ حَتَّى أَمُوْتَ:

قَالَ محمد ابْنُ المُنْكَدِرِ: إِنِّي لِلَيْلَةٍ مُوَاجِهٌ هَذَا المِنبَرَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ أَدعُو، إِذَا إِنْسَانٌ عِنْدَ أُسْطُوَانَةٍ (أي سارية من سواري المسجد) مُقَنِّعٌ رَأْسَه، فَأَسْمَعُهُ يَقُوْلُ: «أَيْ رَبِّ، إِنَّ القَحطَ قَدِ اشْتَدَّ عَلَى عِبَادِكَ، وَإِنِّي مُقسِمٌ عَلَيْكَ يَا رَبِّ إِلاَّ سَقَيْتَهُم».

قَالَ: فَمَا كَانَ إِلاَّ سَاعَةٌ، إِذَا سَحَابَةٌ قَدْ أَقْبَلَتْ، ثُمَّ أَرْسَلَهَا اللهُ، وَكَانَ عَزِيْزاً عَلَى ابْنِ المُنْكَدِرِ أَنْ يَخفَى عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ، فَقَالَ: «هَذَا بِالمَدِيْنَةِ وَلاَ أَعْرِفُه!»، فَلَمَّا سَلَّمَ الإِمَامُ، تَقَنَّعَ وَانْصَرَفَ، وَأَتبَعُهُ، حَتَّى أَتَى دَارَ أَنَسٍ، فَدَخَلَ مَوْضِعًا، فَفَتَحَ وَدَخَلَ. أَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: «أَدخُلُ؟»، قَالَ: «ادْخُلْ».

فَإِذَا هُوَ يُنَجِّرُ أَقْدَاحًا، فَقُلْتُ: «كَيْفَ أَصْبَحتَ؟ أَصْلَحَكَ اللهُ».

قَالَ: فَاسْتَشهَرَهَا، وَأَعْظَمَهَا مِنِّي، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ، قُلْتُ: «إِنِّي سَمِعْتُ إِقسَامَكَ البَارِحَةَ عَلَى اللهِ، يَا أَخِي، هَلْ لَكَ فِي نَفَقَةٍ تُغنِيكَ عَنْ هَذَا، وَتُفَرِّغُكَ لِمَا تُرِيْدُ مِنَ الآخِرَةِ؟». قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ غَيْرُ ذَلِكَ، لاَ تَذْكُرُنِي لأَحَدٍ، وَلاَ تَذْكُرُ هَذَا لأَحَدٍ حَتَّى أَمُوْتَ، وَلاَ تَأْتِنِي يَا ابْنَ المُنْكَدِرِ، فَإِنَّكَ إِنْ تَأْتِنِي شَهَرتَنِي لِلنَّاسِ».

فَقُلْتُ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَلقَاكَ»، قَالَ: «الْقَنِي فِي المَسْجِدِ».

قَالَ: وَكَانَ فَارِسِيًّا، فَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ لأَحَدٍ حَتَّى مَاتَ الرَّجُلُ.

٧- وَأَنْتَ يَا أَبَا عَمْرٍو مِمَّنْ يُشَنِّعُ عَلَيْنَا:

ذكر الذهبي أيضًا عن أبي حَاتِمٍ الرَّازِيُّ قال: حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بنُ سُلَيْمَانَ الْمَرْوَزِيُّ، قَالَ: كُنَّا سَرِيَّةً مَعَ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي بِلادِ الرُّوْمِ، فَصَادَفْنَا العَدُوَّ، فَلَمَّا التَقَى الصَّفَّانِ، خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ العَدُوِّ، فَدَعَا إِلَى البِرَازِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فقتَلَهُ، ثُمَّ آخَرُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ آخَرُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ دَعَا إِلَى البِرَازِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَطَارَدَهُ سَاعَةً فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، فَازدَحَمَ إِلَيْهِ النَّاسُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ، وَإِذَا هُوَ يَكْتُمُ وَجْهَهُ بِكُمِّهِ، فَأَخَذْتُ بِطَرَفِ كُمِّهِ، فَمَدَدْتُهُ، فَإِذَا هُوَ هُوَ، فَقَالَ: «وَأَنْتَ يَا أَبَا عَمْرٍو مِمَّنْ يُشَنِّعُ عَلَيْنَا!!».

(يُشَنِّعُ عَلَيْنَا) يعني: يفضحنا.

٨- أَحْرَجْتَنِي فأَخْرَجْتَنِي:

لما حاصر المسلمون حصنًا في إحدى غزواتهم فاستعصى على المسلمين، وكثر الأذى فيهم مِن رَمْيِ النصارى لهم، حتى قال قائدهم مَسْلَمَة بن عبد الملك: «من يدخل النقب - وهو فتحة تلقى منها الفضلات والقاذورات - فإن كتبت له الشهادة فاز بالجنة، وإن كتبت له النجاة ذهب لِبابِ الحصن ففتحه؟».

فخرج رجل مُلَثَّم فقال: «أنا من سيدخل النقب»، فدخل وكبر وقاتل، فسمع المسلمون صوته فاقتحمه، فقاتل حتى وصل الباب ففتحه، التكبير فهجم المسلمون على الباب فدخلوا؛ ففتحوا الحصن؛ وانتهت المعركة على يد ذلك الرجل، ولكنه لم يُعْرَف، فأراد القائد مَسْلَمَة بن عبد الملك أن يعرفه ليكافئه، فنادى في جيش المسلمين بعد المعركة: «أين صاحب النَّقْب؟»، فلم يُجِبْه أحدٌ.

فأعاد الكَرَّة فلم يُجِبْه أحدٌ، حتى نادى مرتين أو ثلاثًا أو أربعًا فقال في

الرابعة: «إني أمرتُ حاجبي بإدخاله عليَّ حين يأتي، فعزمت عليه بما لي عليه من الحق - أي: الطاعة في الإمْرة، حقي عليه الطاعة - فحلف عليه إلا أن يأتيه في أي وقت شاء من ليل أو نهار».

فجاء رجل ذات ليلة إلى حاجب مسلمة، فقال: «استأذن لي على الأمير»، قال: «أنت صاحب النقب؟»، قال: «أنا أخبركم عنه»، فلما صار بين يدي مسلمة قال: «إن صاحب النقب يشترط عليكم ثلاثًا: ألا تبعثوا باسمه في صحيفةٍ إلى الخليفة، وألا تسألوه من هو، وألا تأمروا له بشيء»، قال مَسْلَمَة: «فذلك له»، فقال الرجل باستحياء: «أنا صاحب النقب، اتقِ الله - يا مَسْلَمة - أحْرَجْتَني فأحْرَجْتَنِي»، ثم انطلق مُسرعًا، فلم يَدْرِ مَن هو، فكان مَسْلَمةُ لا يصلي بعدها صلاةً إلا دعا فيها: «اللهم اجعلني مع صاحب النقب يوم القيامة».

٩- أمنية الإمام الشافعي:

كان الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «وددتُ أن الناس تعلموا هذا العلم ولا ينسب إليَّ شيء منه أبدًا، فأؤجَر عليه ولا يحمدوني».

١٠- كانوا يريدون إخفاء إخراج القذاة من المسجد:

قال محمد بن منصور: كنا في مجلس أبي عبد الله البخاري، فرفع إنسان قذاة من لحيته وطرحها إلى الأرض -يعني: في المسجد- فرأيت البخاري ينظر إليها وينظر إلى الناس، فلما غفل الناس عنه رأيته مَد يده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كُمّه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها وطرحها إلى الأرض.

الأخفياء في كلمات:

قال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما رأيت أحدًا ارتفع مثل مالك، ليس له كثير صلاة ولا صيام إلا أن تكون له سريرة»، إذًا فالقضية ليست قضية كثرة صيام

ولا صلاة، وإنما بالإخلاص والإخفاء في هذه الأعمال.

وقال ابن وهب: «ما رأيت أحدًا أشد استخفاءً بعمله من حيوة بن شريح، وكان يعرف بالإجابة»، أي: بإجابة الدعاء.

وقال مالك بن دينار: «قولوا لمن لم يكن صادقًا لا يتعنى».

أي قولوا لمن لم يكن صادقًا بعمله ومخلصًا في عمله لله لا يتعب نفسه.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنفعُ العمل أن تغيب فيه عن الناس بالإخلاص، وعن نفسك بشهود المنة، فلا ترى فيه نفسك ولا ترى الخلق».

الطريق الموصل إلى حياة الأخفياء:

١- الدعاء والإلحاح فيه:

ومواصلة الدعاء وتحري ساعات الإجابة، والاستمرار في الدعاء، والإلحاح فيه، لا تملّ ولا تكلّ، واسأل الله بصدق أن يرزقك الصدق والإخلاص في الأقوال والأفعال، واحفظ هذا الدعاء وكرره كثيرًا:

عن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**». فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ: «وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللهِ؟»، قَالَ: **قُولُوا: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ»** [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، وَلَكِنِّي سَأَدُلُّكَ عَلَى مَا يُذْهِبُ صِغَارَ الشِّرْكِ، وَكُبَّارَهُ، أَوْ قَالَ: صَغِيرَ الشِّرْكِ وَكَبِيرَهُ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**» [رواه أبو يعلى وغيره، وصححه الألباني].

٢- الإكثار من مصاحبة المخلصين الناصحين الصادقين:

إن وجدتهم فعض عليهم بالنواجذ، وإن لم تجد فالجأ لحياة الأخفياء،

والجأ لمصاحبة المخلصين من السلف الصالح ﷺ، بقراءة أقوالهم والنظر في الكتب والتراجم، للاطلاع على تلك الأحوال، ولا شك أن القلب تكون فيه حياة بالنظر لحياة أولئك.

٣- معرفة عظمة الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته:

اعرف مَن تعبُد، ولمن تعمل، وعظمة الله ﷻ، واملأ قلبك بتوحيد الأسماء والصفات تطبيقًا عمليًا حتى تعظم الله، وقد قيل: «من كان بالله أعرَفَ كان لله أخْوَف، ومَن عَظّمَ الناس فقد يخاف من الناس وقد يعمل للناس وقد يسمع للناس ويطلب ثناء الناس ومحمدة الناس».

٤- الحرص على خبء من عمل صالح:

احرص دائمًا أن يكون لك سر بينك وبين الله ﷻ، لا يعلمه أحد من الناس، إن استطعت حتى ولا زوجك! إن استطعت أن تفعل عملًا بينك وبين الله لا يعلم عنه أقرب الأقربين إليك، فلا شك أن هذه الأعمال هي المنجية يوم تسود وجوه وتبيض وجوه.

٥- الخوف من عدم قبول العمل:

دائمًا كن خائفًا على عملك أن لا يُقْبَل، وأن يخالط هذا العمل رياءٌ أو سمعةٌ، مع الانتباه واخشَ أن تقدم على الله تعالى بتلك الأعمال الكثيرة والأقوال الكثيرة فتكون ممن قال الله ﷻ فيهم: ﴿ **وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا** ﴾ [الفرقان: ٢٣]. ولكن لا ينبغي للإنسان أن يترك كثيرًا من أعمال الخير بحجة الخوف من الرياء.

٦- تذكُّر ثمرات الإخلاص ومنها:

١- صحة العبادة لقوله تعَالَىٰ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠].

٢- نصر الأمة لقوله ﷺ: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلاتِهِمْ وَإِخْلاصِهِمْ**» [رواه النسائي، وصححه الألباني].

٣- العفاف والصيانة من الوقوع في الآثام وخاصة الزنا، قال الله تعالى مبينًا السبب في نجاة يوسف عليه السلام من داعي الإغراء: ﴿**كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلِصِينَ**﴾ [يوسف: ٢٤] كما هي قراءة ابن كثير وغيره.

٤- النجاة من إغواء الشيطان الفاتن المروع الذي يهز الوجدان ويأخذ القلب أسيرًا، قال تعالى ذاكرًا ما كان من أمر إبليس من خروجه من الجنة مدحورًا وإمداد الله له بالعمر الطويل حين أقسم بعزة الله أن يضل البشرية كلهم، ثم أعقب هذا القسم باستثناء يعلم حقيقته علمًا تامًا لم يحاول أن يغيره أو يدلس فيه: ﴿**وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلِصِينَ**﴾ [الحجر] كما هي قراءة ابن كثير وغيره.

(قرأ نافع والكوفيون بفتح اللام في لفظ ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ في كل مواضعه نحو: إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ، أما قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر فبكسر اللام في هذا اللفظ حيث ورد في القرآن الكريم).

فاستثناهم إبليس لأنه علم أن تزيينه لا يؤثر فيهم، وفيه دليلٌ على جلالة هذا الوصف وأنه أفضل ما اتصف به الطائع. وإنها سنة الله أن يستخلص لنفسه من يُخْلِصُ له نفسه وأن يحميه ويرعاه.

٥- صفاء العقيدة، قال تعالى منزهًا نفسه عمّا وصفه به الكفار من أن بينه وبين الجنة نسبًا، وذاكرًا عباده المخلصين وأنهم ينزهونه عن مثل هذا الوصف ﴿**سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ**﴾ [الصافات].

٦- اصطفاء الله لعبده المخلص ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

٧- استجابة الدعاء كما في قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فسدت الغار. [رواه البخاري ومسلم].

٨- محبة الخلق للمخلص؛ لأن من أحبه الله أحبه أهل السموات وأهل الأرض.

٩- الثبات على الدين.



١١٨- أشجارٌ وأشجار

لستُ أخلُو لغفلةٍ وسكونٍ وفرارٍ من الوَرَى وارتياحِ
إنما خلوَتِي لِفِكْرٍ وذِكْرٍ فهي زادِي وعُدّتي لكفاحِي

الشجر نعمة من نعم الله :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل]. ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ ترعون، والسائمة التي ترعى، أي فيه تسام الدواب وترعى مَتاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس].

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ فهُوَ تعالَى الذي بَدَأَ خَلْقَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ مِنْ مَاءٍ حَتَّى صَارَ خَضِرًا نَضِرًا، ثُمَّ أَعادَه حطبًا يَابِسًا تُوقَدُ بِهِ النَّارُ، وَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعِيدَ بَعْثَ الشَّجَرِ اليَابِسِ أَخْضَرَ نَضِرًا، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى فِعْلِ مَا يُرِيدُ، لاَ يَمْنَعُهُ شَيءٌ. وَقِيلَ إِنَّ المُرَادَ بِذَلِكَ شَجَرُ المرخ والعَفَارِ، الذِي يَنْبُتُ فِي أَرْضِ الحِجَازِ فَيَأْتِي مَنْ أَرَادَ قَدْحَ نَارٍ وَلَيْسَ مَعَهُ زَنَادٌ فَيَأْخُذُ مِنْهُ عُودَيْنِ أَخْضَرَينَ وَيَقْدَحُ أَحَدَهُمَا بِالآخَرِ

فَتَتَوَلَّدُ النَّارُ بَيْنَهُمَا كالزَّنَادِ سَوَاءً.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقعة].

﴿تُورُونَ﴾: مِنْ أَوْرَيْتُ الزَّنْدَ أي: قَدَحْتَه فاستخرجتَ نارَه، ووَرِيَ الزَّنْدُ يَرِي أي: خَرَجَتْ نارُه. وهذه نعمة تدخل في الضروريات التي لا غنى للخلق عنها، فإن الناس محتاجون إليها في كثير من أمورهم وحوائجهم، فقررهم تعالى بالنار التي أوجدها في الأشجار، وأن الخلق لا يقدرون أن ينشئوا شجرها، وإنما الله تعالى الذي أنشأها من الشجر الأخضر، فإذا هي نار توقد بقدر حاجة العباد، فإذا فرغوا من حاجتهم، أطفأوها وأخمدوها.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠].

أي: أمن خلق السماوات وما فيها من الشمس والقمر والنجوم والملائكة والأرض وما فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار وغير ذلك ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾ أي: لأجلكم ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ أي: بساتين ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ أي: حُسْن منظر من كثرة أشجارها وتنوعها وحسن ثمارها، ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ لولا مِنَّة الله عليكم بإنزال المطر، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ فعل هذه الأفعال حتى يُعبَدَ معه ويُشْرَكَ به؟ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ به غيره ويسوون به سواه مع علمهم أنه وحده خالق العالم العلوي والسفلي ومنزل الرزق.

الأشجار تسجد لله ﷻ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ

ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج: ١٨].

ذَكَر سجودَ المخلوقات له، جميع من في السماوات والأرض، والشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، والدواب، الذي يشمل الحيوانات كلها، وكثير من الناس، وهم المؤمنون، ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ أي: وجب وكتب، لكفره وعدم إيمانه، فلم يوفقه للإيمان، لأن الله أهانه، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ﴾ ولا رادَّ لما أراد، ولا معارض لمشيئته، فإذا كانت المخلوقات كلها ساجدة لربها، خاضعة لعظمته، مستكينة لعزته، عانية لسلطانه، دل على أنه وحده، الرب المعبود، والملك المحمود، وأن من عدل عنه إلى عبادة سواه، فقد ضل ضلالًا بعيدًا، وخسر خسرانًا مبينًا.

ويتدبر القلب هذا النص، فإذا حَشْدٌ من الخلائق مما يدرك الإنسان ومما لا يدرك. وإذا حَشْدٌ من الأفلاك والأجرام. مما يعلم الإنسان ومما لا يعلم. وإذا حشد من الجبال والشجر والدواب في هذه الأرض التي يعيش عليها الإنسان، إذا بتلك الحشود كلها في موكب خاشع تسجد كلها لله، وتتجه إليه وحده دون سواه إلا ذلك الإنسان فهو وحده الذي يتفرق: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ ﴾ فيبدو هذا الإنسان عجيبًا في ذلك الموكب المتناسق.

إن وحدة العبودية وتكاملها في أجزاء هذا الكون لله تعالى الذي خلقه حقيقة يراها المتفكر، إذا استطاع أن يفلت من الصخب المُلهِي ويتأمل في هدوء ورَوِيّة. منها: عبودية لا تشوبها الوساوس، لبساط الأرض جميعه، حشائشه والباسقات، نبهك القرآن لها، في قوله تَعَالَى: ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن: ٦].

قال بعض المفسرين: «يعني بالنجم: ما نَجَم من الأرض من نبت، وبالشجر: ما استقل على ساق». وقال غيره: ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ أي: نجوم السماء، وأشجار الأرض، تعرف ربها وتسجد له، وتطيع وتخشع

وتنقاد لما سخرها له من مصالح عباده ومنافعهم.

فهو منظر سجود دائم يراه المؤمن ليكون له تذكرة حين تثقله الغفلة، يديم له سـجودًا قلبيًـا، آيته الرضا عن الله ﷻ، والتسـليم لحكم حلالـه وحرامه، به يستكمل سجودُ جبهته مغزاه.

ومتـى ذاق المؤمـن، بالخلـوات المسترسـلة، لـذة مراقبـة هذا السـجود الأخضـر، المتوشـح بألوان الزهر، وأذن لقلبه أن يبالـغ في الهبوط مقلدًا، حتى يلامس أوطأ الإخبات نادى غيره للمشـاركة، وعرض عليه الرفقة، منخلعًا عن حسد واحتكار.

دَعِ الدُّورَ واطلُبْ فسيحَ البرارِي ... وانظرْ إلَى صفحاتِ الجمالِ
عَلى حافةِ الماءِ دونَ مَلالِ ... تأمَّلْ ترقُّقْ ماءٍ زُلالِ
وحَدِّقْ إلى نَرجسٍ ذِي دلالِ ... وقَبِّلْ عُيُونًا لـهُ كالـلآلِي

وقد عُرِفَ عند علماء المسـلمين اسـتلال ساعة من بين حركاتهم في التعلم والتعليم، والأمر والنهي، وضرورات المعيشة، يميلون فيها إلى التفرد خارجًا، والركـون إلى أرباض مدنهم، والجلوس بين الزروع، يرجون لأنفسـهم بصائر وتذكرة.

روى ابن القيم أن شـيخه ابـن تيميه رحمهما الله كان يتركهـم غاديًا بعد الفجر مرارًا، فراقبه، فوجده يعتزل في غوطة دمشق وحقولها، حتى غدت عنده عادة.

من معجزات رَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْقِيَادِ الشَّجَرِ لَهُ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: «سِـرْنَا مَعَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَـحَ، فَذَهَـبَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَـهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِـإِدَاوَةٍ مِنْ مَـاءٍ، فَنَظَرَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَـيْئًا يَسْـتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَـاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِـنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «**انْقَادِي عَلَيَّ**

بِــإِذْنِ اللهِ»، فَانْقَــادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُــوشِ، الَّــذِي يُصَانِعُ قَائِــدَهُ، حَتَّى أَتَى الشَّــجَرَةَ الْأُخْرَى، فَأَخَــذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَــا، فَقَالَ: «**انْقَادِي عَلَــيَّ بِإِذْنِ اللهِ**» فَانْقَــادَتْ مَعَــهُ كَذَلِكَ، حَتَّــى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَــا، لَأَمَ بَيْنَهُمَا - يَعْنِي جَمَعَهُمَا - فَقَالَ: «**الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ**» فَالْتَأَمَتَا.

قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُــولُ اللهِ ﷺ بِقُرْبِي فَيَبْتَعِدَ، فَجَلَسْــتُ أُحَدِّثُ نَفْسِــي، فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا، وَإِذَا الشَّــجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَــاقٍ، فَرَأَيْتُ رَسُــولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ وَقْفَةً، فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا يَمِينًا وَشِمَالًا» [رواه مسلم].

(نَزَلْنَا وادِيًا أَفْيَحَ) أَيْ وَاسِعًا، وشَاطِئُ الْوَادِي: جَانِبُهُ.

(فَانْقَــادَتْ مَعَــهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُــوشِ) وَهُوَ الَّذِي يُجْعَلُ فِي أَنْفِهِ خِشَــاشٌ، وَهُوَ عُودٌ يُجْعَلُ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ إِذَا كَانَ صَعْبًا، وَيُشَدُّ فِيهِ حَبْلٌ لِيَذِلَّ وَيَنْقَادَ، وَقَدْ يَتَمَانَــعُ لِصُعُوبَتِهِ، فَإِذَا اشْــتَدَّ عَلَيْهِ وَآلَمَهُ انْقَادَ شَــيْئًا، وَلِهَذَا قَــالَ: «الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ» وَفِي هَذَا مُعْجِزَاتٌ ظَاهِرَاتٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

(حَتَّــى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَــفِ مِمَّــا بَيْنَهُمَــا لَأَمَ بَيْنَهُمَــا) الْمَنْصَــفُ: هُوَ نِصْفُ الْمَسَافَةِ.

(لَأَمَ) أَيْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا. (فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ) أَيْ أَعْدُو وَأَسْعَى سَعْيًا شَدِيدًا.

(فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ) أَيْ وَقَعَتْ وَاتَّفَقَتْ، واللَّفْتَةُ: النَّظْرَةُ إِلَى جَانِبٍ.

وَعَــنْ أَنَــسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَــى النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِــسٌ حَزِينًــا، قَدْ خُضِبَ بِالدِّمَاءِ ضَرَبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّــةَ، فَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ؟»، قَالَ: فَقَالَ لَهُ: «**فَعَلَ بِي هَؤُلَاءِ وَفَعَلُوا**»، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيَكَ آيَــةً؟»، قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى شَــجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْــوَادِي، فَقَالَ: «ادْعُ بِتِلْكَ الشَّجَرَةِ»، فَدَعَاهَا، فَجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ»،

فَأَمَرَهَا فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**حَسْـبِي**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وابن ماجه، وصححه الألباني].

وعَـنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فِي سَـفَرٍ، فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ تُرِيدُ؟**»، قَالَ: «**إِلَى أَهْلِي**». قَالَ: «هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ؟»، قَالَ: «مَا هُوَ؟»، قَالَ: «**تَشْـهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَـرِيكَ لَـهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُـولُهُ**»، قَالَ: «هَلْ مَنْ شَـاهِدٍ عَلَى مَـا تَقُولُ؟»، قَالَ: «**هَذِهِ الشَّجَرَةُ**»، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهِيَ عَلَى شَاطِئِ الْوَادِي، فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ خَدًّا، فَقَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ إِنَّهَا رَجَعَـتْ إِلَى مَنْبَتِهَا، وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِـهِ، فَقَالَ: «إِنْ يَتَّبِعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ، وَإِلَّا رَجَعْتُ إِلَيْكَ وَكُنْتُ مَعَكَ». [رواه الحاكم، وبن حبان، والدارمي، وقال ابن كثير: «وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ»، وصححه الألباني].

(فِـي سَـفَرٍ) أَيْ: فِي غَزْوَةٍ أَوْ عُمْرَةٍ. (فَأَقْبَلَ أَعْرَابِـيٌّ) أَيْ بَدَوِيٌّ. (فَلَمَّا دَنَا) أَيْ: قَـرُبَ. (هَلْ مَنْ شَـاهِدٍ)، أَيْ: مَنْ يَشْـهَدُ عَلَـى وَجْهِ خَرْقِ الْعَـادَةِ وَظُهُورِ الْمُعْجِزَةِ (عَلَى مَا تَقُولُ؟) أَيْ: مِنْ دَعْوَى الرِّسَالَةِ.

(فَدَعَاهَـا رَسُـولُ اللهِ ﷺ وَهُـوَ) أَيْ: وَالْحَـالُ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ (بِشَـاطِئِ الْـوَادِي) أَيْ كَانَ وَاقِفًـا بِطَرَفِـهِ (فَأَقْبَلَـتْ) أَيِ: الشَّـجَرَةُ (تَخُـدُّ الْأَرْضَ) أَيْ: تَشُـقُّهَا أُخْـدُودًا، (خَـدًّا): مَفْعُـولٌ مُطْلَقٌ (حَتَّـى قَامَتْ بَيْـنَ يَدَيْهِ) أَيْ مُسَـلِّمَةً عَلَيْهِ وَمُسْـلِمَةً لَدَيْهِ (فَاسْتَشْهَدَهَا) أَيْ: طَلَبَ الشَّـهَادَةَ مِنَ الشَّجَرَةِ (ثَلَاثًا) أَيْ: مُرَتَّبًـا لَا مُتَوَالِيًـا (فَشَـهِدَتْ أَنَّـهُ كَمَا قَـالَ) أَيْ: أَنَّ الشَّـأْنَ كَمَا قَـالَ النَّبِيُّ ﷺ مِـنْ كَوْنِـهِ رَسُـولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ. (ثُمَّ رَجَعَـتْ إِلَـى مَنْبِتِهَا) أَيْ: مَوْضِـعُ نَبَاتِهَا وَمَوْطِنِ أَصْلِهَا.

شجرة التوحيد، وشجرة الكفر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[إبراهيم].

يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وفروعها ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وهي النخلة ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ في الأرض ﴿ وَفَرْعُهَا ﴾ منتشر ﴿ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ وهي كثيرة النفع دائما.

﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا ﴾ أي: ثمرتها ﴿ كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن علمًا واعتقادًا، وفرعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المَرْضِيَّة، والآداب الحسنة في السماء دائمًا يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ما أمرهم به ونهاهم عنه، فإن في ضرب الأمثال تقريبًا للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراده الله غاية البيان، ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه. فلِلّه أتم الحمد وأكمله وأعمه، فهذه صفة كلمة التوحيد وثباتها في قلب المؤمن.

ثم ذكر ضدها وهي كلمة الكفر وفروعها، فقال: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ المأكل والمطعم وهي: شجرة الحنظل ونحوها، ﴿ ٱجْتُثَّتْ ﴾ هذه الشجرة ﴿ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ أي: من ثبوت فلا عروق تمسكها، ولا ثمرة صالحة تنتجها، بل إن وجد فيها ثمرة فهي ثمرة

خبيثة، كذلك كلمة الكفر والمعاصي ليس لها ثبوت نافع في القلب، ولا تثمر إلا كل قول خبيث وعمل خبيث يستضر به صاحبه، ولا ينتفع، فلا يصعد إلى الله منه عمل صالح ولا ينفع نفسه، ولا ينتفع به غيره.

شجرة الطاعة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح].

يخبر تعالى بفضله ورحمته، برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول ﷺ تلك المبايعة التي بيضت وجوههم، واكتسبوا بها سعادة الدنيا والآخرة، وكان سبب هذه البيعة - التي يقال لها «بيعة الرضوان» لرضا الله عن المؤمنين فيها، ويقال لها «بيعة أهل الشجرة» - أن رسول الله ﷺ لما دار الكلام بينه وبين المشركين يوم الحديبية في شأن مجيئه، وأنه لم يجئ لقتال أحد، وإنما جاء زائرًا هذا البيت، معَظّما له.

فبعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمكة في ذلك، فجاء خبر غير صادق، أن عثمان قتله المشركون، فجمع رسول الله ﷺ من معه من المؤمنين، وكانوا نحوًا من ألف وخمسمائة، فبايعوه تحت شجرة على قتال المشركين، وأن لا يفروا حتى يموتوا، فأخبر تعالى أنه رضي عن المؤمنين في تلك الحال، التي هي من أكبر الطاعات وأجل القُرُبات.

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الإيمان، ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ شكرًا لهم على ما في قلوبهم زادهم هدى، وعلم ما في قلوبهم من الجزع من تلك الشروط التي شرطها المشركون على رسوله فأنزل عليهم السكينة تثبتهم، وتطمئن بها قلوبهم، ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو: فتح خيبر، لم يحضره سوى أهل الحديبية،

فاختصوا بخيبر وغنائمها جزاءً لهم، وشـكرًا على ما فعلوه من طاعة الله تعالى والقيام بمرضاته.

﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ أي: لـه العـزة والقـدرة، التي قهر بها الأشـياء، فلو شاء لانتصر من الكفار في كل وقعة تكون بينهم وبين المؤمنين، ولكنه حكيم، يبتلي بعضهم ببعض، ويمتحن المؤمن بالكافر.

شجرة التوكل:

إن اختار الله لك المحنة سبيلًا لهذه المنحة، وحَزَبَك الأمر: تذكَّرْ ما فعلت مريم لما ضاقت عليها الأرض، فجاءها نداء: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ﴾. فتـأكل رطبات وتقنع بها، عازفًا عـن بطـر المترفين، وتغرف من ثَمّ من سَـرِيٍّ بين يديك يجري، مُسْـتَعْلِيًا بعزة دونك مدارجها ترقى إليها وتَسري.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم].

لما حملت مريم بعيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ خافت من الفضيحـة، فتباعدت عن الناس ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ فلمـا قـرب ولادها، ألجأهـا المخاض إلى جـذع نخلة، فلما آلمها وجع الولادة، ووجع الانفراد عن الطعام والشراب، ووجع قلبها من قالة النـاس، وخافت عدم صبرها، تمنت أنها ماتت قبل هذا الحادث، وكانت نسـيا منسيا فلا تُذْكَر. وهذا التمني بناء على ذلك المزعج، وليس في هذه الأمنية خير لها ولا مصلحة، وإنما الخير والمصلحة بتقدير ما حصل.

فحينئذ سكَّن الملَك رُوعَها وثبَّتَ جأْشَها وناداها من تحتها، لعله في مكان أنزل من مكانها، وقال لها: لا تحزني، أي: لا تجزعي ولا تهتمي، ف ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ أي: نهرا تشربين منه.

قَرَأَ بَعْضُهُمْ ﴿ مَنْ تَحْتَهَا ﴾ بِمَعْنَى الَّذِي تَحْتَهَا، وَقَرَأَ آخَرُونَ: ﴿مِن تَحْتِهَآ ﴾ عَلَى أَنَّهُ حَرْفُ جَرٍّ.

وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ بِذَلِكَ مَنْ هُوَ؟ فَقِيلَ: جِبْرِيلُ، أَيْ: نَادَاهَا مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ عِيسَى حَتَّى أَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا.

وَقِيلَ: عِيسَى ابْنُهَا. قَالَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: «أَوَلَمْ تَسْمَعِ اللهَ يَقُولُ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ [مَرْيَم: ٢٩]؟»، وَاخْتَارَهُ ابْنُ زَيْدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ.

﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ أى: وحَرِّكِـي نحوك أو جهة اليمين أو الشمال جذع النخلة تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا وهو ما نضج واستوى من الثمر جَنِيًّا أى: طريًّا لذيذًا نافعًا صالحا للأخذ والاجتناء، ﴿فَكُلِى ﴾ من التمر، ﴿وَٱشْرَبِى ﴾ من النهر ﴿وَقَرِّى عَيْنًا ﴾ أى: طيبي نفسًا بعيسى، واطردي عنك الأحزان، فهذه طمأنينتها من جهة السلامة من ألم الولادة، وحصول المأكل والمشرب والهني.

يقال: قَرَّتْ عينُ فلان، إذا رأت ما كانت متشوقة إلى رؤيته، مأخوذ من القرار بمعنى الاستقرار والسكون، لأن العين إذا رأت ما تحبه سكنت إليه، ولم تنظر إلى غيره.

وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة، أن مباشرة الأسباب في طلب الرزق أمر واجب وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله ﷻ، لأن المؤمن يتعاطى الأسباب امتثالًا لأمر ربه مع علمه ويقينه أنه لا يقع في ملكه إلا ما يشاؤه ويريده.

وهنا قد أمر الله مريم بأن تهز النخلة ليتساقط لها الرطب، مع قدرته على

إنزال الرطب إليها من غير هز أو تحريك، ورحم الله القائل:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ قَـالَ لمريمٍ   وهُزِّي إليكِ الجِذْعَ يُساقِطِ الرُطَبْ
ولو شاءَ أَنْ تَجنِيهِ مِن غَيْرِ هَزِّهِ   جنَتْهُ ولكن كُلّ شَيءٍ لهُ سبَبْ

وقد أخذ منها بعض العلماء أن خير ما تأكله المرأة بعد ولادتها الرطب، قالوا: لأنه لو كان شيء أحسن للنفساء من الرطب لأطعمه الله لمريم.

شجرة الوفاء:

منها: شجرة الوفاء، عنوان امتزاج الأرواح الذاكرة، تنطق بالشكر، وتحفظ الفضل لأهله، وتعلن عِرفان الجميل، وهي نخلة تَنَهَّدتْ عند الفِراق.

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ جِذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا وُضِعَ لَهُ المِنْبَرُ سَمِعْنَا لِلْجِذْعِ مِثْلَ أَصْوَاتِ العِشَارِ حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ» [رواه البخاري]. (أَصْوَاتِ العِشَارِ) أي كأصوات النياق التي أثقلها حمل بطنها وقَرُب مخاضها، وتلك من معجزاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ المِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ فَحَنَّ الجِذْعُ فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ» [رواه البخاري].

(يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ) أي مستندا إليه. (فَحَنَّ) صوّت وكأنه يبكي. (فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ) أي فسكن.

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ ذَهَبَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَحَنَّ الْجِذْعُ فَأَتَاهُ فَاحْتَضَنَهُ فَسَكَنَ، فَقَالَ: «**لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**». [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

وكَانَ الْحَسَنُ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَى لِقَائِهِ؛ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَيْهِ».

جذع أُنِيلَ الشرفَ فوفَّى، واجتمع له الحَنين، فاستبدَّ به استبدادًا فَرَّق منه

الأنيــن. وما من أحــد إلا وفي بيته ديوان حديــث، وكأن النبي ﷺ واقف عنده يُفقِّه أمرَ دينه، ويُلقنه شــرائع الأســلام، والوفاء يليق لمثلنا، نتعلمه من الجذع، ونترجمه صُورًا من الاتّباع والاقتفاء.

شجرة الثبات على السُنة:

شــجرة الثبات، تتذكرها يوم تتوزع الناس الأهــواء، فتطلب النجاة معتزلًا فِرَق البدع كلها، وتتمســك بهدي النبي ﷺ؛ عَــنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: «يَا رَسُــولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟»، قَالَ: «**نَعَمْ**».

قُلْتُ: «وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟»، قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**».

قُلْتُ: «وَمَا دَخَنُهُ؟»، قَالَ: «**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**».

قُلْتُ: «فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟».

قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**».

قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا».

قَالَ: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**».

قُلْتُ: «فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟».

قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**».

قُلْتُ: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟».

قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَــجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**» [رواه البخاري ومسلم].

شجرة المفاصلة:

شــهدت كيف يُتمم استقلال الوسيلة عند المسلم استقلال الهدف، وذلك

لما تبع مشركٌ جيش المهاجرين والأنصار حين سيره نحو بدر، يريد أن يقاتل معهم، حميةً ونصرةً لقومه، فلما وصلوا شجرة ضخمة كانت مَعْلمًا في الطريق لحق بهم، فالتفت إليه النبي ﷺ وقال: «**ارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ**».

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قِبَلَ بَدْرٍ، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ، وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟**» قَالَ: «لَا»، قَالَ: «**فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ**».

قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: «**فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ**»، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: «**تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟**» قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَانْطَلِقْ**» [رواه مسلم].

وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾** [الأعراف: ١٣٨] **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» [رواه أحمد والترمذي والطبراني، وصححه الألباني].

(لَمَّا خَرَجَ) أَيْ عَنْ مَكَّةَ. (إِلَى حُنَيْنٍ) مَوْضِعٌ بَيْنَ الطَّائِفِ وَمَكَّةَ. (يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ): هِيَ اِسْمُ شَجَرَةٍ بِعَيْنِهَا كَانَتْ لِلْمُشْرِكِينَ يَنُوطُونَ بِهَا سِلَاحَهُمْ أَيْ يُعَلِّقُونَهُ بِهَا وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا فَسَأَلُوهُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ مِثْلَهَا فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ. (سُبْحَانَ اللهِ) تَنْزِيهًا وَتَعَجُّبًا. (هَذَا) أي هَذَا الْقَوْلُ مِنْكُمْ. (لَتَرْكَبُنَّ) أي لَتَتَّبِعُنَّ. (سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) السُّنَّةُ الطَّرِيقَةُ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ سَيِّئَةً، وَالْمُرَادُ هُنَا طَرِيقَةُ

أَهْلِ الْهَوَاءِ وَالْبِدَعِ الَّتِي اِبْتَدَعُوهَا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِمْ مِنْ تَغْيِيرِ دِينِهِمْ وَتَحْرِيفِ كِتَابِهِمْ كَمَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ.

وَفِي هَذَا مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ.



١١٩- أشجارٌ وأشجار

بركة المؤمن كبركة بعض الشجر:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ جُلُوسٌ إِذَا أُتِيَ بِجُمَّارِ نَخْلَةٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِ؟**». فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِي النَّخْلَةَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ الْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشَرَةٍ أَنَا أَحْدَثُهُمْ؛ فَسَكَتُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**» [رواه البخاري].

وَبَرَكَة النَّخْلَة مَوْجُودَة فِي جَمِيع أَجْزَائِهَا، مُسْتَمِرَّة فِي جَمِيع أَحْوَالهَا، فَمِنْ حِين تَطْلُع إِلَى أَنْ تَيْبَس تُؤْكَل أَنْوَاعًا، ثُمَّ بَعْد ذَلِكَ يُنْتَفَع بِجَمِيعِ أَجْزَائِهَا، حَتَّى النَّوَى فِي عَلْف الدَّوَابّ وَاللِّيف فِي الْحِبَال وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا لَا يَخْفَى، وَكَذَلِكَ بَرَكَة الْمُسْلِم عَامَّة فِي جَمِيع الْأَحْوَال، وَنَفْعه مُسْتَمِرّ لَهُ وَلِغَيْرِهِ حَتَّى بَعْد مَوْته.

شجرة من يقطين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات].

هـذا ثناء من الله تعالى، على عبده ورسوله، يونس بن متى، كما أثنى على إخوانه المرسلين، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وذكر تعالى عنه، أنه عاقبه عقوبة دنيوية، أنجاه منها بسبب إيمانه وأعماله الصالحة، فقال: ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ أي:

هرب من قومه بغير إذن من ربه، يقال: أبق العبد: إذا هرب من سيده فهو آبق.

﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ أي: هـرب مـن قومـه إلـى الفلـك الملـيء بالناس والأمتعة، فلما ركب مع غيره، والفلك شـاحن، ثقلت السـفينة، فاحتاجوا إلى إلقـاء بعض الركبان، وكأنهـم لم يجدوا لأحد مزية في ذلـك، فاقترعوا على أن مـن قـرع وغلب، ألقـي في البحر عدلا من أهـل السـفينة، وإذا أراد الله أمرا هيَّأ أسبابه.

﴿فَسَاهَمَ﴾ أي: فقـارع مـن في السـفينة بالسـهام، يقال: اسـتهم القـوم إذا اقترعـوا ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ أي: مـن المغلوبيـن حيث وقعـت عليه القرعة دون سواه.

فألقـي في البحر ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ﴾ وقت التقامـه ﴿مُلِيمٌ﴾ أي: فاعل ما يلام عليه. ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ أي: في وقته السـابق بكثرة عبادته لربه وتسـبيحه وتحميده، وفي بطن الحوت حيث قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لكانت مقبرته، ولكن بسـبب تسـبيحه وعبادتـه لله ﷻ، نجـاه الله، وكذلـك ينجـي الله المؤمنيـن، عنـد وقوعهـم في الشدائد.

﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ بأن قذفه الحوت من بطنه بالعراء، وهي الأرض الخالية العارية من كل أحد، بل ربما كانت عارية من الأشجار والظلال. ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ أي: قد سقم ومرض، بسبب حبسه في بطن الحوت.

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ تظلـه بظلها الظليل، لأنهـا باردة الظلال، ولا يسقط عليها ذباب، وهذا من لطفه به، وبره.

واليقطين: يطلق على كل شجر لا يقوم على ساق، كالبطيخ والقثاء والقرع

وهو مأخوذ من قطن بالمكان إذا أقام به.

وقد قالوا إن المراد بهذه الشجرة، هي شجرة القرع، وقيل غير ذلك.

ثم لطف به لطفا آخر، وامْتَنَّ عليه مِنّة عظمى، وهو أنه أرسله ﴿ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ ﴾ من الناس ﴿أَوْ يَزِيدُونَ ﴾عنها، والمعنى أنهم إن ما زادوا لم ينقصوا، فدعاهم إلى الله تعالى.

﴿فَآمَنُوا ﴾فصاروا في موازينه، لأنه الداعي لهم.

﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ بأن صرف الله عنهم العذاب بعدما انعقدت أسبابه، قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ [يونس: ٩٨].

شجرة مباركة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[النور: ٣٥].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

قَوْلُهُ: (كُلُوا الزَّيْتَ) أَيْ مَعَ الْخُبْزِ وَاجْعَلُوهُ إِدَامًا. (وَادَّهِنُوا بِهِ) أَمْرٌ مِنْ الِادِّهَانِ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ، وَهُوَ اِسْتِعْمَالُ الدُّهْنِ. يقال ادَّهَنَ رأسه: أي طلاه بالدهن وتولى ذلك بنفسه، ولا يخفى أنه لا يختص بالرأس ولا يشترط التولي بالنفس.

(فَإِنَّهُ) أَيْ الزَّيْتَ يَحْصُلُ. (مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ) يَعْنِي زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا

غَرْبِيَّـةٍ يَـكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْـهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ، ثُـمَّ وَصَفَهَا بِالْبَرَكَةِ لِكَثْرَةِ مَنَافِعِهَا وَانْتِفَاعِ أَهْلِ الشَّامِ بِهَا كَذَا قِيلَ، وَالْأَظْهَرُ لِكَوْنِهَا تَنْبُتُ فِي الْأَرْضِ الَّتِـي بَارَكَ اللهُ فِيهَـا لِلْعَالَمِينَ. وَيَلْزَمُ مِنْ بَرَكَةِ هَذِهِ الشَّـجَرَةِ بَرَكَـةُ ثَمَرَتِهَا وَهِيَ الزَّيْتُونُ وَبَرَكَةُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَهُوَ الزَّيْتُ.

الشجر وكلام الله ﷻ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[لقمان: ٢٧].

أخبر عن سعة كلامه وعظمة قوله، بشرح يبلغ من القلوب كل مَبلغ، وتنبهر له العقول، وتَحِير فيه الأفئدة، وتسـيح في معرفته أولو الألباب والبصائر، فقال تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ يكتب بها ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ مدادًا يستمد بها، لتكسـرت تلك الأقلام ولفنـي ذلك المداد، ولـم تنفد ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ تعالى.

وهـذا التمثيل من بـاب تقريب المعنى، الـذي لا يطاق الوصـول إليه إلى الأفهـام والأذهان، وإلا فالأشـجار وإن تضاعفت على ما ذُكِـر أضعافًا كثيرة، والبحور لو امتـدت بأضعاف مضاعفة، فإنه يتصـور نفادها وانقضاؤها لكونها مخلوقة.

وأمـا كلام الله تعالـى، فلا يُتَصَوَّر نفاده، بل دلنا الدليل الشـرعي والعقلي، علـى أنه لا نفاد له ولا منتهى، وكل شـيء ينتهـي إلا الباري وصفاته ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٤٢].

وإذا تصور العقل حقيقة أوليته تعالى وآخريته، وأنه كل ما فرضه الذهن من الأزمان السـابقة، مهما تسلسل الفرض والتقدير، فهو تعالى قبل ذلك إلى غير نهاية، وأنه مهما فرضه الذهن والعقل، من الأزمان المتأخرة، وتسلسل الفرض

والتقدير، وساعد على ذلك مَن ساعد، بقلبه ولسانه، فالله تعالى بعد ذلك إلى غير غاية ولا نهاية.

والله في جميع الأوقات يحكم ويتكلم ويقول، ويفعل كيف أراد وإذا أراد لا مانع له من شيء من أقواله وأفعاله، فإذا تصور العقل ذلك عرف أن المثل الذي ضربه الله لكلامه ليدرك العباد شيئًا منه، وإلا فالأمر أعظمُ وأجَلّ.

ثم ذكر جلالة عزته وكمال حكمته فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: له العزة جميعا، الذي ما في العالم العلوي والسفلي من القوة إلا منه، أعطاها للخلق، فلا حول ولا قوة إلا به، وبعزته قهر الخلق كلهم وتصرف فيهم ودبرهم، وبحكمته خلق الخلق وابتدأه بالحكمة، وجعل غايته والمقصود منه الحكمة، وكذلك الأمر والنهي وجد بالحكمة، وكانت غايته المقصودة الحكمة، فهو الحكيم في خلقه وأمره.

شجرة الابتلاء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة].

لَّما خلق الله آدم وفَضَّلَه ; أَتَمَّ نِعْمَته عليه ; بأنْ خلق منه زوجة ليسكن إليها ; ويستأنس بها ; وأمرهما بسكنى الجنة ; والأكل منها رغدا ; أي: واسعًا هنيئا، ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي: من أصناف الثمار والفواكه.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ نوع من أنواع شجر الجنة ; الله أعلم بها، وإنما نهاهما عنها امتحانًا وابتلاءً أو لحكمةٍ غير معلومةٍ لنا ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ دلَّ على أن النهي للتحريم ; لأنه رتب عليه الظلم.

فلم يزل عدوُّهما يوسْوِس لهما ويزين لهما تناول ما نهيا عنه ; حتى أزلهما، أي: حملهما على الزلل بتزيينه، ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾ بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ فاغترا به وأطاعاه ; فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم والرغد ; وأهبطوا إلى دار التعب والنصب والمجاهدة.

﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ ﴾ أي: آدم وذريته ; أعداءً لإبليس وذريته، ومن المعلوم أن العدو يجد ويجتهد في ضرر عدوه وإيصال الشر إليه بكل طريق ; وحرمانه الخير بكل طريق، ففي ضمن هذا تحذير بني آدم من الشيطان كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦]، ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾ [الكهف: ٥٠].

ثم ذكر منتهى الإهباط إلى الأرض، فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ ﴾ أي: مسكن وقرار، ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ انقضاء آجالكم، ثم تنتقلون منها للدار التي خُلِقْتُم لها، وخُلِقَتْ لكم، ففيها أن مدة هذه الحياة، مؤقتة عارضة، ليست مسكنًا حقيقيًّا، وإنما هي معبر يتزود منها لتلك الدار، ولا تعمر للاستقرار.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ ﴾ أي: تلقف وتلقن، وألهمه الله ﴿مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ ﴾ وهي قوله تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣]، فاعترف بذنبه وسأل الله مغفرته ﴿فَتَابَ ﴾ الله ﴿عَلَيۡهِۚ ﴾ ورحمه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ لمن تاب إليه وأناب. وتوبته نوعان: توفيقه أولا ثم قبوله للتوبة إذا اجتمعت شروطها ثانيًا.

﴿ٱلرَّحِيمُ ﴾ بعباده، ومن رحمته بهم، أنْ وفَّقهم للتوبة، وعفا عنهم وصفح.

شجرة الزقوم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات].

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ أي: ذلـك النعيـم الـذي وصفنـاه لأهل الجنـة خير، أم العـذاب الذي يكـون في الجحيم من جميـع أصناف العذاب؟ فـأي الطعامين أولـى؟ الذي وصـف في الجنة ﴿أَمْ﴾ طعام أهل النـار؟ وهو ﴿شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً﴾ أي عذابًا ونكالًا ﴿لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: وسـطه فهذا مخرجها، ومعدنها أشـر المعادن وأَسْوَؤُها، وشـر المغرس، يدل على شر الغراس وخِسَّتِه، ولهذا نبهنـا الله على شـرها بمـا ذكر أين تنبـت به، وبما ذكـر من صفـة ثمرتها، وأنها كـ ﴿رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ فلا تسـأل بعد هذا عـن طعمها، وما تفعـل في أجوافهم وبطونهم، وليس لهم عنها مندوحة ولا معدل.

ولهـذا قـال: ﴿فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ فهـذا طعام أهـل النار، فبئـس الطعـام طعامهم، ثم ذكـر شـرابهم فقـال: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ أي: على أثـر هـذا الطعـام ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: ماء حـارا، قد انتهى، كما قـال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، وكما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ أي: مآلهـم ومقرهـم ومأواهـم ﴿لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ ليذوقوا من عذابه الشديد، وحره العظيم، ما ليس عليه مزيد من الشقاء.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان].

الآثمون بعمل الكفر والمعاصي طعامهم {شَجَرَةَ الزَّقُّومِ} شر الأشجار وأفظعها وأن طعمها ﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ أي: كالصديد المنتن خبيث الريح والطعم، شديد الحرارة يغلي في بطونهم ﴿كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ﴾ ويقال للمعذب: ﴿ذُقۡ﴾ هذا العذاب الأليم والعقاب الوخيم ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ أي: بزعمك أنك عزيز ستمتنع من عذاب الله وأنك كريم على الله لا يصيبك بعذاب، فاليوم تبين لك أنك أنت الذليل المهان الخسيس. ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ العذاب العظيم ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ﴾ أي: تَشُكّون فالآن صار عندكم حق اليقين.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ (٤٩) لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ (٥١) لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ (٥٢) فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ (٥٣) فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ (٥٤) فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة].

﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن طريق الهدى، التابعون لطريق الردى ﴿ٱلۡمُكَذِّبُونَ﴾ بالرسول ﷺ وما جاء به من الحق والوعد والوعيد ﴿لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ﴾ وهو أقبح الأشجار وأخَسُّها، وأنْتَنِها رِيحًا، وأبْشَعِها منظرًا ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ﴾ والذي أوجب لهم أكلها - مع ما هي عليه من الشناعة - الجوع المفرط، الذي يلتهب في أكبادهم وتكاد تنقطع منه أفئدتهم. هذا الطعام الذي يدفعون به الجوع، وهو الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

وأما شرابهم، فهو بئس الشراب، وهو أنهم يشربون على هذا الطعام من الماء الحميم الذي يغلي في البطون شرب الإبل الهيم أي: العِطَاش، التي قد اشتد عطشها، أو أن ﴿ٱلۡهِيمِ﴾ داء يصيب الإبل، لا تروى معه من شراب الماء.

﴿هَٰذَا﴾ الطعام والشراب ﴿هَٰذَا﴾ أي: ضيافتهم ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ وهي الضيافة التي قدموها لأنفسهم، وآثروها على ضيافة الله ﷻ لأوليائه.

شجرة في الجنة:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ، لَا يَقْطَعُهَا**» [رواه البخاري ومسلم].

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ، مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا**» [رواه البخاري ومسلم].

(الْمُضَمَّرُ) الَّذِي ضُمِّرَ لِيَشْتَدَّ جَرْيُهُ.

(أضمر فرسَه): جعله يضمُر؛ أركضه في الميدان حتى يقلّ لحْمُه.

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**مَا فِى الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلاَّ وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»**.

فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: «أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا»، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا»، فَيَقُولُ: «لَا، يَا رَبِّ»، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا.

ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: «أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا»، فَيَقُولُ: «يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا»، فَيَقُولُ: «لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا»، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا.

ثُـمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَـجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَـنُ مِنَ الْأُولَيَيْـنِ، فَيَقُولُ: «أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِـي مِنْ هَذِهِ لِأَسْـتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْـرَبَ مِـنْ مَائِهَا، لَا أَسْـأَلُكَ غَيْرَهَا»، فَيَقُـولُ: «يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْـأَلَنِي غَيْرَهَا»، قَالَ: «بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْـأَلُكَ غَيْرَهَا»، وَرَبُّـهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَـا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْـمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: «أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا»، فَيَقُولُ: «يَا ابْنَ آدَمَ مَـا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَـا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟»، قَالَ: «يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟».

فَضَحِـكَ ابْنُ مَسْـعُودٍ، فَقَالَ: «أَلَا تَسْـأَلُونِي مِـمَّ أَضْحَـكُ؟»، فَقَالُوا: «مِمَّ تَضْحَكُ»، قَالَ: «هَكَذَا ضَحِكَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُـولَ اللهِ؟»، قَـالَ: **«مِنْ ضَحِـكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْـتَهْزِئُ مِنِّـي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»** [رواه مسلم].

وفي روايـة لمسـلم أيضًـا: **«وَيُذَكِّرُهُ اللهُ، سَـلْ كَذَا وَكَـذَا، فَـإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ: «هُوَ لَكَ وَعَشَـرَةُ أَمْثَالِهِ»، ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِـنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَتَقُولَانِ: «الْحَمْدُ لِلـهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ»، فَيَقُولُ: «مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ»**.

(يَكْبُو) يَسْقُطُ عَلَى وَجْهِهِ. (تَسْفَعُهُ) تَضْرِبُ وَجْهَهُ وَتُسَوِّدُهُ وَتُؤَثِّرُ فِيهِ أَثَرًا. (يَـا ابْنَ آدَمَ مَـا يَصْرِينِي مِنْكَ؟) المعنى أَيُّ شـئ يُرْضِيكَ وَيَقْطَعُ السُّـؤَالَ بَيْنِي وَبَيْنِكَ.

(زَوْجَتَاهُ) تثنية زوجة.

عَـنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْـعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: **«إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْـلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِـرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، رَجُـلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْـوًا، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَـهُ: «اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ»، فَيَأْتِيهَـا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ**

أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى»، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: «اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ»، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى»، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: «اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا -»، فَيَقُولُ: «أَتَسْخَرُ بِي - أَوْ أَتَضْحَكُ بِي - وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟».

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: «فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً» [رواه مسلم].

شجرة الحِلم:

ينبغي للمسلم أن يمتثل لهذه الحكمة (كونوا كالشجر، يرميه الناس بالحجر، ويرميهم بالثمر). فقد يكون المؤمن مثمرًا ويكون ثمره الإيمان وحسن السلوك، ورَدّ الفعل هو من ثمره حتمًا فهدوء يقابل السفه، وطيبة تقابل الخبث، والمؤمن ليس من صفاته الغفلة، لكن بعض الناس إن ضربت الأشجار فإنما تضربها حُبًّا للثمر.

قال أحد الحكماء: «ثلاثة لا يُعرفون إلّا عند ثلاثة: لا يعرف الحليم إلّا عند الغضب، ولا الشّجاع إلّا عند الحرب، ولا الأخ إلّا عند الحاجة إليه».

لا يبلُغُ المجْدَ أقوامٌ وإنْ كرمُوا ... حتّى يُذلّوا - وإن عزّوا - لأقوامِ

ويُشتَموا فترَى الألوانَ مُسفِرَةً ... لا صفْحَ ذُلٍّ ولكنْ صفحَ أحلامِ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ أي: لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في

وصفها، ولا في جزائها، ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخَلْق، خصوصًا مَن له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءةً بالقول أو بالفعل، فقابِلْهُ بالإحسان إليه، فإن قطَعَك فَصِلْهُ، وإن ظلمك، فاعْفُ عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابِلْه، بل اعْفُ عنه، وعامِلْهُ بالقول اللين، وإن هجرك، وترك خطابك، فَطيِّبْ له الكلام، وابْذُل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة.

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: كأنه قريب شفيق.

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾ أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ نفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟

فإذا صبَّر الإنسان نفسه، وامتثل أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله، لا يفيده شيئًا، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذًا مستحليًا له.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق.

شجرة الاغتفار:

وهي شجرة عنب كثيرة الثمر، فكان غارسها إذا مَرَّ به صديق له: «اقتطف عنقودًا ودعاه، فيأكله وينصرف شاكرًا».

فلما كان اليوم العاشر قالت امرأة صاحب الشجرة لزوجها: «ما هذا من أدَب الضيافة، ولكن أرى إن دعوْتَ أخاك، فأكل النصف، مددتَ يدك معه مشاركًا، إيناسًا له، وتبَسُّطًا وإكرامًا». فقال: «لأفعلن ذلك غدًا».

فلما كان الغد، وانتصف الضيف في أكْلِه مدّ الرجل يده وتناول حَبّة، فوجدها حامضةً لا تُساغ، وتفَلَها، وقطّب حاجبيه، وأبدى عَجَبه مِن صبْر ضيفه على أكل أمثالها.

فقال الضيف: «قد أكلتُ مِن يدك، من قَبلُ على مر الأيام حُلوًا كثيرًا، ولم أحب أن أرِيَكَ مِن نفسي كراهة لهذا تشوب في نفسك عطاءك السالف».

وهذه القصة مَثَلٌ ضُرب لك أيها المسلم فاستمع له، ومجاز تدلف منه إلى العدل مفتوح أمامك. فليس فيمَن حولك من انبغت له العصمة واستقام له الصواب، فإن أخطأ معك أخ لك فلا تجرمنَّك كبوته على الهجران، والتأفف، والضجر والانتقاص منه، بل ولا على العتاب، إنما تتصبر، وتكظم وتعفو في سرك مستحضرًا جمال سابقاته، وجياد أفعاله، وحلو مكرماته، إذ لعله قد أعانك على توبة أو ظاهرك عند تعلمك رديفًا ورفيقًا وسميرًا، أو علّمك بابًا مما علّمه الله وطريفه.

شجرة الزهد:

وهي شجرة قلبية فريدة، غرسها صاحبها فقال:

غَرسَ الزهدُ بقلبِي شجرَهْ ... بعْدَ أنْ نقّى بجُهْدٍ حَجَرَه

وسَقاها إثْرَ ما أَودَعَها ... كَبِدَ الأرضِ بدمْعٍ فَجَّرَه

ومتى أبصرَ طيرًا مُفسِدًا ... حائمًا حَولَ حِماها زَجَرَه

نِمْتُ في ظلٍ ظليلٍ تحتَها ... رَوَّح القَلبُ ونَحَّى ضَجَرَهْ

ثُمَّ بايَعْتُ إلهي وكذَا ... بيعةُ الرضوانِ تحتَ الشجرةْ

فانظـروا أطـوار رعايته لها، وعنايته بها، وكيف بـدأ بتطهير قلبه مما هنالك من أحجار الحسـد والرياء والتكبر وسـوء الظن، وكيف سقاها بدموع الخشية في الأثـلاث الأخيـرة، وكيف زجر شـياطين الإنـس والجن لمـا حامت حول بذرتهـا تبغي التقاطهـا، فقَلِّده، وافعل فعله: تورق لك أختهـا، وتتفتّح لك منها الزهور بألوان وعطور، فتنام تحتها كما نام، تستشعر شعور أهل بيعة الرضوان، وكأنـك فيهـم ومعهـم، تغمرك نشـوة البيعـة على المـوت في سـبيل الله دفاعًا عن الإسلام.



١٢٠- بيتٌ في الجنة (١)

صفة أبنية وخيام الجنة:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْنَا: «يَا رَسُولَ اللهِ، حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ، مَا بِنَاؤُهَا ؟» قَالَ: «**لَبِنَةُ ذَهَبٍ وَلَبِنَةُ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

(المِلاط) الجصُّ ونحوه مما تتصل به اللَّبنات. (الأَذْفَر) طيِّب الريح.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمِ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا**» [رواه مسلم].

واذا كان طولها فى السماء ستين ميلًا، أى فى الارتفاع كما ذكر فى الحديث، فما ظنك بطولها فى الأرض وعرضها.

ألف قصر للنبي صلى الله عليه وسلم في الجنة:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «عُرِضَ عَلَيَّ مَا هُوَ مَفْتُوحٌ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي، فَسَرَّنِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى]، أَعْطَاهُ اللهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَ قَصْرٍ، مِنْ لُؤْلُؤٍ، تُرَابُهَا الْمِسْكُ، فِي كُلِّ قَصْرٍ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ الْوِلْدَانِ وَالْخَدَمِ» [رواه الطبراني، وصححه الألباني].

---

(١) بتصرف من: ابْنِ لكَ بيتًا في الجنة، لماجد إسلام البنكاني.

امرأة فرعون يستجيب الله دعاءها أن يبني لها بيتًا في الجنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ فِرْعَوْنَ، أَوْتَدَ لِامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ فِي يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا، فَكَانَ إِذَا تَفَرَّقُوا عَنْهَا ظَلَّلَتْهَا الْمَلَائِكَةُ، فَقَالَتْ: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]، فَكَشَفَ لَهَا عَنْ بَيْتِهَا فِي الْجَنَّةِ. [رواه أبو يعلى الموصلي في مُسنَده، وصححه الألباني].

وعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ تُعَذَّبُ بِالشَّمْسِ، فَإِذَا انْصَرَفُوا عَنْهَا أَظَلَّتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا، وَكَانَتْ تَرَى بَيْتَهَا فِي الْجَنَّةِ» [رواه الحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، والألباني].

لأم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بيت في الجنة من لؤلؤ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ». [رواه البخاري ومسلم].

(مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ) شَكٌّ مِن الراوي.

(بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ) بَيْتٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ مُجَوَّفٌ وَاسِعٌ كَالْقَصْرِ الْمُنِيفِ. وَالْقَصَبُ مِنْ الْجَوْهَرِ: مَا اِسْتَطَالَ مِنْهُ فِي تَجْوِيفٍ. (لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ) الصَّخَبُ: الصِّيَاحُ وَالْمُنَازَعَةُ بِرَفْعِ الصَّوْتِ، وَالنَّصَبُ: التَّعَبُ.

قصر في الجنة لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: «لِمَنْ هَذَا؟»، فَقَالُوا: «لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»، فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا**». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «فَبَكَى عُمَرُ،

وَنَحْنُ جَمِيعًا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: «بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟» [رواه مسلم].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقُلْتُ**: «لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟»، **قَالُوا**: «لِشَابٍّ مِنْ قُرَيْشٍ»، **قُلْتُ**: «لِمَنْ؟»، **قَالُوا**: «لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»، قَالَ: «**فَلَوْلَا مَا عَلِمْتُ مِنْ غَيْرَتِكَ لَدَخَلْتُهُ**»، فَقَالَ عُمَرُ: «عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَغَارُ» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

وفي رواية عند الإمام أحمد: «**فَأَتَيْتُ عَلَى قَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُرَبَّعٍ، فَقُلْتُ**: «لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟»، **قَالُوا**: «لِرَجُلٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ»، **قُلْتُ**: «فَأَنَا مُحَمَّدٌ، لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟»، **قَالُو**: «لِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ»، **قُلْتُ**: «أَنَا عَرَبِيٌّ، لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟»، **قَالُوا**: «لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ»، **قُلْتُ**: «فَأَنَا قُرَشِيٌّ، لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟»، **قَالُوا**: «لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

غرف للذين آمنوا وعملوا الصالحات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت].

أي: والذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحات، لننزلنهم من الجنة غرفا عالية فخمة. هذه الغرف من صفاتها أنها تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ زيادة في إكرام أصحابها، وفضلًا عن ذلك فقد جعلناهم خالِدِينَ فِيها خلودًا أبديًّا.

والغرف جمع غرفة، والمراد القصور العالية في الجنة.

فـ ﴿ نِعْمَ ﴾ تلك المنازل، في جنات النعيم ﴿أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ لله. أى: نعم أجر العاملين، أجر هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ

رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي الَّذِينَ من مناقبهم الجليلة أنهم يصبرون على طاعة الله ﷻ، وعلى كل ما يحسن معه الصبر، وأنهم يفوضون أمورهم إلى خالقهم لا إلى غيره.

فصبرهم على عبادة الله، يقتضي بذل الجهد والطاقة في ذلك، والمحاربة العظيمة للشيطان، الذي يدعوهم إلى الإخلال بشيء من ذلك، وتوكلهم، يقتضي شدة اعتمادهم على الله، وحسن ظنهم به، أن يحقق ما عزموا عليه من الأعمال ويكملها، ونص على التوكل، وإن كان داخلا في الصبر، لأنه يحتاج إليه في كل فعل وترك مأمور به، ولا يتم إلا به.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].

فليست الأموال والأولاد بالتي تقرب إلى الله زلفى وتدني إليه، وإنما الذي يقرب منه زلفى، الإيمان بما جاء به المرسلون، والعمل الصالح الذي هو من لوازم الإيمان، فأولئك لهم الجزاء عند الله تعالى مضاعفا الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، لا يعلمها إلا الله، {وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} أي: في المنازل العاليات المرتفعات جدًّا، ساكنين فيها مطمئنين، آمنون من المُكَدِّرات والمُنَغِّصَاتِ، لما هم فيه من اللذات، وأنواع المشتهيات، وآمنون من الخروج منها والحزن فيها.

غرف مبنية في الجنة للمتقين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [الزمر].

أي: أفمن وجبت عليه كلمة العذاب باستمراره على غيه وعناده وكفره،

فإنه لا حيلة لك في هدايته، ولا تقدر تنقذ من في النار لا محالة، لكن الغِنَى كل الغنى والفوز كل الفوز، للمتقين الذين أعد لهم من الكرامة وأنواع النعيم ما لا يقادر قدره.

﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ أي: منازل عالية مزخرفة، ﴿مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ أي: بعضها فوق بعض ﴿مَّبْنِيَّةٌ﴾ بذهب وفضة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ المتدفقة، المسقية للبساتين الزاهرة والأشجار الطاهرة، فتغل بأنواع الثمار اللذيذة، والفاكهة النضيجة ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ وقد وعد المتقين هذا الثواب، فلا بد من الوفاء به، فليوفوا بخصال التقوى، ليوفيهم أجورهم.

غرف في الجنة لعباد الرحمن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان].

العبودية لله نوعان:

عبودية لربوبيته فهذه يشترك فيها سائر الخلق مُسلِمُهُم وكافِرُهم، بَرُّهُم وفاجِرُهم، فكلهم عبيد لله مربوبون مدبرون ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

وعبودية لألوهيته وعبادته ورحمته، وهي عبودية أنبيائه وأوليائه، وهي المراد هنا ولهذا أضافها إلى اسمه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، فذكر أن صفاتهم أكمل الصفات ونعوتهم أفضل النعوت، فوصفهم بأنهم ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: ساكنين متواضعين لله والخلق فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ أي: خطاب جهل ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي: خاطبوهم خطابا يسلمون فيه من الإثم ويسلمون من مقابلة الجاهل بجهله. وهذا مدح لهم بالحلم الكثير ومقابلة المسيء بالإحسان والعفو عن الجاهل ورزانة العقل الذي أوصلهم إلى هذه الحال.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ أي: يكثرون من صلاة الليل مخلصين فيها لربهم متذللين له.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ أي: ادفعه عنا بالعصمة من أسبابه ومغفرة ما وقع منا مما هو مقتض للعذاب ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: ملازما لأهلها بمنزلة ملازمة الغريم لغريمه.

﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ وهذا منهم على وجه التضرع لربهم، وبيان شدة حاجتهم إليه وأنهم ليس في طاقتهم احتمال هذا العذاب، وليتذكروا منة الله عليهم، فإن صرف الشدة بحسب شدتها وفظاعتها يعظم وقعها ويشتد الفرح بصرفها.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ ﴾ النفقات الواجبة والمستحبة ﴿ لَمْ يُسْرِفُواْ ﴾ بأن يزيدوا على الحد فيدخلوا في قسم التبذير وإهمال الحقوق الواجبة، ﴿ وَلَمْ يَقْتُرُواْ ﴾ فيدخلوا في باب البخل والشح ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ بين الإسراف والتقتير ﴿قَوَامًا﴾ يبذلون في الواجبات من الزكوات والكفارات والنفقات الواجبة، وفيما ينبغي على الوجه الذي ينبغي من غير ضرر ولا ضرار وهذا من عدلهم واقتصادهم.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ بل يعبدونه وحده مخلصين له الدين حنفاء مقبلين عليه معرضين عما سواه. ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ وهي نفس المسلم والكافر المعاهد، ﴿ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ كقتل النفس بالنفس وقتل الزاني المحصن والكافر الذي يحل قتله.

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ بل يحفظون فروجهم ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الشرك بالله أو قتل النفس التي حرم الله بغير حق أو الزنا فسوف ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ ثم فسره بقوله: ﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ﴾ أي: في العذاب ﴿ مُهَانًا ﴾ فالوعيد بالخلود لمن فعلها كلها ثابت لا شك فيه وكذا لمن أشرك بالله، وكذلك الوعيد بالعذاب الشديد على كل واحد من هذه الثلاثة لكونها إما شرك وإما من أكبر الكبائر.

وأما خلود القاتل والزاني في العذاب فإنه لا يتناوله الخلود لأنه قد دلت النصوص القرآنية والسنة النبوية أن جميع المؤمنين سيخرجون من النار ولا يخلد فيها مؤمن ولو فعل من المعاصي ما فعل، ونص على هذه الثلاثة لأنها من أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأعراض.

﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ عن هذه المعاصي وغيرها بأن أقلع عنها في الحال وندم

علـى مـا مضى له مـن فعلها وعزم عزمـا جازما أن لا يعـود، ﴿وَءَامَنَ﴾ بالله إيمانـا صحيحا يقتضي ترك المعاصي وفعل الطاعات ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ مما أمر به الشارع إذا قصد به وجه الله.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ أي: تتبدل أفعالهم وأقوالهم التي كانت مستعدة لعمل السيئات تتبدل حسنات، فيتبدل شركهم إيمانًا ومعصيتهم طاعـة وتتبدل نفس السـيئات التي عملوهـا ثم أحدثوا عن كل ذنـب منها توبة وإنابة وطاعة تبدل حسنات كما هو ظاهر الآية.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لمن تاب يغفر الذنوب العظيمة ﴿رَّحِيمًا﴾ بعباده حيث دعاهم إلى التوبة بعد مبارزته بالعظائم ثم وفقهم لها ثم قبلها منهم.

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: فليعلـم أن توبته في غاية الكمال لأنها رجوع إلى الطريق الموصل إلى الله الذي هو عين سعادة العبد وفلاحه فليخلص فيها وليخلصها من شـوائب الأغراض الفاسـدة، فالمقصود من هـذا الحث على تكميل التوبة وإيقاعها على أفضـل الوجوه وأجلها ليقدم على من تاب إليه فيوفيه أجره بحسب كمالها.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي: لا يحضـرون الزور أي: القول والفعل المحرم، فيجتنبون جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمـة، كالخـوض في آيات الله والجـدال الباطل والغيبة والنميمة والسب والقذف والاسـتهزاء والغناء المحرم وشـرب الخمر وفرش الحرير، والصور ونحو ذلك، وإذا كانوا لا يشـهدون الزور فمن باب أولى وأحرى أن لا يقولوه ويفعلوه.

وشهادة الزور داخلة في قول الزور تدخل في هذه الآية بالأولوية.

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ﴾ وهـو الـكلام الـذي لا خيـر فيـه ولا فيـه فائـدة دينيـة

ولا دنيوية ككلام السفهاء ونحوهم ﴿مَرُّواْ كِرَامًا﴾ أي: نزهوا أنفسهم وأكرموها عن الخوض فيه ورأوا أن الخوض فيه وإن كان لا إثم فيه فإنه سفه ونقص للإنسانية والمروءة فربئوا بأنفسهم عنه.

وفي قوله: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ﴾ إشارة إلى أنهم لا يقصدون حضوره ولا سماعه، ولكن عند المصادفة التي من غير قصد يكرمون أنفسهم عنه.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ التي أمرهم باستماعها والاهتداء بها، ﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي لم يقابلوها بالإعراض عنها والصمم عن سماعها وصرف النظر والقلوب عنها كما يفعله من لم يؤمن بها ولم يصدق، وإنما حالهم فيها وعند سماعها أنهم يقابلونها بالقبول والافتقار إليها والانقياد والتسليم لها، وتجد عندهم آذانا سامعة وقلوبا واعية فيزداد بها إيمانهم ويتم بها إيقانهم، وتُحدث لهم نشاطًا ويفرحون بها سرورا واغتباطًا.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا﴾ أي: قرنائنا من أصحاب وأقران وزوجات، ﴿وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أي: تقر بهم أعيننا، فتُسَرُّ عيوننا بهم، وتنشرح نفوسنا برؤيتهم، وتسكن قلوبنا وتطمئن لوجودهم، لأنهم أتقياء صالحون مهتدون.

فإذا استقرأنا حال عباد الرحمن وصفاتهم عرفنا من هممهم وعلو مرتبتهم أنهم لا تقر أعينهم حتى يروهم مطيعين لربهم عالمين عاملين وهذا كما أنه دعاء لأزواجهم وذرياتهم في صلاحهم فإنه دعاء لأنفسهم لأن نفعه يعود عليهم ولهذا جعلوا ذلك هبة لهم فقالوا: ﴿هَبْ لَنَا﴾ بل دعاؤهم يعود إلى نفع عموم المسلمين لأن صلاحَ من ذكر يكون سببًا لصلاح كثير ممن يتعلق بهم وينتفع بهم.

﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة الصديقين والكُمَّل من عباد الله الصالحين وهي درجة الإمامة في الدين

وأن يكونـوا قـدوة للمتقيـن في أقوالهـم وأفعالهم يقتـدى بأفعالهـم، ويطمئن لأقوالهم ويسير أهل الخير خلفهم فيهدون ويهتدون.

ومن المعلوم أن الدعاء ببلوغ شيء دعاء بما لا يتم إلا به، وهذه الدرجة - درجـة الإمامة في الدين - لا تتم إلا بالصبر واليقين كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ فهـذا الدعـاء يستلزم من الأعمال والصبر على طاعة الله وعن معصيته وأقداره المؤلمة ومن العلـم التام الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين خيرًا كثيرًا وعطاءً جزيلًا وأن يكونوا في أعلى ما يمكن من درجات الخلق بعد الرسل.

ولهـذا، لما كانـت هممهم ومطالبهـم عالية كان الجزاء مـن جنس العمل فجازاهم بالمنازل العاليـات فقال: ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أي: المنـازل الرفيعة والمسـاكن الأنيقة الجامعة لكل ما يشـتهى وتلذه الأعين وذلك بسبب صبرهم نالوا ما نالوا.

﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ مـن ربهم ومن ملائكته الكرام ومن بعض على بعض ويَسْلمون من جميع المنغصات والمكدرات.

غرف الجنة للذين آمنوا وصدقوا المرسلين:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**». قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُـمْ»، قَالَ: «**بَلَى وَالَّذِي نَفْسِـي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَـلِينَ**» (رواه البخاري ومسلم).

(يَتَـرَاءَوْنَ) يـرون وينظـرون ويتكلفـون لذلـك. (أَهْلَ الْغُـرَفِ) أصحاب المنـازل العاليـة والغرف جمع غرفة وهي العلية. (تتَـرَاءَوْنَ) أنتم يا أهل الدنيا

فيها: (الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ) نسبةً إلى الدُّرّ لصفاء لونه وخلوص نوره. (الْغَابِرَ) الذاهب أو الباقي بعد انتشار ضوء الفجر. (الْأُفُقِ) أطراف السماء. (لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ) لبعد منازل أهل الغرف وعلوها.

بَيْت فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ، وَبَيْت فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ وَبَيْتٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ:

وقال النَّبيّ ﷺ قال: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**» [رواه أبو داود، وحسّنه الألباني].

(أَنَا زَعِيم): أَيْ ضَامِن وَكَفِيل (بِبَيْتٍ): قَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْبَيْت هَا هُنَا الْقَصْر.

(فِي رَبَضِ الْجَنَّة): مَا حَوْلهَا خَارِجًا عَنْهَا تَشْبِيهًا بِالْأَبْنِيَةِ الَّتِي تَكُون حَوْل الْمُدُن وَتَحْت الْقِلَاع.

(الْمِرَاء): أَيْ الْجِدَال؛ كَسْرًا لِنَفْسِهِ كَيْلَا يَرْفَع نَفْسه عَلَى خَصْمه بِظُهُورِ فَضْله.

وعَنْ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «**أَنَا زَعِيمٌ** – وَالزَّعِيمُ الْحَمِيلُ – **لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَهَاجَرَ بِبَيْتٍ فِى رَبَضِ الْجَنَّةِ وَبِبَيْتٍ فِى وَسَطِ الْجَنَّةِ. وَأَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَجَاهَدَ فِى سَبِيلِ اللهِ بِبَيْتٍ فِى رَبَضِ الْجَنَّةِ وَبِبَيْتٍ فِى وَسَطِ الْجَنَّةِ وَبِبَيْتٍ فِى أَعْلَى غُرَفِ الْجَنَّةِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَمْ يَدَعْ لِلْخَيْرِ مَطْلَبًا وَلاَ مِنَ الشَّرِّ مَهْرَبًا يَمُوتُ حَيْثُ شَاءَ أَنْ يَمُوتَ**». [رواه النسائي، وصححه الألباني].

قَوْله (الْحَمِيل) أَيْ الْكَفِيل، وَالظَّاهِر أَنَّ تَفْسِير الزَّعِيم مُدْرَج مِنْ بَعْض الرُّوَاة.

(آمَنَ بِي) بِالْقَلْبِ (وَأَسْلَمَ) بِالظَّاهِرِ.

(مَطْلَبًا) أَيْ مَحَلَّ طَلَب، أَيّ مَا مِنْ مَكَان يَطْلُب فِيهِ الْخَيْر إِلَّا حَضَرَهُ وَطَلَب فِيهِ الْخَيْر وَأَخَذَ مِنْهُ حَظّه.

(مَهْرَبًا) أَيْ مَا مِنْ مَكَان يَهْرُب إِلَيْهِ مِنْ الشَّرّ وَيَلْجَأ إِلَيْهِ وَيَعْتَصِم بِهِ لِلْخَلَاصِ مِنْهُ إِلَّا هَرَبَ إِلَيْهِ وَاعْتَصَمَ بِهِ.

القتال في سبيل الله في الصف الأول، من أسباب دخول الغرف التي في الجنة:

سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ: «أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ؟»، فَقَالَ: «**الَّذِينَ إِنْ يُلْقَوْا فِي الصَّفِّ لَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْغُرَفِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني]. (يَتَلَبَّطُونَ: أي: يضطجعون ويتمرغون).

(وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ) ربنا يضحك متى شاء، كيف شاء، نؤمن بذلك ونصدّقه، ولا ندري كيفيته، ولسنا مطالَبين بأن ندري.

الذهاب إلى المسجد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**» [رواه البخاري ومسلم].

(غَدَا) ذهب. (رَاحَ) رجع. (أَعَدَّ اللهُ) أي هيأ (لَهُ نُزُلَهُ) مكانه وضيافته. فالنُزُل: ما يُهَيَّأ للضيف من كرامة عند قدومه. (كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ) أَيْ بِكُلِّ غَدْوَة وَرَوْحَة. فالذهاب والإياب إلى المسجد لكل صلاة يكون لك نزلًا في الجنة بإذن الله تعالى، فكيف لو ذهبت إلى المسجد في اليوم خمس مرات، فاحرص على هذا الأجر.

صلاة اثنتي عشرة ركعة في اليوم سبب لبناء بيت في الجنة:

عَـنْ أُمِّ حَبِيبَـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهَا قَالَتْ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُـولُ: «**مَـا مِنْ عَبْدٍ مُسْـلِمٍ يُصَلِّي لِلـهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْـرَةَ رَكْعَـةً تَطَوُّعًا، غَيْرَ فَرِيضَةٍ، إِلَّا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، أَوْ إِلَّا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ**» قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: «فَمَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ» [رواه مسلم].

وفي رواية عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَـالِمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَنْبَسَـةُ بْنُ أَبِي سُـفْيَانَ، فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِحَدِيثٍ يَتَسَـارُّ إِلَيْهِ، قَالَ: سَـمِعْتُ أُمَّ حَبِيبَةَ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَـةٍ، بُنِـيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ**»، قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: «فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَـمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُـولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم». وَقَالَ عَنْبَسَـةُ: «فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَـمِعْتُهُنَّ مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ»، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ: «مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَـمِعْتُهُنَّ مِنْ عَنْبَسَـةَ»، وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ: «مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ» [رواه مسلم].

وفي رواية عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ صَلَّى فِى يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بُنِىَ لَهُ بَيْتٌ فِى الْجَنَّةِ: أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْـنِ بَعْـدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَـاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْـلَ صَلاَةِ الْفَجْرِ**».

[رواه الترمذي، وصححه الألباني].

بناء المساجد:

عن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّه سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**مَنْ بَنَى مَسْجِدًا** - قَالَ بُكَيْرٌ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: **يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ - بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الجَنَّةِ**» [رواه البخاري ومسلم]. (مِثْلَهُ) أي في الشرف والفضل والتوقير؛ لأنه جزاء المسجد فيكون مثلًا له في صفات الشرف.

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ بَنَى مَسْـجِدًا لِلهِ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ أَوْ أَصْغَرَ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**». [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

(المفحـص): الموضع الذى تجلس فيـه القطاة، وهـى اليمامة، وتبيض. وَحَمَـلَ أَكْثَر الْعُلَمَاءِ ذَلِكَ عَلَى الْمُبَالَغَـةِ؛ لِأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي تَفْحَصُ الْقَطَاة عَنْهُ لِتَضَع فِيهِ بَيْضَهَا وَتَرْقُد عَلَيْهِ لَا يَكْفِي مِقْدَاره لِلصَّلَاةِ فِيهِ؛ فيحمل على المبالغة، أو على أن يشترك جماعة في بناء، أو يزيد فيه قدرًا محتاجًا إليه.

سد فرجة في الصلاة سبب لبناء بيت في الجنة:

عن عائشـة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَدَّ فُرْجَةً رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**». [رواه الطبراني، وصححه الألباني].

(مَنْ سَدَّ فُرْجَةً) خللًا بين المصلين في صف، فالفرجة هي التي تكون بينك وبيـن صاحبك الـذي بجانبك في الصلاة (رَفَعَهُ اللهُ بِهَا) أي بسـبب سـده إياها (دَرَجَةً) في الجنة.

إطعام الطعام وإفشـاء السـلام وقيـام الليل سـبب لبناء غرف الجنة:

عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا**». فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: «لِمَنْ هِيَ يَا رَسُـولَ اللهِ؟». قَالَ: «**لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَـمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**» [رواه أحمد، والترمذي، وحسّنه الألباني].

(غُرَفًـا) جَمْـعُ غُرْفَـةٍ، أَيْ عَلَالِيَّ فِـي غَايَةٍ مِـنْ اللَّطَافَةِ وَنِهَايَةٍ مِـنْ الصَّفَاءِ وَالنَّظَافَـةِ (تُـرَى ظُهُورُهَا مِـنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَـا مِنْ ظُهُورِهَا) لِكَوْنِهَا شَـفَّافَةً لَا تَحْجُبُ مَا وَرَاءَهَا.

(لِمَـنْ أَطَـابَ الْكَلَام): الْمَعْنَـى لِمَنْ لَهُ خُلُقٌ حَسَـنٌ مَعَ الْأَنَامِ قَـالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُـمُ الْجَاهِلُـونَ قَالُـوا سَـلَامًا﴾، فَيَكُونُ مِـنْ عِبَادِ الرَّحْمَـنِ الَّذِينَ يَمْشُـونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًـا. الْمَوْصُوفِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَـةَ بِمَاصَبَرُواْ﴾ [الفرقان:٧٥].

(وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ) لِلْعِيَالِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْأَضْيَافِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

(وَأَدَامَ الصِّيَـامَ) أَيْ أَكْثَرَ مِنْهُ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ بِحَيْـثُ تَابَعَ بَعْضَهَا بَعْضًا. وَقِيلَ أَقَلُّهُ أَنْ يَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

(وَالنَّـاسُ) أَيْ غَالِبُهُـمْ (نِيَامٌ) جَمْعُ نَائِمٍ أَوْ غَافِلُونَ عَنْـهُ؛ لِأَنَّهُ عِبَادَةٌ لَا رِيَاءَ يَشُوبُ عَمَلَهُ وَلَا شُهُودَ غَيْرُ اللهِ، إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾ الْمُنْبِئُ وَصْفُهُمْ بِذَلِكَ عَنْ أَنَّهُمْ فِي غَايَةٍ مِنَ الْإِخْلَاصِ لله.

صلاة الضحى أربع ركعات، وأربع ركعات قبل الظهر:

قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الضُّحَى أَرْبَعًا، وَقَبْـلَ الْأُولَى أَرْبَعًا بُنِيَ لَهُ بِهَا بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ**» [رواه الطبراني، وحسّنه الألباني]. (قَبْلَ الْأُولَى) أي قَبْلَ الظهر.

قراءة سورة الإخلاص عشر مرات:

عن مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَرَأَ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**» [رواه الطبراني، وصححه الألباني].

دعاء دخول السوق:

قال رَسُـولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ دَخَلَ السُّـوقَ، فَقَالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَـرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْـكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِـي وَيُمِيتُ، بِيَدِهِ الْخَيْـرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفَ حَسَـنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفَ سَـيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفَ دَرَجَةٍ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**» [رواه الحاكم، وحسّنه الألباني].

عيادة المريض وزيارة المسلم:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِى اللهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا**» [رواه الترمذي، وحسّنه الألباني].

(مَنْ عَادَ مَرِيضًا) أَيْ مُحْتَسِبًا للأجر (أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ) أَيْ فِي الدِّينِ (فِي اللهِ) أَيْ لِوَجْهِ اللهِ لَا لِلدُّنْيَا (مُنَادٍ) أَيْ مَلَكٌ (أَنْ طِبْت) دُعَاءٌ لَهُ بِطِيبِ عَيْشِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْأُخْرَى (وَطَابَ مَمْشَاك) كِنَايَةٌ عَنْ سَيْرِهِ وَسُلُوكِهِ طَرِيقَ الْآخِرَةِ بِالتَّعَرِّي عَنْ رَذَائِلِ الْأَخْلَاقِ وَالتَّحَلِّي بِمَكَارِمِهَا (وَتَبَوَّأْت) أَيْ تَهَيَّأْت (مِنْ الْجَنَّةِ) أَيْ مِنْ مَنَازِلِهَا الْعَالِيَةِ (مَنْزِلًا) أَيْ مَنْزِلَةً عَظِيمَةً وَمَرْتَبَةً جَسِيمَةً بِمَا فَعَلْت. وَهذا دُعَاءٌ لَهُ بِطِيبِ الْعَيْشِ فِي الْأُخْرَى، كَمَا أَنَّ طِبْت دُعَاءٌ لَهُ بِطِيبِ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا.

الدعاء عند المصيبة:

عَنْ أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلاَئِكَتِهِ: «قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِى»، فَيَقُولُونَ: «نَعَمْ»، فَيَقُولُ: «قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ». فَيَقُولُونَ: «نَعَمْ»، فَيَقُولُ: «مَاذَا قَالَ عَبْدِى؟»، فَيَقُولُونَ: «حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ»، فَيَقُولُ اللهُ: «ابْنُوا لِعَبْدِى بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ**». [رواه الترمذي، وحسّنه الألباني].

(قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ) أَيْ مَلَكِ الْمَوْتِ وَأَعْوَانِهِ. (قَبَضْتُمْ) عَلَى تَقْدِيرِ الِاسْتِفْهَامِ. (وَلَدَ عَبْدِي) أَيْ رُوحَهُ. (فَيَقُولُ قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ) أَيْ يَقُولُ ثَانِيًا إِظْهَارًا لِكَمَالِ الرَّحْمَةِ كَمَا أَنَّ الْوَالِدَ الْعَطُوفَ يَسْأَلُ الْفَصَّادَ: «هَلْ فَصَدْت وَلَدِي»، مَعَ أَنَّهُ بِأَمْرِهِ وَرِضَاهُ، وَقِيلَ سَمَّى الْوَلَدَ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ لِأَنَّهُ نَتِيجَةُ الْأَبِ

كَالثَّمَـرَةِ لِلشَّـجَرَةِ. (وَاسْـتَرْجَعَ) أَيْ قَالَ : إِنَّا لِلَّـهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. (وَسَـمُّوهُ بَيْـتَ الْحَمْـدِ) أَضَـافَ الْبَيْتَ إِلَـى الْحَمْدِ الَّـذِي قَالَهُ عِنْـدَ الْمُصِيبَةِ لِأَنَّـهُ جَزَاءُ ذَلِكَ الْحَمْدِ.



١٢١- نملـــة [١]

لماذا الحديث عن النملة؟

في كتاب الله ﷻ سورة من سور القرآن بعنوان سورة النمل، والنملة مخلوق صغير، ولكن سبحان ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه: ٥٠]. أي الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، الدال على حسن صنعه من خلقه، من كبر الجسم وصغره وتوسطه، وجميع صفاته، ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية العامة المشاهدة في جميع المخلوقات فكل مخلوق، تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم من العقل ما يتمكن به على ذلك، وهذا كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَـٰرِ﴾[الحشر: ٢] وللنملة قصة، بل إن للنملة قصصًا وعبرًا، والله قال: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِى ٱلۡأَنۡعَـٰمِ لَعِبۡرَةً﴾ [النحل: ٦٦]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِى قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَـٰبِ﴾[يوسف: ١١١].

دروس من موقف النملة مع نبي الله سليمان عليه السلام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِىٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَـٰلِحًا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِى بِرَحۡمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [النمل].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ لماذا سمي بواد النمل؟ لأن أغلب ما فيه هو من النمل؛ لأن أغلب من يسكن هذا الوادي هم من النمل.

---

(١) باختصار وتصرف من محاضرة (النملة)، للدكتور ناصر بن سليمان العمر.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ منبهة لرفقتها وبني جنسها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فنصحت هذه النملة وأسمعت النمل إما بنفسها ويكون الله قد أعطى النمل أسماعا خارقة للعادة؛ لأن التنبيه للنمل الذي قد ملأ الوادي بصوت نملة واحدة من أعجب العجائب. وإما بأنها أخبرت من حولها من النمل ثم سرى الخبر من بعضهن لبعض حتى بلغ الجميع وأمرتهن بالحذر، والطريق في ذلك وهو دخول مساكنهن.

وعرفت حالة سليمان وجنوده وعظمة سلطانه، واعتذرت عنهم أنهم إن حطموكم فليس عن قصد منهم ولا شعور، فسمع سليمان عليه السلام قولها وفهمه.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ إعجابا منه بفصاحتها ونصحها وحسن تعبيرها. وهذا حال الأنبياء عليهم السلام الأدب الكامل، والتعجب في موضعه وأن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم، كما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جل ضحكه التبسم، فإن القهقهة تدل على خفة العقل وسوء الأدب. وعدم التبسم والعجب مما يتعجب منه، يدل على شراسة الخلق والجبروت، والرسل منزهون عن ذلك.

وقال شاكرا لله الذي أوصله إلى هذه الحال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ أي: ألهمني ووفقني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ فإن النعمة على الوالدين نعمة على الولد، فسأل ربه التوفيق للقيام بشكر نعمته الدينية والدنيوية عليه وعلى والديه، ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ أي: ووفقني أن أعمل صالحًا ترضاه لكونه موافقًا لأمرك مخلصًا فيه سالمًا من المفسدات والمنقصات، ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ﴾ التي منها الجنة ﴿فِى﴾ جملة ﴿عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فإن الرحمة مجعولة للصالحين على اختلاف درجاتهم ومنازلهم.

عندما جاء سليمان عليه السلام، ومعه جنوده، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ نملة عندما أحست بالخطر الداهم على قومها وبني جنسها

أعلنت صائحة ومنذرة لبني قومها: إن الخطر قادم، فهيا أنقذوا أنفسكم ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

ما أروع هذه النملة، وما أعجب هذه النملة إنها حملت هَمَّ أمَّتِها، إنها أدركت خطورة مسئوليتها، إنها عندما أحست بقدوم الخطر قبل وصوله قامت صائحةً معلنةً لبني قومها: إن الخطر قادم فهلموا أنقذوا أنفسكم، عجيبٌ أمرُ هذه النملة، عجيبٌ أمرُ هذه النملة، هل هربت النملة بنفسها عندما أحست بالخطر؟ هل هذه النملة قالت: أنا ماذا أفعل وأنا نملة وحيدة بهذا الجيش القادم، وهذه أمة النمل أمة كثيرة؟

أليس الخطر الذي يهدد أمتنا أعظم من الخطر الذي هدد نمل سليمان؟ كم منا من يحس بإحساس النملة، ويسعى منقذا لأمته، ومتلهفا على حياة أمته؟ من منا يقوم وينام، وهو يحمل هم حال الأمة التي يحدق بها الخطر يمنة ويسرة؟ من منا يعيش هَمَّ هذه الأمة، وهَمّ الأخطار المحدقة بها؟

لنكن صرحاء مع أنفسنا، لنكن صادقين مع أنفسنا، هل نحن نحمل هم هذه الأمة، وما يُكَادُ لها، وما يُحاكُ، وما يتآمر عليها؟ أو أننا نحمل هم الوظيفة، وهم البيت، وهم الزوجة، وهموم أخرى قد يأتي هم الأمة في وسطها أو في مؤخرتها، وقليل أولئك الذين يضعون هم هذه الأمة في مقدمة همومهم.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ نملة هنا نكرة، لم يقل الله ﷻ: وقالت النملة، إنما قال ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ إذًا هي نكرة، هل هي الملكة أو ليست الملكة أو غير الملكة؟ المهم إنها وردت في القرآن منكرة، فهى نملة من هذا الوادي الطويل العريض، ومع ذلك لم تحقر نفسها. نملة نكرة أنقذت أمة، نملة حملت هَمَّ أمّة فأنقذَتْها، وهى نكرة لا شأن لها، وأنقذ الله هذا الوادي على يديها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

هل جَلَسَتْ تفسر في النيات؟ هل قالت: إن سليمان قد احتقركم، إنكم جند ضعيف فلا يبالي فيكم؟ هل جلست أو جلس قومها يتساءلون؟ بل إنها لو سكتت لفعلت خيرا، فكيف وقد برأت سليمان عليه السلام وجنوده، قالت ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنا لا أتهمهم في نياتهم، مع أنهم سيحطمونكم، سيقتلونكم، سيقضون عليكم، لكن ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الله أكبر انظروا إلى حالنا، وإلى واقعنا. هناك مَن انشغلوا عن أنفسهم بقلوب إخوانهم؛ هذا يريد كذا، وهذا يريد كذا، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول لحِبِّه وابن حِبِّه أسامة بن زيد رضي الله عنهما: «**أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ**» [رواه مسلم].

لم نُكَلَّف أن نشق عن قلوب بعضنا، هذه النملة انتبهت إلى هذه القضية، فلم تدع مجالا لبني قومها عندما قالت ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ لأنها لو قالت هذه الكلمة وسكتت قد لا يسكت قومها، قد يقول قائل: لماذا يريد سليمان؟، وماذا يريد سليمان؟، ولماذا جاء مع هذا الوادي؟ ألم يجد غير هذا الوادي؟، وتبدأ التفسيرات، وتبدأ تفسير النيات فأغلقت الباب، وقالت ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ دعوكم من تفسير النيات، دعوكم من الاشتغال في قلوب الخلق إذ كانت تقول هذا القول، والقوم مقبلون على تحطيمهم في حقيقتهم، كيف تكون حال من يشتغل بقلوب إخوانه، وهم قائمون لإنقاذهم؟

هل قال هذا النمل لتلك النملة: أنت تريدين السلطة، أنت تريدين العلو، أنت تريدين الشهرة، لا، أبدا استجاب النمل، ودخل في مساكنها، ونجت بدعوة هذه النملة المسلوبة الصغيرة.

من صفات النمل الصبر والجلد:

النملة من صفاتها الصبر والجلَد، الحقيقة قضية النملة غريبة في جديتها وصبرها، فعند بناء بيوت النمل يسقط فتعاود فورا بناءه مرة أخرى، ثم يسقط فتعاود بناء مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى يستقيم البيت.

مــن صبر النملة وجديتها أنها عندما تريد أن تصعد إلى جدار أو على جدار ماذا تفعل؟ قد يكون الجدار أملس فتصعد وتســقط، هل إذا صعدت وسقطت تنصرف؟ أبدا تصعد وتســقط، وتصعد وتسقط، وتحاول من هنا، وتحاول من هنــا، وتحــاول من هنا، حتــى - أحيانا - تكــرر هذا أكثر من عشــر مرات حتى تصعد.

الواحــد منا قد يبدأ في مشــروع، أو في عمــل، أو في طلب العلم مرة ومرتين وثلاثا، ثم ينسحب، وأحسَنُنَا من يصل إلى ثلاث مرات في محاولاته، أما النملة فعجيبة، أبدا.

ذكــر المؤرخــون أن أحد القادة دخــل معركة من المعــارك، وعندما بدأت المعركــة هُــزِم هو وجنوده، وعندمــا هُزِموا تفرقوا، فما كان مــن هذا القائد إلا أنْ هَــام على وجهه حزينًا كئيبًا لهذه الهزيمة النكراء، أين ذهب؟ هل ذهب إلى بلــده؟ هل ذهــب إلى مملكته؟ لا، ذهب إلى مغارة في جبل، وجلس فيها يتأمل في الحالة التي وصل إليها وجيشه قد تفرق، وبعضهم ذهب إلى بلده.

فبينما هو مســتغرقٌ في تفكيره إذا نملة تريــد أن تصعد على صفاة في الجبل (صخرة ملساء)، فسقطت، فحاولت المرة الثانية وسقطت، والثالثة وسقطت، فبــدأ يراقب هــذا المخلوق الصغيــر، وفي المحاولة الســابعة عشــرة صعدت، فقــال: «والله عجيــب، نملة تكرر المحاولة قرابة عشــرين مــرة، وأنا لأول مرة أنهزم وجيشــي، ما أضعفنا، وما أحقرنا»، فنزل من المغارة، وقد صمم على أن يجمع فلول جيشه، وأن يدخل المعركة، وأن لا ينهزم ما دام فيهم حي.

فجمع قومــه، وتعاهدوا على دخول المعركــة، وأن لا ينهزموا ما دام فيهم حــي فدخلــوا المعركة بهذه النيــة، وبهذا التصميــم فانتصروا، فــإذا ضعفْتَ أو تكاسلت، تذكّر النملة، تذكر محاولات النملة، تذكر إصرار النملة.

جدية النملة:

أجمع علماء الأحياء على أن النملة من أكثر المخلوقات جديةً، جادة بمعنى الكلمة، هل رأيتم يومًا من الأيام نملة نائمة في الطريق؟ هل رأيتم يومًا من الأيام نملة واقفة تتفرج؟ أبدا ما ترى النملة إلا جادة في مسيرتها وجادة في حركاتها.

النمل عند بناء البيوت معروفٌ بتعاونه، لكن الغريب فيه الجدية منقطعة النظير والنملة تحضر البيت، وتأتي مسرعة، وتضع ما في فمها من حبة الرمل، ثم تعود إلى البيت، جِدٌّ ونشاط وعمل غريب جدًّا، ما يتوقف النمل، لا ترى منها على كثرة واحدة واقفة، أو واحدة تمشي بعض الوقت، وتقف بعض الوقت. النملة من جديتها وجَلَدها وصبرها ثبت في دراسات علم الأحياء أنها تحمل أكثر من وزنها، أكثر من عشرات مرات. يقول أحد علماء الأحياءالذين كتبوا عن النملة: «إن النمل مجتمع مثالي، مجتمع نشيط، عامل لا مكان فيه لكسول أو خامل، أو أي فرد متواكل».

من صفات النمل الصدق:

من صفات النمل الصدق لا مكانة للكذاب في مجتمع النمل، ما رأيكم؟ لا عندهم كذب أبيض، ولا أسود، ولا أحمر، حتى التورية غير موجودة في عالم النمل، واسمعوا هذه القصة التي ذكرها العلّامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (مفتاح دار السعادة) فقال: «وَلَقَد أخبر بعض العارفين أنه شَاهد مِنْهُنَّ يَوْمًا عجبًا قَالَ: رأيت نملةً جَاءَت إلى شـقّ جَرَادَة فزاولته فَلم تُطِق حمْله من الأرض فَذَهَبت غير بعيد ثمَّ جَاءَت مَعهَا بِجَمَاعَة من النَّمْل. فَرفَعْتُ ذَلِك الشق من الأرض، فَلَمَّا وصلت النملة برفقتها إلى مَكَانِهُ دارت حوله ودُرْن مَعهَا، فَلم يجِدْن شَيْئًا فرجعن.

فَوَضَعْتُـه ثـمَّ جَاءَت فصادفتـه فزاولته فَلم تُطِـق رَفْعَه فَذَهَبـت غير بعيد ثمَّ جَاءَت بِهن، فَرَفَعْتُه، فدُرْن حولَ مَكَانَهُ فَلم يجِدْنَ شَيْئا، فَذَهَبْتُ فَوَضَعْتُه، فَعَادَت فَجَاءَت بِهن فَرَفَعْتُه فدُرْن حول الْمَكَان فَلَمَّا، لم يجدن شَيْئًا تحَلّقْنَ حَلقَة وجعلْن تِلْكَ النملة فِي وَسطهَا ثمَّ تحاملن عَلَيْهَا فقطّعْنَها عُضوًا عضوًا، وَأَنا أَنْظُر».

قـال ابن القيم: «قال شـيخنا – وقد حكيت له هـذه الحكاية – فقال: «هذه النملة فطرها الله – سبحانه – على قُبْح الكذب وعقوبة الكذاب».

من صفات النمل التعاون وعدم الأنانية:

من مظاهر التعاون والاجتماع عند النمل إذا رأيتم عشرًا من النمل يمشون، أو عشرين هل ترون كل واحدة تمشى وحدها؟ أو أن النملة تخط خطا واحدا؟ أبدا، النمل يخط خطا واحدا، قد تسـير في مكان منبثق، ومع ذلك لا تمشي كل واحـدة وحدهـا إنما تجد عشـرين، ثلاثين، أربعين، مائـة، مائتين مع بعض قد خطـت خطا واحـدا، هذا صورة من صور التآلـف والاجتماع، وهذا مظهر من مظاهر التعاون.

أيضا ثبت أنه إذا مرضت نملة فإن النمل يتعاون على حملها، والذهاب بها إلى البيت ومعالجتها.

أيضا من صور التعاون، وعدم الأنانية: ألسـتم ترون أن أغلب النمل عندما تحمـل طعاما تحمله مجتمعة؟ بل أعجب من ذلك: حفر البيوت، أنت لا تكاد تـرى نملة وحدها تبني بيتها وحدها، تجد عشـرات النمـل –إن لم يكن مئات النمل– تتعاون في حفر البيت وبنائه.

ونقـل الحبـوب كل هذه تدل على تعاون النمل أنـه مجتمع متعاون، يقول الله –جـل وعـلا– ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة:٢].

إن جمَاعَـة النَّمْـل إِذا أَرَادَت إِحْـرَاز الْقُـوت خرجت من أسـرابها طالبةً لَهُ فَإِذا ظَفرتْ بِهِ أخذت طَرِيقًا من أسـرابها اليه وشـرعت فِي نَقله، فتراها رفقتين رفْقَة حاملة تحمله الى بيوتها سربا ذَاهِبًا ورفقة خَارِجَة من بيوتها إليه، لاتخالط تِلْـكَ فِي طريقها، بـل هما كالخيطين بِمَنْزِلَة جمَاعَة النَّـاس الذاهبين فِي طَرِيق وَالْجَمَاعَة الراجعين من جانبهم.

فَـإِذا ثقل عَلَيْهَا حمل الشَّـيْء مـن تِلْكَ اجْتمعـت عَلَيْهِ جمَاعَـة من النَّمْل وتسـاعدت على حَملَة بِمَنْزِلَة الْخَشَـبَة وَالْحجر الَّذِي تتسـاعد الفئة من النَّاس عَلَيْهِ، فَإِذا كَانَ الَّذِي ظفر بِهِ مِنْهُنَّ واحدة سـاعدتها رفقتها عَلَيْهِ إلى بَيتهَا وخلوا بَينهَـا وَبَينـه، وَإِن كَانَ الَّـذِي صادفـه جمَاعَـة تسَـاعَدْنَ عَلَيْهِ ثمَّ تقَاسَـمْنَه على بَاب الْبَيْت.

من صفات النمل التضحية:

من أسـهل الأمور: أن تقدم النملة نفسـها فداء لبني جنسها، وتضحية لبني جنسها؛ مما ثبت في الدراسات العلمية أن النمل إذا جاءت مجموعة من النمل، وواجهت واديا - أي عائقا مائيًّا صغيرا ماذا تفعل النمل؟

هنـاك طريقتان لعبور هـذا الماء: طريقة من الطرق، وهـى عجيبة وغريبة: كل نملة تشتبك مع نملة أخرى فتكون جسرا حتى تعمل جسرا فوق هذا الماء، نملـة متصلـة بنملة حتى تصل إلى الطرف الثاني، ثم يبدأ بقية النمل تمشـي من فوق هذا الجسـر حتى ينتهي النمل، فإذا انتهى جميع النمل جاءت النملة التي في الطرف الآخر، ومشـت والجسـر باق مسـتمر حتى ينتهي النمل، أعطاها الله قوة، حتى ينتهي جميع النمل ويعبر.

إذا كان الـوادي أكـبر من أن تعمل جسـرا عليـه، يكون متسـعا، لها طريقة غريبـة: تأتى مجموعة من النمل، وتقتحم الماء بقوة وبسـرعة، وتتشـابك، ثم

تأتى بقية النمل، وتجري عليها فوق الماء مع أنه يغرق عدد كبير من هذه النمل التي نزلت الماء المرة الأولى من أجل إنقاذ بقية النمل.

سبحان الله! هذه التضحية، وهذه الفدائية، وهذا التقدم، والله إنه غريب ما أحوجنا إلى هذه الأمثلة، ولكن ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر:٢].

من صفات النمل الترتيب وعدم الفوضى:

إن هذا المخلوق الصغير لا مكان للفوضى في حياته، مجتمع النمل منظم، مجتمع مرتب، مجتمع دقيق الترتيب. يعمل من الصباح حتى المساء، ويدخل في المساء وينام، إلا إن خرج لسبب أو لآخر. ومن دقة ترتيبه العجيب أن بيوت النمل مقسمة تقسيما: غرفة مستودع، وغرفة للنوم، وغرفة للضيوف، وغرفة للمَنّ؛ وهذه حشرة يأخذها النمل معه.

بيوت النمل مقسمة تقسيما، بينما لو نظرنا لبيوت بعضنا رأينا الفوضى فيها، ربما تجد المكتبة موجودة في المطبخ، والكتب منثورة في أركان البيت، وأعمال الإنسان فوضى في فوضى، ولكن بيت النمل مرتب ترتيبا عجيبا قد نستغربه.

بعض أنواع النمل تبني عشا، عُش على الأرض؛ هذا العش يكون طويل له فتحة من الأمام، ومغلق من الخلف، العجيب أن هذا العش دائما طرفه المغلق إلى الشرق، حتى وصل إلى أن بعض المسافرين في البرازيل وغير البرازيل، ويكثر فيها النمل، يعرفون اتجاه الشرق إذا رأوا عش النمل، فإذا رأوا عش النمل عرفوا أين الشرق من الغرب. فالذي جهة الفتحة هو جهة الغرب. والذي جهة المغلق هو جهة الشرق، مضطرب لا يختلف أبدًا، بوصلة يا إخوة، أرأيتم هذه الدقة في بناء بيته.

من صفات النمل عدم تعدي أي صنف من أصناف النمل الأسـود على غيره:

أيضا أتعلمون أن النمل على أربعة أقسـام: الملكة والعسـاكر والشغالات والوصيفات؛ الملكة لها مهمة، وهى وضع البيض، وإدارة المملكة. الوصيفات مهمتها حماية المملكة، وتنظيف المملكة، وتبليغ أوامرها إلى بقية جنود النمل. العسـاكر مهمتها حماية النمل، وبيوت النمل. الشـغالات هي التي نراها دائما بخارجه. هذه الشغالات يخدم بعضها بعضًا دون تمييز أو عنصرية.

العجيـب أنـه ما من نـوع من أنـواع النمل الأربعـة: الملكـة، الوصيفات، العسـاكر، الشـغالات يتعدى على عمل غيرها إلا عنـد الحاجة؛ تصدر الملكة أمـرا فتجتمع الشـغالات مع الوصيفات مع العسـاكر والشـغالات، وتقف إذا داهمها خطر لا تستطيع العساكر أن تقوم به وحدها فتستنجد بالبقية.

هـذا تفعله متى؟ عند مداهمة الخطر لها، وأيضًا عندما تسـقط بيوتها، فإنها تجتمع بسـرعة لإقامة البيـت، ولذلك خلال دقائق يعود بيـت النمل كما كان، هذا يدل على التنظيم والدقة في ذلك.

النمل يرعى ويزرع:

إنَّ حشـرات المـن التي يطلق عليهـا أحيانًا (قمل النبـات) التي نراها على أوراق بعض النبات يرعاها النمل ليسـتفيد منها، ففي الربيع الباكر يرسل النمل الرسـل لتجمع له بيض هذا المن، فإذا جاؤوا به وضعوه في مسـتعمراتهم حيث يضعـون بيضهم، ويهتمـون ببيض هذه الحشـرات كما يهتمـون ببيضهم، فإذا فقس بيض المن وخرجت منه الصغـار أطعموها وأكرموها، وبعد فترة قصيرة يأخذ المن يدر سـائلًا حلوًا كالعسل كما تدر البقرة اللبن، ويتولى النمل حلب هذا المن للحصول على هذا السائل وكأنها أبقار.

ويعتنــي النمل كذلك بالـزرع وفلاحة الأرض، لقد شـاهد أحد العلماء في إحـدى الغابـات قطعة مـن الأرض قد نما بهـا أرز قصير من نـوع نصف بري، كانت مساحة القطعة خمسة أقدام طولًا في ثلاثة عرضًا، وكان طول الأرز نحو ستة سنتيمترات، ويتراءى للناظر إلى هذه البقعة من الأرض أنّ أحدًا لا بد يعتني بها، فالطينة حول الجذور كانت مشـققة، والأعشـاب الغريبة كانت مستأصلة، والغريب أنّه لم يكن على مقربة من هذا المكان عود آخر من الأرز، فهذا الأرز لم يَنْمُ من تلقاء نفسه، وإنّما زرعه زارع.

ولوحظ أن طوائف النمل تأتي إلى هذا المزروع وتذهب عنه، فانبطح العالم علـى الأرض يلاحـظ ما يصنعه، ولم يلبـث أن عرف أنّ هذا النمـل هو القائم بزراعة الأرز في تلك البقعة من الأرض، وأنه اتخذ من زراعتها مهنة له، تشـغل كل وقته، فبعضه كان يشـق الأرض ويحرثها، وبعض آخر كان يزيل الأعشاب الضـارة، فإذا ظهر عود من عشـب غريب قام إليه بعـض النمل، فيقضمونه، ثم يحملونه بعيدًا عن المزرعة.

نمـا الأرز حتـى بلـغ طولـه سـتين سـنتيمترًا، وكانـت حبـوب الأرز قـد نضجت، فلما بدأ موسـم الحصاد شاهد صفًا من شغالة النمل لا ينقطع متجهًا نحـو العيدان، فيتسـلقها إلى أن يصـل إلى حبوب الأرز، فتنزع كل شـغالة من النمـل حبة من تلك الحبوب، وتهبط بها سـريعًا إلى الأرض، ثم تذهب بها إلى مخازن تحت الأرض، بل الأعجب من ذلك أنّ طائفة من النّمل كانت تتسـلق الأعـواد، فتلتقط الحب، ثم تلقي به، بينمـا طائفة أخرى تتلقاه، وتذهب به إلى المخازن..

ويعيـش هـذا النوع مـن النمل عيشـة مدنيـة في بيـوت كبيوتنا ذات شـقق وطبقـات، أجزاء منها تحت الأرض، وأجزاء فوق الأرض، في هذه المدن نجد الخدم والعبيد.

بل الأعجب مـن ذلك نجد الممرضات اللاتي تُعنى بالمرضى ليلاً ونهاراً، ونجد منها من يرفع جثث من يموت من النمل، يفعل ذلك النوع من النمل كلّ هذا بدون تفكير، إذ يتم بالغريزة التي أودعها الله في أجسامهم الصغيرة.

النمل ووحدة الموقف:

النمل مجتمع متعاون عجيب، في البرازيل إذا دهم خطر تنطلق ثلاثون ألف نملـة دفعة واحدة فتهجم على أعدائها، حتـى إنها تهجم على بعض الحيوانات الكبيرة فتقضي عليها لماذا قضت عليها؟ وحدة الموقف، ووحدة الكلمة.

وقعـت حيـة طويلة، طولها أكثر من المتر، وقعـت في طريق النمل، فأحس النمل بالخطر، فاجتمـع النمل، وصعد على ظهر الحية وعلى بطنها، أخرجت الحية أنيابها، ورفعت رأسها تريد أن تضرب النمل، لكن كيف تضرب النمل؟، والنمـل قد بدأ بها من رأسـها إلى ذيلهـا، وما هي إلا لحظات فـإذا هذا الثعبان الطويل قد سـقط جثة هامدة، ثعبان طوله أكثر من المتر، لكن قام النمل بوحدة الكلمة، واجتمع عليه، وقضى عليه.

فطنة النمل:

وَمن عَجِيب أَمْر فطنة النملة أنها إِذا نقلت الْحبّ إِلَى مسـاكنها كَسـرته لِئَلَّا ينْبت فَإِن كَانَ مِمَّا ينْبت الفلقتان مِنْهُ كَسـرته أربعًا فَإِذا اصابه بلل وخافت عَلَيْهِ الْفسـاد أخرجته للشـمس ثمَّ ترده إلى بيوتها، وَلِهَذَا ترى فِي بعض الأحيان حبًّا كثيرًا على أَبْوَاب مساكنها مُكَسَّرًا ثمَّ تعود عَن قريب فَلَا ترى مِنْهُ وَاحِدَة.

وَمن فطنتها أنها لَا تتَّخذ قريتها إِلَّا على مكان مرتفع من الأرض لِئَلَّا يفِيض عَلَيْهَا السَّـيْل فيغرقها فَلَا ترى قَرْيَة نمل فِي بطن وَاد وَلَكِن فِي أَعْلَاهُ وَمَا ارْتَفع عَن السَّيْل مِنْهُ.

وَيَكْفِـي فِـي فِطنتها مَا نَـص الله ﷻ فِي كِتَابه من قَوْلهَـا لجَماعَة النَّمْل وَقد

رَأَتْ سُـلَيْمَان عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجُنُـوده: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ فتكلمـت بِعشْـرَة أنـواع مـن الْخطاب فِـي هَذِه النَّصِيحَـة: النـداء والتنبيـه وَالتَّسْـمِيَة والأمـر وَالنَّص والتحذيـر والتخصيص والتفهِيـم والتعميم والاعتذار؛ فاشـتملت نصيحتهـا مَعَ الِاخْتِصَـار على هَذِه الأنواع الْعشْـرَة؛ وَلذَلِك أعْجَبَ سـلميانَ قَوْلهَا وَتَبَسم ضَاحِكا مِنْهُ، وسأل الله أن يُوزِعَه شُكْر نعْمَته عَلَيْهِ لّما سمع كَلَامهَا.

من صفات النمل أنه مجتمع نظيف:

من دراسـات علماء الأحياء أن النمل مجتمع نظيف، ينظف بيته، وثبت أن النملة تنظف نفسـها يوميًّا حتى تصل في بعض مجتمعـات النمل إلى أن النملة تنظف نفسها يوميا عشرين مرة.

من صفات النمل أنه مجتمع مسبح:

وأخيرا مجتمع النمل مجتمع يسـبح، مجتمع مسبح، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ، فَأَحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ**» [رواه البخـاري ومسـلم]. وفي روايـة أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**نَزَلَ نَبِيٌّ مِـنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَـجَرَةٍ، فَلَدَغَتْـهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَـرَ بِجِهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِـنْ تَحْتِهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَـا، فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ، فَهَلَّا نَمْلَةً وَاحِدَةً**» [رواه البخاري ومسلم].

(قَرْيَـةُ النَّمْلِ) مَنْزِلُهُنَّ (جَهَـازِهِ) الْجَهَازُ: المتاع. (فَهَلَّا نَمْلَـةً وَاحِدَةً) فَهَلَّا عَاقَبْتَ نَمْلَةً وَاحِدَةً هِيَ الَّتِي قَرَصَتْكَ لِأَنَّهَا الْجَانِيَةُ وَأَمَّا غَيْرُهَا فَلَيْسَ لَهَا جِنَايَةٌ.

قَـالَ الْعُلَمَاءُ: وَهَذَا الْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ شَـرْعَ ذَلِـكَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِيـهِ جَوَازُ قَتْـلِ النَّمْلِ وَجَوَازُ الْإِحْـرَاقِ بِالنَّارِ وَلَـمْ يَعْتِبْ عَلَيْهِ فِـي أَصْلِ الْقَتْلِ وَالْإِحْرَاقِ بَلْ فِي الزِّيَادَةِ على نَمْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

وأما في شرعنا فلا يجوز الْإِحْرَاقُ بِالنَّارِ لِلْحَيَوَانِ إِلَّا إِذَا أَحْرَقَ إِنْسَانًا فَمَاتَ بِالْإِحْـرَاقِ فَلِوَلِيِّـهِ الِاقْتِصَاصُ بِإِحْرَاقِ الْجَانِي وَسَـوَاءٌ فِي مَنْـعِ الْإِحْرَاقِ بِالنَّارِ الْقَمْلُ وَغَيْرُهُ لِلْحَدِيثِ المشهور: «لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ»

فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَانْطَلَـقَ لِحَاجَتِـهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَـانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَـاءَتْ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَـتْ تُفَرِّشُ، فَجَـاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَـنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَـا، رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا**». وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: «**مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟**»، قُلْنَا: «نَحْنُ»، قَالَ: «**إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

(الْحُمَّرَةُ):بضـم الحـاء وفتـح الميم المشـددة: طائر صغيـر كالعصفور، أحمر اللون.

(تُفَرِّش):أي ترفرف بجناحيها وتقترب من الأرض.

وَأَمَّا قَتْلُ النَّمْلِ فلَا يَجُوز كما لا يجوز قَتْلُ غَيْرِهِ من الحيوانات إلا الصائل (أي المعتـدي)، والمُؤْذِي منها؛ فيجـوز قتلُه؛ فَعَنْ ابْنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنَّ النَّبِـيَّ ﷺ **نَهَى عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنْ الدَّوَابِّ: النَّمْلَـةُ وَالنَّحْلَةُ وَالْهُدْهُدُ وَالصُّرَدُ**».

[رواه أبو داود وصححه الألباني].

وَالصُّـرَد: طَائِر ضَخْم الرَّأْس وَالْمِنْقَار لَـهُ رِيش عَظِيم نِصْفه أَبْيَض وَنِصْفه أَسْوَد.



١٢٢- هــدهــد

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةًۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم

بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل].

ذكر نموذجًا من مخاطبة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ للطير فقال: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ التفقُد: تطلب الشيء ومعرفة أحواله، ومنه قولهم: تفقد القائد جنوده، أي: تطلب أحوالهم ليعرف حاضرهم من غائبهم.

ودل هذا على كمال عزم سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور والنظر: هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟ وتفقُد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ للطير، وفَقْده الهدهد يدل على كمال حزمه وتدبيره للملك بنفسه وكمال فطنته حتى فقد هذا الطائر الصغير ﴿فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ أي: هل عدم رؤيتي إياه لقلة فطنتي به لكونه خفيًّا بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم على بابها بأن كان غائبا من غير إذني ولا أمري؟.

فحينئذ تغيظ عليه وتوعده فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ دون القتل،

﴿أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ أي: حجة واضحة على تخلفه، وهذا من كمال ورعه وإنصافه أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل؛ لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحتمل أنها لعذر واضح فلذلك استثناه لورعه وفطنته.

﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ﴾ أى فمكث الهدهد زمانًا غير بعيد من تهديد سليمان له، ثم جاء وهذا يدل على هيبة جنوده منه وشدة ائتمارهم لأمره، حتى إن هذا الهدهد الذي خلفه العذر الواضح لم يقدر على التخلف زمنا كثيرا، ﴿فَقَالَ﴾ لسليمان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ أي: علمت أشياء أنت لم تعلمها. وابتدأ كلامه بهذه الجملة التي فيها ما فيها من المفاجآت لترغيبه في الإصغاء إليه، ولاستمالة قلبه لقبول عذره بعد ذلك.

إنه يعرف حزم الملك وشدته. فهو يبدأ حديثه بمفاجأة تطغى على موضوع غيبته، وتضمن إصغاء الملك له: فأيُّ ملك لا يستمع وأحد رعاياه يقول له: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾؟! فإذا ضمن إصغاء الملك بعد هذه المفاجأة أخذ في تفصيل النبأ اليقين الذي جاء به من سبأ ﴿وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ﴾ القبيلة المعروفة في اليمن ﴿بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾ أي: خبر متيقن.

فذكر أنه وجدهم تحكمهم امرأة فقال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ أي: تملك قبيلة سبأ وهي امرأة ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يؤتاه الملوك من الأموال والسلاح والجنود والحصون والقلاع ونحو ذلك ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ أي: كرسي ملكها الذي تجلس عليه عرش هائل، وعظم العروش تدل على عظمة المملكة وقوة السلطان وكثرة رجال الشورى، ويدل على الغنى والترف وارتقاء الصناعة.

وقد تحقق فيهم قول الرسول ﷺ: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**» [رواه البخاري]، إذ لم يلبثوا أن غلب عليهم سليمان.

﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: هـم مشـركون يعبدون الشـمس ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ فرأوْا ما هم عليه هو الحق ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ لأن الذي يرى أن الذي عليه حق لا مطمع في هدايته حتى تتغير عقيدته.

﴿ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ بيان لما ترتب على إغواء الشيطان لهم، والمعنى: وزين لهم الشيطان أعمالهم من أجل أن يتركوا السجود لله، أو زين لهم ذلك لأجل أن لا يسجدوا له؛ فيعلل ضلال القوم بأن الشيطان زين لهم أعمالهم، فأضلهم، فهم لا يهتدون إلى عبادة الله العليم الخبير.

﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أى: الذي يظهر الشـيء المخبوء في السموات والأرض، كائنا ما كان هذا الشيء، لأنه لا يخفى عليه شيء فيهما من صغار المخلوقات وبذور النباتات وخفايا الصدور، ويخرج خبء الأرض والسـماء بإنزال المطـر وإنبات النباتات، ويخرج خـبء الأرض عند النفخ في الصـور وإخراج الأموات مـن الأرض ليجازيهم بأعمالهم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: لا تنبغي العبادة والإنابة والذل والحب إلا له لأنه المألوه لما له من الصفات الكاملة والنعم الموجبة لذلك ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الذي هو سـقف المخلوقات ووسع الأرض والسـماوات، فهذا الملك عظيم السلطان كبير الشأن هو الذي يذل له ويخضع ويسجد له ويركع.

فسَـلِمَ الهدهد حين ألقى إليه هذا النبأ العظيم وتعجب سليمان كيف خفي عليه وقال مثبتا لكمال عقله ورزانته ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ

﴿فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وعَـنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَـالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**كَفَى بِالْمَـرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَـمِعَ**» [رواه مسلم]. (كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا) يَكْفِيه ذَلِكَ مِنْ الْكَذِب، فَإِنَّهُ قَدْ اُسْـتُكْثِرَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ يَسْمَع فِي الْعَادَة الصِّدْق وَالْكَذِب، فَإِذَا حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَـمِعَ فَقَدْ كَذَبَ لِإِخْبَارِهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ. وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ «**بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا**». [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ أي استأخر غير بعيد ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾ إليـك ومـا يتراجعون بـه، فذهب بـه فألقاه عليها فقالـت لقومها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ أي جليل المقدار من أكبر ملوك الأرض.

ثـم بينت مضمونه فقالـت ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ أي: لا تكونـوا فوقـي بل اخضعوا تحت سـلطاني، وانقـادوا لأوامري وأقْبِلوا إلي مسـلمين. وهذا في غايـة الوجازة مع البيان التام فإنـه تضمن نهيهم عن العلو عليه، والبقـاء على حالهم التي هم عليها والانقياد لأمـره والدخـول تحـت طاعته، ومجيئهـم إليـه ودعوتهم إلى الإسـلام، وفيه استحباب ابتداء الكتب بالبسملة كاملة وتقديم الاسم في أول عنوان الكتاب.

ومن حزمها وعقلها أن جمعت كبار دولتها ورجال مملكتها و ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي﴾ أي: أخـبروني مـاذا نجيبـه به؟ وهل ندخـل تحت طاعته وننقاد؟ أم ماذا نفعل؟ ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ أي: ما كنت مسـتبدة بأمر دون رأيكم ومشورتكم.

﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ أي: إن رددتِ عليـه قوله ولـم تدخلي في طاعتـه فإنا أقوياء على القتال، فكأنهم مالوا إلى هذا الرأي الذي لو تم لكان فيه دمارهم، ولكنهم أيضا لـم يسـتقروا عليـه بل قالوا: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ﴾ أي: الرأي ما

رأيت لعلمهم بعقلها وحزمها ونصحها لهم ﴿فَٱنظُرِي﴾ نظر فكر وتدبر ﴿مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾.

فقالت لهم - مُثْنِيَةً لهم عن رأيهم ومُبَيِّنَةً سوء مَغَبّة القتال: ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا﴾ قتلا وأسْرًا ونَهْبًا لأموالها وتخريبًا لديارها ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗ﴾ أي: جعلوا الرؤساء السادة أشراف الناس من الأذلين ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ أى: وهذه هي عادتهم التي يفعلونها عند دخولهم قرية من القرى، عن طريق القهر والقسر والقتال. والمقصود من قولها هذا: أن هذا الرأي غير سديد، وفيه تلويح لقومها بأن السلم أجدى من الحرب، وأن الملاينة مع سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أفضل من المجابهة والمواجهة بالقوة.

ثم صرحت لهم بما ستفعله معه فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ أى: وإنى قد قررت أن أرسل إلى سليمان وجنوده هدية ثمينة تليق بالملوك أصحاب الجاه والقوة والسلطان، وإنى لمنتظرة ماذا سيقول سليمان لرسلي عند ما يرى تلك الهدية، وماذا سيفعل معهم؟ فلست بمطيعة له قبل الاختبار وإرسال من يكشف عن أحواله ويتدبرها، وحينئذ نكون على بصيرة من أمرنا.

فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ منه: هل يستمر على رأيه وقوله؟ أم تخدعه الهدية وتتبدل فكرته وكيف أحواله وجنوده؟ فأرسلت له هدية مع رسل من عقلاء قومها وذوي الرأي منهم ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ﴾ أي: جاءه الرسل بالهدية ﴿قَالَ﴾ منكرًا عليهم ومتغيظًا على عدم إجابتهم: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ فليست تقع عندي موقعًا ولا أفرح بها قد أغناني الله عنها وأكثر علي النعم، ﴿بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾ لحبكم للدنيا وقلة ما بأيديكم بالنسبة لما أعطاني الله.

ثــم أوصى الرســول من غيــر كتاب لِمَــا رأى مــن عقله وأنه ســينقل كلامه علــى وجهه فقــال: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: بهديتك ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم ﴾ أي: لا طاقــة لهــم ﴿ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ فرجــع إليهــم وأبلغهم ما قال سليمان وتجهزوا للمسير إلى سليمان، وعلم سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أنهم لا بد أن يسيروا إليه فقال لمن حضره من الجن والإنس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ أي: لأجل أن نتصرف فيه قبل أن يسلموا فتكون أموالهم محترمة.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ والعفريت: هو القوي النشيط جدًّا: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾ والظاهر أن ســليمان إذ ذاك في الشام فيكون بينه وبين ســبأ نحو مســيرة أربعة أشهر شــهران ذهابًا وشــهران إيابًا، ومع ذلك يقــول هــذا العفريت: أنا التــزم بالمجيء به - على كِبَره وثِقَلــه وبُعْده - قبل أن تقوم من مجلســك الذي أنــت فيه. والمعتــاد من المجالــس الطويلة أن تكون معظــم الضحى نحو ثلث يوم، هذا نهاية المعتاد، وقد يكون دون ذلك أو أكثر، وهــذا الملك العظيم عنــد آحاد رعيته هــذه القوة والقدرة، وأبلــغ من ذلك أنْ ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ ﴾.

ما المراد بهذا الذي عنده علم من الكتاب؟

قيل: هو آصف بن برخيا، وهو رجل من صلحاء بنى إســرائيل، آتاه الله من لدنه علمًا، وكان وزيرًا لســليمان. قالوا: وكان يعلم اســم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب الداعي، وإذا سئل به أجاب السائل.

وقيل: المراد به ســليمان نفسه، ويكون الخطاب على هذا العفريت، فكأنه اســتبطأ مــا قاله العفريت فقال له - على ســبيل التحقيــر - : ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ ﴾، وقيــل: المــراد بــه جبريــل عَلَيْهِ السَّلَامُ، والأول هو المشــهور عند المفسرين.

أى: قال الرجل الذي عنده علم من كتاب الله : يا سليمان أنا آتيك بعرشها قبل أن تغمض عينك وتفتحها، وهو كناية عن السرعة الفائقة في إحضاره، بأن يدعو الله بذلك الاسم فيحضر حالا وأنه دعا الله فحضر.

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ أي رأى سليمان العرش ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ حمد الله تعالى على إقداره وملكه وتيسير الأمور له و ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ أي: ليختبرني بذلك، فلم يغتر عليه السلام بمُلْكه وسلطانه وقدرته كما هو دأب الملوك الجاهلين، بل علم أن ذلك اختبار من ربه فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة، ثم بَيَّنَ أن هذا الشكر لا ينتفع الله به وإنما يرجع نفعه إلى صاحبه فقال: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ غني عن أعماله كريم كثير الخير يعم به الشاكر والكافر، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها وكفرها داع لزوالها.

ثم قال لمن عنده: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي: غَيِّرُوه بزيادة ونقص، ونحو ذلك ﴿نَنظُرْ﴾ مختبرين لعقلها ﴿أَتَهْتَدِيٓ﴾ للصواب ويكون عندها ذكاء وفطنة تليق بملكها ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ﴾ قادمة على سليمان عليه السلام عرض عليها عرشها وكان عهدها به قد خلفته في بلدها، و ﴿قِيلَ﴾ لها ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ أي: إنه استقر عندنا أن لك عرشا عظيما فهل هو كهذا العرش الذي أحضرناه لك؟ ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ وهذا من ذكائها وفطنتها لم تقل: هو، لوجود التغيير فيه والتنكير ولم تَنْفِ أنه هو، لأنها عرفته، فأتت بلفظ محتمل للأمرين صادق على الحالين، فقال سليمان عليه السلام متعجبًا من هدايتها وعقلها وشاكرا لله أن أعطاه أعظم منها: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ أي: الهداية والعقل والحزم من قبل هذه الملكة، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ وهي الهداية النافعة الأصلية.

ويحتمل أن هذا من قول ملكة سبأ فيكون المعنى: «وأوتينا العلم عن مُلْكِ سليمان وسلطانه وزيادة اقتداره من قبل هذه الحالة التي رأينا فيها قدرته على إحضار العرش من المسافة البعيدة فأذعَنّا له وجئنا مسلمين له خاضعين لسلطانه».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن الإسلام، وإلا فلها من الذكاء والفطنة ما به تعرف الحق من الباطل ولكن العقائد الباطلة تذهب بصيرة القلب ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ﴾ فاستمرت على دينهم، وانفراد الواحد عن أهل الدين والعادة المستمرة بأمر يراه بعقله من ضلالهم وخطئهم من أندر ما يكون؛ فلهذا لا يُسْتَغرَبُ بقاؤُها على الكفر.

ثم إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد أن ترى من سلطانه ما يُبهر العقول فأمرها أن تدخل الصرح وهو المجلس المرتفع المتسع وكان مجلسًا من قوارير تجري تحته الأنهار.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ وكان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قد بنى هذا الصرح، وجعل بلاطه من زجاج نقى صاف كالبلّور، بحيث يرى الناظر ما يجرى تحته من ماء كأنه بذاته يجري ليس دونه شيء.

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾ أي فلما رأت هذا الصرح وما عليه من جمال وفخامة ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ أى: ظنّتْهُ ماءً غزيرًا كالبحر لأن القوارير شفافة. ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ لئلا تبتل بالماء أذيال ثيابها.

فلما استعدت للخوض قال لها سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ مُزيلًا لما اعتراها من دهشة: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ﴾ أى: ما حسِبْتِهِ لجة ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ أى: قصر مُمَلس من زجاج لا يحجب ما وراءه، فلا حاجة منك لكشف الساقين.

ومن عقلها وأدبها أنها لم تمتنع من الدخول للمحل الذي أمرت بدخوله؛

لعلمها أنها لم تُستَدْع إلا للإكرام وأن ملك سليمان عليه السلام وتنظيمه قد بناه على الحكمة، ولم يكن في قلبها أدنى شك من حالة السوء بعد ما رأت ما رأت.

فحينئذ لما وصلت إلى سليمان وشاهدت ما شاهدت وعلمت نبوته ورسالته تابت ورجعت عن كفرها و ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

فهذا ما قصه الله علينا من قصة ملكة سبأ وما جرى لها مع سليمان، وما عدا ذلك من الفروع المولدة والقصص الإسرائيلية فإنه لا يتعلق بالتفسير لكلام الله وهو من الأمور التي يقف الجزم بها، على الدليل المعلوم عن المعصوم، والمنقولات في هذا الباب كلها أو أكثرها ليس كذلك، فالحزم كل الحزم الإعراض عنها وعدم إدخالها في التفاسير. والله أعلم.

عبر وعظات وأحكام وآداب:

وقد اشتملت هذه القصة على عبر وعظات وأحكام وآداب، من أهمها ما يأتي:

١- أن الله عز وجل قد أعطى - بفضله وإحسانه- داود وسليمان عليهما السلام نِعَمًا عظيمة، على رأسها نعمة النبوة، والملك، والعلم النافع، وأنهما قد قابَلا هذه النعَم بالشكر لله واستعمالها فيما خلقت له.

ونرى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وفي قول سليمان عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾، وفي قوله عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾، وفي قوله عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.

٢- أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أقام دولته على الإيمان بالله وعلى العلم النافع، وعلى القوة العادلة.

أما الإيمان بالله وإخلاص العبادة له، فهو كائن له عَلَيْهِ السَّلَامُ بمقتضى نبوته التي اختاره الله لها، وبمقتضى دعوته غيره إلى وحدانية الله عَزَّوَجَلَّ فقد حكى القرآن عنه أنه قال في رسالته إلى ملكة سبأ: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾.

وأما العلم النافع فيكفى أن القصة الكريمة قد افتتحت بقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾، واشتملت على قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾، وعلى قوله تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾.

وأما القوة، فنراها في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾، وفي قوله تَعَالَىٰ: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾.

٣- أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت رسالته الأولى نشر الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ في الأرض، وتطهيرها من كل معبود سواه، والدليل على ذلك أن الهدهد عندما أخبره بحال الملكة التي كانت هي وقومها يعبدون الشمس من دون الله، ما كان من سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا أن حمّله كتابًا قويًّا بليغًا يأمرهم فيه بترك التكبر والغرور، وبإسلام وجوههم لله وحده: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾.

٤- أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يمثل الحاكم اليقظ المتنبه لأحوال رعيته، حيث يعرف شئونها الصغيرة والكبيرة، ويعرف الحاضر من أفرادها والغائب، حتى ولو كان الغائب طيرًا صغيرًا، من بين آلاف الخلائق الذين هم تحت قيادته.

ولقد صور القرآن ما كان عليه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ من يقظة ودراية بأفراد رعيته

أبدع تصوير، فقال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾، فانظر إلى الهدهد مع صغره، كيف لم يخف على سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ حاله، فكيف بعظام المُلك.

٥- أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كان بجانب تعهُّده لشئون رعيته يمثل الحاكم الحازم العادل، الذي يحاسب المهمل، ويتوعد المقصر، ويعاقب من يستحق العقاب، وفي الوقت نفسه يقبل عذر المعتذر متى اعتذر عذرًا مشروعًا ومقنعًا، انظر إليه وهو يقول- كما حكى القرآن عنه- عند ما تفقد الهدهد فلم يجده: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

إن الجيوش الجرارة التي تحت قيادة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يؤثر فيها غياب هدهد منها. ولكن سليمان القائد الحازم، كأنه يريد أن يعلم جنوده، أن لكل جندي رسالته التي يجب عليه أن يؤديها على الوجه الأكمل سواء أكان هذا الجندي صغيرًا أم كبيرًا، وأنّ مَن فرَّطَ في الأمور الصغيرة، لا يُستبعَد منه أن يفرط في الأمور الكبيرة.

٦- أن الجندي الصغير في الأمة التي يظلها العدل والحرية والأمان لا يمنعه صغره من أن يرد على الحاكم الكبير بشجاعة وقوة انظر إلى الهدهد - مع صِغَره - يحكى عنه القرآن أنه رد على نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي آتاه الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده بقوله: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾.

ونجد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يؤاخذه على هذا القول، بل يضع قوله موضع التحقيق والاختبار فيقول له: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، وهكذا الأمم العاقلة الرشيدة، لا يُهَان فيها الصغير، ولا يُظْلَم فيها الكبير.

٧- أن حكمة الله عَزَّ وَجَلَّ قد اقتضت أن تتألف الأمم من حاكِمين ومحكومين،

وأن كل فريــق لــه حقــوق وعليه واجبــات، وأن الأمــم لا تصلح بــدون حاكم يحكمها ويرعى شئونها، ويحق الحق ويبطل الباطل.

٨- أن الحاكم العاقل هو الذي يستشـير مَن هو أهل للاستشـارة في الأمور التي تهم الأمة، فها هي ذي ملكة سبأ عند ما جاءها كتاب سليمان عليه السلام جمعت وجوه قومها، وقالــت لهم- كما حكى القرآن عنها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾.

وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد مدح الله الفضلاء بقوله: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى: ٣٨].

٩- أن الهدية إذا لمس الُمهْدَى إليه من ورائها عدم الإخلاص في إهدائها، وأن المقصد منها صرفه عن حق يقيمه أو عن باطل يزيله، فإن الواجب عليه أن يرد هذه الهدية لصاحبها، وأن يمتنع عن قبولها.

ألا تــرى إلى سـليمان عليه السلام قد رد الهديــة الثمينة التي أهدتهــا الملكة إليه، حيــن أحس أن من وراء هذه الهدية شـيئًا يتنافى مع تبليغ وتنفيذ رسـالة الله عز وجل التي أمره بتبليغها وتنفيذها، ألا وهي: الأمر بإخلاص العبادة لله عز وجل والنهى عن الإشـراك به، وهي إنمــا كانت تقصد بهديتها، اختبار سـليمان عليه السلام أنبي هو أم ملك.

لذا وجدنا القرآن يحكي عن سليمان عليه السلام أنه رد هذه الهدية مع من جاءوا بهــا، و﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾.

١٠- أن ملكة سبأ دل تصرفها على أنها كانت ملكة عاقلة رشيدة، حكيمة، فقــد استشــارت خاصتهــا في كتاب سـليمان عليه السلام، ولوحــت لهم بقوتــه وبما سـيترتب على حربه، وآثرت أن تقدم له هدية على سبيل الامتحان، واستحبت

المسالمة على المحاربة. وكان عندها الاستعداد لقبول الحق والدخول فيه، وما أخرها عن المسارعة إليه إلا لكونها كانت من قوم كافرين.

وعندما التقت بسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وانكشفت لها الحقائق سارعت إلى الدخول في الدين الحق، و﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.



١٢٣- ظاهرة ضعف الإيمان (١)

إن ظاهرة ضعف الإيمان مما يشكو منه كثير من المسلمين، فيشتكي من قسوة قلبه وتترد عباراتهم: «أحس بقسوة في قلبي»، «لا أجد لـذّةً للعبادات»، «أشعر أن إيماني في الحضيض»، «لا أتأثر بقراءة القرآن»، «أقع في المعصية بسهولة»، وهذا المرض أساس كل مصيبة وسبب كل نقص وبلية.

وموضوع القلوب موضوع حساس ومهم، وقد سُمِّيَ القلبُ قلبًا لسرعة تقلُّبِه قال ﷺ: «**إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ بِالْفَلَاةِ تَعَلَّقَتْ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ**» [رواه الطبراني، وصححه الألباني].

(مِنْ تَقَلُّبِهِ) أي: لأجل تَقَلُّبه سمي قلبًا.

والقلب شديد التقلب كما وصفه النبي ﷺ بقوله: «**لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلَيَانًا**»(رواه ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الألباني).

والله هو مُقَلِّب القلوب ومصرفها، فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**» [رواه مسلم].

وإذا عُلِمَ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وأنه لن ينجو يوم القيامة ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء: ٨٩]، وأن الويل ﴿لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الزمر: ٢٢]، وأن الوعد بالجنة ل ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ

(١) هذه الخطبة والتي بعدها بتصرف من كتاب (ظاهرة ضعف الإيمان)، للشيخ محمد صالح المنجد.

مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣] كان لابد للمؤمن أن يتحسس قلبه ويعرف مكمن الداء وسبب المرض ويشرع في العلاج قبل أن يطغى عليه الران فيهلك.

مظاهر ضعف الإيمان:

إن مرض ضعف الإيمان له أعراض ومظاهر متعددة فمنها:

١- الوقوع في المعاصي وارتكاب المحرمات: ومن العصاة من يرتكب معصية يصر عليها ومنهم من يرتكب أنواعًا من المعاصي، وكثرة الوقوع في المعصية يؤدي إلى تحولها عادة مألوفة ثم يزول قبحها من القلب تدريجيًا حتى يقع العاصي في المجاهرة بها ويدخل في قول النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ**» [رواه البخاري].

٢- الشعور بقسوة القلب وخشونته: حتى ليحس الإنسان أن قلبه قد انقلب حجرًا صلدًا لا يترشح منه شيء ولا يتأثر بشيء، والله جل وعلا يقول: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، وصاحب القلب القاسي لا تؤثر فيه موعظة الموت ولا رؤية الأموات ولا الجنائز، وربما حمل الجنازة بنفسه وواراها بالتراب، ولكن سيره بين القبور كسيره بين الأحجار.

٣- عدم إتقان العبادات: ومن ذلك شرود الذهن أثناء الصلاة وتلاوة القرآن والأدعية ونحوها، وعدم التدبر والتفكر في معاني الأذكار، فيقرؤها بطريقة رتيبة مملة هذا إذا حافظ عليها، ولو اعتاد أن يدعو بدعاء معين في وقت معين أتت به السنة فإنه لا يفكر في معاني هذا الدعاء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ**». [رواه الترمذي، وحسّنه الألباني].

٤ - التكاسل عن الطاعات والعبادات، وإضاعتها، وإذا أداها فإنما هي حركات جوفاء لا روح فيها، وقد وصف الله عز وجل المنافقين بقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢].

ويدخل في ذلك عدم الاكتراث لفوات مواسم الخير وأوقات العبادة وهذا يدل على عدم اهتمام الشخص بتحصيل الأجر، فقد يؤخر الحج وهو قادر ويتفارط الغزو وهو قاعد، ويتأخر عن صلاة الجماعة ثم عن صلاة الجمعة.

ومثل هذا لا يشعر بتأنيب الضمير إذا نام عن الصلاة المكتوبة، وكذا لو فاتته سنة راتبة أو وِرْد من أوراده فإنه لا يرغب في قضائه ولا تعويض ما فاته، وكذا يتعمد تفويت كل ما هو سنة أو من فروض الكفاية، فربما لا يشهد صلاة العيد (مع قول بعض أهل العلم بوجوب شهودها) ولا يصلي الكسوف والخسوف، ولا يهتم بحضور الجنازة ولا الصلاة عليها، فهو راغب عن الأجر، مستغن عنه على النقيض ممن وصفهم الله بقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ومن مظاهر التكاسل في الطاعات، التكاسل عن فعل السنن الرواتب، وقيام الليل، والتبكير إلى المساجد وسائر النوافل فمثلًا صلاة الضحى لا تخطر له ببال فضلًا عن ركعتي التوبة وصلاة الاستخارة.

٥ - ضيق الصدر وتغير المزاج وانحباس الطبع حتى كأن على الإنسان ثقلًا كبيرًا ينوء به، فيصبح سريع التضجر والتأفف من أدنى شيء، ويشعر بالضيق من تصرفات الناس حوله وتذهب سماحة نفسه.

٦ - عدم التأثر بآيات القرآن، لا بوعده ولا بوعيده ولا بأمره ولا نهيه ولا في وصفه للقيامة، فضعيف الإيمان يمل من سماع القرآن، ولا تطيق نفسه مواصلة

قراءته فكلما فتح المصحف كاد أن يغلقه.

٧- الغفلة عن الله في ذكره ودعائه : فيثقل الذكر على الذاكر، وإذا رفع يده للدعاء سرعان ما يقبضهما ويمضي.

٨- عدم الغضب إذا انتهكت محارم الله عز وجل لأن لهب الغيرة في القلب قد انطفأ فتعطلت الجوارح عن الإنكار فلا يأمر صاحبه بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يتمعر وجهه قط في الله ﷻ.

والرسول ﷺ يصف هذا القلب المصاب بالضعف بقوله ﷺ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا؛ فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**» [رواه مسلم].

وَمَعْنَى (تُعْرَض) أَنَّهَا تُلْصَق بِعَرْضِ الْقُلُوب أَيْ جَانِبهَا كَمَا يُلْصَق الْحَصِير بِجَنْبِ النَّائِم، وَيُؤَثِّر فِيهِ شِدَّة اِلْتِصَاقهَا بِهِ. وَمَعْنَى (عُودًا عُودًا) أَيْ تُعَاد وَتُكَرَّر شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. (كَالْحَصِيرِ) أَيْ كَمَا يُنْسَج الْحَصِير عُودًا عُودًا وَشَظِيَّة بَعْد أُخْرَى، وَذَلِكَ أَنَّ نَاسِج الْحَصِير عِنْد الْعَرَب كُلَّمَا صَنَعَ عُودًا أَخَذَ آخَر وَنَسَجَهُ فَشَبَّهَ عَرَضَ الْفِتَن عَلَى الْقُلُوب وَاحِدَة بَعْد أُخْرَى بِعَرْضِ قُضْبَان الْحَصِير عَلَى صَانِعهَا وَاحِدًا بَعْد وَاحِد.

مَعْنَى (أُشْرِبَهَا) دَخَلَتْ فِيهِ دُخُولًا تَامًّا وَأُلْزِمَهَا وَحَلَّتْ مِنْهُ مَحَلّ الشَّرَاب، وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة:٩٣]، أَيْ حُبّ الْعِجْل، وَمِنْهُ قَوْلهمْ: ثَوْب مُشْرَب بِحُمْرَةٍ: أَيْ خَالَطَتْهُ الْحُمْرَة مُخَالَطَة لَا اِنْفِكَاكَ لَهَا. وَمَعْنَى (نُكِتَ نُكْتَة): نُقِطَ نُقْطَة. وَمَعْنَى (أَنْكَرَهَا) رَدَّهَا.

وَقَوْلـه ﷺ: «حَتَّى تَصِير عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَض مِثْل الصَّفَا» لَيْسَ تَشْبِيهه بِالصَّفَا بَيَانًا لِبَيَاضِهِ لَكِنْ صِفَة أُخْرَى لِشِدَّتِهِ عَلَى عَقْد الْإِيمَان وَسَلَامَته مِنْ الْخَلَل، وَأَنَّ الْفِتَن لَمْ تَلْصَق بِهِ، وَلَمْ تُؤَثِّر فِيهِ كَالصَّفَا وَهُوَ الْحَجَر الْأَمْلَس الَّذِي لَا يَعْلَق بِهِ شَيْء.

(مُرْبَادًّا) أي: شديد السواد في بياض.

ولَيْسَ قَوْله (كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا) تَشْبِيهًا لِسَوَاده بَلْ هُوَ وَصْف آخَر مِنْ أَوْصَافه بِأَنَّهُ قُلِبَ وَنُكِّسَ حَتَّى لَا يَعْلَق بِهِ خَيْر وَلَا حِكْمَة، وَمَثَّله بِالْكُوزِ الْمُجَخِّي وَبَيَّنَهُ بِقَوْلِهِ: «لَا يَعْرِف مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِر مُنْكَرًا».

شَبَّهَ الْقَلْب الَّذِي لَا يَعِي خَيْرًا بِالْكُوزِ الْمُنْحَرِف الَّذِي لَا يَثْبُت الْمَاء فِيهِ، ومَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ الرَّجُل إِذَا تَبِعَ هَوَاهُ وَارْتَكَبَ الْمَعَاصِي دَخَلَ قَلْبه بِكُلِّ مَعْصِيَة يَتَعَاطَاهَا ظُلْمَةٌ، وَإِذَا صَارَ كَذَلِكَ اُفْتُتِنَ وَزَالَ عَنْهُ نُور الْإِسْلَام، وَالْقَلْب مِثْل الْكُوز فَإِذَا اِنْكَبَّ اِنْصَبَّ مَا فِيهِ وَلَمْ يَدْخُلهُ شَيْء بَعْد ذَلِكَ.

فهذا زال من قلبه حب المعروف وكراهية المنكر واستوت عنده الأمور فما الذي يدفعه إلى الأمر والنهي، بل إنه ربما سمع بالمنكر يعمل في الأرض فيرضى به فيكون عليه من الوزر مثل وزر شاهده فأقره كما قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: **«إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِى الأَرْضِ كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَأَنْكَرَهَا كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا»**. [رواه أبو داود، وحسّنه الألباني].

فهذا الرضا منه وهو - عمل قلبي - أورثه منزلة الشاهد في الإثم.

٩- حب الظهور وهذا له صور منها:

• الرغبة في الرئاسة والإمارة وعدم تقدير المسؤولية والخطر.

• محبة تصدر المجالس والاستئثار بالكلام وفرض الاستماع على الآخرين وأن يكون الأمر له.

• محبـة أن يقـوم له الناس إذا دخل عليهم لإشـباع حب التعاظم في نفسـه المريضة.

١٠- الشح والبخل:

ولا شك أن ضعف الإيمان يولد الشح، ولخطورة الشح وآثاره على النفس فقد بينها النبي ﷺ فَقَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالشُّـحَّ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّـحِّ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخَلُوا، وَأَمَرَهُـمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا**».

[رواه أبو داود، وصححه الألباني].

وأما البخل فإن صاحب الإيمان الضعيف لا يكاد يخرج شـيئًا لله ولو دعى داعـي الصدقة وظهـرت فاقـة إخوانه المسـلمين وحلت بهـم المصائب، ولا أبلغ من كلام الله في هذا الشـأن قـال تعَالَىٰ: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨].

١١- أن يقـول الإنسـان مـا لا يفعـل، قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[الصف]، ولا شك أن هذا نوع النفاق، ومَن خالف قوله عمله صار مذمومًا عند الله مكروهًا عند الخلق.

١٢- السـرور والغبطة بما يصيب إخوانه المسلمين من فشل أو خسارة أو مصيبة أو زوال نعمة، فيشـعر بالسرور لأن النعمة قد زالت، ولأن الشيء الذي كان يتميز عليه غيره به قد زال عنه.

١٣- النظر إلى الأمور من جهة وقوع الإثم فيها أو عدم وقوعه فقط وغض البصر عن فعل المكروه: فبعض الناس عندما يريد أن يعمل عملًا من الأعمال لا يسـأل عن أعمال البر وإنما يسأل: هل هذا العمل يصل إلى الإثم أم لا؟ هل

هو حرام أم أنه مكروه فقط؟ وهذه النفسية تؤدي إلى الوقوع في شَرَك الشبهات والمكروهات، مما يؤدي إلى الوقوع في المحرمات يومًا ما، فصاحبها ليس لديه مانع من ارتكاب عمل مكروه أو مشتبه فيه ما دام أنه ليس محرمًا.

بل إن بعض الناس إذا استفتى في شيء وأخبر أنه محرم، يسأل هل حرمته شديدة أو لا؟! وكم الإثم المترتب عليه؟ فمثل هذا لا يكون لديه اهتمام بالابتعاد عن المنكر والسيئات بل عنده استعداد لارتكاب أول مراتب الحرام، واستهانة بمحقرات الذنوب مما ينتج عنه الاجتراء على محارم الله، وزوال الحواجز بينه وبين المعصية.

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**». قَالَ ثَوْبَانُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ». قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

فتجده يقع في المحرم دون تحفظ ولا تردد، وهذا أسوأ من الذي يقع في الحرام بعد تردد وتحرج وكِلَا الشخصين على خطر، ولكن الأول أسوأ من الثاني، وهذا النوع من الناس يستسهل الذنوب نتيجة لضعف إيمانه ولا يرى أنه عمل شيئًا منكرًا.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ، قَالَ بِهِ هَكَذَا فَطَارَ»، [رواه البخاري وغيره].

(إِنَّ الْمُؤْمِن يَرَى ذُنُوبه كَأَنَّهُ قَاعِد تَحْت جَبَل يَخَاف أَنْ يَقَع عَلَيْهِ) السَّبَب فِي ذَلِكَ أَنَّ قَلْب الْمُؤْمِن مُنَوَّر، فَإِذَا رَأَى مِنْ نَفْسه مَا يُخَالِف مَا يُنَوِّر بِهِ قَلْبه

عَظُـمَ الْأَمْـر عَلَيْـهِ، وَالْحِكْمَة فِي التَّمْثِيـل بِالْجَبَـل أَنَّ غَيْره مِـنْ الْمُهْلِكَات قَدْ يَحْصُل التَّسَـبُّب إِلَى النَّجَاة مِنْهُ بِخِلَافِ الْجَبَل إِذَا سَقَطَ عَلَى الشَّخْص لَا يَنْجُو مِنْهُ عَادَة، وَحَاصِله أَنَّ الْمُؤْمِن يَغْلِب عَلَيْهِ الْخَوْف لِقُوَّةِ مَا عِنْده مِنْ الْإِيمَان فَلَا يَأْمَن الْعُقُوبَة بِسَـبَبِهَا، وَهَذَا شَأْن الْمُسْـلِم أَنَّهُ دَائِم الْخَوْف وَالْمُرَاقَبَة، يَسْتَصْغِر عَمَله الصَّالِح وَيَخْشَى مِنْ صَغِير عَمَله السَّيِّئ.

(وَإِنَّ الْفَاجِـرَ يَـرَى ذُنُوبَـهُ كَذُبَـابٍ مَـرَّ عَلَـى أَنْفِـهِ) أَيْ ذَنْبـه سَـهْل عِنْـده لَا يَعْتَقِد أَنَّهُ يَحْصُل لَهُ بِسَبَبِهِ كَبِير ضَرَر، كَمَا أَنَّ ضَرَر الذُّبَاب عِنْده سَهْل، وَكَذَا دَفْعه عَنْهُ.

(فَقَـالَ بِـهِ هَكَذَا) أَيْ نَحَّاهُ بِيَدِهِ أَوْ دَفَعَهُ، هُوَ مِـنْ إِطْلَاق الْقَوْل عَلَى الْفِعْل، قَالُوا وَهُوَ أَبْلَغ، والسَّـبَب فِي ذَلِـكَ أَنَّ قَلْب الْفَاجِر مُظْلِم فَوُقُوع الذَّنْب خَفِيف عِنْده، وَلِهَذَا تَجِد مَنْ يَقَع فِي الْمَعْصِيَة إِذَا وُعِظَ يَقُول: هَذَا سَهْل.

وَالْحِكْمَـة فِـي تَشْـبِيهِ ذُنُـوب الْفَاجِـر بِالذُّبَابِ كَـوْن الذُّبَاب أَخَـفّ الطَّيْر وَأَحْقَـره، وَهُـوَ مِمَّا يُعَايَـن وَيُدْفَع بِأَقَلّ الْأَشْـيَاءِ، قَالَ: وَفِي ذِكْـر الْأَنْف مُبَالَغَة فِـي اِعْتِقَـاده خِفَّة الذَّنْب عِنْده؛ لِأَنَّ الذُّبَاب قَلَّمَا يَنْـزِل عَلَى الْأَنْف وَإِنَّمَا يَقْصِد غَالِبًـا الْعَيْن، قَالَ: وَفِي إِشَـارَته بِيَدِهِ تَأْكِيـد لِلْخِفَّةِ أَيْضًا لِأَنَّهُ بِهَذَا الْقَدْر الْيَسِـير يُدْفَع ضَرَره.

١٤- احتقـار المعروف، وعـدم الاهتمام بالحسـنات الصغيرة: وقد علمنا ﷺ أن لا نكـون كذلك، فقـال ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِـنَ الْمَعْرُوفِ شَـيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُعْطِـيَ صِلَـةَ الْحَبْلِ، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ شِسْـعَ النَّعْلِ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِـنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْـقِي، وَلَوْ أَنْ تُنَحِّيَ الشَّـيْءَ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ يُؤْذِيهِـمْ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْطَلِقٌ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِ، وَلَوْ أَنْ تُؤْنِسَ الْوَحْشَانَ فِي الْأَرْضِ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وقال الألباني والأرنؤوط: «إسناده صحيح»].

(صِلَةَ الحبل) أي: ما يُوصَلُ بالحبل. (الشسـع) سير يمسك النعل بأصابع القدم. (الْوَحْشَانَ) الْمُغْتَمُّ، مِنَ الوَحْشَةِ ضِدِّ الأُنْسِ.

فلو جاء يريد أن يستسـقي من بئر وقد رفعت دلوك فأفرغته له، فهذا العمل وإن كان ظاهـره صغيـرًا لا ينبغي احتقـاره، وكذا لقيا الأخ بوجـه طلق، وإزالة القذر والأوساخ من المسجد، وحتى ولو كان قشة فلعل هذا العمل يكون سببًا في مغفـرة الذنوب، والرب يشـكر لعبده مثل هـذه الأفعال فيغفر لـه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: «وَاللهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ»؛ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ**» [رواه مسلم].

١٥- عـدم الاهتمام بقضايا المسـلمين ولا التفاعل معها بدعاء ولا صدقة ولا إعانة، فهو بارد الإحسـاس تجاه ما يصيب إخوانه في بقاع العالم من تسـلط العـدو والقهـر والاضطهـاد والكوارث، فيكتفي بسـلامة نفسـه، وهـذا نتيجة ضعف الإيمان، فإن المؤمن بخلاف ذلك، فعن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ يَأْلَمُ الْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ كَمَا يَأْلَمُ الْجَسَـدُ لِمَا فِي الرَّأْسِ**» [رواه الإمام أحمد في المُسـنَد، وحسّنه الألباني].

١٦- انفصام عرى الأخوة بين المتآخيين:

قـال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَـدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُـرِّقَ بَيْنَهُمَا، إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُـهُ أَحَدُهُمَا**» (رواه الإمام أحمد في المُسـنَد، وصححه الأرنؤوط)، ورواه البخـاري في (الأدب المفـرد) بلفـظ: «**مَا تَوَادَّ اثْنَـانِ فِي اللهِ جَلَّ وَعَـزَّ - أَوْ فِي الْإِسْلَامِ -، فَيُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا**» [صححه الألباني].

فهذا دليل على شـؤم المعصية قد يطال الروابـط الأخوية ويفصمها، فهذه الوحشـة التي يجدها الإنسـان بينه وبين إخوانه أحيانًا هي نتيجة لتدني الإيمان

بسبب ارتكاب المعاصي لأن الله يسقط العاصي من قلوب عباده، فيعيش بينهم أسوأ عيش ساقط القدر لا حرمة له، وكذلك يفوته رفقة المؤمنين ودفاع الله عنهم، فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨].

١٧- عدم استشعار المسئولية في العمل لهذا الدين، فلا يسعى لنشره ولا يسعى لخدمته على النقيض من أصحاب النبي ﷺ الذين لما دخلوا في الدين شعروا بالمسئولية على الفور، وهذا الطفيل بن عمرو رضي الله عنه كم كان بين إسلامه وذهابه لدعوة قومه إلى الله عز وجل؟! لقد نفر على الفور لدعوة قومه، وبمجرد دخوله في الدين أحس أن عليه أن يرجع إلى قومه فرجع داعية إلى الله.

١٨- الفزع والخوف عند نزول المصيبة أو حدوث مشكلة: فتراه مرتعد الفرائص، مختل التوازن، شارد الذهن، شاخص البصر، يحار في أمره عندما يصاب بمَلَمَّةٍ أو بَلِيَّةٍ فتنغلق في عينيه المخارج وتركبه الهموم؛ فلا يستطيع مواجهة الواقع بجَنَانٍ ثابت وقلب قوي، وهذا كله بسبب ضعف إيمانه، ولو كان إيمانه قويًا لكان ثابتًا ولَوَاجَه أعظم الملمات وأقسى البليات بقوة وثبات.

١٩- كثرة الجدال والمراء المُقَسِّي للقلب:، قال ﷺ: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني]. فالجدل بغير دليل ولا قصد صحيح يؤدي إلى الابتعاد عن الصراط المستقيم، وما أكثر جدال الناس اليوم بالباطل يتجادلون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

٢٠- التعلق بالدنيا، والشغف بها، والاسترواح إليها: فيتعلق القلب بالدنيا إلى درجة يحس صاحبه بالألم إذا فاته شيء من حظوظها كالمال والجاه والمنصب والمسكن، ويعتبر نفسه مغبونًا سيء الحظ لأنه لم ينل ما ناله غيره، ويحس بألم وانقباض أعظم إذا رأى أخاه المسلم قد نال بعض ما فاته هو من حظوظ الدنيا، وقد يحسده، ويتمنى زوال النعمة عنه.

٢١- أن يأخذ كلام الإنسان وأسلوبه الطابع العقلي البحت ويفقد السمة الإيمانية حتى لا تكاد تجد في كلام هذا الشخص أثرًا لنص من القرآن أو السنة أو كلام السلف.

٢٢- المغالاة في الاهتمام بالنفس مأكلًا ومشربًا وملبسًا ومسكنًا ومركبًا، فتجده يهتم بالكماليات اهتمامًا بالغًا، فينمق هندامه ويجهد نفسه بشراء الرقيق من اللباس ويزوق مسكنه وينفق الأموال والأوقات في هذه التحسينات، وهي مما لا ضرورة له ولا حاجة - مع أن من إخوانه المسلمين من هم في أشد الحاجة لهذه الأموال - ويعمل هذا كله حتى يغرق في التنعيم والترفه المنهي عنه.

فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ بِهِ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «**إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ؛ فَإِنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ**»، [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

أسباب ضعف الإيمان:

إن لضعف الإيمان أسبابًا كثيرة ومنها ما هو مشترك مع الأعراض مثل الوقوع في المعاصي والانشغال بالدنيا وهذا ذكر لبعض الأسباب مضافًا إلى ما سبق:

١- الابتعاد عن الأجواء الإيمانية فترة طويلة: وهذا مدعاة لضعف الإيمان في النفس، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد:١٦]. فدلت الآية الكريمة على أن طول الوقت في البعد عن الأجواء الإيمانية مدعاة لضعف الإيمان في القلب.

فمثلًا: الشخص الذي يبتعد عن إخوانه في الله لفترة طويلة لسفر أو وظيفة

ونحو ذلك فإنه يفتقد الجو الإيماني الذي كان يتنعم في ظلاله، ويستمد منه قوة قلبه والمؤمن قليل بنفسه كثير بإخوانه، يقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إخواننا أغلى عندنا من أهلينا فأهلونا يذكروننا الدنيا، وإخواننا يذكروننا بالآخرة».

وهذا الابتعاد إذا استمر يخلف وحشة تقلب بعد حين إلى نفرة من تلك الأجواء الإيمانية، يقسو على أثرها القلب ويظلم، ويخبو فيه نور الإيمان.

٢- الابتعاد عن القدوة الصالحة: فالشخص الذي يتعلم على يدي رجل صالح يجمع بين العلم النافع والعمل الصالح وقوة الإيمان، يتعاهده ويحذيه مما عنده من العلم والأخلاق والفضائل، لو ابتعد عنه فترة من الزمن فإن المتعلم يحس بقسوة في قلبه.

٣- الابتعاد عن طلب العلم الشرعي والاتصال بكتب السلف والكتب الإيمانية التي تحيي القلب: فهناك أنواع من الكتب يحس القارئ بأنها تستثير في قلبه الإيمان، وتحرك الدوافع الإيمانية الكامنة في نفسه وعلى رأسها كتاب الله تعالى وكتب الحديث ثم كتب العلماء المجيدين في الرقائق والوعظ والذين يحسنون عرض العقيدة بطريقة تحيي القلب.

٤- وجود الإنسان المسلم في وسط يعج بالمعاصي: فهذا يتباهى بمعصية ارتكبها، وآخر يترنم بألحان أغنية وكلماتها، وثالث يدخن، ورابع يبسط مجلة ماجنة، وخامس لسانه منطلق باللعن والسباب والشتائم وهكذا، أما القيل والقال والغيبة والنميمة وأخبار المباريات فمما لا يُحْصَى كثرةً.

وبعض الأوساط لا تذكّر إلا بالدنيا كما هو الحال في كثير من مجالس الناس ومكاتبهم اليوم، فأحاديث التجارة والوظيفة والأموال والاستثمارات ومشكلات العمل والعلاوات والترقيات والانتدابات وغيرها تحتل الصدارة في اهتمامات كثير من الناس وأحاديثهم.

وأما البيوت - فحدث ولا حرج - حيث الطامات والأمور المنكرات مما يندى له جبين المسلم وينصدع قلبه، فالأغاني الماجنة، والأفلام الساقطة، والاختلاط المحرم وغير ذلك مما تمتلئ به بيوت المسلمين، فمثل هذه البيئات تصاب فيها القلوب بالمرض وتصبح قاسية ولا شك.

٥- الإغراق في الاشتغال بالدنيا حتى يصبح القلب عبدًا لها: والنبي ﷺ يقول: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ**» [رواه البخاري]، وقال ﷺ: «**إِنَّمَا يَكْفِي أَحَدَكُمْ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُ زَادِ الرَّاكِبِ**» [رواه الطبراني، وصححه الألباني].

(زَادِ الرَّاكِبِ) يعني الشيء اليسير الذي يبلغه المقصود.

وهذه الظاهرة واضحة في هذه الأيام التي عَمَّ فيها الطمع المادي والجشع في الازدياد من حطام الدنيا وصار الناس يركضون وراء التجارات والصناعات والمساهمات وهذا مصداق ما أخبر به ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ - عز وجل - قَالَ: «إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَلَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٍ، وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا ثَالِثٌ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**» [رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني].

(وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ) أي لا يزال حريصًا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره.

٦- الانشغال بالمال والزوجة والأولاد: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨].

ويقول تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٥]، ويقول تَعَالَىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

ومعنى هذه الآية أن حب هذه الأشياء وفي مقدمتها النساء والبنون إذا كان مقدمًا على طاعة الله ورسوله فإنه مستقبح مذموم صاحبه، أما إن كان حب ذلك على وجهه الشرعي المعين على طاعة الله فهو محمود صاحبه، وقد قال النبي ﷺ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وحسّنه الألباني].

وكثير من الناس ينساق وراء الزوجة في المحرمات وينساق وراء الأولاد منشغلًا عن طاعة الله، وقد قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الْوَلَدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ مَحْزَنَةٌ**». [صحيح رواه الحاكم والطبراني].

(إن الْوَلَد مَبْخَلَةٌ) بالمال عن إنفاقه في وجوه القُرَب خوف فقره. (مَجْبَنَةٌ) يجبن أباه عن الهجرة والجهاد خشية ضيعته. (مَجْهَلَةٌ) لكونه يحمل على ترك الرحلة في طلب العلم والجد في تحصيله لاهتمامه بتحصيل المال له. (مَحْزَنَةٌ) يحمل أبويه على كثرة الحزن لكونه إن مرض حَزِنَا وإن طلب شيئًا لا قدرة لهما عليه حَزِنَا، فأكثر ما يفوت أبويه من الفلاح والصلاح بسببه، فإن شب وعق فذلك الحزن الدائم والهم السرمدي اللازم.

فالحذر على الولد يُكْسِبُ هذه الأوصاف ويُحْدِث هذه الأخلاق، فكأنه أشار إلى التحذير من النكول عن الجهاد والنفقة، وطلب العلم بسبب الأولاد. وليس المقصود ترك الزواج والإنجاب ولا ترك تربية الأولاد، وإنما المقصود التحذير من الانشغال معهم بالمحرمات.

وأما فتنة المال فيَقُولُ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ**». [رواه الترمذي، وصححه الألباني]. والحرص على المال أشد إفسادًا للدين من الذئب الذي تسلط على زريبة غنم وهذا معنى قول النبي ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا**

فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ». [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

٧- طول الأمل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[الحجر: ٣]، وقال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فيُنْسِي الآخرة».

وقال أحد الصالحين: «أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا».

ويتولد من طول الأمل الكسل عن الطاعة والتسويف والرغبة في الدنيا والنسيان للآخرة والقسوة في القلب لأن رقته وصفاءه إنما يقع بتذكير الموت والقبر والثواب والعقاب وأهوال القيامة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، وقيل: «من قصر أمله قَلَّ همُّه وتنور قلبُه»؛ لأنه إذا استحضر الموت اجتهد في الطاعة.

٨- الإفراط في الأكل والنوم والسهر والكلام والخلطة:

فكثرة الأكل تبلد الذهن وتثقل البدن عن طاعة الرحمن وتغذي مجاري الشيطان في الإنسان، وقد قيل: «من أكل كثيرًا، شرب كثيرًا، فنام كثيرًا، وخسر أجرًا كبيرًا».

فالإفراط في الكلام يقسي القلب، والإفراط في مخالطة الناس تحول بين المرء ومحاسبة نفسه والخلوة بها والنظر في تدبير أمرها، وكثرة الضحك تقضي على مادة الحياة في القلب فيموت، قال ﷺ: «**لَا تُكْثِرْ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**» [رواه الترمذي، وحسّنه الألباني].

وكذلـك الوقت الـذي لا يملأ بطاعة الله تعالى ينتج قلبًـا صلدًا لا تنفع فيه زواجر القرآن ولا مواعظ الإيمان.

وأسـباب ضعـف الإيمان كثيـرة ليس بالوسـع حصرها، ولكـن يمكن أن يسترشد بما ذُكِر على ما لم يُذْكَر منها، والعاقل يدرك ذلك من نفسه، نسأل الله أن يطهر قلوبنا ويقينا شر أنفسنا.



١٢٤- علاج ضعف الإيمان

علاج ضعف الإيمان:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ**». [رواه الحاكم في المستدرك، والطبراني وصححه الألباني].

معنى ذلك أن الإيمان يبلى في القلب كما يبلى الثوب إذا اهترأ وأصبح قديمًا، وتعتري قلب المؤمن في بعض الأحيان سحابة من سحب المعصية فيظلم وهذه الصورة صورها لنا رسول الله ﷺ بقوله: «**مَا مِنَ الْقُلُوبِ قَلْبٌ، إِلَّا وَلَهُ سَحَابَةٌ كَسَحَابَةِ الْقَمَرِ، بَيْنَا الْقَمَرُ مُضِيءٌ إِذْ عَلَتْ عَلَيْهِ سَحَابَةٌ، فَأَظْلَمَ إِذْ تَجَلَّتْ عَنْهُ فَأَضَاءَ**» [رواه الطبراني وغيره، وحسّنه الألباني]، (بَيْنَا): بينما.

فالقمر تأتي عليه أحيانًا سحابة تغطي ضوءه، وبعد برهة من الزمن تزول وتنقشع فيرجع ضوء القمر مرة أخرى ليضيء في السماء، وكذلك قلب المؤمن تعتريه أحيانًا سحب مظلمة من المعصية، فتحجب نوره، فيبقى الإنسان في ظلمة ووحشة، فإذا سعى لزيادة إيمانه واستعان بالله ﷻ انقشعت تلك السحب، وعاد نور قلبه يضيء كما كان.

ومن المرتكزات المهمة في فهم قضية ضعف الإيمان وتصور علاجها هو معرفة أن الإيمان يزيد وينقص وهذا من صميم اعتقاد أهل السنة والجماعة، فإنهم يقولون إن الإيمان: نطق باللسان، واعتقاد بالجَنَان (أي القلب)، وعمل بالأركان (أي الجوارح)، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

وقد دلت على هذا الأدلة من الكتاب والسنة، فمنها قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ

أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]، وقوله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**» [رواه مسلم].

وأثر الطاعة والمعصية في الإيمان زيادة ونقصانًا أمرٌ معلومٌ مشاهَدٌ ومجرَّبٌ فلو أن شخصًا خرج يمشي في السوق ينظر إلى المتبرجات ويسمع صخب أهل السوق ولغوهم ثم خرج فذهب إلى المقبرة فدخلها فتفكر ورق قلبه فإنه يجد فرقًا بينًا بين الحالتين فإذًا القلب يتغير بسرعة.

يقول بعض السلف: «من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه، وما ينقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزدادُ إيمانه أو ينقص؟ وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه؟».

ومما ينبغي معرفته أن نقص الإيمان إذا أدى إلى ترك واجب أو فعل محرم فهذا فتور خطير مذموم يجب عليه التوبة إلى الله والشروع في علاج نفسه، أما إذا لم يؤد الفتور إلى ترك واجب أو فعل محرم وإنما كان تراجعًا في عمل مستحبات مثلًا فعلى صاحبه أن يسوس نفسه ويسدد ويقارب حتى يعود إلى نشاطه وقوته في العبادة وهذا مما يستفاد من قوله ﷺ: «**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي، فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني]. (شِرَّةٌ): نشاط وقوة. (فَتْرَةٌ): يعني ضعف وفتور.

إن كثيرًا من الذين يحسُّون بقسوة قلوبهم يبحثون عن علاجات خارجية يريدون الاعتماد فيها على الآخرين مع أن بقدورهم - لو أرادوا - علاج

أنفسهم بأنفسهم، وهذا هو الأصل لأن الإيمان علاقة بين العبد وربه.

وفيما يلي ذكر عدد من الوسائل الشرعية التي يمكن للمرء المسلم أن يعالج بها ضعف إيمانه ويزيل قسوة قلبه بعد الاعتماد على الله ﷻ وتوطين النفس على المجاهدة:

١- تدبر القرآن العظيم: الذي أنزله الله ﷻ تبيانًا لكل شيء ونورًا يهدي به سبحانه من شاء من عباده، ولا شك أن فيه علاجًا عظيمًا ودواء فعالًا، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقد كان رسول الله ﷺ يتدبر كتاب الله ويردده وهو قائم بالليل، حتى إنه في إحدى الليالي قام يردد آية واحدة من كتاب الله، وهو يصلي لم يجاوزها حتى أصبح، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةً فَقَرَأَ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ، يَرْكَعُ بِهَا وَيَسْجُدُ بِهَا: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]، [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

وكان ﷺ يتدبر القرآن وقد بلغ في ذلك مبلغًا عظيمًا، فقد سُئِلَتْ عائشةُ رضي الله عنها عن أَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَتْهُ مِنْ رسول اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي**»، قُلْتُ: «وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ»، فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ.

فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ»، قَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؛ لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا**: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية كلها [آل عمران: ١٩٠]. [رواه ابن حبّان، وحسّنه الألباني].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ

لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران].

والقرآن فيه توحيد ووعد ووعيد وأحكام وأخبار وقصص وآداب وأخلاق وآثارها في النفس متنوعة وكذلك من السور ما يرهب النفس أكثر من سور أخرى.

وقال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله».

٢- استشعار عظمة الله عَزَّ وَجَلَّ ومعرفة أسمائه وصفاته، والتدبر فيها، وعقل معانيها، واستقرار هذا الشعور في القلب وسريانه إلى الجوارح لتنطق عن طريق العمل بما وعاه القلب فهو ملكها وسيدها وهي بمثابة جنوده وأتباعه فإذا صلح صلحت وإذا فسد فسدت.

والنصوص من الكتاب والسُنَّة في عظمة الله كثيرة إذا تأملها المسلم ارتجف قلبه وتواضعت نفسه للعلي العظيم، وخضعت أركانه للسميع العليم، وازداد خشوعًا لرب الأولين والآخرين: فمن ذلك ما جاء من أسمائه الكثيرة وصفاته سبحانه فهو العظيم المهيمن الجبار المتكبر القوي القهار الكبير المتعال، هو الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون، وهو القاهر فوق عباده ويسبح

الرعد بحمده والملائكة من خيفته، عزيز ذو انتقام، قيوم لا ينام، وسع كل شيء علمًا، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

٣- طلب العلم الشرعي: وهو العلم الذي يؤدي تحصيله إلى خشية الله وزيادة الإيمان به ﷻ كما **قَالَ تَعَالَى**: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

فلا يستوي في الإيمان الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فكيف يستوي من يعلم تفاصيل الشريعة ومعنى الشهادتين ومقتضياتهما وما بعد الموت من فتنة القبر وأهوال المحشر ومواقف القيامة ونعيم الجنة وعذاب النار وحكمة الشريعة في أحكام الحلال والحرام وتفصيل سيرة النبي ﷺ، وغير ذلك من أنواع العلم كيف يستوي هذا في الإيمان ومن هو جاهل بالدين وأحكامه وما جاءت به الشريعة من أمور الغيب، حظه من الدين التقليد وبضاعته من العلم مزجاة، **قَالَ تَعَالَى**: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

٤- تلاوة كتاب الله ﷻ ولزوم ذكره:

وهو يؤدي إلى زيادة الإيمان لعدة أسباب منها ما يحصل فيها من ذكر الله، وغشيان الرحمة، ونزول السكينة، وحف الملائكة للذاكرين، وذكر الله لهم في الملأ الأعلى، ومباهاته بهم الملائكة، ومغفرته لذنوبهم. قال ﷺ: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**» [رواه مسلم].

وكان الصحابة ﵃ يحرصون على الجلوس للذكر ويسمونه إيمانًا؛ فَعَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ، قَالَ: قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ لِرَجُلٍ: «اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً»، يَعْنِي: نَذْكُرُ اللهَ، (الإيمان للقاسم بن سلام، وقال الألباني: «إسناده صحيح»).

وذكـر الله تعالى هو جلاء القلوب وشـفاؤها، ودواؤها عند اعتلالها، وهو روح الأعمال الصالحة وقد أمر الله به فقال تعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الأحـزاب]، ووعد بالفلاح من أكثر منه فقال تعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وهو مرضـاة للرحمن مطردة للشـيطان مزيل للهم والغـم وجالب للرزق فاتح لأبواب المعرفة وهو غراس الجنة وسـبب لترك آفات اللسان، وهو سلوة أحزان الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به فعوضهم الله بالذكر الذي ينوب عـن الطاعات البدنية والمالية ويقوم مقامها، وترك ذكر الله من أسـباب قسـوة القلب:

ولذلك لا بد لمن يريد علاج ضعف إيمانه من الإكثار من ذكر الله، قَالَ تعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحـزاب]، وقـال الله تعالى مبينًا أثر الذكـر على القلب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وفي القلب قسـوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى فينبغي للعبد أن يداوي قسـوة قلبه بذكر الله تعالى. وقال رجل للحسـن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا أبا سـعيد، أشـكو إليك قسوة قلبي»، قال: «أَذِبْه بالذكْر». وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشـتدت به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ.

وبعض الذين يشكون من ضعف الإيمان تثقل عليهم بعض وسائل العلاج كقيـام الليل والنوافـل فيكون من المناسـب لهم البدء بهـذا العلاج والحرص عليـه فيحفظون من الأذكار المطلقة ما يرددونه باسـتمرار مثـل: «لا إله إلا الله لا شـريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شـيء قدير»، و «سبحان الله

وبحمده، سبحان الله العظيم» و «لا حول ولا قوة إلا بالله» وغيرها.

قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَلِمتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمنِ: سُبْحان اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبحانَ اللهِ العظيم**» [رواه البخاري ومسلم]. وقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لأَنْ أَقُولَ سبْحانَ اللهِ، وَالحَمْدُ لِلهِ، وَلاَ إِلَه إلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبرُ، أَحبُّ إِليَّ مِمَّا طَلَعَت عليهِ الشَّمْسُ**» [رواه مسلم].

ويحفظون كذلك من الأذكار المقيدة التي جاءت في السنة ما يرددونه إذا حان وقته زمانًا أو مكانًا مثل أذكار الصباح والمساء، والنوم، والاستيقاظ، والأكل، والأذان، والمسجد، والاستخارة، وغيرها، ولا ريب أن من حافظ على هذه سيجد الأثر مباشرًا في قلبه.

٥- الاستكثار من الأعمال الصالحة وملء الوقت بها: وهذا من أعظم أسباب العلاج وهو أمر عظيم وأثره في تقوية الإيمان ظاهر كبير، وقد ضرب الصديق في ذلك مثلًا عظيمًا؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «أَنَا». قَالَ: «**فَمَنْ تَبعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «أَنَا». قَالَ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «أَنَا». قَالَ: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «أَنَا».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» [رواه مسلم].

فهذا القصة تدل على أن الصدّيق رضي الله عنه كان حريصًا على اغتنام الفرص، وتنويع العبادات ولما وقع السؤال من النبي ﷺ مفاجئًا دل ذلك على أن أبا بكر رضي الله عنه كانت أيامه حافلة بالطاعات، وقد بلغ السلف -رحمهم الله- في ازديادهم من الأعمال الصالحة وملء الوقت بها مبلغًا عظيمًا، ومثال ذلك عبارة كانت تقال عن جماعة من السلف منهم حماد بن سلمة قال فيه الإمام عبد الرحمن بن مهدي: «لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدًا، ما قدر أن

يزيد في العمل شيئًا».

وينبغي أن يراعي المسلم في مسألة الأعمال الصالحة أمورًا منها:

أ- المسارعة إليها: لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢]، وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**التُّؤَدَةُ فِى كُلِّ شَىْءٍ إِلاَّ فِى عَمَلِ الآخِرَةِ**». [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

(التُـؤَدَة) التَّأَنِّـي (فِي كُلِّ شَـيْءٍ) أَيْ مِـنَ الْأَعْمَالِ، أي خيـر (إِلاَّ فِى عَمَلِ الآخِرَةِ) لِأَنَّ فِي تَأْخِيرِ الْخَيْرَاتِ آفَاتٍ.

ب- الاستمرار عليها: وهذا المبدأ مهم في تقوية الإيمان وعدم إهمال النفس حتى لا تركن وتأسن، والقليل الدائم خير من الكثير المنقطع، والمداومة على الأعمال الصالحة تقوي الإيمان، وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟» قَالَ: «**أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**» [رواه البخاري].

ج- الاجتهاد فيها: إن علاج قسوة القلب لا يصلح أن يكون علاجًا مؤقتًا يتحسن فيه الإيمان فترة من الوقت ثم يعود إلى الضعف بل ينبغي أن يكون نهوضًا متواصلًا بالإيمان وهذا لن يكون إلا بالاجتهاد في العبادة، والاطلاع على حال السلف في تحقيق صفات العابدين شيء يبعث على الإعجاب ويقود إلى الاقتداء فمن ذلك أنه كان لهم سُبُع من القرآن يختمونه كل يوم وكانوا يقومون الليل في الغزو والقتال ويذكرون الله ويتهجدون، حتى في السجن.

د- عدم إملال النفس: ليس المقصود من المداومة على العبادات أو الاجتهاد فيها إيقاع النفس بالسآمة وتعريضها للملل وإنما المقصود عدم

الانقطاع عن العبادات ما يطيق ويسدد ويقارب وينشط إذا رأى نفسه مقبلة ويقصد عند الفتور.

ه- استدراك ما فات منها: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ**». [رواه النسائي، وصححه الألباني]، وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلاَةً دَاوَمَ عَلَيْهَا، وَكَانَ إِذَا فَاتَهُ الْقِيَامُ مِنَ اللَّيْلِ، غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ بِنَوْمٍ، أَوْ وَجَعٍ، صَلَّى اثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنَ النَّهَارِ» [رواه الإمام أحمد في «المُسنَد»، والنسائي، وصححه الألباني]. وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا لَمْ يُصَلِّ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ صَلاَّهُنَّ بَعْدَهُ. [رواه الترمذي، وحسّنه الألباني].

و- رجاء القبول مع الخوف من عدم القبول: وبعد الاجتهاد في الطاعات، ينبغي الخوف من ردها على صاحبها، فعن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: «أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟»، قَالَ: «**لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لاَ يُقْبَلَ مِنْهُمْ؛ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**»، [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

ومن صفات المؤمنين احتقار النفس أمام الواجب من حق الله تعالى: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ أَنَّ رَجُلًا يُجَرُّ عَلَى وَجْهِهِ، مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى يَوْمِ يَمُوتُ، هَرَمًا فِي مَرْضَاةِ اللهِ، لَحَقَّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [رواه الإمام أحمد في «المُسنَد»، وحسّنه الألباني].

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ، إِلَى أَنْ يَمُوتَ هَرَمًا فِي طَاعَةِ اللهِ، لَحَقَّرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَوَدَّ أَنَّهُ رُدَّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزْدَادَ مِنَ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

٦- تنويـع العبـادات: من رحمـة الله ﷻ وحكمته أن نـوع علينا العبادات: فمنهـا ما يكون بالبدن كالصلاة، ومنها ما يكون بالمال كالزكاة، ومنها ما يكون بهما معًا كالحج، ومنها ما هو باللسان كالذكر والدعاء.

وحتى النوع الواحد ينقسـم إلى فرائض وسنن مسـتحبة والفرائض تتنوع، وكذلك السـنن مثل الصلاة فيها رواتب ثنتي عشـرة ركعة في اليوم ومنها ما هو أقل منزلة كالأربع قبل العصر وصلاة الضحى، ومنها ما هو أعلى كصلاة الليل، وهـو كيفيـات متعددة منها مثنى مثنى، أو أربع ثم أربـع، ثم يوتر، ومنها خمس أو سـبع أو تسع بتشـهد واحد، وهكذا من يتتبع العبادات يجد تنويعًا عظيمًا في الأعداد والأوقات والهيئات والصفات والأحكام.

ولعل من الحكمة في ذلك أن لا تمل النفس ويستمر التجدد، ثم إن النفس ليست متماثلة في انجذابها وإمكاناتها وقد تستلذ بعض النفوس بعبادات أكثر من غيرها، ويمكن الاسـتفادة من هذا التنوع في علاج ضعف الإيمان والاسـتكثار مـن العبادات التـي تميل إليها النفس مع المحافظة علـى الفرائض والواجبات التي أمر الله بها.

٧- الخوف من سوء الخاتمة: لأنه يدفع المسلم إلى الطاعة ويجدد الإيمان في القلب، أما سـوء الخاتمة فأسـبابها كثيرة منها: ضعف الإيمان والانهماك في المعاصـي، وأحـوال الناس في سـوء الخاتمة كثيرة منها: أنـه قيل لبعضهم عند موتـه: «قل لا إله إلا الله»، فقال: «لا أسـتطيع أن أقولهـا»، وقيل لآخر: «قل لا إله إلا الله»، فجعل يهذي بالغناء، وقيل لأحد المرابين عند موته: «قل لا إله إلا الله»، فجعل يقول: «عشرة بأحد عشر» يكررها حتى مات.

٨- الإكثار من ذكر الموت:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**»

يَعْنِي الْمَـوْتَ. [رواه الترمذي، وصححه الألباني]. وتذكـر الموت يردع عن المعاصي ويلين القلب القاسي.

ومـن أعظم ما يذكر بالمـوت زيارة القبور ولذلك أمـر النبي ﷺ بزيارتها فعَـنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**كُنْـتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ أَلا فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ**» [رواه الحاكم وصححه الألباني].

فزيارة القبور من أعظم وسـائل ترقيق القلوب وينتفـع الزائر بذكر الموت وكذلك ينتفع الموتى بالدعاء لهم.

وينبغـي لمـن عزم على الزيـارة أن يتأدب بآدابها، ويحضـر قلبه في إتيانها، ويقصد بزيارته وجه الله وإصلاح فسـاد قلبه، ثـم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الأهـل والأحباب، فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه ودرج من أقرانه، الذين بلغوا الآمال وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تُغْنِ عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وترمل بعدهم نساؤهم، وشمل ذل اليتيم أولادهم.

وليتذكـر آفة الانخداع بالأسـباب والركون إلى الصحة والشـباب والميل إلـى اللهـو واللعب، وأنه لا بـد صائر إلـى مصيرهم، وليتفكـر في حال الميت كيف تهدمت رجلاه، وسـالت عيناه، وأكل الدود لسانه، وأبلى التراب أسنانه. ومن أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشـياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسـي الموت عوقب بثلاثة أشـياء: تسـويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل بالعبادة.

٩- قصر الأمل: فهذه كل الدنيا فلا يطول الإنسـان الأمل، يقول: سأعيش وسأعيش، قال بعض السلف لرجل صلّي بهم الظهر، فقال الرجل: «إن صليت

بكم الظهر لم أصَلّ بكم العصر»، فقال: «وكأنك تُؤَمّل أن تعيش لصلاة العصر، نعوذ بالله من طول الأمل».

١٠- التفكر في حقارة الدنيا حتى يزول التعلق بها من قلب العبد: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[آل عمران:١٨٥]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًاۖ وَفِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠]، وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ قَدْ ضَرَبَ لِلدُّنْيَا مِثْلًا؛ فَانْظُرْ مَا يَخْرُجُ مِنَ ابْنِ آدَمَ - وَإِنْ قَزَّحَهُ وَمَلَحَهُ - قَدْ عُلِمَ إِلَى مَا يَصِيرُ**» [رواه الطبراني، وابن حبان، وحسّنه الألباني، وصححه الأرنؤوط].

(قَزَّحَهُ) بتشديد الزاي، أي تَوْبَلَه وبالغ في تحسينه، من القزح، وهو التابل الذي يطرح في القدر كالكمون والكزبرة. (ومَلّحَهُ) بفتح الميم وشدة اللام أي صيره ألوانًا مليحة، ورُوِيَ بالتخفيف (ومَلَحَهُ) أي جعل فيه الملح بقدر الإصلاح.

(فَانْظُرْ) تأمل أيها العاقل المتبصر (إِلَى مَا يَصِيرُ) من خروجه غائطا نتنا نجسا في غاية القذارة مع كونه كان قبل ذلك ألوانا طيبة ناعمة.

١١- تعظيم حرمات الله: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]. وحرمات الله هي حقوق الله، وقد تكون في الأشخاص وقد تكون في الأمكنة وقد تكون في الأزمنة، فمن تعظيم حرمات الله في الأشخاص القيام بحق الرسول ﷺ مثلًا، ومن تعظيم شعائر الله في الأمكنة تعظيم الحرم مثلًا، ومن تعظيم شعائر الله في الأزمنة تعظيم شهر رمضان مثلًا،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج: ٣٠].

ومن التعظيم لحرمات الله عدم احتقار الصغائر، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

١٢- الولاء والبراء: أي موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، وذلك أن القلب إذا تعلق بأعداء الله يضعف جدًا وتذوى معاني العقيدة فيه، فإذا جرد الولاء لله فوالي عباد الله المؤمنين وناصرهم، وعادى أعداء الله ومقتهم فإنه يحيى بالإيمان.

١٣- التواضع: للتواضع دور فعال في تجديد الإيمان وجلاء القلب من صدأ الكبر، لأن التواضع في الكلام والمظهر دال على تواضع القلب لله ﷻ.

١٤- وهناك أعمال للقلوب، مهمة في تجديد الإيمان: مثل محبة الله والخوف منه ورجائه وحسن الظن به والتوكل عليه، والرضا به وبقضائه، والشكر له والصدق معه واليقين به، والثقة به سبحانه، والتوبة إليه وما سوى ذلك من الأعمال القلبية.

وهناك مقامات ينبغي على العبد الوصول إليها لاستكمال العلاج كالاستقامة والإنابة والتذكر والاعتصام بالكتاب والسنة والخشوع والزهد والورع والمراقبة.

١٥- محاسبة النفس: محاسبة النفس مهمة في تجديد الإيمان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨]، وقال عمر بن الخطاب ﵁: «حاسبوا أنفسكم

قبل أن تحاسَبوا»، ويقول الحسن: «لا تلقى المؤمن إلا وهو يحاسب نفسه»، وقال ميمون بن مهران: «إن التقي أشد محاسبةً لنفسه من شريك شحيح»، وقال ابن القيم: «وهلاك النفس من إهمال محاسبتها ومن موافقتها واتباع هواها».

فلا بد أن يكون للمسلم وقت يخلو فيه بنفسه فيراجعها ويحاسبها وينظر في شأنها، وماذا قدم من الزاد ليوم المعاد.

١٦- مناجاة الله والانكسار بين يديه ﷻ: فدعاء الله ﷻ من أقوى الأسباب التي ينبغي على العبد أن يبذلها، كما قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ**». [رواه الحاكم في المستدرك، والطبراني وصححه الألباني].

وكلما كان العبد أكثر ذلة وخضوعًا كان إلى الله أقرب؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**» [رواه مسلم]. فحال السجود فيها ذلة وخضوع ليست في بقية الهيئات والأوضاع، فلما ألزق العبد جبهته في الأرض - وهي أعلى شيء فيه - صار أقرب ما يكون من ربه.



١٢٥- الغنائم أيها النائم[1]

ماذا لو اتيحت لك هذه الفرصة؟!!

إن كل إنسان يحب أن يربح، ويريد أن يكسب، وإذا تيسر له الكسب بدون جهد يذكر، وبقدر أكبر، فما من شك أن سيكون أشد حرصًا وأعظم اهتمامًا بذلك، فإذا ضُمن له ذلك المغنم في كل يوم فإنه سيواظب بلا انقطاع على التحصيل وجمع المزيد؛ لأن ذلك يعظم أرباحه ويزيد ماله ولن يدخر جهدًا في سبيل حصوله على ذلك الكسب من ذلك المورد، ولن يفرط في أي سبب، ولن يتأخر عن أي موعد، ومثل هذا ستراه بعد زمن وقد عظمت مغانمه، وزادت مكاسبه.

والآن ما رأيك لو أنك أنت الذي دُعيت لتأخذ تلك المغانم، وتنال تلك المكاسب، إنها تبذل لك وتقيد في رصيدك، بدون أي تأخير أو تقصير، هل ستفرط فيها أو تتنازل عنها؟ إن تفكيرك في مصلحتك وفائدتك سيمنعك من ذلك.

ما قولك لو أن الدعوة إلى تلك الغنائم كانت للجميع، وكل من حضر في الوقت المحدد ويؤدي العمل الميسر سينال أعطيات جزيلة، ومنحًا عظيمة؟ ألست معي أن الجميع سيبادرون، وسيوصي كل أحدٍ أبناءَه وأقرباءَه ليشاركوا في الحصول على الغنائم، وسيكون المتخلف عن ذلك - عند الجميع - مفرطًا وجانيًا على نفسه، ومضيعًا للفرصة العظيمة في الحصول على الغنيمة الكبيرة.

---

(١) هذه الخطبة والتي بعدها بتصرف من رسالة شكاوى وحلول للشيخ «محمد صالح المنجد»، الإبانة عن أسباب الإعانة على صلاة الفجر وقيام الليل «رقية بنت محمد المحارب»، الغنائم أيها النائم للدكتور «علي بن عمر بادحدح».

مـا رأيك لو أن تلـك الغنائم تقدمها دولة غنية، أو جمـعٌ من كبار الأثرياء، وأن المكافـأة التي تعطى كل يوم هي عشـرة آلاف جنيه، يتسـلمها كل من يأتي إلـى المكان المحـدد ولوقت المحدد ويؤدي عملًا يسـيرًا يسـتغرق نحو ربع سـاعة، وإن زاد لايتجاوز نصف الساعة، فما رأيك بعد كل هذا الإيضاح فيمن يترك ذلك ويتخلف عنه ولا يبادر إليه بسبب رغبته في النوم وحبه للراحة!! وما عسـاك أن تقول فيمن يـكاد يتخلف عن ذلك يوم ويضيع بالتالي عشـرة آلاف ريال كل يوم؟!

وأخيـرًا دعني أخـبرك أن الذي يعطي تلـك الغنائم ليس غنيًـا من الأغنياء وإنما هو الله رب الأرض والسماء، وأن الغنائم ليست دراهم ولا دنانير ولا ذهبًا ولا فضة، وإنما هي الحسنات والدرجات والجنات. أليس من الأحرى أن يزداد الحـرص ويعظم الاهتمـام؟ لأن المعطي هو الذي لا تنفَـدُ خزائنه، ولا يُخلف وعده، ولأنه الكريم الذي لا منتهى لكرمه، والعظيم الذي لاحد لعظمته.

أليس من الأحرى أن لا تفوت الفرصة، ولا تضيع الغنيمة؟ أليس كل مفرط مغبون؟ أليس كل مقصر خاسر؟ أليس كل مضيع محروم؟ بلى والله، وما أعظم الخسـران لمـن ضيع الغنائم وهو نائم، لم يكن به مـرض مقعد، ولا حال دونه ودون مراده عدو قاهر. إن المقصود بكل ما سبق النائمين المتخلفين عن صلاة الفجر، فهيا نهمس - بل نصرخ - في أذن كل منهم: «الغنائم أيها النائم».

يمشُونَ نحو بيوتِ اللهِ إذْ سمِعُوا ... اللهُ أكـبرُ في شَـوقٍ وفي جَـذَلِ

أرواحُـهـمْ خشعَتْ للهِ في أدَبٍ ... قلوبُهُم مِن جلالِ اللهِ في وَجلِ

نـجْـواهـمُ ربّـنـا جئناكَ طائعةً ... نفوسُنا وعصَيْنا خـادعَ الأملِ

إذا سجَى الليلُ قامُوهُ وأعينُهم ... مِن خشيةِ اللهِ مثل الجائدِ الهطِلِ

همُ الرجالُ فلا يُلهيهمُ لعِبٌ ... عنِ الصَّلاةِ ولا أكذوبَةُ الكسلِ

جـذَلٌ: سـرورٌ وابتهـاج. سـجى الليـل: اشـتد ظلامـه. الجائـدِ الهطِـلِ: المطر الغزير.

تهاونِ النَّاسِ في صلاةِ الفجرِ:

قـد لا يُخالف أحـدٌ في أنَّ حضورَ صلاةِ الفجرِ جماعـةً، أو أداءَها في وقتها أقـلُّ من غيرِه مـن الفروضِ؛ فمن يرى المصلين في صلاةِ المغربِ أو العشـاءِ، ويراهـم في صـلاةِ الفجـرِ؛ يدركْ مـدى التهـاونِ في صـلاةِ الفجرِ، وكم نسـبة المتهاونين فيها.

إنّ مـن يـؤدُّون صـلاةِ الفجـرِ في جماعة لا يبلغـون رُبعَ من يـؤدُّون صلاةِ المغربِ - مثلًا- فلِمَ ذلك؟! أليستا في الفرضيَّةِ سواءٌ؟ أليستا في الأجرِ سواءٌ؟! بـل خُصَّت صلاةُ الفجرِ بشـرفِ شـهودِ اللهِ لهـا، وبأنَّها صلاةٌ مشـهودةٌ، ومن صلَّاها جماعةً فكأنَّما صلَّى الليلَ كلَّه.

الترغيبِ في صلاة الجماعة والترهيبِ من تركها:

أخـي المؤمـنُ إنَّ من أعظمِ الأسـبابِ المعينـةِ على القيامِ لصـلاةِ الفجرِ؛ معرفتَـك للأجـرِ العظيـمِ الذي يحظى بـه مُصلِّي الفجـرِ شـاهدًا.. أي في أولِ الوقتِ.. وكذلك في الجماعةِ.

وقـد جاءت النصـوصُ بالحثِّ على إقامـةِ الصلواتِ في وقتِهـا جماعةً في المسـاجدِ، وتفضيلِ صلاةِ الجماعـةِ على صلاةِ المنفـردِ، وفضلِ الخطى إلى المساجدِ:

قـال ﷺ: «**صَلاَةُ الرَّجُلِ فِـي الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاَتِـهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ: إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَـى المَسْـجِدِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلاَةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْـوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى، لَمْ تَزَلِ المَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ:**

«اللَّهُـمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»، وَلاَ يَـزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ» [رواه البخاري].

ورواه مسـلم بلفـظ: «**صَلاَةُ الرَّجُلِ فِـي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِـهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلاَتِهِ فِي سُـوقِهِ، بِضْعًا وَعِشْـرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُـوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْـجِدَ لا يَنْهَـزُهُ إِلَّا الصَّلاَةُ، لا يُرِيدُ إِلَّا الصَّـلاَةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْـوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَـا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْـجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْـجِدَ كَانَ فِي الصَّلاَةِ مَا كَانَتِ الصَّلاَةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلاَئِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِـهِ الَّذِي صَلَّى فِيـهِ، يَقُولُونَ: «اللهُمَّ ارْحَمْهُ، اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ»، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ**».

ومـن كان شـديدَ التعلُّقِ بالمسـاجدِ لأداءِ الصـلاةِ مع الجماعـةِ فيها، فإنَّ اللهَ سـيظلُّه بظلِّـه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه، فعَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَـبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَـابٌّ نَشَـأَ فِي عِبَـادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَـاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْـهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: «إِنِّي أَخَافُ اللهَ»، وَرَجُـلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِـمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**» [رواه البخاري ومسلم].

وعَـنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسـعودٍ رضي الله عنه قَـالَ: «مَنْ سَـرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْـلِمًا، فَلْيُحَافِـظْ عَلَـى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْـثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَـرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُـنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُـنَنَ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُـنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُـنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِـنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْـجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَـاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً،

وَلَقَـدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ» [رواه مسلم].

واعلم أن النبيَّ ﷺ لم يأذن في آخر الأمر للأعمى الذي جاء يطلب الرخصة في تـرك صلاة الجماعـة فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَـى النَّبِىَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ: «يَا رَسُـولَ الله، إِنَّهُ لَيْسَ لِى قَائِدٌ يَقُودُنِى إِلَى الْمَسْـجِدِ»، فَسَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّىَ فِى بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ؟**».

فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَأَجِبْ**». [رواه مسلم].

وعَنِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ الله، إِنِّى رَجُلٌ ضَرِيرُ الْبَصَرِ، شَاسِعُ الدَّارِ، وَلِى قَائِدٌ لاَ يُلاَئِمُنِى، فَهَلْ لِى رُخْصَةٌ أَنْ أُصَلِّىَ فِى بَيْتِى؟».

قَال: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ**»، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ «**لاَ أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً**»، [رواه أبو داود وصححه الألباني].

(ضَرِيـر الْبَصَر): أَيْ أَعْمَى. (شَاسِـع الدَّار): أَيْ بَعِيد الـدَّار. (وَلِي قَائِد): الْقَائِـد هُوَ الَّذِي يُمْسِـك يَـد الْأَعْمَى وَيَأْخُذهَـا وَيَذْهَب بِهِ حَيْثُ شَـاءَ وَيَجُرّهُ. (لَا يُلَائِمنِي):أَيْ لَا يُوَافِقنِي وَلَا يُسَـاعِدنِي. (هَلْ تَسْـمَع النِّـدَاء): أَيْ الْإِعْلَام وَالتَّأْذِين بِالصَّلَاةِ.

قَـالَ الْخَطَّابِيُّ: «وَفِـي هَذَا دَلِيل عَلَى أَنَّ حُضُـور الْجَمَاعَة وَاجِب وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ نَدْبًا لَكَانَ أَوْلَى مَنْ يَسَـعهُ التَّخَلُّـف عَنْهَا أَهْل الضَّرَر وَالضَّعْف، وَمَنْ كَانَ فِي مِثْل حَال اِبْن أُمّ مَكْتُوم».

وَكَانَ عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح يَقُول: «لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْق الله فِي الْحَضَر وَالْقَرْيَة رُخْصَة إِذَا سَمِعَ النِّدَاء فِي أَنْ يَدَع الصَّلَاة جَمَاعَة».

وَكَانَ أَبُو ثَوْر يُوجِب حُضُور الْجَمَاعَة: وَاحْتَجَّ هُوَ وَغَيْره بِأَنَّ الله ﷻ أَمَرَ رَسُول الله ﷺ أَنْ يُصَلِّيَ جَمَاعَة فِي صَلَاة الْخَوْف وَلَمْ يَعْذُر فِي تَرْكهَا فَعُقِلَ أَنَّهَا فِي حَال الْأَمْن أَوْجَب.

وقد عدّ بعض العلماء من الكبائر تَرْكَ الجماعة، فيصلي وحده من غير عذر.

ويُخشَى والعياذ بالله من عدم قبول صلاة تارك الجماعة فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**»، [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

قال السندي في حاشيته على (سنن ابن ماجه): «وَظَاهِر هَذَا الْحَدِيث أَنَّ الْجَمَاعَة فِي الْمَسْجِد الَّذِي سَمِعَ نِدَاءَهُ فَرْض لِصِحَّةِ الصَّلَاة حَتَّى لَوْ تَرَكَهَا بَطَلَتْ صَلَاته».

وَذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن من قال من الأئمة إن صلاة الجماعة وَاجِبَةٌ عَلَى الْأَعْيَانِ تَنَازَعُوا فِيمَا إذَا صَلَّى مُنْفَرِدًا لِغَيْرِ عُذْرٍ هَلْ تَصِحُّ صَلَاتُهُ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: لَا تَصِحُّ. وَالثَّانِي: تَصِحُّ مَعَ إثْمِهِ بِالتَّرْكِ.

الترغيبِ في حضور الفجر جماعةً والترهيب من تركها:

أما صلاةُ الفجرِ خاصةً فقد تميَّزتْ بفضائلَ عديدةٍ، زيادةً في الترغيبِ في حضورِها، فمن كان عليها محافِظًا كان لغيرِها أحفظ:

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٧]، فأمرَ بإقامةِ الصلواتِ ثم خصَّ بالذكرِ صلاةَ الفجرِ بأنَّها مشهودةٌ، تشهدها وتحضرها ملائكةُ الليلِ وملائكةُ النهارِ، وذلك زيادةٌ في فضلِها وبركتِها.

ففــي هــذه الآية، يأمــر تعالى نبيه محمــدًا ﷺ بإقامة الصــلاة تامة، ظاهرًا وباطنًا، في أوقاتها. ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ أي: مَيَلانها إلى الأفق الغربي بعد الزوال، فيدخل في ذلك صلاة الظهر وصلاة العصر.

﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ أي: ظلمتــه، فدخــل في ذلــك صــلاة المغــرب وصــلاة العشاء. ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ أي: صلاة الفجر، وسميت قرآنًا، لمشروعية إطالة القــرآن فيها أطول من غيرها، ولفضل القراءة فيها حيث شــهدها الله، وملائكة الليل وملائكة والنهار.

٢- وقال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ**» [رواه مسلم].

٣- عَــنْ جُنْــدَبَ بْنَ عَبْــدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَــالَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الصُّبْــحَ فَهُــوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَــيْءٍ فَيُدْرِكَــهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّــمَ**» [رواه مسـلم]. أي: هو في أمــانِ اللهِ وجوارِه، فلا ينبغــي لأحدٍ أن يتعرَّضَ لــه بضــرٍّ أو أذىً، فمن فعــل ذلك فــاللهُ يطلبه بحقّــِهِ، ومن يطلبه لــم يجد مفرًّا ولا ملجأ.

٤- وقال ﷺ: «**مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ**» [رواه البخاري ومسلم]، وَالْمُرَادُ صَلَاةُ الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ، سُمِّيَتَا بَرْدَيْنِ لِأَنَّهُمَا تُصَلَّيَانِ فِي بَرْدَيِ النَّهَارِ وَهُمَا طَرَفَاهُ حِينَ يَطِيبُ الْهَوَاءُ وَتَذْهَبُ شدة الْحَرِّ.

٥- عن عُمَارَةَ بْنِ رُؤَيْبَةَ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**» - يَعْنِي الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ -، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ: «آنْتَ سَــمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُــولِ اللهِ ﷺ؟»، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ الرَّجُلُ: «وَأَنَا أَشْــهَدُ أَنِّي سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُــولِ اللهِ ﷺ سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي» [رواه مسلم].

٦- وقال ﷺ: «**بَشِّرِ المَشّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَساجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني].

٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**» [رواه البخاري ومسلم].

النِّدَاءُ هُوَ الْأَذَانُ، وَالِاسْتِهَامُ: الِاقْتِرَاعُ، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُمْ لَوْ عَلِمُوا فَضِيلَةَ الْأَذَانِ وَقَدْرَهَا وَعَظِيمَ جَزَائِهِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا طَرِيقًا يُحَصِّلُونَهُ بِهِ لِضِيقِ الْوَقْتِ عَنْ أَذَانٍ بَعْدَ أَذَانٍ أَوْ لِكَوْنِهِ لَا يُؤَذِّنُ لِلْمَسْجِدِ إِلَّا وَاحِدٌ لَاقْتَرَعُوا فِي تَحْصِيلِهِ.

وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ مِنَ الْفَضِيلَةِ نَحْوَ مَا سَبَقَ وَجَاءُوا إِلَيْهِ دَفْعَةً وَاحِدَةً وَضَاقَ عَنْهُمْ ثُمَّ لَمْ يَسْمَحْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ بِهِ لَاقْتَرَعُوا عَلَيْهِ، وَفِيهِ إِثْبَاتُ الْقُرْعَةِ فِي الْحُقُوقِ الَّتِي يُزْدَحَمُ عَلَيْهَا وَيُتَنَازَعُ فِيهَا.

(التَّهْجِيرُ) التَّبْكِيرُ إِلَى الصَّلَاةِ أَيِّ صَلَاةٍ كَانَتْ.

(وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العتمة والصبح لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا) فِيهِ الْحَثُّ الْعَظِيمُ عَلَى حُضُورِ جَمَاعَةِ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ: الْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ، وَالْفَضْلُ الْكَثِيرُ فِي ذَلِكَ لِمَا فِيهِمَا مِنَ الْمَشَقَّةِ عَلَى النَّفْسِ مِنْ تَنْغِيصِ أَوَّلِ نَوْمِهَا وَآخِرِهِ وَلِهَذَا كَانَتَا أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ.

٨- من حافظَ على صلاةِ الفجرِ جماعةً فإنَّه يبرأ من صفاتِ المنافقين وأن يكونَ منهم، لأنَّ صلاةَ الفجرِ ثقيلةٌ على المنافقين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ**

إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ» [رواه مسلم].

٩- الحفاظُ على صلاةِ الفجرِ سببٌ معينٌ لرؤيةِ اللهِ تعالى يومَ القيامةِ، فروى البخاري عن إِسْمَاعِيلُ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، قَالَ إِسْمَاعِيلُ: «افْعَلُوا لاَ تَفُوتَنَّكُمْ».

ورواه مسلم عن جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**» - يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ -، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

(تضامُّونَ) بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ وفَتْحِ التَّاءَ: تَتَضَامُّونَ وَتَتَلَطَّفُونَ فِي التَّوَصُّلِ إِلَى رُؤْيَتِهِ.

(تُضَامُونَ) بتَخْفِيفِ الْمِيمِ وضَمِّ التَّاءَ: يَلْحَقُكُمْ ضَيْمٌ وَهُوَ الْمَشَقَّةُ وَالتَّعَبُ.

وَرُوِيَ: (تُضَارُّونَ) بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ وضَمِّ التَّاءَ: تُضَارُّونَ غَيْرَكُمْ فِي حَالَةِ الرُّؤْيَةِ بِزَحْمَةٍ أَوْ مُخَالَفَةٍ فِي الرُّؤْيَةِ أَوْ غَيْرِهَا لِخَفَائِهِ كَمَا تَفْعَلُونَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنَ الشَّهْرِ.

(تُضَارُونَ) بِتَخْفِيفِ الرَّاءِ وضَمِّ التَّاءَ: يَلْحَقُكُمْ فِي رُؤْيَتِهِ ضَيْرٌ وَهُوَ الضَّرَرُ.

(إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ) مَعْنَاهُ تَشْبِيهُ الرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ فِي الْوُضُوحِ وَزَوَالِ الشَّكِّ وَالْمَشَقَّةِ وَالِاخْتِلَافِ.

١٠ – وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ بأنَّ سـنةَ الفجرِ خيـرٌ من الدُّنيا وما فيها، فكيف بصلاةِ الفجرِ نفسِـها؟! قال رسـولُ اللهِ ﷺ: «**رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْـرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**» [رواه مسلم].

ومـن أراد التكثُّـرَ من الخيـراتِ وزيادةَ الحسـناتِ، جلس بعـد أن يصليَ الفجرَ يذكرُ اللهَ تعالى حتى تطلعَ الشـمسُ وهـو في مصلَّاه، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ**»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ**». [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

(الْغَدَاةَ):الصبـح. (ثُـمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ) أَيْ ثُمَّ صَلَّى بَعْدَ أَنْ تَرْتَفِعَ الشَّـمْسُ قَدْرَ رُمْحٍ حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتُ الْكَرَاهَةِ، وَهَذِهِ الصَّلَاةُ تُسَمَّى صَلَاةَ الْإِشْرَاقِ وَهِيَ أَوَّلُ صَلَاةِ الضُّحَى. (كَانَتْ) أَيْ الْمَثُوبَةُ. (قَالَ) أَيْ أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. (قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَامَّـةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ») صِفَةٌ لِحَجَّـةٍ وَعُمَرَةٍ كَرَّرَهَا ثَلَاثًـا لِلتَّأْكِيدِ، وَقِيلَ: أَعَادَ الْقَوْلَ لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ أَنَّ التَّأْكِيدَ بِالتَّمَامِ وَتَكْرَارِهِ مِنْ قَوْلِ أَنَسٍ.

ونلحـظ في هـذا الحديـثِ أن النبيَّ ﷺ قد نصَّ علـى أنَّ الصلاةَ تكون في جماعةٍ ليتمَّ له الأجرُ المذكورُ.

كلُّ هذه الأجورِ لمن أقام صلاتَه وأحسنها كما أراد اللهُ؛ واللهُ يضاعفُ لمن يشـاء، أما أصحابُ نومِ اللَّيالي والكُسـالى عن صـلاةِ الفجرِ، فهؤلاءِ نحذرهم مـن أن يكونوا كمن وصفَهم القـرآنُ بالنفاقِ، **قَالَ تَعَـالَىٰ**: ﴿**إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء: ١٤٢].

يخـبر تعالـى عـن المنافقين بمـا كانـوا عليه، مـن قبيح الصفات وشـنائع السمات، وأن طريقتهم مخادعة الله تعالى، أي: بما أظهروه من الإيمان وأبطنوه

من الكفران، ظنوا أنه يروج على الله ولا يعلمه ولا يبديه لعباده، والحال أن الله خادعهم، فمجرد وجود هذه الحال منهم ومشيهم عليها، خداع لأنفسهم. وأي خداع أعظم ممن يسعى سعيًا يعود عليه بالهوان والذل والحرمان؟

ويـدل بمجرده على نقص عقل صاحبه، حيـث جمع بين المعصية، ورآها حسنة، وظنها من العقل والمكر، فتأمل ما يصنع الجهل والخذلان بصاحبه.

وَمن صفاتهم أنهم إِذَا ﴿ قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ - إن قاموا- إلى الصلاة التي هي أكبر الطاعات العملية ﴿قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ متثاقلين لها متبرمين من فعلها، والكسل لا يكون إلا من فقد الرغبة من قلوبهم، فلولا أن قلوبهم فارغة من الرغبة إلى الله وإلـى ما عنده، عادمة للإيمان، لـم يصدر منهم الكسـل، ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: هذا الذي انطوت عليه سرائرهم وهذا مصدر أعمالهم، مراءاة الناس، يقصدون رؤية النـاس وتعظيمهم واحترامهم ولا يخلصون لله، فلهذا ﴿ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ لامتـلاء قلوبهـم من الرياء، فإن ذكـر الله تعالى وملازمته لا يكون إلا من مؤمن ممتلئ قلبه بمحبة الله وعظمته.



١٢٦- حلول لمشكلة النوم عن صلاة الفجر

عقوبة تارك حضور الجماعة، وصلاة الفجر:

وعليك أن تنظرَ في عقوبةِ تاركِ حضورِ الجماعةِ، وصلاةِ الفجر، وكيف رهَّب رسولُ اللهِ ﷺ من ذلك ليَجِلَ قلبُك وتخافَ من التفريطِ:

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم]، واختلفَ أهلُ العلمِ في المرادِ بإضاعتِهم الصلاةَ فقال بعضُهم: تأخيرُها عن وقتِها وقال بعضُهم: الإخلالُ بشروطِها وقيل: إضاعتُها في غيرِ الجماعاتِ، وكلُّ هذه الأقوالِ تدخلُ في الآيةِ.

وإذا ضيعوا الصلاة التي هي عماد الدين، وميزان الإيمان والإخلاص لرب العالمين، التي هي آكد الأعمال، وأفضل الخصال، كانوا لما سواها من دينهم أضْيَع، وله أرفَض، والسبب الداعي لذلك، أنهم اتبعوا شهوات أنفسهم وإراداتها فصارت هممهم منصرفة إليها، مقدمة لها على حقوق الله، فنشأ من ذلك التضييع لحقوقه، والإقبال على شهوات أنفسهم، مهما لاحت لهم حصلوها وعلى أي وجه اتفقت تناولوها.

﴿ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ أي: عذابا مضاعفًا شديدًا، ثم استثنى فقال: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ عن الشرك والبدع والمعاصي، فأقلع عنها وندم عليها، وعزم عزما جازما أن لا يعاودها، ﴿وَءَامَنَ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾ وهو العمل الذي شرعه الله على ألسنة رسله، إذا قصد به وجهه، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذي جمعوا بين التوبة والإيمان، والعمل الصالح،

﴿يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ المشتملة على النعيم المقيم، والعيش السليم، وجوار الرب الكريم، ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ من أعمالهم، بل يجدونها كاملة، موفرة أجورها، مضاعفا عددها.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون]. ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ أَيْ: الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ وَقَدِ الْتَزَمُوا بِهَا، ثُمَّ هُمْ عَنْهَا سَاهُونَ. إِمَّا عَنْ فِعْلِهَا بِالْكُلِّيَّةِ. وَإِمَّا عَنْ فِعْلِهَا فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ لَهَا شَرْعًا، فَيُخْرِجُهَا عَنْ وَقْتِهَا بِالْكُلِّيَّةِ، وَإِمَّا عَنْ وَقْتِهَا الْأَوَّلِ فَيُؤَخِّرُونَهَا إِلَى آخِرِهِ دَائِمًا أَوْ غَالِبًا. وَإِمَّا عَنْ أَدَائِهَا بِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ. وَإِمَّا عَنِ الْخُشُوعِ فِيهَا والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل هذا كُلَّهُ، ولكل مَنِ اتَّصَفَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قِسْطٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ.

وَمَنِ اتَّصَفَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، فَقَدْ تَمَّ نَصِيبُهُ مِنْهَا، وَكَمُلَ لَهُ النِّفَاقُ الْعَمَلِيُّ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**» [رواه مسلم].

فَهَذَا أَخَّرَ صَلَاةَ الْعَصْرِ إِلَى آخِرِ وَقْتِهَا، وَهُوَ وَقْتُ كَرَاهَةٍ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَنَقَرَهَا نَقْرَ الْغُرَابِ، لَمْ يَطْمَئِنَّ وَلَا خَشَعَ فِيهَا أَيْضًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: «لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا».

وقَوْلُهُ ﷺ: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ»، فِيهِ تَصْرِيحٌ بِذَمِّ تَأْخِيرِ صَلَاةِ الْعَصْرِ بِلَا عُذْرٍ لِقَوْلِهِ ﷺ: «يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ».

قَوْلُهُ ﷺ: «بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ» الْمُرَادُ أَنَّهُ يُحَاذِيهَا بِقَرْنَيْهِ عِنْدَ غُرُوبِهَا وَكَذَا عِنْدَ طُلُوعِهَا لِأَنَّ الْكُفَّارَ يَسْجُدُونَ لَهَا حِينَئِذٍ فَيُقَارِنُهَا لِيَكُونَ السَّاجِدُونَ لَهَا فِي صُورَةِ السَّاجِدِينَ لَهُ وَيُخَيِّلُ لِنَفْسِهِ وَلِأَعْوَانِهِ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَسْجُدُونَ لَهُ.

قَوْلُـهُ ﷺ: «فَنَقَرَهَا أَرْبَعًـا لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا» تَصْرِيحٌ بِذَمِّ مَنْ صَلَّى مُسْـرِعًا بِحَيْـثُ لَا يُكْمِلُ الْخُشُـوعَ وَالطُّمَأْنِينَةَ وَالْأَذْكَارَ، وَالْمُرَادُ بِالنَّقْرِ سُـرْعَةُ الْحَرَكَاتِ كَنَقْرِ الطَّائِرِ.

٣- وفي حديـثِ الرُّؤيا التي رآها النبيُّ ﷺ وقال فيه: «**وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِـعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْـهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِـهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَـهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُـهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَـا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى... أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّـذِي أَتَيْـتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُـهُ بِالحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُـذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاَةِ المَكْتُوبَةِ**» [رواه البخاري].

فاحذر يا عبدَ اللهِ أن تلحقَ بك هذه العقوباتُ، وتبوء بالإثمِ والضلالِ، وإنَّ الخيرَ كلَّ الخيرِ في متابعةِ رسولِ اللهِ ﷺ، والشرُّ كلُّ الشرِ في مخالفةِ أمرِه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قُمْ صَلِّ فَجْرَكَ إن اللهَ رحمنُ ... والفجْرُ قرآنهُ نُورٌ وبرهانُ

واضرعْ إلى اللهِ في ذلٍّ ومَسْكَنةٍ ... كي يغفرَ الذنبَ إن اللهَ منّانُ

حلول لمشكلة النوم عن صلاة الفجر:

بعـض الناس يشـتكي ويقول: إن صـلاة الفجر تفوتني في كثيـر من الأيام، فلا أصليها في وقتها إلا نادرًا، والغالب ألا أسـتيقظ إلا بعد طلوع الشـمس، أو بعـد فوات صلاة الجماعة في أحسـن الأحوال، وقد حاولت الاسـتيقاظ بدون جدوى، فما حل هذه المشكلة؟.

والجـواب: إن حـل هذه المشـكلة - كغيرها - له جانبـان: جانب علمي،

وجانب عملي. أما الجانب العلمي فيأتي من ناحيتين:

الناحية الأولى: أن يعلم المسلم عظمة مكانة صلاة الفجر عند الله ﷻ.

الناحية الثانية: أن يعلم المسلم خطورة تفويت صلاة الفجر.

هاتـان الناحيتـان كفيلتان بإلهاب قلب المسـلم غيـرةً، أن تضيع منه صلاة الفجـر فالأولى منهما تدفع للمسـارعة في الحصول على ثـواب صلاة الفجر، والثانية هي واعظ وزاجر يمنعه من إيقاع نفسه في إثم التهاون بها.

وأما الجانب العملي في علاج هذه الشـكاية فإن هناك عدة خطوات يمكن للمسلم إذا اتبعها أن يزداد اعتيادًا ومواظبة على صلاة الفجر مع الجماعة، فمن ذلك:

١ - التبكير في النوم: فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا [رواه البخاري].

فـلا ينبغي للمسـلم أن ينام قبل صلاة العشـاء والمُشـاهد أن غالب الذين ينامون قبل العشاء يمضون بقية ليلتهم في خمول وكدر وحال تشبه المرضى.

ولا ينبغي كذلك أن يتحدث بعد صلاة العشـاء، وقد بين أهل العلم سـبب كراهية الحديث بعدها فقالوا: لأنه يؤدي إلى السهر، ويُخاف من غلبة النوم عن قيام الليل، أو عن صلاة الصبح في وقتها الجائز أو المختار أو الفاضل.

والمكـروه مـن الحديث بعد صلاة العشـاء هو مـا كان في الأمـور التي لا مصلحة راجحة فيها، أما ما كان فيه مصلحة وخير فلا يكره، كمدارسـة العلم، ومعرفـة سـير الصالحيـن وحكاياتهـم، ومحادثـة الضيـف، ومؤانسـة الزوجة والأولاد وملاطفتهم، ومحادثة المسـافرين بحفظ متاعهم وأنفسهم، إلى آخر ذلك من الأسباب المباحة.

فما الحال إذا تفكرنا فيما يسهر من أجله كثير من الناس اليوم من المعاصي

والآثام إذن فعلى المسلم أن ينام مبكرًا، ليستيقظ نشيطًا لصلاة الفجر، وأن يحذر السهر الذي يكون سببًا في تثاقله عن صلاة الفجر مع الجماعة.

حقًا إن الناس يتفاوتون في الحاجة إلى النوم، وفي المقدار الذي يكفيهم منه، فلا يمكن تحديد ساعات معينة يُفرض على الناس أن يناموا فيها، لكن على كل واحد أن يلتزم بالوقت الكافي لنوم يستيقظ بعده لصلاة الفجر نشيطًا، فلو علم بالتجربة والعادة أنه لو نام بعد الحادية عشر ليلًا مثلًا لم يستيقظ للصلاة، فإنه لا يجوز له شرعًا أن ينام بعد هذه الساعة... وهكذا.

٢- الحرص على الطهارة وقراءة الأذكار التي قبل النوم، فإنها تعين على القيام لصلاة الفجر.

٣- صدق النية والعزيمة عند النوم على القيام لصلاة الفجر، أما الذي ينام وهو يتمنى ألا تدق الساعة المنبهة، ويرجو ألا يأتي أحد لإيقاظه، فإنه لن يستطيع بهذه النية الفاسدة أن يصلي الفجر، ولن يفلح في الاستيقاظ لصلاة الفجر وهو على هذه الحال من فساد القلب وسوء الطوية.

٤- ذكر الله عند الاستيقاظ مباشرة، فإن بعض الناس قد يستيقظ في أول الأمر، ثم يعاود النوم مرة أخرى، أما إذا بادر بذكر الله أول استيقاظه انحلت عقدة من عُقد الشيطان، وصار ذلك دافعًا له للقيام، فإذا توضأ اكتملت العزيمة وتباعد الشيطان، فإذا صلّى أخزى شيطانه وثقل ميزانه وأصبح طيب النفس نشيطًا.

٥- لا بد من الاستعانة على القيام للصلاة بالأهل والصالحين، والتواصي في ذلك، وهذا داخل بلا ريب في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[المائدة:٢]، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر].

فعلى المسلم: أن يوصي زوجته مثلًا بأن توقظه لصلاة الفجر، وأن تشدد عليه في ذلك، مهما كان متعبًا أو مُرهقًا، وعلى الأولاد أن يستعينوا بأبيهم في الاستيقاظ، فينبههم من نومهم للصلاة في وقتها، ولا يقولن أب إن عندهم اختبارات، وهم متعبون، فلأدعهم في نومهم، إنهم مساكين، لا يصح أن يقول ذلك ولا أن يعتبره من رحمة الأب وشفقته، فإن الرحمة بهم والحدَبَ عليهم هو في إيقاظهم لطاعة الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢] أي: حث أهلك على الصلاة، وأزعجهم إليها من فرض ونفل. والأمر بالشيء، أمر بجميع ما لا يتم إلا به، فيكون أمرا بتعليمهم، ما يصلح الصلاة ويفسدها ويكملها.

﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أي: على الصلاة بإقامتها، بحدودها وأركانها وآدابها وخشوعها، فإن ذلك مشق على النفس، ولكن ينبغي إكراهها وجهادها على ذلك، والصبر معها دائما، فإن العبد إذا أقام صلاته على الوجه المأمور به، كان لما سواها من دينه أحفظ وأقوم، وإذا ضيعها كان لما سواها أضيع، ثم ضمن تعالى لرسوله ﷺ الرزق، وأن لا يشغله الاهتمام به عن إقامة دينه، فقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ أي: رزقك علينا قد تكفلنا به، كما تكفلنا بأرزاق الخلائق كلهم، فكيف بمن قام بأمرنا، واشتغل بذكرنا؟! ورزق الله عام للمتقي وغيره، فينبغي الاهتمام بما يجلب السعادة الأبدية، وهو: التقوى، ولهذا قال: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ التي هي فعل المأمور وترك المنهي، فمن قام بها، كان له العاقبة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وكما يكون التواصي والتعاون على صلاة الفجر بين الأهل، كذلك يجب

أن يكـون بين الإخوان في الله، فيعين بعضهم بعضًا، مثل طلبة الجامعات الذين يعيشـون في سـكن متقارب ومثل الجيران في الأحياء، يطـرق الجار باب جاره ليوقظه للصلاة، ويعينه على طاعة الله.

٦- أن يدعو العبد ربه أن يوفقه للاستيقاظ لأداء صلاة الفجر مع الجماعة؛ فإن الدعاء من أكبر وأعظم أسباب النجاح والتوفيق في كل شيء.

٧- اسـتخدام وسـائل التنبيه، ومنها السـاعة المنبهـة، ووضعها في موضع مناسـب، فبعض الناس يضعها قريبًا من رأسـه فإذا دقت أسكتها فورًا وواصل النـوم، فمثـل هذا يجب عليه أن يضعها في مكان بعيد عنه قليلًا، لكي يشـعر بها فيسـتيقظ. ومـن المنبهات ما يكـون عن طريق الهاتف، ولا ينبغي للمسـلم أن يستكثر ما يدفعه مقابل هذا التنبيه، فإن هذه نفقة في سبيل الله ﷻ، وأن الاستيقاظ لإجابة أمر الله لا تعدله أموال الدنيا.

٨- نضـح الماء في وجه النائم، فعَـنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**رَحِـمَ اللهُ رَجُـلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَـهُ، فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَـحَ فِـي وَجْهِهَا الْمَـاءَ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَـتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّـتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَـا، فَصَلَّـى، فَإِنْ أَبَـى، نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَـاءَ**» [رواه الإمام أحمد في المُسـنَد، وصححه الألباني].

فنضْحُ الماء من الوسـائل الشرعية للإيقاظ، وهو في الواقع منشط، وبعض الناس قد يثور ويغضب عندما يوقَظ بهذه الطريقة، وربما يشـتم ويسب ويتهدد ويتوعد، ولهذا فلا بد أن يكون الموقظ متحليًا بالحكمة والصبر، وأن يتذكر أن القلم مرفوع عن النائم، فليتحمل منه الإساءة، ولا يكن ذلك سببًا في توانيه عن إيقاظ النائمين للصلاة.

٩- عـدم الانفراد في النوم، فلقد نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ أَنْ يَبِيتَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ

(رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني)، ولعل من حِكم هذا النهي أنه قد يغلبه النوم فلا يكون عنده من يوقظه للصلاة.

١٠- عدم النوم في الأماكن البعيدة التي لا يخطر على بال الناس أن فلانًا نائمٌ فيها، كمن ينام في سطح المنزل دون أن يخبر أهله أنه هناك، وكمن ينام في غرفة نائية في المنزل أو الإسكان الجماعي فلا يعلم به أحد ليوقظه للصلاة، بل يظن أهله وأصحابه أنه في المسجد، وهو في الحقيقة يغّط في نومه، فعلى من احتاج للنوم في مكان بعيد أن يخبر من حوله بمكانه ليوقظوه.

١١- الهمة عند الاستيقاظ، بحيث يهب من أول مرة، ولا يجعل القيام على مراحل، كما يفعل بعض الناس الذين قد يتردد الموقظ على أحدهم مرات عديدة، وهو في كل مرة يقوم فإذا ذهب صاحبه عاد إلى الفراش، وهذا الاستيقاظ المرحلي فاشل في الغالب، فلا مناص من القفزة التي تحجب عن معاودة النوم.

١٢- ألا يضبط المنبه على وقت متقدم عن وقت الصلاة كثيرًا، إذا علم من نفسه أنه إذا قام في هذا الوقت قال لنفسه: لا يزال معي وقت طويل، فلأرقد قليلًا، وكلٌّ أعلم بسياسة نفسه.

١٣- إيقاد السراج عند الاستيقاظ، وفي عصرنا الحاضر إضاءة المصابيح الكهربائية، فإن لها تأثيرًا في طرد النعاس بنورها.

١٤- عدم إطالة السهر ولو في قيام الليل، فإن بعض الناس قد يطيل قيام الليل، ثم ينام قبيل الفجر بلحظات، فيعسر عليه الاستيقاظ لصلاة الفجر، وهذا يحدث كثيرًا في رمضان، حيث يتسحرون وينامون قُبيل الفجر بقليل، فيضيعون صلاة الفجر، ولا ريب أن ذلك خطأ كبير؛ فإن صلاة الفريضة مقدَّمة على النافلة، فضلًا عمن يسهر الليل في غير القيام من المعاصي والآثام، أو المباحات على

أحســن الأحوال، وقد يزين الشـيطان لبعض الدعاة السهر لمناقشة أمورهم ثم ينامون قبل الفجر فيكون ما أضاعوا من الأجر أكثر بكثير مما حصلوا.

١٥- عدم إكثار الأكل قبل النوم فإن الأكل الكثير من أسباب النوم الثقيل، ومن أكل كثيرًا، تعب كثيرًا، ونام كثيرًا، فخسـر كثيرًا، فليحرص الإنسـان على التخفيف من العشاء.

١٦- جعـل قيـام الليل في آخره قبيـل الفجر، بحيث إذا فـرغ من الوتر أذن للفجر، فتكون العبادات متصلة، وتكون صلاة الليل قد وقعت في الثلث الأخير - وهو زمان فاضل - فيمضي لصلاة الفجر مباشرة وهو مبكر ونشيط.

١٧- اتباع الهدي النبـوي في كيفية الاضطجاع عند النوم، بحيث ينام على جنبـه الأيمـن، ويضع خـده الأيمن علـى كفه اليمنـى، فإن هذه الطريقة تيسـر الاسـتيقاظ، وخيـر الهدي هدي محمـد ﷺ بخلاف النـوم بكيفيات أخرى، فإنها تؤثر في صعوبة القيام.

١٨- أن يسـتعين بالقيلولـة في النهـار، فإنهـا تعينه، وتجعل نومـه في الليل معتدلًا ومتوازنًا.

١٩- ألا ينـام بعـد العصر، ولا بعـد المغرب، لأن هاتين النومتين تسـببان التأخر في النوم، ومن تأخر نومه تعسر استيقاظه.

٢٠- وأخيـرًا فـإن الإخلاص لله تعالى هو خير دافع للإنسـان للاسـتيقاظ للصلاة، وهو أمير الأسباب والوسائل المعينة كلها، فإذا وجد الإخلاص الذي يلهب القلب ويوقظ الوجدان، فهو كفيل بإذن الله بإيقاظ صاحبه لصلاة الصبح مع الجماعة، ولو نام قبل الفجر بدقائق معدوادات.

ولقـد حمل الإخـلاص والصـدق بعـض الحريصيـن على الطاعـة على استعمال وسائل عجيبة تعينهم على الاستيقاظ تدل على اجتهادهم وحرصهم

وتفانيهـم، فمـن ذلك أن أحدهـم كان يضع عنده عدة سـاعات منبهـة إذا نام، ويجعـل بين موعد تنبيـه كل واحدة والأخرى بضع دقائق، حتـى إذا أطفأ التي دقت أولًا دقت الثانية بعدها بقليل وهكذا.

وكان أحدهـم يربط في يده عند النوم خيطًا، ويدليه من نافذة غرفته، فإذا مر أحد أصحابه ذاهبًا إلى المسجد جذب هذا الخيط فيستيقظ لصلاة الفجر.

فانظر ماذا يفعل الإخلاص والتصميم، ولكن الحقيقة المرة هي ما نراه من قلة المصلين ونقص الصفوف في صلاة الفجر، بالرغم من كثرة الساكنين حول المسجد في كثير من الأحياء.

لكـن هناك أفـرادًا يكون ثقل النوم عندهم أمـرًا مَرَضِيًّا قد يُعذرون به، لأنه أمـر خارج عـن الإرادة فمثل هذا عليـه أن يلجأ إلى الله بالتضرع، ويسـتفيد ما استطاع من الوسائل الممكنة، وأن يراجع الطبيب لمحاولة إيجاد علاج.

وأخيرًا هذا تنبيه على أمر مشـتهر بين الناس وهـو زعمهم بأن هناك حديثًا مفـاده أنّ من أراد الاسـتيقاظ لصلاة الفجر فعليه أن يقرأ قبل النوم آخر سـورة الكهف، وينوي بقلبه القيام في سـاعة معينة، فيقوم، ويزعمون أن ذلك مجرب، ونقـول لهـم: إنـه لـم يثبت بذلـك حديث، فـلا عبرة بـه، وخير الهـدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.



١٢٧- احذروا الإشاعات [(١)]

إن الإشـاعة آفة تسـري في جسد الأمة سريان النار في يابس الحطب، فتأكل بشراهة، وتفسد في لحظات ما يفسد بغيرها في ساعات أو أيام، وللإشاعة سوق رائجـة وبضاعـة نافقة مع عدم اكتراث الناس أو تقديرهـم للآثار الناتجة عنها، ولو بحثنا عن سبب تلك الآثار المترتبة على الإشاعة لوجدنا أن النواة والبذرة الأولى هي عدم التثبت في الأخبار، وأخذها جزافًا دون تمحيص أو نقد.

ولو رجعنا إلى أدب الإسـلام في مثل هذه الأمور لما حدث ما حدث، وما يحدث الآن وما سـيحدث - والعلم عند الله - من تناقض الأخبار والمصادر، فهذا ينفي، وهذا يثبت، وذاك يشكك، وآخر يؤكد، فكم من حي قد أميت، وكم مـن ميت قد أحْيِي، وكم من ضال شـاع أمره بأنه أصبح مـن الأولياء، وكم من صالـح ذكر أنه نكص على عقبيه، وكم من بـريء قد اتهم، وكم من متهم حوله قرائن وشـواهد قوية قد برئ براءة كاملة كالشـمس في كبد السـماء ليس دونها سحاب، فاختلط الحابل بالنابل.

فما توجيه الإسلام في مثل هذا؟

منهـج عظيم وميزان دقيـق أدق من ميزان الذهب في بيـان صحيح الأخبار من سقيمها، يتمثل في نصوص كثيرة على رأسها قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجـرات: ٦]. نداء وأمر بالتبين، وتحذير، ثم بيان العاقبة الوخيمة في حالة عدم التروي والتثبت.

---

(١) هذه الخطبة والتي بعدها بتصرف من رسـالة (أخي، احذر الإشـاعة) لعبـد العزيز محمد بن عبد الله السدحان.

إن من الآداب التي على أولي الألباب، التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردًا، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال، بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه عُمِل به وصُدِّق، وإن دلت على كذبه كُذِّب، ولم يُعمَل به، ففيه دليل على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب مردود، وخبر الفاسق متوقَّفٌ فيه.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ٨٣].

هذا تأديب من الله ﷻ لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول ﷺ وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها.

فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه، ولهذا قال: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر

بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقْدِم عليه الإنسان؟ أم لا فيحجم عنه؟

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أي: في توفيقكم وتأديبكم، وتعليمكم ما لم تكونوا تعلمون، ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأن الإنسان بطبعه ظالم جاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشر، فإذا لجأ إلى ربه واعتصم به واجتهد في ذلك، لطف به ربه ووفقه لكل خير، وعصمه من الشيطان الرجيم.

إن الصورة التي يرسمها هذا النص هي صورة جماعة في المعسكر الإسلامي لم تألف نفوسهم النظام، ولم يدركوا قيمة الإشاعة في خلخلة المعسكر وفي النتائج التي تترتب عليها وقد تكون قاصمة؛ لأنهم لم يرتفعوا إلى مستوى الأحداث ولم يدركوا جدية الموقف وأن كلمة عابرة وفلتة لسان قد تجر من العواقب على الشخص ذاته وعلى جماعته كلها ما لا يخطر له ببال، وما لا يتدارك بعد وقوعه بحال! أو - ربما - لأنهم لا يشعرون بالولاء الحقيقي الكامل لهذا المعسكر، وهكذا لا يعنيهم ما يقع له من جراء أخذ كل شائعة والجري بها هنا وهناك وإذاعتها حين يتلقاها لسان عن لسان سواء كانت إشاعة أمن أو إشاعة خوف فكلتاهما قد يكون لإشاعتها خطورة مدمرة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ

﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور].

نزلت هذه الآيات في قصة الإفك المشهورة في سياق تبرئة أشرف النساء أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحاصلها أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في بعض غزواته، ومعه زوجته عائشة الصديقة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فانقطع عقدها فانحبست في طلبه ورحلوا جملها وهودجها، فلم يفقدوها، ثم استقل الجيش راحلا وجاءت مكانهم، وعلمت أنهم إذا فقدوها، رجعوا إليها فاستمروا في مسيرهم، وكان صفوان بن المعطل السلمي من أفاضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قد نزل آخر الليل للراحة، فرأى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فعرفها، فأناخ راحلته، فركبَتْها من دون أن يكلمها أو تكلمه، ثم جاء يقود بها بعد ما نزل الجيش في الظهيرة.

فلما رأى بعض المنافقين الذين في صحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، في ذلك السفر مجيء صفوان بها في هذه الحال أشاع ما أشاع، ووشى الحديث، وتلقفته الألسن، حتى

اغتر بذلك بعض المؤمنين، وصاروا يتناقلون هذا الكلام، وانحبس الوحي مدة طويلة عن الرسول ﷺ، وبلغ الخبر عائشة رضي الله عنها بعد ذلك بمدة، فحزنت حزنًا شديدًا، فأنزل الله براءتها في هذه الآيات، ووعظ الله المؤمنين، وأعظم ذلك، ووصاهم بالوصايا النافعة.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾ أي: الكذب الشنيع، وهو رمي أم المؤمنين ﴿عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ أي: جماعة منتسبون إليكم يا معشر المؤمنين، منهم المؤمن الصادق في إيمانه ولكنه اغتر بترويج المنافقين، ومنهم المنافق.

﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ لما تضمن ذلك تبرئة أم المؤمنين عائشة ونزاهتها، والتنويه بذكرها رضي الله عنها، حتى تناول عموم المدح سائر زوجات النبي ﷺ، ولِمَا تضمن من بيان الآيات المضطر إليها العباد، التي ما زال العمل بها إلى يوم القيامة، فكل هذا خير عظيم، لولا مقالة أهل الإفك لم يحصل ذلك، وإذا أراد الله عز وجل أمرًا جعل له سببًا، ولذلك جعل الخطاب عامًّا مع المؤمنين كلهم، وأخبر أنّ قدْحَ بعضهم ببعض كقدْحٍ في أنفسهم.

ففيه أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، واجتماعهم على مصالحهم، كالجسد الواحد، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، فكما أنه يَكرهُ أنْ يقدح أحدٌ في عِرْضِه، فليكره من كل أحد، أن يقدح في أخيه المؤمن، الذي بمنزلة نفسه، وما لم يصل العبد إلى هذه الحالة، فإنه من نقص إيمانه وعدم نصحه.

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ﴾ وهذا وعيد للذين جاءوا بالإفك، وأنهم سيعاقبون على ما قالوا من ذلك، وقد أقام النبي ﷺ الحدَّ على جماعة منهم، ﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ﴾ أي: معظم الإفك، وهو المنافق الخبيث عبد الله بن أبي بن سلول ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ ألا وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار.

ثم أرشَـدَ الله ﷻ عباده عند سـماع مثل هذا الـكلام فقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ أي: ظـن المؤمنـون بعضهم ببعض خيرًا، وهو السلامة مما رُمُوا به، وأن ما معهم من الإيمان المعلوم، يدفع ما قيل فيهم مـن الإفك الباطل، ﴿وَقَالُوا۟﴾ بسـبب ذلك الظن ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ أي: تنزيها لك من كل سـوء، وعن أن تبتلي أصفياءك بالأمور الشنيعة، ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ أي: كـذب وبهـت، من أعظم الأشـياء وأبينهـا، فهذا من الظـن الواجب، حين سـماع المؤمـن عـن أخيه المؤمن مثـل هذا الـكلام أن يبرئه بلسـانه، ويكذب القائل لذلك.

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ أي: هـلا جـاء الرامُـون على مـا رَمُوا به، بأربعـة شـهداء أي: عُـدُول مرضييـن، ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ﴾ وإن كانـوا في أنفسـهم قد تيقنوا ذلك، فإنهم كاذبون في حكم الله؛ لأن الله حرم عليهم التكلم بذلك من دون أربعة شـهود، ولهذا قـال: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ ولم يقل: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ.. هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ وهذا كله، من تعظيم حرمة عرض المسلم، بحيث لا يجوز الإقدام على رميه من دون نصاب الشهادة بالصدق.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بحيـث شـملكم إحسـانه فيهما، في أمـر دينكم ودنياكـم، ﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ أي: خضتم ﴿فِيهِ﴾ من شـأن الإفك ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لاسـتحقاقكم ذلك بما قلتم، ولكن من فضل الله عليكم ورحمته، أنْ شرَعَ لكم التوبة، وجعل العقوبة مطهرة للذنوب.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: تلقفونه ويلقيه بعضكم إلى بعض، وتستوشـون حديثه، وهو قولٌ باطل لسـان يتلقى عن لسـان بلا تدبر ولا تَرَوٍّ ولا فحص ولا إمعـان نظـر، حتى لـكأن القول لا يمر علـى الآذان، ولا تتمـلاه الرؤوس، ولا تتدبره القلوب!

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ لا بوعيكم، ولا بعقلكم، ولا بقلبكم! إنما هي كلمات تقذف بها الأفواه قبل أن تستقر في المدارك وقبل أن تتلقاها العقول ﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ والأمران محظوران: التكلم بالباطل، والقول بلا علم، ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ فلذلك أقدم عليه من أقدم من المؤمنين الذين تابوا منه، وتطهروا بعد ذلك، ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ وهذا فيه الزجر البليغ، عن تعاطي بعض الذنوب على وجه التهاون بها، فإن العبد لا يفيده حسبانه شيئا، ولا يخفف من عقوبة الذنب، بل يضاعف الذنب، ويسهل عليه مواقعته مرة أخرى.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أي: وهلّا إذ سمعتم - أيها المؤمنون - كلام أهل الإفك ﴿قُلْتُم﴾ منكرين لذلك، معظِّمين لأمره: ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ أي: ما ينبغي لنا، وما يليق بنا الكلام بهذا الإفك المبين، لأن المؤمن يمنعه إيمانه من ارتكاب القبائح ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ كلمة تقال عند التعجب والمراد بها تنزيه الله تعالى عما لا يليق به، ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ أي: كذب عظيم.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ أي: لنظيره، من رمي المؤمنين بالفجور، فالله يعظكم وينصحكم عن ذلك، ونعم المواعظ والنصائح من ربنا فيجب علينا مقابلتها بالقبول والإذعان، والتسليم والشكر له، على ما بَيَّنَ لنا ﴿أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ دل ذلك على أن الإيمان الصادق، يمنع صاحبه من الإقدام على المحرمات ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ المشتملة على بيان الأحكام، والوعظ، والزجر، والترغيب، والترهيب، يوضحها لكم توضيحا جليا ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: كامل العلم عام الحكمة، فمِن علمه وحكمته أن علمكم من علمه، وإن كان ذلك راجعا لمصالحكم في كل وقت.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ أي: الأمور الشنيعة المستقبحة المستعظمة، فيحبون أن تشتهر الفاحشة ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا

﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ أي: موجع للقلب والبدن، وذلك لغشه لإخوانه المسلمين، ومحبة الشر لهم، وجراءته على أعراضهم، فإذا كان هذا الوعيد، لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره ونقله؟ وسواء كانت الفاحشة، صادرة أو غير صادرة.

وكل هذا من رحمة الله بعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان دماءهم وأموالهم، وأمرهم بما يقتضي المصافَاة، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فلذلك علمكم، وبين لكم ما تجهلونه.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ قد أحاط بكم من كل جانب ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ عليكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ لَمَا بين لكم هذه الأحكام والمواعظ، والحكم الجليلة، ولَمَا أمهل من خالف أمره، ولكن فضله ورحمته، وأن ذلك وصفه اللازم آثر لكم من الخير الدنيوي والأخروي، ما لن تحصوه، أو تعدوه.

ولمَّا نهى عن هذا الذنب بخصوصِه، نهى عن الذنوب عمومًا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: طرقه ووساوسه.

وخطوات الشيطان، يدخل فيها سائر المعاصي المتعلقة بالقلب، واللسان والبدن. ومن حكمته تعالى أن بين الحكم، وهو: النهي عن اتباع خطوات الشيطان، والحكمة وهو بيان ما في المنهي عنه، من الشر المقتضي، والداعي لتركه فقال: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ﴾ أي: الشيطان ﴿يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ أي: ما تستفحشه العقول والشرائع، من الذنوب العظيمة، مع ميل بعض النفوس إليه، ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ وهو ما تنكره العقول ولا تعرفه.

فالمعاصي التي هي خطوات الشيطان، لا تخرج عن ذلك، فنهي الله عنها للعباد نعمة منه، عليهم أن يشكروه ويذْكروه، لأن ذلك صيانة لهم عن التدنس

بالرذائل والقبائح، فمن إحسانه عليهم، أن نهاهم عنها، كما نهاهم عن أكل السموم القاتلة ونحوها.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: ما تطهر من اتباع خطوات الشيطان، لأن الشيطان يسعى هو وجنده في الدعوة إليها وتحسينها، والنفس ميالة إلى السوء أمارة به، والنقص مستول على العبد من جميع جهاته، والإيمان غير قوي، فلو خلي وهذه الدواعي، ما زكى أحد بالتطهر من الذنوب والسيئات والنماء بفعل الحسنات، فإن الزكاء يتضمن الطهارة والنماء، ولكن فضله ورحمته أوجبا أن يتزكى منكم من تزكى.

وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا**» (رواه مسلم)؛ ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ من يعلم منه أن يزكى بالتزكية، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي: لا يحلف ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ كان من جملة الخائضين في الإفك مسطح بن أثاثة، وهو قريبٌ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان مسطح فقيرًا من المهاجرين في سبيل الله، فقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: «وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ».

فَأَنْزَلَ اللهُ هذه الآية ينهاهم فيها عز وجل عن هذا الحلف المتضمن لقطع النفقة عنه، ويحثه على العفو والصفح، ويعده بمغفرة الله إن غفر له، فقال: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إذا عاملتم عبيده بالعفو والصفح، عاملكم بذلك، فقال أَبُو بَكْرٍ - لما سمع هذه الآية-: «بَلَى وَاللهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي»، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «وَاللهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا» [رواه البخاري].

وفي هذه الآية دليل على النفقة على القريب، وأنه لا تترك النفقة والإحسان بمعصية الإنسان، والحث على العفو والصفح، ولو جرى عليه ما جرى من أهل الجرائم.

ثم ذكر الوعيد الشديد على رمي المحصنات فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ أي: العفائف عن الفجور ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ التي لم يخطر ذلك بقلوبهن ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ واللعنة لا تكون إلا على ذنب كبير.

وأكد اللعنة بأنها متواصلة عليهم في الدارين ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهذا زيادة على اللعنة، أبعدهم عن رحمته، وأحل بهم شدة نقمته.

وذلك العذاب يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فكل جارحة تشهد عليهم بما عملته، ينطقها الذي أنطق كل شيء، فلا يمكنه الإنكار، ولقد عدل في العباد، من جعل شهودهم من أنفسهم.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ أي: جزاءهم على أعمالهم الجزاء الحق، الذي بالعدل والقسط، يجدون جزاءها موفرا، لم يفقدوا منها شيئا كما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف: ٤٩]. ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ في ذلك الموقف العظيم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ فيعلمون انحصار الحق المبين في الله تعالى.

فأوصافه العظيمة حق، وأفعاله هي الحق، وعبادته هي الحق، ولقاؤه حق، ووعده ووعيده، وحكمه الديني والجزائي حق، ورسله حق.

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ أي: كل خبيث من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للخبيث، وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، وكل طيب من الرجال والنساء،

والكلمات والأفعال، مناسبٌ للطيب، وموافق له، ومقترن به، ومُشَاكِلٌ له، فهذه كلمة عامة وحصر، لا يخرج منه شيء.

والأنبياء - خصوصا أولي العزم منهم، خصوصا سيدهم محمد ﷺ، الذي هو أفضل الطيبين من الخلق على الإطلاق - لا يناسبهم إلا كل طيب من النساء، فالقدح في عائشة رضي الله عنها بهذا الأمر قدح في النبي ﷺ، وهو المقصود بهذا الإفك، مِن قصْدِ المنافقين، فمجرد كونها زوجة للرسول ﷺ، يعلم أنها لا تكون إلا طيبة طاهرة من هذا الأمر القبيح.

فكيف وهي هي؟ صِدِّيقةُ النساء وأفضلُهن وأعلمُهن وأطْيبُهن، حبيبة رسول رب العالمين ﷺ، التي لم ينزل الوحي عليه وهو في لحاف زوجة من زوجاته غيرها، ثم صرح بذلك، بحيث لا يبقى لمُبطل مقالًا ولا لشَكٍّ وشبهةٍ مجالا فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ والإشارة إلى عائشة رضي الله عنها أصلًا وللمؤمنات المحصنات الغافلات تَبَعًا ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ تستغرق الذنوب ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ في الجنة صادر من الرب الكريم.

ويؤخذ من هذه الآيات الكريمة جملة من الأحكام والآداب من أهمها ما يأتي:

١ - غيرة الله- تعالى- على حرمة نبيه ﷺ ودفاعه عن أوليائه، ورده لكيد المنافقين في نحورهم. فأنزل الله براءة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، صيانة لعرض الرسول ﷺ.

٢ - تسلية الله- تعالى- لعباده المؤمنين، عما أصابهم من هم وغم بسبب هذا الحديث المفترى على الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما وقد ظل هذا الحديث يتردد في جنبات المدينة، حتى نزلت هذه الآيات الكريمة، لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

ومن مظاهر هذه التسلية قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

٣- إرشاد المؤمنين إلى أن من أنجع الوسائل لمحاربة الإشاعات الكاذبة، أن يحسن بعضهم الظن ببعض، وأن يكتموا هذه الإشاعات حتى تموت في مهدها، وأن يزجروا من يتفوه بها. أو من يعمل على ترويجها. وأن يظهروا له احتقارهم، ونفورهم من مجرد سماعها. وهذا الإرشاد الحكيم نراه في آيات متعددة من هذه القصة، ومن ذلك قوله تَعَالَىٰ:

﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾.

٤- بيان جانب من مظاهر فضل الله- تعالى- ورحمته بعباده المؤمنين، الذين سبقتهم ألسنتهم بالخوض في حديث الإفك، أو في سماعه. ثم تابوا بعد ذلك مما وقعوا فيه.

٥- تحذير المؤمنين تحذيرا شديدا، عن مغبة الوقوع مرة أخرى. فيما وقع فيه بعضهم من الخوض في حديث الإفك، وفيما يشبهه من أحداث، وبيان أن ما حدث من بعضهم يتنافى مع ما يقتضيه الإيمان، ومع آداب الإسلام.

ومن الآيات التي وردت في هذا التحذير قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

٦- تهديد الذين افتروا حديث الإفك بخبث وبسوء نية، وبإصرار على نشر قالة السوء في صفوف المؤمنين. تهديدهم بأشد ألوان العذاب في الدنيا والآخرة، ووصفهم بأقبح الصفات التي تدعو إلى نبذهم والبعد عنهم.

ومن الآيات التي وردت في ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ وقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾.

٧- توجيه المؤمنين الصادقين إلى العفو والصفح، عمن شارك في حديث الإفك بالقول، أو بالسماع، أو بالرضا به، ما دام هؤلاء المشاركون قد تابوا وندموا على ما وقع منهم، ندما يدل على حسن توبتهم، كأن يعترفوا بخطئهم أو يعتذروا عما فرط منهم.

ويشهد لهذا التوجيه قوله ﷻ في شأن أبى بكر الصديق رضي الله عنه، بعد أن أقسم أن لا ينفق على مسطح: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

٨- تكريم السيدة عائشة رضي الله عنها تكريما يظل ملازما لها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقد برأها مما افتراه عليها المفترون، وشهد بحصانتها وغفلتها عن السوء وقوة إيمانها، وطيب عنصرها، وأنزل في شأنها قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، ويكفيها فخرًا قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.



١٢٨- الإشاعات أسباب ونتائج

النصوص الثابتة في السنة في التثبت في نقل الأخبار:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**» [رواه مسلم].

(كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا) يَكْفِيه ذَلِكَ مِنْ الْكَذِب، فَإِنَّهُ قَدْ اُسْتُكْثِرَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ يَسْمَع فِي الْعَادَة الصِّدْق وَالْكَذِب، فَإِذَا حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ فَقَدْ كَذَبَ لِإِخْبَارِهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ.

ومن ذلك قولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ «**بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا**»، [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

(الْمَطِيَّةُ) بِمَعْنَى الْمَرْكُوبِ (زَعَمُوا) الزَّعْمُ: قَرِيبٌ مِنَ الظَّنِّ، أَيْ أَسْوَأُ عَادَةٍ لِلرَّجُلِ أَنْ يَتَّخِذَ لَفْظَ زَعَمُوا مَرْكَبًا إِلَى مَقَاصِدِهِ فَيُخْبِرَ عَنْ أَمْرٍ تَقْلِيدًا مِنْ غَيْرِ تَثَبُّتٍ فَيُخْطِئ وَيُجَرَّبَ عَلَيْهِ الْكَذِبُ، فالْإِخْبَارَ بِخَبَرٍ مَبْنَاهُ عَلَى الشَّكِّ وَالتَّخْمِينِ دُوْنَ الْجَزْمِ وَالْيَقِينِ قَبِيحٌ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِخَبَرِهِ سَنَدٌ وَثُبُوتٌ وَيَكُونَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ ذَلِكَ لَا مُجَرَّدَ حِكَايَةٍ عَلَى ظَنٍّ وَحُسْبَانٍ.

وأَصْلُ هَذَا أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى بَلَدٍ رَكِبَ مَطِيَّةً وَسَارَ حَتَّى يَبْلُغَ حَاجَتَهُ فَشَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ مَا يُقَدِّمُهُ الرَّجُلُ أَمَامَ كَلَامِهِ وَيَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى حَاجَتِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ زَعَمُوا كَذَا وَكَذَا بِالْمَطِيَّةِ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الْمَوْضِع الَّذِي يَقْصِدُهُ.

وَإِنَّمَا يُقَالُ زَعَمُوا فِي حَدِيثٍ لَا سَنَدَ لَهُ وَلَا ثَبَتَ فِيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ حُكِيَ عَنِ الْأَلْسُنِ عَلَى سَبِيلِ الْبَلَاغِ، فَذَمَّ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْحَدِيثِ مَا كَانَ هَذَا سَبِيلَهُ وَأَمَرَ بِالتَّثَبُّتِ فِيهِ وَالتَّوَثُّقِ لِمَا يَحْكِيهِ مِنْ ذَلِكَ فَلَا يَرْوُونَهُ حَتَّى يَكُونَ مَعْزِيًّا إِلَى ثَبْتٍ وَمَرْوِيًّا عَنْ ثِقَةٍ.

ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم في التثبت في نقل الأخبار:

مـن ذلك مـا أخرجه البخاري ومسـلم وغيرهما عـن أَبِي سَـعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قَـالَ: كُنْتُ جَالِسًـا بِالْمَدِينَةِ فِي مَجْلِـسِ الْأَنْصَارِ، فَأَتَانَا أَبُو مُوسَـى فَزِعًا أَوْ مَذْعُـورًا قُلْنَـا: «مَا شَـأْنُكَ؟»، قَالَ: «إِنَّ عُمَرَ أَرْسَـلَ إِلَيَّ أَنْ آتِيَـهُ، فَأَتَيْتُ بَابَهُ فَسَلَّمْتُ ثَلَاثًا فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ فَرَجَعْتُ، فَقَالَ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِينَا؟»، فَقُلْتُ: «إِنِّي أَتَيْتُكَ، فَسَلَّمْتُ عَلَى بَابِكَ ثَلَاثًا، فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيَّ، فَرَجَعْتُ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِذَا اسْـتَأْذَنَ أَحَدُكُـمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، فَلْيَرْجِـعْ**»، فَقَالَ عُمَرُ: «أَقِمْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةَ، وَإِلَّا أَوْجَعْتُكَ»، فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: «لَا يَقُومُ مَعَهُ إِلَّا أَصْغَرُ الْقَوْمِ»، قَالَ: أَبُو سَعِيدٍ: قُلْتُ: «أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ»، قَالَ: «فَاذْهَبْ بِهِ».

كلام العلماء في التثبت في الرواية:

قال مالك لابن وهب: «اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع، ولا يكون إمامًا أبدًا وهو يحدث بكل ما سمع».

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «لا يكون الرجل إمامًا يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع».

ما هي الإشاعة؟

هـي كل قضيـة أو عبارة مقدمة للتصديق تتناقل من شـخص إلى شـخص دون أن تكون لها معايير أكيدة للصدق.

وقيـل: هي رأي موضوعي معين كي يؤمن به من يسـمعه وهي تنتقل عادة من شـخص إلى آخر عن طريق الكلمة الشـفهية، دون أن يتطلب ذلك مستوى من البرهان أو الدليل.

وقيـل: هي بث خبر من مصدر ما في ظرف معين ولهدفٍ ما يبغيه المصدر دون علم الآخرين، وانتشار هذا الخبر بين أفراد مجموعة معينة.

وقيل: هي الأحاديث والأقوال والأخبار التي يتناقلها الناس، والقصص التي يرونها دون التثبت من صحتها أو التحقق من صدقها.

ومن التعاريف للإشاعة أيضًا: أنها أخبار مشكوك في صحتها، ويتعذر التحقق من أصلها، وتتعلق بموضوعات لها أهمية لدى الموجهة إليهم، ويؤدي تصديقهم أو نشرهم لها إلى إضعاف روحهم المعنوية.

أو هي: النبأ الهادف الذي يكون مصدره مجهولًا، وهي سريعة الانتشار، ذات طابع استفزازي أو هادئ حسب طبيعة ذلك النبأ.

مصادر الإشاعة:

منشأ الإشاعة وأساسها غالبًا ما يكون: خبرًا من شخص، أو خبرًا من جريدة، أو خبرًا من مجلة، أو خبرًا من إذاعة، أو خبرًا من تلفاز، أو خبرًا من الإنترنت أو الفيسبوك، أو خبرًا من رسالة خطية، أو خبرًا من شريط مسجَّل.

فهذه الوسائل هي طرق تناقل الأخبار بين الناس وانتشارها بينهم.

ولذا على ناقل الخبر أن يتروى ويتثبت في كل ما يقال، وليحذر أن يبادر بالتصديق الفوري؛ فإن الأصل البراءة التامة، وتلك الإشاعة ناشئة طارئة، والأصل بقاء ما كان على ما كان حتى تقوم الأدلة الواضحة على ذلك.

أنواع الإشاعة:

تختلف الإشاعة حسب اختلاف الشخص المنقول عنه أو الأشخاص المنقول عنهم. فتارة تكون الإشاعة مدحًا، وتارة تكون ذمًا، وتارة تكون خليطًا بين النوعين، وتارة تكون غريبة أي في سياق وقائعها حتى تكون في عداد المستحيلات، لكن تلقف الناس وتناقلهم لها جعل المستحيل أمرا ممكن الوقوع.

كثرة الإشاعات وتنوعها تدل على تنوع المشاع عنهم:

فتارة يكون الشيء المشاع عنه:

شـخصًا موسـومًا بالخير والصلاح، أو شـخصًا على العكس من ذلك، أو حـدث غريب وهو أنواع كثيرة، وبعض الأحداث شـديدة الغرابة إلى حد كبير وضابطها: أمر يستحيل وقوعه، أو يكاد يكون مستحيلًا.

ما الفائدة من ترويج الإشاعة:

مروج الإشاعة لا يخلو مراده من مقاصد عدة:

الأول: النصح: بمعنى أن ترديده لتلك الإشاعة في مجلسه أو مجالسه إنما هـو بدافع الحرص على نصح ذلك المشـاع عنه، فهـذه طريقة بعض الناس في ترويج الإشاعة بدعوى النصح للمشاع عنه كما يزعم.

الثاني: الشماتة: وذلك بأن يكون الدافع والمحرك لنشر الإشاعة وترويجها بين الناس إنما هو الشماتة بصاحبها والوقيعة فيه، عياذا بالله من هذا.

الثالـث: الفضـول: وهـذا حال أغلـب المروجين للإشـاعة، فـإن إصغاء السامعين لحديثه وأشخاصهم بأبصارهم إليه وتشوقهم لسماع كل ما يقول دافع من أعظم الدوافع لنقل الإشاعة، هذا إن سلم - ولا يكاد إلا من رحم الله ﷻ - من التزيد في الكلام؛ بُغيةَ تشويقهم وتعلقهم بما يقول.

الرابـع: قطع أوقـات المجالـس بذكرها: فمـن المعلوم المشـاهد أن كل الحاضريـن أو أغلبهـم في المجلس يريـد أن يدلي بدلوه للمشـاركة في الكلام والنقـاش - ولـو كان عقيمًا - ويرى السـكوت نقصًا في حقه، فـتراه يذكر هذه الإشاعة بقصد المشاركة في الحديث بغض النظر عما يترتب عليه نقله ذاك.

ذات الإشاعة وناقلها والمنقول إليه والمنقولة عنه:

أما ذات الإشـاعة: فإن من الإشـاعات ما يتفق العقلاء على بطلانه، أو كما يقال: «سقوطها يغني عن إسقاطها» و «بطلانها يغني عن إبطالها».

فهذا النوع من الإشاعات الاشتغال به دليل على نقص عقل ناقلها.

ولـو كان الأمـر يقف عنـد هذا الحد لـكان هينًا لكن قد يتعـداه إلى القدح في معتقد ناقل الإشـاعة، وذلك كأن تكون الإشـاعة تكذيبًا لشـيء ورد القرآن بتصديقه، أو على العكس من ذلك.

كبعـض الشـائعات التي تخرج بين فينـة وأخرى بأن القيامـة تقوم في اليوم الفـلاني بالتاريخ الفـلاني، أو بأن فلانًا من الناس يموت في وقت كذا في يوم كذا في مكان كذا، وما شـاكل ذلك فهذا كله من الرجم بالغيب الذي ما أنزل له من سلطان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ (لقمـان: ٣٤). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥].

وبـكل حـال فنقل الإشـاعة بدون تـروٍ ولغيـر مصلحة يؤدي إلى مفاسـد كثيرة.

أما ناقل الإشاعة: فيلزمه أمور منها:

أولًا: أن يتقي الله تعالى في نفسه، ويراقبه في كل ما يقول ويفعل.

ثانيًا: أن يتذكر أنه محاسـب علـى كل كلمة يقولها. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار]. فقـد أقـام الله عليكـم ملائكة كرامًا يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمون أفعالكم، ودخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرموهم وتُجِلّوهم وتحترموهم.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق].

يخـبر أنـه المتفـرد بخلق جنـس الإنسـان، ذكورهـم وإناثهم، وأنـه يعلم أحواله، وما يُسِـرُّه، ويوسـوس في صدره وأنه أقرب إليه من حبل الوريد، الذي

هو أقرب شيء إلى الإنسان، وهو العِرْق المكتنف لثغرة النحر، وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه، المطلع على ضميره وباطنه، القريب منه في جميع أحواله، فيستحي منه أن يراه، حيث نهاه، أو يفقده، حيث أمره، وكذلك ينبغي له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال، فيجلهم ويوقرهم، ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه، مما لا يرضي رب العالمين، ولهذا قال: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ أي: يتلقيان عن العبد أعماله كلها، واحد ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾ يكتب الحسنات، والآخر ﴿وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ يكتب السيئات، وكل منهما ﴿قَعِيدٌ﴾ بذلك متهيئ لعمله الذي أعد له، ملازم له.

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾ خير أو شر ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ أي: مراقبٌ له، حاضر لحاله، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار].

ثالثًا: أن يكون قصده سليمًا لا لَوْثَ فيه، كأنْ يستغل ذكر الإشاعة للتنفيس عن نفسه مما يجد في صدره عن المنقول عنه، فليحذر المسلم من هذا المسلك المشين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ ﴾ وهو النظر الذي يخفيه العبد من جليسه ومقارنه، وهو نظر المسارقة، ﴿ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ مما لم يُبيِّنْهُ العبد لغيره، فالله تعالى يعلم ذلك الخفي، فغيره من الأمور الظاهرة من باب أولى وأحرى.

وعلى هذا فلزامًا على المسلم أن يصلح قلبه وقالبه ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، ومتى ما علم الله ذلك منه فسيرى ويلقى من الله ما يحب ويرضى.

رابعًا: أن يتروى ويتثبت في كل ما يقول، وأن يحذر من التزيُّد في الكلام وأن

لا ينقل إلا ما كان متأكدا من سماعة أو رؤيته؛ حتى تبرأ ذمته، وقد كان الصحابة ﵃ – وهم أتقى الناس بعد الأنبياء والرسل ﵈ – يتحرون ويتثبتون في نقل الأخبار وهم من هم في العدالة والصدق، والأمانة.

فعَنْ أَبِى شُرَيْحٍ أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ – وَهْوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ: «ائْذَنْ لِى أَيُّهَا الأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلاً قَامَ بِهِ النَّبِىُّ ﷺ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ، سَمِعَتْهُ أُذُنَاىَ وَوَعَاهُ قَلْبِى، وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَاىَ، حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ: حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ**» [رواه البخاري].

وعن عُمَارَةَ بْنِ رُؤَيْبَةَ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**»، يَعْنِى الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ: «آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟».

قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ الرَّجُلُ: «وَأَنَا أَشْهَدُ أَنِّى سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَمِعَتْهُ أُذُنَاىَ وَوَعَاهُ قَلْبِى».

تَثبُّتٌ ما بعده تَثبُّتٌ وتَوثُّق ما بعده توثُّق.

خامسًا: أن يكون مقصده من نقل الإشاعة التأكد من صحتها إلى المنقول عنه، فعليه أن يبين هذا لمن يستمع إليه حتى يستنير بآرائهم حول هذا الخبر.

سادسًا: على ناقل الإشاعة أن يفرق بين المجالس التي يرتادها أو الجليس الذي قد يجالسه وقت حدث الإشاعة، فما كل مجلس يصلح، بل إن بعض المجالس قد تزيد في ترويج الإشاعة وعلى أوجه مختلفة، فيتسع الخرق على الراقع، وهذه المجالس هي التي يحضرها الغوغاء من الناس، وأولئك مضرتهم راجحة على منفعتهم إن صح أن عندهم نفعًا في مجالسهم تلك.

سابعًا: على ناقل الإشاعة أن يحث المنقول لهم على التثبت والتروي والتأكد في نقلهم عنه؛ لأنه المصدر الأصلي لهم، وكل كلام يخرج منهم

فمحسـوب عليه ومنسـوب له، إن الإشاعة ليست كسـائر الأخبار فلا تنقل إلا بعد التثبت ومن ثم لا يخبر بها كل أحد بخلاف العلم المتعلق بالأمة كلها.

ثامنًا: أن يسـارع أولًا في استشـارة أهل العلم والفضل في أمر هذه الإشاعة، وعليه أن يأخذ بمشورتهم؛ فإنهم أدرَى بالمصلحة بحكم علمهم وتجربتهم، بل قد بين الله تعالى في محكم التنزيل أن مسـلك الرد إلى أهل العلم هو المسـلك السليم في مثل هذا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء: ٨٣].

أما المنقول له. أي الذي نقلت له الإشاعة، فعليه:

أولًا: أن يذَكّر الناقل بالله تعالى وأنه محاسَبٌ ومؤاخَذٌ على كل كلمة يلفظ بها.

ثانيًا: أن يحثه على التروِّي وعدم العجلة في نقله.

ثالثًا: أن لا يبادر بتصديق الإشـاعة فورًا خاصةً إذا لم تكن الأدلة والقرائن قائمة أكمل قيام وأتمه.

رابعًا: إذا كانت الإشـاعة عن شخص موسـوم بالخير فينبغي أن يحمل على المحمل الحسن، ويلتمس له العذر في ذلك إذا كان للعذر مبرر شرعي صحيح.

فـإن لم يكن له مبرر فيما نسـب إليـه فعلى المنقول له أن يذكـر الناقل بأن الواجـب في هـذه الحالة النصـح والتوجيه؛ حتى يسـتقيم الخلل الذي سـبب وجود الإشاعة.

أمـا المنقـول عنه: فلا يخلو من نسـبت إليه الإشـاعة في الجملة من أمرين اثنين:

إما أن يكون معلومًا أو مجهولًا.

فإن كان معلومًا فإما أن يكون من المشهود لهم بالخير والاستقامة وخاصة العلماء، أو من عامة المسلمين، فإن كانت الإشاعة منسوبة إلى القسم الأول أي المشهود لهم بالخير، فعلى الإنسان أن يتقي الله، ويمسك لسانه عن الخوض في أعراضهم خاصة العلماء المشهود لهم بالخير وحسن المعتقد.

وإن كان من نسبت إليه الإشاعة غير موسوم بالخير فليحذر الناقل أن يتزيد عليه حتى لو كان عدوًا له؛ فإن هذا من الظلم والكذب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[المائدة: ٨].

أي لا يحملنكم بُغْضُ قومٍ على أن لا تعدلوا كما يفعله مَن لا عدلَ عنده، ولا قسط، بل كما تشهدون لوليكم فاشهدوا عليه كما تشهدون على عدوكم، فاشهدوا له فلو كان كافرًا أو مبتدعًا، فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا ظلم للحق. ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾: أي كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى.

إما إن كان الشخص مجهولًا فالحق أن يلحق بالذي قبله، ولا يجوِّز ناقل الإشاعة لنفسه التقول عليه بدون تثبت محكم لجهالته، فالجهالة لا تشفع للقول بلا علم، وأيضًا فقد يبلغ الخبر ذاك المجهول فيحمل على من تكلم فيه بغير حقٍ.

طرق دحض الإشاعة:

وهل كل إشاعة تدحض وتدفن؟ فالإشاعات كثيرة ومتنوعة.

وجواب هذا الاعتراض أن يقال: ما قويت شواهده وكثرت قرائنه، وتواطأ

الرواة عليه، فهذا قد خرج من حيز الإشـاعة إلى حيز الحقيقة، فمثل هذا الخبر الذي كثرت مخارجه، واحتفت به القرائن، وكثرت شواهده في حالة عدم قبوله والاعـتراض عليـه مغالطة للحقيقة وهروب من الواقع؛ لأن الشـك فيه في أول الأمر والتردد في قبوله قد ارتفع وزال؛ بقوة الأدلة المصاحبة للخبر.

لكن يبقى هنا مسـألة وهي معالجة انتشار الخبر، ومحاولة تقليص دائرته، وحمل صاحبه على المحمل الحسن إن كان أهلًا لذلك مع الدعاء له.

أمـا إن كان المشـاع عنـه غير أهـل للمحمل الحسـن، وكان في بيـان أمره وكشـف سـتره مصلحة راجحة ففي هـذه الحال لا حرج في انتشـار الخبر، بل هـو الأولى والأجدر، شـريطة ذم التزيد فيه أو التصرف في سـياقه تصرفًا يخل بالمعنى الأصلي؛ بغية تضخيم القضية فوق حقيقتها.

إن لدفن الإشاعة وإماتتها طرقًا كثيرة منها:

١- تذكير الناقل بالله تعالى وتحذيره من مغبة القول بلا علم.

٢- تذكير الناقل بالعاقبة المتحصلة إذا كانت الإشـاعة كذبًا أو مبالغًا فيها. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

٣- عدم التعجل في تقبل الإشاعة دون استفهام أو اعتراض.

٤- عدم ترديد الإشـاعة؛ لأن في ترديدها زيادة انتشـار لها مع إضفاء بعض بـل كثير من الكذب عليهـا وكما قيل في المثل: (الكذب كـرة ثلجية تكبر كلما دحرجتها).

٥- اقتفاء سير الإشاعة، وتتبع مسارها للوصول إلى جذورها، ووضع اليد على مطلقيها ومحاسبتهم بحزم.

٦- عـدم المبـالاة أو إظهار التعجـب والاهتمام عند سـماعها من أطراف

أخرى والتشكيك في صحتها؛ فهذا بحد ذاته يخفف فَوْرة ناقلي الإشاعة، ويجعلهم يراجعون أنفسهم قبل بث تلك الشائعة.

إن في الإعراض عن الإشاعة وعدم الاكتراث بها سبب رئيسي في إخماد الإشاعة، إذ الإعراض عن الإشاعة أحرى لإماتتها وإخمال ذكر قائله وأجدر أن لا يكون ذلك تنبيهًا للجهال عليه.

٧- محاولة الرد على الإشاعة في الصحف وما شاكلها إذا كانت الإشاعة ناشئةً من الصحف، أو أنها بلغت بين الناس مبلغًا عظيمًا، فإن في بيان بطلان الإشاعة أمام أكثر عدد من الناس، أسرع وسيلة للقضاء عليها وإخماد ذكرها، وإن لم يخمد ذكرها بالكلية فعلى الأقل إزالة القناعة التامة بها من أذهان الناس.

من الآثار المترتبة على بطلان الإشاعة:

لو أن كل ناقل أو سامع للإشاعة وضع في حسبانه بعض المضار المترتبة عند كون الإشاعة كذبًا وزورًا أو مبالغًا فيها لتردد أناس كثيرون في نقلها وفي قبولها.

وهذا لا خفاء فيه، إذ العاقل ينظر إلى الأمور نظرةَ تَرَوٍّ ونظرة موازنة، يحسب لها حسابها اللائق بها، فلا يغلب جانبًا على جانب إلا بقرائن تثقل كفة الأمر الذي غلبه.

وفي الوقت ذاته يحرص أن يقدر الأمر من جميع جهاته نفيًا أو إثباتًا، أو رجحان النفي على الإثبات أو العكس، فلا يطلق حُكْمَه جزافًا عند أول وهلة يصل الخبر فيها إليه، فإن هذا من الخلل في اكتمال بناء الشخصية. كيف لا؟

والمسلم مأمور بالتثبت بنص القرآن الصريح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]. أمر بالتبيُّن وتحذير وتنبيه إلى ما يؤدي إليه عدم التبين من اتهام المشاع

عنه بما هو منه بريء ونزيه، ثم يعقب ذلك الندم والأسف من المشيع، ولات حين مندم.

وبعد هذا كله يقال: الآثار المرتبة على بطلان الإشاعة كثيرة منها:

١- اتهام البريء بما ليس فيه.

٢- تلوث الذمم والألسنة؛ نتيجة الخوض في أمور بلا تروٍ وتثبت.

٣- انعدام أو تقلص الثقة المتبادلة بين الناقل والمنقول له.

٤- شماتة المجتمع وبالذات المحسوبين على الإسلام، خاصة إذا كان منشأ الإشاعة ومصدرها من العاملين في حقل الدعوة، وبشكل عام من شباب الصحوة.

من أسباب رواج الإشاعة:

يتناقل كثير من الناس المقالة التي تقول - كل غريبٍ مرغوبٌ - وهذه وإن لم تكن على إطلاقها لكن تنطبق على أمر الإشاعة في أغلب أحوالها؛ بحكم غرابة خبر الإشاعة، وعلى كل حال فلرواج الإشاعة أسباب عديدة منها:

١- حب الفضول، والدافع الغريزي من المستمعين.

٢- الشعور بالنشوة من ناقل الإشاعة عندما يرى إصغاء السامعين له، وإشخاص أبصارهم إليه والتلهف والتشوق لكل كلمة يقولها.

٣- عدم تصور النتائج من الناقل والمنقول له في حالة بطلان الإشاعة.

٤- ضعف الوازع عند نقل الإشاعة.

٥- عدم محاسبة النفس وتفقدها.

١٢٩- رؤيا رآها النبي ﷺ

عَنْ سَـمُرَةَ بْـنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِـرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِـهِ: «هَلْ رَأَى أَحَـدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟»، قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَـاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّـهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالاَ لِـي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّـا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِـهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَـهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَـا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُـذُهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُـهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى».

قُلْتُ لَهُمَا: «سُبْحَانَ اللهِ، مَا هَذَانِ؟». قَالاَ لِي: «انْطَلِقِ انْطَلِقْ».

فَانْطَلَقْنَـا، فَأَتَيْنَـا عَلَى رَجُلٍ مُسْـتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِـمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَـهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَـوَّلُ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْـلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَـا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجَانِبِ حَتَّـى يَصِحَّ ذَلِكَ الجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى.

قُلْتُ: «سُبْحَانَ اللهِ مَا هَذَانِ؟». قَالاَ لِي: «انْطَلِقِ انْطَلِقْ».

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ، فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا.

قُلْتُ لَهُمَا: «مَا هَؤُلاَءِ؟». قَالاَ لِي: «انْطَلِقِ انْطَلِقْ».

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَـابِحٌ يَسْـبَحُ،

وَإِذَا عَلَى شَـطِّ النَّهرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا.

قُلْتُ لَهُمَا: «مَا هَذَانِ؟». قَالاَ لِي: «انْطَلِقِ انطَلِقْ».

فَانْطَلَقْنَـا، فَأَتَيْنَـا عَلَى رَجُلٍ كَرِيـهِ المَرْآةِ، كَأَكْـرَهِ مَا أَنْـتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْآةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّـهَا وَيَسْـعَى حَوْلَهَا. قُلْتُ لَهُمَا: «مَا هَذَا؟». قَالاَ لِي: «انْطَلِقِ انْطَلِقْ».

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَي الرَّوْضَـةِ رَجُـلٌ طَوِيلٌ، لاَ أَكَادُ أَرَى رَأْسَـهُ طُولًا فِي السَّـمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِـنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَـطُّ. قُلْتُ لَهُمَا: «مَا هَذَا؟ مَا هَؤُلاَءِ؟». قَالاَ لِي: «انْطَلِقِ انْطَلِقْ».

فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ، لَمْ أَرَ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلاَ أَحْسَنَ. قَالاَ لِي: «ارْقَ فِيهَا»، فَارْتَقَيْنَا فِيهَا، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَـا بَابَ المَدِينَةِ فَاسْـتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَـطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ.

قَالاَ لَهُمْ: «اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ».

وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ المَحْضُ فِي البَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ.

قَالاَ لِي: «هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ»، فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَـةِ البَيْضَاءِ. قَالاَ لِي: «هَـذَاكَ مَنْزِلُكَ». قُلْتُ لَهُمَا: «بَـارَكَ اللهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَأَدْخُلَهُ»، قَالاَ: «أَمَّا الآنَ فَلاَ، وَأَنْتَ دَاخِلَهُ».

قُلْتُ لَهُمَا: «فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟».

قَـالاَ لِي: «أَمَا إِنَّا سَـنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُـلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُـهُ بِالحَجَـرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُـذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُـهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّـلاَةِ المَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشَرْشَـرُ شِـدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ، وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَـاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْـبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الحَجَرَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَـا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ المَرْآةِ، الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّـهَا وَيَسْـعَى حَوْلَهَـا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّـمَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيـلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ -، وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ». فَقَالَ بَعْضُ المُسْـلِمِينَ: «يَا رَسُـولَ اللهِ، وَأَوْلاَدُ المُشْرِكِينَ؟».

فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «وَأَوْلاَدُ المُشْـرِكِينَ، وَأَمَّا القَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَـطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرٌ قَبِيحًا، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ» [رواه البخاري].

وفي رواية:

عَنْ سَـمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلاَةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟». فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ، فَسَـأَلَنَا يَوْمًا، فَقَـالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟». قُلْنَـا: «لاَ». قَالَ: «لَكِنِّى رَأَيْـتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِى فَأَخَذَا بِيَدِى، فَأَخْرَجَانِى إِلَى الأَرْضِ الْمُقَدَّسَـةِ، فَإِذَا رَجُـلٌ جَالِـسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَـدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيـدٍ، يُدْخِلُ ذَلِـكَ الْكَلُّوبَ فِى شِـدْقِهِ، حَتَّـى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِـدْقِهِ الآخَـرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِـدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ.

قُلْتُ: «مَا هَذَا؟». قَالاَ: «انْطَلِقْ».

فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ، فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الْحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ.

قُلْتُ: «مَنْ هَذَا؟». قَالاَ: «انْطَلِقْ».

فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلاَهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ.

فَقُلْتُ: «مَنْ هَذَا؟». قَالاَ: «انْطَلِقْ».

فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ، فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِى فِى النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِى فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِى فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ.

فَقُلْتُ: «مَا هَذَا؟». قَالاَ: «انْطَلِقْ».

فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِى أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِى فِى الشَّجَرَةِ، وَأَدْخَلاَنِى دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِى مِنْهَا فَصَعِدَا بِى الشَّجَرَةَ فَأَدْخَلاَنِى دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ.

قُلْتُ: «طَوَّفْتُمَانِى اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِى عَمَّا رَأَيْتُ».

قَالاَ: «نَعَمْ، أَمَّا الَّذِى رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَالَّذِى رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ

فِيـهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَالَّـذِى رَأَيْتَهُ فِى الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ. وَالَّذِى رَأَيْتَهُ فِى النَّهَرِ آكِلُو الرِّبَا. وَالشَّـيْخُ فِى أَصْلِ الشَّـجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّـلاَمُ - وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلاَدُ النَّاسِ، وَالَّذِى يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ. وَالدَّارُ الأُولَى الَّتِى دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ».

فَرَفَعْتُ رَأْسِى فَإِذَا فَوْقِى مِثْلُ السَّحَابِ. قَالاَ: «ذَاكَ مَنْزِلُكَ». قُلْتُ: «دَعَانِى أَدْخُـلْ مَنْزِلِـى». قَالاَ: «إِنَّـهُ بَقِىَ لَكَ عُمْـرٌ لَمْ تَسْـتَكْمِلْهُ، فَلَوِ اسْـتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ» [رواه البخاري].

(كَانَ النَّبِـيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَـلاَةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ) فِيهِ دَلِيل لِاسْـتِحْبَابِ إِقْبَـال الْإِمَام الْمُصَلِّي بَعْد سَـلَامه عَلَى أَصْحَابه. وَفِيهِ اِسْـتِحْبَاب السُّـؤَال عَنْ الرُّؤْيَـا وَالْمُبَادَرَة إِلَى تَأْوِيلهَا وَتَعْجِيلهَـا أَوَّل النَّهَار لِهَذَا الْحَدِيث، وَلِأَنَّ الذِّهْن جُمِعَ قَبْل أَنْ يَتَشَعَّبَ بِإِشْغَالِهِ فِي مَعَايِش الدُّنْيَا، وَلِأَنَّ عَهْد الرَّائِي قَرِيب لَمْ يَطْرَأْ عَلَيْهِ مَا يُهَوِّشُ الرُّؤْيَا عَلَيْهِ، وَلِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِيهَا مَا يُسْتَحَبُّ تَعْجِيله كَالْحَثِّ عَلَى خَيْر، أَوْ التَّحْذِير مِنْ مَعْصِيَة، وَنَحْو ذَلِكَ. وَفِيهِ إِبَاحَة الْكَلَام فِي الْعِلْم وَتَفْسِـير الرُّؤْيَا وَنَحْوهمَا بَعْد صَلَاة الصُّبْح.

وَفِيهِ أَنَّ اِسْتِدْبَار الْقِبْلَة فِي جُلُوسه لِلْعِلْمِ أَوْ غَيْره مُبَاح.

(إِنَّـهُ أَتَانِـي اللَّيْلَـةَ آتِيَـانِ) سَـيَأْتِي فِـي آخِـرِ الْحَدِيـثِ أَنَّهُمَـا جِبْرِيـلُ وَمِيكَائِيلُ عليهما السلام.

(ابْتَعَثَانِي) مَعْنَى ابْتَعَثَانِي أَرْسَلَانِي، يُقَالُ ابْتَعَثَهُ إِذَا أَثَارَهُ وأذهبه، وقيل مَعْنَى ابْتَعَثَانِـي أَيْقَظَانِـي وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ رَأَى فِي الْمَنَام أَنَّهُمَـا أَيْقَظَاهُ فَرَأَى مَا رَأَى فِي الْمَنَام وَوَصَفَهُ بَعْدَ أَنْ أَفَاقَ عَلَى أَنَّ مَنَامَهُ كَالْيَقَظَةِ لكِنْ لَمَّا رَأَى مِثَالًا كَشَـفَهُ التَّعْبِيرُ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَنَامًا.

(يَهْـوِي بِالصَّخْرَةِ) يَهْوِي أَيْ يَسْـقُطُ، يُقَالُ هَوَى بِالْفَتْحِ يَهْوِي هُوِيًّا سَـقَطَ إِلَى أَسْفَلَ. (فَيَثْلَغُ) أَيْ يَشْدَخُ. وَالشَّدْخُ كَسْرُ الشَّيْءِ الْأَجْوَفِ.

(فَيَتَدَهْدَهُ الْحَجَرُ) الْمُرَادُ أَنَّهُ دَفَعَهُ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى أَسْفَلَ، وَتَدَهْدَهَ إِذَا انْحَطَّ.

(فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَا) هَا هُنَا: أَيْ إِلَى جِهَةِ الضَّارِبِ.

(فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ) أَيِ الَّذِي رَمَى بِالحَجَرَ يَتْبَعُه فَيَأْخُذُهُ.

(فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُـهُ كَمَا كَانَ) أَيْ: فَلَا يَرْجِعُ إِلَى الَّذِي شَـدَخَ رَأْسَهُ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، أي: حَتَّى يَلْتَئِمَ ويعود كَمَا كَانَ.

جُعِلَتِ الْعُقُوبَةُ فِي رَأْسِ هَذِهِ النَّوْمَةِ عَنِ الصَّلَاةِ، وَالنَّوْمُ مَوْضِعُهُ الرَّأْسُ.

(كَلُّـوبٍ مِنْ حَدِيـدٍ) أَي خُطّاف، وَهُوَ حَدِيـدَة مَعْطُوفَة الـرَّأْس يُعَلَّق فِيهَا اللَّحْم.

(فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ) أَيْ يَقْطَعُهُ شَقًّا، وَالشِّدْقُ: جَانِبُ الْفَمِ.

وشَرْشَـرَةُ شِـدْقِ الْكَاذِبِ إِنْزَالُ الْعُقُوبَةِ بِمَحَلِّ الْمَعْصِيَةِ وَعَلَى هَذَا تَجْرِي الْعُقُوبَةُ فِي الْآخِرَةِ بِخِلَافِ الدُّنْيَا.

(التَّنُّورِ) فرن يُخبز فيه.

(يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا) تُوقَدُ نَارُهُ تَحْتَهُ، أو يَتَوَقَّدُ الَّذِي تَحْتَهُ نَارًا.

(ضَوْضَوْا) أَيْ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ مُخْتَلِطَةً.

(سَابِحٌ يَسْبَحُ) أَيْ يَعُومُ.

(ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ) الَّذِي يَأْتِي هُوَ السَّابِحُ.

(فَيَفْغَرُ فَاهُ) أَيْ يَفْتَحُ لَهُ فمه.

(كَرِيهَ الْمَرْآةِ) أَيْ قَبِيحَ الْمَنْظَرِ.

(عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا) يُوقِدُهَا. يقال: حَشَشْتُ النَّارَ بِالْحَطَبِ ضَمَمْتُ مَا تَفَرَّقَ مِنَ الْحَطَبِ إِلَى النَّارِ.

(رَوْضَـةٍ مُعْتَمَّـةٍ) بِفَتْـحِ الْتـاء وَتَشْـدِيدِ الْمِيـمِ: أَعْتَمَـتِ الرَّوْضَـةُ غَطَّاهَـا الْخِصْبُ.

(رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ) بِكسر الْتاء وَتَخفيف الْمِيمِ: الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ مِنَ الْعَتَمَةِ وَهُوَ شِدَّةُ الظَّلَّامِ فوصفها بِشدَّة الخضرة.

(فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ)، مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَفِي رِوَايَةٍ مِنْ كُلِّ نَوْرُ الرَّبِيعِ، وَالنَّوْرُ: الزَّهْرُ، أي زهر الشجر في الربيع.

(وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ) وَسَطُهَا.

(وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ): وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلُ وِلْدَانٌ مَا رَأَيْتُ وِلْدَانًا قَطُّ أَكْثَرَ مِنْهُمْ.

(فَانْتَهَيْنَـا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ) اللَّبِنُ جَمْعُ لَبِنَةٍ وَأَصْلُهَا مَا يُبْنَى بِهِ مِنْ طِينٍ.

(فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَـطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَـنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ): خَلْقِهِمْ: أَيْ هَيْئَتِهِمْ، والْمُرَادُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نِصْفُهُ حَسَنٌ وَنِصْفُهُ قَبِيحٌ.

(فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ) بِصِيغَةِ فِعْلِ الْأَمْرِ بِالْوُقُوعِ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَنْغَمِسُـونَ فِيهِ لِيَغْسِلَ تِلْكَ الصِّفَةَ بِهَذَا الْمَاءِ الْخَاصِّ.

(نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ) أَيْ يَجْرِي عَرْضًا.

(كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ) هُوَ اللَّبَنُ الْخَالِصُ عَنِ الْمَاءِ، حُلْوًا كَانَ أَوْ حَامِضًا.

(ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ) أَيْ صَارَ الْقَبِيحُ كَالشَّطْرِ الْحسن.

(قَالَا لِي هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ) يَعْنِي الْمَدِينَةَ.

(فَسَمَا بَصَرِي)أَيْ نَظَرَ إِلَى فَوْقٍ. (صُعُدًا) أَي ارْتَفع كثيرًا.

(مِثْلُ الرَّبَابَةِ) هِيَ السَّحَابَةُ الْبَيْضَاءُ.

(الرَّجُـلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ) أي يترك حِفْظَه والعملَ به، وأما الذي يترك حِفْظَه، ولكنه يعمل بما فيه فليس برافضٍ له.

ورَفْـضُ الْقُرْآنِ بَعْدَ حِفْظِـهِ جِنَايَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَنَّهُ يُوهِمُ أَنَّـهُ رَأَى فِيهِ مَا يُوجِبُ رَفْضَهُ فَلَمَّا رَفَضَ أَشْـرَفَ الْأَشْـيَاءِ وَهُوَ الْقُرْآنُ عُوقِبَ فِي أَشْـرَفِ أَعْضَائِهِ وَهُوَ الرَّأْسُ.

(الرَّجُـلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ) هَذَا أَوْضَحُ مِنْ الرِوَايَةِ الأخرى: (عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ).

(يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ) أَيْ يَخْرُجُ مِنْهُ مُبَكِّرًا.

(تَبْلُـغُ الْآفَاقَ): أي تُنْشَـرَ في أطـراف الأرض، وَإِنَّمَا اسْـتَحَقَّ التَّعْذِيبَ لِمَا يَنْشَأُ عَنْ تِلْكَ الْكِذْبَةِ مِنَ الْمَفَاسِدِ وَهُوَ فِيهَا مُخْتَارٌ غير مُكْرَهٍ وَلَا مُلْجَأ.

ولَمَّـا كَانَ الْكَاذِبُ يُسَـاعِدُ أَنْفُهُ وَعَيْنُهُ لِسَـانَهُ عَلَـى الْكَذِبِ بِتَرْوِيـجِ بَاطِلِهِ وَقَعَتِ الْمُشَارَكَةُ بَيْنَهُمْ فِي الْعُقُوبَةِ.

(فَهُمُ الزُّنَاةُ) مُنَاسَـبَةُ الْعُرْيِ لَهُمْ لِاسْـتِحْقَاقِهِمْ أَنْ يُفْضَحُوا لِأَنَّ عَادَتَهُمْ أَنْ يَسْتَتِرُوا فِي الْخَلْوَةِ فَعُوقِبُوا بِالْهَتْكِ، وَالْحِكْمَةُ فِي إِتْيَانِ الْعَذَابِ مِنْ تَحْتِهِمْ كَوْنُ جِنَايَتِهِمْ مِنْ أَعْضَائِهِمُ السُّفْلى.

(فَإِنَّـهُ آكل الرِّبَا) إِنَّمَا عُوقِبَ آكِلُ الرِّبَا بِسِـبَاحَتِهِ فِي النَّهَـرِ الْأَحْمَرِ وَإِلْقَامِهِ الْحِجَـارَةَ لِأَنَّ أَصْلَ الرِّبَا يَجْرِي فِي الذَّهَبِ وَالذَّهَـبُ أَحْمَرُ، وَأَمَّا إِلْقَامُ الرَّجُلِ لَهُ الْحَجَرَ فِي فَمِهِ فَإِنَّهُ إِشَـارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا وَكَذَلِكَ الرِّبَا فَإِنَّ صَاحِبَهُ يَتَخَيَّلُ أَنَّ مَالَهُ يَزْدَادُ وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِ مَحَقَهُ.

(وَأَمَّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ المَرْآةِ، الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جهَنَّمَ) إِنَّمَا كَانَ كَرِيهَ الرُّؤْيَةِ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ زِيَادَةً فِي عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ.

(وَأَمَّـا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّـهُ إِبْرَاهِيمُ) إِنَّمَا اخْتُصَّ إِبْرَاهِيمُ

لِأَنَّـهُ أَبُـو الْمُسْـلِمِينَ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

(وَأَمَّـا الوِلْـدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُـودٍ مَاتَ عَلَى الفِطْـرَةِ»، فَقَالَ بَعْضُ المُسْـلِمِينَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ؟» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ. ظَاهِرُهُ أَنَّهُ ﷺ أَلْحَقَهُمْ بِأَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ فِي حُكْمِ الْآخِرَةِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ:

- أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَقَعَ مِرَارًا يَقَظَةً وَمَنَامًا عَلَى أَنْحَاءٍ شَتَّى.
- وَفِيهِ أَنَّ بَعْضَ الْعُصَاةِ يُعَذَّبُونَ فِي الْبَرْزَخِ.
- وَفِيهِ نَوْعٌ مِنْ تَلْخِيصِ الْعِلْمِ وَهُوَ أَنْ يَجْمَعَ الْقَضَايَا جُمْلَةً ثُمَّ يُفَسِّرَهَا عَلَى الْوَلَاءِ لِيَجْتَمِعَ تَصَوُّرُهَا فِي الذِّهْنِ.
- وَالتَّحْذِيـرُ مِنَ النَّوْمِ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ وَعَنْ رَفْضِ الْقُرْآنِ لِمَنْ يَحْفَظُهُ وَعَنِ الزِّنَا وَأَكْلِ الرِّبَا وَتَعَمُّدِ الْكَذِبِ.
- وَأَنَّ الَّـذِي لَـهُ قَصْرٌ فِي الْجَنَّةِ لَا يُقِيمُ فِيهِ وَهُـوَ فِي الدُّنْيَا بَلْ إِذَا مَاتَ حَتَّى النَّبِيُّ وَالشَّهِيدُ.
- وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَاتِّبَاعِ مَنْ يُلْتَمَسُ مِنْهُ ذَلِكَ.
- وَفِيـهِ فَضْلُ الشُّـهَدَاءِ وَأَنَّ مَنَازِلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَرْفَعُ الْمَنَـازِلِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِـكَ أَنْ يَكُونُوا أَرْفَـعَ دَرَجَةً مِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِاحْتِمَالِ أَنَّ إِقَامَتَهُ هُنَاكَ بِسَـبَبِ كَفَالَتِهِ الْوِلْدَانَ وَمَنْزِلُهُ هُوَ فِي الْمَنْزِلَةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى مِنْ مَنَازِلِ الشُّهَدَاءِ.
- وَفِيهِ أَنَّ مَنِ اسْـتَوَتْ حَسَنَاتُهُ وسـيآته يَتَجَاوَزِ اللهُ عَنْهُمْ. اللَّهُمَّ تَجَاوَزْ عَنَّا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.
- وَفِيـهِ أَنَّ الِاهْتِمَامَ بِأَمْرِ الرُّؤْيَا بِالسُّـؤَالِ عَنْهَا وَفَضْلِ تَعْبِيرِهَا وَاسْـتِحْبَابُ

ذَلِكَ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ لِأَنَّهُ الْوَقْتُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْبَالُ مُجْتَمِعًا.

• وَفِيهِ اسْتِقْبَالُ الْإِمَامِ أَصْحَابَهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَعْدَهَا رَاتِبَةٌ وَأَرَادَ أَنْ يَعِظَهُمْ أَوْ يُفْتِيَهُمْ أَوْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمْ.

• وَفِيهِ أَنَّ تَرْكَ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ لِلْإِقْبَالِ عَلَيْهِمْ لَا يُكْرَهُ بَلْ يُشْرَعُ كَالْخَطِيبِ.

• ومُنَاسَبَةُ الْعُقُوبَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِيهِ لِلْجِنَايَاتِ ظَاهِرَةٌ إِلَّا الزُّنَاةَ فَفِيهَا خَفَاءٌ، وَبَيَانُهُ أَنَّ الْعُرْيَ فَضِيحَةٌ كَالزِّنَا، وَالزَّانِي مِنْ شَأْنِهِ طَلَبُ الْخَلْوَةِ فَنَاسَبَ التَّنُّورَ، ثُمَّ هُوَ خَائِفٌ حَذِرٌ حَالَ الْفِعْلِ كَأَنَّ تَحْتَهُ النَّارَ.



١٣٠- رؤيا رآها النبي ﷺ

الأمور التي ينبغي مراعاتها في الرؤى والأحلام[١]:

كانت الرؤيا ولا زالت في العصور المتقدمة والمتأخرة موضع جد واهتمام لـدى أصحابها. وإذا نظـرت إلى القرآن وجدت أن الله تعالى قد قص فيه شـيئًا من ذلك وكأنه سـبحانه يدعونا إلـى الاهتمام بها وبتعبيرهـا، وانطلاقًا من هذا التوجيه الإلهي المتمثل في الاهتمام بالرؤيا وجدنا الكثير من الناس يهتمون بها حتى أصبحت الرؤيا تمثل شيئًا مهمًّا في حياتهم.

بـل وأصبحت الرؤيا بابًا من أبواب الدعوة إلى الخير وترْك الشـر فكم من أنـاس كانوا على غير هـدى فجاءت الرؤيا لتأخذ بنواصيهـم إلى طريق الهدى والنـور بل كم من أناس كانوا على الكفر والشـرك فجاءت إليهم الرؤيا لتكون سببًا في هدايتهم إلى الإسلام.

والرؤيـا والحلـم عبارة عما يـراه النائم في نومه من الأشـياء، ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشـيء الحسـن، وغلب الحلـم على ما يراه من الشر والقبيح ويستعمل كل واحد منهما موضع الآخر.

فالرؤيـا هي التي تتضمن بشـرى للعبـد بخير يصيبه دنيا وأخـرى أو إنذارًا أو تحذيـرًا له من الوقوع في شـيء قد يعرض له فهـذا من لطف الله تعالى بعبده أن ينـذره ويحـذره قبل أن تعرض عليه هذه الأشـياء لينتبه لهـا، أما الحلم فهو أخـلاط لا حقيقة لها بل مداره على الفزع والحزن وغير ذلك مما فيه ما يكرهه الإنسان.

---

(١) انظر: ضوابط تعبير الرؤيا، للدكتور عبد الله بن محمد الطيار.

ومن رحمة الله بعباده أن شـرع لهم أمورًا عند رؤية ما يحبونه وما يكرهونه فما هو المشروع في حقهم؟

أولًا: الرؤيا الصالحة وما يشرع فيها:

١- أن يعلم أنها من الله ﷻ.

٢- أن يحمد الله عليها.

٣- أن لا يحدث بها إلا من يحب.

٤- أن لا يقصهـا إلا على ذي رأي ولب وحكمة، معروف بالعلم والنصح والحكمـة في تعبير رؤياه. فالعالـم يؤولها له على الخير مهمـا أمكنه والناصح يرشـده إلى ما ينفعه ويعينه عليه، وأما اللبيب وهـو العارف بتأويلها فإنه يعلمه بما يعول عليه في ذلك أو يسـكت، وأما الحبيب فإن عرف خيرًا قاله وإن جهل أو شك سكت.

ثانيًا: أما الحلم: فله ما يخصه من أمور جاءت بها نصوص السنة المباركة تطييبًا للنفوس وإذهابًا للأحزان التي قد يصاب بها المرء عند رؤيا حلم يفزعه أو يقلقه، فمن الأمور التي ينبغي مراعاتها وفعلها لمن رأى حلمًا:

١- الاستعاذة من شرها؛ لأن الاستعاذة مشروعة عند كل أمر يكره.

قال الحافظ ابن حجر العسـقلاني في فتـح الباري (١٢/ ٣٧١): «وَوَرَدَ فِي صِفَةِ التَّعَوُّذِ مِنْ شَـرِّ الرُّؤْيَا أَثَرٌ صَحِيحٌ أخرجه سـعيد بن مَنْصُور وابنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ بِأَسَـانِيدَ صَحِيحَةٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِـيِّ قَالَ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ فِي مَنَامِهِ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ إِذَا اسْـتَيْقَظَ: أَعُوذُ بِمَا عَاذَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ اللهِ وَرُسُـلِهِ مِنْ شَرِّ رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنْ يُصِيبَنِي فِيهَا مَا أَكْرَهُ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ».

٢- الاسـتعاذة مـن الشـيطان، لأن هـذه الرؤيا منـه وأنه يخيـل بها بغرض تحزين الآدمي والتهويل عليه.

٣- أن يَنْفُثْ أو يَبْصُقْ أويَتْفُلْ عن شماله: وذلك لطرد الشيطان وإظهار احتقاره واستفزازه، وقيل بأن التفل أو البصق للتبرك بتلك الرطوبة والهواء المقارن للذكر الحسن، وأما كونها من اليسار أو كون البصق عن اليسار لأنها محل الأقذار ونحوها، وأما كون البصق ثلاثًا قيل: للتأكيد وكونها ثلاثًا لتكون وترًا.

جَاءَ في الروايات: فَلْيَنْفُثْ وَفَلْيَبْصُقْ وَفَلْيَتْفُلْ، وَأَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ فَلْيَنْفُثْ.

بزَق الرَّجلُ: بصَق، طرح ما في فمه من مُفْرَزات.

نفَث البُصاقَ ونحوَه من فمِه: رمَى به.

تَفَلَ: بَصَقَ، وقِيل: أَوَّلُه البَزْقُ ثمَّ التَّفْلُ ثمَّ النَّفْثُ ثمَّ النَّفْخُ، والتَّفْلُ شَبِيهٌ بالبَزْق، وَهُوَ أَقَل أَمنه، والتَّفْل بِالْفَمِ لَا يَكُونُ إِلا وَمَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الرِّيقِ، فإِذا كَانَ نَفْخًا بِلَا رِيقٍ فَهُوَ النَّفْث.

قال الإمام النووي: «وَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِالْجَمِيعِ النَّفْثُ، وَهُوَ نَفْخٌ لَطِيفٌ بِلَا رِيقٍ، وَيَكُونُ التَّفْلُ وَالْبَصْقُ مَحْمُولَيْنِ عَلَيْهِ مَجَازًا».

٤- الإيقان بأنها لا تضره: ومعناه أن الله جعل ما ذكر سببًا للسلامة من المكروه، وهذا في غاية الأهمية لارتباطه بجانب مهم وهو جانب الاعتقاد فلا بد أن يعتقد أن كلام النبي ﷺ صدق وأنها حقًا لا تضره.

٥- التحول عن جنبه، وهو للتفاؤل فإنه به يتفاءل العبد بتحول تلك الحال التي كان عليها.

٦- أن يقوم فيصلي، لأن فيها لجوءًا إلى الرب ولأن في التحريم بها عصمة من السوء وبها تكمل الرغبة وتصح الطلبة لقرب المصلى من ربه عند سجوده.

٧- أن لا يحدث بها أحدًا.

وينبغي أن يجمع بين هذه الروايات كلها ويعمل جميع ما تضمنته فإن

اقتصر على البعض أجزأه في دفع ضررها بإذن الله، ومعنى قولنا إن اقتصر على البعـض يعني أن يقتصر على حديـث واحد جامعًا بما فيه؛ لأنه لم يأت حديث في الاقتصار على واحدة فقط كما ذكر.

و العبـد إذا قـام فصلى فقد جمع بين جميع ما ذكرناه وذلك لأن في الصلاة تحولًا عن جنبه وبصقًا ونفثًا عند المضمضة في الوضوء والاسـتعاذة عند إرادة قراءته في الصلاة أما الدعاء فيها فإنه إن شاء الله سيكفيه شرها ولا تضره.

الأدلة على ما سبق:

قـال النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**الرُّؤْيَـا الصَّادِقَةُ مِنَ اللهِ، وَالحُلْمُ مِنَ الشَّـيْطَانِ**» [رواه البخاري].

عَنْ أَبِي سَـعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَـمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَـا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِـنَ اللهِ، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَـدِّثْ بِهَا، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّـيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلاَ يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ، فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ**» [رواه البخاري].

عَـنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الرُّؤْيَـا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ، وَالحُلْمُ مِنَ الشَّـيْطَانِ، فَإِذَا حَلَـمَ فَلْيَتَعَوَّذْ مِنْهُ، وَلْيَبْصُقْ عَنْ شِـمَالِهِ، فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ**» [رواه البخاري].

ورواه مسـلم عَـنْ أَبِـى قَتَـادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَـنْ رَسُـولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَـالَ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ، وَالرُّؤْيَا السَّـوْءُ مِنَ الشَّـيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى رُؤْيَا فَكَرِهَ مِنْهَا شَـيْئًا فَلْيَنْفِثْ عَنْ يَسَـارِهِ وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، لاَ تَضُرُّهُ، وَلاَ يُخْبِرْ بِهَا أَحَدًا، فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيُبْشِرْ وَلاَ يُخْبِرْ إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ**».

وعَـنْ أَبِي سَـلَمَةَ، قَـالَ: «إِنْ كُنْـتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي، قَـالَ: فَلَقِيتُ أَبَا قَتَادَةَ، فَقَالَ: «وَأَنَا كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي، حَتَّى سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ

يَقُولُ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ، فَلَا يُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِنْ رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا؛ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ**» [رواه مسلم].

(وَلَا يُحَدِّث بِهَا أَحَدًا) لأَنَّهُ رُبَّمَا فَسَّرَهَا تَفْسِيرًا مَكْرُوهًا عَلَى ظَاهِر صُورَتهَا، وَكَانَ ذَلِكَ مُحْتَمَلًا، فَوَقَعَتْ كَذَلِكَ بِتَقْدِيرِ الله تَعَالَى، فَإِنَّ الرُّؤْيَا عَلَى رِجْل طَائِر، وَمَعْنَاهُ أَنَّهَا كَانَتْ مُحْتَمِلَة وَجْهَيْنِ فَفُسِّرَتْ بِأَحَدِهِمَا وَقَعَتْ عَلَى قُرْب تِلْكَ الصِّفَة.

وَقَدْ يَكُون ظَاهِر الرُّؤْيَا مَكْرُوهًا، وَيُفَسَّر بِمَحْبُوب وَعَكْسه، وَهَذَا مَعْرُوف لِأَهْلِهِ.

وَأَمَّا قَوْله ﷺ فِي الرُّؤْيَا الْمَحْبُوبَة الْحَسَنَة: «لَا تُخْبِر بِهَا إِلَّا مَنْ تُحِبّ» فَسَبَبه أَنَّهُ إِذَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ لَا يُحِبّ رُبَّمَا حَمَلَهُ الْبُغْض أَوْ الْحَسَد عَلَى تَفْسِيرهَا بِمَكْرُوهٍ، فَقَدْ يَقَع عَلَى تِلْكَ الصِّفَة، وَإِلَّا فَيَحْصُل لَهُ فِي الْحَال حُزْن وَنَكَد مِنْ سُوء تَفْسِيرهَا.

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ**» [رواه مسلم].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ**» [رواه مسلم].

وعَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَهِيَ عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ يَتَحَدَّثْ بِهَا، فَإِذَا تَحَدَّثَ بِهَا سَقَطَتْ**»، قَالَ: وَأَحْسَبُهُ قَالَ: «**وَلاَ يُحَدِّثُ بِهَا إِلاَّ لَبِيبًا أَوْ حَبِيبًا**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

(وَهِيَ) أَيْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ. (عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ) هَذَا مَثَلٌ فِي عَدَمِ تَقَرُّرِ الشَّيْءِ أَيْ لَا تَسْتَقِرُّ الرُّؤْيَا قَرَارًا كَالشَّيْءِ الْمُعَلَّقِ عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ، فَالْمَعْنَى أَنَّهَا كَالشَّيْءِ الْمُعَلَّقِ بِرِجْلِ الطَّائِرِ لَا اِسْتِقْرَارَ لَهَا، أَيْ لَا يَسْتَقِرُّ تَأْوِيلُهَا حَتَّى تُعَبَّرَ، يُرِيدُ أَنَّهَا سَرِيعَةُ السُّقُوطِ إِذَا عُبِّرَتْ. كَمَا أَنَّ الطَّيْرَ لَا يَسْتَقِرُّ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ فَكَيْفَ يَكُونُ مَا عَلَى رِجْلِهِ.

(مَا لَمْ يَتَحَدَّثْ) أَيْ مَا لَمْ يَتَكَلَّمْ الْمُؤْمِنُ أَوْ الرَّائِي. (بِهَا) أَيْ بِتِلْكَ الرُّؤْيَا أَوْ تَعْبِيرِهَا. (فَإِذَا تَحَدَّثَ بِهَا سَقَطَتْ) أَيْ تِلْكَ الرُّؤْيَا عَلَى الرَّائِي يَعْنِي يَلْحَقُهُ حُكْمُهَا.

وفي رواية أبي داود: عن أَبِى رَزِينٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعَبَّرْ، فَإِذَا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ**»، قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: «**وَلاَ يَقُصُّهَا إِلاَّ عَلَى وَادٍّ أَوْ ذِى رَأْيٍ**». [صححه الألباني].

وهَذِهِ الرِّوَايَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: «مَا لَمْ يَتَحَدَّثْ»: مَا لَمْ يَتَكَلَّمْ بِتَعْبِيرِهَا.

(قَالَ) أَيْ أَبُو رَزِينٍ الْعَقِيلِيُّ. (وَأَحْسَبُهُ) أَيْ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

(وَلَا تُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا لَبِيبًا) أَيْ عَاقِلًا؛ فَإِنَّهُ إِمَّا يُعَبِّرُ بِالْمَحْبُوبِ أَوْ يَسْكُتُ عَنْ الْمَكْرُوهِ. (أَوْ حَبِيبًا) أَيْ مُحِبًّا لَا يَعْبُرُ لَك إِلَّا بِمَا يَسُرُّك.

(وَلَا يَقُصَّهَا) أَيْ لَا يَعْرِض رُؤْيَاه (إِلَّا عَلَى وَادٍّ) بِتَشْدِيدِ الدَّالِ أَيْ مُحِبٍّ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَقْبِلُكَ فِي تَفْسِيرِهَا إِلَّا بِمَا تُحِبُّ (أَوْ ذِي رَأْيٍ) أَيْ عَاقِلٍ أَوْ عَالِمٍ ذِي عِلْمٍ بِعِبَارَةِ الرُّؤْيَا فَإِنَّهُ يُخْبِرُكَ بِحَقِيقَةِ تَفْسِيرِهَا أَوْ بِأَقْرَبِ مَا يُعْلَمُ مِنْهُ.

عقوبة تارك الصلاة:

قال الله في شأن تاركها: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر].

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من أعمال السوء وأفعال الشر ﴿رَهِينَةٌ﴾ بها موثقة بسعيها، قد ألزم عنقها، وغل في رقبتها، واستوجبت به العذاب، ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ فإنهم لم يرتهنوا، بل أطلقوا وفرحوا ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: في جنات قد حصل لهم بها جميع مطلوباتهم، وتمت لهم الراحة والطمأنينة، حتى أقبلوا يتساءلون، فأفضت بهم المحادثة، أن سألوا عن المجرمين، أيّ حال وصلوا إليها، وهل وجدوا ما وعدهم الله تعالى؟ فاطلعوا عليهم في وسط الجحيم يُعَذّبون [1]، فقالوا لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ أي: أي شيء أدخلكم فيها؟ وبأي: ذنب استحققتموها؟ ف ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان ولا نفع للخلق المحتاجين.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ أي: نخوض بالباطل، ونجادل به الحق، ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ هذا آثار الخوض بالباطل، وهو التكذيب بالحق، ومن أحق الحق، يوم الدين، الذي هو محل الجزاء على الأعمال، وظهور ملك الله وحكمه العدل لسائر الخلق.

---

(١) كما قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصافات].

فاستمرينا على هذا المذهب الفاسد ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾ أي: الموت، فلما ماتوا على الكفر تعذرت حينئذ عليهم الحيل، وانسد في وجوههم باب الأمل ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ لأنهم لا يَشْفعون إلا لمن ارتضى، وهؤلاء لا يرضى الله أعمالهم.

وقال في شأنها رسول الله ﷺ: «**الْعَهْدُ الذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**» [رواه أحمد والترمذي والنسائي، وصححه الألباني].

وقال ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ**» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «**لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ؛ فَإِذَا تَرَكَهَا فَقَدْ أَشْرَكَ**». [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني]. وقال النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا، كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدخِلَهُ الجَنَّةَ**» [رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ**» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

قال بعض العلماء: «وإنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته: فإن اشتغل بماله حُشِر مع قارون، وإن اشتغل بمُلْكه حُشِر مع فرعون، وإن اشتغل بوزارته حشر مع هامان، وإن اشتغل بتجارته حُشِر مع أبَيّ بن خلف تاجر الكفار بمكة».

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**» [رواه البخاري].

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ**» [رواه الطبراني، وصححه الألباني].

(أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ) أي المفروضة، وهي

الخمس لأنها أول ما فُرِضَ عليه بعد الإيمان وهي عَلَمُ الإيمان ورايةُ الإسلام، (فَإِنْ صَلَحَتْ) بأنْ كان قد صلاها متوفرة الشروط والأركان وشملها القبول. (صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ) يعني سُومح له في جميع أعماله ولم يضايَق في شيءٍ منها في جنب ما واظب من إدامة الصلاة التي هي علم الدين. (وَإِنْ فَسَدَتْ) بأنْ لم تكن كذلك (فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ) أي ضويق فيه واستقصى فحكم بفساده.

الصلاح كون الشيء على حالة استقامته وكماله، والفساد ضد ذلك؛ وذلك لأن الصلاة بمنزلة القلب من الإنسان فإذا صلحت صلحت الأعمال كلها وإذا فسدت فسدت.

وكان الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ يقول: «يَا ابن آدم أي شيء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك، وأنت أول ما تسأل عنها يوم القيامة».

عاقبة الكذب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨].

وقَالَ ﷺ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**» [رواه البخاري ومسلم].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**» [رواه البخاري ومسلم].

عاقبة الزنا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

والنهي عن قربانه أبلغُ من النهي عن مجرد فِعْلِه لأنّ ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه خصوصًا

هذا الأمر الذي في كثير من النفوس أقوى داع إليه.

ووصف الله الزنى وقبَّحه بأنه ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾ أي: إثمًا يستفحش في الشرع والعقل والفِطَر لتضمُّنِه التجرِّي على الحرمة في حق الله وحق المرأة وحق أهلها أو زوجها وإفساد الفراش واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفاسد.

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ أي: بئسَ السبيل سبيلُ من تجرأ على هذا الذنب العظيم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢- ٣].

هـذا الحُكْم في الزاني والزانيـة البِكْرَين، أنهما يُجْلَـد كل منهما مائة جلدة، وأما الثَّيِّب، فقد دلت السنة الصحيحة المشهورة، أنّ حَدّه الرجم، ونهانا تعالى أن تأخذنا رأفة بهما في دين الله، تمنعنا من إقامة الحد عليهم، سواء رأفة طبيعية، أو لأجـل قرابة أو صداقة أو غير ذلـك، وأن الإيمان موجب لانتفاء هذه الرأفة المانعة من إقامة أمر الله، فرحمتُه حقيقةً، بإقامة حد الله عليه، فنحن وإن رحمناه لجريان القدر عليه، فلا نرحمه من هذا الجانب، وأمر أن يحضر عذاب الزانيين طائفة، أي: جماعة من المؤمنين، ليشـتهر ويحصـل بذلك الخزي والارتداع، وليشـاهدوا الحد فعلا فإن مشاهدة أحكام الشرع بالفعل، مما يقوى بها العلم، ويستقر به الفهم، ويكون أقرب لإصابة الصواب، فلا يزاد فيه ولا ينقص.

﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هـذا بيان لرذيلـة الزنا، وأنـه يُدنّس عرض صاحبـه، وعرض من قارنه ومازجه، ما لا يفعله بقية الذنوب، فأخبر أن الزاني لا يُقْدِم على نكاحه من النسـاء، إلا أنثى زانية، تناسـب حاله حالها، أو مشركة بالله، لا تؤمن ببعث ولا

جزاء، ولا تلتزم أمر الله، والزانية كذلك، لا ينكحها إلا زان أو مشرك، ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: حرم عليهم أن ينكحوا زانيًا، أو ينكحوا زانية.

ومعنى الآية: أن من اتصف بالزنا، من رجُل أو امرأة، ولم يَتُبْ من ذلك، أن المُقْدِم على نكاحه، مع تحريم الله لذلك، لا يخلو إما أن لا يكون ملتزما لحكم الله ورسوله، فذاك لا يكون إلا مشركًا، وإمّا أن يكون ملتزمًا لحكم الله ورسوله ﷺ، فأقدم على نكاحه مع عِلْمِه بزناه، فإن هذا النكاح زنا، والناكح زانٍ مُسَافح، فلو كان مؤمنًا بالله حقًّا، لم يُقْدِم على ذلك، وهذا دليل صريح على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب، وكذلك إنكاح الزاني حتى يتوب، فإن مقارنة الزوج لزوجته، والزوجة لزوجها، أشد الاقترانات والازدواجات؛ فحرم الله ذلك، لما فيه من الشر العظيم، وفيه من قلة الغيرة، وإلحاق الأولاد، الذين ليسوا من الزوج، وكون الزاني لا يعفها بسبب اشتغاله بغيرها، مما بعضه كافٍ للتحريم.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟»، قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**». قُلْتُ: «إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ»، قُلْتُ: «ثُمَّ أَيٌّ؟»، قَالَ: «**وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**». قُلْتُ: «ثُمَّ أَيٌّ؟»، قَالَ: «**أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**» [رواه البخاري ومسلم].

تحريم أكل الربا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ

لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة].

يخبر تعالى عن أكَلَة الربا وسوء مآلهم وشدة منقلبهم، أنهم ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم ليوم نشورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ﴾ أي: يصرعه الشيطان بالجنون، فيقومون من قبورهم حيارى سكارى مضطربين، متوقعين لعظيم النكال وعسر الوبال، فكما تقلبت عقولهم و﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ﴾ وهذا لا يكون إلا من جاهلٍ عظيمٌ جهلُه، أو متجاهلٍ عظيمٌ عنادُه، جازاهم الله من جنس أحوالهم فصارت أحوالهم أحوال المجانين.

ويحتمل أن يكون قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ﴾ أنه لما انسلبَتْ عقولهم في طلب المكاسب الربوية خفت أحلامهم وضعفت آراؤهم، وصاروا في هيئتهم وحركاتهم يشبهون المجانين في عدم انتظامها وانسلاخ العقل الأدبي عنهم، قال الله تعالى رادًّا عليهم ومبيِّنًا حكمَتَه العظيمة ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ أي: لَما فيه من عموم المصلحة وشدة الحاجة وحصول الضرر بتحريمه، وهذا أَصلٌ في حِلِّ جميع أنواع التصرفات الكسبية حتى يرد ما يدل على المنع.

﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ﴾ لِمَا فيه من الظلم وسوء العاقبة.

﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: وعظ وتذكير وترهيب عن تعاطي الربا على يد من قيضه الله لموعظته رحمة من الله بالموعوظ، وإقامة للحجة عليه ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾

عـن فعله وانزجر عن تعاطيـه ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ أي: ما تقدم من المعاملات التي فعلها قبل أن تبلغه الموعظة جزاءً لقبوله للنصيحة ﴿وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ في مجازاته وفيما يستقبل من أموره.

﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ إلـى تعاطي الربـا ولم تنفعه الموعظة، بـل أصر على ذلك ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ اختلف العلماء في نصوص الوعيد التي ظاهرها تخليد أهل الكبائر من الذنوب التي دون الشـرك بالله، والأحسـن فيها أن يقال هذه الأمور التي رتب الله عليها الخلود في النار موجبات ومقتضيات لذلـك، ولكن الموجـب إن لم يوجد ما يمنعـه ترتب عليه مقتضـاه، وقد علم بالكتاب والسـنة وإجماع سـلف الأمة أن التوحيد والإيمان مانع من الخلود في النار، فلولا ما مع الإنسـان من التوحيد لصار عملـه صالحا للخلود فيها بقطع النظر عن كفره.

ثـم قال تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: يذهبـه ويذهب بركته ذاتًا ووصفًا، فيكون سـببا لوقوع الآفات فيه ونزع البركة عنه، وإن أنفق منه لم يؤجر عليه بل يكون زادا له إلى النار.

عَنْ ابْنِ مَسْـعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَـنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِـنْ الرِّبَا إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ**» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

(أَكْثَر مِنْ الرِّبَا) أَيْ أَكْثَرَ مَاله وَجَمَعَهُ مِنْ الرِّبَا.

﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ أي: ينميهـا وينزل البركة في المـال الذي أخرجت منه وينمـي أجـر صاحبها وهذا لأن الجزاء من جنس العمـل، فإن المرابي قد ظلم الناس وأخذ أموالهم على وجه غير شـرعي، فجوزي بذهاب ماله، والمحسن إليهم بأنواع الإحسـان ربه أكرم منه، فيحسـن إليه كما أحسن إلى عباده ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ لنعم الله، لا يؤدي ما أوجب عليه من الصدقات، ولا يسلم منه

ومن شره عباد الله ﴿أَثِيمٍ﴾ أي: قد فعل ما هو سبب لإثمه وعقوبته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ولما ذكر أكلة الربا وكان من المعلوم أنهم لو كانوا مؤمنين إيمانا ينفعهم لم يصدر منهم ما صدر ذكر حالة المؤمنين وأجرهم، وخاطبهم بالإيمان، ونهاهم عن أكل الربا إن كانوا مؤمنين، وهؤلاء هم الذين يقبلون موعظة ربهم وينقادون لأمره، وأمرهم أن يتقوه، ومن جملة تقواه أن يذروا ما بقي من الربا أي: المعاملات الحاضرة الموجودة، وأما ما سلف، فمن اتعظ عفا الله عنه ما سلف، وأما من لم ينزجر بموعظة الله ولم يقبل نصيحته فإنه مشاق لربه محارب له، وهو عاجز ضعيف ليس له يدان في محاربة العزيز الحكيم الذي يمهل للظالم ولا يهمله حتى إذا أخذه، أخذه أخذ عزيز مقتدر.

﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ عن الربا ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ من عاملتموه بأخذ الزيادة التي هي الربا ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بنقص رءوس أموالكم.

﴿وَإِن كَانَ﴾ المدين ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ لا يجد وفاء ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ وهذا واجب عليه أن يُنْظِره حتى يجد ما يوفي به ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟﴾ إما بإسقاطها أو بعضها ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

وهذه الآية من آخر ما نزل من القرآن، وجعلت خاتمة لهذه الأحكام والأوامر والنواهي، لأن فيها الوعد على الخير، والوعيد على فعل الشر، وأن من علم أنه راجع إلى الله فمجازيه على الصغير والكبير والجلي والخفي، وأن

الله لا يظلمه مثقال ذرة، أوجب له الرغبة والرهبة، وبدون حلول العلم في ذلك في القلب لا سبيل إلى ذلك.

وقال ﷺ: «**الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وسَبْعُونَ بَابًا، أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ ينْكِحَ الرَّجُلُ أَمَّه**» [رواه الحاكم وصححه الألباني].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الدِرْهَمَ يُصِيبُهُ الرَّجُلَ مِنَ الرِّبَا أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ فِي الْخَطِيئَةِ مِنْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً يَزْنِيهَا الرَّجُلُ**» [رواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الغيبة والبيهقي، وصححه الألباني].



١٣١- أَبْرص، وَأَقْرع، وَأَعْمَى

إذا كانَ شُكْري نعمةَ اللهِ نعمةً ... عَلَيَّ لهُ في مِثلِها يجِبُ الشُّكرُ
فكيفَ بلوغُ الشكرِ إلا بفضْلِه ... وإنْ طالتِ الأَيَّامُ واتصلَ العمْرُ
إذا مَسَّ بالسَّراءِ عَم ّسُرورُها ... وإنْ مَسَّ بالضَّراءِ أعقبَها الأجْرُ
فما منهُما إلا لـهُ فيـهِ نِعْمةٌ ... تضيقُ بها الأوهامُ والسِرُّ والجهْرُ

الدنيا دار اختبار:

اختبار الله ﷻ لعباده، سُـنّة الله في أرضه، كما أخبر الله به في كتابه. والابتلاء يكون في الجسـم والمال والأولاد وغيرها، فقد أخبر أنـه جعل الدنيا دارًا فانية مُزيَّنـة بزينة زائلة، وإنما جعلها دار اختبار لا دار قرار، فقال تعَـالَى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف:٧].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْـتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَـاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**» [رواه مسلم].

ويقـول الله – عـز وجـل –: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان].

يقـول تعالـى مخـبراً عن الإنسـان أنه أوجـده بعد أن لـم يكن شـيئًا يذكر لحقارته وضعفه، فقال: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾؟ ثم بين ذلك فقال: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ أي: أخلاط، والمشج والمشـيج: الشـيء الخَليط، بعضه في بعـض. ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ يعني: ماء

الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور، وحال إلى حال، ولون إلى لون.

﴿ نَّبْتَلِيهِ ﴾أي: نختبره. ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ أي: جعلنا له سمعًا وبصرًا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية. ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾أي: بينا له طريق الخير وطريق الشر. ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد، كما قال ﷺ: «**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**» [رواه مسلم].

أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: «أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟»، قَالَ: «لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ»، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: «فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟»، قَالَ: «الْإِبِلُ - أَوْ قَالَ الْبَقَرُ، شَكَّ** إِسْحَاقُ أحد الرواة - **إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ، أَوِ الْأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ، وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ»، قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: «بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا».**

فَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: «أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟»، قَالَ: «شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ»، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: «فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟»، قَالَ: «الْبَقَرُ»، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: «بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا».

فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: «أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟»، قَالَ: «أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ»، فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: «فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟»، قَالَ: «الْغَنَمُ»، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا.

فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ،

وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

ثُــمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: «رَجُلٌ مِسْـكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَـفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْـأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَـنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَـنَ، وَالْمَالَ بَعِيرًا، أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَـفَرِي»، فَقَالَ: «الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ»، فَقَالَ لَهُ: «كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَـاكَ اللهُ؟»، فَقَالَ: «إِنَّمَا وَرِثْتُ هَـذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ»، فَقَالَ: «إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ».

وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: «إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ».

وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: «رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَـاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَـفَرِي»، فَقَالَ: «قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي؛ فَخُذْ مَا شِـئْتَ، وَدَعْ مَا شِـئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَـيْئًا أَخَذْتَهُ لِلهِ»، فَقَالَ: «أَمْسِـكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَـخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ». [رواه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم].

(أبْرَص) أصاب جسَدَه مرضُ البَرَص، ظهر في جسده بياضٌ لعِلَّة.

(قَذِرَنِـي النَّـاس) أَيْ اِشْـمَأَزُّوا مِـنْ رُؤْيَتِـي. (فَمَسَـحَهُ) أَيْ مَسَـحَ عَلَـى جِسْمه.

(فَأُعْطِيَ نَاقَة عُشَـرَاء) أَيْ الَّذِي تَمَنَّى الْإِبِل أُعْطِيَ نَاقَة عُشَـرَاء، وَالْعُشَـرَاء هِيَ الْحَامِل الَّتِي أَتَى عَلَيْهَا فِي حَمْلهَا عَشَرَة أَشْهُر مِنْ يَوْم طَرَقَهَا الْفَحْل، وَقِيلَ: يُقَال لَهَا ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَلِد وَبَعْدَمَا تَضَع، وَهِيَ مِنْ أَنْفَس الْمَال.

(فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ) فَمَسَحَهُ: أَيْ مَسَح عَلَى عَيْنَيْهِ.

(شَاة وَالِدًا) أَيْ ذَات وَلَد. (فَأَنْتَجَ هَذَانِ) أَيْ صَاحِب الْإِبِل وَالْبَقَر.
(وَوَلَّدَ هَذَا) أَيْ صَاحِب الشَّاة.

(ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَص) الذي كان مسحه فذهب برصُه. (فِي صُورَته وَهَيْئَتِهِ) أَيْ فِـي الصُّـورَة الَّتِي كَانَ عَلَيْهَـا الملك لَمَّا جاء الأبرص أول مـرة واجْتَمَعَ بِهِ وَهُوَ أَبْرَص؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي إِقَامَة الْحُجَّة عَلَيْهِ.

وقيل: (فِي صُورَتـه وَهَيْئَتِهِ) لا يبعد أن يكون الضمير راجعًا إلى الأبرص، أي أن الملَـك أتـى في صـورة رجل أبـرص، لعل الأبرص يتذكـر حاله ويرحم عليه بماله.

ولعل القول الأول أظهر في الحجة عليه حيث جاء في صورته التي تسـببت في جماله وحصول كثرة ماله.

(رَجُلٌ مِسْـكِينٌ قَدِ انْقَطَعَتْ بِـيَ الْحِبَالُ فِي سَـفَرِي) الْحِبَال: جَمْع حَبْل، أَيْ الْأَسْـبَاب الَّتِـي يَقْطَعُهَا فِي طَلَب الـرِّزْق، وَقِيلَ الْعَقَبَات، وَقِيـلَ الْحَبْل هُوَ الْمُسْـتَطِيل مِنْ الرَّمْل. (فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ) يعني ليس لي ما أبلغ به غرضي إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، وهذا ونحوه من الملائكة معاريض لا أخبار والمراد به ضرب المثل ليتيقظ المخاطب.

(أَسْـأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَـنَ) أَسْـأَلُكَ مُقْسِـمًا عَلَيْكَ باللهِ الَّذِي أَعْطَـاكَ اللَّوْنَ الْحَسَـنَ. وَقَوْل الْمَلَك لَهُ: «رَجُل مِسْـكِين إِلَـخْ» أَرَادَ أَنَّك كُنْت هَكَـذَا، وَهُوَ مِنْ الْمَعَارِيض وَالْمُرَاد بِهِ ضَـرْب الْمَثَل لِيَتَيَقَّظ الْمُخَاطَب. (أَتَبَلَّغ عَلَيْهِ) أَتَوَصَّل بِهِ إِلَى مُرَادِي.

(إِنَّمَا وَرِثْت هَذَا الْمَال كَابِرًا عَنْ كَابِر) أَيْ كَبِير عَنْ كَبِير فِي الْعِزّ وَالشَّرَف.

(إِنْ كُنْـتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْـتَ) أَوْرَدَهُ بِلَفْظِ الْفِعْل الْمَاضِي لِأَنَّهُ أَرَادَ الْمُبَالَغَة فِي الدُّعَاء عَلَيْهِ.

(لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلهِ) أَيْ لَا أَشُقّ عَلَيْك فِي رَدّ شَيْء تَطْلُبهُ مِنِّي أَوْ تَأْخُذهُ. (فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ) أَيْ امْتُحِنْتُمْ.

(فَقَدْ رُضِيَ الله عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ) فأمسك ماله وبقي قد أنعم الله عليه بالصبر، وأما الآخران فإن الظاهر أن الله رَدَّهُما إلي ما كانا عليه من الفقر والعاهة والعياذ بالله.

من فوائد الْحَدِيث:

• جَوَاز ذِكْر مَا اِتَّفَقَ لِمَنْ مَضَى لِيَتَّعِظ بِهِ مَنْ سَمِعَهُ وَلَا يَكُون ذَلِكَ غِيبَة فِيهِمْ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ السِّرّ فِي تَرْك تَسْمِيَتهمْ.

• وَفِيهِ التَّحْذِير مِنْ كُفْرَان النِّعَم وَالتَّرْغِيب فِي شُكْرهَا وَالِاعْتِرَاف بِهَا وَحَمْد الله عَلَيْهَا.

• وَفِيهِ فَضْل الصَّدَقَة وَالْحَثّ عَلَى الرِّفْق بِالضُّعَفَاءِ وَإِكْرَامهمْ وَتَبْلِيغهمْ مَآرِبهمْ.

• وَفِيهِ الزَّجْر عَنْ الْبُخْل، لِأَنَّهُ حَمَلَ صَاحِبه عَلَى الْكَذِب، وَعَلَى جَحْد نِعْمَة الله تَعَالَى.

• وَفِيه أنه لا شيءَ أحبُّ للمبتَلَى بالمرض من ذهاب مرضه ومعافاته، فلنشكر الله على نعمة الصحة والعافية، وإذا ابتلي أحدنا بمرضٍ ما فلينظر إلى من هو أشد منه مرضًا، قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ**» [رواه مسلم].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**» [رواه مسلم].

• وَفِيهِ أن الله هو الذي يعطي ويمنع، ويغني ويفقر، بتقديره وحكمته، ومن التوحيد والأدب أن تنسب الشفاء والغنى إلى الله وحده «قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ

إِلَيَّ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي».

• وَفِيهِ أن الإنسان الجاهل يبخل وقت الغنى، والعاقل يعطى بسخاء متذكرًا قول النبي ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**» [رواه البخاري].

(خَلَفًا): أَيْ: عِوَضًا. وَأَمَّا الدُّعَاءُ بِالتَّلَفِ فَيَحْتَمِلُ تَلَفَ ذَلِكَ الْمَالِ بِعَيْنِهِ، أَوْ تَلَفَ نَفْسِ صَاحِبِ الْمَالِ.

• وفي هذه القصة دليل علي أن شكر نعمة الله علي العبد من أسباب بقاء النعم وزيادتها، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أي: أَعْلَمَ ووَعَدَ ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ من نِعَمِي ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ومن ذلك أن يزيل عنهم النعمة التي أنعم بها عليهم. والشكر: هو اعتراف القلب بنعم الله والثناء على الله بها وصرفها في مرضاة الله تعالى، وكفر النعمة ضد ذلك.

• وفي القصة آيات من آيات الله عز وجل: منها: إثبات الملائكة، والملائكة عالم غيبي خلقهم الله ﷻ من نور، وجعل لهم قوة في تنفيذ أمر الله، وجعل لهم إرادة في طاعة الله، فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

• وفي القصة أن الملائكة تتصور أحيانًا على هيئة البشر، فإن الملك أتى لهؤلاء الثلاث بصورة إنسان.

• وفي القصة أن الملائكة يتكيفون بصورة الشخص المعين، كما جاء إلى الأبرص والأقرع والأعمى في المرة الثانية بصورته وهيئته.

• وفي القصة أنه يجوز الاختبار للإنسان في أن يأتي الشخص علي هيئة معينة ليختبره، فإن هذا الملَك جاء علي صورة الإنسان المحتاج المصاب

بالعاهة ليَرِقَّ له هؤلاء الثلاثة، مع إن الملَك فيما يبدو - والعلم عند الله - لا يصاب في الأصل بالعاهات، ولكن الله جعلهم يأتون علي هذه الصورة من أجل الاختبار. وهذا على التفسير الثاني لقوله ﷺ: (ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَته وَهَيْئَتِهِ).

• وفي القصة أن الملائكة تتكلم، وتمسح على المريض فيبرأ بإذن الله، فالملَك مسح الأقرع والأبرص والأعمى مسحة واحدة فأزال الله عيبهم بهذه المسحة، لان الله إذا أراد شيئا قال له كن فيكون، ولو شاء الله لأذهب عنهم العاهة بدون هذا الملَك، ولكن الله جعل هذا سببًا للابتلاء والامتحان.

• وفي القصة أن الله قد يبارك للإنسان بالمال حتى ينتج منه الشيء الكثير، فإن هؤلاء الثلاثة صار لواحد وادٍ من الإبل، وللثاني وادٍ من البقر، وللثالث وادٍ من الغنم، وهذا من بركة الله ﷻ، وقد دعا الملَك لكل واحد منهم بالبركة.

• وفي القصة تفاوت بني آدم في شُكْر نعمة الله ﷻ ونَفْع عباد الله، فإن الأبرص والأقرع قد أعطاهما الله المال الأهم والأكبر، ولكنهما جحدا نعمة الله، قالا: «إِنَّمَا وَرِثْت هَذَا الْمَال كَابِرًا عَنْ كَابِر»، وهم كذبة في ذلك، فإنهم كانوا فقراء أعطاهم الله المال، لكنهم - والعياذ بالله - جحدوا نعمة الله وقالوا: هذا من آبائنا وأجدادنا. أما الأعمى فإنه شكر نعمة الله واعترف لله بالفضل، ولذاك وُفِّق وهداه الله وقال للملك: «خُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ».

• وفي القصة إثبات الرضا والسخط لله، أي انه يرضي علي ما شاء ويسخط علي ما شاء، وهما من الصفات التي يجب أن نُثبتَها لربنا، لأنه وصَفَ نفسه بها، ففي القرآن الكريم الرضا: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وفي القرآن

الكريم: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴾ [المائدة: ٨٠]، وفي القرآن العظيم الغضب: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:٦٠]، وهذه الصفات وأمثالها يؤمن بها أهل السنة والجماعة بأنها ثابتة لله علي وجه الحقيقة، لكنها لا تُشْبِهُ صفات المخلوقين، كما إن الله ﷻ لا يشبه المخلوقين، فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين.

• ومن فوائد هذا الحديث: إن في بني إسرائيل من العجب والآيات ما جعل النبي صلي الله عليه وسلم ينقل لنا من أخبارهم حتى نتعظ، فعلينا أن نأخذ من هذا الحديث عبرة بأن الإنسان إذا شكر نعمة الله، واعترف لله بالفضل، وأدَّي ما يجب عليه في ماله، فإن ذلك من أسباب البقاء والبركة في ماله.

الملك يعلمنا درسًا في التوحيد:

قول الملَك: (فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ) يذكرنا بقول النَّبِيِّ ﷺ: **«لاَ تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلاَنٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ»** [رواه أبوداود، وصححه الألباني].

(الواو) تقتضي تسوية المعطوف بالمعطوف عليه ; فيكون القائل: «مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلاَنٌ» مُسَوِّيًا مشيئةَ الله بمشيئة المخلوق.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ؟» فَقَالَ: **«جَعَلْتَنِي لِلهِ عَدْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»** [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وحسنه الألباني].

فكيف بمن يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض.

فـوازن بيـن هذه الألفاظ وبين قول القائل: «ما شـاء الله وشـئت»، ثم انظر أيهما أفحـش! يتبين لك أن قائلها أولى بجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة، وأنـه إذا كان قـد جعل لله نِدًّا بها؛ فهذا قد جعل من لا يداني رسـول الله ﷺ في شيء من الأشياء - بل لعله أن يكون له من أعدائه - نِدًّا لرب العالمين.

(وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَـاءَ اللهُ ثُمَّ شَـاءَ فُلَانٌ): لما نهـى ﷺ عن اللفظ المحرم بيّـن اللفظ المباح ; لأن (ثم) للترتيب والتراخي، فتفيد أن المعطوف أقلُ مرتبةً من المعطوف عليه. وفي الحديث تحريم عطف مشيئة المخلوق على مشيئة الله بالواو؛ لأن (الواو) تفيد التشـريك، وجواز عطف مشيئة المخلوق على مشيئة الله بثم؛ لأن (ثم) تفيد الترتيب دون التشريك.

نكران الجميل:

هـو ألّا يعترف الإنسـان بلسـانه بما يقـرّ به قلبُه مـن المعـروف والصّنائع الجميلة الّتي أسديت إليه سواء من الله ﷻ أو من المخلوقين.

أسباب كفران النعم وجحودها:

لم يقصّر بالخلق عن شكر النّعمة إلّا الجهل والغفلة، فإنّهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النّعم، ولا يتصوّر شكر النّعمة إلّا بعد معرفة كونها نعمة، ثمّ إنّهم إن عرفوا نعمة ظنّوا أنّ الشّـكر عليها أن يقول باللّسـان: الحمد لله، الشّكر لله، ولم يعرفوا أنّ معنى الشّكر أن يستعمل النّعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله ﷻ فلا يمنع من الشّكر بعد حصول المعرفتين إلّا غلبة الشّهوة واستيلاء الشّيطان.

أمّا الغفلة عن النّعم فلها أسباب: وأحد أسبابها أنّ النّاس بجهلهم لا يعدّون ما يعمّ الخلق ويسـلّم لهم في جميع أحوالهم نعمة، فلذلك لا يشكرون على ما عـمّ الله بـه الخلق من شـتّى النّعم في الكـون والنّفس كالشّـمس والقمر واللّيل

والنّهار والحرارة والبرودة واستساغة الطّعام ذلك ممّا لا يُحْصَى كثرةً؛ لأنّها عامّة للخلق، مبذولة لهم في جميع أحوالهم، فلا يرى كلّ واحد لنفسه منهم اختصاصًا به فلا يعدّه نعمة.

فلا تراهم يشكرون الله على الهواء ولو أخذ بمختنقهم لحظة حتّى انقطع الهواء عنهم ماتوا، ولو حبسوا في بيت حمّام فيه هواء حارّ أو في بئر فيه هواء ثقل برطوبة الماء ماتوا غمّا، فإن ابتلي واحد منهم بشيء من ذلك ثمّ نجا ربّما قدّر ذلك نعمة وشكر الله عليها، وهذا غاية الجهل، إذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب عنهم النّعمة ثمّ تردّ عليهم في بعض الأحوال، فلا ترى البصير يشكر صحّة بصره إلّا أن تعمى (عيناه) فعند ذلك لو أعيد عليه بصره أحسّ به وشكره وعدّه نعمة.

وهذا الجاهل الّذي لم يقدّر نعمة الله عليه مِثْل عبد سوء حقّه أن يضرب دائما حتّى إذا تُرك ضرْبُه ساعة أحس بالمنة، فإن ترك ضربه على الدّوام غلبه البطر وترك الشّكر. فصار النّاس لا يشكرون إلا المال الّذي يتطرّق إليه الاختصاص من حيث الكثرة والقلّة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم.

كما شكا بعضهم فقْره إلى أحد الحكماء وأظهر شدة اغتمامه به فقال له: «أيَسُرُّكَ أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم»، فقال: «لا»، فقال: «أيَسُرُّكَ أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم»، فقال: «لا»، فقال: «أيَسُرُّكَ أن أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفًا»، فقال: «لا»، فقال: «أيَسُرُّكَ أنك مجنون ولك عشر آلاف درهم»، فقال: «لا»، فقال: «أما تستحي أن تشكو الفقر وعندك عروض بخمسين ألفًا».

ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وبيده كوز ماء يشربه فقال له: «عظني»، فقال: «لو لم تعط هذه الشربة إلا ببذل جميع أموالك وإلا بقيت

عطشـان فهـل كنت تعطيه؟»، قـال: «نعم»، فقال: «لو لم تعـط إلا بملكك كله فهل كنت تتركه؟»، قال: «نعم»، قال: «فلا تفرح بملك لا يسـاوي شـربة ماء»، فهـذا يبيـن أن نعمـة الله على العبد في شـربة ماء عنـد العطش أعظـم من ملك الأرض كلها.

كَمْ تشتَكِي وتقُولُ إنَّكَ مُعْدِمُ ... والأرضُ مِلْكُكَ والسَّما والأنْجُمُ
ولكَ الحقُولُ وزَهْرُها وأَريجُها ... ونَسيمُها والبُلبُلُ المُتَرَنِّمُ
والماءُ حَوْلَكَ فضَّةٌ رَقْراقَةٌ ... والشمسُ فَوْقَكَ عَسْجَدٌ يتَضَرَّمُ
النورُ يَبْنِي في السُّفوحِ وفي الذُّرا ... دُورًا مُزَخْرَفَةً وحِينًا يَهْدِمُ
هَشَّتْ لكَ الدنيَا فما لَكَ واجِمًا ... وتبَسَّمَتْ فعَلَامَ لا تتبَسَّمُ

(مُعْدِم): فقير. (السما): السماء. (أريجها): عطرها، شذاها، (نسيمها): هواؤهـا الرقيق. (المترنِّم): المغَنِّي. (رقراقة): ذائبة لامعة. (عَسْجد): ذهب. (يتضرَّم): يشتعل والمراد يلمع ويبرق.

(السـفوح): السـفح هو أسـفل الجبل. (الذُّرا): الذروة هي أعلى الشيء. (دورًا): بيوتًا والمراد أشكالًا. (حينًا): وقتًا، أي أن النور أشبه بفنان قدير يرسم بأشـعته وظلالـه لوحات و أشـكالاً جميلة فوق السـهول والهضـاب، وعندما تغيب الشـمس تختفي وتنمحي تلك اللوحات الرائعة. (هشَّـت) :تبسـمت و أقبلت. (واجمًا): عابسًا حزينًا.

نعم الله كثيرة:

ولو أمعن الإنسان النّظر في أحواله رأى من الله نعما كثيرة تخصّه لا يشاركه فيها النّاس كافّة بل يشـاركه عدد يسير من النّاس، وربّما لا يشركه فيها أحد من الخلق، وذلك يتمثّل في ثلاثة أمور يعترف بها كلّ عبد.

أحدهـا: العقل فإنّه ما من عبد لله تعالـى إلّا وهو راض عن الله في عقله يعتقد

أنّه أعقل النّاس، وقلّ من يسأل الله العقل، ولذا وجب على كلّ الخلق شكر الله.

والأمـر الثّـاني: الخلـق، فمـا من عبـد إلّا ويرى من غيـره عيوبًـا يكرهها، وأخلاقًا يذمّها، وإنّما يذمّها من حيث يرى نفسـه بريئًا منها فإذا لم يشـتغل بذمّ الغير وجب عليه أن يشكر الله إذ حسن خلقه وابتلي غيره بسوء الخلق.

والأمر الثّالث الّذي يقرّ به كلّ أحد: العلم، فما من أحد إلّا ويعرف بواطن أمور نفسـه، وخفايا أفكاره، وما هو منفرد به ولو كشف الغطاء حتّى اطّلع عليه أحـد من الخلق لافتضـح، فكيف لو اطّلع النّاس كافّة، ألا يوجب سـتر القبيح وإخفـاؤه عن أعين النّاس شـكر هذه النّعمة العظيمة، ولـم يصرف الخلق عن شكر هذه النّعمة إلّا الغفلة والجهل.

وأعـمّ من هذه الأمور أمور أخرى فما من أحد من الخلق إلّا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو زوجه أو عزّه أو جاهه أو في سـائر أموره، فإنّه لو سـلب ذلك منه وأعطي ما خصّ به غيره فإنّه لا يرضى به.

فإذا كان الأمر كذلك فقد وجب على كلّ الخلق أن يشـكروه على أن جعلهم على هذه الحالة الّتي هم عليها ولم يجعلهم على حال الآخرين، ولكن غلب عليهم كفـر النّعمة، وما سـدّ على الخلق طريق الشّـكر إلّا جهلهم بأنـواع النّعم الظّاهرة والباطنة والخاصّة والعامّة أو الغفلة عنها لحصولهم عليها بلا أدنى سبب.

أحمَدُ اللَهَ فَهوَ ألهمني الحمدَ ... على الحمدِ، والمزيدُ لَدَيْه

كم زمَـانٍ بَكَيْتُ فيه فلمَّا ... صِـرْتُ في غيره بكيتُ عليهِ

ليس من شكر نعمة الله:

ليـس من شـكر نعمة الله تعالى تـركُ الصلاة التي أمر الله بهـا أو الإفطار في نهـار رمضان لغير عذر شـرعي أو منع الزكاة التي هي حـقّ الله في المال أو ترك

الحجّ الذي هو ركن من أركان الإسـلام، كما أنه ليس من شـكر النعمة محاربة الله ورسـوله بالربا أو السـعي وراء المسكر و الزنا أو الاستهزاء بالدين وشريعة رب العاملين، أعاذنا الله وإياكم وجميع المسلمين.

مما يعين على شكر الله على نعمه:

١- القناعة بما قسم الله لك من رزق، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْـفَلَ مِنْكُـمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْـدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**» [رواه مسلم].

٢- العلم بأن الله سائله عن شكره لنعمه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤]، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ حَمَلْتُكَ عَلَى الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَزَوَّجْتُكَ النِّسَاءَ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبَعُ، وَتَرْأَسُ، فَأَيْنَ شُكْرُ ذَلِكَ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الأرنؤوط].

(تَـرْأَسُ) تكون رَئِيسُ الْقَـوْمِ وَكَبِيرُهُمْ. (تَرْبَعُ) تَأْخُـذُ الْمِرْبَاعَ الَّذِي كَانَتْ مُلُـوكُ الْجَاهِلِيَّةِ تَأْخُـذُهُ مِنَ الْغَنِيمَةِ، وَهُوَ رُبْعُهَا، يُقَـالُ: رَبَعْتُهُمْ أَيْ أَخَذْتُ رُبْعَ أَمْوَالِهِـمْ، وَمَعْنَـاهُ أَلَـمْ أَجْعَلْكَ رَئِيسًـا مُطَاعًـا، وَقِيلَ: معناه تركتك مستريحا لاتحتاج إِلَى مَشَقَّةٍ وَتَعَبٍ مِنْ قَوْلِهِمْ أَرْبِعْ عَلَى نَفْسِكِ أَي ارْفُقْ بِهَا.

٣- شـكر الناس على معروفهم، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لاَ يَشْكُرِ النَّاسَ لاَ يَشْكُرِ اللهَ**». [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني].

هَـذَا يُتَـأَوَّل عَلَى وَجْهَيْـنِ أَحَدهمَا أَنَّ مَنْ كَانَ مِـنْ طَبْعه وَعَادَتـه كُفْرَان نِعْمَة النَّاس وَتَرْك الشُّكْر لِمَعْرُوفِهِمْ كَانَ مِنْ عَادَته كُفْرَان نِعْمَة اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَرْك الشُّكْر لَهُ.

وَالْوَجْه الْآخَر: أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَل شُكْر الْعَبْد عَلَى إِحْسَانه إِلَيْهِ إِذَا كَانَ الْعَبْد لَا يَشْكُر إِحْسَان النَّاس وَيَكْفُر مَعْرُوفهمْ لِاتِّصَالِ أَحَد الْأَمْرَيْنِ بِالْآخَر.

وَهَـذَا إِمَّا لِأَنَّ شُـكْرَهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَتِـمُّ بِمُطَاوَعَتِهِ وَامْتِثَالِ أَمْـرِهِ وَأَنَّ مِمَّا أُمِرَ

بِـهِ شُـكْرُ النَّاسِ الَّذِينَ هُمْ وَسَـائِطُ فِي إِيصَالِ نِعَمِ اللهِ إِلَيْهِ، فَمَـنْ لَمْ يُطَاوِعْهُ فِيهِ لَـمْ يَكُنْ مُؤَدِّيًا شُـكْرَ نِعَمِهِ، أَوْ لِأَنَّ مَنْ أَخَلَّ بِشُـكْرِ مَنْ أَسْـدَى نِعْمَةً مِنْ النَّاسِ مَعَ مَا يَرَى مِنْ حِرْصِهِ عَلَى حُبِّ الثَّنَاءِ وَالشُّـكْرِ عَلَى النَّعْمَاءِ وَتَأَذِّيهِ بِالْإِعْرَاضِ وَالْكُفْرَانِ كَانَ أَوْلَى بِأَنْ يَتَهَاوَنَ فِي شُكْرِ مَنْ يَسْتَوِي عِنْدَهُ الشُّكْرُ وَالْكُفْرَانُ.

إذَا المرءُ لم يشْكُرْ قليلًا أصابَهُ فليسَ له عندَ الكثيرِ شُكُورُ

ومن يشكرُ المخلوقَ يشكرُ ربَّه ومن يكفرُ المخلوقَ فهو كفورُ

٤- العلم بأن النعمة تدوم بالشكر، وتزول وتضمحل بالجحود والكفر، وأن الإنفاق سبب لنماء النعم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ نفقة واجبة أو مستحبة، على قريب، أو جار، أو مسكين، أو يتيم، أو غير ذلك ﴿فَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يُخْلِفُهُ﴾ فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فاطلبوا الرزق منه، واسعوا في الأسباب التي أمركم بها.

وعَـنْ أَبِـى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَـالَ: «**بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ فَسَـمِعَ صَوْتًا فِى سَـحَابَةٍ: «اسْـقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ». فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّـحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِى حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِى حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ.**

فَقَـالَ لَهُ: «يَا عَبْدَ اللهِ، مَا اسْـمُكَ؟». قَالَ: «فُلاَنٌ»، لِلاِسْـمِ الَّذِى سَـمِعَ فِى السَّـحَابَةِ. فَقَالَ لَهُ: «يَا عَبْدَ اللهِ، لِمَ تَسْـأَلُنِى عَنِ اسْـمِى؟». فَقَالَ: «إِنِّى سَـمِعْتُ صَوْتًا فِى السَّحَابِ الَّذِى هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ، لاِسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَـا؟». قَالَ: «أَمَّـا إِذَا قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّى أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْـرُجُ مِنْهَا: فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ،

وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ» [رواه مسلم].

(بَيْنَا): بينما. (الْحَرَّةُ): أرض بها حجارة سوداء كثيرة. (المسحاة): أداة القشر والجرف المصنوعة من الحديد. (الشَّرْجَةُ): مسيل الماء في الْحَرَّةُ.(الْحَدِيقَةُ): الْقِطْعَةُ مِنَ النَّخِيلِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْأَرْضِ ذَاتِ الشَّجَرِ. (تَنَحَّى): قَصَدَ.

وَفِي الْحَدِيثِ فَضْلُ الصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْمَسَاكِينِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ وَفَضْلُ أَكْلِ الْإِنْسَانِ مِنْ كسبه والانفاق على العيال.

أنفقْ ولا تخشَ إقلالًا فقد قُسِمَتْ ... بَينَ البَرِيَّةِ آجَالٌ وأرْزَاقُ
لا ينفعُ البُخْلُ في دُنْيَا مُوَلِّيَةٍ ... ولا يَضُرُّ معَ الإقبالِ إنفَاقُ



١٣٢- وقفات مع آية الكرسي[(١)]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجَلّها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها وردا للإنسان في أوقاته صباحا ومساء وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لا رب غيره ولا معبود سواه فهو الواحد الأحد في ذاته وصفاته وأفعاله، فأخبر تعالى عن نفسه الكريمة بأنه لا معبود بحق سواه، فهو الإله الحق الذي تتعين أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتأله له تعالى، لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، ولكون العبد مستحقًا أن يكون عبدًا لربه، ممتثلًا أوامرَه مجتنبًا نواهيَه، وكل ما سوى الله باطل، فعبادة ما سواه باطلة، لكون ما سوى الله مخلوقا ناقصًا مدبَّرًا فقيرًا من جميع الوجوه، فلم يستحق شيئًا من أنواع العبادة.

---

(١) هذه الخطبة والتي بعدها بتصرف من: تفسير آية الكرسي للشيخ ابن عثيمين. ومن كتابَي: المقصد السني في تفسير آية الكرسي، والمنهل القدسي في فضائل آية الكرسي، كلاهما للدكتور أحمد بن محمد الشرقاوي. أستاذ التفسير المشارك بجامعة الأزهر، وتربية عنيزة.

﴿ٱلۡحَيُّ﴾ صاحب الحياة الأزلية الأبدية، التي لم تُسبق بعدم، ولا تُعقب بفناء فهو الأول بلا بداية والآخِر بلا نهاية، لا شيءَ قبله ولا شيءَ بعده، صاحب الحياة الكاملة كمالًا مطلقًا، وحياته ﷻ ذاتية لا دخل لأحد فيها، وحياة جميع الكائنات فضل منه ﷻ. وفى وصفه تعالى بالحى: إشارة إلى اتصَافه بجميع صفات الحياة الكاملة من السمع والبصر والقدرة والعلم وغير ذلك.

﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ القائِم بذاته، المُقِيم لغيره، الذي لا يزول ولا يحُول، القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها، القائم على خلقه يكلؤهم ويرزقهم، القائم على كل موجود، ولا قيام لموجودٍ إلا به.

فهو القائم بنفسه، فقيامُه بنفسه يستلزم استغناءَه عن كل شيء، لا يحتاج إلى أكل ولا شرب ولا غيرها، وغيره لا يقوم بنفسه بل هو محتاج إلى الله ﷻ في إيجاده وإعداده وإمداده.

ومن معنى ﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ كذلك أنه قائم على غيره لقوله تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ﴾ [الرعد: ٣٣]، والمقابل محذوف تقديره: كمن ليس كذلك، والقائم على كل نفس بما كسبت هو الله ﷻ ولهذا يقول العلماء القيوم هو القائم على نفسه القائم على غيره، وإذا كان قائمًا على غيره، لزم أن يكون غيره قائمًا به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾ [الروم:٢٥]، فهو إذًا كامل الصفات وكامل الملك والأفعال.

وإذا كان وصف الله ب ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ إثبات لكمال الذات فوصفه تعالى بـ ﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ إثبات لكمال صفات الأفعال.

﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ تقدير لكمال حياته تعالى وقيومته، فالسِّنَة والنوم يعرضان للمخلوق الذي تعتريه العلل، ولا يعرضان للخالق ﷻ فهو المنزه عن كل نقص وسلب، المتصف بجميع صفات الكمال والجلال.

السِّنَة: النُعاس، وهي مقدمة النوم ولم يقل: لا ينام، لأن النوم يكون باختيار، والأخـذ يكون بالقهر. والنوم من صفـات النقص، والكائنات تحتاج إلى النوم من أجل الاستراحة من تعب سبَقَ واستعادة القوة لعمل مستقبَل.

وهذا النقص لا يليق بالله؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**» [رواه مسلم].

والنـوم آيـة من آيات الله وسـر مـن أسـراره ونعمة منـه، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم: ٢٣].

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لـه تعالـى ما فيهن ومـا بينهن، فهو تعالى الخالـق الرازق المالك المدبر المصرف، الملك ملكه والخلق خلقه، والتدبير تدبيره والخلق كلهم عبيده.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾. ﴿عِندَهُۥٓ﴾ أي: عند الله ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ أي: بإذْنِه له. والشـفاعة: هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة، فمثلًا: شـفاعة النبـي ﷺ لأهل الموقـف أن يقضى بينهم: هذه شـفاعة بدفع مضرة، وشفاعته لأهل الجنة أن يدخلوها شفاعة بجلب منفعة.

أي لا أحد يشفع عند الله ﷻ بدون إذنه، فالشفاعة كلها لله، ولكنه تعالى إذا أراد أن يرحم من يشاء من عباده أذِنَ لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه، لا يبتدئ الشـافع قبل الإذن، فلا شفاعة إلا بإذنه ورضاه، ولا شفيع إلا مَن أذن لـه وارتضاه، فهو سـبحانه المالك المتصرف، والشـفاعة فضل من الله ورحمة والله ﷻ يختص بفضله ورحمته من يشاء.

وهناك شـروط أخـرى للشـفاعة منها: أن يكـون راضيًا عن الشـافع وعن المشـفوع لـه، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]،

و قَالَ تعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه:١٠٩].

وهناك آية تنتظم الشروط الثلاثة: قَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦]، أي: يرضى عن الشافع والمشفوع له. فالشروط الثلاثة:

١- الرضا عن الشافع.

٢- الرضا عن المشفوع له.

٣- الإذن للشافع من الله.

إذا قال قائل: ما فائدة الشفاعة إذا كان الله قد علم أن هذا المشفوع له ينجو؟ فالجواب: أن الله يأذن بالشفاعة لمن يشفع من أجل أن يكرمه وينال المقام المحمود.

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: ما مضى من جميع الأمور ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ أي: ما يستقبل منها، فعِلْمُه محيط بتفاصيل الأمور، متقدمها ومتأخرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم من الأمر شيء ولا من العلم مثقال ذرة إلا ما علمهم تعالى فهو العليم بأحوال خلقه عامة، وبأحوال الشفعاء والمشفُوع لهم خاصة، هو تعالى العليم بما كان وما يكون وما سيكون، العليم بكل مالطف ودق فضلًا عن علمه بكل ماجلَّ وظهر.

فهو العليم بما حصلُوه وما ضيعوه، العليم بما قدموه وما خلَّفُوه، العليم بما أظهروه وما كتموه، لا يخرج عن علمه معلوم، ولا يلتبس عليه موجود ولا معدوم.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ الضمير في ﴿يُحِيطُونَ﴾ يعود على الخلق الذين دل عليهم قوله تعَالَىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، يعني لا يحيط من في السماوات والأرض بشيء من علم الله إلا بما شاء، يعني إلا بما

شاء مما علمهم إياه.

فهو تعالى الذي أكرم خلقه بالعلم، ومهما تقدموا وارتقوا في سُـلّم العلم، فإن علمهم بالنسبة لعلمه تعالى كقطرة في بحر لُجيٍّ، قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾، [الإسراء: ٨٥]. ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ [الكهف : ١٠٩].

وإذا كان البشـر عاجزيـن وقاصرين عـن الإحاطة الشـاملة والدراية التامة بأنفسـهم فكيف يطمعون وإلى أي مدى يطمحون فى الإحاطة والدراية بما هو قريـب منهم وما هو بعيد عنهم من المحسوسـات، فضـلًا عن الأمور الغيبية!! ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[البقرة:٣٢].

﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ ﴾ الكرسـي: موضـع القدميـن، ولا يعلـم كُنْهَه إلا الله. وسـع بمعنى شمل، يعني: أن كرسيه محيط بالسماوات والأرض وأكبر منها؛ لأنه لولا أنه أكبر ما وسـعها، وقد صحَّ عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن الكرسي موضع القدمين لله عَزَّوَجَلَّ.

وكما وسع علمه كل شيءٍ، فلقد وسع كرسيه السموات والأرض وما فيهن وما بينهن، وفى هذا دلالة على سعة ملكه وعظمة سلطانه وإحاطة علمه، فضلًا عـن قدرته عَزَّوَجَلَّ على حفظ هذا الملك الواسـع وتدبيره، وفى عظمة مخلوقاته ما يدل على عظمته عَزَّوَجَلَّ.

وهذا يدل على كمال عظمته وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسـع السـماوات والأرض على عظمتهما وعظمة من فيهما، والكرسـي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هـو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتـكل الأبصار، فكيف بعظمة خالقهـا ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسـرار مـا أودع، والذي قد

أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب.

فلهـذا قال: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي: يثقلـه ﴿حِفْظُهُمَا﴾ فالقريب والبعيد والقليل والكثير، والعسـير واليسـير، والعظيـم والحقير عنده سـواء، قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢]. وقَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾[القمر: ٥٠]. فسـبحان من لا يعجزه شيءٌ، ولا يعزب عنه شيءٌ، وهو القاهر لكل شيءٍ، وهو القائم على كل شيئ.

- ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ بذاته فوق عرشه.
- ﴿ٱلْعَلِىُّ﴾ بقهره لجميع المخلوقات.
- ﴿ٱلْعَلِىُّ﴾ بقَدْرِه؛ لكمال صفاته.
- ﴿ٱلْعَلِىُّ﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله.
- ﴿ٱلْعَلِىُّ﴾ فلا شيءَ فوقه ولا رتبة فوق رتبته.
- ﴿ٱلْعَلِىُّ﴾ المتعالى عن الأشباه والأنداد.
- ﴿ٱلْعَلِىُّ﴾ تاهـت الألبـاب في جلالـه وعجـزت عن وصـف كماله، قهر جميع المخلوقات ودانت له كل الكائنات، وخشعت له الأصوات، وخضعت له الرقاب وذلت له الصعاب.
- ﴿ٱلْعَلِىُّ﴾ فهو أعلى من أن يحيط به وصف واصف، أو معرفة عارف.
- ﴿ٱلْعَلِىُّ﴾ بقدرته وسلطانه.

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ ذو العظمة والهيبة، والجلال والكمال، والبهاء والكبرياء، ولا عظيم إلا ما عِظمه، فالعظمة له ومنه، ولا شيء أعظم منه فهو العظيم فوق كل عظيم.

فهـو العظيم الذي يتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان من له العظمة العظيمة والكبرياء الجسيمة والقهر والغلبة لكل شيء.

وقـد اشـتملت هذه الآيـة على توحيـد الإلهيـة وتوحيد الربوبيـة وتوحيد الأسـماء والصفـات، وعلـى إحاطـة ملكـه وإحاطـة علمـه وسـعة سـلطانه وجلالـه ومجـده، وعظمته وكبريائـه وعلوه على جميع مخلوقاتـه، فهذه الآية بمفردهـا عقيـدة في أسـماء الله وصفاتـه، متضمنـة لجميع الأسـماء الحسـنى والصفات العلا.

الكرسي:

فعن سـعيد بن جبير عـن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «الْكُرْسِـيُّ مَوْضِـعُ قَدَمَيْهِ، وَالْعَرْشُ لا يُقَدِّرُ أحد قَدْرَه». (رواه الحاكم في المسـتدرك، وقال: «هذا حديث صحيح على شـرط الشيخين و لم يخرجاه»، وقال الذهبي في التلخيص: «على شرط البخاري ومسلم» وصححه الألباني).

وهذا يعني أنَّ الكرسـي مخلـوق من مخلوقات الله عظيم جـدًا، جعله الله بهذا العِظَم، وأنه وسـع السـموات والأرض، وأكثر من ذلك السموات صغيرة بالنسبة لكرسي الرحمن.

والكرسي ليس هو العرش، بل العرش أكبر من الكرسي.

وقد جاء في السـنة بيان حجم الكرسـي بالنسـبة للسـموات بأنَّ السموات السـبع بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض والكرسي بالنسبة إلى العرش مثل ذلك، قَالَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: «**مَا السَّـمَوَاتُ السَّبعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِـيِّ كَفَضْـلِ تِلْكَ الْفَلاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلَقَةِ**» [رواه ابن جرير وغيره، وصححه الألباني].

والحديـث صريح في كون الكرسـي أعظم المخلوقات بعـد العرش، وأنه جرم قائم بنفسه وليس شيئًا معنويًّا. ففيه رد على من يتأوله بمعنى الملك وسعة السلطان، كما جاء في بعض التفاسير.

هيا بنا نُلْقِ نظرةً على الكون لنتعرف على عِظَم خلق الله.

المجرة هي نظام كوني مكون من تجمع هائل من النجوم، والغبار، والغازات والمادة المظلمة التي ترتبط معًا بقوى الجذب المتبادلة وتدور حول مركز مشترك، ويقدر الفلكيون أن هناك حوالي ١٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ إلى ١٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ مجرة تقريبًا في الكون المنظور (أي ١٠ مليارات إلى ١٠٠٠ مليار مجرة).

سبحان الله العظيم.

وأبعد مجرات تم تصويرها تبعد حوالي ١٠ إلى ١٣ مليار سنة ضوئية، تتراوح في أحجامها بين المجرات القزمة، التي لا يتعدى عدد نجومها العشرة ملايين نجم وتكون مساحتها حوالي بضعة آلاف سنة ضوئية، إلى المجرات العملاقة التي تحتوي على أكثر من ١٠٠٠ مليار نجمة وحجمها يصل إلى نصف مليون سنة ضوئية.

وقد تحتوي المجرة الواحدة على أنظمة نجمية متعددة على شكل تجمعات نجمية، وقد تحتشد مجموعة من النجوم لتكون عناقيد نجمية أو مجموعات شمسية، وقد تحتوي أيضا على سدم وهي عبارة عن سحب غازية كثيفة.

واكتشف علماء الفلك أن هنالك الملايين من المجموعات الشمسية في المجرة الواحدة تتباعد المسافات بينها إلى حد كبير، ولا مجال للزحام في هذا الكون السحيق، فمثلا (مجرة المرأة المسلسلة) - التي هي أقرب المجموعات الكبيرة إلينا - تبعد عنا نحو ٢،٥ مليون سنة ضوئية.

ما هي السنة الضوئية؟

المسافات في الكون شاسعة جدًا بحيث تقاس بالسنين الضوئية، ولتقريب حجم المجرات يجب أن نعرف معنى السنة الضوئية، وهي وحدة قياس

تستخدم للمسافات الكبيرة والبعيدة جدًا كالمسافة بين الأرض والنجوم، وتعرف السنة الضوئية على أنها المسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة، وسرعة الضوء هي السرعة القياسية القصوى في الكون بحيث لا يوجد شيء أسرع من الضوء.

وتبلغ سرعة الضوء ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية ، وبهذه السرعة فإن الضوء يقطع ١٨ مليون كيلومتر في الدقيقة، وهذه تسمى الدقيقة الضوئية. وتبلغ المسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة ٩،٤٦٠،٨٠٠،٠٠٠،٠٠٠ كيلومتر، أي أن السنة الضوئية الواحدة تبلغ ٩،٤٦ تريليون كيلومتر.

ومجرتنا اسمها (مجرة درب التبانة) أو (الطريق اللبني)، والتي يوجد فيها أكثر من مائتي مليار نجم، ويقدِر العلماء قطرها بحوالي ١٠٠ ألف سنة ضوئية، وتحوي الكثير من التجمعات النجمية، بما فيها المجموعة الشمسية، والتي ينتمي إليها كوكبنا كوكب الأرض، وتضم أيضًا نجومًا تدور فيها بسرعة تزيد عن ٣٠٠ كيلومتر في الثانية.

وتقع مجرتنا (مجرة درب التبانة) في نظام مجَرّي يحوي مجموعة من المجرات يسمى المجموعة المحلية. وتشمل المجموعة المحلية التي تشغل فراغًا قطره نحو ١٠ مليون سنة ضوئية مجرة درب التبانة والمرأة المسلسلة، وهي أكبر من مجرتنا و ٢٨ مجرة أخرى أصغر منهما.

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[لقمان].

يتلو على عباده، آثارًا من آثار قدرته، وبدائع من بدائع حكمته، ونِعَمًا من

آثار رحمته، فقال: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ السبع على عِظَمِها، وسعتها، وكثافتها، وارتفاعها الهائل. ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: ليس لها عمد، ولو كان لها عمد لرُئِيَتْ، وإنما استقرت واستمسكت، بقدرة الله.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: جبالا عظيمة، ركزها في أرجائها وأنحائها، لئلا ﴿تَمِيدَ بِكُمْ﴾ فلولا الجبال الراسيات لَمَادت الأرض، ولما استقرت بساكنيها.

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ أي: نشر في الأرض الواسعة، من جميع أصناف الدواب، التي هي مُسَخَّرة لبني آدم، ولمصالحهم، ومنافعهم. ولَمَّا بَثّها في الأرض، علم تعالى أنه لا بد لها من رزق تعيش به، فأنزل ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ ماء مباركا، ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ المنظر، نافع مبارك، فرتعت فيه الدواب المنبثة، وسكن إليه كل حيوان.

﴿ هَٰذَا ﴾ أي: خَلْقُ العالم العلوي والسفلي، من جماد، وحيوان، وسَوْقِ أرزاق الخلق إليهم ﴿ خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ وحده لا شريك له، كلٌ مُقِرٌّ بذلك حتى أنتم يا معشر المشركين.

﴿ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ أي: الذين جعلتموهم له شركاء، تدعونهم وتعبدونهم، يلزم على هذا، أن يكون لهم خلق كخلقه، ورزق كرزقه، فإن كان لهم شيء من ذلك فأرونيه، ليصح ما ادعيتم فيهم من استحقاق العبادة.

ومن المعلوم أنهم لا يقدرون أن يُرُوه شيئًا من الخلق لها، لأن جميع المذكورات قد أقروا أنها خلق الله وحده، ولا ثَمَّ شيء يعلم غيرها، فثبت عجزهم عن إثبات شيء لها تستحق به أن تعبد.

ولكن عبادتهم إياها، عن غير علم وبصيرة، بل عن جهل وضلال، ولهذا

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ أي: جَلِيٍّ واضح حيث عبدوا من لا يملك نفعًا ولا ضَرًّا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، وتركوا الإخلاص للخالق الرازق المالك لكل الأمور.

مَن أنزلَ الأمطارَا، وفجَّرَ الأنهارَا، وأنْبَتَ الأزهارَا، تُزَخرِفُ الجبالْ؟!

ذاك العظيمُ في عُلاهْ، مَن أبْدعَ الكونَ سواهْ؟!

مَن زيَّن السماءَ، وجَمَّلَ الفضَاءَ، وأرسل الضياءَ، ليَرْسِمَ الظِّلالْ؟!

ذاك العظيمُ في عُلاهْ، مَن أبْدعَ الكونَ سواهْ؟!

مَنْ عَلَّمَ العُصْفُورَا، في الجوِّ أنْ يطيرَا، ومَن جَلَّى الغديرَا، ودفَّقَ الشلاَّلْ؟!

ذاك العظيمُ في عُلاهْ، مَن أبْدعَ الكونَ سواهْ؟!

مَن أنْطَقَ اللِّسانَا، وأسْمَعَ الآذانَا، وعَلَّمَ الإنسانَا، وأبدَعَ الجمالْ؟!

ذاك العظيمُ في عُلاهْ، مَن أبْدعَ الكونَ سواهْ؟!

مَنْ ينشرُ الصباحَا، ويُرْسِلُ الرِّيَاحَا، ويَمْلأُ البِطَاحَا، مِن رِزْقِه الحَلَالْ؟!

ذاك العظيمُ في عُلاهْ، مَن أبْدعَ الكونَ سواهْ؟!

سبحان الله، وبحمد الله، ولا إله إلا الله.



١٣٣- آية الكرسي عبر وفضائل

أهم ما يستفاد من هذه الآية الكريمة:

١- إخـلاص العقيدة والعبـادة لله رب العالمين، فهو تعالى الواحد الأحد لا رب غيـره ولا معبود سـواه، ففي الآيـة الكريمة بيان لكمـال صفات الذات وصفـات الأفعـال من خلال وصفـه ﷻ ب ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ ومـن كمال حياته وقيوميته ﷻ على كل شيئ أنه تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم.

٢- على المسـلم أن يسـعى إلى الحياة الطيبة بالإيمـان والعمل الصالح، وأن يراقب مولاه ﷻ في كل أعماله، فهو تعالى القائم على كل نفس بما كسبت وعلى المسلم أيضًا أن يفوض أمره كله للحى القيوم.

٣- كل ما في الكون ملك لله ﷻ فلا ملك إلا له ولا مالك سواه.

٤- لا شـفاعة إلا بإذن الله ورضاه ولا شـفيع إلا من ارتضاه فالأمر كله لله، يختص بفضله ورحمته من يشاء.

٥- لا علم للبشـر إلا ما علمهم الله، ومهمـا أوتوا من العلم، ومهما ارتقوا في درجاته فعلمهم قليل وعقولهم قاصرة، ولا سبيل للمعرفة الكاملة والإحاطة الشـاملة بالمحسوسـات المشـاهدة فضلًا عن الحقائق الغيبية؛ فعلى العبد أن يفـوض العلـم إلى عـلام الغيـوب، وأن يوظف علمـه فيما ينفع النـاس ابتغاء مرضاة الله.

٦- في الآية الكريمة إثبات لمشـيئة الله تعالى فلا يقع في ملكه إلا ما شـاء. وفي هذا دعوة ضمنية للإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، فكل ما في الكون خاضـع لمشـيئة الله ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ

لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص: ٦٨]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩].

٧- الإيمان بعظمة وسعة ملكه ﷻ على وجه العموم، والإيمان بالكرسي وهو جرم عظيم، والإيمان بقدرته ﷻ على حفظ السموات والأرض وما فيهن وما بينهن فهو تعالى القادر القاهر فوق كل شيء، والقليل والكثير واليسير والعسير عنده سواء.

٨- الإيمان باسم الله (العلي) فهو تعالى العلي بذاته وصفاته وأفعاله، (العلي) فوق عباده، (العلي) عن الأشباه والأنداد والأضداد، الإيمان بهذا الاسم الجليل وبهذه الصفة بدون تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تجسيم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

وحظ العبد من هذا الاسم الجليل أن يكون عالي الهمة بالإيمان والعلم والعمل الصالح عاليًا باتباع الحق، وأن لا يتعالى على الحق وأهله.

٩- الإيمان باسم الله العظيم: فهو تعالى (العظيم) في ذاته وصفاته وأفعاله (العظيم) فلا شيء أعظم منه، ولا عظمة إلا به ومنه، ولا نهاية لعظمته ولا حد لها ولا مثيل لها ولا شبيه. وحظ العبد من هذا الاسم أن يستحضر في قلبه دائمًا عظمة الله ﷻ وأن يعظم ما عظمه الله.

١٠- المداومة على قراءة آية الكرسي بتأمل وتدبر، عقب كل صلاة مكتوبة وحين يصبح المسلم وحين يمسي وحين يأوي إلى فراشه، ويداوم على قراءتها في بيته ففي ذلك خير كثير وأجر كبير.

١١- في آية الكرسي ردود على شبهات وأباطيل أعداء الدين:

* ففيها رد على المشركين الذين زعموا وجود آلهة أخرى، تعالى الله عما يشركون قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ فلا رب غيره ولا معبود سواه.

* وفيها رد على الملاحدة الذين أنكروا وجود الله متجاهلين وغافلين عن آيات الله الكونية والإنسانية وعن الأدلة الظاهرة والحجج الباهرة التي تشهد لله ﷻ.

فَيا عَجَبًا كيفَ يُعْصَى الإلهُ أمْ كَيف يجحَدُه الجاحِدُ
وَلله في كُلِّ تَحْريكَةٍ عَلينا وَتَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
وفِي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أنَّهُ واحِدُ

***

تأمَّلْ فِي رَبيعِ الأرْضِ وانْظُرْ إلى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكُ
عُيونٌ مِن لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٌ كَأنَّ حداقِها ذَهَبٌ سَبِيكُ
على قضبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِداتٌ بأَنَّ الله لَيسَ لَهُ شَرِيكُ

اللُّجَين: هو الفضة.

* في الآية الكريمة رد على منكري الشفاعة، ورد أيضًا على من أثبتها على الإطلاق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾.

* وفي الآية رد على القدرية الذين أنكروا القدر، وزعموا أن علم الله بالأشياء - كما زعموا- لا يكون إلا بعد وقوعها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾.

* وفي الآية رد على من أنكر علمه تعالى بالجزئيات، فعلمه تعالى شامل لكل ما لطف ودق وكل ما ظهر وبطن لا تغيب عنه غائبة ولا تعزب عنه عازبة ولا تخفى عليه خافية

١٢- وفي الآية تنزيه لله ﷻ عن صفات العجز والنقص والسلب فهو صاحب الكمال المطلق والقدرة والإرادة الغالبة والمشيئة النافذة، لا يغفل ولا ينام ولا يعجزه شيء ولا يعزب عن علمه شيء، ولا يثقل عليه شيء.

١٣- وهذه الآية تتضمن من أسـماء الله خمسـة، وهي: الله، الحي، القيوم، العلي، العظيم.

وتتضمن من صفات الله سـتًا وعشـرين صفة منها خمس صفات تضمنتها هذه الأسماء.

السادسة: انفراده بالألوهية.

السابعة: انتفاء السِّنَة والنوم في حقه، لكمال حياته وقيوميته.

الثامنة: عموم ملكه، لقوله تعَالَىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

التاسعة: انفراد الله ﷻ بالمُلْك.

العاشـرة: قوة السـلطان وكماله، لقوله تعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

الحادية عشرة: قوله تعَالَىٰ: ﴿عِندَهُۥٓ﴾ فيه إثبات العندية، وهذا يدل على أنه ليـس في كل مـكان، بل فوق العرش، عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَمَّـا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِـهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَـبَقَتْ غَضَبِي**» [رواه البخاري ومسلم].

الثانية عشرة: إثبات الإذن من قوله تعَالَىٰ: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وَرَفَعَ

الثالثـة عشـرة: عمـوم علـم الله؛ لقولـه تعَالَىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

الرابعة عشـرة والخامسة عشـرة: أنه ﷺ لا ينسـى ما مضى، لقوله تعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ولا يجهل ما يستقبل، لقوله تعَالَىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾.

السادسة عشرة: كمال عظمة الله، لعجز الخلق عن الإحاطة به.

السابعة عشرة: إثبات الكرسي، وهو موضع القدمين.

التاسـعة عشـرة والعشـرون والحادية والعشـرون: إثبات العظمـة والقوة

والقدرة، لقولــه تَعَـالَىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؛ لأن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق.

الثانية والثالثة والرابعة والعشـرون: كمال علمه ورحمته وحفظه، من قوله تَعَـالَىٰ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾.

الخامسـة والعشـرون: إثبات علو الله لقولــه تَعَـالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ ومذهب أهل السـنة والجماعـة أن الله عالٍ بذاته، وأن علوه مـن الصفات الذاتية الأزلية الأبدية.

ويدل على بطلان قول الذين قالوا: إن الله بذاته في كل مكان، أنك إذا قلت: إن الله معك في كل مكان، فهذا يلزم عليه لوازم باطلة، فيلزم عليه:

أولًا: إما التعدد أو التجزؤ، وهذا لازم باطل بلا شـك، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.

ثانيًـا: نقـول: إذا قلت: إنــه معك في الأمكنة، لـزم أن يزداد بزيـادة الناس، وينقص بنقص الناس.

ثالثًا: يلزم على ذلك ألا تنزهه عن المواضع القذرة، فإذا قلت: إن الله معك وأنت في الخلاء فيكون هذا أعظم قدح في الله ﷻ.

فقولهم هذا منافٍ للشرع ومنافٍ للعقل.

السادسة والعشرون: إثبات العظمة لله ﷻ، لقوله تَعَـالَىٰ: ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾.

فضائل آية الكرسي:

آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله:

عَـنْ أُبَـيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَـا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَـةٍ مِـنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُـولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**» [رواه مسلم]. (لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ) أي ليكن العلم هنيئا لك.

قَوْلُهُ ﷺ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ» فِيهِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِأُبَيٍّ رضي الله عنه وَدَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ عِلْمِهِ، وَفِيهِ تَبْجِيلُ الْعَالِمِ فُضَلَاءَ أَصْحَابِهِ، وَتَكْنِيَتُهُمْ، وَجَوَازُ مَدْحِ الْإِنْسَانِ فِي وَجْهِهِ إِذَا كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ وَلَمْ يُخَفْ عَلَيْهِ إِعْجَابٌ وَنَحْوُهُ لِكَمَالِ نَفْسِهِ وَرُسُوخِهِ فِي التَّقْوَى.

وقَوْلُهُ ﷺ: «أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟»، قُلْتُ: اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ». فِيهِ جَوَازُ قَوْلِ هَذِهِ الْآيَةِ أَوِ السُّورَةِ أَعْظَمُ أَوْ أَفْضَلُ بِمَعْنَى أَنَّ الثَّوَابَ الْمُتَعَلِّقَ بِهَا أَكْثَرُ وَهُوَ مَعْنَى الْحَدِيثِ.

قارئها دبر كل صلاة من أهل الجنة:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا الْمَوْتُ**» [رواه ابن السني وغيره، وصححه الألباني].

آية الكرسي حصن منيع لقارئها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: «وَاللهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»، قَالَ: «إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ»، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟**»، قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ». قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ**».

فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: «لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»، قَالَ: «دَعْنِي فَإِنِّي

مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لاَ أَعُودُ»، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ.

فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟**»، قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ». قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**».

فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: «لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ». قَالَ: «دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا»، قُلْتُ: «مَا هُوَ؟». قَالَ: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ».

فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟**». قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ».

قَالَ: «**مَا هِيَ؟**». قُلْتُ: «قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ» - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**»، قَالَ: «لاَ»، قَالَ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**»، [رواه البخاري].

(يَحْثُو) يغترف بيده.

(مِنَ اللهِ حَافِظٌ) أَيْ مِنْ عِنْدِ اللهِ، أَوْ مِنْ جِهَةِ أَمْرِ اللهِ، أَوْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَنِقْمَتِهِ.

(وَكَانُوا) أَيِ الصَّحَابَةُ (أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ) فِيهِ الْتِفَاتٌ إِذِ السِّيَاقُ

يَقْتَضِي أَنْ يَقُولَ: وَكُنَّا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ مُدْرَجًا مِنْ كَلَامِ بَعْضِ رُوَاتِهِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَهُوَ مَسُوقٌ لِلِاعْتِذَارِ عَنْ تَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ بَعْدَ الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ حِرْصًا عَلَى تَعْلِيمِ مَا يَنْفَعُ.

(ذَاكَ شَيْطَانٌ) أَيْ شَيْطَانٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ.

(وَهُوَ كَذُوبٌ) مِنَ التَّتْمِيمِ الْبَلِيغِ الْغَايَةِ فِي الْحُسْنِ؛ لِأَنَّهُ أَثْبَتَ لَهُ الصِّدْقَ، فَأَوْهَمَ لَهُ صِفَةَ الْمَدْحِ ثُمَّ اسْتَدْرَكَ ذَلِكَ بِصِفَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي الذَّمِّ بِقَوْلِهِ: «وَهُوَ كَذُوبٌ».

وَفِي الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ:

- أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَعْلَمُ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْمُؤْمِنُ.
- وَأَنَّ الْحِكْمَةَ قَدْ يَتَلَقَّاهَا الْفَاجِرُ فَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا وَتُؤْخَذُ عَنْهُ فَيَنْتَفِعُ بِهَا.
- وَأَنَّ الشَّخْصَ قَدْ يَعْلَمُ الشَّيْءَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ.
- وَأَنَّ الْكَافِرَ قَدْ يُصَدِّقُ بِبَعْضِ مَا يُصَدِّقُ بِهِ الْمُؤْمِنُ وَلَا يَكُونُ بِذَلِكَ مُؤْمِنًا.
- وَبِأَنَّ الْكَذَّابَ قَدْ يَصْدُقُ.
- وَبِأَنَّ الشَّيْطَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكْذِبَ.
- وَأَنَّهُ قَدْ يَتَصَوَّرُ بِبَعْضِ الصُّوَرِ فَتُمْكِنُ رُؤْيَتُهُ.
- وَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] مَخْصُوصٌ بِمَا إِذَا كَانَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا.
- وَأَنَّ مَنْ أُقِيمَ فِي حِفْظِ شَيْءٍ سُمِّيَ وَكِيلًا.
- وَأَنَّ الْجِنَّ يَأْكُلُونَ مِنْ طَعَامِ الْإِنْسِ.
- وَأَنَّهُمْ يَظْهَرُونَ لِلْإِنْسِ لَكِنْ بِالشَّرْطِ الْمَذْكُورِ.
- وَأَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامِ الْإِنْسِ.

• وَأَنَّهُمْ يَسْرِقُونَ وَيَخْدَعُونَ.
• وَفِيهِ أَنَّ الْجِنَّ يُصِيبُونَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ.
• وَفِيهِ أَنَّ السَّارِقَ لَا يُقْطَعُ فِي الْمَجَاعَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْقَدْرُ الْمَسْرُوقُ لَمْ يَبْلُغِ النِّصَابَ؛ وَلِذَلِكَ جَازَ لِلصَّحَابِيِّ الْعَفْوُ عَنْهُ قَبْلَ تَبْلِيغِهِ إِلَى الشَّارِعِ.
• وَفِيهِ قَبُولُ الْعُذْرِ، وَالسَّتْرُ عَلَى مَنْ يُظَنُّ بِهِ الصِّدْقُ.
• وَفِيهِ جَوَازُ جَمْعِ زَكَاةِ الْفِطْرِ قَبْلَ لَيْلَةِ الْفِطْرِ وَتَوْكِيلِ الْبَعْضِ لِحِفْظِهَا وَتَفْرِقَتِهَا.

من قرأها حين يمسي وحين يصبح أجاره الله من الشياطين:

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ جَرِينُ تَمْرٍ فَكَانَ يَجِدُهُ يَنْقُصُ فَحَرَسَهُ لَيْلَةً، فَإِذَا هُوَ بِمِثْلِ الْغُلَامِ الْمُحْتَلِمِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ: «أَجِنِّيٌّ، أَمْ إِنْسِيٌّ؟»، فَقَالَ: «بَلْ جِنِّيٌّ»، فَقَالَ: «أَرِنِي يَدَكَ»، فَأَرَاهُ، فَإِذَا يَدُ كَلْبٍ وَشَعْرُ كَلْبٍ.

فَقَالَ: «هَكَذَا خَلْقُ الْجِنِّ؟»، فَقَالَ: «لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنُّ إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدُّ مِنِّي»، قَالَ: «مَا جَاءَ بِكَ؟»، قَالَ: «أُنْبِئْنَا أَنَّكَ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ فَجِئْنَا نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ»، قَالَ: «مَا يُجِيرُنَا مِنْكُمْ؟»، قَالَ: «تَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾»، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: «إِذَا قَرَأْتَهَا غُدْوَةً أُجِرْتَ مِنَّا حَتَّى تُمْسِيَ، وَإِذَا قَرَأْتَهَا حِينَ تُمْسِي أُجِرْتَ مِنَّا حَتَّى تُصْبِحَ».

قَالَ أُبَيٌّ: فَغَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَقَالَ: «**صَدَقَ الْخَبِيثُ**».

(رواه الحاكم في المستدرك، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ»، وصححه الألباني). الجَرِينُ: الموضع الذي يجفّف فيه التمر وغيره من الثمار.

من قرأها في بيته لا يقربه شيطان:

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ سَهْوَةٌ فِيهَا تَمْرٌ فَكَانَتْ تَجِيءُ الْغُولُ فَتَأْخُذُ مِنْهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**فَاذْهَبْ فَإِذَا رَأَيْتَهَا فَقُلْ بِسْمِ اللهِ أَجِيبِي رَسُولَ اللهِ ﷺ**».

فَأَخَذَهَا فَحَلَفَتْ أَنْ لاَ تَعُودَ، فَأَرْسَلَهَا فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟**». قَالَ: «حَلَفَتْ أَنْ لاَ تَعُودَ». فَقَالَ: «**كَذَبَتْ وَهِيَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ**». فَأَخَذَهَا مَرَّةً أُخْرَى فَحَلَفَتْ أَنْ لاَ تَعُودَ، فَأَرْسَلَهَا فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟**». قَالَ: «حَلَفَتْ أَنْ لاَ تَعُودَ». فَقَالَ: «**كَذَبَتْ وَهِيَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ**».

فَأَخَذَهَا فَقَالَ: «مَا أَنَا بِتَارِكِكِ حَتَّى أَذْهَبَ بِكِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ». فَقَالَتْ: «إِنِّي ذَاكِرَةٌ لَكَ شَيْئًا، آيَةَ الْكُرْسِيِّ اقْرَأْهَا فِي بَيْتِكَ فَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ وَلاَ غَيْرُهُ».

فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟**». فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَتْ.

قَالَ: «**صَدَقَتْ وَهِيَ كَذُوبٌ**». [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

(سَهْوَةٌ) السَّهْوَةُ هِيَ الطَّاقُ فِي الْحَائِطِ يُوضَعُ فِيهَا الشَّيْءُ، وَقِيلَ: هِيَ الصُّفَّةُ، وَقِيلَ: الْمَخْدَعُ بَيْنَ الْبَيْتَيْنِ، وَقِيلَ: هُوَ شَيْءٌ شَبِيهٌ بِالرَّفِّ، وَقِيلَ: بَيْتٌ صَغِيرٌ كَالْخِزَانَةِ الصَّغِيرَةِ، كُلُّ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ يُسَمَّى السَّهْوَةَ، وَلَفْظُ الْحَدِيثِ يَحْتَمِلُ الْكُلَّ، وَلَكِنْ وَرَدَ فِي بَعْضِ طُرُقِ هَذَا الْحَدِيثِ مَا يُرَجِّحُ الْأَوَّلَ.

وقيل: السَّهْوَةُ بَيْتٌ صَغِيرٌ مُنْحَدِرٌ فِي الْأَرْضِ قَلِيلًا شَبِيهٌ بِالْمُخْدَعِ وَالْخِزَانَةِ.

والصُفَّة: ظُلَّة، سقيفة، موضِعٌ مُظَلَّل.

والمَخْدَع: حجرة للنَّوم، أو بيت صغير داخل البيت الكبير.

(الْغُولُ) أَحَدُ الْغِيلَانِ وَهِيَ جِنْسٌ مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ كَانَتِ الْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ الْغُولَ فِي الْفَلَاةِ تَتَرَاءَى لِلنَّاسِ فَتَتَغَوَّلُ تَغَوُّلًا، أَيْ تَتَلَوَّنُ تَلَوُّنًا فِي صُوَرٍ شَتَّى، وَتَغُولُهُمْ، أَيْ تُضِلُّهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ وَتُهْلِكُهُمْ، فَنَفَى النَّبِيُّ ﷺ زَعْمَ الْعَرَبِ بِقَوْلِهِ: «**لَا غُولَ**» [رواه مسلم].

فَقَوْلُهُ ﷺ: «**لَا غُولَ**» لَيْسَ نَفْيًا لِعَيْنِ الْغُولِ وَوُجُودِهِ، وَإِنَّمَا فِيهِ إِبْطَالُ زَعْمِ الْعَرَبِ فِي تَلَوُّنِهِ بِالصُّوَرِ الْمُخْتَلِفَةِ وَاغْتِيَالِهِ. فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُضِلَّ أَحَدًا، فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «**لَا غُولَ**»، نَفْيُ وُجُودِهَا، بَلْ نَفْيُ مَا زَعَمَتْ الْعَرَبُ مِمَّا لَمْ يَثْبُتْ مِنَ الشَّرْعِ.

(وَهِيَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ) أَيْ مُعْتَادَةٌ لَهُ وَمُوَاظِبَةٌ عَلَيْهِ. (وَلَا غَيْرُهُ) أَيْ مِمَّا يَضُرُّك.

(صَدَقَتْ وَهِيَ كَذُوبٌ) هُوَ مِنَ التَّتْمِيمِ الْبَلِيغِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا أَوْهَمَ مَدْحَهَا بِوَصْفِهَا بِالصِّدْقِ فِي قَوْلِهِ (صَدَقَتْ) اِسْتَدْرَكَ نَفْيَ الصِّدْقِ عَنْهَا بِصِيغَةِ مُبَالَغَةٍ، وَالْمَعْنَى صَدَقَتْ فِي هَذَا الْقَوْلِ مَعَ أَنَّهَا عَادَتُهَا الْكَذِبُ الْمُسْتَمِرُّ، وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ: قَدْ يَصْدُقُ الْكَذُوبُ.



١٣٤- دروس وعبر من قصة طالوت وجالوت

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة].

حماسٌ نظريٌّ للجهاد:

قصَّ على نبيه ﷺ قصة الملأ من بني إسرائيل وهم الأشراف والرؤساء، وخص الملأ بالذكر، لأنهم في العادة هم الذين يبحثون عن مصالحهم ليتفقوا فيتبعهم غيرهم على ما يرونه، وذلك أنهم أتوا إلى نبي لهم بعد موسى عليه السلام فاجتمع الملأ من بني إسرائيل - من كبرائهم وأهل الرأي فيهم - إلى نبي لهم، ولم يَرِدْ في السياق ذِكْرُ اسمه، لأنه ليس المقصود بالقصة، وذكره هنا لا يزيد شيئا في إيحاء القصة، وقد كان لبني إسرائيل كثرة من الأنبياء يتتابعون في تاريخهم الطويل.

لقد اجتمعوا إلى نبي لهم، وقالوا له: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ أي: عيِّن لنا ملكًا ﴿نُّقَٰتِلْ﴾ تحت إمرته ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهذا التحديد منهم لطبيعة القتال، وأنه ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يدل على انتفاضة العقيدة في قلوبهم، ويقظة الإيمان في نفوسهم، وشعورهم بأنهم أهل دين وعقيدة وحق، وأن أعداءهم على ضلالة وكفر وباطل ووضوح الطريق أمامهم للجهاد في سبيل اللّه.

وهذا الوضوح وهذا الحسم هو نصف الطريق إلى النصر، فلا بد للمؤمن أن يتضح في حسه أنه على الحق وأن عدوه على الباطل ولا بد أن يتجرد في حسه الهدف ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. فلا يغشيه الغبش الذي لا يدري معه إلى أين يسير.

﴿نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ليجتمع متفرقُنا ويقاوَم بنا عدُوُّنا، ولعلهم في ذلك الوقت ليس لهم رئيس يجمعهم، كما جرت عادة القبائل أصحاب البيوت، كل بيت لا يرضى أن يكون من البيت الآخر رئيس، فالتمَسُوا من نبيهم تعيين ملك يرضي الطرفين ويكون تعيينه خاصًا لعوائدهم، وكانت أنبياء بني إسرائيل

تسوسهم، كلما مات نبي خلفه نبي آخر.

فلما قالوا لنبيهم تلك المقالة أراد نبيهم أن يستوثق من صدق عزيمتهم، وثبات نيتهم، وتصميمهم على النهوض بالتبعة الثقيلة، وجدّهم فيما يعرضون عليه من الأمر ﴿قَالَ﴾ لهم نبيهم ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ أي: لعلكم تطلبون شيئًا وهو إذا كتب عليكم لا تقومون به، فعرض عليهم العافية فلم يقبلوها، واعتمدوا على عزمهم ونيتهم، ألَا يُنتظَر أن تنكلوا عن القتال إن فرض عليكم؟ فأنتم الآن في سعة من الأمر، فأما إذا استجبت لكم، فتقرر القتال عليكم فتلك فريضة إذن مكتوبة ولا سبيل بعدها إلى النكول عنها. إنها الكلمة اللائقة بنبي، والتأكد اللائق بنبي، فما يجوز أن تكون كلمات الأنبياء وأوامرهم موضع تردد أو عبث أو تراخٍ.

وهنا ارتفعت درجة الحماسة والفورة وذكر الملأ أن هناك من الأسباب الحافزة للقتال في سبيل اللّه ما يجعل القتال هو الأمر المتعين الذي لا تردد فيه: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ أيْ: أيُّ شيء يمنعنا من القتال وقد أُلْجِئْنَا إليه، بأن أخرِجْنا من أوطاننا وسُبِيَتْ ذرارينا، فهذا موجبٌ لكَوْنِنا نقاتل ولو لم يُكْتَب علينا، فكيف مع أنه فُرِضَ علينا وقد حصل ما حصل.

إن الأمر واضح، إن أعداءهم أعداء اللّه ولدين اللّه، وقد أخرجوهم من ديارهم وسَبَوْا أبناءهم، فقتالهم واجب والطريق الواحدة التي أمامهم هي القتال ولا ضرورة إلى المراجعة في هذه العزيمة أو الجدال.

ولكن هذه الحماسة الفائرة في ساعة الرخاء لم تَدُم، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾. فجَبُنُوا عن قتال الأعداء وضعُفُوا عن المصادمة، وزال ما كانوا عزموا عليه، واستولى على أكثرهم الخور والجبن ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾

فعصمهم الله وثبتهم وقوى قلوبهم فالتزموا أمر الله ووطنوا أنفسهم على مقارعة أعدائه، فحازوا شرف الدنيا والآخرة، وأما أكثرهم فظلموا أنفسهم وتركوا أمر الله، فلهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

وهنا نطلع على سمة خاصة من سمات إسرائيل في نقض العهد، والنكث بالوعد، والتفلت من الطاعة، والنكوص عن التكليف، وتفرق الكلمة، والتولي عن الحق البَيِّن، ولكن هذه كذلك سمة كل جماعة لا تنضج تربيتها الإيمانية فهي سمة بشرية عامة لا تغير منها إلا التربية الإيمانية العالية الطويلة الأمد العميقة التأثير، وهي - من ثم - سمة ينبغي للقيادة أن تكون منها على حذر، وأن تحسب حسابها في الطريق الوعر، كي لا تُفَاجَأ بها، فيتعاظمها الأمر! فهي متوقعة من الجماعات البشرية التي لم تخلص من الأوشاب، ولم تصهر ولم تطهر من هذه العقابيل.

والتعقيب على هذا التولي: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وهو يدل على الاستنكار ووَصْم الكثرة التي تولت عن هذه الفريضة - بعد طلبها - وقبل أن تواجه الجهاد مواجهة عملية، وصمها بالظلم، فهي ظالمة لنفسها وظالمة لنبيها، وظالمة للحق الذي خذلَتْه وهي تعرف أنه الحق، ثم تتخلى عنه للمبطلين! إن الذي يعرف أنه على الحق، وأن عدوه على الباطل - كما عرف الملأ من بني إسرائيل وهم يطلبون أن يبعث لهم نبيهم ملكا ليقاتلوا ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، ثم يتولى بعد ذلك عن الجهاد ولا ينهض بتبعة الحق الذي عرفه في وجه الباطل الذي عرفه، إنما هو من الظالمين المجزيين بظلمهم. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

اعتراض بني إسرائيل على تملك طالوت لهم:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ

ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾.

﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ﴾ مجيبًا لطلبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ﴾ فكان هذا تعيينا من الله الواجب عليهم فيه القبول والانقياد وترك الاعتراض، ولكن أَبَوْا إلا أن يعترضوا، ف ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ﴾ أي: كيف يكون ملكا وهو دوننا في الشرف والنسب ونحن أحق بالملك منه، ومع هذا فهو فقير ليس عنده ما يقوم به الملك من الأموال، وهذا بناء منهم على ظن فاسد، وهو أن المُلك ونحوه من الولايات مستلزم لشرف النسب وكثرة المال، ولم يعلموا أن الصفات الحقيقية التي توجب التقديم مقدمة عليها.

فلهذا قال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ فلزمكم الانقياد لذلك ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ﴾ أي: فضَّله عليكم بالعلم والجسم، أي: بقوة الرأي والجسم اللذين بهما تتم أمور الملك، لأنه إذا تم رأيه وقوي على تنفيذ ما يقتضيه الرأي المصيب، حصل بذلك الكمال، ومتى فاته واحد من الأمرين اختل عليه الأمر، فلو كان قوي البدن مع ضعف الرأي، حصل في الملك خرق وقهر ومخالفة للمشروع، قوة على غير حكمة، ولو كان عالمًا بالأمور وليس له قوة على تنفيذها لم يفده الرأي الذي لا ينفذه شيئًا.

﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ الفضل كثير الكرم، لا يَخُصُّ برحمته وبره العام أحدا عن أحد، ولا شريفا عن وضيع، ولكنه مع ذلك ﴿عَلِيمٞ﴾ بمَن يستحق الفضل فيضعه فيه، فأزال بهذا الكلام ما في قلوبهم من كل ريب وشك وشبهة؛ لتبْيينِه أن أسباب الملك متوفرة فيه، وأن فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، ليس له رَادٌّ، ولا لإحسانه صَادٌّ.

في هذه اللجاجة تتكشف سمة من سمات إسرائيل التي وردت الإشارات إليها كثيرة في هذه السورة. لقد كان مطلبهم أن يكون لهم ملك يقاتلون تحت لوائه. ولقد قالوا: إنهم يريدون أن يقاتلوا ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. فها هم أولاء يجادلون في اختيار اللّه لهم كما أخبرهم نبيهم ويستنكرون أن يكون طالوت - الذي بعثه اللّه لهم - ملكا عليهم، لماذا؟ لأنهم أحق بالملك منه بالوراثة، فلم يكن من نسل الملوك فيهم! ولأنه لم يؤت سعة من المال تبرر التغاضي عن أحقية الوراثة!.

وكل هذا غبش في التصور، كما أنه من سمات بني إسرائيل المعروفة.

ولقد كشف لهم نبيهم عن أحقيته الذاتية، وعن حكمة اللّه في اختياره: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

إنه رجل قد اختاره اللّه ﷻ فهذه واحدة. ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ﴾، وهذه أخرى، ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ فهو ملكه، وهو صاحب التصرف فيه، وهو يختار من عباده من يشاء. ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، ليس لفضله خازن وليس لعطائه حد، وهو الذي يعلم الخير ويعلم كيف توضع الأمور في مواضعها. وهي أمور من شأنها أن تصحح التصور المشوش، وأن تجلو عنه الغبش.

آية حِسِّيّة:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

ثم ذكر لهم نبيهم أيضًا آيةً حِسِّيّة يشاهدونها وهي إتيان التابوت الذي قد

فقـدوه زمانًا طويلًا وفي ذلك التابوت سـكينة تسـكن بها قلوبهـم، وتطمئن لها خواطرهـم، وفيه بقية مما ترك آل موسـى وآل هارون عليهما السلام، فأتت به الملائكة حاملة له وهم يرونه عيانًا.

امتحان ونتيجته:

أعـد طالوت جيشـه ممن لم يتولوا عـن فريضة الجهاد، ولـم ينكصوا عن عهدهـم مع نبيهم مـن أول الطريـق، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

أي: لمـا تملَّـك طالوت ببني إسـرائيل واسـتقر لـه الملك تجهـزوا لقتال عدوهم، فلما فصل طالوت بجنود بني إسرائيل وكانوا عددا كثيرًا وجمًّا غفيرًا، امتحنهـم بأمر الله ليتبين الثابـت المطمئن ممن ليس كذلك، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ فهـو عـاصٍ ولا يتبعنا لعدم صبره وثباته ولمعصيته ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ أي: لم يشـرب منه ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ فإنه مني ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ﴾ فلا جناح عليه في ذلك، ولعل الله أن يجعل فيها بركة فتكفيه.

وفي هذا الابتلاء ما يدل على أن الماء قد قل عليهم ليتحقق الامتحان، فعصى أكثرهم وشـربوا من النهر الشُّـرْبَ المنهي عنه، ورجعوا على أعقابهم ونكصوا عـن قتال عدوهم وكان في عدم صبرهم عن الماء سـاعة واحدة أكبر دليل على عـدم صبرهم على القتال الذي سـيتطاول وتحصل فيه المشـقة الكبيرة، وكان في رجوعهم عن باقي العسـكر ما يزداد به الثابتون توكلًا على الله عز وجل، وتضرعًا

واستكانةً وتبرؤًا من حولهم وقوتهم، وزيادة صبر لقلتهم وكثرة عدوهم.

فلهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾ أي: النهر ﴿هُوَ﴾ أي: طالوت ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ وهم الذين أطاعوا أمر الله ولم يشربوا من النهر الشرب المنهي عنه فرأوا قلتهم وكثرة أعدائهم، ﴿قَالُواْ﴾ أي: قال كثير منهم ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ﴾ لكثرتهم وعَددهم وعُدَدهم. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ أي: يستيقنون ذلك، وهم أهل الإيمان الثابت واليقين الراسخ، مثبتين لباقيهم ومطمئنين لخواطرهم، وآمرين لهم بالصبر:

﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: بإرادته ومشيئته فالأمر لله تعالى، والعزيز من أعزه الله، والذليل من أذله الله، فلا تُغْنِي الكثرة مع خذلانه، ولا تضر القلة مع نَصْرِه، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالنصر والمعونة والتوفيق، فأعظم جالب لمعونة الله صبر العبد لله، فوقعت موعظته في قلوبهم وأثّرتْ معهم.

هنا يتجلى لنا مصداق حكمة اللّه في اصطفاء هذا الرجل، إنه مُقْدِمٌ على معركة ومعه جيش من أمة مغلوبة، عرفت الهزيمة والذل في تاريخها مرة بعد مرة، وهو يواجه جيش أمة غالبة فلا بد إذن من قوة كامنة في ضمير الجيش تقف به أمام القوة الظاهرة الغالبة، هذه القوة الكامنة لا تكون إلا في الإرادة، الإرادة التي تضبط الشهوات والنزوات، وتصمد للحرمان والمشاق، وتستعلي على الضرورات والحاجات، وتؤثر الطاعة وتحتمل تكاليفها، فتجتاز الابتلاء بعد الابتلاء.

فلا بد للقائد المختار إذن أن يَبْلُوَ إرادة جيشه، وصموده وصبره: صموده أولا للرغبات والشهوات، وصبره ثانيًا على الحرمان والمتاعب. واختار هذه

التجربـة ليعلـم من يصبر معه ممن ينقلب على عقبيـه، ويؤثر العافية، وصحت فراسته: ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.

شـربوا وارتـووا، فقـد كان أباح لهم أن يغـترف منهم من يريـد غرفة بيده، تبـل الظمـأ ولكنهـا لا تدل علـى الرغبـة في التخلـف! وانفصلوا عنـه بمجرد استسـلامهم ونكوصهم، انفصلوا عنه لأنهم لا يصلحـون للمهمة الملقاة على عاتقـه وعاتقهم، وكان من الخير ومن الحزم أن ينفصلوا عن الجيش الزاحف، لأنهم بذرة ضعف وخذلان وهزيمة، والجيوش ليسـت بالعدد الضخم، ولكن بالقلب الصامد، والإرادة الجازمة، والإيمان الثابت المستقيم على الطريق.

ودلت هذه التجربة على أن النية الكامنة وحدها لا تكفي ولا بد من التجربة العمليـة، ومواجهة واقع الطريق إلى المعركـة قبل الدخول فيها، ودلت كذلك علـى صلابة عود القائـد المختار الذي لم يهزه تخلـف الأكثرية من جنده عند التجربة الأولى. بل مضى في طريقه.

وهنا كانت التجربة قد غربلت جيش طالوت - إلى حد - ولكن التجارب لـم تكن قد انتهت بعد: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ لقـد صـاروا قلـة، وهـم يعلمون قـوة عدوهم وكثرته: بقيادة جالوت. إنهم مؤمنون لم ينكصوا عن عهدهم مع نبيهم. ولكنهم هنا أمام الواقع الذي يرونه بأعينهم فيحسون أنهم أضعف من مواجهته.

إنهـا التجربة الحاسـمة، تجربـة الاعتزاز بقـوة أخرى أكبر من قـوة الواقع المنظـور، وهـذه لا يصمد لهـا إلا من اكتمل إيمانهـم، فاتصلـت بالله قلوبهم وأصبحت لهم موازين جديدة يسـتمدونها من واقع إيمانهم، غير الموازين التي يستمدها الناس من واقع حالهم!

وهنـا برزت الفئـة المؤمنة، الفئة القليلـة المختارة. والفئـة ذات الموازين

الربانيـة: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، هكـذا، ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ﴾، بهـذا التكثيـر، فهذه هي القاعدة في حس الذين يوقنون أنهـم ملاقـو اللّه. القاعـدة: أن تكون الفئـة المؤمنة قليلة لأنها هـي التي ترتقي الدرج الشـاق حتى تنتهي إلى مرتبة الاصطفاء والاختيار، ولكنها تكون الغالبة لأنها تثق بنصر الله القوى، واللّه هو الغالب على أمره، القاهر فوق عباده، الذي حطم الجبارين، وأخزى الظالمين وقهر المتكبرين.

وهم يكلون هـذا النصر لله: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾، ويعللونه بعلته الحقيقية: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، فيدلـون بهـذا كله على أنهم المختارون مـن اللّه لمعركة الحق الفاصلة بين الحق والباطل.

المواجهة مع العدو، واللجوء إلى اللّه قبل المعركة:

ونمضي مع القصة، فإذا الفئة القليلة الواثقة بلقاء اللّه، التي تستمد صبرها كله من اليقين بهذا اللقاء، وتستمد قوتها كلها من اللّه، وتستمد يقينها كله من الثقة في اللّه، وأنه مع الصابرين.

إذا هـذه الفئـة القليلـة الواثقة الصابرة الثابتـة، التي لم تزلزلهـا كثرة العدو وقوتـه مع ضعفهـا وقلتها، إذا هذه الفئـة هي التي تقرر مصيـر المعركة بعد أن تجدد عهدها مع اللّه، وتتجه بقلوبها إليه، وتطلب النصر منه وحده، وهي تواجه الهول الرعيب ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ﴾ جميعهم ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ أي: قَوِّ قلوبنا، وأوزِعْنا الصبر، ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ وهو تعبير يصور مشهد الصبر فيضًا من اللّه يفرغه عليهم فيغمرهم، وينسكب عليهم سكينة وطمأنينة واحتمالا للهول والمشقة. ﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ ثبِّتْ أقدامنا عن التزلزل والفرار، يثبتها الله ﷻ فلا تتزحزح ولا تتزلزل ولا تميد.

﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ من هاهنا نعلم أن جالوت وجنوده كانوا كفارًا، فاستجاب الله لهم ذلك الدعاء لإتيانهم بالأسباب الموجبة لذلك، ونصرهم عليهم ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ فقد وضح الموقف. إيمان تجاه كفر. وحق إزاء باطل، ودعوة إلى اللّه لينصر أولياءه المؤمنين على أعدائه الكافرين، فلا تلجلج في الضمير، ولا غبش في التصور، ولا شك في سلامة القصد ووضوح الطريق.

وكانت النتيجة هي التي ترقبوها واستيقنوها: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾.

﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ وقد مرت هاتان الكلمتان من قبل؛ فقد ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

ويؤكد النص هذه الحقيقة: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾؛ ليعلمها المؤمنون أو ليزدادوا بها علمًا، وليتضح التصور الكامل لحقيقة ما يجري في هذا الكون، ولطبيعة القوة التي تجريه، إن المؤمنين ليس لهم من الأمر شيء، ولا حول لهم ولا قوة ولكن اللّه يختارهم لتنفيذ مشيئته، فيكون منهم ما يريده بإذنه، وهي حقيقة خليقة بأن تملأ قلب المؤمن بالسلام والطمأنينة واليقين، إنه عبد اللّه، اختاره اللّه لدوره، وهذه منة من اللّه وفضل، وهو يؤدي هذا الدور المختار، ويحقق قدر اللّه النافذ، ثم يكرمه اللّه - بعد كرامة الاختيار - بفضل الثواب، ولولا

فضـل اللّـه ما فعل، ولـولا فضل اللّه مـا أثيب، ثم إنه مستيقن من نبـل الغاية وطهـارة القصد ونظافة الطريق. فليس له في شـيء من هـذا كله أرب ذاتي، إنما هو منفذ لمشـيئة اللّه الخيرة قائم بما يريد. استحق هذا كله بالنية الطيبة والعزم على الطاعة والتوجه إلى اللّه بإخلاص.

داود عليه السلام يقتل جالوت:

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ﴾ عليه السلام، وكان مـع جنود طالوت، ﴿جَالُوتَ﴾ أي: باشـر قتل ملك الكفار بيده لشجاعته وقوته وصبره ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ أي: آتى الله داود ﴿ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: منَّ عليه بتمَلُّكه على بني إسـرائيل مع الحكمة، وهي النبوة المشتملة على الشرع العظيم والصراط المستقيم.

ولهذا قال ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ من العلوم الشـرعية والعلوم السياسية، فجمع الله له الملك والنبوة، وقد كان من قبله من الأنبياء يكون الملك لغيرهم، فلمـا نصرهم الله تعالى اطمأنوا في ديارهـم وعبدوا الله آمنين مطمئنين لخذلان أعدائهم وتمكينهم من الأرض، وهذا كله من آثار الجهاد في سبيله، فلو لـم يكن لـم يحصل ذلك.

وقد قَدَّر الله عز وجل أن يكون داود هو الذي يتسـلم الملك بعد طالوت، ويرثه ابنه سـليمان، فيكون عهده هو العهد الذهبي لبني إسرائيل في تاريخهم الطويل جزاء انتفاضة العقيدة في نفوسهم بعد الضلال والانتكاس والشرود: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾، وكان داود ملِكا نبيًّا.

سنة من سنن اللّه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: لـولا أنـه يدفع بمن يقاتل في سـبيله كيـد الفجار وتكالب الكفار لفسـدت الأرض باسـتيلاء الكفار عليها وإقامتهم شـعائر الكفر ومَنْعِهـم من عبادة الله،

وإظهار دينه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حيث شرع لهم الجهَاد الذي فيه سعادتهم والمدافعة عنهم ومكنهم من الأرض بأسباب يعلمونها، وأسباب لا يعلمونها.

إن الغاية العليا من قتال الكفار ليست المغانم والأسلاب، وليست الأمجاد والهالات، إنما هو الصلاح في الأرض، وإنما هو التمكين للخير بالكفاح مع الشر: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

الرسول والرسالة:

ثم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالصِّدْق الذي لا ريب فيها المتضمن للاعتبار والاستبصار وبيان حقائق الأمور ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فهذه شهادة من الله لرسوله ﷺ برسالته التي مِن جملة أدلتها ما قصه الله عليه من أخبار الأمم السالفين والأنبياء عليهم السلام وأتباعهم وأعدائهم التي لولا خبر الله إياه لما كان عنده بذلك علم بل لم يكن في قومه مَن عنده شيء من هذه الأمور، فدل أنه ﷺ رسول الله حقًّا ونبيه صدقًا الذي بعثه بالحق ودين الحق ليُظْهِرَه على الدين كله ولو كره المشركون.

آيات وعبر من القصة:

في هذه القصة من الآيات والعبر ما يتذكر به أولو الألباب، فمنها:

• أن اجتماع أهل الكلمة والحل والعقد وبحثهم في الطريق الذي تستقيم به أمورهم وفهمه، ثم العمل به، أكبر سبب لارتقائهم وحصول مقصودهم، كما وقع لهؤلاء الملأ حين راجعوا نبيهم في تعيين مَلِكٍ تجتمع به كلمتهم ويلم متفرقهم، وتحصل له الطاعة منهم.

• أن الحق كلما عُورِض وأورِدَتْ عليه الشُبَه ازداد وضوحًا وتميز وحصل

بـه اليقين التام كما جرى لهؤلاء، لما اعترضوا على استحقاق طالوت للملك أجيبوا بأجوبة حصل بها الإقناع وزوال الشبه والريب.

• أن العلم والرأي مع القوة المنفَّذة بهما كمال الولايات، وبفَقْدِهما أو فَقْدِ أحدهما نقصانها وضررها.

• أن الاتكال على النفس سبب الفشل والخذلان، والاستعانة بالله والصبر والالتجاء إليه سبب النصر، فالأول كما في قولهم لنبيهم ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ﴾ فكأنه نتيجة ذلك أنه ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ﴾، والثاني في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾.

• أن من حكمة الله تعالى تمييز الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب، والصابر من الجبان، وأنه لم يكن ليذر العباد على ما هم عليه من الاختلاط وعدم التمييز.

• أن من رحمته وسننه الجارية أن يدفع ضرر الكفار والمنافقين بالمؤمنين المقاتلين، وأنه لولا ذلك لفسدت الأرض باستيلاء الكفر وشعائره عليها.



١٣٥- يا عباد الله فاثبتوا [(١)]

أهمية الثبات وحاجتنا إليه:

إن الثبـات علـى ديـن الله مطلب أساسـي لكل مسـلم صادق يريد سـلوك الصراط المسـتقيم بعزيمة ورشـد، فالمسـلم يحتاج إلى الثبات في حياته حتى مماتـه، لأنه بذلك يسـير إلـى ربه بتوفيق منـه، وتكمن أهمية الثبـات في النقاط التالية:

١- وضع المجتمعات الحالية التي يعيش فيها المسلمون، وكثرة الشهوات والشبهات التي تقذف بإغراءاتها، وكثرة الفتن والمغريات التي بنارها يكتوون، التي بسببها أضحى الدين غريبًا، فنال المتمسكون به مثلًا عجيبًا (القابض على دينه كالقابض على الجمر).

ولا شـك عنـد كل ذي لب أن حاجة المسـلم اليوم لوسـائل الثبات أعظم من حاجة أخيه أيام السـلف، والجهد المطلوب لتحقيقه أكبر؛ لفسـاد الزمان، وضعف المعين، وقلة الناصر.

٢- كثرة الانتكاسات عن الالتزام بالدين حتى بين بعض العاملين للإسلام ممـا يحْمِل المسـلم علـى الخوف من أمثال تلـك المصائر، ويتلمس وسـائل الثبات للوصول إلى برٍّ آمن.

٣- ارتباط الموضوع بالقلب؛ الذي يقول النبي ﷺ في شـأنه: «**إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْـبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَـةٍ بِالْفَلَاةِ تَعَلَّقَتْ فِي أَصْلِ شَـجَرَةٍ**

---

(١) هـذه الخطبـة والتـي بعدها من كتاب: وسـائل الثبات على دين الله، للشـيخ محمـد صالح المنجد، وكتاب: واجب المسلم عند الفتن، أزمة ومواقف. لباسل بن سعود الرشود.

تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ» [رواه الطبراني، وصححه الألباني]. (مِنْ تَقَلُّبِهِ) أي: لأجل تَقَلُّبه سمي قلبًا.

والقلب شديد التقلب كما وصفه النبي ﷺ بقوله: «**لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلَيَانًا**» [رواه ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الألباني]، فتثبيت هذا المتقلب برياح الشهوات والشبهات أمر خطير يحتاج لوسائل جبارة تكافئ ضخامة المهمة وصعوبتها.

٤- أن من أشد ما يثبت العبد على الصراط المستقيم يوم القيامة هو ثباته في الحياة الدنيا، لذلك فإن الإنسان مأمور بثبات المنهج والمعتقد والديانة، وتبديله هو خذلان له يوم تبدل الأرض والسموات، بدليل قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٦- تكالب الأمم على الأمة الإسلامية، مما يجعل ضعاف النفوس أشد انقلابًا وانتكاسًا وهوانًا، واضمحلال الهوية الإسلامية لدى المسلمين، مما يجعل المؤمن الصادق لربه يستوحش لقلة السالكين، ويتخاذل إذا طلب المعين.

٧- انفتاح الحضارات واستيراد التقنية والاختراعات من العقول الكافرة ممزوجة ببعض المنكرات أو العقائد، مما يجعل المسلم الموحد فاترًا في التخلص منها غير حريص عن البحث بالآلة الخالية من المحاذير أو المنكرات، مما يفتح للشخص بابًا للشر، وينزع منه الخوف من المعاصي.

٨- كثرة المجاهرة بالمعاصي؛ مما يزيد من احتمال تأثر المؤمن بها من حيث لا يريد، فتكون الرقائق بمثابة الوقود التي تعطي المسلم طاقة في مواجهة هذه المنكرات.

أدلة الثبات الواردة في السنة:

١- عَنْ أَنَسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِى عَلَى دِينِكَ**». فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا»، قَالَ: «**نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»، [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

٢- وعن مُعَاذِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِى كَعْبٍ عن شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ أنه قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمَةَ: «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟». قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِى عَلَى دِينِكَ**». قَالَتْ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِى عَلَى دِينِكَ؟». قَالَ: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِىٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ**».

فَتَلاَ مُعَاذٌ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران: ٨] [رواه الترمذي، وحسّنه الألباني].

فإن كان النبي ﷺ يكثر من دعاء الثبات وهو رسولٌ من عند الله مرتبط برباط وثيق، فمن كان دونه مِن باب أَوْلَى، ولا أحدَ مثلُ الأنبياء عليهم السلام.

٣- عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**» [رواه مسلم].

فالقلب كما وصفه النبي ﷺ شديد التقلب، لا يأمنه إلا جاهل فطلب الثبات ينبغي أن يكون مطلبًا لكل مسلم.

٤ - عَـنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَـمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَـدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِى طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: «**مَا شَـأْنُكُمْ**». قُلْنَا: «يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِى طَائِفَةِ النَّخْلِ».

فَقَـالَ: «**غَيْـرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِـى عَلَيْكُمْ؟ إِنْ يَخْـرُجْ وَأَنَا فِيكُـمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُـمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْـتُ فِيكُـمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِـهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّى أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ؛ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا**» [رواه مسلم].

(فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ) هُوَ بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ فِيهِمَا، وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا أَنَّ خَفَّضَ بِمَعْنَى حَقَّرَ، وَقَوْلُهُ رَفَّعَ أَيْ عَظَّمَهُ وَفَخَّمَهُ، فَمِنْ تَحْقِيرِهِ أَنَّـهُ لايقـدر عَلَى قَتْلِ أَحَـدٍ إِلَّا ذَلِكَ الرَّجُلَ ثُمَّ يَعْجِـزُ عَنْهُ، وَأَنَّـهُ يَضْمَحِلُّ أَمْرُهُ وَيُقْتَلُ بَعْدَ ذَلِكَ هُوَ وَأَتْبَاعُهُ، وَمِنْ تَفْخِيمِهِ وَتَعْظِيمِ فِتْنَتِهِ وَالْمِحْنَةِ بِهِ هَذِهِ الْأُمُورُ الْخَارِقَةُ لِلْعَادَةِ وَأَنَّهُ ما مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُ خَفَّضَ مِنْ صَوْتِهِ فِي حَالِ الْكَثْرَةِ فِيمَا تَكَلَّمَ فِيهِ فَخَفَّضَ بَعْدَ طُولِ الْكَلَامِ وَالتَّعَبِ لِيَسْتَرِيحَ ثُمَّ رَفَعَ لِيَبْلُغَ صَوْتُهُ كُلَّ أَحَدٍ.

(غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ) مَعْنَى الْحَدِيثِ فِيهِ أَوْجُهٌ أَظْهَرُهَا أَنَّهُ مِنْ أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ وَتَقْدِيرُهُ: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ مُخُوفَاتِي عَلَيْكُمْ.

وَالثَّانِي: بِأَنْ يَكُونَ أَخْوَفُ مِنْ أَخَافَ بِمَعْنَى خَوْفٍ وَمَعْنَاهُ غَيْرُ الدَّجَّالِ أَشَدُّ مُوجِبَاتِ خَوْفِي عَلَيْكُمْ.

وَالثَّالِـثُ: أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ وَصْـفِ الْمَعَانِي بِمَا يُوصَفُ بِـهِ الْأَعْيَانُ عَلَى

سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ كَقَوْلِهِمْ فِي الشِّعْرِ الْفَصِيحِ شِعْرُ شَاعِرٍ، وَخَوْفُ فُلَانٍ أَخْوَفُ مِنْ خَوْفِكَ، وَتَقْدِيرُهُ خَوْفُ غَيْرِ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ خَوْفِي عَلَيْكُمْ.

(إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ) - بِفَتْحِ الْقَافِ وَالطَّاءِ - أَيْ شَدِيدُ جُعُودَةِ الشَّعْرِ.

(إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ) خَلَّةً: مَا بَيْنَ البلدين، أي الطَّرِيقِ بَيْنَهُمَا.

(فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا) الْعَيْثُ الْفَسَادُ، أَوْ أَشَدُّ الْفَسَادِ وَالْإِسْرَاعِ فِيهِ يُقَالُ مِنْهُ عَاثَ يَعِيثُ.

في هذا الحديث حينما ذكر النبي ﷺ أحاديث الفتن في آخر الزمان، ومنها خروج الدجال، أوصى الصحابة رضي الله عنهم بالثبات بصيغة الأمر، وهذا يدل على أهمية الثبات في كل حين.

٥- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

يبين هذا الحديث أنه سيأتي زمن تكثر فيه الفتن والشهوات والشبهات فيصبح المتمسك على الحق كالقابض على الجمر، تصويرًا لما يبتلى به في ذلك الزمان.

٦- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالْمَالِ. (رواه مسلم).

(الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ): هُوَ الرُّجُوعُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ، أَوْ مِنَ الطَّاعَةِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ، أَوِ مِنَ الزِّيَادَةِ إِلَى النَّقْصِ، فالنبي ﷺ كان من دعائه في السفر مع تبدل الديار والمجتمع على المرء أثناء سفره وغربته أن لا يحور عن هدايته واستقامته.

٧- عَـنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَـالَ: «**بَـادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**». [رواه مسلم].

مَعْنَـى الْحَدِيـثِ الْحَثُّ عَلَى الْمُبَـادَرَةِ إِلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَـةِ قَبْلَ تَعَذُّرِهَا وَالِاشْـتِغَالِ عَنْهَـا بِمَا يَحْدُثُ مِـنَ الْفِتَنِ الشَّـاغِلَةِ الْمُتَكَاثِـرَةِ الْمُتَرَاكِمَةِ كَتَرَاكُمِ ظَـلَامِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ لَا الْمُقْمِرِ. وَوَصَفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَوْعًا مِنْ شَـدَائِدِ تِلْكَ الْفِتَنِ وَهُوَ أَنَّهُ يُمْسِـي مُؤْمِنًا ثُمَّ يُصْبِحُ كَافِرًا أَوْ عَكْسُـهُ - شَـكَّ الرَّاوِي - وَهَذَا لِعِظَمِ الْفِتَنِ يَنْقَلِبُ الْإِنْسَانُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ هَذَا الِانْقِلَابَ.

وهذا يدل على أن الأعمال الصالحة مِن أكبر مقومات الهداية والثبات.

٨- عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قُلتُ: «يا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ»، قال: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**» [رواهُ مُسلم].

طلب سـفيان بـن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يُعلمـه كلامًا جامعًا لأمر الإسلام كافيًا حتّى لا يحتاجَ بعدَه إلى غيره، فقدم له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوابًا يوازي ما طلب فقال له، أن تقر وتؤمن بالله، وتستقيم وتثبت على ذلك.

ومن تأمل في أحاديث الفتن وجد فيها الإرشاد الواضح، والتبيين الساطع، للزوم عتبـة العبادة عن احتدام الفتن واضطراب النـاس، وأن يطلب المرء من ربه الثبات على الطاعة والعبادة، وأن يبحث عن الأسباب التي تعين المرء على الطاعة.

الوسائل التي تعين المرء على الثبات:

وسائل الثبات:

أولًا: الإقبال على القرآن:

القـرآن العظيـم وسـيلة الثبـات الأولـى، وهـو حبـل الله المتيـن، والنور

المبين، من تمسك به عصمه الله، ومن اتبعه أنجاه الله، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

نص الله على أن الغاية التي من أجلها أنزل هذا الكتاب منجمًا مفصلًا هي التثبيت، فقال تعالى في معرض الرد على شُبه الكفار: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان:٣٢].

لماذا كان القرآن مصدرًا للتثبيت ؟؟

• لأنه يزرع الإيمان ويزكي النفس بالصلة بالله.

• لأن تلك الآيات تتنزل بردًا وسلامًا على قلب المؤمن فلا تعصف به رياح الفتنة، ويطمئن قلبه بذكر الله.

• لأنه يزود المسلم بالتصورات والقيم الصحيحة التي يستطيع من خلالها أن يُقوِّم الأوضاع من حوله، وكذا الموازين التي تهيئ له الحكم على الأمور فلا يضطرب حكمه، ولا تتناقض أقواله باختلاف الأحداث والأشخاص.

• أنه يَرُدُّ على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين كالأمثلة الحية التي عاشها الصدر الأول.

ثانيًا: التزام شرع الله ﷻ والعمل الصالح:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

قال قتادة: «أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر»، وكذا روي عن غير واحد من السلف.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء: ٦٦] أي تثبيتًا على الحق، وهذا بيّن، و إلا فهل نتوقع ثباتًا من الكسالى القاعدين عن الأعمال الصالحة إذا أطلت الفتنة برأسها وادْلَهمّ الخطب؟!

ولكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم صراطًا مستقيما.

ولذلك كان ﷺ يثابر على الأعمال الصالحة، وكان أحب العمل إليه أدومه وإن قل، وكان أصحابه إذا عملوا عملًا أثبتوه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[يونس: ٩].

يقول تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: جمعوا بين الإيمان، والقيام بموجبه ومقتضاه من الأعمال الصالحة، المشتملة على أعمال القلوب وأعمال الجوارح، على وجه الإخلاص والمتابعة.

﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ ﴾ أي: بسبب ما معهم من الإيمان، يثيبهم الله أعظم الثواب، وهو الهداية، فيعلمهم ما ينفعهم، ويَمُنّ عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية، ويهديهم للنظر في آياته، ويهديهم في هذه الدار إلى الصراط المستقيم وفي الصراط المستقيم، وفي دار الجزاء إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم.

ولهذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ الجارية على الدوام ﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أضافها الله إلى النعيم، لاشتمالها على النعيم التام، نعيم القلب بالفرح والسرور، والبهجة والحبور، ورؤية الرحمن وسماع كلامه، والاغتباط برضاه وقُرْبِه، ولقاء الأحبة، والتمتع بالاجتماع بهم، ونعيم البدن بأنواع المآكل والمشارب، والمناكح ونحو ذلك، مما لا تعلمه النفوس، ولا خطر ببال أحد، أو قدر أن يصفه الواصفون.

ثالثًا: تدبر قصص الأنبياء ودراستها للتأسي والعمل:

والدليل على ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠].

فمـا نزلت تلك الآيات على عهد رسـول الله ﷺ للتلهـي والتفكه، وإنما لغرض عظيم هو تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ وأفئدة المؤمنين معه:

• فلـو تأملـت قـول الله تعَـالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾[الأنبيـاء]. ألا تشـعر بمعنى من معـاني الثبات أمـام الطغيان والعذاب يدخل نفسك وأنت تتأمل هذه القصة ؟

• لـو تدبـرت قـول الله ﷻ في قصـة موسـى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشـعراء]. ألا تحـس بمعنى آخر من معاني الثبات عند ملاحقة الطالبين، والثبات في لحظات الشـدة وسط صرخات اليائسين وأنت تتدبر هذه القصة؟

• لو اسـتعرضت قصة سحرة فرعون، ذلك المثل العجيب للثلة التي ثبتت علـى الحق بعدمـا تبين. ألا تـرى أن معنى عظيمًـا من معاني الثبات يسـتقر في النفـس أمام تهديـدات الظالم وهو يقـول: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه:٧١]. ثبات القلة المؤمنة الذي لا يشـوبه أدنى تراجع وهم يقولـون: ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه].

• وهكذا قصة المؤمن في سورة يس ومؤمن آل فرعون وأصحاب الأخدود وغيرها يكاد الثبات يكون أعظم دروسها قاطبة.

رابعًا: الدعاء:

مـن صفات عبـاد الله المؤمنين أنهـم يتوجهون إلى الله بالدعـاء أن يثبتهم: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[آل عمران: ٨].

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرًا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**» [رواه مسلم].

خامسًا: ذكر الله عز وجل: وهو من أعظم أسباب التثبيت:

تأمل في هذا الاقتران بين الأمرين في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال:٤٥]، فجعله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد، وتأمل أبدان فارس والروم كيف خانتهم أحوج ما كانوا إليها.

وبماذا استعان يوسف عليه السلام في الثبات أمام فتنة المرأة ذات المنصب والجمال لما دعته إلى نفسها ؟ ألم يدخل في حصن ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٢٣]، فتكسرت أمواج جنود الشهوات على أسوار حصنه؟ وكذا تكون فاعلية الأذكار في تثبيت المؤمنين.

سادسًا: الحرص على أن يسلك المسلم طريقًا صحيحًا:

والطريق الوحيد الصحيح الذي يجب على كل مسلم سلوكه هو طريق أهل السنة والجماعة، طريق الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، أهل العقيدة الصافية والمنهج السليم واتباع السنة والدليل، والتميز عن أعداء الله ومفاصلة أهل الباطل.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ**

فِـى النَّـارِ إِلاَّ مِلَّـةً وَاحِدَةً»، قَالُـوا: «وَمَنْ هِىَ يَا رَسُـولَ اللهِ»، قَالَ: «مَـا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِى»، [رواه الترمذي، وحسّنه الألباني].

وإذا أردت أن تعرف قيمة هذا في الثبات فتأمل واسـأل نفسـك: لماذا ضل كثيـر من السـابقين واللاحقيـن وتحيروا فـترى أحدهم يتنقل في منـازل البدع والضـلال، ولـم تثبـت أقدامهم على الصـراط المسـتقيم ولا ماتـوا عليه؟ أو وصلـوا إليه بعدما انقضَى جل عمرهم وأضاعـوا أوقاتًا ثمينة من حياتهم؟ فإن أردت الثبات فعليك بسبيل المؤمنين.

سابعًا: التربية:

التربيـة الإيمانيـة العلميـة الواعيـة المتدرجـة عامل أساسـي مـن عوامل الثبات.

التربيـة الإيمانية: التي تحيي القلب والضميـر بالخوف والرجاء والمحبة، المنافيـة للجفاف الناتج من البعد عن نصوص القرآن والسـنة، والعكوف على أقاويل الرجال.

التربيـة العلميـة: القائمة علـى الدليل الصحيـح المنافية للتقليـد والأمعية الذميمة.

التربية الواعية: التي تعرف سـبيل المجرمين وتدرس خطط أعداء الإسلام وتحيـط بالواقع علمًـا وبالأحداث فهمًا وتقويمًا، المنافيـة للانغلاق والتقوقع على البيئات الصغيرة المحدودة.

التربية المتدرجة: التي تسير بالمسلم شيئًا فشيئًا، ترتقي به في مدارج كماله بتخطيط موزون، والمنافية للارتجال والتسرع والقفزات المحطمة.

ولكي ندرك أهمية هذا العنصر من عناصر الثبات، فلنعد إلى سـيرة رسول الله ونسأل أنفسنا:

• ما هو مصدر ثبات صحابة النبي ﷺ في مكة، إبان فترة الاضطهاد ؟

• كيف ثبت بلال وخباب ومصعب وآل ياسر وغيرهم من المستضعفين وحتى كبار الصحابة في حصار الشِّعْب وغيره؟

• هل يمكن أن يكون ثباتهم بغير تربية عميقة من مشكاة النبوة، صقلت شخصياتهم ؟

• لنأخذ رجلًا صحابيًا مثل خباب بن الأرت رضي الله عنه، الذي كانت مولاته تحمي أسياخ الحديد حتى تحمر ثم تطرحه عليها عاري الظهر فلا يطفئها إلا شحم ظهره حين يسيل عليها، ما الذي جعله يصبر على هذا كله؟.

• وبلال رضي الله عنه تحت الصخرة في الرمضاء، وسمية في الأغلال والسلاسل.

• وسؤال منبثق من موقف آخر في العهد المدني، مَن الذي ثبت مع النبي ﷺ في حُنين لما انهزم أكثر المسلمين ؟ هل هم حديثو العهد بالإسلام ومُسلِمة الفتح الذين لم يتربوا وقتًا كافيًا في مدرسة النبوة والذين خرج كثير منهم طلبًا للغنائم؟ كلا، إن غالب من ثبت هم أولئك الصفوة المؤمنة التي تلقت قدرًا عظيمًا من التربية على يد رسول الله ﷺ.

• لو لم تكن هناك تربية ترى هل كان سيثبت هؤلاء؟

ثامنًا: الثقة بالطريق:

لا شك أنه كلما ازدادت الثقة بالطريق الذي يسلكه المسلم، كان ثباته عليه أكبر، ولهذا وسائل منها:

• استشعار أن الصراط المستقيم الذي تسلكه ليس جديدًا ولا وليد قرنك وزمانك، وإنما هو طريق قد سار فيه من قبلك الأنبياء والصديقون والعلماء والشهداء والصالحون، فتزول غربتك، وتتبدل وحشتك أنسًا، وكآبتك فرحًا وسرورًا، لأنك تشعر بأن أولئك كلهم أخوة لك في الطريق والمنهج.

• الشعور بالاصطفاء، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر:٣٢]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف:٦]. وكما أن الله اصطفى الأنبياء فللصالحين نصيب من ذلك الاصطفاء وهو ما ورثوه من علوم الأنبياء.

• ماذا يكون شعورك لو أن الله خلقك جمادًا، أو دابة، أو كافرًا ملحدًا، أو داعيًا إلى بدعة، أو فاسقًا، أو مسلمًا غير داعية لإسلامه، أو داعية في طريق متعدد الأخطاء ؟

• ألا ترى أن شعورك باصطفاء الله لك وأنْ جعلك داعية من أهل السنة والجماعة من عوامل ثباتك على منهجك وطريقك؟

أنا مسلمٌ، أنا مسلمٌ ... في شدّتي قبْلَ الرخاءْ
بعقيدتي الغراءِ أسمو ... سامقًا نحو السماءْ
دنيايَ رُوحي كلُّ شيءٍ ... في الحياة لها فداءْ
إن قال حيَّ على الجهاد ... تُجِبه صيحات الدماءْ
لو كنتُ أشلاءً ممزّقةً ... بأنْحاءِ الفضاءْ
لَم آلُ جَهداً في كفاح ... مُناصِبِ الدينِ العَداءْ
سنشُنّها حربًا ضروسًا ... في ثباتٍ وإباءْ
لتهبّ في الدنيا العريضةِ ... رِيحُ شرعتنا رُخَاءْ
فالموت أحْلى من حياةٍ ... كحَياةِ الجبناءْ
الله أكبر، ما ألَذّ ... الموت في ظل اللواء

١٣٦- الثبات مواطن وثمرات

تاسعًا: ممارسة الدعوة إلى الله ﷻ:

النفس إن لم تتحرك تأسن، وإن لم تنطلق تتعفن، ومن أعظم مجالات انطلاق النفس: الدعوة إلى الله، فهي وظيفة الرسل، ومخلصة النفس من العذاب؛ فيها تتفجر الطاقات، وتنجز المهمات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ [الشورى:١٥].

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ﴾ أي: فللدين القويم والصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتبه وأرسل رسله عليهم السلام، فادع إليه أمتك وحضّهم عليه، وجاهد عليه من لم يقبله، ﴿وَٱسۡتَقِمۡ﴾ بنفسك ﴿كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ أي: استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط ولا إفراط، بل امتثالًا لأوامر الله واجتنابا لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك، فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، وبتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك.

ومن المعلوم أن أمر الرسول ﷺ أمر لأمته إذا لم يَرِدْ تخصيص له.

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ أي: أهواء المنحرفين عن الدين، من الكفرة والمنافقين إما باتباعهم على بعض دينهم، أو بترك الدعوة إلى الله، أو بترك الاستقامة، فإنك إن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين.

والدعوة إلى المنهج الصحيح - ببذل الوقت، وكدّ الفكر، وسعي الجسد، وانطلاق اللسان، بحيث تصبح الدعوة هَمَّ المسلم وشغله الشاغل - يقطع الطريق على محاولات الشيطان بالإضلال والفتنة.

زد على ذلك ما يحدث في نفس الداعية من الشعور بالتحدي تجاه العوائق

والمعاندين وأهل الباطل، وهو يسير في مشواره الدعوي، فيرتقي إيمانه، وتقوى أركانه.

فتكون الدعوة بالإضافة لما فيها من الأجر العظيم وسيلة من وسائل الثبات، والحماية من التراجع والتقهقر، لأن الذي يُهاجم لا يحتاج للدفاع، والله مع الدعاة يثبتهم ويسدد خطاهم والداعية كالطبيب يحارب المرض بخبرته وعلمه وبمحاربته في الآخرين فهو أبعد من غيره عن الوقوع فيه.

عاشرًا: الالتفاف حول العناصر المثبِّتة:

تلك العناصر التي من صفاتها ما أخبرنا به رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ**». [رواه ابن ماجه، وحسّنه الألباني].

إن البحث عن العلماء والصالحين والدعاة المؤمنين، والالتفاف حولهم معين كبير على الثبات وقد حدثت في التاريخ الإسلامي فتن ثبت الله فيها المسلمين برجال ومن ذلك: ما قاله علي بن المديني رَحِمَهُ اللهُ: «أعز الله الدين بالصديق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ».

وتأمل ما قاله ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عن دور شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في التثبيت: «وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت بنا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة».

وهنا تبرز الأخوة الإسلامية كمصدر أساسي للتثبيت، فإخوانك الصالحون والقدوات والمربون هم العون لك في الطريق، والركن الشديد الذي تأوي إليه فيثبتوك بما معهم من آيات الله والحكمة، الزمهم وعش في أكنافهم وإياك

والوحدة فتتخطفك الشياطين فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

الحادي عشر: الثقة بنصر الله وأن المستقبل للإسلام:

نحتاج إلى الثبات كثيرًا عند تأخر النصر، حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران].

هذا تسلية للمؤمنين، وحَثٌّ على الاقتداء بهم والفعل كفعلهم، وأن هذا أمر قد كان متقدما، لم تزل سنة الله جارية بذلك، فقال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ ﴾ أي: وكم من نبي ﴿قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ أي: جماعات كثيرون من أتباعهم، الذين قد رَبَّتْهُم الأنبياء بالإيمان والأعمال الصالحة، فأصابهم قتل وجراح وغير ذلك.

﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ ﴾ أي: ما ضَعُفَتْ قلوبُهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا استكانوا، أي: ذلوا لعدوهم، بل صبروا وثبتوا، وشجعوا أنفسهم، ولهذا قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾.

ثم ذكر قولهم واستنصارهم لربهم، فقال: ﴿ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ ﴾ أي: في تلك المواطن الصعبة ﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا ﴾ والإسراف: هو مجاوزة الحد إلى ما حرم، علموا أن الذنوب والإسراف من أعظم أسباب الخذلان، وأن التخلي عنها من أسباب النصر، فسألوا ربهم مغفرتها.

﴿ وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴾

ثم إنهم لم يتكلوا على ما بذلوا جهدهم به من الصبر، بل اعتمدوا على الله، وسألوه أن يثبت أقدامهم عند ملاقاة الأعداء الكافرين، وأن ينصرهم عليهم، فجمعوا بين الصبر وتَرْك ضده، والتوبة والاستغفار، والاستنصار

بربهم، لا جرم أن الله نصرهم، وجعل لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ من النصر والظفر والغنيمة، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ وهو الفوز برضا ربهم، والنعيم المقيم الذي قد سلم من جميع المُنكّدات، وما ذاك إلا أنهم أحسنوا له الأعمال، فجازاهم بأحسن الجزاء، فلهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في عبادة الخالق ومعاملة الخلق، ومن الإحسان أن يفعل عند جهاد الأعداء كفعل هؤلاء الموصوفين.

ولما أراد رسول الله ﷺ أن يثبت أصحابه المعذبين أخبرهم بأن المستقبل للإسلام في أوقات التعذيب والمحن فماذا قال؟ لقد كان النبي ﷺ عند تناهي الكرب والشدائد يبشر أصحابه بالنصر والتمكين؛ فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الخَنْدَقِ لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: «**بِسْمِ اللهِ**» فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**».

ثُمَّ قَالَ: «**بِسْمِ اللهِ**» وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**».

ثُمَّ قَالَ: «**بِسْمِ اللهِ**»، وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**» [رواه الإمام أحمد بِإِسْنَادٍ حَسَّنه الحافظ ابن حجر].

وعَنْ رَجُلٍ مَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ عَرَضَتْ لَهُمْ صَخْرَةٌ حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَفْرِ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَخَذَ

الْمِعْـوَلَ وَوَضَعَ رِدَاءَهُ نَاحِيَةَ الْخَنْدَقِ وَقَالَ: «**تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَهُوَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ**»، فَنَدَرَ ثُلُثُ الْحَجَرِ وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَائِمٌ يَنْظُرُ فَبَرَقَ مَعَ ضَرْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَرْقَةٌ.

ثُـمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ وَقَالَ: «**تَمَّـتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**»، فَنَدَرَ الثُّلُثُ الْآخَرُ فَبَرَقَتْ بَرْقَةٌ فَرَآهَا سَلْمَانُ.

ثُـمَّ ضَـرَبَ الثَّالِثَةَ وَقَالَ: **تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَـدْلًا، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَهُـوَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ**»، فَنَدَرَ الثُّلُـثُ الْبَاقِي وَخَرَجَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَجَلَسَ.

قَالَ سَـلْمَانُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْتُكَ حِينَ ضَرَبْتَ مَا تَضْرِبُ ضَرْبَةً إِلَّا كَانَتْ مَعَهَا بَرْقَةٌ»، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا سَلْمَانُ رَأَيْتَ ذَلِكَ؟**»، فَقَالَ: «إِي وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللهِ».

قَالَ: «**فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الْأُولَى رُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ كِسْرَى وَمَا حَوْلَهَا وَمَدَائِنُ كَثِيرَةٌ حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ**».

قَـالَ لَهُ مَـنْ حَضَرَهُ مِنْ أَصْحَابِـهِ: «يَـا رَسُـولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلَادَهُمْ»، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ

«**ثُـمَّ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الثَّانِيَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِـنُ قَيْصَرَ وَمَا حَوْلَهَا حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ**»، قَالُوا: «يَا رَسُـولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَفْتَحَهَـا عَلَيْنَا وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلَادَهُمْ»، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ

«ثُـمَّ ضَرَبْتُ الثَّالِثَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ الْحَبَشَـةِ وَمَا حَوْلَهَـا مِنْ الْقُرَى حَتَّى رَأَيْتُهَـا بِعَيْنَـيَّ»، قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**دَعُوا الْحَبَشَـةَ مَـا وَدَعُوكُمْ، وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ**» [رواه النسائي، وحسّنه الألباني].

(حَالَـتْ بَيْنهـمْ وَبَيْن الْحَفْر) أَيْ مَنَعَتْهُمْ مِنْ الْحَفْـر. (الْمِعْوَل) آلَة. (فَنَدَرَ) أَيْ سَـقَطَ (فَبَرَقَ) مِـنْ الْبَرِيـق بِمَعْنَى اللَّمَعَـان. (رُفِعَتْ) أَيْ أَظْهِـرَتْ. (دَعُوا الْحَبَشَـةَ مَـا وَدَعُوكُمْ وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَـا تَرَكُوكُمْ) أَيْ اُتْرُكُوا الْحَبَشَـة وَالتُّرْك مَا دَامُوا تَارِكِينَ لَكُمْ.

الثاني عشر: معرفة حقيقة الباطل وعدم الاغترار به:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران].

وهذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات وأنواع العِـزّ، والغلبة في بعض الأوقـات، فإن هذا كله ﴿مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ﴾ليس له ثبوت ولا بقـاء، بل يتمتعون به قليلا ويعذبون عليـه طويلًا هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه.

وأمـا المتقـون لربهـم، المؤمنـون بهـ- فمـع ما يحصـل لهم من عـز الدنيا ونعيمهـا - ﴿لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾ فلـو قُـدِّر أنهـم في دار الدنيـا قـد حصل لهم كل بؤس وشـدة، وعناء ومشـقة، لكان هذا بالنسـبة إلى النعيـم المقيـم، والعيش السـليم، والسـرور والحبـور، والبهجة نزرا يسـيرا، ومنحة في صورة محنة، ولهذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ وهم الذين برت قلوبهم، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البَرُّ الرحيمُ من بِرِّه أجرًا عظيمًا، وعطاءً جسيمًا، وفوزًا دائمًا.

الثالث عشر: استجماع الأخلاق المعينة على الثبات:

وعلى رأسها الصبر، وقد قال ﷺ: «**وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**» [رواه البخاري ومسلم].

الرابع عشر: التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار وتذكر الموت:

والجنة بلاد الأفراح، وسلوة الأحزان، ومحط رحال المؤمنين والنفس مفطورة على عدم التضحية والعمل والثبات إلا بمقابل يهوّن عليها الصعاب، ويذلل لها ما في الطريق من عقبات ومشاق.

فالذي يعلم الأجر تهون عليه مشقة العمل، وهو يسير ويعلم بأنه إذا لم يثبت فستفوته جنة عرضها السموات والأرض، ثم إن النفس تحتاج إلى ما يرفعها من الطين الأرضي ويجذبها إلى العالم العلوي.

وكان النبي ﷺ يستخدم ذكر الجنة في تثبيت أصحابه، فقد مر النبيُّ ﷺ بياسر وعمار وأم عمار وهم يؤذَون في الله تعالى فقال لهم: «**صَبْرًا آلَ يَاسِر صَبْرًا آلَ يَاسِر فإِنّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**» [رواه الحاكم، وصححه الألباني].

وكذلك من تأمل حال الفريقين في القبر، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، وسائر منازل الآخرة.

كما أن تذكر الموت يحمي المسلم من التردي، ويوقفه عند حدود الله فلا يتعداها؛ لأنه إذا علم أن الموت أدنى من شراك نعله، وأن ساعته قد تكون بعد لحظات، فكيف تسول له نفسه أن يزل، أو يتمادى في الانحراف.

مواطن الثبات:

أولًا: الثبات في الفتن:

التقلبات التي تصيب القلوب سببها الفتن، فإذا تعرض القلب لفتن السراء والضراء فلا يثبت إلا أصحاب البصيرة الذين عمّر الإيمان قلوبهم.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى**

أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا؛ فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَت السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»

[رواه مسلم].

وَمَعْنَى (تُعْرَض) أَنَّهَا تُلْصَق بِعَرْضِ الْقُلُوب أَيْ جَانِبِهَا كَمَا يُلْصَق الْحَصِير بِجَنْبِ النَّائِم، وَيُؤَثِّر فِيهِ شِدَّة اِلْتِصَاقهَا بِهِ. وَمَعْنَى (عُودًا عُودًا) أَيْ تُعَاد وَتُكَرَّر شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. (كَالْحَصِيرِ) أَيْ كَمَا يُنْسَج الْحَصِير عُودًا عُودًا وَشَظِيَّة بَعْد أُخْرَى، وَذَلِكَ أَنَّ نَاسِج الْحَصِير عِنْد الْعَرَب كُلَّمَا صَنَعَ عُودًا أَخَذَ آخَر وَنَسَجَهُ فَشَبَّهَ عَرَضَ الْفِتَن عَلَى الْقُلُوب وَاحِدَة بَعْد أُخْرَى بِعَرْضِ قُضْبَان الْحَصِير عَلَى صَانِعهَا وَاحِدًا بَعْد وَاحِد.

مَعْنَى (أُشْرِبَهَا) دَخَلَتْ فِيهِ دُخُولًا تَامًّا وَأُلْزِمَهَا وَحَلَّتْ مِنْهُ مَحَلّ الشَّرَاب.

وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أَيْ حُبّ الْعِجْل، وَمِنْهُ قَوْلهمْ: ثَوْب مُشْرَب بِحُمْرَةٍ: أَيْ خَالَطَتْهُ الْحُمْرَة مُخَالَطَة لَا اِنْفِكَاك لَهَا.

وَمَعْنَى (نُكِتَ نُكْتَة): نُقِطَ نُقْطَة. وَمَعْنَى (أَنْكَرَهَا) رَدَّهَا.

وَقَوْله ﷺ: «حَتَّى تَصِير عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَض مِثْل الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَة مَا دَامَتْ السَّمَوَات وَالْأَرْض وَالْآخَر أَسْوَد مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِف مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِر مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»، لَيْسَ تَشْبِيهه بِالصَّفَا بَيَانًا لِبَيَاضِهِ لَكِنْ صِفَة أُخْرَى لِشِدَّتِهِ عَلَى عَقْد الْإِيمَان وَسَلَامَته مِنْ الْخَلَل، وَأَنَّ الْفِتَن لَمْ تَلْصَق بِهِ، وَلَمْ تُؤَثِّر فِيهِ كَالصَّفَا وَهُوَ الْحَجَر الْأَمْلَس الَّذِي لَا يَعْلَق بِهِ شَيْء.

(مُرْبَادًّا) أي: شديد السواد في بياض.

ولَيْسَ قَوْله (كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا) تَشْبِيهًا لِسَوَاده بَلْ هُوَ وَصْف آخَر مِنْ أَوْصَافه بِأَنَّهُ قُلِبَ وَنُكِّسَ حَتَّى لَا يَعْلَق بِهِ خَيْر وَلَا حِكْمَة.

وَمَثَّله بِالْكُوزِ الْمُجَخِّي وَبَيَّنَهُ بِقَوْلِهِ: «لَا يَعْرِف مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِر مُنْكَرًا».

شَبَّهَ الْقَلْب الَّذِي لَا يَعِي خَيْرًا بِالْكُوزِ الْمُنْحَرِف الَّذِي لَا يَثْبُت الْمَاء فِيهِ. ومَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ الرَّجُل إِذَا تَبِعَ هَوَاهُ وَارْتَكَبَ الْمَعَاصِي دَخَلَ قَلْبَه بِكُلِّ مَعْصِيَة يَتَعَاطَاهَا ظُلْمَةٌ، وَإِذَا صَارَ كَذَلِكَ اُفْتُتِنَ وَزَالَ عَنْهُ نُور الْإِسْلَام.

وَالْقَلْب مِثْل الْكُوز فَإِذَا اِنْكَبَّ اِنْصَبَّ مَا فِيهِ وَلَمْ يَدْخُلهُ شَيْء بَعْد ذَلِكَ.

ومن أنواع الفتن:

١- فتنة المال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة].

٢- فتنة الجاه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

وعن خطورة الفتنتين السابقتين قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**»، [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، والترمذي، وصححه الألباني]. والمعنى أن حرص المرء على المال والشرف أشد فسادًا للدين من الذئبين الجائعين الذين أرسِلا في غنم.

٣- فتنة الزوجة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤].

٤- فتنة الأولاد: قال ﷺ: «**إِنَّ الْوَلَد مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ مَحْزَنَةٌ**» [رواه الحاكم والطبراني، وصححه الألباني].

(إِنَّ الْوَلَد مَبْخَلَـةٌ) بالمال عن إنفاقه في وجوه القُرَب خوف فقره. (مَجْبَنَةٌ) يجبن أباه عن الهجرة والجهاد خشـية ضيعته. (مَجْهَلَةٌ) لكونه يحمل على ترك الرحلة في طلب العلم والجد في تحصيله لاهتمامه بتحصيل المال له. (مَحْزَنَةٌ) يحمل أبويه على كثرة الحزن لكونه إن مرض حَزنَا وإن طلب شيئًا لا قدرة لهما عليـه حَزنَـا، فأكثر ما يفوت أبويه من الفلاح والصلاح بسـببه، فإن شَـبَّ وعَقَّ فذلك الحزن الدائم والهم السرمدي اللازم.

فالحـذر علـى الولد يكسـب هـذه الأوصـاف ويحـدث هـذه الأخلاق، فكأنه أشـار إلـى التحذير من النكول عن الجهاد والنفقة، وطلب العلم بسـبب الأولاد.

٥- فتنـة الاضطهاد والطغيان والظلـم: ويمثلها أروع تمثيل قول الله تَعَالَىٰ: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [البروج].

وعنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: «أَلاَ تَسْـتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟»، قَالَ: «**كَانَ الرَّجُـلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَـارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِـهِ فَيُشَـقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِـهِ مِـنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُـدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِـهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْـرَ، حَتَّى يَسِـيرَ الرَّاكِبُ مِـنْ صَنْعَاءَ إِلَـى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَـافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**» [رواه البخاري].

٦- فتنـة الدجـال: وهي أعظم فتن المحيا: قال ﷺ: «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى**

قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ» [رواه مسلم].

ثانيًا: الثبات في الجهاد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال:٤٥]. ومن الكبائر في ديننا الفرار من الزحف وكان ﷺ وهو يحمل التراب على ظهره في الخندق يردد مع المؤمنين: «وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا» [رواه البخاري].

ثالثًا: الثبات على المنهج:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الأحزاب:٢٣].

مبادئهم أغلى من أرواحهم، إصرار لا يعرف التنازل.

رابعًا: الثبات عند الممات:

أما أهل الكفر والفجور فإنهم يحرمون الثبات في أشد الأوقات كربة فلا يستطيعون التلفظ بالشهادة عند الموت، وهذا من علامات سوء الخاتمة كما قيل لرجل عند موته: «قل: لا إله إلا الله»، فجعل يحرك رأسه يمينًا وشمالًا يرفض قولها.

وآخر يقول عند موته: «هذه قطعة جيدة، هذه مشتراها رخيص»، وثالث يذكر أسماء قطع الشطرنج، ورابع يدندن بألحان أو كلمات أغنية، أو ذكر معشوق، ذلك لأن مثل هذه الأمور أشغلتهم عن ذكر الله في الدنيا، وقد يُرَى مِن

هؤلاء سواد وجه أو نتن رائحة، أو صرف عن القبلة عند خروج أرواحهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أمـا أهل الصلاح والسـنة فإن الله يوفقهـم للثبات عند الممـات، فينطقون بالشـهادتين، وقد يُرى من هؤلاء تهلل وجه أو طيب رائحة ونوع استبشـار عند خروج أرواحهم، وهذا مثال لواحد ممن وفقهم الله للثبات في نازلة الموت، إنه أبو زرعة الرازي أحد أئمة أهل الحديث وهذا سياق قصته:

قَـالَ أَبُـو جَعْفَـرٍ مُحَمَّدُ بـنُ عَلِـيٍّ، وَرَّاقُ أَبِـي زُرْعَـةَ[1]: حَضَرْنَا أَبَـا زُرْعَةَ بِمَاشـهرَان، - قريـة من قرى الرّيّ -، وهو في السَّـوْق - أي عنـد احتضاره -، وَعِنْـدَهُ أَبُـو حَاتِمٍ، وَابْـنُ وَارَةَ، وَالمُنْذِرُ بنُ شَـاذَانَ، وَغَيْرُهُم، فَذَكَـرُوا حَدِيْثَ التَّلْقِيْـن: «**لَقِّنُـوا مَوْتَاكُمْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**»[2] وَاسْـتَحْيَوا مِنْ أَبِـي زُرْعَةَ أَنْ يُلَقِّنُوهُ، فَقَالُوا: تَعَالَوا نَذْكُرِ الحَدِيْثَ.

فَقَالَ ابْنُ وَارَةَ: «حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الحَمِيْدِ بنُ جَعْفَرٍ، عَنْ صَالِحٍ، وَجَعَلَ يَقُوْلُ: ابْنُ أَبِي، وَلَمْ يُجَاوِزْهُ».

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: «حَدَّثَنَا بُنْدَار، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ الحَمِيْدِ بنِ جَعْفَرٍ، عَـنْ صَالِحٍ»، وَلَـمْ يُجَاوِزْ، وَالبَاقُوْنَ سَـكَتُوا، فَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ وَهُوَ فِي السَّـوقِ: «حَدَّثَنَا بُنْدَارُ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الحَمِيْدِ، عَنْ صَالِحِ بنِ أَبِي عَرِيْبٍ، عَـنْ كَثِيْرِ بنِ مُـرَّةَ، عَنْ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُـوْلُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ**»[3]، وَتُوُفِّيَ - رَحِمَهُ اللهُ.

---

(١) الورَّاق: مَنْ يحترف نَسْخَ الكتب أو تجارتها.

(٢) رواه مسلم.

(٣) هـذه القصـة رَوَاهَـا أَبُو عَبْـدِ اللهِ الحَاكِمُ وَغَيْرُهُ بإسـناد حسـن. والحديث رواه أبـو داود، وصححه الألباني.

ومثـل هـؤلاء قـال الله فيهـم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

الثمرات المجنيّة من الثبات

للثبات على الحق ثمار عديدة منها:

• يكون منارة مُشِعّة عاجية، مقصد كل مؤمن عبث فيه نادي الشيطان ليأخذ بيده إلى بر الأمان.

• أن ثبـات الشـخص في الدنيـا، امتـداد لثبـات الشـخص علـى الصراط المستقيم، وتجاوز السقوط في جهنّم، والتخلّص من قبضة الكلاليب.

• العون والتوفيق والإلهام والإرشـاد والسـداد والبركـة من الله ﷻ، إذ أن الثابـت علـى ديـن الله يكون صالحًا في نفسـه ودينـه ومجتمعه ويكـون صالح الدعاء، مما يجعل أبواب الخير تفتّح له من كل جانب.

• اصطفاء الله للثابت على دينه، فإن من كان موضع رعاية من الله، فقد نجا في الدنيا والآخرة، وكفى بالله ناصرًا ومعينًا.

• حفظ قلب العبد، الموطن الذي يتشرب الشبهات، وهو أساس كل عمل ثم يتلوه الاتباع، فإن العمل مرهون باثنتين: النية والاتباع.

• الثابت على دين الله لا يتعرى مع هبوب الفتن وأعاصير الهوى والشهوات والشبهات، بل هو ثابت بما أمده الله من يقين ورسوخ.

• في الثبـات إلجـام لأعداء الديـن، وعز للدعـاة والمصلحيـن والتمكين لأهل الحق.



١٣٧- نماذج وصور من الثبات عند الفتن

أنا مُسْلِمٌ وأَقُولُها مِلءَ الوَرَى وعقيدَتِي نورُ الحيَاةِ وسُؤْدَدِي
سَلْمَانُ فيهَا مِثْلَ عَمْرٍو لا تَرَى جِنْسًا عَلَى جِنْسٍ يَفُوقُ بِمَحْتَدِ
وبِـلالُ بالإيمانِ يَشْمَخُ عِـزَّةً ويَـدُقُّ تِيجَانَ العَنِيدِ المُلْحِدِ
وخُبيبُ أخْمَدَ في القَنَا أنْفَاسَهُ لَكِنَّ صَوْتَ الحَقِّ لَيْسَ بمُخْمَدِ
ورمَى صُهَيْبُ بِكُلِّ مَالٍ لِلْعِدَا ولِغَيْرِ رِبْـح عَقِيدَةٍ لَـمْ يَقْصِدِ
إن العقيدَةَ في قُلوبِ رجَالِهَا مِـنْ ذَرَّةٍ أقْـوَى وألِـفِ مُهَنَّدِ

(السؤدد): السيادة والمجد والشرف.

(المحتد): الأصل.

لنا في سِـيَرِ الأخيار عظـاتٌ وعِبَر، والتاريخ مليء بالشـواهد والأمثلة على أنـاس أرخصـوا أرواحهـم لله ﷻ، فمع قـوة الفتن واصطلاء نارهـا، لم تحرك منهم شـيئًا، وبقوا على رسـوخ كالجبال ولنا في الأنبياء جميعًا، وفي رسـول الله ﷺ قدوة حسنة وكذلك أصحابه الكرام من بعده، فقد ابتلاهم الله ﷻ ليمتحن إيمانهم فلنطرق باب التاريخ ليحدثنا عن تلك النماذج المشرقة:

فتشَبَّهُوا إنْ لمْ تكونُوا مِثْلَهم إنَّ التـشبُّـهَ بـالـكـرامِ فـلاحُ

ثبات رسول الله ﷺ:

عن عَقِيل بْـنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «جاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا: «إِنَّ ابْـنَ أَخِيكَ يُؤْذِينَا فِي نَادِينَا وَفِي مَسْـجِدِنَا فَانْهِهِ عَـنْ أَذَانَا». فَقَالَ: «يَا عَقِيلُ ائْتِنِـي بِمُحَمَّـدٍ»، فَذَهَبْتُ فَأَتَيْتُهُ بِـهِ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ أَخِـي، إِنَّ بَنِي عَمِّكَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَفِي مَسْجِدِهِمْ فَانْتَهِ عَنْ ذَلِكَ».

فَحَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ**» ؟ فَقَالُوا: «نَعَمْ»، قَالَ: «**مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَدَعَ لَكُمْ ذَلِكَ إِلا أَنْ تُشْعِلُوا لِي مِنْهَا شُعْلَةً**»، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: «مَا كَذَبَنَا ابْنُ أَخِي قَطُّ؛ فَارْجِعُوا»، [رواه الطبراني وأبو يعلى، وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر، وحسّنه الألباني] (١).

ثبات إبراهيم عليه السلام في النار:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: ﴿**حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ**﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ - عليه السلام - حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿**إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران:١٧٣] [رواه البخاري].

ابتلاء إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه:

ابتُلي إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل فثبت، وابتُلي إسماعيل عليه السلام بأمر أبيه فثبت، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا

---

(١) قال الألباني: وأما حديث: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته»، فليس له إسناد ثابت ولذلك أوردته في الأحاديث الضعيفة (٩١٣). [انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ١٩٥)].

وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات].

ثبات يوسف عليه السلام أمام كيد امرأة العزيز:

ابتُلي يوسف عليه السلام بامرأة العزيز فثبت، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣].

لقد كانت هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصَبْره عليها أعظم أجرًا، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة، لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عز وجل عليها، وأما محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعًا أو كارهًا، وذلك أن يوسف عليه السلام بقي مكرمًا في بيت العزيز، وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: هو غلامها وتحت تدبيرها والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد ولا إحساس بشر.

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ وزادت المصيبة، بأنْ غَلَّقَتِ أَبْوابَ بيت سكناها الذي تبيت فيه بابًا فبابًا، والمراد أنها أغلقت جميع الأبواب الموصلة إلى المكان الذي راودته فيه إغلاقا شديدًا محكمًا زيادة في حمله على الاستجابة لها، فصار المحل خاليًا، وهما آمنان من دخول أحد عليهما، بسبب تغليق الأبواب، وقد دَعَتْه إلى نفسها ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ﴾ أي: ها أنا ذا مهيئة لك فأسرع في الإقبال عليّ، أي: افعل الأمر المكروه وأقْبِل إليَّ.

ومع هذا فهو غريب، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا كان في وطنه وبين معارفه، وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وفيها من الجمال ما يدعو إلى

ما هنالك، وهو شاب عَزَب، وقد توعدته إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن أو العذاب الأليم.

فصبر عن معصية الله، مع وجود الداعي القوي فيه، لأنه قد هم بها ثم تركه لله، وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء، ورأى من برهان ربه - وهو ما معه من العلم والإيمان، الموجب لترك كل ما حرم الله - ما أوجب له البعد والانكفاف، عن هذه المعصية الكبيرة.

و ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: أعوذ بالله أن أفعل هذا الفعل القبيح، لأنه مما يسخط الله ويبعد منه، ولأنه خيانة في حق سيدي الذي أكرم مثواي، فلا يليق بي أن أقابله في أهله بأقبح مقابلة، وهذا من أعظم الظلم، والظالم لا يفلح، والحاصل أنه جعل الموانع له من هذا الفعل تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه.

وفضَّل يوسف عليه السلام السجن على معصية الله عز وجل؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِى ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمۡتُنَّنِى فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِىٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّى كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف].

ثبات آسية امرأة فرعون رضي الله عنها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ فِرْعَوْنَ، أَوْتَدَ لِامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ فِي يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا، فَكَانَ إِذَا تَفَرَّقُوا عَنْهَا ظَلَّلَتْهَا الْمَلَائِكَةُ، فَقَالَتْ: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِى عِندَكَ بَيۡتٗا فِى ٱلۡجَنَّةِ

﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[التحريم: ١١]، فَكَشَفَ لَهَا عَنْ بَيْتِهَا فِي الْجَنَّةِ. [رواه أبو يعلى الموصلي في مُسنَده، وصححه الألباني].

وعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ تُعَذَّبُ بِالشَّمْسِ، فَإِذَا انْصَرَفُوا عَنْهَا أَظَلَّتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا، وَكَانَتْ تَرَى بَيْتَهَا فِي الْجَنَّةِ» [رواه الحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، والألباني].

ثبات أصحاب الأخدود(١):

عن صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: «إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ»، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: «إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ»، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: «اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ»، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ.

فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: «أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ»، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: «مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي»، فَقَالَ: «إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ»

(١) انظر تفاصيل القصة في الخطب (٥٩، ٦٠، ٦١) في المجلد الثاني من (دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ) (ص٣٥٠ - ٣٧٨).

فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: «مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟» قَالَ: «رَبِّي» قَالَ: «وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟» قَالَ: «رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ»، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ.

فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: «أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ»، فَقَالَ: «إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ» فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: «ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ»، فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: «ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ» فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ.

ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ»، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: «اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ»، فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ.

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: «مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟» قَالَ: «كَفَانِيهِمُ اللهُ» فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ»، فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: «اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: «مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟» قَالَ: «كَفَانِيهِمُ اللهُ».

فَقَالَ لِلْمَلِكِ: «إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ»، قَالَ: «وَمَا هُوَ؟» قَالَ: «تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي».

فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ «بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ» ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: «آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ».

فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: «أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ، قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ»، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ: «مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ»، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: «يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ» [رواه مسلم].

(الْأَكْمَه): الَّذِي خُلِقَ أَعْمَى، (الْمِئْشَار): الْمِنْشَار، (ذُرْوَة الْجَبَل): أَعْلَاهُ، (رَجَفَ بِهِمْ الْجَبَل): أَيّ اِضْطَرَبَ وَتَحَرَّكَ حَرَكَة شَدِيدَة، (الْقُرْقُور): السَّفِينَة الصَّغِيرَة، (انْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَة): اِنْقَلَبَتْ، (الصَّعِيد): الْأَرْض الْبَارِزَة، (كَبِد الْقَوْس): مِقْبَضهَا عِنْد الرَّمْي، (الصدغ): جانب الوجه من العين إلى الأذن، (نَزَلَ بِك حَذَرك): أَيْ مَا كُنْت تَحْذَر وَتَخَاف، (الْأُخْدُود): هُوَ الشَّقّ الْعَظِيم فِي الْأَرْض، وَجَمْعه أَخَادِيد، (السِّكَك): الطُّرُق، وَأَفْوَاههَا: أَبْوَابهَا.

(مَنْ لَمْ يَرْجِع عَنْ دِينه فَأَحْمُوهُ فِيهَا): ارْمُوهُ فِيهَا مِنْ قَوْلهمْ: «حَمَيْت الْحَدِيدَة، وَغَيْرهَا» إِذَا أَدْخَلْتهَا النَّار لِتُحْمَى، (تقَاعَسَتْ): تَوَقَّفَتْ وَلَزِمَتْ مَوْضِعهَا، وَكَرِهَتْ الدُّخُول فِي النَّار.

ثبات صهيب الرومي رضي الله عنه:

صهيب الرومي رضي الله عنه كان مستضعفًا في مكة وحِينَ أَرَادَ الْهِجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ لَهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: «أَتَيْتَنَا صُعْلُوكًا، فَكَثُرَ مَالُكَ عِنْدَنَا، وَبَلَغْتَ ما بَلَغْتَ، ثم تريد أن تَخْرُجَ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ، وَاللهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ»، فَقَالَ لَهُمْ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ

مَالِي أَتُخَلُّونَ سَبِيلِي؟»، فَقَالُوا: «نَعَمْ»، فَقَالَ: «أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي»، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فقال: «**رَبِحَ صُهَيْبُ، رَبِحَ صُهَيْبُ**» [رواه ابن حبان وغيره، وصححه الألباني]، (الصعلوك): الفقير.

وفي صُهَيبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نزل قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وقال له النبي ﷺ: «**أَبَا يَحْيَى، رَبِحَ البَيْعُ**»، وتلا عليه هذه الآية، [رواه الحاكم وقال: «صحيح على شرط مسلم»، وسكت عنه الذهبي في التلخيص].

وعن صهيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكنت قد هممتُ بالخروج معه فصدني فتيان من قريش فجعلت ليلتي تلك أقوم ولا أقعد، فقالوا: «قد شغله الله عنكم ببطنه»، ولم أكُنْ شاكيًا، فقاموا فلحقني منهم ناس بعدما سرت بَرِيدًا لِيَرُدُّوني فقلت لهم: «هل لكم ان أعطيكم أواقي من ذهب وتخلون سبيلي وتَفُون لي؟»، فَتَبِعْتُهم إلى مكة فقلت لهم: «احفروا تحت أسكفة الباب فإنّ تحتها الأواق واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين». وخرجْتُ حتى قدِمْتُ على رسول الله ﷺ قبل أن يتحول منها - يعني قباء - فلما رآني قال: «**يَا أَبَا يَحْيَى، رَبِحَ الْبَيْعُ**» ثلاثًا، فقلت: «يا رسول الله، ما سبقني إليك أحدٌ، وما أخبرك إلا جبريل - عليه السلام»، [رواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبي في التلخيص]، الأسكفة: عتبة الباب، والبَرِيدُ: مسافة قدرها فرسخان، وقيل غير ذلك.

ثبات سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

عَنْ مُصْعَب بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: «زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا».

قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت: ٨]، [رواه مسلم].

وفي رواية أن أُمُّ سَعْدٍ قَالَتْ: «أَلَيْسَ اللهُ قَدِ أمَرَهُمْ بِالْبِرِّ؟ فَوَاللهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا، وَلا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ، أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، قَالَ: فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطْعِمُوهَا شَجَرُوا فَاهَا بِعَصًا ثُمَّ أَوْجَرُوهَا، قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ الآيَةَ [العنكبوت: ٨]، [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، والترمذي، وصححه الألباني].

(شَجَرُوا فَاهَا بِعَصًا) أَي جعلُوا فِي شَجْرها عودًا حَتَّى فتحوه، والشَجْر: ما بين الحنكين، وهو مخرجُ الفَمِ، وما انفتح من منطبق الفَمِ وملتقى اللّهْزِمَتَيْن. واللِهْزِمة: عظم ناتئ في اللَّحْي تحت الحنك وهما لِهْزِمتان. (أَوْجَرُوهَا) أي صَبُّوا الطعام فِي فَمها.

ثبات عمار بن ياسر وعائلته:

عندما علم صناديد قريش بإسلام بعض الصحابة من المستضعفين منهم، مارسوا معهم التعذيب الجسدي بشتّى أشكاله، وقد نال عمار من تلك المعاناة العصيبة الحصة الكبرى والحظ الأوفر، حيث لم يترك المشركون وسيلة من وسائل القهر والتعذيب إلاّ واستعملوها معه، فكانوا يسحبونه على الرمضاء المحرقة مجردًا من ثيابه، ثم يضعون صخرة كبيرة على صدره، فإن يئسوا منه لجأوا إلى تغريقه بالماء بغمس وجهه ورأسه حتى يختنق أو يُشرِف على الموت.

ليس ذلك فحسب، بل وصل العذاب إلى أمّه وإهانتها وقتلها بحربة في فرجها أرْدَتْها صريعةً، وقد علم عمَّار أن ما أصابه وأصاب أمّه إنما هو بسبب الإسلام، ومع ذلك صبر وثبت فنال الدرجات العلى، مر النبيُّ ﷺ بياسر

وعمـار وأم عمار وهم يؤذَون في الله تعالى فقال لهم: «**صَبْرًا آلَ يَاسِـر صَبْرًا آلَ يَاسِر فإِنّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**» [رواه الحاكم، وصححه الألباني].

سميَّةُ لا تبَالي حين تَلقَي عـذاب النُّكرِ يومًا أو تلينَا
وتَأبَي أن تُردِّدَ مَا أرادُوا فكانتْ في عِـدادِ الصالحينا
سنبذلُ رُوحَنا في كلِ وقتٍ لـرَفْعِ الحقِّ خفاقًا مُبينا
فإنْ عِشْنَا فقدْ عِشْنا لحقٍّ نَدُكُّ به صروحَ الكافرينَا
وإنْ متْنَا ففي جنَّات عدْنٍ لنلقَي إخوةً في السابقينَا

وأخرج ابن سـعد - بسنـدٍ صححه الحافظ ابن حجر - عـن مجاهد قال: «أول شهيد في الإسلام سمية والدة عمار بن ياسر، وكانت عجوزًا كبيرة ضعيفة، ولما قُتل أبو جهل يوم بدر قال النبي ﷺ لعمار رضي الله عنه: «**قَتَلَ اللهُ قَاتِلَ أمِّكَ**».

زنيرة جارية عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

وغير سـمية كثيرات احتملن فـوق ما احتملت: فمنهن مـن كانوا يلقونها، ويحملـون لهـا مـكاوي الحديد، ثـم يضعونها بيـن أعطاف جلدهـا، ويدعون الأطفـال يعبثـون بعينها حتى يذهـب بصرها، وممن عُذب بهـذا العذاب زنيرة جاريـة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان - قبل إسـلامه - هو وجماعة من قريش يتولون تعذيبها.

ولما ذهب بصرها قال المشركون: «ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى»، فقالـت لهـم: «والله مـا هـو كذلك، وما تـدري الـلات والعزى مـن يعبدهما، ولكـن هذا أمر من السـماء والله قادر على أن يرد عليَّ بصـري»، فرد الله عليها بصرهـا، فقالـت قريش: «هذا من سـحر محمـد ﷺ»، وقد اشـتراها أبو بكر وأعتقها رضي الله عنه.

ثبات أم شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

ومنهن من كانوا يسقونها العسل، ويوثقونها بالأغلال، ثم يلقونها بين الرمال، ولها حرٌّ يذيب اللحم، ويصهر العظم، حتى يقتلها الظمأ، وممن فعلوا بهن ذلك أم شريك غزيَّة بنت جابر بن حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وقع في قلب أم شريك الإسلام وهي بمكة فأسلمت، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرًّا فتدعوهن، وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها، وقالوا لها: «لولا قومك لَفَعَلنا بك وفعلنا، ولكنا سنردك إليهم».

فحملوها على بعير ليس تحتها شيء موطأ ولا غيره، ثم تركوها ثلاثًا لا يطعمونها، ولا يسقونها، فنزلوا منزلا، وكانوا إذا نزلوا وقفوها في الشمس واستظلوا، وحبسوا عنها الطعام والشراب حتى يرتحلوا، فبينما هي كذلك إذا بأثر شيء بارد وقع عليها منه ثم عاد، فتناولَتْه، فإذا هو دلو ماء، فشربَتْ منه قليلًا ثم نُزِع منها، ثم عاد فتناولَتْه، فشربَتْ منه قليلا، ثم رُفع، ثم عاد أيضًا، فصنع ذلك مرارا حتى رويَتْ، ثم أفضَتْ سائره على جسدها وثيابها.

فلما استيقظو إذا هم بأثر الماء، ورأوها حسنة الهيئة، فقالوا لي: «انحللت فأخذتِ سقاءنا فشربت منه؟»، فقالت: «لا والله ما فعلتُ ذلك، كان من الأمر كذا وكذا»، فقالوا: «لئن كنت صادقةً، فدينُك خيرٌ مِن ديننا»، فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها، فأسلموا لساعتهم.

ثبات بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كان بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المسلمين المستضعفين وكان أمية بن خلف يُخرِجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: «لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر

بمحمد وتعبد اللات والعزى»، فيقول وهو في ذلك البلاء: «أَحَدٌ أَحَدٌ»، فسجلها التاريخ كلمةً خالدة من موقف جبّار، ومن منّا يطيق ما أصابه، وماكان ذلك إلا من صِدْق إسلامه، وقوة عزيمته.

ثبات كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا، كما ورد في صحيح البخاري قصته الطويلة، والتي تخلف فيها عن المسلمين عن غزوة تبوك، فاجتنبهم الناس وتغيروا لهم

يقول كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ: «وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا، فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ.

وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: «هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لاَ؟»، ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ: «يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟» فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ المَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: «مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ»، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ

إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: «وَهَذَا أَيْضًا مِنَ البَلاَءِ»، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا [رواه البخاري ومسلم].

ومَن تجمّعت عليه هذه المصائب، وتنكر المسلمون عليه، وانصرف عنه حتى الصبيان والسفهاء، ثم جاءته دعوة من ملك الغساسنة يواسيه فيها ويطلب منه اللحاق بهم وتَرْك المسلمين ليعيش مع الملوك ويصغي له كل الناس، ومع ذلك صبر على بلائه وثبت على امتحانه حتى أتاه الفرج من عند الله ﷻ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة].

ثبات عَبْد اللهِ بن حُذافة السَّهْمِيّ:

عَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: «وَجَّهَ عُمَرُ جَيْشًا إِلَى الرُّوْمِ، فَأَسَرُوا عَبْدَ اللهِ بنَ حُذَافَةَ، فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِم، فَقَالُوا: «إِنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ». فَقَالَ: «هَلْ لَكَ أَنْ تَتَنَصَّرَ، وَأُعْطِيَكَ نِصْفَ مُلْكِي؟». قَالَ: «لَوْ أَعْطَيْتَنِي جَمِيْعَ مَا تَمْلِكُ، وَجَمِيْعَ مُلْكِ العَرَبِ مَا رَجَعْتُ عَنْ دِيْنِ مُحَمَّدٍ طَرْفَةَ عَيْنٍ»، قَالَ: «إِذًا أَقْتُلُكَ»، قَالَ: «أَنْتَ وَذَاكَ»، فَأَمَرَ بِهِ، فَصُلِبَ.

وَقَالَ لِلرُّمَاةِ: «ارْمُوْهُ قَرِيْبًا مِنْ بَدَنِهِ»، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ وَيَأْبَى، فَأَنْزَلَهُ وَدَعَا بِقِدْرٍ، فَصَبَّ فِيْهَا مَاءً حَتَّى احْتَرَقَتْ، وَدَعَا بِأَسِيْرَيْنِ مِنَ المُسْلِمِيْنَ، فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمَا فَأُلْقِيَ فِيْهَا، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ وَهُوَ يَأْبَى، ثُمَّ بَكَى. فَقِيْلَ لِلْمَلِكِ: «إِنَّهُ بَكَى»، فَظَنَّ أَنَّه قَدْ جَزِعَ، فَقَالَ: «رُدُّوْهُ، مَا أَبْكَاكَ؟»، قَالَ: «قُلْتُ:

هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تُلْقَى السَّاعَةَ فَتَذْهَبُ، فَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُوْنَ بِعَدَدِ شَعْرِي أَنْفُسٌ تُلْقَى فِي النَّارِ فِي اللهِ».

فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ: «هَلْ لَكَ أَنْ تُقَبِّلَ رَأْسِي، وَأُخَلِّيَ عَنْكَ؟». فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: «وَعَنْ جَمِيْعِ الأُسَارَى؟». قَالَ: «نَعَمْ». فَقَبَّلَ رَأْسَهُ، وَقَدِمَ بِالأُسَارَى عَلَى عُمَرَ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُ. فَقَالَ عُمَرُ: «حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقَبِّلَ رَأْسَ ابْنِ حُذَافَةَ، وَأَنَا أَبْدَأُ»، فَقَبَّلَ رَأْسَهُ.

ثبات إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ:

عندما آمن المأمون بفكرة خلق القرآن وأجبر العلماء على القول بذلك، وعَذّبَ وقتل من يخالف هذا القول، كان الإمام أحمد بن حنبل - إمام أهل السنة - بما أعطاه الله من العلم ثابتًا على الحق، فأتي به أمام السلطان وسُئل، فقال إن القرآن منزل من عند الله عَزَّ وَجَلَّ، فجلد الإمام أحمد حتى أغمي عليه وتقطع جلده، ثم وضعوا عليه حصيرا وداسوه بأقدامهم، ومُنِع الإمام أحمد من تحديث الناس، وزاد في الشدة عليه من بعده ابنه الواثق وهو لا يزال ثابتًا.

ونقل عن المرمزي أنه قال: «دخلتُ على الإمام أحمد أيام المحنة، فقلت: «يا إمام قال الله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، فقال: «يا مرمزي، اخرج فانظر إلى رحبة دار الخليفة»، فرأيت خلقًا من الناس لا يُحْصِي عدّهم إلا الله والصحف في أيديهم والمحابر والأقلام في أيمانهم، فقلت لهم: «أي شيء تعملون؟»، قالوا: «ننظر ما يقول أحمد فنكتبه»، فقلت: «مكانكم»، فدخلْتُ إلى الإمام فقلت له ما رأيْتُه.

فقال: «يا مرمزي أَأُضِلّ هؤلاء كلهم؟ أقتل نفسي ولا أُضِلُّ هؤلاء».

قال علي بن المديني رَحِمَهُ اللهُ: «أعزَّ اللهُ الدينَ بالصديق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة».

لنا أسْوةٌ في رجالٍ مضَوْا ... على الدربِ كانوا به شامخينْ

فهذا بلالٌ مضى للجنان ... ولم ينحرف خشية المشركينْ

وذاك صهيبٌ أخو المتقين ... يبيعُ الحياةَ ليُربَحَ دينْ

ومصعبُ يتركُ عيش النعيم ... ويأبى أن يظَلَّ مَعَ المترفينْ

يعيشُ لينصُرَ دينًا عظيمًا ... ويمضي شهيدًا مع الخالدينْ

مئات ألوف من الصادقين ... قضوا في ثباتٍ مضوا في يقينْ

فريقٌ قضَى وفريقٌ مقيم ... وما بدّلوا بل بقَوْا ثابتينْ

ونحن على إثْرهم سائرون ... بعَوْن الإله لنُصرةِ دينْ

فهذي الطريق طريق الأباة ... وهذِي معالمُ دينٍ متينْ

ومَن رامَ حقًا دخولَ الجنانِ ... وشَاءَ العنَاقَ لحورٍ وعِينْ

فلا بد من تبعات الطريق ... ولابد مِن بَذْلِ مهرٍ ثمينْ

قوافل الثابتين لا تزال موجودة بوجود هذا الدين:

وعلى الرغم من سير الثابتين، الذين رسموا للأمة منهجًا ونبراسًا في هذا الطريق المحفوف بالشهوات والشبهات، إلا أن قوافل الثابتين لا تزال موجودة بوجود هذا الدين ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]، عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**» [رواه البخاري ومسلم].

١٣٨- نعمة المرض

نعم الله كثيرة:

إن نعـم الله علينـا كثيـرة وعظيمـة لا نسـتطيع عَدَّهـا وحصرها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]. ومـن واجبنـا أن نتذكر نعم الله علينا ونشكرها ولا نكفرها ونتفكر ونتأمل فيما نعلمه.

نعمة الصحة والعافية:

ومـن تلـك النعم نعمة الصحـة والعافية التـي نتقلب فيها ليـل نهار وقد لا نحسـب لها حسـابًا ولا وزنًا ولا قيمة، وقد يمر المرض بالواحد منا ولا يعرف مقـدار تلك الصحة ولا ثمنها إلا إذا فقدها نهائيًا أو اعترته الأمراض المزمنة أو الشيخوخة والهرم الذي يعود إليه معظم البشر إذا لم يموتوا قبل ذلك.

وعلى المؤمن أن يتوجه إلى الله تعالى سائلًا منه سبحانه أن يجنبه الأمراض والعلل وأن يدعو بدعاء نبي الرحمة: «**اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا**»، [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

وعَـنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّـاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَـرَاغُ**» [رواه البخاري] والغَبْنُ في البيع والشـراء: الوَكْسُ، غَبَنَه يَغْبِنُه غَبْنًا أَي خدَعه، وقد غُبِنَ فهو مَغْبُونٌ.

ومَعْنَـى الْحَدِيث أَنَّ الْمَرْء لَا يَكُون فَارِغًا حَتَّـى يَكُون مَكْفِيًّا صَحِيح الْبَدَن فَمَنْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ فَلْيَحْرِصْ عَلَى أَنْ لَا يُغْبَن بِأَنْ يَتْرُك شُـكْر اللهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِـهِ عَلَيْهِ، وَمِنْ شُـكْره اِمْتِثَال أَوَامِـره وَاجْتِنَاب نَوَاهِيه، فَمَنْ فَـرَّطَ فِي ذَلِكَ فَهُوَ الْمَغْبُون.

وَأَشَارَ ﷺ بِقَوْلِهِ: «كَثِيرٌ مِنْ النَّاس» إِلَى أَنَّ الَّذِي يُوَفَّق لِذَلِكَ قَلِيل.

وَقَدْ يَكُون الْإِنْسَان صَحِيحًا وَلَا يَكُون مُتَفَرِّغًا لِشُغْلِهِ بِالْمَعَاشِ، وَقَدْ يَكُون مُسْتَغْنِيًا وَلَا يَكُون صَحِيحًا، فَإِذَا اِجْتَمَعَا فَغَلَبَ عَلَيْهِ الْكَسَل عَنْ الطَّاعَة فَهُوَ الْمَغْبُون، وَتَمَام ذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَة الْآخِرَة، وَفِيهَا التِّجَارَة الَّتِي يَظْهَر رِبْحهَا فِي الْآخِرَة، فَمَنْ اِسْتَعْمَلَ فَرَاغه وَصِحَّته فِي طَاعَة اللهُ فَهُوَ الْمَغْبُوط، وَمَنْ اِسْتَعْمَلَهُمَا فِي مَعْصِيَة اللهُ فَهُوَ الْمَغْبُون، لِأَنَّ الْفَرَاغ يَعْقُبهُ الشُّغْل وَالصِّحَّة يَعْقُبهَا السَّقَم، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْهَرَم كَمَا قِيلَ:

يَسُرّ الْفَتَى طُولُ السَّلَامَة وَالْبَقَا ... فَكَيْف تَرَى طُول السَّلَامَة يَفْعَلُ

يَرُدّ الْفَتَى بَعْد اِعْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ ... يَنُوء إِذَا رَامَ الْقِيَام وَيُحْمَلُ

ضَرَبَ النَّبِيّ ﷺ لِلْمُكَلَّفِ مَثَلًا بِالتَّاجِرِ الَّذِي لَهُ رَأْس مَال، فَهُوَ يَبْتَغِي الرِّبْح مَعَ سَلَامَة رَأْس الْمَال، فَطَرِيقه فِي ذَلِكَ أَنْ يَتَحَرَّى فِيمَنْ يُعَامِلهُ وَيَلْزَم الصِّدْق وَالْحِذْق لِئَلَّا يُغْبَن، فَالصِّحَّة وَالْفَرَاغ رَأْس الْمَال، وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُعَامِل اللهَ بِالْإِيمَانِ، وَمُجَاهَدَة النَّفْس؛ لِيَرْبَح خَيْرَيْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، وَعَلَيْهِ أَنْ يَجْتَنِب مُطَاوَعَة النَّفْس وَمُعَامَلَة الشَّيْطَان لِئَلَّا يُضَيِّع رَأْس مَاله مَعَ الرِّبْح.

واُخْتُلِفَ فِي أَوَّل نِعْمَة اللهُ عَلَى الْعَبْد فَقِيلَ الْإِيمَان، وَقِيلَ الْحَيَاة، وَقِيلَ الصِّحَّة، وَالْأَوَّل أَوْلَى فَإِنَّهُ نِعْمَة مُطْلَقَة، وَأَمَّا الْحَيَاة وَالصِّحَّة فَإِنَّهُمَا نِعْمَة دُنْيَوِيَّة، وَلَا تَكُون نِعْمَة حَقِيقَة إِلَّا إِذَا صَاحَبَتْ الْإِيمَان وَحِينَئِذٍ يُغْبَن فِيهَا كَثِير مِنْ النَّاس أَيْ يَذْهَب رِبْحهمْ أَوْ يَنْقُص، فَمَنْ اِسْتَرْسَلَ مَعَ نَفْسه الْأَمَّارَة بِالسُّوءِ الْخَالِدَة إِلَى الرَّاحَة فَتَرَكَ الْمُحَافَظَة عَلَى الْحُدُود وَالْمُوَاظَبَة عَلَى الطَّاعَة فَقَدْ غُبِنَ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ فَارِغًا فَإِنَّ الْمَشْغُول قَدْ يَكُون لَهُ مَعْذِرَة بِخِلَافِ الْفَارِغ فَإِنَّهُ يَرْتَفِع عَنْهُ الْمَعْذِرَة وَتَقُوم عَلَيْهِ الْحُجَّة.

اغتنِمْ في الفَراغِ فضْلَ ركوعٍ فعسَى أنْ يكونَ موتُك بغتَةْ
كم صحيحٍ رأيتَ مِن غيرِ سُقْمٍ ذهبَتْ نفسُهُ العزيزةُ فلتَةْ

وهذه النِّعم مما يُسأَلُ الإنسانُ عن شكرها يومَ القيامة، ويُطالب بها كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٨]. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي الْعَبْدَ مِنْ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: «أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ مِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني]. (مِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ) أَيْ الَّذِي هُوَ مِنْ ضَرُورَةِ بَقَائِك وَلَوْلَاهُ لَفَنِيْتَ بَلْ الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ.

وقال ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**». [رواه الترمذي، وغيره، وحسّنه الألباني].

(آمِنًا) أَيْ غَيْرَ خَائِفٍ مِنْ عَدُوٍّ (فِي سِرْبِهِ) أَيْ فِي نَفْسِهِ، وَقِيلَ: السِّرْبُ الْجَمَاعَةُ، فَالْمَعْنَى فِي أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ، وَقِيلَ بِفَتْحِ السِّينِ أَيْ فِي مَسْلَكِهِ وَطَرِيقِهِ، وَقِيلَ: بِفَتْحَتَيْنِ أَيْ فِي بَيْتِهِ. وَالسَّرْبُ: الطَّرِيقُ، وَبِالْكَسْرِ: الطَّرِيقُ وَالْبَالُ وَالْقَلْبُ وَالنَّفْسُ وَالْجَمَاعَةُ، وَبِالتَّحْرِيكِ: جُحْرُ الْوَحْشِيِّ وَالْحَفِيرُ تَحْتَ الْأَرْضِ. والْمُرَادُ مِنْ الْحَدِيثِ الْمُبَالَغَةَ فِي حُصُولِ الْأَمْنِ وَلَوْ فِي بَيْتٍ تَحْتَ الْأَرْضِ ضَيِّقٍ كَجُحْرِ الْوَحْشِ أَوْ التَّشْبِيهِ بِهِ فِي خَفَائِهِ وَعَدَم ضَيَاعِهِ.

(مُعَافًى فِي جَسَدِهِ) أَيْ صَحِيحًا سَالِمًا مِنْ الْعِلَلِ وَالْأَسْقَامِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

(عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ) أَيْ كِفَايَةُ قُوتِهِ مِنْ وَجْهِ الْحَلَالِ.

(فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا) أَيْ جُمِعَتْ لَهُ بِتَمَامِهَا.

الابتلاء سنة لله ماضية في البشرية:

إن العبد مبتلى في كل شيء فيما يسره ويحبه وفيما يسؤوه ويكرهه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، أي نبتليكم بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلالة.

البلاء عنوان المحبة، وطريق الجنة:

عَـنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَـزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»، [رواه الترمذي، وحسّنه الألباني].

(إِنَّ عِظَـمَ الْجَزَاءِ) أَيْ كَثْرَتَهُ. (مَعَ عِظَـمِ الْبَلَاءِ) فَمَنْ اِبْتِلَاؤُهُ أَعْظَمُ فَجزَاؤُهُ أَعْظَـمُ. (اِبْتَلَاهُـمْ) أَيْ اِخْتبَرَهُمْ بِالْمِحَـنِ وَالرَّزَايَا. (فَمَنْ رَضِـيَ) بِمَا اِبْتَلَاهُ بِهِ. (فَلَـهُ الرِّضَى) مِنْـهُ وَجَزِيلُ الثَّوَابِ. (وَمَنْ سَـخِطَ) أَيْ كَرِهَ بَـلَاءَ اللهِ وَفَزِعَ وَلَمْ يَرْضَ بِقَضَائِهِ. (فَلَهُ السُّخْطُ) مِنْهُ وَأَلِيمُ الْعَذَابِ، وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ.

وَالْمَقْصُودُ الْحَثُّ عَلَى الصَّبْـرِ عَلَى الْبَلَاءِ بَعْدَ وُقُوعِهِ لَا التَّرْغِيبُ فِي طَلَبِهِ لِلنَّهْيِ عَنْهُ.

الْمُؤْمِنِ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ:

عَـنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**عَجَبًا لأَمْـرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَـرَّاءُ شَـكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»، [رواه مسلم].

يجرِي القضاءُ وفيه الخيرُ نافلةً … لـمؤمـنٍ واثِـقٍ بـاللهِ لا لاهِـي

إنْ جـاءَه فـرَجٌ أو نَـابَـه تَـرحٌ … في الحالتَيْن يقولُ الحمدُ للهِ

(نافلةً): هبة وعطاء. (ترح): حُزْن أو هَمّ.

المسلم يسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، ولا يسأل البلاء:

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُـولَ اللهِ عَلِّمْنِى شَـيْئًا أَسْـأَلُهُ اللهَ عَـزَّ وَجَلَّ». قَالَ: «**سَـلِ اللهَ الْعَافِيَـةَ**». فَمَكَثْتُ أَيَّامًا ثُـمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: «يَا رَسُـولَ اللهِ عَلِّمْنِى شَـيْئًا أَسْـأَلُهُ اللهَ». فَقَالَ لِى: «**يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولِ اللهِ، سَلِ اللهَ الْعَافِيَةَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**». [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الأَوَّلِ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: «**سَلُوا اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ**». [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**»، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَالَ وَكِيعٌ: «يَعْنِي الْخَسْفَ»، [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

(قَالَ وَكِيعٌ: «يَعْنِي الْخَسْفَ»)، أي يريد النبي بِالِاغْتِيَالِ مِنَ الْجِهَةِ التَّحْتَانِيَّةِ الْخَسْفَ، يُقال: خَسَفَ اللهُ بِفُلَانٍ الْأَرْضَ: غَيَّبَهُ فِيهَا.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**» [رواه مسلم].

المرض نوعان:

المرض نوعان: مرض القلب وهو مرض معنوي، ومرض الجسم وهو مرض حسي، والأوَّل أوْلَى بالاجتناب والعناية لأنه يترتب عليه الهلاك الأبدي أو البقاء الأبدي، هذا الهلاك ليس كهلاكِ الأبدان، هلاك الأبدان عود على الأول، قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]. لكن هلاك القلوب معناه فقد الحياة، لأن الإنسان لم يستفد من وجوده في الدنيا، خسر الدنيا، ولن يستفيد في الآخرة، وما الحياة الحقيقية؟ حياة الآخرة لقول الله تَعَالَى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ

ﵟٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَﵞ [العنكبوت: ٦٤].

قال أهل العلم: الحيوان الحياة الكاملة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﵟوَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِيﵞ [الفجر:٢٣-٢٤].

ولهذا كان الواجب أن يعتني الإنسـان بتصحيح مرض قلبه قبل كل شيء، ولكـن من أين نأخذ الـدواء لهذا المرض، من ينبوعين أساسـين، هما الكتاب والسـنة، والكتاب وصفه الله بأنه تبيان لكل شـيء، ما من شـيء يحتاجه الناس في معاشهم ومعادهم إلا وجد في القرآن، إما وجد في القرآن بعينه وإما بالإشارة إليه والتحويل على جهة أخرى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﵟوَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗاﵞ [النساء:١١٣]. كلنـا نعلم أنه لا يوجد في القرآن عدد ركعات الصلـوات ولا عدد الصلوات ولا أنصبة الزكاة، ولا أركان الحج المعروفة، لكن ذلك مُحَالٌ إلى السنة.

هـذا هو الشـفاء لهذا المرض الخطير، وهو يسـيرٌ على مَن يَسَّـره الله عليه لأن هناك أمورًا لابد للإنسان من معرفتها وهي سهلة يأخذها الإنسان من أفواه العلماء أو من الكتب المؤلفة من علماء موثوقين ويستنير بها.

أمـا المـرض الثاني: المرض الحسـي فهو مرض أسـهل، هـذا المرض له دواءان: الأدويـة الحسـية المعروفـة، والأدويـة الشـرعية، وهي أنفـع وأجمع وأوسـع، وهي الأدوية التي جاءت بها الشـريعة، والشـريعة الإسـلامية جاءت بهـذه الأدوية، فمثلاً القرآن الكريم دواء نافع ناجع لأمراض جسـدية وأمراض نفسـية وأمـراض عقلية، لا يمكن للدواء الحسّـي أن ينجح فيهـا، ثم إن الدواء الشرعي لا يحتاج طول مدة، لأن الدواء الشرعي من لدن الله ﷻ الذي إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يُضِيفُوهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: «هَلْ فِيكُمْ رَاقٍ؟»، فَإِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ لَدِيغٌ أَوْ مُصَابٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: «نَعَمْ»، فَأَتَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ الرَّجُلُ، فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ.

فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَقَالَ: «حَتَّى أَذْكُرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ»، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»، فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: **«وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟»** ثُمَّ قَالَ: **«خُذُوا مِنْهُمْ، وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ»** [رواه مسلم].

وفي رواية: **«مَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ»** [رواه مسلم].

(فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَم) الْقَطِيع هُوَ الطَّائِفَة مِنْ الْغَنَم وَسَائِر النَّعَم.

قَوْله ﷺ: «مَا أَدْرَاك أَنَّهَا رُقْيَة ؟» فِيهِ التَّصْرِيح بِأَنَّهَا رُقْيَة، فَيُسْتَحَبّ أَنْ يُقْرَأ بِهَا عَلَى اللَّدِيغ وَالْمَرِيض وَسَائِر أَصْحَاب الْأَسْقَام وَالْعَاهَات.

قَوْله ﷺ: «خُذُوا مِنْهُمْ وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ» هَذَا تَصْرِيح بِجَوَازِ أَخْذ الْأُجْرَة عَلَى الرُّقْيَة بِالْفَاتِحَةِ وَالذِّكْر، وَأَنَّهَا حَلَال لَا كَرَاهَة فِيهَا، وَكَذَا الْأُجْرَة عَلَى تَعْلِيم الْقُرْآن. وَأَمَّا قَوْله ﷺ: «اقْسِمُوا» فَهَذِهِ الْقِسْمَة مِنْ بَاب الْمُرُوءَات وَالتَّبَرُّعَات وَمُوَاسَاة الْأَصْحَاب وَالرِّفَاق، وَإِلَّا فَجَمِيع الشِّيَاه مِلْك لِلرَّاقِي مُخْتَصَّة بِهِ، لَا حَقّ لِلْبَاقِينَ فِيهَا عِنْد التَّنَازُع، فَقَاسَمَهُمْ تَبَرُّعًا وَجُودًا وَمُرُوءَة.

وَأَمَّا قَوْله ﷺ: «وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ» فَإِنَّمَا قَالَهُ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ، وَمُبَالَغَة فِي تَعْرِيفهمْ أَنَّهُ حَلَال لَا شُبْهَة فِيهِ.

إن الأمراض النفسية قد تستعصي على الأطباء إذا عالجوها بالأدوية الحسية، ولكن دواؤها بالرقية ناجع ومفيد، وكذلك الأمراض العقلية، تنفع فيها الأدوية الشرعية وقد لا تنفع فيها الأدوية الحسية، وإذا أمكن الجمع

بين الدواءين الحسي والشرعي فهو خير، حتى تُصرَف قلوب المرضى إلى التعلق بالله ﷻ وآياته؛ لأن تعلق المريض بالله ﷻ له أثر قوي في إزالة المرض أو تخفيف المرض.

الأدوية الحسية نوعان: منها ما تلقاه الناس من الشرع، ومنها ما تلقوه من التجارب، فمما تلقاه الناس من الشرع: التداوي بالعسل فإن ذلك دواء شرعي، ودليله قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل].

هذه النحلة الصغيرة هداها الله هذه الهداية العجيبة، ويسر لها المراعي، ثم الرجوع إلى بيوتها التي أصلحتها بتعليم الله لها، وهدايته لها ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها، فيه شفاء للناس من أمراض عديدة، إن هذا دليل على كمال عناية الله ﷻ وتمام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يُحَبَّ غيره ويُدعَى سواه.

ومن ذلك الحبة السوداء فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ هَذِهِ الحَبَّةَ السَّوْدَاءَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلَّا مِنَ السَّامِ**»، قُلْتُ: «وَمَا السَّامُ؟» قَالَ: «**المَوْتُ**» [رواه البخاري ومسلم].

أما النوع الثاني من الأدوية الحسية، فهو متلقى من التجارب، وهذا كثير حتى أنه يوجد الآن ممن لم يدرسوا الطب نظريًّا من استفادوا بالتجارب فكانت أدويتهم أحسن من الأدوية المعقمة التي صنعت على وجه صحي، وهناك من اخترع أدوية عثر عليها من الأشجار والحشائش لم تكن معلومة من قبل وأثرها أكبر من أثر الموجود المستعمل.

كل هذا بقضاء الله وقدره، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَدَاوَوْا؛ فَإِنَّ**

اللهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني]، لذلك أحيانًا يأتي الشفاء باستعمال دواء غير معلوم لهذا المرض يأتي صدفة [1]، وهذا داخل في قوله ﷺ: «وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»، لكن ثق أن كل هذه الأشياء بقضاء الله وقدره، هو الذي أنزل هذا وجعل له دواء وقد يرفع الداء بدون أن يكون هناك سبب، لأن الله تعالى على كل شيء قدير.

الله ﷻ هو الشافي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء].

هذا إبراهيم الخليل عليه السلام يدعو قومه لعبادة الواحد الأحد، وقد كانوا يعبدون الأصنام التي لا تسمع، ولا تضر ولا تنفع، وأخبرهم أنه يتبرأ ويعادي من يعبد غير الله، وأنه يوالي ويحب مَن عبد الله، فالله هو الذي خلق العباد وأرشدهم إلى الدين الحق، وهو الذي يرزق العباد، وهو الذي يشفي عباده من كل الأمراض وهو الذي يميت ويحيي، وهو الذي يُرجَى لمغفرة الخطايا والذنوب.

---

(١) قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: «اشتقاق معنى هذه الكلمة: (صدف) واسم الفاعل: (صادف) بمعنى: وجدهُ، ولقِيَهُ. فقول القائل: «وجدت كذا صدفة»، أي بدون سابق بحث، أو فلانًا بدون سابق ميعاد، ومنه: (رُبَّ صدفة خير من ميعاد) لا محذور فيه، وهي عبارة منتشرة كثيرًا في السنة النبوية.
لكن اعتراه المحذور عند بعضهم؛ لما نشأ القول بالصدفة، أي: وقوع الأشياء صدفة بدون سابق قدرة الله، وتقديره لوقوعها، ومشيئته – سبحانه – إلا أن هذا القول الفاسد يبقى في زاوية الهجران، لا يقضي على ألفاظ النبوة، وما جرى عليه اللسان العربي، والله أعلم». (انظر: معجم المناهي اللفظية، ص: ٦٣٦).

فالله ابتلى عباده بمختلف الأمراض ليعرف الإنسان ضعفه، وأنه لا حول له ولا قوة، وليلجأ إلى ربه في كل أحواله يسأله العون والمدد، والهداية والإعانة.
فأول الدواء، التوجه إلى الله بخالص الدعاء، مع اليقين أن الله تعالى هو الشافي، وكم من أمراض قرر الأطباء أن لا علاج لها، شفى الله منها، فهو القادر على كل شيء لا رب سواه.

ثم إن استعمال الدواء لا يتنافى مع التوكل على الله، فحقيقة التوكل: اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولابد مع الاعتماد من مباشرة الأسباب.

نصائح للأطباء:

• الداء من الله، والدواء من الله، والطبيب رجل أُرسِل الدواء على يديه، ولذلك كان على الأطباء أن يستحضروا هذا الأمر، فهم رسل الرحمة، يرشدون الناس إلى رحمة الله التي جعلها في الدواء.

• كما عليهم أن يعلموا مقدار حاجة الناس إليهم، قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صنفان لا غنى للناس عنهما: العلماء لأدْيانهم، والأطباء لأبدانهم».

• وينبغي أن يعمل الأطباء على الإحسان إلى الضعفاء، ومَن لا قدرة له على ثمن العلاج، وبذلك ينالون شرف الدنيا وثواب الآخرة، فما عليه الحال اليوم من غلاء الدواء - بمختلف أشكاله - يفرض على أهل الإحسان من الأطباء والأغنياء أن يبذلوا مما أفاء الله عليهم مساعدة منهم للمرضى من الفقراء، وبذلك تتحقق الأخوة وتعم المحبة.

• وينبغي أن يخلص الأطباء النيّة لله تعالى في عملهم، لا من أجل أن يحصلوا على الراتب والمكافأة والجاه وما أشبه ذلك فقط، ولكن من أجل أن يرفعوا الآلام والأمراض بقدر الله عَزَّوَجَلَّ على أيديكم والإحسان إلى هؤلاء الذين

تداوونهم، وبإخلاص النية يكون أثر العمل جيدًا والعكس كذلك.

• وينبغي أن يحرصوا على تذكير الإنسان المريض بالتوبة والاستغفار وكثرة الذكر وقراءة القرآن.

• وإذا قدر أن أحد المرضى حضر أجله فالمطلوب من الأطباء أن يُلَقّنوه شهادة أن لا إله إلا الله.

• ومن ذلك أن يسألوه كيف يصلي، كيف يتطهر، ويرشدوه إلى ما عندهم من العلم، لأن بعض المرضى لا يتطهر كما ينبغي، بعض المرضى يكون على ثيابه شيء من النجاسة ويقول إذا شفاني الله تطهرت وصليت، بعض المرضى يقصر الصلاة وهو في بلده، يظن أنه إذا جاز الجمع جاز القصر وهذا ليس بصحيح، القصر إنما يجوز للمسافر فقط.

• إذا كان المريض من غير جنس الطبيب، بمعنى أنه دعت الضرورة بأن يعالج الرجل امرأة فليحذر الفتنة، ولا ينظر منها إلا ما تدعو الحاجة إليه، وبأدنى قول أو عمل لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

• وينبغي أن يحرص الأطباء أن يكون استقبال المريض في حال الصلاة إلى جهة القبلة بقدر الإمكان حتى لو أدَرْنا السرير إن أمكن فليكن، فإن لم يكن فليقولوا للمريض: «اتَّقِ الله حَيثُمَا كُنْتَ». **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

• وينبغي أن يوصِي الأطباء المرضى إذا كانوا في غرفة واحدة، بأن لا يؤذي بعضهم بعضًا، فإن بعض المرضى قد يؤذي الآخرين إما باستماع مسجل أو راديو، وإذا كان هذا ممنوعًا فربما يؤذي من معه بقراءة القرآن، يقرأ القرآن ويرفع صوته.

• ويجب على الأطباء ألا يُكثروا الكلام مع الممرضات إلا بقدر الحاجة

مع غضّ البصر لأن المسـألة هذه خطيرة جدًا، فقـد تؤدي المحادثة إلى ما هو شر منها، لكن ما دعت إليه الحاجة لا بأس بها مع غض البصر.

كُلُّ الحوادثِ مبدؤُها مِن النظرِ ... ومعظمُ النارِ مِن مُستصغَرِ الشررِ

كمْ نظرةٍ بلغتْ في قلبِ صاحبِها ... كمَبلَغِ السهمِ بينَ القَوْسِ والوترِ

والعبْدُ ما دامَ ذا طَرْفٍ يقلّبُهُ ... في أعيُنِ الْغِيْدِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ

يَسُرُّ مُقْلَتَهُ ما ضَرَّ مُهْجَتَهُ ... لا مرحَبًا بسُرورٍ عادَ بالضررِ

امرأة غَيْداءُ وغادَةٌ، أي ناعمةٌ بيِّنة الغَيَدِ: أي النُعومة.



١٣٩- عيادة المريض وفوائد المرض

عيادة المريض من حقوق المسلم:

إن زيارة المريض سنة وحق من حقوق المسلم على أخيه المسلم؛ فعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: «أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ **بِاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ القَسَمِ، وَرَدِّ السَّلاَمِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ**» [رواه البخاري ومسلم]، وفوائد زيارة المريض كثيرة منها:

١- في العيادة اتّباعٌ لسُنّة المصطفى ﷺ واتّباع لأمره واقتداء بهديه.

٢- في عيادة المريض تحقيق للتّواصل بين المسلمين وتحقيق للألفة بينهم، وببركة العيادة تعمّ المودّة والتّراحم بين المسلمين، إذ تحبّب العائد فيمن يعوده.

٣- عيادة المرضى وزيارتهم تُذَكّر الزائر بالله عز وجل، وتُشعره بالموت لئلا يسرح ويمرح في هذه الدنيا دون يقظة واعتبار، وتكون الزيارة أكثر اعتبارًا وتذكرًا عند زيارة المرضى في المستشفيات والمصحات العامة عمومًا وعند قرب الموت ودنوّ الأجل، ولدور النقاهة والإعاقة خصوصًا لأصحاب الأمراض المزمنة أو المروعة نتيجة الحوادث المتعددة الأسباب، في تلك الدور مرضى قارب بعضهم عشرين عامًا ومنهم أقل أو أكثر، كثير منهم صابرون محتسبون، ففي زيارتهم العبر والدروس الكثيرة لأهل الصحة والعافية والأمراض الخفيفة والعابرة.

٤- أنك تُدْخِل إلى نفس المريض البهجة والسرور وتزيل عنه الهم والحزن والتفكير، ففي عيادة المريض تطييبٌ لخاطره ورفْعٌ لرُوحه المعنويّة ممّا قد يعجّل له بالشّفاء.

٥- في العيادة رجاء شفاء المريض ببركة دعاء العائد له.

٦- في عيادة المريض جَبْرٌ لخاطر أهله وإشاعة روح المحبّة بين النّاس.

٧- ما يحصل للزائر من الأجر والثواب عند الله تعالى:

* عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم - عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ**»، قِيلَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟»، قَالَ: «**جَنَاهَا**» [رواه مسلم]. أي يؤول بِهِ ذَلِكَ إِلَى الْجَنَّةِ وَاجْتِنَاءِ ثِمَارِهَا.

* وعن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ**».

(غُدْوَةً) مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْغَدْوَةِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَوَّلُ النَّهَارِ وَمَا قَبْلَ الزَّوَالِ. (إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ) أَيْ دَعَا لَهُ بِالْمَغْفِرَةِ (حَتَّى يُمْسِيَ) مِنْ الْإِمْسَاءِ. (وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً) أَيْ مَا بَعْدَ الزَّوَالِ أَوْ أَوَّلَ اللَّيْلِ. (وَكَانَ لَهُ) أَيْ لِلْعَائِدِ (خَرِيفٌ) أَيْ بُسْتَانٌ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الثَّمَرُ الْمُجْتَنَى.

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَا»، قَالَ: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَا»، قَالَ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَا»، قَالَ: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَا»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» [رواه مسلم].

من آداب زيارة المريض:

١- أن يلتزم بالآداب العامّة للزّيارة كأن يدقّ الباب برفق، وألّا يبهم نفسه، وأن يغضّ بصره، وألّا يقابل الباب عند الاستئذان.

٢- اختيار الوقت المناسب، فلا تكون - مثلًا - في وقت الظّهيرة صيفًا. وأن لا يزوره في الأوقات التي ينهى الطبيب فيها الزيارة عنه.

٣- وأن يراعي عدم الإطالة في الزيارة وإفساح المجال للغير من الأهل والأقرباء، فلا يطيل الجلوس حتّى يضجر المريض، أو يشقّ على أهله، فإذا اقتضت ذلك ضرورة فلا بأس.

٤- ألّا يكثر العائد من سؤال المريض، لأنّ ذلك يثقل عليه ويضجره.

٥- ألّا يتكلّم العائد أمام المريض بما يقلقه ويزعجه وأن يظهر له من الرّقّة واللّطف ما يطيّب به خاطره.

٦- أن يوسّع العائد للمريض في الأمل، ويشير عليه بالصّبر لما فيه من جزيل الأجر، ويحذّره من اليأس ومن الجزع - إن رأى منه ذلك - لما فيهما من الوزر.

٧- ألّا يكثر عوّاد المريض من اللّغط والاختلاف بحضرته لما في ذلك من إزعاجه، وله في هذه الحالة أن يطلب منهم الانصراف.

٨- أن يراعي تعليمات الأطباء في عدم إحضار الأطعمة والأشربة الممنوعة للمريض.

٩- أن يدعو العائد للمريض بالعافية والصّلاح، وقد وردت في ذلك أدعية عديدة عن النبي ﷺ منها:

• «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ البَأْسَ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفاؤكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقمًا» [رواه البخاري ومسلم].

• «أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيَكَ» يقول ذلك سَبْعَ مَرَّاتٍ. [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

• «لاَ بَأْسَ؛ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ» [رواه البخاري]. (لاَ بَأْسَ): لا شدةَ عليكَ

ولا أذًى، (طَهُورٌ) يعني هذا طهور، أَيْ طُهْرٌ لَكَ إن شاء الله، أي أن التطهير يحصل إن شاء الله.

فوائد المرض:

١- استخراج عبودية الضراء وهي الصبر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة].

أخبر أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن، ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة، لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر. فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ ﴾ من الأعداء ﴿وَالْجُوعِ﴾ أي: بشيء يسير منهما؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو الجوع كله، لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ ﴾ وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من جوائح سماوية، وغرق، وضياع، وأخذ الظلمة للأموال من الملوك الظلمة، وقطاع الطريق وغير ذلك، ﴿وَالْأَنفُسِ﴾ أي: ذهاب الأحباب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه، ﴿وَالثَّمَرَاتِ ﴾ أي: الحبوب، وثمار النخيل، والأشجار كلها، والخُضَر ببَرَد، أو بَرْدٍ، أو حرقٍ، أو آفةٍ سماوية، من جراد ونحوه.

فهذه الأمور لابد أن تقع، لأن العليم الخبير أخبر بها، فوقعت كما أخبر، فإذا وقعت انقسم الناس قسمين: جازعين وصابرين، فالجازع، حصلت له

المصيبتان، فوات المحبوب، وهو وجود هذه المصيبة، وفوات ما هو أعظم منها، وهو الأجر بامتثال أمر الله بالصبر، ففاز بالخسارة والحرمان، ونقص ما معه من الإيمان، وفاته الصبر والرضا والشكران، وحصل له السخط الدال على شدة النقصان.

وأما من وفَّقَه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فحبس نفسه عن التسخط، قولا وفعلا واحتسب أجرها عند الله ﷻ، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت طريقا لحصول ما هو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثواب، فلهذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: بشرهم بأنهم يُوَفَّوْن أجرهم بغير حساب.

فالصابرون هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ﴾ وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذِكْره.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ أي: مملوكون لله مدَبَّرُون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها فقد تصرف أرحم الراحمين، بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي هو أرحم بعبده من رحمة العبد لنفسه، فيوجب له ذلك الرضا عن الله، والشكر له على تدبيره لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله فإنا إليه راجعون يوم المعاد، فمجازٍ كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفورا عنده، وإن جزعنا وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله وراجع إليه من أقوى أسباب الصبر.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الموصوفون بالصبر المذكور ﴿عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ أي: ثناء وتنويه بحالهم ﴿ وَرَحۡمَةٞۖ ﴾ عظيمة، ومن رحمته إياهم، أنْ وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع، علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله.

ودلت هذه الآية، على أن من لم يصبر، فله ضد ما لهم، فحصل له الذم من الله، والعقوبة، والضلال والخسار، فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصابرين، وأعظم عناء الجازعين، فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل، إذا وقعت، وبيان ما تقابل به، إذا وقعت، وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابر من الأجر، ويعلم حال غير الصابر، بضد حال الصابر.

وهذا الابتلاء والامتحان سنة الله التي قد خلت، ولن تجد لسنة الله تبديلًا، وبيان أنواع المصائب أن الابتلاءات سنة ربانية اقتضتها حكمة الله سبحانه في هذه الدار، لتكون دارًا للامتحان في الشهوات والفقر والمرض والخوف والنقص في الأموال والأنفس والثمرات، كما يكون الابتلاء بكثرة الأموال والأولاد والصحة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ومن جملة الابتلاءات الأمراض، حيث يبتلي الله بها من شاء من عباده، وإذا نزل بالعبد مرض أو مصيبة فحمد الله واسترجع وصبر أعطاه الله من الأجور ما لا يعلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [الزمر: ١٠]، فكل الأعمال قد تجد لها أجرًا معينًا إلا الصبر لعظمته فأجره بغير حساب.

وعَنْ أَبِى سِنَانٍ قَالَ دَفَنْتُ ابْنِى سِنَانًا وَأَبُو طَلْحَةَ الْخَوْلاَنِىُّ جَالِسٌ عَلَى

شَـفِيرِ الْقَبْـرِ، فَلَمَّـا أَرَدْتُ الْخُرُوجَ أَخَذَ بِيَدِى فَقَالَ: «أَلاَ أُبَشِّـرُكَ يَا أَبَا سِـنَانٍ»، قُلْـتُ: «بَلَى»، فَقَـالَ: «حَدَّثَنِى الضَّحَّاكُ بْـنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَـرْزَبٍ، عَنْ أَبِى مُوسَـى الأَشْـعَرِىِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَـالَ: «**إِذَا مَاتَ وَلَـدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلاَئِكَتِـهِ: «قَبَضْتُـمْ وَلَـدَ عَبْـدِى؟»، فَيَقُولُونَ: «نَعَـمْ»، فَيَقُولُ: «قَبَضْتُـمْ ثَمَرَةَ فُـؤَادِهِ؟». فَيَقُولُـونَ: «نَعَمْ»، فَيَقُـولُ: «مَاذَا قَـالَ عَبْدِى؟»، فَيَقُولُـونَ: «حَمِدَكَ وَاسْـتَرْجَعَ»، فَيَقُولُ اللهُ: «ابْنُوا لِعَبْدِى بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ وَسَـمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ**»، [رواه الترمذي، وحسّنه الألباني]. (الشفير: الطرف).

(قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ) أَيْ مَلَكِ الْمَوْتِ وَأَعْوَانِهِ (قَبَضْتُمْ) عَلَى تَقْدِيرِ الِاسْتِفْهَامِ (وَلَدَ عَبْدِي) أَيْ رُوحَهُ (فَيَقُولُ قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ) أَيْ يَقُولُ ثَانِيًا إِظْهَارًا لِكَمَالِ الرَّحْمَـةِ كَمَـا أَنَّ الْوَالِدَ الْعطُوفَ يَسْـأَلُ الْفَصَّادَ: «هَلْ فَصَدْت وَلَـدِي»، مَعَ أَنَّهُ بِأَمْرِهِ وَرِضَاهُ، وَقِيلَ سَـمَّى الْوَلَدَ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ لِأَنَّهُ نَتِيجَةُ الْأَبِ كَالثَّمَرَةِ لِلشَّـجَرَةِ (وَاسْـتَرْجَعَ) أَيْ قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (وَسَـمُّوهُ بَيْـتَ الْحَمْدِ) أَضَافَ الْبَيْتَ إِلَى الْحَمْدِ الَّذِي قَالَهُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ لِأَنَّهُ جَزَاءُ ذَلِكَ الْحَمْدِ.

إن العاقل الراضي هو مَن يعد البلاء عافية، والمنع نعمة، والفقر غنى، ويعد نعـم الله عليه فيمـا يكرهه أكثر وأعظم مـن نعمه عليه فيما يحبه، وقال سـفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْعُه عطاء؛ وذلك أنه لم يمنع عنه بُخلًا ولا عدمًا، وإنما نظر في خير عبده المؤمن فمنعه اختيارًا وحُسْن نَظَر».

٢- ومن أعظم فوائد المرض أنه سبب لدخول الجنة، والبعد عن النار:

فالجنـة سـلعة الله الغالية التي لا تُنَـالُ إلا بما تكرهه النفـس، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِـكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَـالَ: سَـمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُـولُ: «**إِنَّ اللهَ قَـالَ: إِذَا ابْتَلَيْـتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ**» [رواه البخاري]. (حَبِيبَتَيْهِ): عَيْنَيْهِ.

وعَـنْ أَبِـى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ أَنَّـهُ عَادَ مَرِيضًا وَمَعَهُ أَبُـو هُرَيْرَةَ مِنْ

وَعْكٍ كَانَ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَبْشِرْ فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فِي الآخِرَةِ**» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني]. (الْوَعْكُ): قِيلَ: هُوَ الْحُمَّى، وَقِيلَ: أَلَمُهَا.

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ**» (رواه الترمذي، وحسّنه الألباني). (يَوَدُّ) أَيْ يَتَمَنَّى. (أَهْلُ الْعَافِيَةِ) أَيْ فِي الدُّنْيَا.

(قُرِضَتْ) أَيْ قُطِعَتْ. (فِي الدُّنْيَا) قِطْعَةً قِطْعَةً. (بِالْمَقَارِيضِ) جَمْعُ المِقْرَاض: مِقَصٌّ تُقَلّمُ به أغصانُ الشّجر أو تقصّ به الأظافرُ، والمعنى أنهم يتمنون ذلك لِيَجِدُوا ثَوَابًا كَمَا وَجَدَ أَهْلُ الْبَلَاءِ.

٣- ومن فوائد المرض أنه سبب في التهذيب للنفوس والتصفية لها من الشر الذي فيها، بتكفير خطاياك التي اقترفتها بقلبك وسمعك وبصرك ولسانك وسائر جوارحك:

إن مِن الناس مَن له ذنوب وليس له ما يكفرها، فيبتليه الله بالحزن والمرض لتصفيته وتنقيته من الذنوب إن صبر واحتسب، وتعجيل العقوبة للمؤمن في الدنيا خير له من عقوبة الآخرة حتى تكفر عنه ذنوبه، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**» [رواه البخاري ومسلم].

(النَصَبُ) هُوَ التَّعَبُ. (الْوَصَبُ): أَيْ المَرَضُ، وَقِيلَ هُوَ الْمَرَضُ اللَّازِمُ.

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**» [رواه البخاري ومسلم].

وعَـنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

٤- ومـن فوائـد المرض وغيره من المصائب أنه سـبب للدعـاء واللجوء والانكسـار بين يدي الله فيرد العبد الشـارد عن ربه إليـه ويُذَكِّره بمولاه بعد أن كان غافـلًا عنـه ويكفه عن معصيته بعد أن كان منهمكًا فيها، فإن العبد متى كان صحيحًا معافًى قد ينهمك في ملذاته وشـهواته ويقبل على دنياه وينسـى مولاه، فكم من أناس أعرضوا عن اللجوء إلى الله والدعاء والانكسار بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ، فمرضوا فلجؤوا إلى الله خاشـعين منكسـرين، **قَالَ تَعَالَى**: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٢].

يقـول **تَعَالَى**: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ**﴾ من الأمم السـالفين، والقرون المتقدميـن، فكذبوا رسـلنا، وجحدوا بآياتنـا ﴿**فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ**﴾ أي: بالفقـر والمرض والآفـات، والمصائب، رحمةً منا بهـم ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ**﴾ إلينا، ويلجأون عند الشدة إلينا.

٥- ومن فوائد المرض طهـاره القلب من الأمراض: فإن الصحة قد تدعو إلى الأشر والبطر والإعجاب بالنفس لما يتمتع به المرء من نشاط وقوة وهدوء بـال، فإذا قيـده المرض وتجاذبته الآلام انكسـرت نفسـه ورَقّ قلبُه وتطهر من الأخلاق الذميمة والصفات القبيحة.

قد يُنعِم اللهُ بالبلوى وإنْ عظُمَتْ ويبتلِي اللهُ بعضَ القومِ بالنعمِ

٦- أنـه يعقبـه لذة وسـرور في الآخرة، فـإن مـرارة الدنيا حـلاوةُ الآخرة، والنعيم لا يُدرَك بالنعيم، وكما قال ﷺ: «**الدُّنْيَا سِـجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**» [رواه مسلم].

٧- قد يكون المرض سببًا في امتناعه من سيئات كان يعملها لو كان صحيحًا.

٨- من فوائد المرض معرفة العبد ذله وحاجته وفقره إلى الله ﷻ، فأهل السماوات والأرض محتاجون إليه سبحانه، فهم الفقراء إليه وهو الغني سبحانه، ولولا أن سلّط على العبد هذه الأمراض والبلايا لنسي نفسه ونسي خالقه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

عاد سلمان الفارسي رضي الله عنه مريضًا فقال له: «أَبْشِرْ فإنّ مَرَضَ المؤمن يجعله الله له كفارة، وإنّ مرض الفاجر كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه، فلا يدري لِمَ عُقِل ولِمَ أرسِل»، والمعنى أن الفاجر لم يؤثر عليه المرض فلم يرجع إلى ربه ولم يعرف أن المرض نزل به لإيقاظه من الغفلة وإرجاعه إلى الحق.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «مصيبة تُقبِل بها على الله خير لك من نعمة تُنسِيك ذِكْر الله».

٩- من فوائد المرض أن يعلم المسلم سنة الحياة، فالمرض لا يفرق بين غنيٍ ولا فقير، ولا يعرف فقيرًا ولا عزيزًا، الناس سواء والمرض لا بد للجميع.

١٠- من فوائد المرض أنه يهمس في قلوبنا قائلًا: «بِنْيَتُك - يا ابن آدم - ليسَتْ من الصلب والحديد، بل من مواد ضعيفة قابلة للتحلل والتفسخ، فدَعْ عنك الغرور، واعرف عجْزك، واعرف أصْلك، وافهم وظيفتك في الحياة الدنيا».

١١- المرض يجعلك تتأمّل فيمن ابتلاهم الله بأشدّ منك، فيجعلك تصبر وتحمد الله على ما أنت فيه وترضى بما قسمه الله لك.

١٢- المريض يحصل له في حال مرضه من أوقات الفراغ ما لا يحصل

لـه فيما سـواه، فليحـرص على اسـتغلال أوقاته فيمـا يقربه مـن الله، من قراءة للقـرآن وحفظه، وطلب للعلم واسـتزادة مـن النوافل، وأمـر بالمعروف ونهي عى المنكر، ودعوة الى الله، وليعلم أن المسـلم مأمور باتباع أوامر الله تعالى في سرائه وضرائه، وفي حال صحته وبلائه.

١٣- في المـرض يتذكـر العبـد نعم الله السـابقة والحاضـرة، فكم منح الله المريـض من نعمة وكم دفع عنه من مكـروه، فالمرض يُذَكِّر أيام الصحة، فكم من أوقات كثيرة وسنوات عديدة والعبد فيها طليقٌ من المرض.

ويتذَكّر أيضًا النعم الحاضرة، فلقد بقيتْ نعمةُ العقل وسلامةُ الأعضاء.

ومن النعم الحاضرة أن أجر المريض جارٍ وعمله مسـتمر، قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**» [رواه البخاري]، فعلى العبد أن يجتهد في حال الصحة في الأعمال الصالحة؛ لتكتب له كاملة في حال عجزه عن العمل.

١٤- المرض قد يكون سببًا لنَيْل الشهادة في سبيل الله :

فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن شـهداء أمة النبـي كثير: منهم من قتل في سـبيل الله، ومنهـم المطعون، وهو الذي يمـوت بالطاعون. ومنهم المبطون وهو الذي يموت من علة البطن، كالاستسقاء وهو انتفاخ الجوف، والإسهال، وقيـل: هو الذي يموت بـداء بطنه مطلقًـا. ومنهم الحريق، وهـو الذي يموت بحـرق النار. ومنهم صاحب ذات الجنب، وهـي قرحة تكون في الجنب وورم شـديد باطنًا. ومنهم المرأة تموت حاملًا، وقد جمعت ولدها في بطنها. ومنهم الذي يموت بالسُّـلِّ - بكسر السين، وضمها وتشديد اللام -، وهو داءٌ يحدث في الرئة. [راجع كتاب أحكام الجنائز، للألباني].

كلنا ذُوُو مرض:

لا شك أن الإنسان لا يَسْلم من المرض كلٌ بحسَبه، وعلى المرء أن يحسن الظن بالله تعالى وأن يصبر وأن يحتسب حتى يبلغ الأجر والثواب من الكريم الوهاب وأن يدعو الله تعالى ويلتجئ إليه بالدعاء وأن يُكثر من الذكر والاستغفار وأن يرد للناس حقوقهم، وأن يتذكر الصحة والعافية، وأن يبحث عن الدواء المباح، وأن يتوب إلى الله ﷻ.

وليعلم المريض وغيرُه أنه ما يصاب به الإنسان إنما هو من قضاء الله وقدره؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة:٥١]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن:١١].

قول تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ ﴾ هذا عام لجميع المصائب، في النفس، والمال، والولد، والأحباب، ونحوهم، فجميع ما أصاب العباد، فبقضاء الله ﷻ وقدره، قد سبق بذلك علم الله، وجرى به قلمه، ونفذت به مشيئته، واقتضَتْه حكمته، والشأن كل الشأن: هل يقوم العبد بالوظيفة التي عليه في هذا المقام أم لا يقوم بها؟

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ ﴾ فإن قام بها، فله الثواب الجزيل، والأجر الجميل، في الدنيا والآخرة، فإذا آمن أنها من عند الله، فرضي بذلك، وسَلّم لأمره، هدى الله قلبه، فاطمأن ولم ينزعج عند المصائب كما يجري لمن لم يهد الله قلبه، بل يرزقه الثبات عند ورودها والقيام بموجب الصبر، فيحصل له بذلك ثواب عاجل، مع ما يدخر الله له يوم الجزاء من الثواب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠].

وعُلِمَ من هذا أن من لم يؤمن بالله عند ورود المصائب، بأن لم يلحظ قضاء الله وقدره، بل وقف مع مجرد الأسباب، أنه يُخْذَل، ويَكِلُه الله إلى نفسه، وإذا وُكِلَ العبد إلى نفسه، فالنفس ليس عندها إلا الجزع والهلع الذي هو عقوبة عاجلة على العبد، قبل عقوبة الآخرة، على ما فرط في واجب الصبر.

هذا ما يتعلق بقوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ في مقام المصائب الخاص، وأما ما يتعلق بها من حيث العموم اللفظي، فإن الله أخبر أن كل من آمن أي: الإيمان المأمور به، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وصدق إيمانه بما يقتضيه الإيمان من القيام بلوازمه وواجباته، أن هذا السبب الذي قام به العبد أكبر سبب لهداية الله له في أحواله وأقواله، وأفعاله وفي علمه وعمله.

وهذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان، فالمؤمنون يثبتهم الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأصل الثبات: ثبات القلب وصبره، ويقينه عند ورود كل فتنة، قال تَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ فأهل الإيمان أهدى الناس قلوبًا، وأثبتهم عند المزعجات والمقلقات، وذلك لما معهم من الإيمان.



١٤٠- صور مشرقة للصابرين على ابتلاء المرض

ما ينبغي على المريض فِعْلُه:

١- عليه بالصبر، فإن الصبر على المصائب واجب، ويتحقق الصبر بحبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس الجوارح عن فعل ما ينافي الصبر من لطم الخدود وشق الجيوب ونتف الشعور. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر:١٠].

٢- أن يعلم أن المرض مقدر من عند الله، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة:٥١].

٣- وأن يتيقن أن الله أرحم به من نفسه ومن والدته والناس أجمعين.

٤- وأن يعلم أن ما أصابه هو عين الحكمة من الله.

٥- وأن الله أراد بـه خيـرًا؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**» [رواه البخاري].

٦- وأن يعلم أن الجزع لا يفيده، وإنما يزيد آلامه ويفوت عليه الأجر، قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إنك إن صبرتَ جَرَتْ عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعتَ جرتْ عليك المقادير وأنت مأزور».

٧- وأن يعلـم أن الدنيا دار الابتلاءات والأسـقام والأحـزان، وأنها حقيرة عنـد الله، وأن تعلـم أن وراء هذه الدار دارًا أعظم منهـا وأجل قدرًا، وأنك لابد مرتحـل إليها إن كنت من أهلها، وهي الجنة التي أعدها الله لأوليائه التي تزول فيها الأكدار والأسقام والأحزان.

٨- أن يتسـلى بالنظـر إلى من هو أشـد منه بـلاءً وأعظم منه مرضًـا، وأن ينظر

ويتذكر أن مصيبته ليست في دينه، فكل مصيبة ليست في الدين فهي هينة؛ فقد كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا**». [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

٩- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «ما أصابتني مصيبة إلاّ رأيتُ أن لله عَلَيّ فيها ثلاث نِعَم: أن لم تكن المصيبة في ديني، ولم يكن ما هو أكبر منها فدفع الله بها ما هو أعظم منها، والثالثة ما جعل الله فيها من الكفَّارة لما كنا نتوقاه من سيئات أعمالنا».

١٠- أن يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عز وجل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**» [رواه البخاري ومسلم].

(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) أجازيه بحسب ظنه بي: فإن رجا رحمتي وظن أني أعفو عنه وأغفر له فله ذلك؛ لأنه لا يرجوه إلا مؤمن علم أن له ربًّا يجازي، وإن يئس من رحمتي وظن أني أعاقبه وأعذبه فعليه ذلك لأنه لا ييأس إلا كافر.

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، يَقُولُ: «**لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ**» [رواه مسلم].

قَالَ الْعُلَمَاءُ: هَذَا تَحْذِيرٌ مِنَ الْقُنُوطِ وَحَثٌّ عَلَى الرَّجَاءِ عِنْدَ الْخَاتِمَةِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَى حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى أَنْ يَظُنَّ أَنَّهُ يَرْحَمُهُ وَيَعْفُو عَنْهُ.

قَالُوا: وَفِي حَالَةِ الصِّحَّةِ يَكُونُ خَائِفًا رَاجِيًا وَيَكُونَانِ سَوَاءً، فَإِذَا دَنَتْ أَمَارَاتُ الْمَوْتِ غَلَّبَ الرَّجَاءَ لِأَنَّ مَقْصُودَ الْخَوْفِ الِانْكِفَافُ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْقَبَائِحِ وَالْحِرْصُ عَلَى الْإِكْثَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْأَعْمَالِ، وَقَدْ تَعَذَّرَ ذَلِكَ أَوْ مُعْظَمُهُ فِي هَذَا الْحَالِ، فَاسْتُحِبَّ إِحْسَانُ الظَّنِّ الْمُتَضَمِّنُ لِلِافْتِقَارِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَالْإِذْعَانِ لَهُ.

١١- يحَصِّل الصبر بالتصبر لقوله ﷺ: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ**» (رواه البخاري ومسلم). (يَتَصَبَّرْ) يحمل نفسَه على الصَّبر. (يُصَبِّرهُ الله) أَيْ فَإِنَّهُ يُقَوِّيه وَيُمَكِّنهُ مِنْ نَفْسه حَتَّى تَنْقَاد لَهُ وَيُذْعِن لِتَحَمُّلِ الشِّدَّة، فَعِنْد ذَلِكَ يَكُون الله مَعَهُ فَيُظْفِرهُ بِمَطْلُوبِهِ.

١٢- ينتظر الفرج فإن فيه تهويناً، ومعونة على الصبر، وتصور انجلاء الشدائد وانكشاف الهموم.

١٣- يدع عنه (لو) فإنها تفتح عمل الشيطان، فإذا أصيب بمرض لسبب من الأسباب فلا يفتح على نفسه باباً للشيطان فيقول: لو فعلت كذا لكان كذا مما فيه اعتراض على قدر الله وقضائه، وإنما عليه بالتسليم والاطمئنان بأن ما أصابه لابد من حصوله، وأن ماشاء الله لابد أن يقع وفق مشيئة الله.

قال ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» [رواه مسلم].

١٤- يأخذ بالأسباب المشروعة فيتداوى؛ لقوله ﷺ: «**تَدَاوَوْا؛ فَإِنَّ اللهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

١٥- يبتعد عن الطرق المحرمة سواء في الأدوية أو الطرق والوسائل بالذهاب إلى السحرة والمشعوذين أو تعلق التمائم والعزائم وغيرها، فالأدوية المباحة والطرق المشروعة فيها الغنية بإذن الله عن المحرمات.

١٦- يعلم أن الدواء مجرد سبب للشفاء، والشافي حقيقة هو الله ﷻ وأنه هو مسبب الأسباب، وبيده الدواء، فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ: «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ،**

فَـإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» [رواه مسلم]. والمعنى أن الله تعالى إذا شاء الشِّفاء يسَّر دواء ذلك الدَّاء، ونبَّه عليه مستعمله، فيستعمله على وجهه، وفي وقته، فيشفى ذلك المرض، وإذا أراد إهلاك صاحب المرض أذهل عن دوائه، أو حجَبه بمانع يمنعه، فهلك صاحبه، وكلُّ ذلك بمشيئته وحُكْمه.

١٧- عليه بالرقى الشرعية من الكتاب والسنة، فإن أعظم ما يتداوى به العباد هو كلام الله الذي فيه الهدى والشفاء والتنفيس والتفريج، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وإن من الأمراض ما لا شفاء له إلا بالقرآن والأدعية النبوية كإبطال السحر وإخراج الجان وإبطال أثر العين.

١٨- عليه بكثرة الاستغفار، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود].

١٩- عليه بكثرة الدعاء، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام: ١٧].

وعليه ألا يستعجل الإجابة، ويلحَّ على ربه ويعلم أن الله ﷻ لا يخيب رجاء مَن دعاه ولاذ بجانبه مخلصًا صادقًا، وكن على يقين بالإجابة؛ قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**»، [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

(إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ) أَيْ كَثِيرُ الْحَيَاءِ وَوَصْفُهُ تَعَالَى بِالْحَيَاءِ يُحْمَلُ عَلَى مَا يَلِيقُ لَهُ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ نُؤْمِنُ بِهَا وَلَا نُكَيِّفُهَا. (كَرِيمٌ) هُوَ الَّذِي يُعْطِي مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ فَكَيْفَ

بَعْـدَهُ. (صِفْرًا) أَيْ خَالِيَتَيْنِ، يَسْـتَوِي فِيهِ الْمُذَكَّـرُ وَالْمُؤَنَّثُ وَالتَّثْنِيَـةُ وَالْجَمْعُ. (خَائِبَتَيْنِ) مِنَ الْخَيْبَةِ وَهِيَ الْحِرْمَانُ.

فعلى المسـلم إذا مرض أن يدعـو الله ﷻ ليرفع عنه المرض لأنه هو الذي أنزله وهو الذي يرفعه متى شاء، وفي الوقت نفسه يبذل الأسباب للعلاج بالطرق المباحة.

٢٠- مهما اشـتد به المرض، فلا يجوز له أن يتمنى الموت؛ لحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَـإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَاعِلًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُـمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي**» [رواه البخاري ومسلم].

ولحديـث أُمِّ الْفَضْـلِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ دَخَـلَ عَلَيْهِـمْ وَعَبَّاسٌ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَشْتَكِي، فَتَمَنَّى عَبَّاسٌ الْمَوْتَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَمِّ، لاَ تَتَمَنَّ الْمَوْتَ، فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ مُحْسِـنًا، فَإِنْ تُؤَخَّرْ تَزْدَدْ إِحْسَـانًا إِلَى إِحْسَـانِكَ خَيْرٌ لَكَ، وَإِنْ كُنْتَ مُسِـيئًا فَإِنْ تُؤَخَّرْ فَتُسْـتَعْتَبْ مِنْ إِسَاءَتِكَ خَيْرٌ لَكَ، فَلا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ**» [رواه الحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي والألباني].

أُمِّ الْفَضْلِ: زَوْجَةُ العَبَّاسِ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ وَأُمُّ أَوْلاَدِهِ الرِّجَالِ السِّتَّةِ.

نماذج من صبر الصابرين على المرض:

صبر النبي ﷺ على المرض:

قَالَتْ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَـدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ» [رواه البخاري ومسلم].

وعَـنْ عَبْـدِ اللهِ بْنِ مَسْـعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَـالَ: «دَخَلْتُ عَلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي»، فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا»، قَالَ: «**أَجَـلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**»، قُلْـتُ: «ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟»،

قَالَ: «أَجَلْ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ، فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**» [رواه البخاري ومسلم].

(الْوَعْكُ): قِيلَ: هُوَ الْحُمَّى، وَقِيلَ: أَلَمُهَا.

صبر أيوب عليه السلام:

إن أيوب عليه السلام قد ابتلاه الله في أهله وماله وولده وجسده، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ**﴾ [الأنبياء].

أي: واذكر عبدنا ورسولنا، أيوب عليه السلام - مُثْنِيًا مُعَظِّمًا له، رافعًا لقَدْره - حين ابتلاه الله ببلاء شديد، فوجده صابرًا راضيًا عنه، وذلك أن الشيطان سلط على جسده، ابتلاءً من الله عز وجل وامتحانًا، واشتد به البلاء، ومات أهله، وذهب ماله، فنادى ربه: رب ﴿**أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ**﴾ فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة فاستجاب الله له، وقال له: ﴿**ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾ [ص:٤٢] فركض برجله فخرجت من ركضته عين ماء باردة فاغتسل منها وشرب، فأذهب الله عنه ما به من الأذى ﴿**وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ**﴾ أي: رددنا عليه أهله وماله.

﴿**وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ**﴾ بأن منحه الله العافية من الأهل والمال شيئا كثيرا، ﴿**رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا**﴾ به، حيث صبر ورضي، فأثابه الله ثوابًا عاجلًا قبل ثواب الآخرة.

﴿**وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ**﴾ أي: جعلناه عبرة للعابدين، الذين ينتفعون بالعبر، فإذا رأوا ما أصابه من البلاء، ثم ما أثابه الله بعد زواله، ونظروا السبب، وجدوه الصبر، ولهذا أثنى الله عليه به في قوله **تَعَالَىٰ**: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ**﴾ فجعلوه أسوة وقدوة عندما يصيبهم الضر.

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص].

أي: ﴿ وَٱذْكُرْ ﴾ في هـذا الكتـاب ذي الذكـر ﴿عَبْدَنَآ أَيُّوبَ ﴾ بأحسـن الذكر، وأثن عليه بأحسـن الثناء، حين أصابه الضر، فصبر على ضره، فلم يشْـتَكِ لغير ربه، ولا لجأ إلا إليه.

ف ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ داعيًا، وإليه لا إلى غيره شـاكيا، ﴿ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ أي: بأمر مشق متعب معذب، وكذلك هلك أهلُه وماله.

فقيل له: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ أي: اضرب الأرض بها، لينبع لك منها عين تغتسـل منها وتشـرب، فيذهب عنك الضر والأذى، ففعل ذلك، فذهب عنه الضر، وشفاه الله تعالى.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ ﴾ قيـل: إن الله تعالى أحياهم لـه ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ في الدنيا، وأغناه الله، وأعطاه مالًا عظيمًا ﴿ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ بعبدنا أيوب، حيث صَبَر فأثَبْناه مِن رحمتِنا ثوابًا عاجلًا وآجلًا، ﴿ وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ أي: وليتذكر أولو العقول بحالـة أيوب ويعتبروا، فيعلموا أن مـن صبر على الضُرِّ فإن الله تعالى يثيبه ثوابًا عاجلًا وآجلًا ويستجيب دعاءه إذا دعاه.

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا ﴾ الضغث: كلُّ ما جُمع وقُبض عليه بِجُمْع الكفّ.

أي حُزْمَةً مِنْ حَشِـيش أو قش القمح أو الشعير ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ ﴾ قال المفسـرون: وكان في مرضه وضـره، قد غضب على زوجتـه في بعض الأمور، فحلف: لئن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة، فلما شفاه الله، وكانت امرأته صالحة محسنة إليه، رحمها الله ورحمه، فأفتاه أن يضربها بضغث فيه مائة شمراخ ضربة واحدة، فيبر في يمينه.

﴿إِنَّا وَجَدْنَهُ﴾ أي: أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿صَابِرًا﴾ أي: ابتليناه بالضر العظيم، فصبر لوجه الله تعالى، ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ الذي كمل مراتب العبودية في حال السراء والضراء، والشدة والرخاء، ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي: كثير الرجوع إلى الله في مطالبه الدينية والدنيوية، كثير الذكر لربه والدعاء، والمحبة والتأله.

إن مع العسر يسرا:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللهِ لَبِثَ بِهِ بَلَاؤُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، قَدْ كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانَ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: «نَعْلَمُ اللهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ»، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: «مُنْذُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللهُ فَيَكْشِفَ عَنْهُ مَا بِهِ».**

فَلَمَّا رَاحَا إِلَى أَيُّوبَ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ أَيُّوبُ: «لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ بِالرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ يَذْكُرَانِ اللهَ فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي، فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللهُ إِلَّا فِي حَقٍّ».

وَكَانَ يَخْرُجُ لِحَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا فَأَوْحَى اللهُ إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ أَنِ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ، فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَتَلَقَّتْهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: «أَيْ بَارَكَ اللهُ فِيكَ هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللهِ، هَذَا الْمُبْتَلَى؟ اللهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا». قَالَ: «فَإِنِّي أَنَا هُوَ».

وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ: أَنْدَرٌ لِلْقَمْحِ وأَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ أَحَدُهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَغَتِ الْأُخْرَى فِي أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَ».

(رواه الحاكم في المستدرك وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وقال الذهبي في التلخيص: «على شرط البخاري ومسلم»، ورواه ابنُ حِبَّانَ وَصَححهُ، وصححه الألباني، وقال الأرنؤوط: «إسناده على شرط مسلم»).

(كُنْتُ أَمُرُّ بِالرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ يَذْكُرَانِ اللهَ فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي، فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللهُ إِلَّا فِي حَقٍّ): مَا كَانَ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ كَفَّارَةً عَنْ يَمِينٍ كَانَتْ مِنْهُمَا، أَوْ مِنْ أَحَدِهِمَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْ حَالِفٍ بِيَمِينِ غَيْرِهِ بَعْدَ حَنْثِهِ فِيهَا، وَلَا قَبْلَ حَنْثِهِ فِيهَا وَهُوَ حَيٌّ، وَلَكِنَّهُ - وَاللهُ أَعْلَمُ - عَلَى كَفَّارَةٍ عَنِ الْكَلَامِ الَّذِي ذُكِرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ يَصْلُحُ أَنْ يُذْكَرَ.

(الأَنْدَر): البَيْدَرُ: الجُرْن: الموضع الذي يُدْرَس فيه القمح ونحوه وتجفف فيه الثمار. (الْوَرِق): الفضة.

من عبر القصة:

١ - هذا الحديث مما يدل على بطلان الحديث الذي في (الجامع الصغير) بلفظ: «أبى الله أن يجعل للبلاء سلطانًا على عبده المؤمن»، قال الألباني إنه حديث موضوع.

٢ - شدة تعظيم أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لربه فقد كان يُكَفِّر عن الذين يتنازعون، فيذْكرون الله خشية أن يُذْكَرَ اللهُ إلا في حق.

٣ - عِظَم وفاء زوجَةِ أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لزوجها، وبِرّها به، وكذا صديقاه، فالمصائب تكشف معادن البشر.

٤ - الصبر عاقبته إلى خير في الدنيا والآخرة.

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِى فِى ثَوْبِهِ، فَنَادَى رَبُّهُ: «يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ**

أَكُـنْ أَغْنَيْتُـكَ عَمَّا تَرَى؟»، قَالَ: «بَلَـى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى لِـي عَنْ بَرَكَتِكَ»، [رواه البخاري].

(بَيْنَـا): بينما. (خَرَّ عَلَيْهِ) أَيْ سَـقَطَ عَلَيْهِ. (رِجْلُ جَـرَادٍ) أَيْ جَمَاعَةُ جَرَادٍ، وَالْجَرَادُ اِسْـمُ جَمْعٍ وَاحِدُهُ جَرَادَةٌ كَتَمْرٍ وَتَمْرَةٍ. (يَحْثِي) أَيْ يَأْخُذُ بِيَدَيْهِ جَمِيعًا. (فَنَادَاهُ رَبُّهُ) يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِوَاسِطَةٍ أَوْ بِإِلْهَامٍ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ. (قَالَ: بَلَى) أَيْ أَغْنَيْتَنِي.

وَفِي الْحَدِيثِ جَوَازُ الْحِرْصِ عَلَى الِاسْـتِكْثَارِ مِنْ الْحَلَالِ فِي حَقِّ مَنْ وَثِقَ مِنْ نَفْسِهِ بِالشُّكْرِ عَلَيْهِ، وَفِيهِ تَسْمِيَةُ الْمَالِ الَّذِي يَكُونُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ بَرَكَةً، وَفِيهِ فَضْلُ الْغَنِيِّ الشَّاكِرِ.

صبر على السرطان وفَقْد الولد:

في الحكايـة الصحيحـة الثابتة - كما يقول الشـيخ أبو إسـحق الحويني -: أن عـروة بـن الزبير بن العوام، وهو أحد التابعيـن الكبار - رحمه الله - ورضي عـن أبيـه، رحل إلى الوليد عبد الملك بن مـروان، وكان في رجله مرض ودبَّتْ إلى رِجْله الآكلة (السـرطان)، فلما وصل إلى عبد الملك بن مروان استشـرى المـرض في رِجْلِه، فقال الطبيب لـه: «لا حل إلا أن نقطعها لك»، قال: «وكيف ذلك؟»، قالوا: «تشرب خمرًا حتى نستطيع أن نقطعها لك فلا تتألم»، فقال: «ما كنت لأسـتعين على دفع بلاء الله بمعصية الله، ولكن دَعُوني حتى إذا دخلت في الصلاة فاقطعوها».

فلما دخل في الصلاة قطعوها فما أحس بها، وبعد أيام من قطع رِجْله، سقط ولده من على سـطح الدار فمات - وكان عنده سـبعة أولاد - فبلغ ذلك عروة فقال: «اللهم لك الحمد، أخذْتَ واحدًا وأبقَيتَ سـتة، وأخَذْتَ عضوًا وأبقيت ثلاثة، اللهم لئن ابتلَيْتَ فلقد عافَيْتَ، ولئن أخذْتَ فلقد أبقَيْتَ».

قال الشيخ أبو إسحق الحويني: «لولا أن أسانيد هذه القصة صحيحة لما كاد المرء يصدقها!».

كيف تصبّر نفسها؟

كانت امرأة من العابدات بالبصرة تصاب بالمصائب فلا تجزع، فذكروا لها ذلك فقالت: «ما أصابُ بمصيبة فأذكر معها النار إلا صارت في عيني أصغر من الذباب».

من الأحكام الفقهية للمرضى:

الطهارة:

• يجب على المريض أن يتطهر بالماء بأن يتوضأ من الحدث الأصغر، ويغتسل من الحدث الأكبر، فإن لم يستطع ذلك لعجزه أو لخوفه من زيادة المرض أو تأخر برئه تيمم، وذلك بأن يضرب بيده على تراب طاهر له غبار ضربة واحدة، ثم يمسح وجهه بباطن أصابعه، وكفيه براحتيه.

• إن كان مرضه يسيرًا لا يخاف من استعمال الماء معه تلفًا، ولا مرضًا مخوفًا، ولا إبطاء برء، ولا زيادة ألم، ولا شيئًا فاحشًا، أو كان بإمكانه استعمال الماء الدافيء ولا ضرر عليه فلا يجوز له التيمم.

• إن كان لا يقدر على الحركة ولا يجد من يناوله الماء جاز له التيمم، فإن كان لا يستطيع التيمم يممه غيره.

• إذا كان المريض في محل لم يجد ماء ولا ترابًا ولا من يحضر له الموجود منهما، فإنه يصلي على حسب حاله.

• إن تلوث بدنه أو ملابسه او فراشه بالنجاسة ولم يستطع إزالتها أو التطهر منها، جاز له الصلاة على حالته التي هو عليها ولا إعادة عليه.

• لا يجوز له تأخير الصلاة عن وقتها بأي حال من الاحوال بسبب عجزه عن الطهارة أو إزالة النجاسة أو عدم توفر الماء أو التراب.

• من به جروح أو حروق أو كسر أو مرض يضره استعمال الماء فأجنب جاز له التيمم، وإن أمكنه غسل الصحيح من جسده وجب عليه ذلك، وتيمم للباقي.

• المريض المصاب بسلس البول أو استمرار خروج الدم او الريح، ولم يبرأ بمعالجته، عليه أن يتوضأ لكل صلاة بعد دخول وقتها، ويغسل ما يصيب بدنه وثوبه، أو يجعل للصلاة ثوبا طاهرًا إن تيسر، ويحتاط لنفسه احتياطًا يمنع انتشار البول أو الدم في ثوبه أو جسمه أو مكان صلاته،. وما خرج في الوقت من البول فلا يضره بعد وضوءه إذا دخل الوقت.

• وله أن يفعل في الوقت ما تيسر من صلاة وقراءة في مصحف حتى يخرج الوقت فإذا خرج الوقت وجب عليه أن يعيد الوضوء، أو تيمم إن كان لا يستطيع الوضوء.

• إن كان عليه جبيرة يحتاج إلى بقائها مسح عليها في الوضوء والغسل، وغسل بقية العضو، وإن كان المسح على الجبيرة أو غسل ما يليها من العضو يضره كفاه التيمم عن محلها وعن المحل الذي يضره غسله.

• يبطل التيمم بكل ما يبطل الوضوء وبالقدرة على استعمال الماء أو وجوده إن كان معدوما.

الصلاة:

• أجمع أهل العلم على أن من لا يستطيع القيام له أن يصلي جالسا، فإن عجز عن الصلاة جالسا صلى على جنبه مستقبلا القبلة بوجهه، والمستحب أن يكون على جنبه الأيمن، فإن عجز عن الصلاة على جنبه صلى مستلقيًا.

• مَن قدر على القيام وعجز عن الركوع أو السجود لم يسقط عنه القيام، بل يصلي قائما فيومىء بالركوع، ثم يجلس ويومىء بالسجود.

• إن كان بعينه مرض، فقال له ثقات من الأطباء: «إن صليت مستلقيا أمكن مداواتك وإلا فلا»، فله أن يصلي مستلقيًا.

• مَن عجز عن الركوع والسجود أومأ بهما، ويجعل السجود أخفض من الركوع، وإن عجز عن السجود وحده ركع وأومأ بالسجود.

• إن لم يمكنه أن يحني ظهره حنى رقبته، وإن كان ظهره متقوسًا فصار كأنه راكع، فمتى أراد الركوع زاد في انحنائه قليلًا، ويقرب وجهه إلى الأرض في السجود أكثر من الركع ما أمكنه ذلك.

• مَن لم يقدر على الإيماء برأسه كفاه النية والقول.

• متى قدر المريض فـي أثناء الصلاة على ما كان عاجزا عنه، من قيام أو قعود أو ركوع أو سجود أو إيماء، انتقل إليه وبنى على ما مضى من صلاته.

• إذا نام عن صلاة أو نسيها وجب عليه أن يصليها متى اسيقظ أو ذكر.

• لا يجوز ترك الصلاة بأي حال من الأحوال، بل يحرص عليها أيام مرضه أكثرمن أيام صحته، فلا يجور له ترك الصلاة المفروضة حتى يفوت وقتها ولو كان مريضا ما دام عقله ثابتًا، بل عليه أن يؤديها في وقتها حسب استطاعته، فإذا تركها عامدًا وهو عاقل مكلف يقْوَى على أدائها أو إيماءً بها فهو آثم، وقد ذهب جمع من أهل العلم إلى كُفْره بذلك.

• إنْ شَقَّ عليه فِعْلُ كل صلاة في وقتها فله الجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، جمع تقديم أو جمع تأخير، حسبما تيسر له.

الصيام:

• للمريض مع الصوم ثلاث حالات:

- أن لا يشق عليه الصوم ولا يضره فيجب عليه الصوم.

- أن يشق عليه الصوم فيكره له أن يصوم.
- أن يضره الصوم فيحرم عليه أن يصوم.
• إذا كان لا يمكنه القضاء لكَوْن مرضه مما لا يرجى برؤه أطعم عن كل يوم مسكينا، أما إن كان يمكنه القضاء فيصوم بعدد الأيام التي أفطرها بسبب المرض.
• القيء إن قصده أفطر، وإن قاء من غير قصده لم يفطر.





موضوعات مناسبات

١٤١- شهر يغفل الناس عنه

عبادة النبي ﷺ في شعبان:

لما كان الناس يشتغلون بغير شعبان عن شعبان فإن النبي ﷺ كان يعمره بالطاعة وبالصيام، ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان شرع فيه ما يشرع في رمضان من الصيام؛ ليحصل التأهب لتَلَقّي رمضان، وتتروض النفوس بذلك على طاعة الرحمن، ولهذه المعاني المتقدمة وغيرها كان النبي ﷺ يكثر من الصيام في هذا الشهر المبارك، ويغتنم وقت غفلة الناس وهو من؟ هو رسول الله ﷺ، هو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ»، [رواه البخاري ومسلم].

وفي رواية لمسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وقَدْ سُئِلَتْ عَنْ صِيَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: «كَانَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ صَامَ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ أَفْطَرَ، وَلَمْ أَرَهُ صَائِمًا مِنْ شَهْرٍ قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ صِيَامِهِ مِنْ شَعْبَانَ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا».

وَقَوْلهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (كَانَ يَصُوم شَعْبَان كُلّه، كَانَ يَصُومُهُ إِلَّا قَلِيلًا) الثَّانِي: وهو قولها (كَانَ يَصُومُهُ إِلَّا قَلِيلًا) تَفْسِيرٌ لِلْأَوَّلِ: وهو قولها (كَانَ يَصُوم شَعْبَان كُلّه)، وَبَيَان أَنَّ قَوْلهَا كُلّه أَيْ غَالِبُهُ.

من أقوال السلف:

قال أبو بكر البلخي: «شهر رجب شهر الزرع، وشهر شعبان شهر سقي

الزرع، وشهر رمضان شهر حصاد الزرع».

وقال أيضا: «مثل شهر رجب كالريح، ومثل شعبان مثل الغيم، ومثل رمضان مثل المطر، ومن لم يزرع ويغرس في رجب، ولم يسق في شعبان فكيف يريد أن يحصد في رمضان».

وها قد مضى رجب فما أنت فاعل في شعبان إن كنت تريد رمضان، هذا حال نبيك ﷺ، فما هو موقعك من هذه الأعمال والدرجات.

غفلة الناس عن شهر شعبان:

مَضَى رَجَبٌ وما أحسنْتَ فيهِ ... وهـذا شـهرُ شعبانَ المباركْ

فيا مَن ضَيَّع الأوقاتَ جهلًا ... بقيمتِها أفِقْ واحْذَر بَوَارَكْ

فسوف تفارقُ اللذاتِ قهرًا ... ويُخْلى الموتُ يومًا منكَ دارَكْ

تدارَكْ ما استطعتَ مِن الخطايَا ... بتوبةِ مخلصٍ واجعلْ مدارَكْ

على طلبِ السلامةِ مِن جحيمٍ ... فخيرُ ذوي الجرائمِ مَن تدارَكْ

تدارَكْ ما استطَعْتَ مِنَ الليالي ... فخَيْرُ ذوِي الفضائلِ مَنْ تَدَارَكْ

إن المؤمن ليتقلب في هذا الزمان، ويمد الله له في الأجل، وكل يوم يبقاه في هذه الدنيا هو غنيمة له ليتزود منه لآخرته، ويحرث فيه ما استطاع ويبذر فيه من الأعمال ما استطاعته نفسه وتحملته.

وقد يمضي شهر رجب، ويدخل شعبان وكثير من الناس عنه غافلون.

عن أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُ الْأَيَّامَ يَسْرُدُ حَتَّى يُقَالَ لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ الْأَيَّامَ حَتَّى لَا يَكَادَ أَنْ يَصُومَ إِلَّا يَوْمَيْنِ مِنْ الْجُمُعَةِ إِنْ كَانَا فِي صِيَامِهِ وَإِلَّا صَامَهُمَا، وَلَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنْ الشُّهُورِ مَا يَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ.

فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تَصُومُ لَا تَكَادُ أَنْ تُفْطِرَ وَتُفْطِرَ حَتَّى لَا تَكَادَ أَنْ

تَصُومَ إِلَّا يَوْمَيْنِ إِنْ دَخَلَا فِي صِيَامِكَ وَإِلَّا صُمْتَهُمَا؟»، قَالَ: «**أَيُّ يَوْمَيْنِ؟**».

قُلْتُ: «يَوْمُ الإِثْنَيْنِ وَيَوْمُ الْخَمِيسِ». قَالَ: «**ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**».

قُلْتُ: «وَلَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟».

قَالَ: «**ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**»، [رواه الإمام أحمد، وحسنه الألباني].

(ذَانِكَ): ذان: اسم إشارة للمثنّى المذكَّر القريب، وهو مثنَّى (ذا) في حالة الرفع، وتضاف إليه (ها) التنبيه فيصير: هذان، وقد تضاف إليه كاف الخطاب مُتصرِّفة على حسب أحوال المخاطب، كما في قوله تعَالَىٰ: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ [القصص: ٣٢]. و(تان) اسم إشارة للمثنى المؤنث القريب في حالة الرفع، وتلحقه (ها) التنبيه فيصبح هاتان.

والمقصود بالأعمال في الحديث: كل ما صدر عن الإنسان من أقوال وأفعال وأحوال تكتب في صحيفة عمله في جهة الحسنات والسيئات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

(**وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**) مَا مَعْنَى هَذَا مَعَ أَنَّهُ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُرْفَع إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ؟

يحْتَملُ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُعْرَضُ عَلَى اللهِ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ ثُمَّ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَعْمَالُ الْجُمُعَةِ فِي كُلِّ اِثْنَيْنِ وَخَمِيس ثُمَّ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَعْمَالُ السَّنَةِ فِي شَعْبَانَ فَتُعْرَضُ عَرْضًا بَعْد عَرْضٍ وَلِكُلِّ عَرْضٍ حِكْمَة يُطْلِعُ عَلَيْهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ أَوْ يَسْتَأْثِرُ بِهَا عِنْدَهُ مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ خَافِيَةٌ.

ثَانِيهِمَا: أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهَا تُعْرَضُ فِي الْيَوْم تَفْصِيلًا ثُمَّ فِي الْجُمُعَةِ جُمْلَةً أَوْ بِالْعَكْسِ.

إن هذا الحديث تضمن معنيين عظيمين:

أحدهما: أن شعبان شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان.

وثانيهما: أن الأعمال ترفع وتعرض على رب العالمين.

فأما كون شعبان يغفل الناس عنه، فإن ذلك بسبب أنه بين شهرين عظيمين، وهما الشهر الحرام رجب، وشهر الصيام رمضان، فاشتغل الناس بهما عنه، فصار مغفولا عنه، وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيام شعبان لأن رجب شهر محرم، وهذا ليس بصحيح، فإن صيام شعبان أفضل من صيام رجب للأحاديث المتقدمة.

وفي قوله ﷺ: «**ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ**» إشارة إلى أن بعض ما يشتهر فضله من الأزمان أو الأماكن أو حتى الأشخاص قد يكون غيره أفضل منه - إما مطلقًا أو لخصوصية فيه - لا يتفطن لها أكثر الناس، فيشتغلون بالمشهور عندهم عنه، ويفوتون تحصيل فضيلة ما ليس بمشهور عندهم.

وقال أهل العلم: هذا فيه دليل على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة، وأن ذلك محبوب لله ﷻ.

ذكر الله في أوقات الغفلة:

قـال ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّـلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّـلاَةُ فِى جَوْفِ اللَّيْلِ**» [رواه مسلم]. ولعل النبي ﷺ فَضَّلَ القيام في وسـط الليل لشـمول الغفلة لأكثر الناس فيه عن الذكر.

وكان النبي ﷺ يريد أن يؤخر العشـاء لنصف الليل، وإنما علل ترك ذلك لخشـية المشـقة على الناس، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَكَثْنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ نَنْتَظِرُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ لِصَلاَةِ الْعِشَاءِ الآخِرَةِ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا حِينَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ بَعْدَهُ، فَلاَ نَدْرِى أَشَـىْءٌ شَـغَلَهُ فِى أَهْلِهِ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ، فَقَالَ حِينَ خَرَجَ: «**إِنَّكُمْ لَتَنْتَظِـرُونَ صَـلاَةً مَا يَنْتَظِرُهَا أَهْلُ دِينٍ غَيْرُكُمْ وَلَـوْلاَ أَنْ يَثْقُلَ عَلَى أُمَّتِى لَصَلَّيْتُ بِهِمْ هَذِهِ السَّاعَةَ**»، ثُمَّ أَمَرَ الْمُؤَذِّنَ فَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَصَلَّى» [رواه مسلم].

ولعل في هذا إشارة إلى فضيلة التفرد بالذكر في وقت من الأوقات لا يوجد فيه ذاكر ولاستيلاء الغفلة على الناس.

ولهـذا لو نظرت إلى الفضائل والدرجـات التي منحت للذاكرين في وقت غفلة الناس تجد شـيئا عجيبًـا، فهذا الرجل الذي يدخل السـوق فيذكر الله، له أجـر عظيم؛ لأنه ذكـر الله في مكان غفلة النـاس، قال ﷺ: «**مَنْ دَخَلَ السُّـوقَ فَقَـالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَـرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْـدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُـوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَـدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَـبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَـنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَـيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّـةِ**» [رواه الإمـام أحمد والترمذي والحاكم، وقال الألباني: «حسـن لغيره؛ لمجموع طرقـه»، وصححه بمجمـوعِ طرقِه محققُ كتاب (مختصرُ اسـتدرَاك الحافِـظ الذّهبـي على مُسـتدرَك أبي عبـد اللهِ الحَاكـم) للعَلاّمة سِـرَاج الدّين عُمَر بن علي بن أحمَد المعروف بابن المُلَقن].

ورَأَى زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَوْمًا يُصَلُّونَ مِنَ الضُّحَى، فَقَالَ: أَمَا لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الصَّلَاةَ فِي غَيْرِ هَذِهِ السَّاعَةِ أَفْضَلُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ حِينَ تَرْمَضُ الْفِصَالُ**» [رواه مسلم].

فِي هذا الحديث فَضِيلَةُ الصَّلَاةِ هَذَا الْوَقْتَ، وأنه هُوَ أَفْضَلُ وَقْتِ صَلَاةِ الضُّحَى وَإِنْ كَانَتْ تَجُوزُ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ. فوقت صلاة الضحى يبتدئ من بعد طلوع الشمس وارتفاعها قدر رمح، أي بعد طلوع الشمس بربع ساعة تقريبًا، إلى أن تقف الشمس في وسط السماء، فإذا وقفت الشمس قبيل الزوال فهذا وقت نهي، ويكون ذلك قبل زوال الشمس بزمن قليل (قبل دخول وقت الظهر)، وقدره بعض العلماء بعشر دقائق تقريبًا، فإذا زالت الشمس دخل وقت صلاة الظهر.

(الْأَوَّابُ) الْمُطِيعُ، وَقِيلَ الرَّاجِعُ إِلَى الطَّاعَةِ، وإنما أضاف الصلاة في هذا الوقت إلى الأوابين لأن النفس تركن فيه إلى الدعة والاستراحة، فصرفها إلى الطاعة والاشتغال فيه بالصلاة رجوع من مراد النفس إلى مرضاة الرب.

(الرَّمْضَاءُ): الرَّمْلُ الَّذِي اشْتَدَّتْ حَرَارَتُهُ بِالشَّمْسِ، (تَرْمَضُ الْفِصَالُ) أَيْ حِينَ يَحْتَرِقُ أَخْفَافُ الْفِصَالِ - وَهِيَ الصِّغَارُ مِنْ أَوْلَادِ الْإِبِلِ، جَمْعُ فَصِيلٍ - مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الرَّمْلِ. فالفصيل هو ولد الناقة الصغير الذي لم يستوِ خفه فهو لا يتحمل حرارة الأرض فيمشي على الأرض قفزًا، وقدّر العلماء هذا الوقت بمُضِيّ ربع النهار أي نصف الوقت بين طلوع الشمس وصلاة الظهر.

فإذا صليت لله عز وجل في هذا الوقت فقد عبدت الله في وقت قلما يسجد له فيه ساجد، من الذي يصلي في هذا الوقت؟ الناس في معايشهم يسعون في الأرض، فإذا عبدت الله عز وجل في هذا الوقت فقلما يسجد لله فيه ساجد.

فوائد إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة:

١- إن فِعْلَك لهذه الطاعة يكون أخفى، وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل لاسيما الصيام، فإنه سر بين العبد وربه، ولهذا قيل: إنه ليس فيه رياء.

٢- إحياء وقت غفلة الناس بالطاعات أشق على النفوس، وأفضل الأعمال أشقها على النفوس إن كان على السُنّة، والأجر على قدر المشقة.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «يَا رَسُولَ اللهِ يَصْدُرُ النَّاسُ بِنُسُكَيْنِ وَأَصْدُرُ بِنُسُكٍ»، فَقَالَ لَهَا: «**انْتَظِرِي، فَإِذَا طَهُرْتِ فَاخْرُجِي إِلَى التَّنْعِيمِ، فَأَهِلِّي ثُمَّ ائْتِينَا بِمَكَانِ كَذَا، وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدْرِ نَفَقَتِكِ، أَوْ نَصَبِكِ**» [رواه البخاري ومسلم].

والسبب في أن الطاعات في وقت غفلة الناس شاقة وشديدة على النفوس، هو أن النفوس تتأسى بما تشاهده من أحوال أبناء الجنس، فإذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم، كثر أهل الطاعة لكثرة المقتدين لهم، فسهلت الطاعات.

وتأمل كيف أن كثيرًا من الناس يشق عليهم الصيام في غير رمضان: فإذا جاء رمضان سهل عليهم الصيام ولم يجدوا مشقة في صيامه، وذلك لأن الناس من حولهم يؤدون هذه العبادة الجليلة، والناس كأسراب الطير يتبع بعضهم بعضا.

وقد قيل: «الناس أشبه بأهل زمانهم منهم بآبائهم».

الطاعة في وقت غربة الدين:

أما إذا كثرت غفلة الناس تأسى بهم عموم الناس فيشق على نفوس المتيقظين والطالبين لمهر الجنة، تشق عليهم طاعاتهم لقلة من يقتدون بهم في هذه الأوقات المغفول عنها، ولعل لهذا المعنى قال ﷺ في حال الغرباء في آخر الزمان: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**» [رواه مسلم].

وعـن عَبْدِ اللهِ بْـنِ عَمْرِو بْنِ الْعَـاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُـولُ الله ﷺ ذَاتَ يَـوْمٍ وَنَحْنُ عِنْـدَهُ: «**طُوبَـى لِلْغُرَبَاءِ**»، فَقِيلَ: «مَـنْ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُـولَ اللهِ»، قَالَ: «**أُنَـاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سُـوءٍ كَثِيرٍ مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَـرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ**» [صحيح رواه الإمام أحمد].

ما مَعْنَى (طُوبَى)؟

اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾ [الرعد: ٢٩]، فَرُوِيَ عَنْ اِبْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ مَعْنَاهُ فَرَح وَقُـرَّة عَيْـن، وَقَالَ عِكْرِمَة: «نِعْمَ مَـا لَهُمْ»، وَقَالَ الضَّحَّاك: «غِبْطَـة لَهُمْ»، وَقَالَ قَتَادَةُ: «حُسْـنَى لَهُمْ»، وَعَنْ قَتَادَةَ أَيْضًا مَعْنَاهُ أَصَابُوا خَيْرًا، وَقَالَ إِبْرَاهِيم: «خَيْر لَهُمْ وَكَرَامَة»، وَقَالَ اِبْن عَجْلَان: «دَوَام الْخَيْر»، وَقِيلَ: «الْجَنَّة»، وَقِيلَ: «شَجَرَة فِي الْجَنَّة»، وَكُلّ هَذِهِ الْأَقْوَال مُحْتَمَلَة فِي الْحَدِيث.

وقـال ﷺ: «**إِنَّ مِـنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، لِلْمُتَمَسِّـكِ فِيهِنَّ يَوْمَئِـذٍ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**»، قَالُوا: «يَا نَبِيَّ اللهِ أَوْ مِنْهُمْ؟»، قَالَ: «**بَلْ مِنْكُمْ**»، [إسناده صحيح، انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (١ / ٨١٢)].

(أَيَّـام الصَّبْـر): أَيْ أَيَّامًـا لَا طَرِيق لَكُمْ فِيهَـا إِلَّا الصَّبْر أَوْ أَيَّامًـا يُحْمَد فِيهَا الصَّبْر وَهُوَ الْحَبْس عَلَى خِلَاف النَّفْس.

(أَجْر خَمْسِينَ مِنْكُمْ) لَيْسَ هَذَا عَلَى إِطْلَاقه بَلْ هُوَ مَبْنِيّ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ:

- إِحْدَاهُمَا أَنَّ الْأَعْمَال تَشْرُف بِثَمَرَاتِهَا.
- وَالثَّانِيَة أَنَّ الْغَرِيب فِي آخِر الْإِسْلَام كَالْغَرِيبِ فِي أَوَّله وَبِالْعَكْسِ.

فَهَذَا فِي الْأَعْمَال الَّتِي يَشُـقّ فِعْلهَا فِي تِلْـكَ الْأَيَّام لَا مُطْلَقًا لِأَنَّ الصَّحَابِيّ أَفْضَل مِنْ غَيْره مُطْلَقًا، وَقَدْ قال ﷺ: «**لَا تَسُـبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُـبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّـذِي نَفْسِـي بِيَـدِهِ لَـوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَـقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًـا مَا أَدْرَكَ مُـدَّ أَحَدِهِمْ**

وَلَا نَصِيفَـهُ» [رواه البخاري ومسلم]. وَمَعْنَـاهُ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدكُمْ مِثْل أُحُـد ذَهَبًا مَا بَلَغَ ثَوَابه فِي ذَلِكَ ثَوَاب نَفَقَة أَحَد أَصْحَابِي مُدًّا، وَلَا نِصْف مُدّ.

وَسَبَب تَفْضِيل نَفَقَتهمْ أَنَّهَا كَانَتْ فِي وَقْت الضَّرُورَة وَضِيق الْحَال، بِخِلَافِ غَيْرهمْ، وَلِأَنَّ إِنْفَاقهمْ كَانَ فِي نُصْرَته ﷺ وَحِمَايَته، وَذَلِكَ مَعْدُوم بَعْده، وَكَذَا جِهَادهمْ وَسَـائِر طَاعَتهمْ، وَقَـدْ قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿**لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [الحديد: ١٠].

هَذَا كُلّه مَعَ مَا كَانَ فِي أَنْفُسِـهِمْ مِنْ الشَّـفَقَة وَالتَّوَدُّد وَالْخُشُـوع وَالتَّوَاضُع وَالْإِيثَـار وَالْجِهَاد فِي اللهِ حَـقَّ جِهَاده، وَفَضِيلَة الصُّحْبَة، وَلَـوْ لَحْظَة لَا يُوَازِيهَا عَمَل، وَلَا تُنَال دَرَجَتهَا بِشَيْءٍ، وَالْفَضَائِل لَا تُؤْخَذ بِقِيَاسٍ، ذَلِكَ فَضْل اللهِ يُؤْتِيه مَنْ يَشَاء.

الطاعة في وقت الفتنة:

قال ﷺ: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**» [رواه مسلم].

والْمُرَاد بِالْهَرْجِ هُنَا الْفِتْنَة وَاخْتِلَاط أُمُور النَّاس، وَسَـبَب كَثْرَة فَضْل الْعِبَادَة فِيهِ أَنَّ النَّاس يَغْفُلُونَ عَنْهَا، وَيَشْتَغِلُونَ عَنْهَا، وَلَا يَتَفَرَّغ لَهَا إِلَّا أَفْرَاد.

والنـاس في وقـت الفتن قد تسـتولي عليهـم الغفلة، وينشـغلون عن عبادة ربهم، فإذا انفرد مِن بينهم مَن يتمسـك بدينـه ويعبد ربه ويتبع مراضيه ويجتنب مساخطه كان بمنزلة مَن هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله ﷺ مؤمنًا به، متبعًا لأوامره مجتنبًا لنواهيه، محافظًا على سنته وهديه وطريقته ﷺ في كل زمان ومكان.



١٤٢- شهر يغفل الناس عنه

الآثار السلبية للغفلة عن الطاعة:

إن للغفلة عن التوبة آثارًا سلبية وعواقب وخيمة، تنغص الحياة وتكدرها، وتعرض الإنسان الغافل للانتقام الرباني في الدنيا والعذاب في الآخرة، ولبيان هذه الحقيقة نتأمل آية كريمة نستظل بظلالها، ونحيا بشرعتها ومنهاجها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الزمر].

هذه الآية المباركة تشتمل على أمرين هامين:

١- الأمر الأول: الأمر بالإنابة إلى الله والاعتصام بحبل الله قبل فوات الأوان:

دأب القرآن الكريم أن يدعو الناس إلى الخير عامة المؤمن وغير المؤمن، ويبين أنه سبيل النجاة المحقق للظفر بما عند الله من نعيم لا يزول ولا يحول، ومفتاح الخير كله هو التوبة إلى الله مما اجترحته جوارحنا من فسوق. والإنابة إلى الله مطلب أساسي في حياة الأفراد والجماعات والشعوب والأمم.

وما دام الإنسان حيًّا وفي كامل قواه العقلية فهو مأمور بالتوبة من ذنب أو من غير ذنب، وتجديدها كلما سنحت الفرصة، وليس هنالك ذنب مهما عظم لا تصح التوبة منه أو لا تقبل التوبة منه كما قد يعتقد البعض.

فالقرآن الكريم يوقظ الهمم ويحرك مكامن الفطرة في الإنسان لعله ينهض، فيصحو من سكرته، فيعانق معالم النجاة قبل أن يباغته العذاب أو يدركه الأجل.

لذلك تضمن الأمر الأول من الآية ثلاثة عناصر ضرورية:

أ- الإنابة إلى الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾.

ب- الإسلام له، أي: التصديق بالنبي ﷺ والقرآن واتباع شرائع الإسلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾.

ج- اتباع الوحي الذي أنزله على قلب نبيه ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٥].

والتوبة إلى الله ليست عملية معقّدة، تنهك التائب من الذنب أو تكلّفه عقوبة أو كفارة، وإنما هي إرادة قوية وعودة صادقة إلى الحق.

٢- الأمر الثاني: هو بيان حال الغافل عن طاعة الله وما يلحقه من مباغتة العذاب له والحسرة والندامة على ما فرط في جنب الله يوم يلقى الله.

فإن لهذه الغفلة آثارًا سلبية ونتائج فادحة، قد تصيب المرء في مقاتله، وخصوصًا إذا فاته الأوان بأن لقي ربه وهو على تلك الحال من الانغماس في المنكرات وترك الواجبات.

ومن تلك الآثار القبيحة الخطيرة على الفرد والأسرة والمجتمع ما يأتي:

أ- شقاوة في الحياة وضنك في المعاش، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه].

ب- نزول العذاب ومباغتته، ولا يجد العاصي معينا ولا منجى ولا ملجأ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الزمر].

ج- الحسرة والندامة يوم القيامة على التفريط في دين الله، وهو وقت لا ينفع فيه الندم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزمر].

يا هَل يَعودُ ما مَضى لِيَ رَاجِعا ... أَم هَل أَرى نُجومَهُ لَوامِعَا
إِذا تَذَكَّرتُ زَمانًا ماضيًا ... جَدَّدَ حُزنًا أَنْقَضَ الأَضَالِعَا
ما لِلشُموسِ قَد بَدَت أَوافِلًا ... وَطَالَما رَأَيتُها طَوالِعَا
كانَ الصَبا لَهوًا عَجيبًا حالُهُ ... يا سرعانَ ما فُطِمتُ راضِعَا
بادِر بِذا الباقي وَأَدرِك ما مَضى ... لَعَلَّ ما يَبقى يَكونُ نافِعَا
يا حَسرَتي عَلى ما قَد مَضى ... وَذَهَبَتْ أَيّامُه ضَوائِعَا

د- تمني العودة والكرة إلى الدنيا لاستدراك ما فات، وهو أمر ممتنع ولا شك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الزمر: ٥٨]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون].

يخبر تعالى عن حال من حضره الموت، من المفرطين الظالمين، أنه يندم في تلك الحال، إذا رأى مآله، وشاهد قبح أعماله فيطلب الرجعة إلى الدنيا، لا للتمتع بلذاتها واقتطاف شهواتها، وإنما ذلك يقول: ﴿ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ من العمل، وفرطت في جنب الله، ﴿ كَلَّآ ﴾ أي: لا رجعة له ولا إمهال،

قد قضى الله أنهم إليها لا يرجعون، ﴿إِنَّهَا﴾ أي: مقالته التي تمنى فيها الرجوع إلى الدنيا ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ أي: مجرد قول باللسان، لا يفيد صاحبه إلا الحسرة والندم، وهو أيضا غير صادق في ذلك، فإنه لو رُدَّ لَعَادَ لما نُهِيَ عنه.

﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ أي: من أمامهم وبين أيديهم برزخ، وهو الحاجز بين الشيئين، فهو هنا: الحاجز بين الدنيا والآخرة، وفي هذا البرزخ، يتنعم المطيعون، ويُعَذَّب العاصون، من موتهم إلى يوم يبعثون، أي: فليعدوا له عدته، وليأخذوا له أهبته.

فَوا أَسَفى عَلى عُمُرٍ تَوَلَّت ... لَذاذَتُهُ وَأَبقَت قُبحَ عارِ
فَنَحنُ اليَومَ نَبكي ما فَعَلنا ... فَكَيفَ وَكَم وَقَعنا في خَسارِ
فَلَيسَ لَنا سِوى حُزْنٍ وَخَوفٍ ... وَنَدبٍ في خُضوعٍ وَانكِسارِ
تَعالَوا نَبكِ ما قَد كانَ مِنّا ... وَقوموا في الدَياجي بِاِعتِذارِ
وَما شَيءٌ لِمَحوِ الذَنبِ أَولَى ... مِنَ الأَحزانِ وَالدَمعِ الغِزارِ
سَتَدري يا مُفَرِّطُ صِدقَ قَولي ... إِذا غُودِرتَ في بَطنِ الصَحارِ
وَخَلّاكَ الرَفيقُ أَسيرَ قَفرٍ ... تُرافِقُكَ النَدامَةُ في القِفارِ
وَقَد فازوا بِما حازوا جَميعًا ... وَأَنتَ رَهينُ ذُلٍّ وَافتِقارِ
فَخُذ جِذْرًا وَزادًا تَكتَفيهِ ... لِرحلَتِك إِلى تِلكَ الدِيارِ
تَمَتَّع مِن شَميم عَرارِ نَجدٍ ... فَما بَعدَ العَشِيَّةِ مِن عَرارِ

(العَرَارُ: نبات طيب الريح).

إن التوبة من الذنوب مكسَب كبير، وأي فوز أعظم من محو الذنوب والدخول إلى الجنة وتحقيق السعادة في الدارين؟! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّـٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ

يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم:٨]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢].

حكم الصيام بعد منتصف شعبان:

رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه نهى عن الصوم بعد منتصف شهر شعبان فقد أخرج أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث العلاء ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَلَا تَصُومُوا**».

هـذا الحديـث اختلف العلمـاء في صحته فمنهـم مَن صححـه ومنهم مَن ضعفه.

وقـد اختلـف الفقهاء في حكم الصوم بعد منتصف شـهر شـعبان بناء على الاختلاف في صحة هذا الحديث والعمل به على قولين مشهورين:

١- ذهب الشافعية إلى كراهة الصوم أخذا بالنهي الوارد.

٢- ذهـب جمهور أهـل العلم إلى جـواز ذلك وعدم كراهتـه لعدم صحة الخبر عندهم.

وحجة الجمهور:

أولًا: أن هذا الحديث لا يصح من جهة الإسناد.

ثانيًـا: أن في متنـه نكارة ومخالفـة لحديث أَبِي هُرَيْـرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَـالَ: «**لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَـوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصُمْهُ**» [رواه البخاري ومسلم].

فمنطـوق الحديث يدل على النهي عن صوم ما قبل رمضان بيوم أو يومين إلا مَـن كانـت له عادة في الصوم، ويدل أيضًا بمفهومـه على جواز صوم ما قبل ذلك في جميع الشهر سواء أوله وآخره، وهذا ظاهر جدًا وإن لم يكن هذا مرادًا

فمـا فائدة النهي عن صوم يومين قبل رمضان، والحديث السـابق مخالف لهذا الحديث ومعارض له.

ولا شك أن دلالة هذا الحديث مُقَدَّمة على حديث: «**إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَلَا تَصُومُوا**»، لصحة إسـناده وعدم الاختلاف في متنه وهو حديث محفوظ، وهذا من قرائن ووسـائل الترجيح المعتبرة حـال التعارض عند أهل الأصول، ولهذا أعله الإمام أحمد بهذا.

ثالثًا: عن عَائِشَـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وقد سُئِلَتْ عَنْ صِيَام رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: «كَانَ يَصُـومُ حَتَّى نَقُـولَ قَدْ صَامَ وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ أَفْطَرَ وَلَمْ أَرَهُ صَائِمًا مِنْ شَـهْرٍ قَـطُّ أَكْثَرَ مِنْ صِيَامِهِ مِنْ شَـعْبَانَ كَانَ يَصُومُ شَـعْبَانَ كُلَّهُ، كَانَ يَصُومُ شَـعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا» [رواه مسلم].

وظاهر هذا أن النبي ﷺ كان يصوم من جميع الشهر سواء في أوله أو آخره ولـم يكن يفـرق بين النصـف الأول والنصف الثاني في الحكـم. وهذا يضعف حديث: «**إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَلَا تَصُومُوا**» ويُوهي مَتْنَه.

وَأَمَّا الْمُصَحِّحُونَ لحديث: «إِذَا انْتَصَفَ شَـعْبَانُ فَـلَا تَصُومُوا»، فقَالُوا: لَا مُعَارَضَة بَيْنه وبين الْأَحَادِيثِ الدَّالَّة عَلَى صِيَام شَـعْبَان فإن تِلْكَ الْأَحَادِيث تَدُلّ عَلَى صَوْم نِصْفه مَعَ مَا قَبْله، وَعَلَى الصَّوْم الْمُعْتَاد فِي النِّصْف الثَّانِي، وَحَدِيث: «**إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَلَا تَصُومُوا**» يَدُلّ عَلَى الْمَنْع مِنْ تَعَمُّد الصَّوْم بَعْد النِّصْف، لَا لِعَادَةٍ، وَلَا مُضَافًا إِلَى مَا قَبْله.

لماذا الاجتهاد في شعبان؟

على الإنسان منَّا أن يجتهد في شهر شعبان، فيُكْثِر فيه من فعل الخيرات، لكن يبقَى السؤال: لماذا الاجتهاد في شعبان؟ الاجتهاد في شعبان يكون لأمور منها:

أولًا: حتـى يتعود الإنسـان منَّا فعـل الخيرات وترك المنكـرات فيكون له

سجية وطبع وعادة: فقد قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْخَيْرُ عَادَةٌ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ**» [رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني].

(الْخَيْرُ عَادَةٌ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ) فالمؤمن الثابت على مقتضى الإيمان والتقوى ينشرح صدره للخير فيصير له عادة. ذلك لأن الإنسان مجبول على الخير، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]، وأما الشر فلا ينشرح له صدره فلا يدخل في قلبه إلا بلجاجة الشيطان والنفس الإمارة بالسوء.

(الْخَيْرُ عَادَةٌ) لعَوْد النفس إليه وحرصها عليه من أصل الفطرة، فمن لم يكن في أصل الفطرة جوادًا مثلا فيتعود ذلك بالتكلف، ومن لم يخلق متواضعًا يتكلفه إلى أن يتعوده، وكذلك سائر الصفات يعالج بضدها إلى أن يحصل الغرض وبالمداومة على العبادة ومخالفة الشهوات تحسن صورة الباطن.

(الشَّرُّ لَجَاجَةٌ) اللَّجَاج: هُوَ أَنْ يَتَمَادَى فِي الْأَمْر معاندًا فيلازمه، ويأبى أن ينصرف عنه، وَلَوْ تَبَيَّنَ لَهُ خَطَؤُهُ.

(الشَّرُّ لَجَاجَةٌ) لما فيه من العوج وضيق النفْس والكرب، والمراد منه أن النفس تتَّلِج وتضطر إلى الشرارة فالواجب على كل إنسان أن يزيل تلك الشرارة عن نفسه بما جاء من موعظة الله ورسوله ﷺ؛ فإن الأنبياء قد بعثوا لتزكية النفوس، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا** ﴾ [الشمس].

ثانيًا: الاجتهاد في شعبان يكون استعدادًا لرمضان:

ومن الفقه في الدين عمل الخيرات في كل الأوقات، وخصوصًا الأوقات الفاضلة التي حث الشرع على اغتنامها، وكما هو معلوم أن رمضان من الأوقات الفاضلة، ومن النفحات الربانية على الأمة المحمدية، والأمر كما قَالَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ، فَإِنَّ لِلهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ**» [رواه الطبراني في المعجم الكبير، وحسنه الألباني].

وشهر رمضان أنزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

وهو شهرٌ من صامه إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه.

وهو شهرٌ من قامه إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه

وهو شهرٌ فيه ليلة خير من ألف شهر من قامها إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه.

وهو شهرٌ تُفَتَّح فيه أبواب الجنان فلا يغلق منها باب.

وهو شهرٌ تغلق فيه أبواب النيران فلا يفتح منها باب.

وهو شهرٌ تُصفَّد فيه الشياطين ومردة الجان.

وهو شهرٌ مَن أتى فيه بعمرة كان كمن حج مع النبي ﷺ.

وهو شهرٌ مَن فَطَّر فيه صائمًا كان له مثل أجره.

وغير ذلك من الجوائز والمنح الربانية، والتي وهبها رب البرية للأمة المحمدية، فهنيئًا لمَن تَعرَّض لهذه النفحات، وخرج من رمضان وقد غُفِر له جميع السيئات.

تنبيـــــه:

أحاديث مشهورة في فضل رجب وشعبان لا تصح:

١- رُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ رَجَبٌ قَالَ: «اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي رَمَضَانَ» [رواه الإمام أحمد، والبيهقي في (شعب الإيمان) بلفظ: «وبلّغنا رمضان»، وهذا الحديث ضعَّفه

البيهقي والنووي والذهبي والهيثمي والحافظ ابن حجر والحافظ ابن رجب والشيخ الألباني والشيخ أحمد شاكر والشيخ شعيب الأرنؤوط].

٢- رُوِيَ عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يومًا من رجب عدل له بصوم سنتين، ومن صام النصف من رجب عدل له بصوم ثلاثين سنة، رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي»، [ضعَّفه الألباني].

٣- رُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال: «خيرة الله من الشهور شهر رجب، وهو شهر الله، مَن عظّم شهر الله رجب عظّم أمر الله، ومن عظّم أمر الله أدخله جنات النعيم، وأوجب له رضوانه الأكبر. وشعبان شهري، فمن عظّم شعبان فقد عظّم أمري، ومن عظم أمري كنت له فرطًا وذخرًا يوم القيامة.

وشهر رمضان شهر أمتي، فمن عظم شهر رمضان وعظم حرمته، ولم ينتهكه، وصام نهاره، وقام ليله، وحفظ جوارحه خرج من رمضان وليس عليه ذنب يطلبه الله به»، [حديث موضوع، رواه البيهقي، وممن حكم عليه بالوضع البيهقي وابن حجر والألباني].

٤- رُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال: «شهر رمضان شهر الله، وشهر شعبان شهري، شعبان المطهِّر، ورمضان المكفِّر» [رواه ابن عساكر، وقال الألباني: «ضعيف جدًا»].

٥- رُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الصوم بعد رمضان شعبان؛ لتعظيم رمضان، وأفضل الصدقة صدقة في رمضان»، [رواه الترمذي، وضعَّفه الألباني].

٦- رُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال: «إنما سمي شعبان لأنه يتشعب فيه خير كثير للصائم فيه حتى يدخل الجنة»، (موضوع).

٧- حديث: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى إن الرجل لينكح ويولد له، وقد أخرج اسمه في الموتى» [رواه البيهقي في شعب الإيمان، وقال الحافظ ابن كثير: «هو حديث مرسل»].



١٤٣- ليلة النصف من شعبان

ليلة القدر لا ليلة النصف من شعبان:

ليلـةُ النصف من شـعبان ليلةٌ جعل بعض الناس فيهـا من المزايا والقربات والطاعات ما لم يأذن به الله ﷻ، بل جعلوها الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمـر حكيم، وهذا خلاف مـا نص عليه ربنا ﷻ في محكـم التنزيل إذ قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الدخان].

فبَيَّن أن الكتـاب المبين أُنْزِلَ في ليلة مباركة، وهذه الليلة المباركة هي التي يُفْرَق فيها كل أمر حكيم. وكلنا يعرف تلك الليلة المباركة التي أنزِل فيها القرآن من قولـه تعَـالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر].

إذن مَـن اعتقد ذلك فقـد خالف صريح القرآن وغلا أيما غلو، قال الحافظ ابـن كثيـر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسـير قولـه تعَـالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾: «وَمَـنْ قَـالَ: إِنَّهَا لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَـعْبَانَ فَقَدْ أَبْعَدَ النُّجْعَة [1] فَـإِنَّ نَصَّ الْقُرْآنِ أَنَّهَا فِي رَمَضَانَ».

(١) النُّجْعةُ عند العرب المَذْهَبُ في طلَبِ الكلإِ في موضعه، والنُّجْعةُ طَلَبُ الكَلإ والعُرْفِ ويسـتعار فيما سواهما فيقال فلان نُجْعَتِي أَي أَمَلي.

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾: «وَاللَّيْلَة الْمُبَارَكَة لَيْلَة الْقَدْر، وَيُقَال: لَيْلَة النِّصْف مِنْ شَعْبَان... وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْر ابْن الْعَرَبِيّ: «وَجُمْهُور الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّهَا لَيْلَة الْقَدْر، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا لَيْلَة النِّصْف مِنْ شَعْبَان ; وَهُوَ بَاطِل لِأَنَّ الله تَعَالَى قَالَ فِي كِتَابه الصَّادِق الْقَاطِع: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الْبَقَرَة: ١٨٥] فَنَصَّ عَلَى أَنَّ مِيقَات نُزُوله رَمَضَان، ثُمَّ عُيِّنَ مِنْ زَمَانه اللَّيْل هَاهُنَا بِقَوْلِهِ: ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي غَيْره فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَة عَلَى الله، وَلَيْسَ فِي لَيْلَة النِّصْف مِنْ شَعْبَان حَدِيث يُعَوَّل عَلَيْهِ لَا فِي فَضْلهَا وَلَا فِي نَسْخ الْآجَال فِيهَا فَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَيْهَا».

تفسير آيات سورة الدخان:

﴿حمٓ ① وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ هذا قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يحتاج إلى بيانه أنه أنزله ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ أي: كثيرة الخير والبركة وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فأنزل أفضل الكلام بأفضل الليالي والأيام على أفضل الأنام، بلغة العرب الكرام لينذر به قوما عمتهم الجهالة وغلبت عليهم الشقاوة فيستضيئوا بنوره ويقتبسوا من هداه ويسيروا وراءه فيحصل لهم الخير الدنيوي والخير الأخروي ولهذا قال: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾.

﴿فِيهَا﴾ أي: في تلك الليلة الفاضلة التي نزل فيها القرآن ﴿يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: يفصل ويميز ويكتب كل أمر قدري وشرعي حكم الله به، وهذه الكتابة والفرقان الذي يكون في ليلة القدر إحدى الكتابات التي تُكْتَب وتُمَيَّز فتطابق الكتاب الأول الذي كتب الله به مقادير الخلائق وآجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وأحوالهم، ثم إن الله تعالى قد وكل ملائكة تكتب ما سيجري

علـى العبـد وهو في بطن أمـه، ثم وكلهم بعد وجـوده إلى الدنيـا وكل به كرامًا كاتبيـن يكتبـون ويحفظون عليـه أعماله، ثـم إنه تعالـى يُقدّر في ليلـة القدر ما يكون في السـنة، وكل هذا من تمام علمه وكمال حكمته وإتقان حفظه واعتنائه تعالى بخلقه.

﴿ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآ ﴾ أي: هذا الأمر الحكيم أمر صادر من عندنا.

﴿ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴾ للرسـل ومنزلين للكتب، والرسـل تبلغ أوامر المرسِـل وتخبر بأقداره ﴿ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ ﴾ أي: إن إرسـال الرسـل وإنزال الكتب - التي أفضلهـا القـرآن - رحمة من رب العباد بالعباد، فما رحم الله عباده برحمةٍ أجَلَّ مِن هدايتهم بالكتب والرسـل، وكل خير ينالونه في الدنيا والآخرة فإنه من أجل ذلك وسببه ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ أي: يسمع جميع الأصوات ويعلم جميع الأمور الظاهرة والباطنة وقد علم ضرورة العباد إلى رسله وكتبه فرحمهم بذلك ومَنَّ عليهم فله الحمد والمنة والإحسان.

﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ ﴾ أي: خالق ذلك ومدبره والمتصرف فيه بما شـاء ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ أي: عالمين بذلك عِلمًا مفيدًا لليقين فاعلموا أن الرب للمخلوقات هو إلهها الحق ولهذا قَالَ: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: لا معبود بحقٍّ إلا هو ﴿ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ ﴾ أي: هو المتصرف وحده بالإحياء والإماتة وسيجمعكم بعد موتكم فيجزيكم بعملكم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، ﴿ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ أي: رب الأولين والآخرين مربيهم بالنعم، الدافع عنهم النقم.

هل ثبت شيء في فضل ليلة النصف من شعبان:

ذهـب أكثـر العلمـاء إلـى أنـه لـم يثبـت عـن رسـول الله ﷺ ولا عـن أصحابـه رضي الله عنهم شـيء في فضل ليلة النصف من شـعبان، ولكن مِـن العلماء مَن صحّح أو حسّن:

• حديث أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ يَطْلُعُ عَلَى عِبَادِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُمْلِي الْكَافِرِينَ وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدَعُوهُ**» [رواه الطبراني وغيره، وحسنه الألباني].

• حديث عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ**». [رَوَاهُ ابْن مَاجَه، وحسنه الألباني].

• حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**يَطْلُعُ اللهُ إِلَى خَلْقِهِ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ**» [رواه ابن حبان وغيره، وحسنه الألباني، وصححه الأرنؤوط][1].

(المشاحن) هو المعادي، و الشحناء: العداوة، والتشاحن.

وقال الأوزاعي: «أراد بالمشاحن ها هنا صاحب البدعة المفارق لجماعة الأمة».

علام تدل هذه الأحاديث إن صحت؟

تدل على أن ليلة النصف من شعبان يغفر الله عز وجل فيها للمؤمنين، ويطلع عليهم إلا المشرك أو المشاحن، فمن أراد أن يفوز بهذا الأجر العظيم وهذا الفضل العظيم، فما عليه إلا أن يحقق هذَيْن الشرطَيْن، لسْتَ مطالبًا لا بقيام

(١) قال الألباني: «حديث صحيح، روي عن جماعة من الصحابة من طرق مختلفة يشد بعضها بعضا وهم معاذ ابن جبل وأبو ثعلبة الخشني وعبد الله بن عمرو وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وأبي بكر الصديق وعوف ابن مالك وعائشة»، [انظر تخريج الحديث بالتفصيل في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ١٣٥ - ١٣٩) للألباني، برقم ١١٤٤)].
وقال الألباني: «ما نقله الشيخ القاسمي رحمه الله تعالى في (إصلاح المساجد، ص ١٠٧) عن أهل التعديل والتجريح أنه ليس في فضل ليلة النصف من شعبان حديث صحيح، فليس مما ينبغي الاعتماد عليه، ولئن كان أحد منهم أطلق مثل هذا القول فإنما أوتي من قبل التسرع وعدم وسع الجهد لتتبع الطرق على هذا النحو الذي بين يديك»، [انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ١٣٩)].

ولا صيام فضلًا عن عمرة أو عبادة ونحو ذلك، كل ما أنت مطالَبٌ به أن تحقق التوحيد وأن تنقي قلبك من الشرك وشوائبه وتتعاهد ذلك باستمرار، وتترك الشحناء والحقد على المسلمين وتجتنب البدع.

فكل منا ينظر إلى حال نفسه، فمن كانت فيه إحدى هاتين الآفتين أو كلتيهما؛ فليتخلص منهما قبل ليلة النصف من شعبان، فليتخلص من الشرك، وليخلص التوحيد ويفرد الله بالعبادة، وليتخلص من الشحناء وليخلص قلبه ليصبح سليم الصدر، فالشرك والشحناء من الذنوب المانعة من المغفرة في هذا الشهر، وفي غيره.

خطر الشرك:

في الحديث أن الله يغفر فيها لكل عباده إلا المشرك فتفقد نفسك يا عبد الله، وفتش باطنها، فلعلك أن تكون مبتلىً بشيء من هذه الشركيات المنتشرة في الأمة، ولا تظنن بنفسك خيرا بل فاتهمها في جانب الله وفي تقصيرها، إذ كان أبو الأنبياء وإمام الحنفاء خليل الرحمن يخشى على نفسه الشرك، بل يخشى على نفسه وعلى بنيه عبادة الأصنام، قال الله تعالى عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم:٣٥]. فخاف على نفسه الفتنة، قال بعض السلف: «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟».

إذا كان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ - وهو الذي حقق التوحيد، وهو الذي وُصِفَ بما وُصِفَ به، وهو الذي كسَّر الأصنام بيده - يخاف من الفتنة بها فمن يأمن البلاء بعده؟! فالشرك ينبغي على العبد أن يخافه ويحذره، كيف وقد أوحى الله إلى كل نبي وإلى كل رسول حُكْمه في هذا الأمر المنكر العظيم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ١٦٥]،

فـإذا كان الخطاب مُوَجّهًا لإمام الأنبياء والمرسـلين ولسـيد الموحدين ﷺ، فكيف لا يخاف الشرك من كان دونه من المؤمنين.

وعـن أَبِي مُوسَـى الْأَشْـعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَـا رَسُـولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَـالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّـرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيـبِ النَّمْلِ**»، فَقَالَ لَهُ مَنْ شَـاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ: «وَكَيْـفَ نَتَّقِيهِ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُـولَ اللهِ؟»، قَالَ: قُولُوا: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْـرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

وقـال ﷺ: «**الشِّـرْكُ أَخْفَـى مِنْ دَبِيـبِ النَّمْـلِ، وَلَكِنِّـي سَـأَدُلُّكَ عَلَى مَا يُذْهِبُ صِغَارَ الشِّـرْكِ وَكُبَّارَهُ، أَوْ قَالَ: صَغِيرَ الشِّـرْكِ وَكَبِيـرَهُ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُـوذُ بِكَ أَنْ أُشْـرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْـتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَـمُ**» [رواه أبو يعلى وغيره، وصححه الألباني].

الشرك وأنواعه:

الشرك هو: جَعْلُ شريكٍ لله تعالى في ربوبيته وإلهيته.

والغالـب الإشـراك في الألوهية؛ بأن يدعُوَ مع الله غيره، أو يَصرفَ له شـيئًا من أنواع العبادة، كالذبح والنذر، والخوف والرجاء والمحبة.

والشركُ أعظمُ الذنوب؛ وذلك لأمور:

١- لأنه تشـبيه للمخلـوق بالخالـق في خصائص الإلهية، فمن أشـرك مع الله أحـدًا فقد شـبهه بـه، وهذا أعظـم الظلـم، قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. والظلـم هـو: وضع الشـيء في غير موضعـه، فمن عبد غير الله فقد وضـع العبادة في غير موضعها، وصَرَفَها لغير مستحقها، وذلك أعظم الظلم.

٢- أن الله أخـبر أنـه لا يغفره لمن لم يتـب منه، قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ

أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

٣- أن الله أخبر أنه حرَّم الجنة على المشرك، وأنه خالد مخلد في نار جهنم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [المائدة: ٧٢].

٤- أنَّ الشركَ يُحبطُ جميعَ الأعمال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥].

٥- أنَّ الشركَ أكبرُ الكبائر، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ**» ثَلاَثًا، قَالُوا: «بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ»، قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**»، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: «**أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ**»، قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ. [رواه البخاري ومسلم].

٦- أنَّ الشركَ تنَقُّصٌ وعيبٌ نَزَّه الرب نفسه عنهما، فمن أشرك بالله فقد أثبت لله ما نزه نفسه عنه، وهذا غاية المحادَّةِ لله تعالى، وغاية المعاندة والمشاقَّة لله عَزَّوَجَلَّ.

أنواع الشرك:

الشرك نوعان:

النوع الأول: شرك أكبر يُخْرِج من الملة، ويخلَّدُ صاحبُهُ في النار، إذا مات ولم يَتُبْ منه، وهو صرفُ شيء من أنواع العبادة لغير الله، كدعاء غير الله، والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من القبور والجن والشياطين، والخوف من الموتى أو الجن أو الشياطين أن يضروه أو يُمْرِضُوه، ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات، وتفريج الكُربات، مما يُمارسُ الآن حولَ

الأضرحة المبنية على قبور الأولياء والصالحين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

تنبيه:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْقَوْل قَدْ يَكُونُ كُفْرًا فَيُطْلَقُ الْقَوْلُ بِتَكْفِيرِ صَاحِبِهِ، وَيُقَالُ: مَنْ قَالَ كَذَا فَهُوَ كَافِرٌ، لَكِنَّ الشَّخْصَ الْمُعَيَّنَ الَّذِي قَالَهُ لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الَّتِي يَكْفُرُ تَارِكُهَا».

والنوع الثاني من الشرك: شرك أصغر لا يُخْرِج من الملة؛ لكنه يُنْقِصُ التوحيد، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو قسمان:

القسم الأول: شرك ظاهر على اللسان والجوارح وهو ألفاظ وأفعال:

فالألفاظ كالحلف بغير الله، قال ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**». وَفِي رِوَايَةٍ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ**» (رواه الإمام أحمد في المسند، وأبو داود، والترمذي، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، والألباني)، وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**» (رواه البخاري ومسلم)..

وقول: ما شاء الله وشئت، فقد جاء رجُلٌ إلى الرسول ﷺ فقال له: «مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»، فقَالَ: «**جَعَلْتَ لِله نِدًّا، مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**» [رواه أحمد والبخاري في (الأدب المفرد) وغيرهما، وأورده الألباني في (السلسلة الصحيحة رقم ١٣٨)].

وقول: ما لي إلا الله وأنت، وقول: لولا الله وفلان، والصوابُ أن يُقالَ: ما شاءَ الله ثُمَّ شاء فلان؛ ولولا الله ثمَّ فلان، لأن (ثم) تفيدُ الترتيب مع التراخي، وتجعلُ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]، وأما الواو: فهي لمطلق الجمع والاشتراك، لا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا.

وأمـا الأفعال: فمثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمائم خوفًا من العين وغيرها؛ إذا اعتقد أن هذه أسـباب لرفع البلاء أو دفعه، فهذا شـرك أصغر؛ لأن الله ﷻ لم يجعل هذه أسـبابًا، أما إن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر لأنه تَعلَّق بغير الله.

القسـم الثاني من الشـرك الأصغر: شـركٌ خفِيٌّ: وهو الشـرك في الإرادات والنيـات، كالريـاء والسـمعة، كأن يعمل عملًا ممـا يتقرب به إلـى الله، يريد به ثنـاء الناس عليه، كأن يُحسـن صلاته، أو يتصدق لأجـل أن يُمدح ويُثنى عليه، أو يتلفظ بالذكر ويحسـن صوته بالتلاوة لأجل أن يسـمعه النـاس، فيُثنوا عليه ويمدحوه.

والريـاء إذا خالط العمل أبطلـه، **قَالَ تَعَـالَىٰ**: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وعَـنْ مَحْمُـودِ بْـنِ لَبِيـدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»، قَالُوا: «وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟»، قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: «اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وصححه الألباني].

يتلخَّصُ مما مرّ أن هناك فروقًا بين الشرك الأكبر والأصغر، وهي:

١- الشـرك الأكبر: يُخرج من الملة، والشـرك الأصغر لا يُخرج من الملة، لكنه يُنْقِص التوحيد.

٢- الشـرك الأكبرُ يخلَّدُ صاحبه في النار، والشرك الأصغر لا يُخلَّد صاحبُه فيها إن دَخَلها.

٣- الشـركُ الأكبرُ يحبطُ جميعَ الأعمال، والشركُ الأصغرُ لا يُحبِطُ جميع الأعمال، وإنما يُحبِطُ الرياءُ والعملُ لأجل الدنيا العملَ الذي خالطاه فقط.

٤- الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر لا يبيحهما.

اللهُ يعلمُ كمْ للشركِ من سُبُلٍ خَفِيَّةٍ كَدبيبٍ تحت ظلمَاءِ
مَنْ كانَ يَحلفُ بالمخلوقِ معتقِدًا بفضلِه كانَ في شرْكٍ و عمياءِ
ونـاذرُ النذْرِ للمخلوق عابدُه كالمستغيثِ بـهِ في كلِّ بَلْواءِ
كَمَنْ دعا عندَ قَبْرٍ كيْ يوسِّطَه في كشْفِ ضُرٍّ وفي تَخْفيفِ بأْساءِ
كَمَنْ تقرَّبَ للمقبُورِ في نُسُكٍ أَو استعانَ بـهِ للبُرْءِ مِنْ داءِ
أَو ظَنَّـهُ مالكًا ضُـرًا ومنفعةً فالنفْعُ والضُّر إظهارٌ لآلاءِ
واللهُ لا يغفرُ الإشراكَ من أَحَدٍ مهما تبَاعَدَ عن سُوءٍ ونكْراءِ
وليسَ يُجدي مع الإشراكِ صالحةٌ فكلُّها كهبَاءٍ بيْنَ أَنْواءِ
رأسُ السعادةِ إيمَانٌ له أَثَرٌ في مَسْلَكِ المرْء تَقويمًا لأَخطاءِ
إنّا نتوبُ من الإشْـراكِ قاطِبةً ومن قبَائحِ شَحْناءٍ وبَغْضاءِ

خطورة الشحناء والبغضاء بين الناس وفضيلة سلامة الصدر:

الشحناء هي: حقد المسلم على أخيه المسلم بُغْضًا له لهوًى في نفسه، لا لغرض شرعي ومندوحة دينية، فهذه تمنع المغفرة في أكثر أوقات المغفرة والرحمة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**» [رواه مسلم]، فيُحْرَم المتصارمان من مغفرة الله بسبب الشقاق الذي قام بينهما وبسبب الهجران الذي حل بينهما.

وقد وصف الله المؤمنين عموما بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وهـذا دعاء شـامل لجميع المؤمنين، السـابقين من الصحابـة، ومن قبلهم ومـن بعدهم، وهـذا من فضائـل الإيمـان أن المؤمنين ينتفـع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضًا.

ولهذا ذكر الله في الدعاء نفي الغل عن القلب، الشـامل لقليل الغل وكثيره، الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلـك مما هو من حقـوق المؤمنين، ويتضمن أيضًـا أن يحب أحدهم لأخيه ما يحـب لنفسـه، وأن ينصـح له حاضـرًا وغائبًا، حيًّـا وميتًا، قال بعض السـلف: «أفضل الأعمال سـلامة الصدور وسـخاوة النفـوس والنصيحة للأمة»، وبهذه الخصال بلغ من بلغ، وسيد القوم من يصفح ويعفو.

عَـنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْـرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «قِيلَ لِرَسُـولِ اللهِ ﷺ: «أَيُّ النَّـاسِ أَفْضَلُ؟» قَـالَ: «**كُلُّ مَخْمُـومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَـانِ**». قَالُوا: «صَدُوقُ اللِّسَـانِ نَعْرِفُهُ؛ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟»، قَـالَ: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ**» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

يُقَـالُ رَجُلٌ مَخْمُومُ الْقَلْـبِ إِذَا كَانَ نَقِيَّ الْقَلْبِ مِنَ الْغِلِّ وَالْحَسَـدِ، هُوَ مِنْ خَمَمْتُ الْبَيْتَ إِذَا كَنَسْـتُهُ وَنَظَّفْتُـهُ، فَالْمَعْنَى أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ مَكْنُوسًـا وَمُنَظَّفًا مِنْ أَخْلَاقِ الْأَقْذَارِ.

(صَدُوقِ اللِّسَـانِ): أَيْ: مُبَالِغٍ لِلصِّدْقِ فِي لِسَانِهِ، فَيَحْصُلُ بِهِ الْمُطَابَقَةُ بَيْنَ تَحْسِينِ لِسَانِهِ وَبَيَانِهِ، فَيَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهِ مُنَافِيًا أَوْ مُرَائِيًا مُخَالِفًا، (النَّقِيُّ) أَيْ: نَقِيُّ الْقَلْـبِ، وَطَاهِرُ الْبَاطِنِ، (لَا إِثْمَ فيه): فَإِنَّـهُ مَحْفُوظٌ، وَبِالْغُفْرَانِ مَحْظُوظٌ، (وَلَا بَغْـيَ) أَيْ: لَا ظُلْـمَ لَهُ، (وَلَا غِلَّ) أَيْ: لَا حِقْدَ، (وَلَا حَسَـدَ) أَيْ: لَا تَمَنِّيَ زَوَالِ نِعْمَـةِ الْغَيْرِ مِنْ بَابِ التَّخْصِيصِ وَالتَّعْمِيمِ عَلَى سَـبِيلِ التَّكْمِيـلِ وَالتَّعْمِيمِ، لِئَلَّا

يُتَوَهَّمَ اخْتِصَاصُ الْإِثْمِ بِحَقِّ اللهِ، فَصَرَّحَ بِأَنَّهُ لَا مُطَالَبَةَ عَلَيْهِ لَا مِنَ الْخَلْقِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الْخَالِقِ.

وما أحوجنا لمثل هذا النقي في مثل هذا الزمن الذي اتصف بكثرة الخلاف والنزاع والفرقة، فامتلأت النفوس وأوغِرَتْ الصدور، فتسمع كلمات التنقص، والازدراء، وسوء الظن، والدخول في النيات والمقاصد!



١٤٤- بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان

معنى البدعة:

البدعـة: هـي الطريقة المخترعـة في الدين التي ليس لهـا دليل من الكتاب والسـنة يقصـد فاعلها ومخترعهـا التقرب بها إلـى الله ﷻ كإحـداث عبادة لم يشـرعها الله ولا رسـوله ﷺ، أو تخصيص وقت للعبـادة لم يخصصه الله ولا رسوله لها، أو فعل العبادة على صفة لم يشرعها الله ورسوله.

فالبدعة قد تكون بإحداث عبادة ليس لها أصل في الشرع مثل بدعة الاحتفال بمناسـبة مولد النبي ﷺ والاحتفال بمناسـبة الإسـراء والمعراج، أو بمناسبة الهجـرة النبوية، أو تخصيص وقت من الأوقـات للعبادة ليس له خصوصية في الشرع، كتخصيص شهر رجب أو ليلة النصف من شعبان بصلاة أو ذكر أو دعاء، وتخصيص يوم النصف من شهر شعبان بصيام وقد تكون البدعة بإحداث صفة للعبادة غير مشـروعة، كالدعاء الجماعي بعـد الصلوات المفروضة، والأذكار الجماعية وما أشبه ذلك.

الأمر باتباع الكتاب والسنة:

إن كتـاب الله وسـنة نبيه ﷺ فيهمـا الهدايـة والنـور، وفي غيرهما ضلال وغـرور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه].

هـذا وعد من الله تعالى لمن تمسـك بكتابه وسـنة نبيه ﷺ وعمل بهما أن

لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، وتوعد من أعرض عن كتابه وخالف أمره وما أنزله على رسوله ﷺ وأخذ من غيرهما هداه أن له الضنك في الدنيا، فلا طمأنينة لقلبه ولا انشراح لصدره، بل له ضيق الصدر وحرجه لضلاله عن الهدى، وإن تنَعَّم ظاهرُه ولبس ما شاء وأكل ما شاء، فإن قلبه في قلقٍ وحيرة وشك، بل ويحشر يوم القيامة أعمى البصر والبصيرة.

ولقد أمر الله عباده بطاعته وطاعة رسوله عليه السلام في كثير من الآيات، وطاعة الله تكون باتباع كتابه وطاعة الرسول تكون باتباع سنته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء].

وهذا من مقتضيات لا إله إلا الله، وقد زعم قوم أنهم يحبون الرسول عليه الصلاة والسلام فابتلاهم الله بآية تبين صدق محبتهم فقال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:١٣]، فظهر للناس زيفهم وعوارهم لأنهم لم يطبقوا الآية، فكانوا بذلك الزعم من الكاذبين ولم يصدقوا بحب سيد المرسلين ﷺ.

أما ثمرات هذه الطاعة فإنها كثيرة منها: الهداية التامة لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤]، ومن ذلك أنها سبب لرحمة الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

أما من خالف أمره ﷺ فإنه يبوء بإثم عظيم ويجني ثمار عصيانه الخبيثة في الدنيا قبل الآخرة، فمنها الضلال واتباع الهوى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [القصص:٥٠]، ومنها الفتنة في الدين أو العذاب

في الدنيـا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

إن موقف الإسـلام حاسـم واضح صريح من البدع، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»، وفي رواية: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» [رواه البخاري ومسلم]. «**فَهُوَ رَدٌّ**» أي: مردود على صاحبه.

وإن هذيـن الحديثيـن يَرُدّان على كل صاحب بدعـة أو مقلد للبدعة، فكل مـن ابتدع واسـتحدث عبادة من عنده فنرد عليه بالحديـث الأول: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»، ومن قال: أنا لم أحدث بدعة جديدة في الدين ولكـن هذه عادات آبائنا وأجدادنا، وهذا فِعْلُ فلان، فنرد عليه بالحديث الثاني: «**مَـنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْـسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، ومعنى الحديثين الشـريفين: أن أي عمل يخالف أمر الله ورسـوله صلى الله عليه وسـلم فهـو مردود على صاحب البدعة المحدث لها والعامل المقلد لها.

وقـال رسـول الله ﷺ: «**إِنَّهُ مَنْ يَعِـشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَـيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُـمْ بِسُـنَّتِي وَسُـنَّةِ الْخُلَفَـاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِـدِينَ، تَمَسَّـكُوا بِهَـا، وَعَضُّوا عَلَيْهَـا بِالنَّوَاجِـذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَـاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَـةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني، وروى مسلم لفظة: «كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»]. «عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»: كناية عن شدة التمسك بها، و «النواجذ»: الأضراس.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم».

وقال الإمام مالك رحمه الله: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا».

وقال الإمام الزهري رحمه الله: «الاعتصام بالسـنة نجاة؛ لأن السـنة - كما قال

مالك – مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك».

أين المبتدع من قول الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]، وهل ببدعته يتهم النبي الكريم بعدم البلاغ وكتمان الرسالة، حاشاه ﷺ، وهو الذي زكاه ربه ﷻ فقد بلغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

وتوعد الله من خالف أمر الرسول ﷺ بالعقوبة العاجلة والآجلة، فقال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، أي: فليحذر وليخش من خالف الرسول ﷺ باطنًا وظاهرًا أن تصيبهم فتنة، أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق أو حد أو حبس أو نحو ذلك.

وكان النبي ﷺ يحذر من مخالفة الكتاب والسنة ويبين أن ما خالف الكتاب والسنة فهو بدعة وضلالة فكان يقول في خطبه: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمّدٍ، وَشَرّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» [رواه مسلم].

لا يصح شيء في فضل العبادة في ليلة النصف من شعبان:

لا يصح شيء في فضل الصلاة والصيام والعبادة في النصف من شعبان، وما ورد في ذلك ليس هو من قسم الموضوع والباطل، وهذا لا يحل الأخذ به ولا العمل بمقتضاه لا في فضائل الأعمال ولا في غيرها.

وقد حكم ببطلان الروايات الواردة في ذلك جمعٌ من أهل العلم: منهم ابن الجوزي في كتابه (الموضوعات)، وابن قيم الجوزية في (المنار المنيف)، وأبو شامة الشافعي في (الباعث على إنكار البدع والحوادث)، والعراقي في (تخريج إحياء علوم الدين)، وقد نقل شيخُ الإسلام ابن تيمية الاتفاق على بطلانها في (مجموع الفتاوى).

بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان:

ومن الغلو تخصيص نهارها بصيام وليلها بقيام وعبادة، وما ورد في ذلك كما يقول أهل العلم إما ضعيف، وإما موضوع مختلق لا يثبت عن النبي ﷺ.

ومن الغلو أيضًا صلاتهم مائة ركعة في كل ركعة يقرءون: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إحدى عشرة مرة، وزعموا أنها تقضي حوائج الناس، والحديث موضوع كما يقول أهل العلم.

ومن ذلك الاحتفال بليلة النصف من شعبان ويزعمون أن فيها تقدر الأرزاق والآجال، وما يجري في كامل العام. كما أنهم يخصصون اليوم الخامس عشر من شعبان بالصيام لأحاديث لا تثبت عن النبي ﷺ، ولا شك أن ذلك التخصيص مبتدع، إذ لم يثبت تفضيل أو تخصيص شيء من ذلك عن النبي الكريم ﷺ.

وقد قرر أهل العلم في قاعدة شرعية عظيمة مفادها: أن الأصل في العبادة المنع إلا بدليل يفرضها، وأن الأصل في العادات الإباحة إلا بدليل يحرمها.

وصوم يوم النصف من شعبان منفردًا لا أصل له، وكذلك اتخاذه موسمًا تصنع فيه الأطعمة وتظهر فيه الزينة، وهو من المواسم المحدثة المبتدعة التي لا أصل لها.

وكذلك ما قد أحدث في ليلة النصف من الاجتماع العام للصلاة الألفية - وهي التي يقرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة - في المساجد الجامعة، ومساجد الأحياء والدور والأسواق، فإن هذا الاجتماع لصلاة نافلة مقيد بزمان وعدد وقدر من القراءة مكروه لم يشرع، فإن الحديث الوارد في الصلاة الألفية موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث، وما كان هكذا لا يجوز استحباب الصلاة بناء عليه.

ولـم يثبـت في قيام ليلـة النصف من شـعبان ولا في صيام يـوم النصف من شعبان بعينهما شيءٌ عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه رضي الله عنهم، فليَسَعْكُم ما وسع صحابة رسـول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسـان والذين كانوا أشدّ منا خشية لله وأحرص منا على الخير ومع كل ذلك لم يتقربوا لله بغير ما شـرعه على لسـان نبيه ﷺ.

تنبيـــــه:

لا حرج على المسـلم في صيام النصف من شـعبان إن وافق صيامه الثلاث أيـام البيض (الثالث عشـر، والرابع عشـر، والخامس عشـر) وكذلـك الاثنين أو الخميـس، أمـا تخصيـص اليـوم الموافـق لنصف مـن شـعبان بالصوم فلا دليل عليه.

ومـن كان من عادته قيام الليـل فلا يترك قيام الليل في تلك الليلة، ومن كان مـن عادته صيام النوافل فوافـق ذلك يوم النصف من شـعبان فليصم ولا يترك الصيام، فمن كان معتادا لقيام الليل في سـائر السـنة فليقم في تلك الليلة كغيرها مـن الليالي، ومـن كان معتاد الصيام أيام البيض (١٣ و١٤ و١٥ من كل شـهر) فلْيَصُم تلك الأيام من شعبان كعادته في شهور العام.

وكذلـك مـن كان يصوم الاثنين والخميس من كل أسـبوع، وصادف ذلك يوم النصف من شعبان فليصمه على عادته تابعًا لغيره، وهكذا من كان عادته أن يصوم غالب شهر شعبان اقتداءً بالنبي ﷺ، ومر النصف أثناء صيامه فلا بأس؛ لأنه في هذه الحال صار تابعًا، وإنما الممنوع تخصيصه دون غيره.

أحاديث لا تصح في فضل ليلة النصف من شعبان:

١- رُوِيَ عَـنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَـةَ رضي الله عنها قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً فَخَرَجْتُ، فَإِذَا هُوَ بِالبَقِيعِ، فَقَالَ: «أَكُنْتِ تَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ»،

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَتَيْتَ بَعْضَ نِسَائِكَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمِ كَلْبٍ مِمَّنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ».

٢- «إِذا كَانَ لَيْلَة النّصْف من شعْبَان فَقومُوا لَيْلهَا وصوموا نَهَارهَا؛ فَإِن الله ينزل فِيهَا لغروب الشَّمْس إِلَيّ سَمَاء الدُّنْيَا، فَيَقُول: أَلا من مُسْتَغْفِر فَأَغْفِر لَهُ أَلا من مسترزق فأرزقه، أَلا من مبتلى فأعافيه، أَلا من سَائل فَأعْطِيه، أَلا كَذَا وَكَذَا، حَتَّى يطلع الْفجْر».

٣- «إذا كان ليلة النصف من شعبان نادى مناد: هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ فلا يسأل أحد شيئا إلا أعطي إلا زانية بفرجها أو مشرك».

٤- «إذا كان ليلة النصف من شعبان يغفر الله من الذنوب أكثر من عدد شعر غنم كلب».

٥- «خمس ليال لا ترد فيهن الدعوة: أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة وليلة الفطر و ليلة النحر».

٦- «في ليلة النصف من شعبان يوحي الله إلى ملك الموت يقبض كل نفس يريد قبضها في تلك السنة».

٧- رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هل تدرين ما هذه الليلة؟» - يعني ليلة النصف من شعبان - قالت: «ما فيها يا رسول الله؟»، فقال: «فيها يكتب كل مولود من بني آدم في هذه السنة، وفيها يكتب كل هالك من بني آدم في هذه السنة، وفيها ترفع أعمالهم وفيها تنزل أرزاقهم».

٨- «أتاني جبرائيل - عليه السلام - فقال: «هذه ليلة النصف من شعبان، ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم بني كلب».

٩- رُوِيَ عَـنْ عَلِـيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عَلِيُّ مَنْ صَلَّى مِائَةَ رَكْعَةٍ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَـعْبَانَ يَقْرَأُ فِـي كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكتاب و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ عَشْرَ مَرَّات، يَا عَلِيُّ مَا مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَوَاتِ إِلا قَضَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ كُلَّ حَاجَةٍ طَلَبَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ»، قِيلَ: «يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ كَانَ اللهُ تَعَالَى كَتَبَهُ شَقِيًّا أَيَجْعَلُهُ سَعِيدًا».

قَـالَ: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ يَا عَلِيُّ إِنَّـهُ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْح إِنَّ فُلانَ بْنَ فُلانٍ خُلِقَ شَقِيًّا يَمْحُوهُ اللهُ وَيَجْعَلُهُ سَعِيدًا، وَيَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَكْتُبُونَ لَـهُ الْحَسَـنَاتِ وَيَمْحُونَ عَنْهُ السَّـيِّئَاتِ وَيَرْفَعُونَ لَهُ الدَّرَجَاتِ إِلَى رَأْسِ السَّـنَةِ، وَيَبْعَثُ اللهُ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ سَـبْعِينَ ألف ملَك أَو سَـبْعمِائة أَلْفِ مَلَكٍ، يَبْنُونَ لَهُ الْمَدَائِنَ وَالْقُصُورَ وَيَغْرِسُـونَ لَهُ الأَشْجَارَ، مَا لَا عين رَأَتْ وَلَا أذن سَمِعَتْ وَلَا خطـرَ عَلَى قلب الْمَخْلُوقين مِثْلُ هَذِهِ الْجِنَانِ، فِي كُلِّ جَنَّةٍ عَلَى مَا وَصَفْتُ لَكُمْ مِنَ الْمَدَائِنِ وَالْقُصُورِ وَالأَشْجَارِ.

فَإِنْ مَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَحُولَ الْحَوْلُ مَاتَ شَهِيدًا وَيُعْطِيهِ اللهُ تَعَالَى بِكُلِّ حَـرْفٍ مِـنْ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ فِي لَيْلَتِهِ مِنْ ذَلِكَ سَـبْعِينَ أَلْفَ حَـوْرَاءَ لِكُلِّ حَوْرَاءَ وَصِيفٌ ووصيفة وَسَبْعُونَ ألفا غلْمَان وَسَبْعُونَ ألفا ولدان وَسَبْعُونَ أَلْفًا قَهَارِمَةً [١] وَسَبْعُونَ أَلْفًا حُجّاب.

وَكُلُّ مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يُكْتَبُ لَهُ أَجْرُ سَبْعِينَ شَهِيدًا وَتُقْبَلُ صَلاتُهُ الَّتِي صَلاهَا قَبْلَ ذَلِكَ وَتُقُبِّلَ مَا يُصَلِّي بَعْدَهَا، وَإِنْ كَانَ وَالِدَاهُ فِي النَّـارِ دَعَـا لَهُمَا أَخْرَجَهُمَـا اللهُ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يُشْـرِكَا بِاللهِ شَـيْئًا، وَيَدْخُلانِ الْجَنَّةَ، وَيَشْفَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي سَبْعِينَ أَلْفًا إِلَى آخِرِ ثَلاثِ مَرَّاتٍ.

(١) القهرمـان: الوكيـل الـذي يتولـى إدارة القصر والإشـراف عليـه. القهرمانـة: مدبرة البيـت ومتولية شؤونه.

وَالَّـذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَـا حَتَّى يَرَى مَنْزِلَهُ فِي الْجَنَّةِ كَمَا خَلَقَـهُ اللهُ أَوْ يُـرَى لَهُ. وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُ فِي كُلِّ سَـاعَةٍ مِنْ سَـاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ - وَهِي أَربع وعشـرُون سَـاعَةً - سَـبْعون أَلْفَ مَلَكٍ يُسَـلِّمُونَ عَلَيْـهِ وَيُصَافِحُونَهُ وَيَدْعُونَ لَـهُ إِلَى أَنْ يُنْفَخَ فِي الصُّورِ، وَيُحْشَـرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَيَأْمُرُ الْكَاتِبَيْنِ أَنْ لَا تَكْتُبُوا عَلَى عَبْدِي سَيِّئَةً وَاكْتُبُوا لَهُ الْحَسَنَاتِ إِلَى أَنْ يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ، وَمَنْ صَلَّى هَذِهِ الصَّلاةَ وَهُوَ يُرِيدُ الصَّلاةَ وَالدَّارَ الآخِرَةَ يَجْعَل الله لَهُ نَصِيبًا مِنْ عِنْدِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ».

١٠ - «مَـنْ قَرَأَ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَـعْبَانَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ أَلْفَ مَرَّةً فِي عَشْـرِ رَكَعَـاتٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّـى يَبْعَثَ اللهُ إِلَيْهِ مِائَـةَ مَلَكٍ ثَلاثُون يُبَشِّـرُونَهُ بِالْجَنَّةِ وَثَلاثُـونَ يُؤَمِّنُونَـهُ مِـنَ الْعَذَاب وَثَلَاثُـونَ يقوِّمُونـه أَن يخطىء وَعَشَـرَةُ أَمْلاكٍ يَكْتُبُونَ أَعْدَاءَهُ».

١١ - «مَـنْ قَرَأَ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَـعْبَانَ أَلْفَ مَرَّةٍ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ فِي مِائَـةِ رَكْعَـةٍ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَـا حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ إِلَيْهِ فِي مَنَامـه مائة مَلَكٍ ثَلاثُونَ يُبَشِّـرُونَهُ بِالْجَنَّةِ وَثَلاثُـونَ يُؤَمِّنُونَهُ مِـنَ النَّارِ وَثَلاثُونَ يَعْصِمُونَـهُ من أَن يُخطئ وَعشر يكيدون من عَادَاهُ».

١٢ - «مَـنْ قَرَأَ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَـعْبَانَ أَلْفَ مَرَّةٍ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ فِي مِائَـةِ رَكْعَـةٍ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ إِلَيْهِ فِـي مَنَامِهِ مِائَةَ مَلَكٍ، ثَلاثُونَ يُبَشِّـرُونَهُ بِالْجَنَّةِ وَثَلاثُونَ يُؤَمِّنُونَـهُ مِنَ النَّارِ وَثَلاثُونَ يَعْصِمُونَـهُ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ، وَعَشْرٌ يَكِيدُونَ مَنْ عَادَاهُ».

١٣ - «مَـنْ صَلَّى لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَـعْبَانَ اثْنَتَيْ عَشْـرَةَ رَكْعَـةً، يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَـةٍ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ ثَلاثِينَ مَـرَّةً لَمْ يَخرُجْ حَتَّى يَرَى مَقْعَـدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيَشْفَعَ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ».

١٤- «مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ النِّصْفِ من شعبان ثنتي عَشْرَةَ رَكْعَةً يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ثَلاثِينَ مَرَّةً ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ شُفِّعَ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ قَدِ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ».

١٥- رُوِيَ عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ الله لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ قَامَ فَصَلَّى أَرْبَعَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ثُمَّ جلس بعد الْفَرَاغ فَقَرَأَ بِأم الْقُرْآنِ أَرْبَعَ عَشَرَ مَرَّةً، وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ أَرْبَعَ عَشَرَ مَرَّةً وَآيَة الْكُرْسِيِّ مرّة، و ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلاتِهِ سَأَلْتُهُ عَمَّا رَأَيْتُهُ مِنْ صَنِيعِهِ فَقَالَ: «مَنْ صَنَعَ مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتَ كَانَ لَهُ كَعِشْرِينَ حَجَّةً مَبْرُورَةٍ وَكَصِيَامِ عِشْرِينَ سَنَةٍ مَقْبُولَةٍ، فَإِنْ أَصْبَحَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ صَائِمًا كَانَ لَهُ كَصِيَامِ سَنَتَيْنِ سَنَةٍ مَاضِيَةٍ وَسَنَةٍ مُسْتَقْبَلَةٍ».

١٦- «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: «قُمْ فَصَلِّ وَارْفَعْ رَأْسَكَ وَيَدَيْكَ إِلَى السَّمَاءِ»، فَقُلْتُ: «يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ اللَّيْلَةُ؟». قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأَبْوَابُ الرَّحْمَة ثَلَاثمِائَة بَابٍ فَيُغْفَرُ لِجَمِيعِ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا غَيْرَ مُشَاحِنٍ أَوْ عَاشِرٍ[1] أَوْ مُدْمِنِ خَمْرٍ أَوْ مُصِرٍّ عَلَى الزِّنَا فَإِنَّ هَؤُلاءِ لَا يُغْفَرُ لَهُمْ حَتَّى يَتُوبُوا.

فَأَمَّا مُدْمِنُ خَمْرٍ فَإِنَّهُ يُتْرَكُ لَهُ بَابًا مِنَ الرَّحْمَةِ مَفْتُوحًا حَتَّى يَتُوب، فَإِذَا تَابَ غُفِرَ لَهُ، وَأَمَّا الْمُشَاحِنُ فَإِنَّهُ يُتْرَكُ لَهُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الرَّحْمَةِ حَتَّى يُكَلِّمَ صَاحِبَهُ، فَإِذَا كَلَّمَهُ غُفِرَ لَهُ». قَالَ النَّبِيُّ: «يَا جِبْرِيلُ، فَإِنْ لَمْ يُكَلِّمْهُ حَتَّى يَمْضِيَ عَنْهُ النِّصْفُ». قَالَ: «لَوْ مَكَثَ إِلَى أَنْ يَتَغَرْغَرَ بِهَا فِي صَدْرِهِ فَهُوَ مَفْتُوحٌ، فَإِنْ تَابَ قُبِلَ مِنْهُ».

---

(١) عشَر القومَ: أخذ عُشْر أموالهم. عشَر المالَ: أخذ عُشْره مَكْسًا.

فَخَرَجَ رَسُـول الله إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَبَيْنَا هُوَ سَـاجِدٌ وَهُوَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «أَعُـوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَـخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، جَلَّ ثَنَاؤُكَ وَلا أَبْلُغُ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِـكَ»، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلامُ - فِي رُبُعِ اللَّيْلِ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ إِلَى السَّمَاءِ».

فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ مَفْتُوحَةٌ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكٌ يُنَادِي: «طُوبَى لِمَنْ سَـجَدَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ»، وَعَلَى الْبَابِ الثَّالِثِ مَلَكٌ يُنَادِي: «طُوبَى لِمَنْ رَكَعَ فِـي هَذِهِ اللَّيْلَةِ»، وَعَلَى الْبَابِ الرَّابِعِ مَلَكٌ يُنَـادِي: «طُوبَى لِمَنْ دَعَا رَبَّهُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَـةِ»، وَعَلَـى الْبَابِ الْخَامِـسِ مَلَكٌ يُنَـادِي: «طُوبَى لِمَنْ نَاجَى رَبَّـهُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ»، وَعَلَى الْبَابِ السَّادِسِ مَلَكٌ يُنَادِي: «طُوبَى لِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ».

وَعَلَى الْبَابِ السَّـابِعِ مَلَكٌ يُنَادِي: «طُوبَى لِلْمُوَحِّدِينَ»، وَعَلَى الْبَابِ الثَّامِنِ مَلَكٌ يُنَادِي: «هَلْ مِنْ تَائِبٍ يُتَابُ عَلَيْهِ»، وَعَلَى الْبَابِ التَّاسِعِ مَلَكٌ يُنَادِي: «هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ»، وَعَلَى الْبَابِ الْعَاشِرِ مَلَكٌ يُنَادِي: «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ»، ثُمَّ إِن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ، إِلَى مَتَى أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ مَفْتُوحَةٌ؟»، قَالَ: «مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى صَلاةِ الْفَجْرِ».



١٤٥- رمضان شهر القرآن(١)

أنزل في شهر رمضان:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ نصٌّ في أن القرآن نزل في شهر رمضان، وهو يبين قوله ﷻ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان]، يعني ليلة القدر، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

وفي هذا دليل على أن ليلة القدر إنما تكون في رمضان لا في غيره.

ولا خلاف أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر جملة واحدة، فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا، ثم كان جبريل ﷺ ينزل به نجما نجما في الأوامر والنواهي والأسباب، وذلك في عشرين سنة.

وقال ابن عباس: «أنزل القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى الكتبة في سماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام نجوما - يعني الآية والآيتين - في أوقات مختلفة في إحدى وعشرين سنة».

نزول القرآن ومدارسته مع جبريل في رمضان:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛ لأَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» [رواه البخاري].

---

(١) هذه الخطبة واللتان بعدها بتصرف من كتاب (أفلا يتدبرون القرآن)، لأخي الحبيب الأستاذ/ جابر مشابط.

الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ**»، قَالَ: «**فَيُشَفَّعَانِ**»، [رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني].

أَهْلُ الْقُرْآنِ، هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ لِلهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**»، فَقِيلَ: «مَنْ أَهْلُ اللهِ مِنْهُمْ؟»، قَالَ: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ، هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**»، [رواه الإمام أحمد وصححه الألباني].

(أَهْل الْقُرْآن) أَيْ حَفَظَة الْقُرْآن يَقْرَؤونه آنَاءَ اللَّيْل وَأَطْرَاف النَّهَار الْعَامِلُونَ بِهِ.

(أَهْلُ اللهِ) أَيْ أَوْلِيَاؤُهُ الْمُخْتَصُّونَ بِهِ اِخْتِصَاص أَهْل الْإِنْسَان بِهِ.

القرآن يهدى للتي هي أقوم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

يخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته وأنه ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ أي: أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره، ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الواجبات والسنن ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ أعده الله لهم في دار كرامته لا يعلم وصفه إلا هو.

لن تضلوا ما تمسكتم بالقرآن:

قال صلى الله عليه وسلم: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابَ اللهِ**» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**» [رواه الإمام موطأ مالك في الموطأ، وحسنه الألباني].

وعن أبي شريح الخزاعي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**أَبْشِرُوا أبشِرُوا أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟**»، قالوا: «نعم»، قال: «**فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلَكُوا بَعْدَه أَبَدًا**» [رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه، وصححه الألباني].

القرآن كتاب لا شك فيه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة].

هذه الآية كانت سببًا فى إسلام أحد علماء الغرب، فعندما سمع هذا العالِمُ أن هذا الكتاب لاريب فيه، وأن هذا القول به نوع من التحدى والقوة، قال فى نفسه: «إن أى إنسان عندما يكتب أى كتاب، مهما أوتي من ثقة وقوة، فإنه لايستطيع أن يجزم أن ما كتبه لاريب فيه، أو أنه لايقبل النقد، وصاحب هذا الكتاب (القرآن) يقطع أنه لاشك فيه، إذن فهو ليس بشرًا، بل هو إله، فأخذ يبحث فى القرآن حتى يجد تناقضا فلم يجد فيه أى تناقض فأعلن إسلامه».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾ أي وما كان هذا القرآن افتراءً، ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي من التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب، فإنها قد بشرت به فجاء مصدقا لها في تلك البشارة، وفي الدعاء إلى التوحيد والايمان بالقيامة.

قرآن مجيد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١]. أي مُتناهٍ في الشرف والكرم

والبركة، وهو بيان ما بالناس الحاجة إليه من أحكام الدين والدنيا، لا كما زعم المشركون، ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ أي مكتوب في لوح، وهو محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين إليه، وقيل: هو أم الكتاب، ومنه انتسخ القرآن والكتب.

القرآن كتاب من عند الله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

﴿كِتَٰبٌ﴾ يعني القرآن، ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ﴾ نعت لكتاب، ﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعني التوراة والإنجيل يخبرهم بما فيهما، ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي يستنصرون، والاستفتاح الاستنصار، استفتحت: استنصرت.

ترتيل القرآن:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل].

﴿ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ المتغطي بثيابه كالمدثر، ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم قدر ذلك فقال: ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ﴾ أي: من النصف ﴿قَلِيلًا﴾ بأن يكون الثلث ونحوه.

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ أي: على النصف، فيكون الثلثين ونحوها، ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ هذا إرشاد له ﷺ ولأمته إلى أفضل طريقة لقراءة القرآن الكريم، والترتيل: جَعْلُ الشيء مرتلا، أي: منسقا منظما، أي: قم- أيها الرسول الكريم- الليل إلا قليلا منه... متعبدا لربك مرتلا للقرآن ترتيلا جميلا حسنا، تستبين معه الكلمات والحروف، حتى يفهمها السامع، وحتى يكون ذلك أعون على حُسْنِ تدبره، وأثبت لمعانيه في القلب، فإن ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكر، وتحريك القلوب به، والتعبد بآياته، والتهيؤ والاستعداد التام

له، فإنه قال: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ أي: نوحي إليك هذا القرآن الثقيل، أي: العظيمة معانيه، الجليلة أوصافه، وما كان بهذا الوصف، حقيق أن يتهيأ له ويرتل، ويتفكر فيما يشتمل عليه.

حال قارىء القرآن:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣].

يخبر تعالى عن كتابه الذي نزّله أنه ﴿أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ على الإطلاق، فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكتب المنزلة من كلام اللّه هذا القرآن، وإذا كان هو الأحسن، علم أن ألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيه أجل المعاني، لأنه أحسن الحديث في لفظه ومعناه ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ متشابها في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف بوجه من الوجوه حتى إنه كلما تدبره المتدبر وتفكر فيه المتفكر رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا المراد بالتشابه في هذا الموضع.

وأما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] فالمراد بها التي تشتبه على فهوم كثير من الناس، ولا يزول هذا الاشتباه إلا بردِّها إلى المحكم، ولهذا قال: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ فجعل التشابه لبعضه، وهنا جعله كله متشابهًا ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ أي: في حُسْنه، لأنه قال: ﴿أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ وهو سور وآيات، والجميع يشبه بعضه بعضًا.

﴿مَّثَانِيَ﴾ أي: تثنى فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات

أهل الخير، وصفات أهل الشر، وتثنى فيه أسماء اللّه وصفاته، وهذا من جلالته وحسنه، فإنه تعالى لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب بمنزلة الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بعد عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة.

فكذلك القلب يحتاج دائما إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعًا، ولم تحصل النتيجة منه، وينبغي للقارئ للقرآن المتدبر لمعانيه أن لا يدع التدبر في جميع المواضع منه، فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير، ونفع غزير.

ولما كان القرآن العظيم بهذه الجلالة والعظمة، أثّر في قلوب أولي الألباب المهتدين، فلهذا قال تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ لما فيه من التخويف والترهيب المزعج، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: عند ذكر الرجاء والترغيب، فهو تارة يرغبهم لعمل الخير، وتارة يرهبهم من عمل الشر.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكره اللّه من تأثير القرآن فيهم ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ أي: هداية منه لعباده، وهو من جملة فضله وإحسانه عليهم ﴿يَهْدِى بِهِۦ﴾ أي: بسبب ذلك ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من عباده.

ويحتمل أن المراد بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: القرآن الذي وصفناه لكم. ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي لا طريق يوصل إلى الله إلا منه ﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده ممن حسن قصده، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦].

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ لأنه لا طريق يوصل إليه إلا توفيقه

والتوفيق للإقبال على كتابه، فإذا لم يحصل هذا، فلا سبيل إلى الهدى، وما هو إلا الضلال المبين والشقاء.

﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾

هذه حالة العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله الجهال والمبتدعة من الزعيق والزئير، ومن النهاق الذى يشبه نهاق الحمير، فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وَجْدٌ وخشوع: إنك لم تبلغ أن تساوي حال رسول الله ﷺ ولا حال أصحابه في المعرفة بالله تعالى والخوف منه والتعظيم لجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفا من الله.

وكذلك وصف الله تعالى أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه، ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٨٣]، فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم، فمن كان مستنا فليستن، ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو من أخسهم حالًا، والجنون فنون.

يتلونه حق تلاوته:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢١].

واختلف في معنى ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ فقيل: يتَّبعونه حق اتباعه، باتباع الأمر والنهي، فيحللون حلاله ويحَرِّمون حرامه، ويعملون بما تضمنه، واستدلوا بقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٢] أي أتبعها.

وقيل: معنى ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾: هم الذين إذا مرُّوا بآية رحمة سألوها من الله، وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها، وقيل: هم الذين يعملون بمُحْكَمِه،

ويؤمنون بمُتشابِهِه، ويَكِلُونَ ما أُشْكِلَ عليهم إلى عالمه.

وقيل: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: يقرءونه حق قراءته، أي يرتلون ألفاظه، ويفهمون معانيه.

القرآن أنزله الله ليتحاكم الناس إليه:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١٠٥].

يخبر تعالى أنه أنزل على عبده ورسوله الكتاب بالحق، أي: محفوظًا في إنزاله من الشياطين، أن يتطرق إليه منهم باطل، بل نزل بالحق، ومشتملا أيضا على الحق، فأخباره صدق، وأوامره ونواهيه عدل ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥] وأخبر أنه أنزله ليحكم بين الناس.

وفي الآية الأخرى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤]. فيحتمل أن هذه الآية في الحكم بين الناس في مسائل النزاع والاختلاف، وتلك في تبيين جميع الدين وأصوله وفروعه، ويحتمل أن الآيتين كلتيهما معناهما واحد، فيكون الحكم بين الناس هنا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأعراض والأموال وسائر الحقوق وفي العقائد وفي جميع مسائل الأحكام.

وقوله: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ أي: لا بهواك بل بما علَّمك الله وألهمك، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم]، وفي هذا دليل على عصمته ﷺ فيما يُبَلِّغ عن الله من جميع الأحكام، وأنه يشترط في الحاكم العلم والعدل لقوله: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ ولم يقل: بما رأيتَ، ورتب أيضا الحكم بين الناس على معرفة الكتاب، ولما أمر الله بالحكم بين الناس المتضمن للعدل والقسط نهاه عن الجور والظلم الذي هو ضد العدل فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ أي: لا تخاصم عن مَن عرفت خيانته، مِن مُدَّعٍ ما ليس له، أو منكرٍ حقًّا عليه، سواء علم ذلك أو ظنه، ففي هذا دليل

علـى تحريم الخصومـة في باطل، والنيابـة عن المبطـل في الخصومات الدينية والحقوق الدنيوية.

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [المائدة: ٤٨]، يقـول تعالـى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ الـذي هـو القرآن العظيـم، أفضـل الكتب وأجَلُّهـا ﴿بِٱلۡحَقِّ ﴾ أي: إنزالا بالحق، ومشـتملا على الحق في أخباره وأوامـره ونواهيه ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ لأنه شهد لها ووافقها، وطابقت أخباره أخبارها، وشرائعه الكبار شرائعها، وأخبرت به، فصار وجوده مصداقا لخبرها.

﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ أي: مشتملا على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسـية. فهو الكتاب الذي يتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه.

وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة والأحكام، الذي عرضت عليه الكتب السـابقة فما شـهد له بالصدق فهو المقبول، وما شـهد له بالرد فهو مردود قـد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله، لم يخالفه.

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ ﴾ مـن الحكـم الشـرعي الذي أنزلـه الله عليك، ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ أي: لا تجعـل اتبـاع أهوائهـم الفاسـدة المعارضة للحق بدلا عما جاءك من الحق فتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

القرآن كتاب مفصل فلا تتحاكم إلا إلي شرع الله :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ ﴾ [الأنعـام: ١١٤]، أي: قـل يا أيها الرسـول ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا ﴾ أحاكم إليه،

وأتقيـد بأوامره ونواهيه، فإن غير الله محكوم عليه لا حاكم، وكل تدبير وحكم للمخلـوق فإنه مشـتمل على النقص، والعيب، والجـور، وإنما الذي يجب أن يُتخذ حاكما، فهو الله وحده لا شريك له، الذي له الخلق والأمر.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ﴾ أي: موضَّحـا فيه الحلال والحرام، والأحكام الشرعية، وأصول الدين وفروعه، الذي لا بيان فوق بيانه، ولا برهان أجلى من برهانه، ولا أحسن منه حكما ولا أقوم قيلا لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحمة.



١٤٦- رمضان شهر القرآن

القرآن كلام الله المبارك:

القـرآنُ العظيـم كثيرُ الخيراتِ، كتـابٌ مبارَك محكَم، فصـلٌ مهيمِن، أنزله الله رحمة وشـفاءً وبيانًا وهُدى، قال سـبحانه: ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

﴿ وَهَٰذَا ﴾ أي: القـرآن ﴿ ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ فوصفـه بوصفيـن جليليـن: كونـه ذكرًا يُتَذَكّرُ بـه جميع المطالب، من معرفة الله بأسـمائه وصفاته وأفعاله، ومن صفات الرسـل والأوليـاء وأحوالهم، ومن أحكام الشـرع مـن العبادات والمعاملات وغيرها، ومن أحكام الجزاء والجنة والنار.

وكونـه مباركًا يقتضي كثرة خيراته ونمائها وزيادتها، ولا شـيء أعظم بركة مـن هذا القرآن، فـإن كل خير ونعمة، وزيادة دينية أو دنيويـة، أو أخروية، فإنها بسببه، وأثر عن العمل به، فإذا كان ذكرًا مباركًا، وجب تلقيه بالقبول والانقياد، والتسليم، وشـكر الله على هذه المنحة الجليلة، والقيام بها، واستخراج بركته، بتعلم ألفاظه ومعانيه.

وأمـا مقابلته بضد هذه الحالـة، من الإعراض عنه، والإضراب عنه صفحًا وإنـكاره، وعدم الإيمان به فهذا من أعظم الكفر وأشـد الجهل والظلم، ولهذا أنكر تعالى على من أنكره فقال: ﴿أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾.

وقـال تعالـى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ [الأنعام:٩٢].

أي: ﴿ وَهَٰذَا ﴾ القرآن الذي ﴿ أَنزَلْنَٰهُ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ إليك ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ أي: وَصْفُه البركة، وذلك لكثرة خيراته، وسعة مبراته ﴿ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: موافق للكتب السابقة، وشاهد لها بالصدق.

﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ أي: وأنزلناه أيضا لتنذر أم القرى، وهي: مكة المكرمة، ومن حولها، من ديار العرب، بل، ومن سائر البلدان، فتحذر الناس عقوبة الله، وأخذه الأمم، وتحذرهم مما يوجب ذلك، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ لأن الخوف إذا كان في القلب عمرت أركانه، وانقاد لمراضي الله.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥]. ﴿ وَهَٰذَا ﴾ القرآن العظيم، والذكر الحكيم. ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ أي: فيه الخير الكثير والعلم الغزير، وهو الذي تستمد منه سائر العلوم، وتستخرج منه البركات، فما من خير إلا وقد دعا إليه ورغب فيه، وذكر الحكم والمصالح التي تحث عليه، وما من شر إلا وقد نهى عنه وحذر منه، وذكر الأسباب المنفرة عن فعله وعواقبها الوخيمة ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ فيما يأمر به وينهى، وابنوا أصول دينكم وفروعه عليه ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ﴾ الله تعالى أن تخالفوا له أمرا ﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾ إن اتبعتموه ﴿ تُرْحَمُونَ ﴾ فأكبر سبب لنيل رحمة الله اتباع هذا الكتاب، علما وعملًا.

ومِن بركة القرآن:

١- أنَّ مَن أخذ به حصل له الفتح، فأنقذ الله بذلك أممًا كثيرةً مِن الشرك.

٢- أنَّ الحرف الواحد بعشر حسنات قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ (الم) حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**» [رواه الترمذي وصححه الألباني].

٣- أنَّه يقـدَّم صاحبُه على الناس في الإمامة، قال ﷺ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ**» [رواه البخاري ومسلم].

٤- أنَّه يقدَّم حافظهُ على غيره في اللحد، كما فعل ﷺ [رواه البخاري].

القرآن فيه شفاء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقد اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين:

أحدهما: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الريب، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى.

الثاني: أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقي والتعوذ ونحوه.

عَـنْ أَبِي سَـعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَـالَ: انْطَلَقَ نَفَـرٌ مِنْ أَصْحَـابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَـفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ.

فَقَـالَ بَعْضُهُمْ لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْـطَ الَّذِينَ نَزَلُوا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَـيْءٌ فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: «يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَـيِّدَنَا لُدِغَ وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَـيْءٍ»، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: «نَعَمْ وَاللهِ إِنِّي لَأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا»، فَصَالَحُوهُمْ عَلَـى قَطِيعٍ مِنْ الْغَنَـمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، فَكَأَنَّمَا نُشِـطَ مِنْ عِقَالٍ فَانْطَلَقَ يَمْشِـي وَمَا بِهِ قَلَبَـةٌ، فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمْ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: «اقْسِمُوا»، فَقَالَ الَّذِي رَقَى: «لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا»، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ فَقَالَ: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ**» ثُمَّ قَالَ: «**قَدْ أَصَبْتُمْ اقْسِـمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا**»، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. [رواه البخاري].

(فَاسْتَضَافُوهُمْ) أَيْ طَلَبُوا مِنْهُمْ الضِّيَافَة.

(فَلُدِغَ) اللَّدْغ هُوَ اللَّسْع، وَاللَّدْغ الْمَذْكُور فِي الْحَدِيث هُوَ ضَرْب ذَات الْحُمَّة مِنْ حَيَّة أَوْ عَقْرَب وَغَيْرهمَا، وَأَكْثَر مَا يُسْتَعْمَل فِي الْعَقْرَب، (فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْء) أَيْ مِمَّا جَرَتْ بِهِ الْعَادَة أَنْ يُتَدَاوَى بِهِ مِنْ لَدْغَة الْعَقْرَب، أَيْ طَلَبُوا لَهُ مَا يُدَاوِيه.

(لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْط) النَّفَر مَا بَيْن الْعَشَرَة وَالثَّلَاثَة، وَالرَّهْط مَا دُون الْعَشَرَة وَقِيلَ يَصِل إِلَى الْأَرْبَعِينَ. (لَأَرْقِي): من الرُّقْية وهي كل كلام استشفي به من وجع أو غيره. (جُعْلا): أجرة. (فَصَالَحُوهُمْ) أَيْ اتفقوا معهم. (قَطِيع): طائفة من الغنم.

(فَانْطَلَقَ يَتْفُل) بِضَمِّ الْفَاء وَبِكَسْرِهَا وَهُوَ نَفْخ مَعَهُ قَلِيل من البصاق.

قَالَ اِبْن أَبِي حَمْزَة: مَحَلّ التَّفْل فِي الرُّقْيَة يَكُون بَعْد الْقِرَاءَة لِتَحْصِيلِ بَرَكَة الْقِرَاءَة فِي الْجَوَارِح الَّتِي يَمُرّ عَلَيْهَا الرِّيق فَتَحْصُل الْبَرَكَة فِي الرِّيق الَّذِي يَتْفُلُهُ.

(فَكَأَنَّمَا نُشِطَ) قَالَ اِبْن التِّين: حَكَى بَعْضهمْ أَنَّ مَعْنَى أُنْشِطَ: حَلَّ وَمَعْنَى نُشِطَ: أُقِيم بِسُرْعَةٍ، وَمِنْهُ قَوْلهمْ رَجُل نَشِيط، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون مَعْنَى نُشِطَ: فَزِعَ.

(مِنْ عِقَال) هُوَ الْحَبْل الَّذِي يُشَدّ بِهِ ذِرَاع الْبَهِيمَة.

(نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ) فُكَّ من حبل كان مشدودًا به.

(وَمَا بِهِ قَلَبَة) أَيْ عِلَّة. (وَمَا يُدْرِيك أَنَّهَا رُقْيَة): مَعْنَاهُ وَمَا أَدْرَاك، أي: وما الذي أعلمك أنها يرقى بها. (ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ) يَحْتَمِل أَنْ يَكُون صَوَّبَ فِعْلهمْ فِي الرُّقْيَة، وَيَحْتَمِل أَنَّ ذَلِكَ فِي تَوَقُّفهمْ عَنْ التَّصَرُّف فِي الْجُعْل حَتَّى اِسْتَأْذَنُوهُ، وَيَحْتَمِل أَعَمّ مِنْ ذَلِكَ. (وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا) أَيْ اِجْعَلُوا لِي مِنْهُ نَصِيبًا،

وَكَأَنَّهُ أَرَادَ الْمُبَالَغَةَ فِي تَأْنِيسهِمْ.

وعَنْ يُونُسَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ **رَسُولُ اللهِ** ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ»، قَالَ يُونُسُ: «كُنْتُ أَرَى ابْنَ شِهَابٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ إِذَا أَتَى إِلَى فِرَاشِهِ» [رواه البخاري].

(نفث): نفخ نفخًا ليس معه ريق، ومعنى (تفل): نفخ نفخًا معه ريق.

يقول ابن القيم عن نفسه: «مكثتُ بمكة مدة يعتريني أدواء ولا أجد طبيبًا ولا دواءً فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرًا عجيبًا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألمًا فكان كثيرٌ منهم يبرأ سريعًا».

ثم يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولكن هاهنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن الآيات والأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المنفعل».

هل تدبرت القرآن؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]. يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك؛ فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته، فإنه يعرِّف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال؛ وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرِّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق

الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب.

وكلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضًا، ويوافق بعضه بعضًا، فترى الحكم والقصة والإخبارات تُعَاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضًا، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلًا.

وعن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَيَخْرُجُ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الْقُرْآنَ كَشُرْبِهِمُ اللَّبَنَ**» [رواه الطبراني، وحسنه الألباني].

(يَشْرَبُونَ الْقُرْآنَ كَشُرْبِهِمُ اللَّبَنَ) أي يسلقونه بألسنتهم من غير تَدَبُّر لمعانيه ولا تأمل في أحكامه بل يمر على ألسنتهم كما يمر اللبن المشروب عليها بسرعة.

القرآن نذير:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ أي وأوحى الله إليَّ هذا القرآن الكريم لمنفعتكم، ومصلحتكم لأنذركم به من العقاب الأليم، والنذارة إنما تكون بذكر ما ينذرهم به من الترغيب والترهيب، وببيان الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة التي مَن قام بها، فقد قبل النذارة، فهذا القرآن فيه النذارة لكم

أيها المخاطبون وكل من بلغه القرآن إلى يوم القيامة، فإن فيه بيان كل ما يحتاج إليه من المطالب الإلهية.

وتبليغ القرآن والسنة مأمور بهما، كما أمر النبي ﷺ بتبليغهما، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ** ﴾ [المائدة: ٦٧]، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**» [رواه البخاري].

القرآن تذكرة وموعظة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا** ﴾ [الإسراء: ٤١].

﴿ صَرَّفۡنَا ﴾ أي بَيَّنَّا، وقيل كَرَّرْنا، والمراد بهذا التصريف البيان والتكرير.

وقيل: المغايرة، أي غايرنا بين المواعظ ليذكروا ويعتبروا ويتعظوا، وقوله: ﴿فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ يعني الأمثال والعبر والحكم والمواعظ والأحكام والأعلام.

يخبر تعالى أنه صرف لعباده في هذا القرآن أي: نَوَّع الأحكام ووَضَّحَها وأكثَرَ من الأدلة والبراهين على ما دعا إليه، ووعَظ وذكَّر لأجل أن يتذكروا ما ينفعهم فيسلكوه وما يضرهم فيدعوه. ولكن أبَى أكثر الناس إلا نفورا عن آيات الله لبغضهم للحق، ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل، حتى تعصبوا لباطلهم، ولم يعيروا آيات الله لهم سمعا ولا ألقوا لها بالًا.

القرآن يُخرج الناس من الظلمات إلى النور:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١].

﴿ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي بالكتاب، وهو القرآن، أي بدعائك إليه.

﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ أي من ظلمات الكفر والضلالة والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وهذا على التمثيل، لأن الكفر بمنزلة الظُلمة، والإسلام بمنزلة

النور، وقيل: من البدعة إلى السنة، ومن الشك إلى اليقين، والمعنى متقارب.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي بتوفيقه إياهم ولطفه بهم، والباء في ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ متعلقة بـ (تُخْرِج) وأضيف الفعل إلى النبي ﷺ لأنه الداعي والمنذر الهادي.

القرآن هو الذكر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكر، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي: في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه فيها ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدوا يجتاحهم.

حفظ الله للقرآن كان سببًا في إسلام أحد اليهود:

قال يحيى بن أكثم: «كان للمأمون - وهو أمير إذ ذاك - مجلس نظر، فدخل في جملة الناس رجل يهودى حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة، فتكلم فأحسن الكلام والعبارة، فلما أن تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له: «إسرائيلى؟»، قال: «نعم»، قال له: «أسلم حتى أفعل بك وأصنع»، ووعده، فقال: «دينى ودين آبائى؟». وانصرف.

فلما كان بعد سنة جاءنا مسلمًا، فتكلم على الفقه فأحسن الكلام، فلما تقوض المجلس دعاه المأمون وقال: «ألست صاحبنا بالأمس؟»، قال له: «بلى»، قال: «فما كان سبب إسلامك؟»، قال: «انصرفت من حضرتك فأحببت

أن أمتحن هذه الأديان، وأنا - مع ما تراني - حسـن الخط، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسـخ فـزدتُ فيها ونقصتُ، وأدخلتها الكنيسـة فاشـتُريَتْ منى، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدتُ فيها ونقصتُ، وأدخلتها البَيْعة فاشـتُريَتْ منى، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدتُ فيها ونقصتُ، وأدخلتهـا الوراقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامى.

قال يحيى بن أكثم: «فحججت تلك السـنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر فقال لى: «مصداق هذا في كتاب الله ﷻ»، قال: قلت: «في أي موضع؟»، قال: «في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والانجيل: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، فجعـل حفظـه إليهـم فضـاع، وقـال تَعَـالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ فحفظه الله ﷻ علينا فلم يَضِعْ».

القرآن مهر للنساء:

عَنْ سَـهْلِ بْنِ سَـعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَتِ النَّبِىَّ ﷺ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ إِنَّهَا قَدْ وَهَبَتْ نَفْسَـهَا للهِ وَلِرَسُـولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ «**مَا لِى فِى النِّسَـاءِ مِنْ حَاجَـةٍ**»، فَقَالَ رَجُلٌ زَوِّجْنِيهَـا، قَـالَ: «**أَعْطِهَا ثَوْبًا**»، قَـالَ: «لاَ أَجِدُ»، قَـالَ: «**أَعْطِهَا وَلَـوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيـدٍ**»، فَاعْتَلَّ لَهُ، فَقَالَ «**مَـا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**»، قَالَ: «كَذَا وَكَـذَا»، قَالَ : «**فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**» [رواه البخارى].

(فَاعْتَلَّ لَهُ): أَيْ اِعْتَذَرَ بِعَدَمِ وِجْدَانه.

(زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ): أي بما تحفظ مِنَ الْقُرْآنِ فتعلمها إياه.

فضل تلاوة القرآن:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ فَقَالَ: «أَوْصِنِي»، فَقَالَ: سَأَلْتَ عَمَّا سَـأَلْتُ عَنْهُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ مِنْ قَبْلِكَ: «**أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ**

شَـيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْـلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْـرِ اللهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ وذِكْرٌ لكَ فِي الْأَرْضِ» [رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني].

(أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ) إذ التقوى - وإن قلَّ لفظها - جامعة لحق الحق، والخلق، شاملة لخير الدارين، إذ هي تجنب كل منهي، وفعل كل مأمور، ومن اتقى الله حفظه من أعدائه، ونجاه من الشدائد، ورزقه من حيث لا يحتسب، وأصلح عمله وغفر زلته وتكفل له بكفلين من رحمته، وجعل له نورًا يمشي به بين يديه، وقبله وأكرمه وأعزه ونجاه من النار.

(وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ) أي الزمه (فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ) أي أن الرهبان - وإن تخلوا عن الدنيا، وزهدوا فيها - فلا تخلي ولا زهد أفضل من بذل النفس في سبيل الله، فكما أن الرهبانية أفضل عمل أولئك، فالجهاد أفضل عملنا، والرهبانية ما يتكلفه النصارى من أنواع المجاهدات والتبتل.

(وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ) أي الزمهما (فَإِنَّهُ) يعني لزومهما (رُوحُكَ فِي السَّمَاءِ) بضم الراء أي: سبب حياتك عند الله، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، أو بفتح الراء (رَوْحُكَ) أي: سبب رحمتك وقربك، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة].

(وذِكْرٌ لك فِي الْأَرْضِ) أي: شرف لك. **قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، (وذِكْرٌ لك فِي الْأَرْضِ) بإجراء الله ألسنة الخلائق بالثناء الحسن عليك، أي عند توفر الشروط والآداب.

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»** [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

(مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ) أَيْ الْقُرْآنِ.

(وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا) أَيْ مُضَاعَفَةٌ بِالْعَشْرِ، وَهُوَ أَقَلُّ التَّضَاعُفِ الْمَوْعُودِ بِقَوْلِهِ تعَالَىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وَالْحَـرْفُ يُطْلَقُ عَلَى حَرْفِ الْهِجَـاءِ وَالْمَعَانِي وَالْجُمْلَةِ الْمُفِيـدَةِ وَالْكَلِمَةِ الْمُخْتَلَفِ فِي قِرَاءَتِهَا، وَعَلَى مُطْلَقِ الْكَلِمَةِ، وَلِذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**».



١٤٧- رمضان شهر القرآن

منزلة قارئ القرآن:

* إنَّ الله تعالى يرفع صاحبه درجةً بكل آيةٍ كان يحفظها في الدنيا، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، وأبو داود، وصححه الألباني].

(اِقْرَأْ وَارْتَقِ): أَي إِلى درَجَات الجنة أَو مراتِب القرب.

(وَرَتِّلْ) أَيْ اِقْرَأْ بِالتَّرْتِيلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ بِالْقِرَاءَةِ.

(كَمَا كُنْت تُرَتِّلُ): أَيْ فِي قِرَاءَتِك، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْجَزَاءَ عَلَى وَفْقِ الْأَعْمَال كَمِّيَّة وَكَيْفِيَّة.

(فَإِنَّ مَنْزِلَتَك عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا) هذا يدل: على أن في الجنة درجات على عدد آي القرآن، وهي نيف على ستة آلاف آية، فإذا اجتمعت للإنسان فضيلة الجهاد مع فضيلة القرآن، جمعت له درجاث الجهاد ودرجات القرآن، وهكذا ما زادت أعماله زادت درجاته.

وَيُؤْخَذ مِنْ الْحَدِيث أَنَّهُ لَا يُنَالُ هَذَا الثَّوَاب الْأَعْظَم إِلَّا مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ وَأَتْقَنَ أَدَاءَهُ وَقِرَاءَتَهُ كَمَا يَنْبَغِي لَهُ.

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاء: إِنَّ مَنْ عَمِلَ بِالْقُرْآنِ فَكَأَنَّهُ يَقْرَؤُهُ دَائِمًا وَإِنْ لَمْ يَقْرَأْهُ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِالْقُرْآنِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَقْرَأْهُ وَإِنْ قَرَأَهُ دَائِمًا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩] فَمُجَرَّدُ التِّلَاوَة وَالْحِفْظ لَا يُعْتَبَرُ اِعْتِبَارًا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الْمَرَاتِب الْعَلِيَّة فِي الْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ.

* عَنْ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّـفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَـرَرَةِ وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَـدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ**» [رواه البخاري].

ورواه مسـلم بلفظ: «**الْماهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّـفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَـرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ**».

السَّـفَرَة جَمع سَـافِر كَكَاتِبٍ وَكَتَبَة، وَالسَّافِر: الرَّسُـول، وَالسَّفَرَة: الرُّسُل، لِأَنَّهُـمْ يُسْـفِرُونَ إِلَى النَّـاس بِرِسَـالَاتِ اللهِ. وَقِيلَ: السَّـفَرَة: الْكَتَبَـة، وَالْبَرَرَة: الْمطِيعُـونَ، مِنْ الْبِرّ وَهُـوَ الطَّاعَة. وَالْماهِـر: الْحَاذِق الْكَامِـل الْحِفْظ الَّذِي لَا يَتَوَقَّف وَلَا يَشُقّ عَلَيْهِ الْقِرَاءَة بِجَوْدَةِ حِفْظه وَإِتْقَانه.

ويَحْتَمِل أَنْ يَكُون مَعْنَى كَوْنه مَعَ الْملَائِكَة أَنَّ لَهُ فِي الْآخِرَة مَنَازِل يَكُون فِيهَا رَفِيقًا لِلْمَلَائِكَةِ السَّـفَرَة، لِاتِّصَافِـهِ بِصِفَتِهِمْ مِنْ حَمْل كِتَاب اللهِ تَعَالَى، وَيَحْتَمِل أَنْ يُرَاد أَنَّهُ عَامِل بِعَمَلِهِمْ وَسَالِك مَسْلَكهمْ.

وَأَمَّا الَّذِي يَتَتَعْتَع فِيهِ فَهُوَ الَّذِي يَتَرَدَّد فِي تِلَاوَته لِضَعْفِ حِفْظه فَلَهُ أَجْرَانِ: أَجْر بِالْقِرَاءَة، وَأَجْر بِتَتَعْتُعِهِ فِي تِلَاوَته وَمَشَقَّته. وَلَيْسَ مَعْنَاهُ الَّذِي يَتَتَعْتَع عَلَيْهِ لَهُ مِنْ الْأَجْر أَكْثَر مِنْ الْماهِر بِهِ، بَلْ الْماهِر أَفْضَل وَأَكْثَر أَجْرًا؛ لِأَنَّهُ مَعَ السَّفَرَة وَلَهُ أُجُـور كَثِيرَة، وَلَمْ يَذْكُر هَذِهِ الْمَنْزِلَة لِغَيْـرِهِ، وَكَيْف يَلْحَق بِهِ مَنْ لَمْ يَعْتَنِ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَحِفْظه وَإِتْقَانه وَكَثْرَة تِلَاوَته وَرِوَايَته كَاعْتِنَائِهِ حَتَّى مَهَرَ فِيهِ.

* وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْمؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُـرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالتَّمْـرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَـلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُـرْآنَ كَالرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَـلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ أَوْ خَبِيثٌ وَرِيحُهَا مُرٌّ**» [رواه البخاري].

وفي رواية: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا**» [رواه البخاري].

(الأترج): شجر يعلو، ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار، وهو ذهبي اللون، ذكِيُّ الرائحة، عصيره حامض.

قِيلَ: «خَصَّ صِفَةَ الْإِيمَان بِالطَّعْمِ وَصِفَةَ التِّلَاوَة بِالرِّيحِ لِأَنَّ الْإِيمَان أَلْزَم لِلْمُؤْمِنِ مِنْ الْقُرْآن إِذْ يُمْكِن حُصُول الْإِيمَان بِدُونِ الْقِرَاءَة، وَكَذَلِكَ الطَّعْم أَلْزَم لِلْجَوْهَرِ مِنْ الرِّيح فَقَدْ يَذْهَب رِيح الْجَوْهَر وَيَبْقَى طَعْمه».

(وَرِيحهَا مُرٌّ) الْمَرَارَة مِنْ أَوْصَاف الطُّعُوم فَكَيْف يُوصَف بِهَا الرِّيح؟ أُجِيب بِأَنَّ رِيحهَا لَمَّا كَانَ كَرِيهًا اُسْتُعِيرَ لَهُ وَصْف الْمَرَارَة.

وَفِي الْحَدِيث فَضِيلَة حَامِلِي الْقُرْآن، وَضَرْب الْمَثَل لِلتَّقْرِيبِ لِلْفَهْمِ، وَأَنَّ الْمَقْصُود مِنْ تِلَاوَة الْقُرْآن الْعَمَل بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ.

* عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْكِتَابَ وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**» [رواه البخاري].

(لَا حَسَدَ) أَيْ لَا رُخْصَة فِي الْحَسَد إِلَّا فِي خَصْلَتَيْنِ، أَوْ لَا يَحْسُن الْحَسَد إِنْ حَسُنَ، أَوْ أَطْلَقَ الْحَسَد مُبَالَغَة فِي الْحَثّ عَلَى تَحْصِيل الْخَصْلَتَيْنِ كَأَنَّهُ قِيلَ لَوْ لَمْ يَحْصُلَا إِلَّا بِالطَّرِيقِ الْمَذْمُوم لَكَانَ مَا فِيهِمَا مِنْ الْفَضْل حَامِلًا عَلَى الْإِقْدَام عَلَى تَحْصِيلهمَا بِهِ فَكَيْفَ وَالطَّرِيق الْمَحْمُود يُمْكِن تَحْصِيلهمَا بِهِ، وَهُوَ

مِنْ جِنْس قَوْله تَعَالَى (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَات) فَإِنَّ حَقِيقَة السَّبْق أَنْ يَتَقَدَّم عَلَى غَيْره فِي الْمَطْلُوب.

قَوْله: (إِلَّا عَلَى اِثْنَتَيْنِ) وفي رواية: (إِلَّا فِي اِثْنَتَيْنِ) تَقُول: حَسَدْته عَلَى كَذَا أَيْ عَلَى وُجُود ذَلِكَ لَهُ، وَأَمَّا حَسَدْته فِي كَذَا فَمَعْنَاهُ حَسَدْته فِي شَأْن كَذَا.

والْمُرَاد بِالْقِيَامِ بِهِ الْعَمَل بِهِ تِلَاوَة وَطَاعَة.

* وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» [رواه البخاري].

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**» [رواه مسلم].

(نَفَّسَ الْكُرْبَة): أَزَالَهَا. وَفِيهِ: فَضْل قَضَاء حَوَائِج الْمُسْلِمِينَ، وَنَفْعهمْ بِمَا تَيَسَّرَ مِنْ عِلْم أَوْ مَال أَوْ مُعَاوَنَة أَوْ إِشَارَة بِمَصْلَحَةٍ أَوْ نَصِيحَة وَغَيْر ذَلِكَ، وَفَضْل السَّتْر عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَفَضْل إِنْظَار الْمُعْسِر، وَفَضْل الْمَشْي فِي طَلَب الْعِلْم، وَيَلْزَم مِنْ ذَلِكَ الِاشْتِغَال بِالْعِلْمِ الشَّرْعِيّ، بِشَرْطِ أَنْ يَقْصِد بِهِ وَجْه اللهِ تَعَالَى، إِنْ كَانَ هَذَا شَرْطًا فِي كُلّ عِبَادَة، لَكِنَّ عَادَة الْعُلَمَاء يُقَيِّدُونَ هَذِهِ الْمَسْأَلَة بِهِ، لِكَوْنِهِ قَدْ يَتَسَاهَل فِيهِ بَعْض النَّاس، وَيَغْفُل عَنْهُ بَعْض الْمُبْتَدِئِينَ وَنَحْوهمْ.

(السَّكِينَة) الطُّمَأْنِينَة وَالْوَقَار. (وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَله لَمْ يُسْرِع بِهِ نَسَبه) مَعْنَاهُ: مَنْ كَانَ عَمَله نَاقِصًا، لَمْ يُلْحِقهُ بِمَرْتَبَةِ أَصْحَاب الْأَعْمَال، فَيَنْبَغِي أَلَّا يَتَّكِل عَلَى

شَرَف النَّسَب، وَفَضِيلَة الْآبَاء، وَيُقَصِّر فِي الْعَمَل.

فضل سور من القرآن:

* عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ**»، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: «أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟»، فَقَالَ: «**اللهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ**» [رواه البخاري].

* وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟**»، قَالُوا: «وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟»، قَالَ: «**﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**» [رواه مسلم].

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْشُدُوا فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَقَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: «إِنِّي أُرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنْ السَّمَاءِ فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ» ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**» [رواه مسلم].

(احْشُدُوا) أَيْ اِجْتَمِعُوا. (ثُلُث الْقُرْآن) حَمَلَهُ بَعْض الْعُلَمَاء عَلَى ظَاهِره فَقَالَ: هِيَ ثُلُث بِاعْتِبَارِ مَعَانِي الْقُرْآن، لِأَنَّهُ أَحْكَام وَأَخْبَار وَتَوْحِيد وَقَدْ اِشْتَمَلَتْ هِيَ عَلَى الْقِسْم الثَّالِث فَكَانَتْ ثُلُثًا بِهَذَا الِاعْتِبَار.

وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَ الْمِثْلِيَّة عَلَى تَحْصِيل الثَّوَاب فَقَالَ: مَعْنَى كَوْنهَا ثُلُث الْقُرْآن أَنَّ ثَوَاب قِرَاءَتهَا يَحْصُل لِلْقَارِئِ مِثْل ثَوَاب مَنْ قَرَأَ ثُلُث الْقُرْآن، وَقِيلَ: الْمُرَاد مَنْ عَمِلَ بِمَا تَضَمَّنَته مِنْ الْإِخْلَاص وَالتَّوْحِيد كَانَ كَمَنْ قَرَأَ ثُلُث الْقُرْآن.

* عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَ بِهِمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**» [رواه البخاري].

(مِنْ آخِر سُورَة الْبَقَرَة) يَعْنِي مِنْ قَوْله تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ إِلَى آخِر السُّورَة.

قَوْله: (كَفتَاهُ) قِيلَ: مَعْنَاهُ كَفتَاهُ مِنْ قِيَام اللَّيْل بِالْقُرْآنِ، وَقِيلَ: مِنْ الشَّيْطَان، وَقِيلَ: مِنْ الْآفَات، وَيَحْتَمِل مِنْ الْجَمِيع، وَقِيلَ: أَجْزَأَتَا عَنْهُ عَنْ قِرَاءَة الْقُرْآن مُطْلَقًا سَوَاء كَانَ دَاخِل الصَّلَاة أَمْ خَارِجهَا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَجْزَأَتَاهُ فِيمَا يَتَعَلَّق بِالِاعْتِقَادِ لِمَا اِشْتَمَلَتَا عَلَيْهِ مِنْ الْإِيمَان وَالْأَعْمَال إِجْمَالًا، وَقِيلَ مَعْنَاهُ كَفتَاهُ كُلّ سُوء، وَقِيلَ كَفتَاهُ شَرّ الشَّيْطَان، وَقِيلَ دَفَعَتَا عَنْهُ شَرّ الْإِنْس وَالْجِنّ، وَقِيل مَعْنَاهُ كَفتَاهُ مَا حَصَلَ لَهُ بِسَبَبِهِمَا مِنْ الثَّوَاب عَنْ طَلَب شَيْء آخَر، وَكَأَنَّهُمَا اِخْتَصَّتَا بِذَلِكَ لِمَا تَضَمَّنَتَاهُ مِنْ الثَّنَاء عَلَى الصَّحَابَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِجَمِيلِ اِنْقِيَادهمْ إِلَى اللهِ وَابْتِهَالهمْ وَرُجُوعهمْ إِلَيْهِ وَمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ الْإِجَابَة إِلَى مَطْلُوبهمْ، ويَجُوز أَنْ يُرَاد جَمِيع مَا تَقَدَّمَ.

* عن مُعَاوِيَةُ بْنِ سَلَّام عَنْ زَيْدٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَّامٍ يَقُولُ حَدَّثَنِي أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**»، قَالَ مُعَاوِيَةُ: «بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ» [رواه مسلم].

* وعن النَّوَّاسِ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ**»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ: «**كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**» [رواه مسلم].

(اِقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَة وَسُورَة آلِ عِمْرَان) سُمِّيَتَا الزَّهْرَاوَيْنِ لِنُورِهِمَا وَهِدَايَتهمَا وَعَظِيم أَجْرهمَا، (فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْم الْقِيَامَة كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ

كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ) الْغَمَامَة وَالْغَيَايَة، كُلّ شَيْء أَظَلَّ الْإِنْسَان فَوْق رَأْسه مِنْ سَحَابَة وَغَبَرَة وَغَيْرهمَا، قَالَ الْعُلَمَاء: الْمُرَاد أَنَّ ثَوَابهمَا يَأْتِي كَغَمَامَتَيْنِ.

(أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَان مِنْ طَيْر صَوَافّ)، وَفِي الرِّوَايَة الْأُخْرَى: (كَأَنَّهُمَا حِزْقَان مِنْ طَيْر صَافٍ) الْفِرْقَان وَالْحِزْقَان مَعْنَاهُمَا وَاحِد، وَهُمَا قَطِيعَانِ وَجَمَاعَتَانِ، يُقَال فِي الْوَاحِد: فِرْق وَحِزْق وَحَزِيقَة: أَيْ جَمَاعَة.

* قال ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا وسَنَامُ القُرْآنِ سُورَةُ البَقَرَةِ، وإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ سُورَةَ البَقَرَةِ تُقْرَأُ، خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ الذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ**» [أخرجه الحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني].

(إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا) بفتح السين أي رفعة، مستعار من سنام البعير.

(وسَنَامُ القُرْآنِ سُورَةُ البَقَرَةِ) إما بطولها واحتوائها على أحكام كثيرة أو لما فيها من الأمر بالجهاد وبه الرفعة الكبيرة.

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ سُورَةً مِنْ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**»(رواه الترمذى، وحسنه الألباني).

(شَفَعَتْ لِرَجُل حَتَّى غُفِرَ لَهُ) يَعْنِي كَانَ رَجُلٌ يَقْرَؤُهَا وَيُعَظِّمُ قَدْرَهَا فَلَمَّا مَاتَ شَفَعَتْ لَهُ حَتَّى دُفِعَ عَنْهُ عَذَابُهُ، (وَهِيَ ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾) أَيْ إِلَى آخِرهَا.

* وقال ﷺ: «**سُورَةُ تَبَارَكَ هِيَ المَانِعَةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» [حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة].

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ **تَعْدِلُ رُبْعُ الْقُرْآنِ**» [رواه الحاكم وغيره وحسنه الألباني].

فالقرآن كله يشتمل على أحكام الشهادتين في التوحيد والنبوة وأحوال

النشأتين وذلك أربعة أقسام و(سورة الكافرون) مقصورة على التوحيد فهي ربع لتضمنها البراءة من الشرك والتدين بدين الحق وهذا هو التوحيد الصرف.

تأثير القرآن:

* عَـنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أُسَـيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ قَالَ بَيْنَمَا هُـوَ يَقْرَأُ مِنْ اللَّيْلِ سُـورَةَ الْبَقَرَةِ وَفَرَسُـهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ إِذْ جَالَتْ الْفَرَسُ، فَسَـكَتَ فَسَـكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَ وَسَكَتَتْ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَانْصَرَفَ وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا فَأَشْـفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَـهُ إِلَى السَّـمَاءِ حَتَّى مَـا يَرَاهَا، فَلَمَّـا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِـيَّ ﷺ فَقَالَ: «**اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْـرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ**»، قَالَ: «فَأَشْـفَقْتُ يَا رَسُـولَ اللهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَـى وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِـي فَانْصَرَفْـتُ إِلَيْهِ فَرَفَعْتُ رَأْسِـي إِلَى السَّـمَاءِ فَـإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَـا أَمْثَالُ الْمَصَابِيـحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لَا أَرَاهَا»، قَالَ: «**وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟**». قَالَ: «لَا»، قَالَ: «**تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ**» [رواه البخاري].

(فَلَمَّا اجْتَرَّهُ) أَيْ اجْتَرَّ وَلَده مِنْ الْمَكَان الَّذِي هُوَ فِيهِ حَتَّى لَا تَطَأهُ الْفَرَس.

(اِقْـرَأْ يَا اِبْن حُضَيْر) أَيْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَسْـتَمِرّ عَلَى قِرَاءَتك، وَلَيْسَ أَمْرًا لَهُ بِالْقِـرَاءَةِ فِي حَالَة التَّحْدِيث، وَكَأَنَّهُ اِسْـتَحْضَرَ صُورَة الْحَـال فَصَارَ كَأَنَّهُ حَاضِر عِنْـده لِمَـا رَأَى مَا رَأَى، فَكَأَنَّهُ يَقُول: اِسْـتَمِرَّ عَلَـى قِرَاءَتك لِتَسْـتَمِرّ لَك الْبَرَكَة بِنُزُولِ الْمَلَائِكَة وَاسْتِمَاعهَا لِقِرَاءَتِك.

وَفَهِمَ أُسَـيْد ذَلِـكَ فَأَجَابَ بِعُذْرِهِ فِي قَطْـع الْقِرَاءَة، وَهُوَ قَوْله: «فَأَشْـفَقْتُ يَـا رَسُـولَ اللهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَـى»، أَيْ خَشِـيت إِنْ اسْـتَمْرَيْتُ عَلَى الْقِـرَاءَة أَنْ تَطَأَ الْفَرَسُ وَلَدِي.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسـعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا**

قَـطُّ هَمٌّ وَلاَ حَزَنٌ فَقَـالَ: اللَّهُمَّ إِنِّى عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْـنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِى بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْـأَلُكَ بِكُلِّ اسْـمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَـهُ أَحَـدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِى كِتَابِكَ أَوِ اسْـتَأْثَرْتَ بِـهِ فِى عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِى وَنُورَ صَدْرِى وَجَلاَءَ حُزْنِى وَذَهَابَ هَمِّى، إِلاَّ أَذْهَـبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا»، فَقِيلَ: «يَا رَسُـولَ اللهِ أَلاَ نَتَعَلَّمُهَا»، فَقَالَ: «**بَلَى يَنْبَغِى لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**» [رواه الإمام أحمد وغيره، وصححه الألباني].

(وَابْنُ أَمَتِكَ): أي ابنُ جاريتك وهو اعترافٌ بالعبوديةِ.

(نَاصِيَتِـى بِيَـدِكَ): أيْ لا حَـولَ ولا قـوةَ إلا بك، فأنـا في تصرفِك وتحتَ قضائِك وقدَرِك ولا حركةَ لي ولا سـكونَ إلا بأقدارِك وهو إقرارٌ بالربوبيةِ، قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٦].

(مَاضٍ): أي ثابت ونافذ. (فِيَّ): أي في حقي.

(حُكْمُكَ): أي الأمري أو الكوني كإهلاك وإحياء ومنع وعطاء.

(عَـدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ): أي مـا قدرته عَلَيَّ لأنك تصرفتَ في ملكِكَ على وفق حكمتك.

(أَنْزَلْتَهُ فِى كِتَابِكَ): أي في جنس الكتب المنزلة.

(أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ): أي من خلاصتهم وهم الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِى عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ): أي فلم تنزله في كتاب.

(أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِى): أي راحته.

وجعـل القـرآن ربيع القلب هو عبارة عن الفرح لأن الإنسـان يرتاع قلبه في الربيـع مـن الأزمان ويميل إليـه في كل مكان، وكما أن الربيع سـبب ظهور آثار رحمة الله تعالى وإحياء الأرض بعد موتها كذلك القرآن سبب ظهور تأثير لطف الله من الإيمان وزوال ظلمات الكفر والجهل.

(وَجَلاءَ حُزْنِى وَذَهَابَ هَمِّى): أي إزالتهما.

ما قال الكلمات المذكورة عبد قط (إِلاَّ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا) بالجيم، وقال ابن حجر بالجيم والحاء المهملة.

وقوله ﷺ: «أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِى وَنُورَ صَدْرِى» يجمع أصلين: الحياة والنور؛ فإن الربيع هو المطر الذي يُحيِي الأرض فينبت الربيع، فيسأل الله بعبوديته وتوحيده وأسمائه وصفاته أن يجعل كتابه الذي جعله روحًا للعالمين نورًا وحياة لقلبه بمنزلة الماء الذي يحيي به الأرض، ونورًا له بمنزلة الشمس التي تستنير بها الأرض.

والحياة والنور جماع الخير كله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ ﴾ [الشورى:٥٢]؛ فأخبر أنه روح تحصل به الحياة ونور تحصل به الهداية فأتباعه لهم الحياة والهداية ومخالفوه لهم الموت والضلال.

من الأدب مع القرآن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل].

أي: فإذا أردت القراءة لكتاب الله الذي هو أشرف الكتب وأجلّها وفيه صلاح القلوب والعلوم الكثيرة فإن الشيطان أحرص ما يكون على العبد عند شروعه في الأمور الفاضلة، فيسعى في صرفه عن مقاصدها ومعانيها.

فالطريق إلى السلامة من شره الالتجاء إلى الله، والاستعاذة به من شره،

فيقول القارئ: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» متدبرًا لمعناها، معتمدًا بقلبه على الله في صَرْفِه عنه، مجتهدًا في دفع وساوسه وأفكاره الرديئة، مجتهدًا على السبب الأقوى في دفعه، وهو التحلي بحلية الإيمان والتوكل.

فإن الشيطان ﴿لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ أي: تسلط ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ وحده لا شريك له ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيدفع الله عن المؤمنين المتوكلين عليه شر الشيطان ولا يبقى له عليهم سبيل، ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ﴾ أي: تسلطه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ أي: يجعلونه لهم وليا، وذلك بتخليهم عن ولاية الله، ودخولهم في طاعة الشيطان، وانضمامهم لحزبه، فهم الذين جعلوا له ولاية على أنفسهم، فأزَّهم إلى المعاصي أزًّا وقادهم إلى النار قَوْدًا.

هجر القرآن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا (٣٠) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان].

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ مناديًا لربه وشاكيًا له إعراض قومه عما جاء به، ومتأسفا على ذلك منهم: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى﴾ الذي أرسلتني لهدايتهم وتبليغهم ﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ أي: قد أعرضوا عنه وهجروه وتركوه مع أن الواجب عليهم الانقياد لحكمه والإقبال على أحكامه، والمشي خلفه.

قال الله مسليًا لرسوله ﷺ ومخبرًا أن هؤلاء الخلق لهم سلف صنعوا كصنيعهم فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: من الذين لا يصْلُحون للخير ولا يزكون عليه يعارضونهم ويرُدّون عليهم ويجادلونهم بالباطل.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ يهديك فيحصل لك المطلوب ومصالح دينك ودنياك، ﴿وَنَصِيرًا﴾ ينصرك على أعدائك ويدفع عنك كل مكروه في أمر الدين

والدنيا فاكْتَفِ به وتوكل عليه.

وقد ذكر ابن القيم فى كتاب (الفوائد) أن هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء اليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وان قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم اليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠].

تعاهد القرآن ودوام تلاوته:

* عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ**» [رواه البخارى].

(إِنَّمَا مَثَل صَاحِب الْقُرْآن) أَيْ مَعَ الْقُرْآن، وَالْمُرَاد بِالصَّاحِبِ الَّذِي أَلِفَه، الْمُؤَالَفَة الْمُصَاحَبَة، وَهُوَ كَقَوْلِهِ أَصْحَاب الْجَنَّة. وَقَوْله: أَلِفَه، أَيْ أَلِف تِلَاوَته، وَهُوَ أَعَمّ مِنْ أَنْ يَأْلَفهَا نَظَرًا مِنْ الْمُصْحَف أَوْ عَنْ ظَهْرِ قَلْب، فَإِنَّ الَّذِي يُدَاوِم عَلَى ذَلِكَ يُذَلّ لَهُ لِسَانه وَيَسْهُل عَلَيْهِ قِرَاءَته، فَإِذَا هَجَرَهُ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ الْقِرَاءَة وَشَقَّتْ عَلَيْهِ.

(كَمَثَلِ صَاحِب الْإِبِل الْمُعَقَّلَة) أَيْ مَعَ الْإِبِل الْمُعَقَّلَة، أَيْ الْمَشْدُودَة بِالْعِقَالِ وَهُوَ الْحَبْل الَّذِي يُشَدّ فِي رُكْبَة الْبَعِير، شَبَّهَ دَرْس الْقُرْآن وَاسْتِمْرَار تِلَاوَته بِرَبْطِ الْبَعِير الَّذِي يُخْشَى مِنْهُ الشِّرَاد، فَمَا زَالَ التَّعَاهُد مَوْجُودًا فَالْحِفْظ مَوْجُود، كَمَا أَنَّ الْبَعِير مَا دَامَ مَشْدُودًا بِالْعِقَالِ فَهُوَ مَحْفُوظ، وَخَصَّ الْإِبِل بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَشَدّ

الْحَيَوَان الْإِنْسِيّ نُفُورًا، وَفِي تَحْصِيلهَا بَعْد اِسْتِمْكَان نُفُورهَا صُعُوبَة.

(إِنْ عَاهَـدَ عَلَيْهَا أَمْسَـكَهَا) أَيْ اِسْـتَمَرَّ إِمْسَـاكه لَهَـا، (وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ) أَيْ اِنْفَلَتَتْ.

طَهِّرُوا أَفْوَاهَكُمْ لِلْقُرْآنِ:

عـن علـيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَـوَّكَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَامَ الْمَلَـكُ خَلْفَهُ، فَسَـمِعَ لِقِرَاءَتِـهِ، فَيَدْنُو مِنْهُ حَتَّـى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيـهِ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَـيْءٌ مِنَ الْقُـرْآنِ إِلَّا صَارَ فِي جَوْفِ الْمَلَكِ، فَطَهِّـرُوا أَفْوَاهَكُمْ لِلْقُرْآنِ**» [رواه البزار، وقال الألباني: «إسناده جيد»].

وفي روايـة: «**إِنَّ الْعَبْـدَ إِذَا قَـامَ يُصَلِّي أَتَاهُ الْمَلَـكُ فَقَامَ خَلْفَهُ يَسْـتَمِعُ الْقُرْآنَ وَيَدْنُـو، فَلَا يَزَالُ يَسْـتَمِعُ وَيَدْنُو حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ فَـلَا يَقْرَأُ آيَةً إِلَّا كَانَتْ فِي جَوْفِ الْمَلَكِ**». [رواه البيهقي وصححه الألباني]. (يَدْنُو): يقترب، (فَاهُ): فَمُه.

(فَطَهِّرُوا أَفْوَاهَكُمْ لِلْقُرْآنِ) أي نَظِّفُوها لأجل ذلك باستعمال السواك إظهارًا لشرف العبادة، ولأن الملَك يضع فمَه على فَمِ القارئ فيتأذى بالريح الكريه.

و عَنْ عَبْدِ الله بن مَسْـعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**الْقُرْآنُ شَـافِعٌ مُشَـفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ**». [رواه الطبراني في المعجم الكبير وصححه الألباني].

(شَـافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ) يعني من اتبعه وعمل بما فيه فهو شافع له مقبول الشفاعة في العفو عن تفريطه، ومن شهد عليه القرآن بالتقصير والتضييع فهو في النار.



١٤٨- وقفات مع فصل الشتاء

كم يكونُ الشتاءُ ثمَّ المصيفُ ... وربيعٌ يمضِي ويأتِي الخريفُ
وارتحالٌ من الحرورِ إلى البردِ ... وسيفُ الـرّدَى عليك منيفُ
عجبًا لامرئٍ يُذَلّ لذِي الدنيَا ... ويكفِيه في كل يوم رغيفُ

إن الله بحكمته ورحمته خَلَقَ الليلَ والنهار، والشمس والقمرَ، وجعل الظلماتِ والنور، والحرَّ والبرد، في الشتاء والصيف؛ لحِكَمٍ عظيمة، ومنافعَ جسيمةٍ، فهذه المخلوقات من آياته، ودلائل قدرته وعظمته وتوحيده، وفيها مصالحُ للعباد في ليلهم ونهارهم، في أمور دينهم ودنياهم.

فتأمَّلْ الحكمة البالغة في الحر والبَرد، وقيام الحيوان والنبات عليهما، وفكِّرْ في دخول أحدهما على الآخر بالتدريج، والمُهْلَة حتى يبلغ نهايته، ولو دخله عليه مُفاجأة لأضرَّ ذلك بالأبدان وأهلكها وبالنبات، كما لو خَرَج الرجلُ من حَمَّام حار إلى مكان بارد، ولولا العنايةُ والحكمة والرحمة والإحسان لَما كان ذلك، فلله الحمدُ على ذلك.

والشتاء هو أحد الفصول الأربعة التي تتكون منها أيام العام، وفصول العام الأربعة تتكون من رحلتين للشمس طوال العام: رحلة هبوط من وسط السماء إلى الأفق يتكون فيها فصلا الخريف والشتاء، ورحلة صعود يتكون فيها فصلا الربيع والصيف.

وقد ذكر الله الشتاء في كتابه مرة واحدة في قوله تَعَالَىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش].

قال كثير من المفسرين: إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها أي: فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل لأجل قريش وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، والصيف للشام؛ لأجل التجارة والمكاسب.

فأهلك الله من أرادهم بسوء، وعظم أمر الحرم وأهله في قلوب العرب، حتى احترموهم، ولم يعترضوا لهم في أي: سفر أرادوا، ولهذا أمرهم الله بالشكر، فقال تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ أي: ليوحدوه ويخلصوا له العبادة ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ فرغد الرزق والأمن من المخاوف من أكبر النعم الدنيوية، الموجبة لشكر الله تعالى.

الإنسان مجبول على طلب ما ينفعه:

وإن مما لا شك فيه أن الإنسان مجبول على طلب ما ينفعه، والبعد والتجافي عما يضره ويزعجه، وهذه فطرة بشرية، أشار إليها القرآن الكريم في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، ومما اعتاد الناس وألفوا أن يتقوا الشتاء وبرده المؤذي، فما إن تبدأ رياح الشمال في الهبوب بنسماتها الباردة وسياطها اللاذعة، إلا ويهرع الناس إلى خزانات ملابسهم الشتوية، ويسارع الناس إلى الأسواق لاقتناء ما نقص من الملابس الواقية أو أجهزة التدفئة المتنوعة، وهذا موسم يتكرر كل عام، لا يسع المسلم إلا أن يُعمِل فكره ونظره فيه، فيقف متأملًا وآخذًا العبرة.

وقد امتدح القرآن الكريم ذوي العقول والألباب الذين يتفكرون في مخلوقات الله ويأخذون العظة والعبرة مما حولهم في آيات كثيرة، وإليكم هذه الوقفات حول فصل الشتاء:

الوقفة الأولى:

إن مجيء الشتاء وعودته إلينا، يعني انقضاء عام كامل بفصوله المختلفة،

وهذا يشعرنا بضرورة تذكر المصير المحتوم والنهاية الأكيدة التي تصير إليها كل المخلوقات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [النور:٤٤]، فيا سعادة من استعد بالخيرات وقدم أمامه الأعمال الصالحات، ويا خسارة من فرط في عمره وضاعت عليه لحظات حياته وقتل أوقاته فراحت هباءً منثورًا، حسراتها تبقى، ولذائذها تفنى، وما أجمل هذه الكلمات التي وجهها قائلها للمتكاسل عن طلب العلم قائلًا:

إذا كانَ يؤذيكَ حَرُّ المصيفِ ... ويُبْسُ الخريفِ وبَـرْدُ الشِّتَا
ويُلهيكَ حُسْـنُ زمـانِ الربيعِ ... فـأَخْـذُك للعلمِ قُل لي مَتَى؟

ألا يقال مثلها لمن فرط في طاعة الله، فيشغله المصيف بالسفر وتقطيع الإجازات، وإذا دخل الشتاء لزم فراشه الدافئ وضيع الصلاة، وفي الفيافي والبراري يستمتع بجمال الربيع مفرطًا فيما أوجب الله عليه من الطاعة والعبادة.

إن المُعْرِض عن الله يبدّد حياته ويضيّع عمره في كل معصية ولهو، حتى يأتيه الأجل وهو على هذه الحالة، فيندم ولات حين مندَم، ويتمنى الرجوع إلى هذه الدنيا ليعمل ولكن هيهات هيهات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴾ [سبأ: ٥٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر:٣٧].

الوقفة الثانية:

ابن آدم ملول، قد وصفه ربه بأنه ظلوم جهول، ومن جهله عدم الرضا عن حاله، وفي ذلك يقول الناظم:

يتمَنَّى المرءُ في الصيفِ الشتاءَ فإذا جاء الشتاءُ أنكرَهْ
فهو لا يرضَى بحالٍ واحدٍ قُتِلَ الإنسانُ ما أكْفَرَه

وهذا من طبع البشر، ولكن المسلم يرضى بما قدر الله من خير أو شر، فقد قال رسول الله ﷺ: «**عَجبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» [رواه مسلم]. ولن يعدم المؤمن أحد هذين الخيرين بشرط الرضا والشكر والصبر، ومن حُرِمَ الصبرَ على ما قدر الله فهو المحروم.

الوقفة الثالثة: إن مما لا يحتاج إلى برهان أننا بحمد الله قد توفر لكثير منا العديد مما ندفع به عنا أذى البرد وشدته، من الملابس الثقيلة الدافئة وأجهزة التدفئة، مما يجعل أحدنا - والحمد الله - يمر به موسم الشتاء بلا كدر أو مرض، يبيت دافئًا مطمئنًا على أهل بيته وعياله، وقد شبعوا من نعمة الله، وهذه والله نعمة جليلة ومنحة جسيمة لا يشعر بها إلا من ذاق لسع البرد وسهر الليالي من شدة الصقيع والجوع.

فهل تذكرنا هذه النعمة التي نعايشها دومًا، وهل تأملنا في هذه النعم التي يذكرنا بها القرآن الكريم، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾ [النحل].

في هاتين الآيتين يذكر تعالى عباده نعمه، ويستدعي منهم شكرها والاعتراف بها فقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ في الدور والقصور ونحوها تكنُّكم من الحر والبرد وتستركم أنتم وأولادكم وأمتعتكم، وتتخذون فيها

الغـرف والبيوت التي هي لأنواع منافعكم ومصالحكـم وفيها حفظ لأموالكم وحرمكم وغير ذلك من الفوائد المشاهدة، وهذه البيوت ثابتة مستقرة.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾ أي: ومـن نعمـه أيضا أنه أوجد لكم مـن نعمة أخرى تتمثل في البيـوت الخفيفة المتنقلة، كالخيام، وغيرها مـن البيوت التي يخف حملها، فجعل لكم ﴿مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ إما من الجلد نفسه أو مما نبت عليه، من صوف وشـعر ووَبَرٍ. والأنعـام: جمع نَعَم، وتشـمل الإبل والبقر والغنـم، ويدخل في الغنم المعز ﴿بُيُوتًا﴾ أي: تجدونها خفيفة.

﴿تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ أي: يـوم سـفركم ورحيلكم مـن موضع إلى آخـر، والظعن بسـكون العين وفتحهـا: التحول والانتقـال والرحيل من مكان إلـى آخر طلبا للكلأ، أو لمسـاقط الغيث، أو لغير ذلـك من الأغراض، ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ في مكان معين.

﴿بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: خفيفة الحمل تكون لكم في السفر والمنازل التي لا قصد لكم في استيطانها، بحيث يمكنكم أن تنصبوها لترتاحوا بداخلها، بأيسر السبل، فتقيكم من الحر والبرد والمطر، وتقي متاعكم من المطر.

﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ أي وَجعل لكم مِنْ ﴿أَصْوَافِهَا﴾ أي: الأنعام ﴿وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا﴾ وهذا شـامل لـكل ما يتخذ منها من الآنيـة والأوعية والفرش والألبسة، وغير ذلك.

﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: تتمتعون بذلك في هذه الدنيا وتنتفعون بها، فهذا مما سخر الله العباد لصنعته وعمله.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ أي: من مخلوقاته التي لا صنعة لكم فيها، ﴿ظِلَٰلًا﴾ وذلك كأظلة الأشجار والجبال والآكام ونحوها، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ أي: مغارات تكنكم من الحر والبرد والأمطار والأعداء.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾ أي: ألبسةً وثيابًا ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ ولم يذكر الله البرد لأن سورة النحل أولها في أصول النعم وآخرها في مكملاتها ومتمماتها، ووقاية البرد من أصول النعم فإنه من الضرورة، وقد ذكره في أولها في قوله تعالَىٰ: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، [النحل:٥].

﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ﴾ أي: وثيابا تقيكم وقت البأس والحرب من السلاح، وذلك كالدروع ونحوها ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ حيث أسبغ عليكم من نعمه ما لا يدخل تحت الحصر ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ إذا ذكرتم نعمة الله ورأيتموها غامرة لكم من كل وجه ﴿تُسْلِمُونَ﴾ لعظمته وتنقادون لأمره، وتصرفونها في طاعة مُوليها ومُسْدِيها، فكثرة النعم من الأسباب الجالبة من العباد مزيد الشكر، والثناء بها على الله تعالى، ولكن أبى الظالمون إلا تمردًا وعنادًا.

إن تذكر هذه النعم واستشعارها يوجب شكر الله، وبالشكر تزداد النعم، وبترك الشكر تزول النعم؛ قَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. والشكر لا يكفي باللسان بل لا بد من الشكر العملي، ومن ذلك ترك الإسراف والتبذير.

ومن الشكر تفقد المحتاجين ولو بالفاضل من الملابس أو وسائل التدفئة، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ**»، فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. [رواه مسلم].

(مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ) أي زيادة ما يُرْكب على ظهره من الدواب.

(فَلْيَعُدْ بِهِ) عاد فلان بمعروفه، إذا أحسن ثم زاد.

فِـي هَذَا الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالْجُودِ وَالْمُوَاسَـاةِ وَالْإِحْسَـانِ إِلَى الرُّفْقَـةِ وَالْأَصْحَابِ، وَالِاعْتِنَاءِ بِمَصَالِحِ الْأَصْحَابِ، وَأَمْـرُ كَبِيرِ الْقَوْمِ أَصْحَابَهُ بِمُوَاسَـاةِ الْمُحْتَاجِ، وَأَنَّـهُ يُكْتَفَى فِي حَاجَةِ الْمُحْتَاجِ بِتَعَرُّضِـهِ لِلْعَطَاءِ وَتَعْرِيضِهِ مِنْ غَيْرِ سُـؤَالٍ، وَهَـذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: «فَجَعَـلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ» أَيْ مُتَعَرِّضًا لِشَـيْءٍ يَدْفَعُ به حاجته.

وفيه مواسـاة ابن السَّـبِيلِ وَالصَّدَقَةُ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا وَإِنْ كَانَ لَهُ رَاحِلَةٌ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ أَوْ كَانَ مُوسِرًا فِي وَطَنِهِ وَلِهَذَا يُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ فِي هَذِهِ الْحَالِ.

الوقفة الرابعة:

هذا البرد الذي نعاني منه بعض الأحيان، ويتمنى الكثيرون سرعة ذهابه، نَفَسٌ من أنفاس جهنم، وجزء يسـير جدًا مما في النار من العذاب والنكال، أجارنا الله جميعًا منها، فقد قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: «يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا»، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَـيْنِ، نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهْوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ**» [رواه البخاري ومسلم].

والمراد بالزمهرير: شدة البرد، واستشكل وجوده في النار، ولا إشكال؛ لأن المراد بالنار: محلها، وفيها طبقة زمهريرية.

وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ النَّارَ مَخْلُوقَةٌ، وَلَا مَانِعَ مِنْ حَمْلِهِ عَلَى حَقِيقَتِهِ.

هل كان كلام النار وشـكوتها بلسـان المقال أم بلسان الحال؟ أكثر العلماء -وهو الصواب بلا ريب - على أنه كان بلسان المقال.

فالصَّوَابُ أن هذا الحديث عَلَى ظَاهِرِهِ وَأن النار اشْتَكَتْ حَقِيقَةً وَشِدَّةُ الْحَرِّ مِنْ وَهَجِهَا وَفَيْحِهَا وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهَا إِدْرَاكًا وَتَمْيِيزًا بِحَيْثُ تَكَلَّمَتْ بِهَذَا.

فجائـز أن يُنطقها الله، كما تنطق الأيدي، والجلـود، والأرجل يوم القيامة،

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، ومن ذلك قوله تعَالَىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقوله تعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]، أي: سبِّحي معه، وقوله تعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، وقوله تعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت]، وهذا في القرآن كثير.

وقد رد بعض الجهلة هذا الحديث بزعم أنه مخالف للواقع، من أن اختلاف الفصول إنما يرجع للعلاقة بين الشمس والأرض، والجواب على هؤلاء أسهل مما يتصورون؛ وذلك أن هذا الحديث ليس فيه أن اختلاف الفصول أو حصول الشتاء والصيف هو بسبب نفَسَيْ جهنم، بل الحديث نفْسُه يدل على وجود الفصلين (الشتاء والصيف) ابتداءً، وأن شدة الحر وشدة البرد هما من أثر نفَسَيْ جهنم، لا أنهما يكوِّنان الصيف والشتاء، وهذا واضح بأدنى تأمل في الحديث، فنَفَسُ جهنم في الشتاء: غير الشتاء، ونفَسُها في الصيف: غير الصيف.

وقد رَدَّ آخرون الحديث لأن سبب شدة الحر أو شدة البرد معروف، وهو بُعد الشمس أو قُرْبُها من الأرض، وقد أجاب العلماء عن ذلك أيضًا، وبينوا أنه لا تعارض بين الحديث، وبين الواقع فقالوا: هذا سبب حسِّي، لكن هناك سبب وراء ذلك، وهو السبب الشرعي الذي لا يُدرك إلا بالوحي، ولا مناقضة أن يكون الحرُّ الشديد الذي سببه أن الشمس تكون على الرؤوس أيضًا يُؤذَن للنار أن تتنفس فيزدادُ حرُّ الشمس، وكذلك بالنسبة للبرد: فلا مانع من أنّ الله تعالى يأذنُ للنار بأن يَخرج منها شيءٌ من الزمهرير ليبرِّد الجو، فيجتمع في هذا:

السبب الشرعي المُدرَك بالوحي، والسبب الحسِّي المُدرَك بالحسِّ.

ونظير هذا: الكسوف والخسوف، الكسوف معروف سببه، والخسوف معروف سببه. سبب خسوف القمر: حيلولة الأرض بينه، وبين الشمس، ولهذا لا يكون إلا في المقابلة، يعني: لا يمكن أن يقع خسوف القمر إلا إذا قابل جُرمُه جرمَ الشمس، وذلك في ليالي الإبدار، حيث يكون هو في المشرق وهي في المغرب، أو هو في المغرب وهي في المشرق.

هيا نأخذ العبرة:

فالنار قد أعدها الله تعالى لمن خالف أمره وعصاه، وفيها من أنواع العذاب والنكال ما تشيب لهوله الولدان، لو عقلنا كلام ربنا، ففيها الحميم الآن الذي اشتد غليانه واستجمع حرارته فهو يشوي الوجوه والجلود، وفيها الزمهرير الذي يقطع الأجساد من برودته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴾ [ص]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: «أما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم».

الوقفة الخامسة:

تساؤلٌ يفرض نفسه، هل تذكرنا نحن المسلمين حال إخوان لنا في الدين في بلاد شتى، قد ابتُلوا بشيء من الفقر والحاجة وقلة ذات اليد، فلا يجدون ما يحميهم من برودة الشتاء أو يُكِنّهم من لذع الصقيع، أجسامهم شبه عارية، وأقدامهم حافية، فراشهم الغبراء ولحافهم السماء، منهم من هُدمت داره، وفُرّق عياله، الخوف والوجل يحوطهم، والعدو متربص بهم، عدو لا يرقب في مؤمن إلًّا ولا ذمة.

فهل قمنا بواجبنا نحوهم دعمًا وإطعامًا وإغاثة، وهل سألنا الله تعالى أن

يرفع الضر ويذهب الجوع والخوف عن كل مسلم، أيًا كانت أرضه وبلاده، أم إن الأمر لا يعنينا ما دمنا نعيش في نِعَمٍ سابغة وخيرات متوافرة، إن الذي أعطانا لقادر على أن يمنعنا، وإن الذي كتب البلاء على أقوام، لقادر على أن يبدل رخاءنا ضرًا وأمننا خوفًا، ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

الوقفة السادسة:

يتميز فصل الشتاء بقِصَر النهار، إذ يأخذ الليل منه حوالي ساعتين، ويطول فيه الليل وتقل الحركة، فينبغي على المسلم أن يغتنم فصل الشتاء في عبادة الله، وقد كان النبي ﷺ يحث أصحابه على اغتنامه إذ يقول: «**الصَّوْمُ فِى الشِّتَاءِ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ**» [رواه الإمام أحمد في المُسنَد، والترمذي، وحسّنه الألباني].

(الصَّوْمُ فِى الشِّتَاءِ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ) لِوُجُودِ الثَّوَابِ بِلَا تَعَبٍ كَثِيرٍ، فالْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ هِيَ الَّتِي تَجِيءُ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصْطَلِيَ دُونَهَا بِنَارِ الْحَرْبِ وَيُبَاشِرُ حَرَّ الْقِتَالِ فِي الْبَلَاءِ، فهي غنيمة حصلتْ بغير قتال، ولا تَعَب ولا مشقة، فصاحبُها يحوز هذه الغنيمةَ عفوًا صفوًا بغير كُلفة.

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: «ألا أدلكم على الغنيمة الباردة؟» قالوا: «بلى»، فيقول: «الصيام في الشتاء»، وكان عبدُ الله بنُ مسعود رضي الله عنه يقول: «مرحبًا بالشتاء، يطول فيه الليل للقيام، ويقصر فيه النهار للصيام»، وقد بكى معاذ بن جبل رضي الله عنه عند موته وقال: «أبكي على أربع: أيام الصيف الحارة كنت أصومها، وليالي الشتاء الباردة كنت أقومها، ومجالسة العلماء، ومصاحبة الصالحين».

وكان عبيد بن عمير يقول إذا جاء الشتاء: «يا أهل القرآن، طالَ ليلُكم لقراءتكم فاقرؤوا، وقَصُر نهارُكم لصيامكم فصومُوا»، وعن الحسن قال: «نِعْمَ زمانُ المؤمن الشتاءُ؛ ليله طويل يقومه، ونهاره قصيرٌ يصومه».

فينبغي للمسلم أن يسابق إلى الخيرات باغتنام النهار بالصيام والليل بالقيام والمال بالنفقة والوقت بالذكر والقراءة والدعوة ونحو ذلك، ويستفيد المسلم ذلك من قِصَر النهار، فيصومه العبد لقلة ساعاته وعدم حاجة الجسم إلى الطعام والشراب، ويستفيد من طول الليل فيقومه بعد النوم لطول الزمن.

فالشتاءُ ربيع المؤمن؛ لأنه يرتع فيه في بساتين الطاعات، ويسرح في ميادين العبادات، وينزِّه قلبَه في رياض الأعمال الميسَّرة فيه، كما ترتع البهائمُ في مرعى الربيع، فتسمن وتصلح أجسادُها، فكذلك يصلح دينُ المؤمن في الشتاء؛ بما يسَّر الله فيه منَ الطاعات؛ فإن المؤمن يقدر في الشتاء على صيام نهاره من غير مشقَّة ولا كلفة تحصل له من جوع ولا عطش؛ فإن نهاره قصير بارد، فلا يحس فيه بمشقَّة الصيام.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ، بَاعَدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**» [رواه البخاري ومسلم].

(فِي سَبِيلِ اللهِ) أي وهو في الجهاد أو مخلصًا لله تعالى فيه. (الْخَرِيفُ): السَّنَةُ، (سَبْعِينَ خَرِيفًا): مسافة سَيْر سَبْعِينَ سَنَةً.

وأما قيام ليل الشتاء، فلطولِه يُمكن أن تأخذ النفْسُ حظَّها من النوم، ثم تقوم بعد ذلك إلى الصلاة، فيقرأ المصلِّي وردَه كلَّه من القرآن، وقد أخذتْ نفسُه حظَّها منَ النوم، فيجتمع له فيه نومُه المحتاج إليه، مع إدراك ورده من القرآن، فيكمل له مصْلحة دينه، وراحة بدنه.

عَنْ بِلَالِ بْنِ رَبَاح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنْ الْجَسَدِ**» [صحيح رواه الترمذي].

(عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ) أَيْ التَّهَجُّدِ فِيهِ (فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ) أَيْ عَادَتُهُمْ

وَشَأْنُهُمْ (وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ) أَيْ مِمَّا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى (وَمَنْهَاةٌ) أَيْ نَاهِيَةٌ (عَنْ الْإِثْمِ) أَيْ عَنْ اِرْتِكَابِهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾.

(وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ) أَيْ مُكَفِّرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ وَسَاتِرَةٌ لَهَا.

(وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنْ الْجَسَدِ) أَيْ طَارِدٌ وَمُبْعِدٌ لِلدَّاءِ عَنْ الْبَدَنِ.

الوقفة السابعة:

دين الإسلام دين اليسر، والله لم يكلفنا ما لا نطيق، ولم يجعل علينا في الدين من حرج، فأمرنا أن نتقيه حسب الاستطاعة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويقول تَعَالَىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ويقول تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، ومن يسر الإسلام جواز الجمع بين الصلاتين عند العذر من مطر ونحوه، وجواز المسح على الخفين للمقيم يومًا وليله وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها، وجواز المسح على العمامة، ونحو ذلك، [يحسُن بالخطيب أن يتكلم باختصار عن هذه الأحكام الفقهية].

الوقفة الثامنة:

الصبر على الطاعات وتحمل الأذى في سبيل الله، فإن الصبر أوسع عطاء وأجزل وفاء، وهو الضياء، وهو النصر على النفس وعلى الشيطان وعلى الأعداء، فما أعظم المؤمن وهو يستعذب الألم في سبيل الله، حين يسمع النداء لصلاة الفجر: «حي على الصلاة، حي على الفلاح، الصلاة خير من النوم»، فينتفض من فراشه الدافئ، ويتخلى عن لحافه الوثير، ويعمد إلى الماء البارد، فيتوضأ في شدة البرد، ولسان حاله يقول: «أَحَبُّه إلى الله أَحَبُّه إلى نفسي».

وبالصبر على الطاعة يمحو الله الخطايا ويرفع الدرجات، فيتذكر المؤمن

وهو يتوضأ بالماء البارد في شدة البرد قول النبي ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِـهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**» قَالُوا: «بَلَى يَا رَسُـولَ اللهِ»، قَالَ: «**إِسْـبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ**» [رواه مسلم].

مَحْوُ الْخَطَايَا كِنَايَةٌ عَنْ غُفْرَانِهَا، وَيَحْتَمِلُ مَحوَهَا مِنْ كِتَابِ الْحَفَظَةِ وَيَكُونُ دَلِيلًا عَلَى غُفْرَانِهَا. وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ إِعْلَاءُ الْمَنَازِلِ فِي الْجَنَّةِ. وَإِسْـبَاغُ الْوُضُوءِ تَمَامُـهُ. وَالْمَكَارِهُ تَكُونُ بِشِـدَّةِ الْبَـرْدِ وَأَلَمِ الْجِسْـمِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَكَثْـرَةُ الْخُطَا تَكُـونُ بِبُعْدِ الدَّارِ وَكَثْرَةِ التَّكْـرَارِ. وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فِي الْمُشْـتَرِكَتَيْنِ مِنَ الصَّلَوَاتِ فِي الْوَقْتِ كأنْ ينتظر الإنسان صلاة العصر بعد أداء صلاة الظهر، أو ينتظـر صلاة العشـاء بعـد أداء صلاة المغـرب، وَأَمَّـا غَيْرُهُمَا فَلَـمْ يَكُنْ مِنْ عَمَلِ النَّاسِ.

(فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ) أَيِ الرِّبَاطُ الْمُرَغَّبُ فِيهِ، وَأَصْلُ الرِّبَاطِ الحبسُ علَى الشيء كَأَنَّهُ حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى هَذِهِ الطَّاعَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَفْضَلُ الرِّبَاطِ فمن الْجِهَادِ جِهَادُ النَّفْسِ كَمَا قال رسول الله ﷺ: «**الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني]. وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ الرِّبَاطُ الْمُتَيَسِّرُ الْمُمْكِنُ أَيْ أَنَّهُ مِنْ أَنْوَاعِ الرِّبَاطِ.

يا لَعَظَمة المؤمن وهو يخرج من بيته في ظلام الليل الدامس وفي شدة البرد وهو يستحضر قوله ﷺ: «**بَشِّرِ الْمَشَّـائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني].

إن علـى المؤمـن أن يستشـعر هذه المعـاني، فيتذكر هـذه الأحاديث حتى يـزداد إيمانًـا إلـى إيمانه ويقينًـا إلى يقينـه وإقبالًا علـى طاعة ربه وشـوقًا إلى مرضاة مولاه.

إنها جنة العبودية التي حُرِمَها كثير من الخلق إلا من رحم الله، إنها جنة الدنيا كما قال أحد السلف: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»، إنها جنة العبودية التي يقول في وصفها أحد السلف: «مَن مثلك يا ابن آدم؟ خُلِّي بينك وبين المحراب وبين الماء كلّما شئت، ودخلْتَ على الله ﷻ وليس بينك وبينه ترجمان».

الوقفة التاسعة:

فصل الشتاء أيام ثم يرحل؛ فينبغي علينا أن نعرف حقيقة الدنيا من أنها قصيرة، فما كأنها إلا ظل شجرة أو سحابة صيف أو دار لها بابان يدخل الإنسان من أحدهما ويخرج من الآخر، وما هي في الآخرة إلا كصفر، وكمن غمس أصبعه في البحر ثم أخرجها، وعلى المسلم إذا عرف حقيقتها أن يزهد فيها؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان:٣٣].

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بزينتها وزخارفها وما فيها من الفتن والمحن.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ الذي هو الشيطان، الذي ما زال يخدع الإنسان ولا يغفل عنه في جميع الأوقات، فإن لله على عباده حقا، وقد وعدهم موعدًا يجازيهم فيه بأعمالهم، وهل وفوا حقه أم قصروا فيه، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًاۖ وَفِى ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد:٢٠].

الوقفة العاشرة:

نستفيد من قصر النهار ومن احتراق الأرض بالثلج ومن يبوسة الأشجار وانقطاع الثمار ونحو ذلك من المواعظ تذكُّرَ الآخرة والاستعداد لها، فإنها الدار الباقية، وهي دار الإقامة ودار الحصاد ودار الجزاء، وهي التي لا دار بعدها، وهي الدار التي يجب أن نغتنم الدنيا من أجلها والشباب من أجلها والصحة من أجلها والغِنَى من أجلها، وأن نجعلها همنا ليكون سعينا مشكورًا وتجارتنا رابحة لن تبور، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩].

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إلا مَا قُدِّرَ لَهُ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

(مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ) أَيْ قَصْدُهُ وَنِيَّتُهُ، (جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ) أَيْ جَعَلَهُ قَانِعًا بالكفاف والكِفَاية كَيْلَا يَتْعَبَ فِي طَلَبِ الزِّيَادَةِ (وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ) أَيْ أُمُورَهُ الْمُتَفَرِّقَةَ بِأَنْ جَعَلَهُ مَجْمُوعَ الْخَاطِرِ بِتَهْيِئَةِ أَسْبَابِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ بِهِ (وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا) أَيْ مَا قُدِّرَ وَقُسِمَ لَهُ مِنْهَا (وَهِيَ رَاغِمَةٌ) أَيْ ذَلِيلَةٌ حَقِيرَةٌ تَابِعَةٌ لَهُ لَا يَحْتَاجُ فِي طَلَبِهَا إِلَى سَعْيٍ كَثِيرٍ بَلْ تَأْتِيهِ هَيِّنَةً لَيِّنَةً عَلَى رَغْمِ أَنْفِهَا وَأَنْفِ أَرْبَابِهَا.

(وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ) أَيْ جِنْسَ الِاحْتِيَاجِ إِلَى الْخَلْقِ كَالْأَمْرِ المحسوس مَنْصُوبًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ (وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ) أَيْ أُمُورَهُ الْمُجْتَمَعَةَ (وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ) أَيْ وَهُوَ رَاغِمٌ فَلَا يَأْتِيهِ مَا يَطْلُبُ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَى رَغْمِ أَنْفِهِ وَأَنْفِ أَصْحَابِهِ.

الوقفة الحادية عشرة:

إن للفقـراء علينا حقًّا دائمًا، ويتأكد هذا الحق لهم في الأزمات والملمّات، وفي النكبات والصعوبات، خاصة اللاجئين من المسلمين المستضعفين في بقاع الأرض، ومن ذلك أن نرحمهم ونعطف عليهم مع برد الشتاء، يقول أحدهم:

أتــدرِي كيف قابلني الشتاءُ وكـيـف تكـون فيه القرفصَاءُ
وكـيـف الــبردُ يفعلُ بالثّنايَا إذا اصْطَكَّتْ وجَاوَبَها الفضاءُ
وكيف نبيتُ فيه عَلَى فِراشٍ يـجور عليه في الليل الغطاءُ
أتدري كيف جارُك يا ابن أمي يــهـدده مِــن الـفـقْـرِ الـعَـنَـاءُ
وكـيـف يَــداهُ ترتجفانِ بؤسًا وتـصـدمـه الـمـذلـةُ والـشـقـاءُ
يـصـبُّ الـزمـهَـريرَ عليه ثلجًا فتجمُد في الـشـرايـيـنِ الـدمـاءُ
خرافُ الأرض يكسوهن عِهنٌ وتــرفــلُ تـحـتـه نَــعَــمٌ وشــاءُ
وللنملِ المساكنُ حينَ يأتِي عليه الـبْـردُ أو جَــنّ المساءُ
وهَـــذا الآدمـــيُّ بـغَـيـرِ دارٍ فـلا أرضٌ تـقـيـهِ ولا سـمـاءُ
مـعَــاذَ اللهِ أنْ تـرضَـى بـهـذَا وطِفلُ الجيلِ يصرعه الشتاءُ
أتـلـقـاني وبــي عَـــوزٌ وضِـيـقٌ ولا تحنو؟ فما هـذا الجفاءُ
أخـي بـالله لا تـجـرَحْ شعورِي ألا يكفيكَ مـا جــرحَ الشتاءُ

(القُرْفُصاء): هيئة جلوس الشَّـخص على إليتيه ملصقًا فخذيه ببطنه، ولافًّا يديه حول ساقيه. (ثَنَايا): (الثَنِيَّة): إحدى الأسنان الأربع في مقدَّم الفم، ثِنتان من فوق وثِنتان من تحت. اصطكَّ الشَّيئانِ: ضرب أحدُهُما الآخرَ بحركة ارتجاف أو اضطراب، يقال: اصطكَّت أسنانُه من شدَّة البرد - اصطكَّت ركبتاه من شدّة الخوف. (جاوب): ردّ. (عِهنٌ): صوف. (نَعَمُ): إبل. (شاء): غنم وماعز.

إن مما يؤمر به في الشتاء وغيره: مواساةُ الفقراء والمساكين بما يدفع عنهم البَرِدَ، وفي ذلك فضل عظيم؛ فعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا**». فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: «لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟». قَالَ: «**لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى للهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**» [رواه أحمد، والترمذي وصححه الألباني].

(غُرَفًا) جَمْعُ غُرْفَةٍ، أَيْ عَلَالِيَّ فِي غَايَةٍ مِنَ اللَّطَافَةِ وَنِهَايَةٍ مِنَ الصَّفَاءِ وَالنَّظَافَةِ (تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا) لِكَوْنِهَا شَفَّافَةً لَا تَحْجُبُ مَا وَرَاءَهَا.

(لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ): الْمَعْنَى لِمَنْ لَهُ خُلُقٌ حَسَنٌ مَعَ الْأَنَامِ، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣]، فَيَكُونُ مِنْ عِبَادِ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا الْمَوْصُوفِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٧٥].

(وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ) لِلْعِيَالِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْأَضْيَافِ وَنَحْوِ ذَلِكَ

(وَأَدَامَ الصِّيَامَ) أَيْ أَكْثَرَ مِنْهُ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ بِحَيْثُ تَابَعَ بَعْضَهَا بَعْضًا وَلَا يَقْطَعُهَا رَأْسًا، قَالَهُ ابْنُ الْمَلِكِ. وَقِيلَ أَقَلُّهُ أَنْ يَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَفِيهِ وَفِيمَا قَبْلَهُ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ **تَعَالَىٰ**: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧]، مَعَ أَنَّ قَوْلَهُ **تَعَالَىٰ**: ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ صَرِيحٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الصَّوْمِ.

(وَالنَّاسُ) أَيْ غَالِبُهُمْ (نِيَامٌ) جَمْعُ نَائِمٍ أَوْ غَافِلُونَ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ عِبَادَةٌ لَا رِيَاءَ يَشُوبُ عَمَلَهُ وَلَا شُهُودَ غَيْرُ اللهِ، إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ **تَعَالَىٰ**: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٤]، الْمُنْبِئُ وَصْفُهُمْ بِذَلِكَ عَنْ أَنَّهُمْ فِي غَايَةٍ مِنَ الْإِخْلَاصِ للهِ.

١٤٩- نزول المطر، عبر وعظات

والله لولا الله ما سُقينا ... ولا تنعّمْنا بما أوتِينَا

ولا كُنا من الذنْب شُفِينَا ... ولا كُنا إلى الحقّ هُدِينَا

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء].

عندما تنضَب الآبار، وتيبس الأشجار، وتذبل الأزهار، وتقل الثمار، ويموت الزرع، ويجف الضرع، وتقحط الأرض، وتهزل المواشي، وتيأس بعض القلوب، وبينما الناس كذلك، إذا برحمة الله تنزل، فيرَوي الغيث الأرض، وتجري الوديان، وتسيل الآبار، وعند ذلك يفرح بهذه النعمة الصغار والكبار، والصالحون والمقصرون، ترى البهجة والسرور في وجوههم، استبشارًا برحمة ربهم.

وبمناسبة نزول الأمطار، هذه بعض الوقفات على وجه الاختصار:

إنزال المطر آية من آيات الله :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ

يَسۡمَعُونَ ﴾[النحل: ٦٥]. ﴿يَسۡمَعُونَ ﴾ عن الله مواعظه وتذكيره فيستدلوا بذلك على أنه وحده المعبود، الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، لأنه المنعم بإنزال المطر وإنبات جميع أصناف النبات، وعلى أنه على كل شيء قدير، وأن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأموات وأن الذي نشر هذا الإحسان لذو رحمة واسعة وجود عظيم.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[الروم: ٢٤].

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[الزمر: ٢١].

يذكر تعالى أولي الألباب بما أنزله من السماء من الماء، وأنه سلكه ينابيع في الأرض، أي: أودعه فيها ينبوعًا، يستخرج بسهولة ويسر ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ﴾ من بُرٍّ وذرة، وشعير وأرز، وغير ذلك، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ ﴾ عند استكماله، أو عند حدوث آفة فيه ﴿فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ ﴾ متكسرًا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ يذكرون بها عناية ربهم ورحمته بعباده، حيث يسر لهم هذا الماء، وخزنه بخزائن الأرض تبعا لمصالحهم، ويذكرون به كمال قدرته، وأنه يحيي الموتى، كما أحيا الأرض بعد موتها، ويذكرون به أن الفاعل لذلك هو المستحق للعبادة.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[النور].

أي: ألـم تشـاهد ببصـرك، عظيم قـدرة الله، وكيف ﴿يُزۡجِي﴾ أي: يسـوق ﴿سَحَابٗا﴾ قطعـا متفرقـة ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ﴾ بيـن تلـك القطـع ﴿ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا﴾ فيجعله سحابا متراكما، مثل الجبال.

﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ﴾ أي: الوابل والمطر ﴿يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾ يخرج من خلال السـحاب، نقطـا متفرقة، ليحصل بهـا الانتفاع مـن دون ضـرر، فتمتلئ بذلك الغـدران، وتتدفـق الخلجان، وتسـيل الأوديـة، وتنبت الأرض مـن كل زوج كريم.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾ وتـارة ينزل الله من ذلك السـحاب برَدًا يتلف ما يصيبه، والبرَد: ماء جامد ينزلُ من السَّـحاب قِطَعًا صغيرة شِـبه شفَّافة، ويُسـمَّى حَبَّ الغمام وحَبَّ المُزْن، ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي فيصيب بالبرَد من يشاء، ﴿وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾ بحسب ما اقتضاه حُكْمُه القدري، وحكمته التي يحمـد عليها ﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾ أي: يكاد ضوء برق ذلك السـحاب، من شـدته ﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ أليس الذي أنشأها وسـاقها لعباده المفتقرين، وأنزلها على وجـه يحصل بـه النفع وينتفي بـه الضرر، كامل القدرة، نافذ المشـيئة، واسـع الرحمة؟

المطر نعمة من نعم الله:

المطر نعمة من نعم الله ﷻ، تسـتوجب شـكر المُنْعِم الذي أنزله الله علينا، فلولا فضله ورحمته ما سُقينا، فنزول الأمطار من نعم الله العظيمة، على القرى والمدن والمجتمعات، يسـتفيد منه الناس، وتسـتفيد البهائم، وكذلك الزروع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا﴾ [النبأ]، فتأمل الحكمة البالغة في نزول المطر على الأرض من علو، ليعم بسـقيه وهادهـا، وتلولهـا، ومنخفضها ومرتفعها، ولو كان ربها تعالى إنما يسـقيها من

ناحية من نواحيها، لما أتى الماء على الناحية المرتفعة إلا إذا اجتمع في السفلى وكثر، وفي ذلك فساد، فاقتضت حكمته أن سقاها من فوقها فينشئ سبحانه السحاب ثم ينزل منه على الأرض، ثم تأمل الحكمة البالغة في إنزاله بقدر الحاجة، حتى إذا أخذت الأرض حاجتها وكان تتابعه عليها بعد ذلك يضرها، أقلع عنها وأعقبه بالصحو.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[البقرة].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٩].

أنزل الله من السماء ماءً متتابعًا وقت حاجة الناس إليه، فأنبت الله به كل شيء، مما يأكل الناس والأنعام، فرتع الخلق بفضل الله، وانبسطوا برزقه، وفرحوا بإحسانه، وزال عنهم الجدب واليأس والقحط، ففرحت القلوب، وأسفرت الوجوه، وحصل للعباد من رحمة الرحمن الرحيم، ما به يتمتعون وبه يرتعون، مما يوجب لهم أن يبذلوا جهدهم في شكر من أَسْدَى النِّعَم، وعبادته والإنابة إليه والمحبة له.

ولما ذكر عموم ما ينبت بالماء من أنواع الأشجار والنبات، ذكر الزرع والنخل؛ لكثرة نفعهما وكونهما قوتا لأكثر الناس فقال: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا ﴾ زرع غَضّ أخضر ﴿نُّخۡرِجُ مِنۡهُ ﴾ أي: من ذلك النبات الأخضر ﴿حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا ﴾ بعضه فوق بعض، من بُرٍّ، وشعير، وذرة، وأرز، وغير ذلك،

مـن أصنـاف الـزروع، وفي وصفه بأنه متراكب، إشـارة إلى أن حبوبـه متعددة، وجميعهـا تُسْـتَمَدّ من مادة واحـدة، وهي لا تختلط، بل هـي متفرقة الحبوب، مجتمعة الأصول، وإشارة أيضًا إلى كثرتها، وشمول ريعها وغلتها، ليبقى أصل البذر، ويبقى بقية كثيرة للأكل والادخار.

﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ أي: ونخـرج بقدرتنـا مـن طلع النخل قنوانًـا دانيـة القطـوف، سـهلة التنـاول أو بعضهـا دان قريب من بعـض لكثرة حملها.

والطَلْع: أول ما يبدو ويخرج من تمر النخل، وهو غلافٌ يشبه الكوز ينفتح عن حبٍّ منضود فيه مادّة إخصاب النخلة.

﴿قِنْوَانٌ﴾ والقنـوان، جمـع قُنْو/ قِنْو، أي سُـباطة وهي العرجـون بما فيه الشماريخ، عِذْق بما فيه من الرُّطب، وهو من النَّخل كالعنقود من العنب.

﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبة سهلة التناول، متدلية على من أرادها، بحيث لا يعسر التناول من النخل وإن طالت، فإنه يوجد فيها كرب ومراقي يسهل صعودها.

وأخـرج تعالـى بالمـاء ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ فهـذه مـن الأشـجار الكثيرة النفع، العظيمة الوقع، فلذلك خصصها الله بالذكر بعد أن عم جميع الأشجار والنوابت.

وقولـه ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ يحتمل أن يرجع إلى الرمان والزيتون، أي: مشتبها في شجره وورقه، غير متشابه في ثمره.

ويحتمل أن يرجع ذلك، إلى سـائر الأشجار والفواكه، وأن بعضها مشتبه، يشـبه بعضه بعضًـا، ويتقارب في بعـض أوصافه، وبعضها لا مشـابهة بينه وبين غيره، والكل ينتفع به العباد، ويتفكهون، ويقتاتون، ويعتبرون، ولهذا أمر تعالى بالاعتبـار به، فقال: ﴿ٱنظُرُوٓاْ﴾ نظر فكر واعتبار ﴿إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ أي: الأشـجار

كلها، خصوصا: النخل ﴿إِذَآ أَثۡمَرَ﴾، ﴿وَيَنۡعِهِۦٓ﴾ أي: انظروا إليه وقت اطلاعه، ووقت نضجه وإيناعه، فإن في ذلك عبرا وآيات، يستدل بها على رحمة الله، وسعة إحسانه وجوده، وكمال اقتداره وعنايته بعباده.

ولكن ليس كل أحد يعتبر ويتفكر وليس كل من تفكر، أدرك المعنى المقصود، ولهذا قيد تعالى الانتفاع بالآيات بالمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ فإن المؤمنين يحملهم ما معهم من الإيمان، على العمل بمقتضياته ولوازمه، التي منها التفكر في آيات الله، والاستنتاج لما يراد منها، وما تدل عليه عقلًا وفطرةً وشرعًا.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ [الحج: ٦٣]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠]. ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ترعون، والسائمة التي ترعى، أي فيه تسام الدواب وترعى مَتاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ٢٥ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ٢٦ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا﴾ [المرسلات].

من منن الله وإنعامه عليكم، بتسخير الأرض لمصالحكم، فجعلناها ﴿كِفَاتًا﴾ أي تكفت الناس أي تضمهم، ﴿أَحۡيَآءٗ﴾ فوق ظهرها في الدور، ﴿وَأَمۡوَٰتٗا﴾ في بطنها، أي في القبور، فكما أن الدور والقصور من نعم الله على عباده ومنته، فكذلك القبور رحمةً في حقهم، وسترًا لهم، عن كَوْن أجسادهم بادية للسباع وغيرها.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ أي: جبالا ترسي الأرض، لِئَلّا تميد بأهلها، فثبتها الله بالجبال الراسيات الشامخات أي: الطوال العراض، ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ أي: عذبًا زلالًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة].

اشكروا الله على نعمة إنزال المطر، وتخيلوا حياتكم بدونه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨]. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يكون رزقا لكم ولأنعامكم ﴿بِقَدَرٍ﴾ بقدر ما يكفيكم، فلا ينقصه بحيث لا يكفي الأرض والأشجار، فلا يحصل منه المقصود، ولا يزيده زيادة لا تحتمل، بحيث يتلف المساكن، ولا تعيش معه النباتات والأشجار، بل أنزله وقت الحاجة لنزوله ثم صرفه عند التضرر من دوامه.

﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أنزلناه عليها، فسكن واستقر، وأخرج بقدرة منزله جميع الأزواج النباتية، وأسكنه أيضا معدا في خزائن الأرض، بحيث لم يذهب نازلا حتى لا يوصل إليه، ولا يبلغ قعره، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ إما بأن لا ننزله، أو ننزله فيذهب نازلا لا يوصل إليه، أو لا يوجد منه المقصود منه، وهذا تنبيه منه لعباده أن يشكروه على نعمته، ويتخيلوا حياتهم بدونها، ماذا يحصل بها من الضرر؟ كقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

﴿غَوْرًا﴾ أي: غائرًا ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ أي تراه العيون لجريانه على الأرض، فتشربون منه، وتسقون أنعامكم وأشجاركم وزروعكم؟ وهذا استفهام بمعنى النفي، أي: لا يقدر أحد على ذلك غير الله.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة].

ذكر نعمته على عباده بالشراب العذب الذي منه يشربون، وأنهم لولا أن الله يسره وسهله، لما كان لكم سبيل إليه، وأنه الذي أنزله من المزن، وهو السحاب والمطر، ينزله الله تعالى فيكون منه الأنهار الجارية على وجه الأرض وفي بطنها، ويكون منه الغدران المتدفقة، ومن نعمته أن جعله عذبا فراتا تسيغه النفوس، ولو شاء لجعله ملحا أجاجا مكروها للنفوس، لا ينتفع به ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ الله تعالى على ما أنعم به عليكم.

المشركون يقرون بوجود الله وبنعمة إنزال الله المطر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

هذا استدلال على المشركين المكذبين بتوحيد الإلهية والعبادة، وإلزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، فأنت لو سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها؟ ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ وحده، ولاعْتَرَفُوا بعجز الأوثان ومن عبدوه مع الله على شيء من ذلك.

فاعجب لإفكهم وكذبهم، وعدولهم إلى من أقروا بعجزه، وأنه لا يستحق أن يدبر شيئا، وسَجِّلْ عليهم بعدم العقل، وأنهم السفهاء ضعفاء الأحلام، فهل تجد أضعف عقلا وأقل بصيرة، ممن أتى إلى حجر أو قبر ونحوه، وهو يدري أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق، ثم صرف له خالص الإخلاص، وصافي العبودية، وأشركه مع الرب، الخالق الرازق، النافع الضار وقل: الحمد لله الذي بين الهدى من الضلال، وأوضح بطلان ما عليه المشركون؛ ليحذره الموفقون.

وقال: الحمد لله، الذي خلق العالم العلوي والسفلي، وقام بتدبيرهم ورزقهم، وبسط الرزق على من يشاء، وضيقه على من يشاء، حكمةً منه، ولعِلْمِه بما يصلح عباده وما ينبغي لهم.

المطر رحمة من الله:

إن في نزول الأمطار وتصريفها بين البلاد، عبرةً لأولي الأبصار، وعِظَةً للعصاة والفُجَّار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان].

أي: هو وحده الذي رحم عباده وأدر عليهم رزقه بأن أرسل الرياح مبشرات بين يدي رحمته، أي مبشرات بالمطر متقدمة عليه وهو الرحمة، وهي بين يديه فمن يفعل هذا غير الله؟ اللهم إنه لا أحد، وهو المطر فثار بها السحاب وتألف وصار كسفا وألقحته وأدرته بإذن آمرها والمتصرف فيها ليقع استبشار العباد بالمطر قبل نزوله وليستعدوا له قبل أن يفاجئهم دفعة واحدة.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ يطهر من الحدث والخبث ويطهر من الغش والأدناس، وفيه بركة من بركته أنه أنزله ليحيي به بلدة ميتا فتختلف أصناف النوابت والأشجار فيها مما يأكل الناس والأنعام. ﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ أي: نسقيكموه أنتم وأنعامكم، أليس الذي أرسل الرياح المبشرات وجعلها في عملها متنوعات، وأنزل من السماء ماء طهورا مباركا فيه رزق العباد ورزق بهائمهم، هو الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك معه غيره؟

ولما ذكر تعالى هذه الآيات العيانية المشاهدة وصرفها للعباد ليعرفوه

ويشكروه ويذكروه مع ذلك أبي أكثر الخلق إلا كفورا، لفساد أخلاقهم وطبائعهم.

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[الشورى: ٢٨]. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ أي: المطر الغزير الذي به يغيث البلاد والعباد، ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾ وانقطع عنهم مدة ظنوا أنه لا يأتيهم، وأيسوا وعملوا لذلك الجدب أعمالا فينزل الله الغيث ﴿ وَيَنشُرُ ﴾ به ﴿ رَحْمَتَهُۥ ﴾ من إخراج الأقوات للآدميين وبهائمهم، فيقع عندهم موقعا عظيما، ويستبشرون بذلك ويفرحون، ﴿ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ﴾ الذي يتولى عباده بأنواع التدبير، ويتولى القيام بمصالح دينهم ودنياهم، ﴿ ٱلْحَمِيدُ ﴾ في ولايته وتدبيره، الحميد على ما له من الكمال، وما أوصله إلى خلقه من أنواع الإفضال.

الله هو وحده القادر على إنزال الغيث:

علينا أن نتذكر بنزول المطر، أن الله تعالى هو وحده القادر على إنزال الغيث، وأن من الخطأ العظيم أن يُنسَب إنزالُ المطر إلى غيره من الكواكب والأنواء وارتفاع الضغط الجوي وانخفاضه أو غير ذلك من الأسباب.

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ لاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ، وَلاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ**» [رواه البخاري].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ

بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**»، قَالُوا: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، قَالَ: قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**» [رواه البخاري ومسلم].

(عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ): (إِثْرِ) بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَإِسْكَانِ الثَّاءِ (إِثْرِ) وَبِفَتْحِهِمَا جَمِيعًا (أَثَر) لُغَتَانِ مَشْهُورَتَانِ. (سَمَاءٍ): السَّمَاءُ: الْمَطَرُ، أي بعد المطر.

(الْحُدَيْبِيَةُ) فِيهَا لُغَتَانِ تَخْفِيفُ الْيَاءِ وَتَشْدِيدُهَا.

(مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ) أي: قال بلسانه وقلبه، والباء للسببية، والفضل: العطاء والزيادة. والرحمة: صفة من صفات الله، يكون بها الإنعام والإحسان إلى الخلق.

(وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا) الباء للسببية.

(فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ) وصار كافرا بالله ; لأنه أنكر نعمة الله ونسبها إلى سبب لم يجعله الله سببا ; فتعلقت نفسه بهذا السبب، ونسي نعمة الله، وهذا الكفر لا يخرج من الملة ; لأن المراد نسبة المطر إلى النوء على أنه سبب وليس إلى النوء على أنه فاعل؛ لأنه قال: «مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا»، ولم يقل: أنزَلَ علينا المطرَ نوءُ كذا ; لأنه لو قال ذلك ; لكان نسبة المطر إلى النوء نسبة إيجاد؛ لأنه لو كان هذا هو المراد لَقَالَ: أنزل علينا المطرَ نوءُ كذا، ولم يقل: مطرنا به، فعُلم أن المراد: أن مَن أقر بأن الذي خلق المطر وأنزله هو الله، لكن النوء هو السبب ; فهو كافر، وعليه يكون من باب الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة.

والمراد بالكوكب: النجم، وكانوا ينسبون المطر إليه، ويقولون: إذا سقط

النجم الفلاني جاء المطر، وإذا طلع النجم الفلاني جاء المطر، وليسوا ينسبونه إلى هذا نسبة وقت، وإنما نسبة سبب.

حُكْمُ مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا:

نسبة المطر إلى النوء تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- نسبة إيجاد، وهذه شرك أكبر.

٢- نسبة سبب، وهذه شرك أصغر.

٣- نسبة وقت، وهذه جائزة، بأن يريد بقوله: مطرنا بنوء كذا ; أي: جاءنا المطر في هذا النوء، أي في وقته؛ ولهذا قال العلماء: يحرم أن يقول: مطرنا بنوء كذا، ويجوز مطرنا في نوء كذا، وفرقوا بينهما أن (الباء) للسببية، و(في) للظرفية، ومن ثم قال أهل العلم: إنه إذا قال: مطرنا بنوء كذا وجعل الباء للظرفية فهذا جائز.

وهذا وإن كان له وجه من حيث المعنى، لكن لا وجه له من حيث اللفظ ; لأن لفظ الحديث: (مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا)، والأقرب المنع ولو قصد الظرفية، لكن إذا كان المتكلم لا يعرف من الباء إلا الظرفية مطلقًا، ولا يظن أنها تأتي سببية ; فهذا جائز، ومع ذلك فالأَوْلَى أن يقال لهم: قولوا: في نوء كذا.

في إنزال المطر وإحياء الله الأرض بعد موتها عبرةٌ وآيةٌ لقدرته تعالى على إحياء الموتى يوم القيامة:

علينا أن نتذكر أيضًا، أن في إنزال المطر وإحياء الله الأرض بعد موتها عبرةً وآية لقدرته على إحياء الموتى يوم القيامة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف:٥٧]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ

﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[فاطر: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾[الزخرف: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[فصلت: ٣٩].

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ الدالة على كمال قدرته، وانفراده بالملك والتدبير والوحدانية، ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ﴾ أي: لا نبات فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ﴾ أي: المطر ﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ﴾ أي تحركت بالنبات وارتفعت تربتها وأنبتت من كل زوج بهيج، فيحيي به العباد والبلاد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا﴾ بعد موتها وهمودها، ﴿لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ﴾ من قبورهم إلى يوم بعثهم، ونشورهم ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ فكما لم تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها، لا تعجز عن إحياء الموتى.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الحج: ٥-٦].

١٥٠- نزول المطر، عبر وعظات

نزول الأمطار من السماء، يكون أحيانًا عقوبة إلهية:

نزول الأمطار من السماء أحيانًا، لا يكون نزوله رحمة، بل هو عذاب وعقوبة إلهيـة، أو لتلك الأمة وقد أهلك الله ﷻ أممًـا وأقوامًا بهذا الماء، في القديم وفي الحديث، وقد ذكر الله في كتابه، عقوبة الغرق بالماء، لأقوام عتوا عن أمر ربهم، وهـم قوم نوح عليه السلام وذلك بعدما أعرضوا عن الدعوة، ولم يُؤمِنُوا بما قال لهم نوح عليه السلام أغرقهم الله ﷻ بالماء، بإرسال السماء عليهم مدرارًا، وبتفجير ينابيع الأرض حتى تشكل طوفان هائل، وجعل لنوح عليه السلام علامة لبداية عملية إغراق أولئك القوم بالماء، هو فوران التنور.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [هود].

وجاء تفصيل عملية الغرق بالماء في موضع آخر فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٥﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر].

وعقوبة الغرق بالماء حصلت أيضًا لقوم فرعون، وذلك عندما آذوا نبي الله موسى عليه السلام، ولم يقبلوا ما جاء به، أغرقهم الله بالماء، الماء الذي كان فرعون يفتخر ويتكبر ويقول: ﴿يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ﴾ [الزخرف:٥١].

فهذا الماء الذي كان يجري من تحته جعله الله فوقه، وهذه عقوبة التمرد على دين الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس].

مطر السوء:

ومن عقوبات الله عز وجل إمطار الحجارة بدل الماء كما حدث مع قوم لوط عليه السلام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٠]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود].

هذه هي العقوبة حصلت لأهل تلك القرية، التي انتشرت فيها الفاحشة، عاقبهم الله ﷻ بعقوبتين: الأولى: جعلنا عاليها سافلها، والثانية: أمطر الله عليهم حجارة، إن الماء لو كثر نزوله من السماء، لأفسد وخرّب ولا أحد يستطيع أن يقف في وجهه، مهما أوتي من قوة، فما بالكم إذا كانت الأمطار من حجارة.

حسبوه مطر خير:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأحقاف].

منطق من لا يريد الهداية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ

إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الأنفال].

منع الزكاة سبب لمنع المطر:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**» [رواه ابن ماجه، وحسّنه الألباني].

(الْفَاحِشَةُ) أي الزنا. (الْأَوْجَاعُ) أي الأمراض. (السِّنِين) أي الفقر. (الْقَطْرَ) أي المطر. (بَأْسَهُمْ) أي حربهم، وقد جاء في هذا الحديث أمران بهما يمنع القطر من السماء، و يحصل الجدب والقحط في الأرض.

الأمر الأول: لم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، والأخذ بالسنين أحد أنواع البلاء والعذاب، كما قال تعالى عن عذاب آل فرعون في الدنيا: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

ما هو نقص المكيال والميزان؟ نقص المكيال والميزان هو التطفيف، فإن كان الأمر له استوفى حقه بالكامل، وإن كان الأمر لغيره بخسه حقه، ولا يقف قول النبي ﷺ في نقص المكيال والميزان عند هذا الحد، بل يتعدى إلى

ما يحصل في زماننا من سرقات أموال المسلمين، والتزوير والاختلاس، وغش الناس في معاملاتهم.

الأمر الثاني لتأخر نزول الغيث من السماء: كنز الأموال وعدم إخراج حق الله فيها. (وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا)، أي ولو نزلت قطرات المطر، وغيث السماء ما كان ذلك إلا للبهائم، ولولا البهائم لم ينزل الله المطر، فالمطر ليس لهؤلاء العصاة المصرّين على معاصيهم، الذين لا يقلعون عنها، إنما هو رحمة بالبهائم العجماوات.

الاستقامة سبب لنزول المطر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن].

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ المثلى ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ أي: هنيئًا مريئًا.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ﴾ أي: لنختبرهم فيه ونمتحنهم ليظهر الصادق من الكاذب.

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: من أعرض عن ذكر الله، الذي هو كتابه، فلم يتّبِعْهُ ويَنْقَدْ له، بل غفل عنه ولهى، يسلكه عذابا صعدا أي: شديدًا بليغًا.

الاستغفار سبب لنزول المطر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ [هود].

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ﴾ وأرسلنا إِلَى عَادٍ وهم القبيلة المعروفة في الأحقاف، من أرض اليمن ﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسب ﴿هُودًا ۚ﴾ ليتمكنوا من الأخذ عنه والعلم بصدقه.

فـ ﴿قَالَ﴾ لهـم ﴿يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ﴾ أي: أمرهم بعبادة الله وحده، ونهاهم عما هم عليه، من عبادة غير الله، وأخبرهـم أنهم قـد افتروا على الله الكـذب في عبادتهم لغيـره، وتجويزهم لذلك، ووضح لهم وجوب عبادة الله، وفساد عبادة ما سواه.

ثم ذكر عدم المانع لهم من الانقياد فقال: ﴿يَـٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾ أي: غرامـة من أموالكم على ما دعوتكـم إليه، فتقولوا: هذا يريـد أن يأخذ أموالنا، وإنما أدعوكم وأعلمكم مجانا.

﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ ما أدعوكم إليه، وأنه موجب لقبولـه، منتـفٍ المانـع عـن رده ﴿وَيَـٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ عمـا مضى منكم ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ فيما تستقبلونه بالتوبة النصوح، والإنابة إلى الله تعالى.

فإنكم إذا فعلتم ذلك ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا﴾ بكثرة الأمطار التي تخصب بها الأرض، ويكثر خيرهـا. ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾ فإنهم كانوا مـن أقوى النـاس؛ ولهذا قالـوا: ﴿مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ﴾ [فصلت: ١٥]، فوعدهم أنهم إن آمنـوا زادهم قوة إلى قوتهـم ﴿وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ﴾ عنه، أي: عن ربكم ﴿مُجۡرِمِينَ﴾ أي: مستكبرين عن عبادته، متجرئين على محارمه.

وقال نوح عليه السلام: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّـٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرًا﴾ [نوح].

﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ أي: اتركوا ما أنتم عليه من الذنوب، واسـتغفروا الله منهـا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ كثيـر المغفرة لمن تاب واسـتغفر، فرغبهم بمغفرة الذنوب، وما يترتب عليها من حصول الثواب، واندفاع العقاب.

ورغبهم أيضا، بخير الدنيا العاجل، فقال: ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا﴾ أي: مطرًا متتابعًا، يروي الشعاب والوهاد، ويحيي البلاد والعباد.

﴿ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ ﴾ أي: يكثر أموالكم التي تدركون بها ما تطلبون من الدنيا وأولادكم ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ وهذا من أبلغ ما يكون من لذات الدنيا ومطالبها.

ماء طهور:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴾[الفرقان: ٤٨]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴾ [الأنفال].

أي: اذكروا نعمة الله عليكم، لما قارب التقاؤكم بعدوكم يَوْمَ بَدْرٍ، استغثتم بربكم، وطلبتم منه أن يعينكم وينصركم ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾ وأغاثكم بعدة أمور:

منها: أن الله أمدكم ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾: بعضهم ردف بعض، أي متتابعين أي متلاحقين، يردف بعضهم بعضًا.

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ أي: إنزال الملائكة ﴿إِلَّا بُشۡرَىٰ ﴾ أي: لتستبشر بذلك نفوسكم، ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ ﴾ فالنصر بيد الله، ليس بكثرة عَدَدٍ ولا عُدَدٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يغالبه مغالب، بل هو القهار، الذي يخذل من بلغوا من الكثرة وقوة العدد والآلات ما بلغوا ﴿ حَكِيمٌ ﴾ حيث قدر الأمور بأسبابها، ووضع الأشياء مواضعها.

ومن نصره واستجابته لدعائكم أن أنزل عليكم نعاسا ﴿يُغَشِّيكُمُ ﴾ أي فيذهب ما في قلوبكم من الخوف والوجل، ويكون ﴿ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ ﴾ لكم

وعلامة على النصر والطمأنينة.

ومن ذلك: أنه أنزل عليكم من السماء مطرًا ليطهركم به من الحدث والخبث، وليطهركم به من وساوس الشيطان ورجزه ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ أي: يثبتها فإن ثبات القلب، أصل ثبات البدن ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ فإن الأرض كانت سهلة دهسة فلما نزل عليها المطر تلبدت، وثبتت به الأقدام.

مثل الحياة الدنيا كماء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

هذا المثل مطابق لحالة الدنيا، فإن لذاتها وشهواتها وجاهها ونحو ذلك يزهو لصاحبه إن زها وقتًا قصيرًا، فإذا استكمل وتم اضمحل، وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها، ممتلئ القلب من همها وحزنها وحسرتها.

فذلك ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: نبت فيها من كل صنف وزوج بهيج ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ كالحبوب والثمار ومما تأكل ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ كأنواع العشب والكلأ المختلف الأصناف ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ أي: تزخرفت في منظرها، واكتست في زينتها، فصارت بهجة للناظرين، ونزهة للمتفرجين، وآية للمتبصرين، فصرت ترى لها منظرًا عجيبًا ما بين أخضر، وأصفر، وأبيض وغيره.

﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ أي: حصل معهم طمع، بأن ذلك

سيستمر ويدوم، لوقوف إرادتهم عنده، وانتهاء مطالبهم فيه. فبينما هم في تلك الحالة ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾ أي قضاؤنا بإهلاكها وتدميرها عقوبة لأصحابها.

﴿لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا﴾ أي كأنها محصودة بالمنجل ليس فيها شيء قائم ﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾ أي: كأنها ما كانت فهذه حالة الدنيا، سواء بسواء.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: نبينها ونوضحها، بتقريب المعاني إلى الأذهان، وضرب الأمثال ﴿لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: يعملون أفكارهم فيما ينفعهم.

وأما الغافل المعرض، فهذا لا تنفعه الآيات، ولا يزيل عنه الشك البيان.

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾[الكهف:٤٥].

يقول لنبيه ﷺ أصلًا ولمن قام بوراثته بعده تبعا: اضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويُؤْثِرُوا أيهما أولى بالإيثار، وأن مثل هذه الحياة الدنيا، كمثل المطر، ينزل على الأرض، فيختلط نباتها، تنبت من كل زوج بهيج.

فبينما زهرتها وزخرفها تسر الناظرين، وتفرح المتفرجين، وتأخذ بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيما تذروه الرياح، فذهب ذلك النبات الناضر، والزهر الزاهر، والمنظر البهي، فأصبحت الأرض غبراء ترابا، قد انحرف عنها النظر، وصدف عنها البصر، وأوحشت القلب، كذلك هذه الدنيا، بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، وفاق فيها على أقرانه وأترابه، وحصل درهمها ودينارها، واقتطف من لذته أزهارها، وخاض في الشهوات في جميع أوقاته، وظن أنه لا يزال فيها سائر أيامه، إذ أصابه الموت أو التلف لماله، فذهب عنه سروره، وزالت لذته وحبوره، واستوحش قلبه من الآلام وفارق شبابه وقوته وماله،

وانفرد بصالح أو سيئ أعماله.

هنالك يعض الظالم على يديه، حين يعلم حقيقة ما هو عليه، ويتمنى العود إلى الدنيا، لا ليستكمل الشهوات، بل ليستدرك ما فرط منه من الغفلات، بالتوبة والأعمال الصالحات، فالعاقل الجازم الموفق، يعرض على نفسه هذه الحالة، ويقول لنفسه: قدري أنك قد مُتِّ، ولا بد أن تموتي، فأي: الحالتين تختارين؟ الاغترار بزخرف هذه الدار، والتمتع بها كتمتع الأنعام السارحة، أم العمل لدار أكلها دائم وظلها، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين؟ فبهذا يعرف توفيق العبد من خذلانه، وربحه من خسرانه.

وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

يخبر عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، بخلاف أهل اليقظة وعُمَّال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي.

﴿وَزِينَةٌ﴾ أي: تزين في اللباس والطعام والشراب، والمراكب والدور والقصور والجاه وغير ذلك، ﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾ أي: كل واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها، والذي له الشهرة في أحوالها،

﴿وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ أي: كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه، وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين إليها.

بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبرًا ولم يجعلها مستقرًّا، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى الله وإذا رأى من يكاثره وينافسه بالأموال والأولاد نافسه بالأعمال الصالحة.

ثم ضرب للدنيا مثلا بغيث نزل على الأرض، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار، الذين قصروا همهم ونظرهم إلى الدنيا جاءها من أمر الله ما أتلفها فهاجت ويبست، فعادت على حالها الأولى، كأنه لم ينبت فيها خضراء، ولا رؤي لها مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، مهما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة، إذ أصابها القدر بما أذهبها من يده، وأزال تسلطه عليها، أو ذهب به عنها، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن، فتبا لمن أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه.

وأما العمل للآخرة فهو الذي ينفع، ويدخر لصاحبه، ويصحب العبد على الأبد، ولهذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ أي: حال الآخرة، ما يخلو من هذين الأمرين: إما العذاب الشديد في نار جهنم، وأغلالها وسلاسلها وأهوالها لمن كانت الدنيا هي غايته ومنتهى مطلبه، فتجرأ على معاصي الله، وكذب بآيات الله، وكفر بأنعم الله.

وإما مغفرة من الله للسيئات، وإزالة للعقوبات، ورضوان من الله، يحل من أحله به دار الرضوان لمن عرف الدنيا، وسعى للآخرة سعيها.

فهذا كله مما يدعو إلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، ولهذا قال:

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ أي: إلا متاع يتمتع به وينتفع به، ويستدفع به الحاجات، لا يغتر به ويطمئن إليه إلا أهل العقول الضعيفة الذين يغرهم بالله الغرور.

سنن مأثورة:

١- إن العباد قد يصابون ابتلاءً من الله بقلة الماء وندرة الأمطار، أما الكفار فلا حيلة لهم، وأما نحن المسلمين، فمن نعم الله علينا أن شرع لنا صلاة الاستسقاء، وهو طلب السقيا ممن بيده ملكوت كل شيء، فمن السنن النبوية المأثورة صلاة الاستسقاء عند وجود القحط وندرة المطر.

ومن السنن النبوية ما جاء في بعض الرخص المتعلقة بنزول المطر، ومن هذه الرخص الجمع بين الصلاتين، فقد ثبت عن النبي ﷺ الجمع بين الصلاتين في المسجد، رفعًا للمشقة عن أمته، ومن الرخص أيضًا الصلاة في الراحلة أو في البيوت عند الحاجة. [يحسُن بالخطيب أن يتكلم باختصار عن هذه الأحكام الفقهية].

٢- ومن السنن النبوية ما علّمنا رسول الله ﷺ من الأدعية والأذكار المتعلقة بالمطر. فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى المَطَرَ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا**» [رواه البخاري]. أي اللهم اجعله مطرًا لا ضررَ فيه من سيل أو هدم أو عذاب.

٣- وإذا نزل المطر وخشي منه الضرَر دعا وقال: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالآجَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**» [رواه البخاري].

(الآجام): جمع الأجم وهو الحصن. (الآكام): جمع الأكمة وهى التل. (الظراب): جمع الظرب وهو الجبل الصغير.

٤ – وإذا هبت الريحُ نهانا عن لعنها وسبّها لأنها مأمورة، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنْ رَجُلاً لَعَنَ الرِّيحَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**لاَ تَلْعَنِ الرِّيحَ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**»، [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ:كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**» [رواه مسلم].

٥ – وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ تَرَكَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ» [رَوَاهُ مَالك في الموطأ، وصححه الألباني].

٦– ومن سنن المطر: الدعاء، فالدعاء عند نزول المطر من الأدعية المستجابة، فقد قال رسول الله ﷺ: «**اطْلُبُوا اسْتِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْتِقَاءِ الْجُيُوشِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَنُزُولِ الْغَيْثِ**»، (رواه الشافعي والبيهقي، وحسّنه الألباني).

٧– ومن السنن المأثورة عند نزول المطر، أن يحسر الإنسان شيئا من ملابسه حتى يصيبه المطر، تأسيًا برسول الله ﷺ، فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَطَرٌ، فَحَسَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَوْبَهُ، حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ، فَقُلْنَا: «يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟»، قَالَ: «**لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى**» [رواه مسلم].

(حَسَرَ): كَشَفَ أَيْ كَشَفَ بَعْضَ بَدَنِهِ، (حَدِيث عَهْد بِرَبِّهِ) أَيْ بِتَكْوِينِ رَبّه

إِيَّاهُ، مَعْنَاهُ أَنَّ الْمَطَر رَحْمَة، وَهِيَ قَرِيبَة الْعَهْد بِخَلْقِ اللهِ تَعَالَى لَهَا فَيَتَبَرَّك بِهَا.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ عِنْدَ أَوَّلِ الْمَطَرِ أَنْ يَكْشِفَ غَيْرَ عَوْرَتِهِ لِيَنَالَهُ الْمَطَرُ، فيكشف المرء بعض الشيء من جسده كذراعه أو رأسه حتى يصيبه المطر، كما فعله النبي ﷺ، فالمشروع أن يكشف المسلم مثلا عمامته عن رأسه، أو طرف ردائه عن عضده، أو عن ذراعه حتى يصيبه المطر، أو ساقه، أو ما أشبه ذلك مما يجوز كشفه عند الناس كالقدم والساق والرأس واليد ونحو ذلك.

معجزة نبوية:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَ الْمَالُ وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللهَ لَنَا»، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ ﷺ فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ وَمِنَ الْغَدِ، وَبَعْدَ الْغَدِ وَالَّذِي يَلِيهِ، حَتَّى الْجُمُعَةِ الأُخْرَى، وَقَامَ ذَلِكَ الأَعْرَابِيُّ - أَوْ قَالَ غَيْرُهُ - فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ وَغَرِقَ الْمَالُ، فَادْعُ اللهَ لَنَا»، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلاَ عَلَيْنَا**»، فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلاَّ انْفَرَجَتْ، وَصَارَتِ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ، وَسَالَ الْوَادِي قَنَاةُ شَهْرًا، وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلاَّ حَدَّثَ بِالْجَوْدِ» [رواه البخاري].

(قَزَعَةً): قطعة سحاب. (الْجَوْبَةِ): الحفرة المستديرة الواسعة. (قناة): اسمٌ لوادٍ معيَّن من أدوية المدينة. (الْجَوْدِ): المطر الشديد.

وفي رواية عَنْ شَرِيكٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا ثُمَّ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ،

فَـادْعُ اللهَ يُغِيثُنَـا فَرَفَعَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُـمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَـا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**»، قَالَ أَنَسٌ: وَلاَ وَاللهِ مَا نَرَى فِى السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلاَ قَزَعَةً، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلاَ دَارٍ.

قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَـحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلاَ وَاللهِ مَا رَأَيْنَا الشَّـمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِـنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِى الْجُمُعَـةِ وَرَسُـولُ اللهِ ﷺ قَائِـمٌ يَخْطُبُ، فَاسْـتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ: «يَا رَسُـولَ اللهِ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا»، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّـجَرِ**»، فَأَقْلَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِـى فِى الشَّـمْسِ. قَالَ شَرِيكٌ: «سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: «أَهُوَ الرَّجُلُ الأَوَّلُ»، فَقَالَ: «مَا أَدْرِى» [رواه البخاري ومسلم].

(الْآكَامُ) جَمْعُ أَكَمَةٍ، وَهِيَ دُونَ الْجَبَلِ وَأَعْلَى مِنَ الرَّابِيَةِ، وَقِيلَ دُونَ الرَّابِيَةِ، وَأَمَّا الظِّرَابُ فَهِيَ الرَّوَابِي الصِّغَارُ.

وَفِـي الحديـث أَدَبُهُ ﷺ فِي الدُّعَـاءِ فَإِنَّهُ لَمْ يَسْـأَلْ رَفْعَ الْمَطَـرِ مِنْ أَصْلِهِ، بَلْ سَـأَلَ رَفْعَ ضَرَرِهِ وَكَشْـفَهُ عَنِ الْبُيُوتِ وَالْمَرَافِقِ وَالطُّرُقِ بِحَيْثُ لَا يَتَضَرَّرُ بِهِ ساكن ولا ابن سَبِيلٍ وَسَأَلَ بَقَاءَهُ فِي مَوَاضِعِ الْحَاجَةِ بِحَيْثُ يَبْقَى نَفْعُهُ وَخِصْبُهُ، وَهِيَ بُطُونُ الْأَوْدِيَةِ وَغَيْرُهَا مِنَ الْمَذْكُورِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ اسْـتِحْبَابُ طَلَبِ انْقِطَاعِ الْمَطَرِ عَلَـى الْمَنَازِلِ وَالْمَرَافِقِ إِذَا كَثُرَ وَتَضَرَّرُوا بِهِ، وَلَكِنْ لَا تُشْرَعُ لَهُ صَلَاةٌ وَلَا اجْتِمَاعٌ فِي الصَّحْرَاءِ.

مظاهر سيئة:

إنـه بقدر ما تدخلـت النفوس الفرحـة الغامرة بنزول المطر، فإنه يسـوءها بعض المشـاهد السـيئة التي قـد تصاحب نزول الأمطار، فمـن ذلك تجمعات الميـاه المؤذية في بعض الشـوارع والأحيـاء، نعم، قد يكـون لبعضها ما يبرره،

لكن الأمر غير المبرر أن ترى الغش وعدم الأمانة من بعض المقاولين ومنفذي أعمال الطرق ومجاري المياه، وعدم التزامهم بالمواصفات والشروط، فما إن نـزل المطر حتى تجمعـت المياه في تلـك الطرقات، وجمعـت معها الأوحال والأوساخ.

ألا فليعلم منفذو تلك الطرقات بلا أمانة، ومستلموها منهم، أنهم شركاء في الوزر والإثم أمام الله أولًا، ثم أمام عامة المسلمين المتضررين.

وعلى جانب آخر، وفي بعض المباني، كشـفت مياه الأمطار عن غش بعض المقاوليـن وعـدم إحكامهم البناء، فترى السـقف يخر من مـاء المطر، أو ترى النوافذ يتسرب منه الماء فتفسد أثاث البيوت.

ومـن المظاهـر السيئة التـي تصاحب نـزول الأمطـار، ما يقـوم به بعض المسـتهترين ممن يسـيرون بسـرعة جنونيـة في مياه الأمطـار فيـؤذون المارة، ويملأون ثيابهم بالأوساخ.

ألا فليتـق الله المسـلم، وليعامل الناس بمثل ما يحـب أن يعاملوه به، وأن يحذر كل الحذر من أذية المسـلمين في طرقهم، فقـد قال النبي ﷺ: «**مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ، وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ**» [رواه الطبراني، وحسّنه الألباني].

(مَنْ آذَى الْمُسْـلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ) بنحو وضع حجر أو شـوك فيها أو تغوط أو بول (وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ) هَذَا الْحَدِيثُ دَالٌّ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ اللَّعْنَةَ.



الفهـــرس

❊ ❊ ❊